



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

ردمك: 1112-7163-P
ردمك: 2588-1892-E

المجلد: 12 العدد: 02، ديسمبر 2019

ELWAHAT

المجلد: 12 العدد: 02، ديسمبر 2019

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa



Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie

ISSN: 2588-1892
PISSN: 1112-7163

Volume 12 N°02 , Décembre 2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن جامعة

غرداية - الجزائر

المجلد 12 العدد 2

ربيع الثاني 1441 هـ / ديسمبر 2019م

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763

ردمـد P-ISSN:1112 – 7163

ردمـد E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق
محفوظة

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمـد- P- 7163 – 1112

ردمـد- E- 1892 – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الإختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تنشر مقالات أصلية، وتحليلات علمية في مختلف المجالات.

الناشر

جامعة غرداية

حقوق النشر محفوظة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للنشر.

للاتصال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى مدير النشر:

العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات – جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.

أو عن طريق البريد الإلكتروني: elwahatk.abdellah@gmail.com

الهاتف: +213 029 25 81 14 الفاكس: +213 029 25 81 12

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور بشكي لزهر

مدير النشر: الدكتور كمامسي عبد الله

اللجنة العلمية

داودة موسى بلخير (الجزائر)	سايدو توري أبو بكر (النيجر)	عجيلة محمد (الجزائر)
حليلات محمد الطاهر (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	قوي بوحنية (الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	جيلي فيرونك (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي (الجزائر)	أوداير جين ماري (فرنسا)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطييو عافية سامية (الجزائر)	بن يحي يحي (الجزائر)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	درابسا محمد (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوانيجو أدولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	فرج فرج (مصر)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبادلي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جبلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (يوكينا فاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	بوعبدلي أحلام (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناتالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسف محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاح يسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزيل مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبه سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	منهجية التأليف الصري عند الشيخ أبي عبد الله . محمد التواتي (ت1031هـ) يوسف خنفر	1- 22
02	إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليم اللغة العربية وصون مكانتها عبد الرحمان بوزنون	23- 38
03	مصطلحات علم الأصوات النطقي عند سيويوه وابن جني بين التأصيل والاستعمال عمرو مذكور	39- 65
04	مساهمة العلاقات العامة في دعم الاتصالات التسويقية البيئية المتكاملة وتحقيق فعالية الأداء البيئي للمنظمات الاقتصادية ثيلي سليمان، سمير رحمان	66- 96
05	مدى تأثير المسؤولية الاجتماعية للشركات النفطية بتقلبات أسعار النفط دراسة مقارنة بين كل من شركتي قطر بترول وأرامكو السعودية للفترة (2010 - 2017) بولصنام محمد ، عماد غزازي	97- 118
06	قياس العلاقة الديناميكية بين الصدمات الاقتصادية وأداء البورصات العربية صلاح الدين نعا، عبد الرحمان بن سانية، علي بن الضب	119- 147
07	فعالية برنامج علاجي قائم على مهارات ما وراء الذاكرة وأثره على الذاكرة العاملة لدى المعسرير قرائيا داود حكيمة، عطار سعيدة	148- 171
08	ضرورة حماية خصوصية مراسلات البريد الإلكتروني في التشريع الجزائري بلغيث سمية	172- 188
09	دور المحتسب في حماية البيئة حاج أحمد عبد الله	189- 208
10	دور العلامة التجارية في تحقيق التنمية الاقتصادية محمد مصطفى زرباني	209- 239

240- 265	حالة القطاع الفلاحي في ولاية نعصابة بموريتانيا بين اكراهات الوسط الطبيعي والامكانات المادية للسكان الريفيين عبد الله سيدي محمد أبنو	11
266- 283	جماليات التكرار في الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف بين الميزة الصوتية والقيمة البلاغية بن حمده محمد الصالح، عاشور سرقمة	12
284- 297	تعلم اللغات الأجنبية في المراحل العمرية المبكرة - في عصر العولمة - وآثارها على تعلم اللغة العربية، وعلى التنشئة اللغوية للفرد طارق ثابت	13
298- 329	تأثير التسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح للوجهة السياحية بالجزائر -دراسة حالة عينة من مركبات العلاج الحموي بالجزائر - بلقاسم تويضة ، العيد قريشي	14
330- 356	بيان الإمام القرطبي المالكي لمكانة الصحابة ﷺ وعدالتهم والدفاع عنهم يَحْيَى غُشِّي	15
357- 379	بعض مظاهر عالمية اللغة العربية قديما وحديثا محمد بن حجر	16
380- 412	برنامج إرشادي قائم على الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي لرفع مستوى تقدير الذات وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى التلاميذ المعيقين الزهرة الأسود	17
413- 431	النظام اللغوي وومقتضى الحال وأثرهما في نجاح العملية الاتصالية التواصلية عند الجاحظ من خلا كتابه البيان والتبيين عامر بن شتوح	18
432- 461	المنظور الشرعي والتكييف القانوني للجريمة الإرهابية. دراسة مقارنة لغلام مصطفى، محمد حديون	19
462- 475	المعاهدة التونسية البندقية سنة 1763م أول معاهدة للسلم بين تونس وجمهورية البندقية في العصر الحديث (دراسة وثيقة) الشافعي درويش	20
476- 497	المختصرات الفقهية عند فقهاء إباضية المغرب كتاب النيل انموذجا باباواسماعيل زهير	21

518- 498	اللذة الفنية لدى ابن طباطبا من خلال كتابه عيار الشعر محمد بلمكي، بوعلام بوعامر	22
533- 519	العولمة الواقع المفروض طهاري حنان	23
552- 534	العمليات التفاعلية العلائقية الصفية لتحقيق التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة -دراسة ميدانية على عينة من أساتذة التعليم المتوسط بمدينة بسكرة -الجزائر - فتيحة طويل	24
581- 553	الضغط المدرسي وعلاقته بالدافعية للتعلم دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية بوجمعة قرمة غرداية عمر حجاج	25
598- 582	السّمات الأسلوبية للصّوت في إطار اللفظ في خطب محمدّ البشير الإبراهيمي نسيم حرّار	26
634- 599	السّخرية باعتبارها موجّها للحكي في "المنام الكبير" لرّكن الدين الوهراني وهيبة جراح، سليم سعدني	27
655- 635	الديمقراطية الإدارية والمجتمع المدني في الجزائر حبشي لزرق، رحموني محمد	28
673- 656	الحوافز وأثرها على رضا الموظفين الإداريين دراسة ميدانية بجامعة غرداية حياة عيشاوي، حميد قرليفة	29
702- 674	الحماية القانونية لأسري الحرب و دور اللجنة الدولية للصليب الاحمر في حمايته زرياني عبدالله	30
726- 703	الجهود الدولية لمكافحة الإجرام السيبراني مراد مشوش	31
755- 727	الترجيح بالمقاصد عند ابن رشد الحفيد من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد أحمد خويلدي	32
774- 756	التحليل اللساني النصي للمنجز اللغوي الإبداعي في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "أسرى الكلام" لفاتح علّاق أنموذجا نورة كادي	33

798- 775	التأويل بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة لخنداري سعد	34
814- 799	البُعد الحجاجي في الخطاب النثري من نصبة الإقناع إلى إقناعية الإيقاع يوسف بن سعدة ، عامر بن شتوح	35
835- 815	البنى الحجاجية في الخطاب النسوي: حديث "أم زرع" أنموذجا يوسف بن سعدة ، عامر بن شتوح	36
853- 836	البشير الإبراهيمي وحوادث الثامن ماي 1945م عامر زناتي	37
870- 854	الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية رشيد سعاد	38
888- 871	الإجهاض العلاجي في ظل قانون الصحة الجديد 11/18 الشيخ صالح بشير	39
918- 889	الآليات الوقائية والردعية لمكافحة الفساد في الشريعة الإسلامية و التشريع الجزائري شرح عبد الرزاق ، كبحول بوزيد	40
938- 919	الأدب الإسلامي قراءة في المفهوم وتأسيس المصطلح بين محمد إقبال العروي ونقاد آخرين رشيدة لخواجي، طاهر براهيم	41
952- 939	استراتيجيات التواصل مع الصم وضعاف السمع يحيى بن أفلح بن سالم الحضرمي	42
985- 953	اتجاهات الشباب الجامعي نحو المال من منظور سوسيولوجي أوشان جميلة	43
1008- 986	إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء، التشريع، الفقه) باباواسماعيل يوسف	44
1033- 1009	إسهام القواعد الفقهية في التأصيل الشرعي لأحكام دعوى التعويض في القانون المدني الجزائري بوعلالمة عمر	45
1048- 1034	أهمية التعليم المقاوالاتي في تعزيز الثقافة المقاوالتية للطلبة كمال عويسي	46

1063- 1049	ألفاظ اللهجة العامية الجزائرية في مدونات تفسير القرآن. " منطقة الجلفة أنموذجا " طيباوي ابراهيم، عبد الوهاب المسعود	47
1081- 1064	أثر تمكين العاملين على الابداع الاداري دراسة لأراء عينة من موظفي جامعة غرداية بهاز جيلالي، هواري معراج	48
1098- 1082	Translating Cultural References In Children's Literature Meriem Benlakder ،Ezzoubeyr Mehassouel	49
1115- 1099	Les Facteurs De Motivation De L'entrepreneur Algerien The Motivation Factors Of The Algerian Entrepreneur BEDOUI Samiya, MANSOURI Houari , BEN AYAD Mohamed Samir	50
1131- 1116	Educational Wastage Quantitative Bat Vocational Training Institutions In Ouargla Province Mezaour Nassima ،Tichabet Yasmina	51
1148- 1132	Competency-Based Evaluation Of The Algerian English Language BAC Test BOUKHENTACHE Slimane	52



**منهجية التأليف الصرفي عند الشيخ أبي عبد الله
محمد التواتي (ت1031هـ)**

**The Methodology of the morphologic writings of Sheikh
Abi Abdullah Muhammad Al-Tuwati (1031 AH)**

يوسف خنفر

مخبر التراث الثقافي و اللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري، كلية الآداب و اللغات،

جامعة غرداية - الجزائر ص ب: 455

khenfer.youssef@univ-ghardaia.dz

youceflag@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2019-09-12

تاريخ الاستلام: 2019-05-25

ملخص -

نقدم في هذه الورقة البحثية نبذة مختصرة عن حياة الشيخ أبي عبد الله محمد التواتي أحد رجال القرن الحادي عشر الهجري، هذه الشخصية التي خدمت اللغة العربية تدريساً وتأليفاً، فحاولت في هذه الدراسة التعريف به وبمؤلفاته، ثم أوردت جانباً من منهجه في التأليف الصرفي من خلال كتابه شرح لامية الأفعال لابن مالك الذي تضمن الكثير من الفوائد، وحمل موضوعات ذات قيمة، فلم يكن الشيخ مجرد ناقل، بل كان ذا شخصية بارزة، يختار، ويرجع، ويدلي برأيه.

ونشير إلى أن هذه الدراسة هي أول عمل يتناول جهود الشيخ محمد التواتي، فبرغم ما قدمه من إسهامات في مجال التأليف النحوي والصرفي إلا أنه لم يحظ بدراسة تبرز جهوده، فنأمل أن تكون سبباً في التعريف به وبأهم مؤلفاته.

الكلمات المفتاحية -

منهج التأليف، علم الصرف، محمد التواتي.

Abstract-

In This Paper We Present A Brief Biography Of One Of The Scholars Of The Eleventh Century AH, Sheikh Abu Abdullah Mohammed Touati, This Person, Who Served The Arabic Language Both In Terms Of Teaching And Publishing. We Will Attempt To Present Him And His Writings, And Tackle Some Of His Methodology In Morphologic Writings In His Book, Charh Lamiyat Alafaal Libn Malek, Which Included Many Benefits, And Contained Many Topics Of Value. The Sheikh Was Not Just A Transmitter, But He Was A Prominent Figure Who Expressed His Opinions Regarding Many Morphological Questions. It Is Worth Mentioning That This Study Is The First Work Dealing With The Efforts Of Sheikh Mohammed Touati, Despite His Contributions In The Field Of Grammatical And Epigraphic Writings, His Writings Remain Neglected And Was Not So Much Studied. We Hope That This Study Will Play A Role In Presenting Him And His Writings.

Keywords -

Methodology Of Writing, Morphology, Mohamed Touati.

مقدمة -

يحاول هذا البحث التعريف بأحد أعلام النحو العربي في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أبرز الأساتذة الواردين على الجزائر من المغرب، والذين تركوا بصمات قوية في الاهتمام بعلم النحو⁽¹⁾، فأبو عبد الله محمد التواتي (ت1031هـ) شخصية كانت لها شهرة واسعة بالمغرب العربي في تلك الفترة، غير أنها لم تلق العناية التي تستحقها، فلم أجد في كتب التراجم -على كثرتها - من أفرد له ترجمة سوى ما كتبه تلميذه العلامة عبد الكريم الفكون (ت1073هـ)⁽²⁾ في منشور الهداية؛ أمّا العصر الحاضر فإنّ الدارسين لم يلتفتوا لهذه الشخصية

(¹) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، دط، 2007م، ج2، ص158.

(²) ستاتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ.

باستثناء ما أورده الأستاذ أبو القاسم سعد الله⁽³⁾ في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، حيث تحدث عنها بصورة مقتضبة جداً.

ورأيت أن أبدأ حديثي في هذا المقال بترجمة للشيخ أبي عبد الله محمد التواتي⁽⁴⁾، ذاكرًا شيوخه وتلاميذه، لأتوقف بعد ذلك عند أهم آثاره التي استطعنا الحصول عليها، ثم الحديث عن شرحه لامية الأفعال، فما هي أبرز ملامح منهجه في كتابه؟ وما مكانة هذا الشرح بين بقية شروح الامية؟

أولاً: التعريف بالشيخ أبي عبد الله التواتي:

1 - اسمه ولقبه: هو أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي لقباً أصله من المغرب من قبيلة الرواشد⁽⁵⁾. فالملحظ من خلال ما ذكره الشيخ الفكون أن لفظة "التواتي" لقب للشيخ وليس نسبةً لإقليم توات⁽⁶⁾ بالجنوب الجزائري كما قد يُتوهم.

⁽³⁾ أبو القاسم سعد الله شيخ المؤرخين الجزائريين، أصله من الجنوب الجزائري وبالتحديد من مدينة قمار ولاية الوادي، وتسمى وادي سوف، عمل أستاذا بجامعة الجزائر، له العديد من الدراسات في مجال التاريخ، توفي -رحمه الله - 14 ديسمبر سنة 2013.

⁽⁴⁾ نشير إلى أن كثيرا من العلماء اشتهروا بمحمد التواتي نذكر منهم: (1) أبو عبد الله محمد التواتي (910هـ) الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد التواتي توفي ببجاية في رجب سنة 910هـ، ذكره الوثنريسي في وفياته. موسوعة علماء المغرب، ج2، ص817. (2) محمد التواتي (1065هـ) وهو من الخنفه ببسكرة، من تلاميذه عيسى الثعالبي، ذكره العياشي في الرحلة، ج2، ص396، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص441. (3) محمد بن عبد القادر التواتي (1115هـ) لم تثبت نسبته لتوات كان نحوياً فقيهاً مشاركاً في عدة علوم، من مؤلفاته: شرح على كتاب سيبويه، وشرح المدونة في الفقه، والهادي الرشيد وحل المقفل الشديد من مسائل كلام التوحيد، وهو تعليق على شرح أم البراهين (العقيدة الصغرى للسنوسي). فهرست معلمة التراث الجزائري، ج2، ص146. (4) محمد البشير بن محمد الطاهر بن محمد السعيد الشريف البجائي الأصل الشهير بالتواتي (1311هـ) لم تكن له علاقة بتوات وإنما نسب إلى رجل صالح اتصل به وأخذ عنه، وهو عالم بالقراءات. يراجع الأعلام للزركلي، ج6، ص276، وإيضاح المكنون، ج2، ص437، هدية العارفين، ج2، ص393.

⁽⁵⁾ منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون (ت1073)، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987، ص57.

⁽⁶⁾ إقليم توات: منطقة واقعة في الجنوب الغربي من الجزائر، يحدها من الشمال العرق الغربي وواد مقيدن، ومن الجنوب صحراء تنزروفت والأزواد، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير،

2 - مولده ونشأته:

ولد العلامة التواتي في المغرب الأقصى وبه نشأ، ولا نعلم بالتحديد تاريخ مولده، ولا مراحل نشأته الأولى، غير أنه يمكن أن يقال إن مولده كان في النصف الثاني من القرن العاشر، وهذا بالنظر لما أورده تلميذه عبد الكريم الفكون، حيث ذكر أنه ارتحل إلى زاوية في أوائل القرن الحادي عشر⁽⁷⁾.

وكان قد تخرج بفاس واشتهر بها في النحو حتى لقب بسيبويه زمانه، وجلس في قسنطينة للتدريس فترة طويلة وورد عليه الطلاب من زاوية وعنابة، والزيان، ونقاوس، ونحوها⁽⁸⁾.

وكانت شهرته بقسنطينة وبها انتشر علمه وأقبلت إليه الطلبة وانتفعوا به وكثر بحثه وعلت عارضته، وحصلت له مشاركة في الأصول والمنطق والبيان⁽⁹⁾.

3 - سبب قدومه إلى الجزائر:

ذكر تلميذه الفكون سبب قدومه إلى الجزائر وبالتحديد إلى زاوية، بقوله: «ثم إنه أراد أن يرتحل إلى زاوية في أوائل القرن الحادي عشر لقراءة السبع، فاجتمع إليه خواص البلد لإمساكه، وقالوا له: عندك ما يكفيك من العلم، وهذا فرض كفاية، وانشغالك بتعليم أولاد المسلمين ربما يكون أرجح لك، وأجاب عن نفسه: بأنه فرض كفاية تعين علي طلبه لما أحسست في نفسي من القابلية له، ورأيت غيري معرضاً عن أخذه وعدم القيام به. فارتحل للأستاذ الفقيه أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم، وكان قرأه هو على مشيخته الفاسيين، وأقام عنده سنة أو أزيد قليلاً فجاء وقد حصلت له ملكة عظيمة، ومعرفة تامة بعلم القراءات»⁽¹⁰⁾.

ومن الغرب واد الساورة، وهي منطقة ضاربة في أعماق التاريخ خطتها وعمرتها زناتة في القرن الرابع الهجري (10م)، وقد شهدت المنطقة هجرة يهودية مكثفة، ومع قدوم الإمام محمد بن عبد الكريم (ت909هـ) إلى توات بعد منتصف القرن التاسع الهجري ظهرت المنطقة من اليهود. مقدم العي المصروم على نظم ابن أب لأجروم، محمد بن بادي الكنتي (1388هـ) تح الصديق الحاج أحمد، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر، مقدمة المحقق .

(7) المصدر السابق، ص58.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ص158.

(9) منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص58.

(10) منشور الهداية، ص58.

4 - شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه: تلقى الشيخ التواتي كما هي عادة طلبة العلم عن الكثير من المشايخ، فقد درس أول حياته بفاس حاضرة العلم في ذلك الوقت حتى نبغ في العديد من العلوم ومنها علم النحو فلُقّب بسببويه كما عرفنا، لكنه لم يكتف بما تلقاه بفاس فأراد أن ينتقل إلى الجزائر ليأخذ عن بعض مشايخها، ولا شك أنه التقى بالعديد من المشايخ، وبعد البحث والتنقيب في الكتب التي توفرت لدينا استطعنا معرفة بعضهم⁽¹¹⁾:

1 - أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم، أخذ عنه الشيخ التواتي علم القراءات، وأقام عنده سنة أو أزيد قليلا⁽¹²⁾.

2 - أبو محمد عبد العزيز الخراز الفقيه النحوي، قرأ عليه الشيخ التواتي النحو⁽¹³⁾.

3 - أبو محمد عبد الله محمد بن مصباح الفقيه الصالح، قرأ عليه وأخذ عنه بزواوة⁽¹⁴⁾.

4 - عبد القادر بن خدة: ذكره الشيخ أحمد بن الحاج الفاسي بناني (ت1168هـ) في فهرسته بقوله: «... ومنهم الشيخ عاشور القسطيني⁽¹⁵⁾ أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد التواتي أحد تلامذة الشيخ عبد القادر بن خدة عن الإمام عبد الله السنوسي»⁽¹⁶⁾.

ثانياً: تلاميذه:

سبق أن أشرنا إلى أن الشيخ محمد التواتي ارتحل إلى زواوة في أوائل القرن الحادي عشر، ثم دخل قسنطينة، وتولى بها التدريس، واشتهر أمره حتى قصده

⁽¹¹⁾ لم أجد لهؤلاء المشايخ أي أثر في كتب التراجم، ولعل السبب في ذلك قلة الكتب التي تؤرخ للفترة العثمانية بالجزائر.

⁽¹²⁾ المصدر نفسه، ص58.

⁽¹³⁾ المصدر نفسه، ص58.

⁽¹⁴⁾ المصدر نفسه، ص58.

⁽¹⁵⁾ عاشور القسطيني أحد تلاميذ التواتي وستأتي ترجمته، ويقال القسطيني، نسبة إلى قسنطينة، مدينة شرق الجزائر.

⁽¹⁶⁾ مشيخة الشيخ أحمد بن الحاج الفاسي بناني، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم: 330، ق12.

الطلاب من مختلف جهات القطر وكان بعيداً عن الولاية يعيش من دروسه ومن حب تلاميذه له⁽¹⁷⁾.

وفيما يلي تعريف بتلامذته الذين ورد ذكرهم في منشور الهداية:

1 - عبد الكريم الفكون: شيخ الإسلام أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون بفتح الفاء وضم الكاف المشددة القسنطيني الجزائري، ألف عدة كتب في النحو والصرف منها شرح نظم الشيخ المكودي في الصرف، وهو غاية في الإتقان معنى وإعراباً، وأول خطبته «الحمد لله الذي أجرى تصارييف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال»، وفتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، وشرح الجمل للمجرادي، وكانت وفاته عشية الخميس 24 ذي الحجة 1073هـ⁽¹⁸⁾. ويذكر الشيخ عبد الكريم الفكون أنه تتلمذ على الشيخ التواتي بقوله: «وممن لقيناه وقرأنا عليه الشيخ الأستاذ التحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة المسلمين أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي، قرأت عليه المرادي وعقائد السنوسي بشراحها، وابن الحاجب مطالعة التوضيح عليه، والتذكرة للقرطبي، وحضرته للتفسير نحو عشرة أحزاب وكتاب مسلم بمطالعة... وغير ذلك من التوايف.

وقرأت له حاشية جمع التفسير على المرادي له من خطه إلا نزرأ منها وكان رحمه الله يسر بمباحثتي معه، ولي معه كلام في إعراب الأسيوطي (عدد خلقه) (وزنة عرشه)، وغير ذلك»⁽¹⁹⁾.

2 - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الشريف الحسني، تصدر للفتوى، وكان له فضل ومعرفة، وإدراك، قرأ بعض المرادي على الشيخ أبي عبد الله التواتي⁽²⁰⁾.

⁽¹⁷⁾ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 1، ص 441.

⁽¹⁸⁾ يراجع تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، دط، 1980، ج 3، ص 149، تعريف الخلف برجال السلف، ج 1، ص 192، وتاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 160، والأعلام للزركلي، ج 4، ص 179.

⁽¹⁹⁾ منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون (ت 1073)، ص 57.

⁽²⁰⁾ المصدر نفسه، ص 68.

3 - أبو عبد الله موسى الفكيرين ممن تعاضى الإفتاء والتدريس، تصدى للتدريس بقسنطينة، من تلاميذه ولده عاشور الآتية ترجمته، توفي سنة 1054هـ قرأ على الشيخ أبي عبد الله التواتي من الفروع ابن الحاجب، ومن علم الكلام عقائد الشيخ السنوسي، وحضره مراراً لقراءة النحو، وقرأ عليه الألفية، تصدى للتدريس في أيام إقامة الشيخ التواتي بقسنطينة، وبعده⁽²¹⁾.

4 - عاشور بن موسى الفكيرين القسنطيني⁽²²⁾

هو عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين - بضم الفاء وفتح الكاف - نشأ بقسنطينة، وأخذ العلم عن والده وغيره، شد الرحال لطلب العلم، ثم رحل إلى تونس واستقر بها مدة، وانتصب للتدريس بالزيتونة، توفي بمكة سنة 1074هـ. أخذ عن الشيخ التواتي بتونس، قرأ عليه ابن الحاجب، والمرادي⁽²³⁾.

5 - عيسى الخلوي: هو أبو مهدي عيسى الخلوي هو من تلامذة الشيخ التواتي، وتوفي في حياته، كان ذا خلق وسمت رضي، لا تراه إلا ضاحكاً مستبشراً، وله مداعبة مع من يلقاه⁽²⁴⁾.

6 - أبو العباس أحمد الملي هو أبو العباس أحمد الملي⁽²⁵⁾ قرأ على الشيخ أبي عبد الله التواتي ولازمه في جملة من لازمه من الطلبة، وكان إذا رأيته حسبته فطناً، كان يلقب في مجلس الشيخ التواتي كبيش النطاح، لقبه هو بذلك لما رأى من كثرة معارضته⁽²⁶⁾.

7 - أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي الفقيه الفهيم النحوي أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي قدم من زاوة أيام الشيخ التواتي طالباً منه قراءة

(21) المصدر نفسه، ص 93.

(22) ترجمته في شجرة النور الزكية، ج 1، ص 310، وتاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 383.

(23) منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون (ت 1073)، ص 94.

(24) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(25) توجد ترجمة أوردها صاحب معجم أعلام الجزائر لأحمد أبي العباس الغربي، حيث ذكر أن أصله من ميلة، وهو من علماء القرن الحادي عشر، ربما يكون هو أحمد الملي المذكور، ولا أجزم بذلك. معجم أعلام الجزائر، ص 350.

(26) منشور الهداية، ص 94.

المرادي⁽²⁷⁾؛ وقد جمع ابن راشد تقايد على الشيخ التواتي من تقريره أثناء الدرس، وربما زاد عليها بعض المسائل من ابن بابشاذ وغيره من النحاة⁽²⁸⁾.

ويضاف إلى هؤلاء مجموعة من التلاميذ الذين أوردتهم الشيخ الفكون في كتابه نذكر منهم: أبا عبد الله محمد البوزيدي، وأبا عبد الله محمد بن علي الموهوب، وأبا عبد الله محمد البهلولي، وأبا عبد الله محمد العربي، وأبا العباس أحمد بن ثلجون، وأبا عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى بن باديس، وأبا إسحاق إبراهيم الجزيري⁽²⁹⁾.

5 - مكانته وأخلاقه:

كانت له بالنحو دراية وكان يلقب بسيبويه زمنه⁽³⁰⁾، وهو عالم بالمنطق والبيان والأصول⁽³¹⁾. يقول تلميذه عبد الكريم الفكون: «وكان رحمه الله من جملة الحفاظ قصدته يوماً لدار سكناه فخرج إلي بيده لوح به ما يزيد على الخمسين بيتاً من الشاطبية الكبرى.

وكان رحمه الله ذا خلق حسنة وبساطة، والغالب عليه نثر الشعر العربي لكثرة اعتناؤه به وكان في مجلس تدريسه متواتر الكلام في علم ما يقريه، كأن ما ينفصل منه درر منظومة لا يتلثم ولا يفصل بين اللفظين ولا يتروى إلا قليلاً، كل ذلك دليل على كثرة حفظه وعلو شأنه في بسط العبارة، وكان معتنياً بالنظر ليلاً ونهاراً في غير أوان التدريس، وأخبرني بعض من جاوره أنه يبيت مكباً على المطالعة، وكانت أحواله لا تراه إلا مطالعاً أو ناسخاً وقل ما تجده متفرغاً عن ذلك»⁽³²⁾.

⁽²⁷⁾ المصدر نفسه، ص 105.

⁽²⁸⁾ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 2، ص 159.

⁽²⁹⁾ منشور الهداية، ص 202 وما بعدها.

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه، ص 57.

⁽³¹⁾ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 1، ص 441.

⁽³²⁾ منشور الهداية، ص 58.

6 - نظمه:

وجدت في حاشية الشيخ يحيى الشاوي (ت 1096هـ)⁽³³⁾ على المرادي بعض الأبيات الشعرية نسبت للشيخ التواتي. قال الشاوي: ونظم شيخ شيوخنا الشيخ التواتي الجواب بقوله:

سألت هداك الله للخير والتقى ويسر أسباب النجاة لعبده
عن الشرط يلغى عند قصد حصوله وبعد اشتراط قد تحلى بضده
فها هو في جمع المذكر سالماً يلوح كما لاح الصباح لعمده
ألم تر أن اللام ثابتة له عليه دخيلاً لا وجوب لردده

وهي جواب لأبيات الغز بها محمد بن أبي بكر الدماميني⁽³⁴⁾ في شرح التسهيل، وأول هذه الأبيات:

أيا علماء الهند لا زال فضلكم مدى الدهر يسمو في منازل سعده
ألم بكم شخص غريب لتحسينوا بإرشاده عند السؤال لقصده⁽³⁵⁾
7 - سبب خروجه من قسنطينة:

يقول تلميذه عبد الكريم الفكون: « وامتنح التواتي بسبب بعض من لاذ به، وهي سبب انتقاله من قسنطينة سنة 1023هـ إلى باجة تونس فاستوطنها إلى أن توفي بها »⁽³⁶⁾.

⁽³³⁾ هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الشاوي الملياني، ولد بمدينة مليانة، وبها نشأ، من مؤلفاته شرح التسهيل، وكتاب في أصول النحو جعله على أسلوب الاقتراح للسيوطي، وحاشية كبيرة على شرح المرادي، توفي سنة 1096هـ، ودفن بمصر. ترجمته في تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص187، معجم أعلام الجزائر، ص186، والأعلام للزركلي، ج9، ص169، فهرس الفهارس، ج2، ص1132، هدية العارفين، ج2، ص533، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص173.

⁽³⁴⁾ ابن الدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان الاسكندراني بدر الدين المالكي المعروف بابن الدماميني ولد سنة 763 وتوفي سنة 827 سبع وعشرين وثمانمائة بالهند. ترجمته في الأعلام، ج6، ص57، الضوء اللامع للسخاوي، ج7، ص184، بعية الوعاة، ج1، ص66، ومعجم المؤلفين، ج3، ص170، نيل الابتهاج للتبكي، ص287.

⁽³⁵⁾ ينظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ص170، وحاشية الشاوي على المرادي، مخطوط بمركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، تحت رقم: 1828، ق86.

8 - وفاته:

توفي الشيخ التواتي سنة إحدى وثلاثين وألف (1031هـ)، في باجة بتونس، وكان سبب وفاته الطاعون الذي أصاب البلاد تلك السنة⁽³⁷⁾.

ثانياً: آثار الشيخ أبي عبد الله محمد التواتي:

- النحو والصرف:

1 - شواهد العربية التي في كتاب سيبويه⁽³⁸⁾ توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: C 5428، عدد أوراقها تسع وثلاثون، وعدد الأسطر في الورقة واحد وثلاثون سطراً، خطها مغربي، جاء في بداية المخطوط ما نصه: « قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الفهامة المحقق المدقق وحيد دهره وفريد عصره أبو عبد الله محمد التواتي وفقه الله آمين: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله، أما بعد: فهذه شواهد العربية التي في كتاب سيبويه أردت استحضرها في هذا الكتاب، ليكون ذلك إعانة على حفظها والاستشهاد بها، وارتبها على ترتيب أبواب سيبويه... ».

وجاء في آخر المخطوط: «... يريد على الماء كمل بحمد الله وحسن عون، والحمد لله رب العالمين...»⁽³⁹⁾. وتوجد مصورة من هذا المخطوط في خزانة الماجد للتراث بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث تحت رقم: 1426. كما توجد نسخة ثانية بمكتبة القطب اطفيش بني يزقن، ولاية غرداية، الجزائر تحت رقم: ع 10، غير أن هذه النسخة مبتورة، ويقدر البتر بحوالي عشر ورقات.

2 - الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية.

توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: C 5428، أيضاً، وهو غير الكتاب السابق. منها مصورة موجودة في خزانة الماجد للتراث بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، برقم: 257، عدد أوراقها: (175 ورقة)، وعدد الأسطر

⁽³⁶⁾ منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون (ت 1073)، ص 58.

⁽³⁷⁾ منشور الهداية، ص 58، تاريخ الجزائر، ج 1، ص 441، ج 2، ص 159.

⁽³⁸⁾ فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف، منشورات ثالة، الجزائر، 2002، ج 3، ص 92.

⁽³⁹⁾ شرح شواهد الكتاب لسبويه، لأبي عبد الله محمد التواتي، دار الكتب الوطنية بتونس رقم: C 5428.

في الورقة: واحد وثلاثون سطراً، خطها مغربي، جاء في بداية المخطوط: « الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين، أما بعد: فهذا كتاب الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية رتبته على مقتضى الألفية وما يشاكلها من شواهد التسهيل... »⁽⁴⁰⁾. وجاء في آخر المخطوط: « ... ويقال عناني الأمر وعنت به قال رؤية ... كمل هذا التأليف والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه، وأرجو من الله تصحيحه والنفع به هو حسبي ونعم الوكيل يوم الثلاثة من شهر الله شوال سنة ثلاثين وألف »⁽⁴¹⁾. ويلاحظ أنه أتمه قبل عام من وفاته.

3 - شرح لامية الأفعال: وهو موضوع هذه الدراسة، وسيأتي الحديث عليه بالتفصيل.

4 - تقايد الشيخ التواتي على المرادي: جمعها تلميذه ابن راشد من تقريره أثناء الدرس، زاد عليها بعض المسائل من ابن بابشاذ وغيره من النحاة⁽⁴²⁾. توجد نسخة منه في مكتبة الموهوب أو لحبيب بجاية الجزائر، تحت رقم: 13 tia، عدد أوراقها أربع وسبعون، وعدد الأسطر في الورقة خمسة وعشرون سطراً، خطها مغربي، جاء في بدايتها: « هذا تقييد وطرر ونكت وفوائد على شرح الشيخ أبي محمد قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المالكي مما قيدنا في مجلس شيخنا الأستاذ النحوي سيدي محمد التواتي شكر الله فعله ونفع به قوله: قال فعل ماض واوي العين ... »⁽⁴³⁾.

وجاء في نهاية المخطوط: « ... انتهى بحمد الله وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبد و على آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم تسليماً تم ما أمكن تقييده عن شيخنا الأستاذ النحوي سيدي محمد التواتي ونقلته

⁽⁴⁰⁾ الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية ، لأبي عبد الله محمد التواتي، خزانة الماجد للتراث، رقم: 257، ق1.

⁽⁴¹⁾ المصدر نفسه، ق175.

⁽⁴²⁾ منشور الهداية، ص159.

⁽⁴³⁾ تقايد الشيخ التواتي على المرادي ، مكتبة الموهوب أو لحبيب بجاية، الجزائر، تحت رقم: 13 tia، ق1.

معزواً وغير معزواً الحمد لله رب العالمين، انتهت الحاشية المنسوبة للشيخ الإمام العالم العلامة الأرشد الأسعد الأتقى سيدي التواتي ...»⁽⁴⁴⁾.

5 - حاشية على جمع التكسير على المرادي. يقول تلميذه عبد الكريم الفكون (ت1073) : «وحاشية جمع التكسير على المرادي له من خطه إلا نزراً منها»⁽⁴⁵⁾.

6 - كتاب التمام: ذكره تلميذه عبد الكريم الفكون في كتابه فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، بقوله: «قال شيخنا في كتاب التمام: وقد نظمت ما أتى به في بيت، وهي:

أتى فعلةً لفعل فعل فُعال فُعال لفعل فعل»⁽⁴⁶⁾.

وقد ذكره الشيخ التواتي في شرحه على لامية الأفعال.

- علم الكلام:

7 - غنية الراغب ومنية الطالب: توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: C 3190، عدد أوراقها (210 ورقة)، خطها مغربي، جاء في بداية المخطوط ما نصه: «... للشيخ الإمام العالم العلامة، فريد دهره ... أبي عبد الله محمد التواتي... أمّا بعد: فلما كان علم الكلام هو الموصل لإدراك حقيقة الإيمان بواضح الأدلة و البرهان، المنجي من الخلود في النيران، رأيت أن أضع كتابا جامعاً للخماس و لما فيها من البحث و القواس موردا فيها ما للأصحاب و ما للمتكلمين من بعض الإطناب، و حملني عليه أنّ الكتب في هذا الشأن عزيزة و مطالعتها شديدة ... فقلت أضع كتابا يحتوي عليها و ينقطع التشوّف به إليها لكونه جامعاً لمهمّها و مشتملاً على المقصود من أعظمها وجعلته عدّة لي و لمن كان على شكلي و سمّيته غنية الراغب و منية الطالب، والله أسأل أن يجعله لوجهه خاصة و ينفع به في الدنيا و الآخرة ، العامة والخاصة ورتّبته على مقدمة و كتابين ...»⁽⁴⁷⁾.

⁽⁴⁴⁾ المصدر نفسه، ق74.

⁽⁴⁵⁾ منشور الهداية، ص57.

⁽⁴⁶⁾ فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون (ت1073)، تح أبو الأنوار دحية، دار الخليل القاسمي، المسيلة، الجزائر، 2007، ط1، ص337.

⁽⁴⁷⁾ غنية الراغب و منية الطالب لأبي عبد الله محمد التواتي: مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم : C 3190، ق1.

وجاء في نهاية المخطوط: «... كان الفراغ من إنشائه و تأليفه يوم الخميس من شهر الله صفر عام ثمانية و عشرين بعد الألف بباجة حرسها الله تعالى انتهى»⁽⁴⁸⁾.

- الأدب:

8 - الخبر عن معرفة عجائب البشر: مجموعة حكايات انتهى من تأليفه سنة 1024هـ، توجد في المتحف البريطاني⁽⁴⁹⁾، حققه نائل يحيى بكر، جامعة دمشق، في رسالة ماجستير، سنة 2001.

- الفقه:

9 - شرح مختصر الأخضر في الفقه: توجد منه نسختان في المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: 6879، رقم: 6957، ونسخة في الخزانة الملكية بالملكة المغربية، تحت رقم: 21820.

ثالثا: منهج التأليف الصريح عند الشيخ التواتي من خلال شرح لامية الأفعال:

إن من أكثر مؤلفات ابن مالك شهرة وأوسعها انتشاراً أربعة، وهي الكافية الشافية⁽⁵⁰⁾، والخلاصة، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ومتن المفتاح في أبنية الأفعال⁽⁵¹⁾ الذي يعرف بلامية الأفعال، منظومة صرفية من البحر البسيط، بلغ عدد أبياتها مائة وأربعة عشر بيتاً، وسميت بلامية الأفعال؛ لأنها بنيت على روي اللام، وأضيفت إلى الأفعال تغليبا لها لا اختصاصا بها، قال في مقدمتها:

الحمد لله لا أبغي به بدلاً حمداً يبلغ من رضوانه الأملاً
ثم الصلاة على خير الورى وعلى ساداتنا آله وصحبه الفضلاً

⁽⁴⁸⁾ المصدر نفسه، ق 210.

⁽⁴⁹⁾ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، راجعه شوقي ضيف، دار الهلال، دت، دط، ج 3، ص 304، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 1، ص 70، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج 3، ص 158.

⁽⁵⁰⁾ نظمها في ألفين وسبعمائة وخمسين بيتاً ونيّف، ثم شرح هذه المنظومة وسمى الشرح بالوافية، ثم اختصر هذه المنظومة إلى ألف بيت وسمّاها بالخلاصة، وهي المعروفة بالألفية. ينظر تاريخ النحو في المشرق والمغرب، ص 314، ومناهج التأليف النحوي، كريم حسين ناصح الخالدي، ص 54.

⁽⁵¹⁾ ينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج 5، ص 291.

ونالت لامية الأفعال شهرة عظيمة عند المغاربة عموما والجزائريين خصوصا وتصدروا لها بالشرح⁽⁵²⁾، كما أن الشيخ التواتي صنف شرحا مفيدا لها، وقد وقفت على نسختين منه الأولى بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم: C 2936، عدد أوراقها ثلاث وعشرون، وعدد الأسطر في الورقة سبعة وعشرون سطرا، خطها مغربي، جاء في بدايتها: « قال الشيخ الإمام العالم العلامة النحوي الزاهد الورع المحقق المتفنن سيدي التواتي... »⁽⁵³⁾.

وجاء في نهاية المخطوط: « ... وقوله وجلا أي خائف يرجع إلى آمنة فهو لف ونشر. وهذا آخر ما قصدنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما »⁽⁵⁴⁾.

والنسخة الثانية ضمن مجموع بمكتبة آل أفضل بني يسقن غرداية، في 35 ورقة، في كل ورقة 25 سطرا بخط مغربي، نسخت في جمادى الأولى سنة 1232هـ، ناسخه عمر بن موسى بن عمر بن يعقوب اليسجني، برقم: م 21. وقد حصلت على النسختين وأعمل على تحقيقه ودراسته.

1 - توثيق نسبة الشرح إلى صاحبه: من الأدلة التي وقفت عليها والتي تثبت أن للشيخ التواتي شرحا على اللامية وأنه الشرح الذي نتناوله بالدراسة مايلي:

أ - اتفاق النسختين على نسبته إلى الشيخ التواتي، فقد ورد ذكر الشيخ التواتي في أول النسخة التونسية كما تقدم؛ أما نسخة غرداية فقد ورد ذكر الشيخ في آخرها وجاء ما نصه: كمل التأليف المبارك بحمد الله وحسن عونه تقييد الإمام العالم العلامة النحوي اللغوي سيدي محمد التواتي رحمه الله⁽⁵⁵⁾.

ب - ومما يؤكد أيضا نسبة هذا المخطوط للشيخ أبي عبد الله التواتي أنه أحال في هذا المخطوط إلى أحد مؤلفاته الأخرى، حيث يقول: « ... وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَاهَا أَوْ قَارَيْنَاهَا الْإِسْتِقْصَاءَ فِي كِتَابِ التَّمَامِ فَإِنْ أَرَدْتَ الْإِطْلَاعَ عَلَى ذَلِكَ

⁽⁵²⁾ ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 164، وفهرست معلمة التراث الجزائري، ج 3، ص 97 وما بعدها.

⁽⁵³⁾ شرح لامية الأفعال، لأبي عبد الله محمد التواتي، دار الكتب الوطنية بتونس رقم: 2936، ق 1.

⁽⁵⁴⁾ المصدر نفسه، ق 23.

⁽⁵⁵⁾ شرح لامية الأفعال، لأبي عبد الله محمد التواتي، خزانة آل أفضل بني يسقن غرداية، رقم: م 25، ق 35.

فانظره»⁽⁵⁶⁾. وكتاب التمام ذكره الشيخ عبد الكريم الفكون في كتابه فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى ونسبه إلى شيخه، يقول: «قال شيخنا في كتاب التمام: وقد نظمت ما أتى به في بيت ...»⁽⁵⁷⁾، وهذا يؤكد بلا شك نسبة الكتاب للتواتي شيخ الفكون.

ويظهر أيضا أن كتاب التمام من المؤلفات المصرفية الجامعة وللأسف لم أقف على نسخة منه.

2 - منهج التواتي في شرحه:

أولا: منهجه العام في التأليف:

تضمن شرح التواتي على اللامية الكثير من الفوائد والمعارف المختلفة، وحمل موضوعات ذات قيمة علمية؛ ولا شك أن لكل كتاب قيمته العلمية والتاريخية فهو وثيقة مسجلة تعبر لنا عن جوانب من ثقافة مؤلفها، وهذا الكتاب يمثل صاحبه بالدرجة الأولى، ويعكس شخصيته، ويبين فكره اللغوي، فلم يكن التواتي في شرحه مجرد ناقل، بل كان ذا شخصية بارزة، يرجح، ويستفسر ويدلي برأيه في المسائل المصرفية المختلفة.

إن المتتبع لشرح التواتي يستطيع معرفة المنهج الذي اتبعه، وإن لم يذكر أسس منهجه، ويمكن أن نحصر أهم هذه الخصائص فيما يلي:

1 - ذكر الغرض من تأليف الكتاب:

بدأ شرحه بالحمد والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر سبب تأليف الكتاب، يقول: «.... وبعد: فقد سألتني بعض الإخوان أن أضع على لامية الأفعال قصيدة الإمام العالم النحوي المشهور أبي عبد الله محمد ابن مالك الطائي رحمه الله إملأء مقتصرأ على تفسيرها وحل ألفاظها، وإن كانت على ذلك زيادة مما لا غنى عنها فلا بأس دون الإكثار الممل والإيجاز المخل، فأجبته إلى ذلك رغبة في الثواب، وتقريباً على الطلاب، والله أسأل المعونة والتوفيق إلى الصواب»⁽⁵⁸⁾.

⁽⁵⁶⁾ المصدر نفسه، ق16.

⁽⁵⁷⁾ فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، عبد الكريم الفكون (ت1073)، تح أبو الأنوار دحية، دار الخليل القاسمي، المسيلة، الجزائر، 2007، ط1، ص337.

⁽⁵⁸⁾ المصدر السابق، ق1.

2 - متابعة ابن مالك في ترتيب اللامية:

الترم الشارح بالترتيب الذي سلكه ابن مالك في تقسيم الكتاب، فبدأ بشرح أبيات المقدمة، من قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا حَمْدًا يُبْلَغُ مِنْ رِضْوَانِهِ الْأَمَلَا
إِلَى قَوْلِهِ:

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى سَادَاتِنَا آلِهِ وَصَحْبِهِ الْفَضْلَا

أما منهجه في التعامل مع أبيات لامية الأفعال فإنه يقوم على تجزئة ألفاظ البيت كلمة كلمة، وقد سار في كتابه وفق نسق واحد فنجد يذكر الأبيات أولاً ثم يليها الشرح بعد ذلك ولا يمزج كلامه بكلام ابن مالك، أي لا يتداخل المتن مع الشرح، ومن أمثلة ذلك:

أ - قال في أول الكتاب: «قَالَ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدُ فَالْفِعْلُ مَنْ يُحْكِمُ تَصْرِفُهُ يَحْزَمُ مِنَ اللَّغَةِ الْأَبْوَابِ وَالسُّبُلَا
فَهَاكَ نَظْمًا مُحِيطًا بِأَلْمِهِمْ وَقَدْ يَحْوِي التَّفَاصِيلَ مَنْ يَسْتَحْضِرُ الْجَمَلَا
ش: يُرِيدُ أَمَّا بَعْدُ فَحَذَفَ أَمَّا وَأَقَامَ الظَّرْفَ الْمُقْطُوعَ عَنِ الْإِضَافَةِ مَقَامَهَا
وَالْأَصْلُ أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَذَفَ أَمَّا
وَمَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ...» (59)

3 - التمهيد قبل الشروع في الشرح: نجده أحياناً يقدم تمهيداً لينطلق بعده إلى الشرح، من ذلك قوله في باب أبنية الفعل المزيد فيه: «ش: لَمَّا فَرَعَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْفِعْلِ الْمُجَرَّدِ شَرَعَ فِي أُنْبِيَةِ الْمَزِيدِ وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ عَلَى بَيَانِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ فَإِنَّهُ كَافٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِمَنْ أَرَادَ الْإِقْتِصَارَ عَلَيْهِ. وَحُرُوفُ الزِّيَادَةِ يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ سَأَلْتُمُونِيهَا يُقَالُ: إِنْ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ سَأَلَهُ أَصْحَابُهُ عَنْهَا فَقَالَ: سَأَلْتُمُونِيهَا؟، عَلَى جِهَةِ الْبَاسْتِفْهَامِ فَقَالُوا نَعَمْ. فَقَالَ: قَدْ أَجَبْتُكُمْ... قَالَ الْمُرَادِي: وَأَحْسَنُ مَا جَمَعْتَ فِيهِ أَمَانٌ وَتَسْهِيلٌ» (60).

4 - اهتمامه بإعراب أبيات اللامية أحياناً:

ومن منهجه إيراد الأوجه الإعرابية المختلفة لأبيات اللامية أحياناً، فكان يتطرق في ثنايا شرحه البيت إلى إعراب ما يراه مفيداً، وأمثلة ذلك:

(59) المصدر نفسه، ق1.

(60) المصدر نفسه، ق15.

قوله: «(حمداً) مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ، أَي: أَحْمَدُهُ حَمْدًا... وَالْجُمْلَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ: (لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا) يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنْ إِسْمِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ ضَمِيرِ الْحَمْدِ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ الْإِسْتِقْرَارُ... وَالْجُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةُ ابْتِدَائِيَّةٌ، وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْإِسْتِنْفَاقِيَّةُ لِمَا مَحَلَّ لَهَا، وَيَجُوزُ نَصْبُ الْحَمْدِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، أَي: أَحْمَدُ اللَّهُ الْحَمْدَ»⁽⁶¹⁾.

5 - إيراد التنبيهات والفوائد: ومن منهجه إيراد التنبيهات وقد احتوت بعض الآراء الصرفية، من ذلك: «قُنْيِيَّةٌ: قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْيَائِي اللَّامَ يُكْسَرُ وَالْوَاوِي اللَّامَ يَضُمُّ، وَالْيَائِي الْعَيْنُ يُكْسَرُ، وَالْوَاوِي الْعَيْنُ يَضُمُّ وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ فِي بَعْضِ هَذَا وَجْهَانِ: نَحْوُ: فَاحْ يَفُوحٌ وَيَفِيحُ، وَصَارَ يَصِيرُ وَيَصُورُ، وَجَاءَ يَجُوءُ وَيَجِيءُ، وَنَمَا يَنْمُو وَيَنْمِي. وَبَرَأَ يَبْرُو وَيَبْرِي...»⁽⁶²⁾.

6 - يستعمل أسلوب الحوار في شرحه:

استعمل التواتي أسلوب الحوار في شرحه كثيرا وهو في هذا الأمر يسير على النهج الشائع في المصنفات النحوية التعليمية خاصة، وغرضه تنبيه القارئ ولفت نظره إلى بعض الإشكالات، فنجد أنه يذكر ما قد يرد على ذهن القارئ منها ويجيبه، ومن أمثلة ذلك: «فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ لَمْ يُفْتَحْ مَا بَعْدَ حُرُوفِ الْحَلْقِ كَمَا يُفْتَحُ مَا قَبْلَهَا؟، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْفَتْحِ لِمَا قَبْلَ حُرُوفِ الْحَلْقِ وَعَدَمِهِ لِمَا بَعْدَهَا؟. قُلْتَ: إِذَا كَانَتْ بَعْدَ الْعَيْنِ تَنَزَّلَتْ مَنَزَلَةَ الْأَلِفِ لِمَا قُلْنَا إِنَّهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ...»⁽⁶³⁾.

7 - اهتمامه بالتحليل الصرفي:

لم يغب عن ذهن الشيخ التواتي حاجة المتعلم إلى توضيح بعض أبنية الناطق فعمد إلى ذكر أوزانها وتحديد ما أصابها من إعلال أو إبدال أو غير ذلك مما يتعلق بالجانب الصرفي، وقد أبان عن تمكنه وطول باعه في علم التصريف، فغالبا ما يردُّ الأبنية إلى أصلها ويذكر وزنها، ومن أمثلة تعامله معها قوله: «

⁽⁶¹⁾ المصدر نفسه، ق1.

⁽⁶²⁾ المصدر نفسه، ق13.

⁽⁶³⁾ المصدر نفسه، ق12.

وَقَوْلُهُ: (خَيْرُ الْوَرَى) أَصْلُ (خَيْرٍ) أَحْيَرُ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ، وَحُذِفَتْ هَمْزُهُ تَخْفِيفًا فِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ، وَمِثْلُهُ: شَرُّ أَصْلُهُ أَشَرُّ⁽⁶⁴⁾ فَحُذِفَتْ هَمْزُهُ أَيْضًا⁽⁶⁵⁾.

ويقول أيضا: «وَقَوْلُهُ: (سَادَاتِنَا إِلَه) يَجُوزُ أَنْ تُقْرَأَ بِالْأَلِفِ بَعْدَ الدَّالِّ جَمْعُ سَادَةٍ فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ سَادَةً بَغِيرَ أَلِفٍ جَمْعُ سَيِّدٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَأَصْلُهُ سَوْدَةٌ تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ وَأُنْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفًا كَالْبَاعَةِ وَالْقَالَةِ جَمْعُ بَائِعٍ وَقَائِلٍ، وَالْأَصْلُ: قَوْلُهُ وَبَيْعَةٍ، فَأُعِلَّ، وَإِنَّمَا قُلْنَا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ؛ لِأَنَّ فَعْلَةَ مَطْرَدٌ فِي فَاعِلٍ وَصَفًا مُذَكَّرًا عَاقِلًا صَحِيحَ اللَّامِ؛ وَالْمُضْرَدُ فِي مَسْأَلَتِنَا لَيْسَ عَلَى فَاعِلٍ بَلْ عَلَى فِعْلٍ أَصْلُهُ: سَيُودٌ، اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْيَاءُ وَالْوَاوُ وَسُبِقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ فَقُلِبَتْ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمَتِ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ»⁽⁶⁶⁾.

8 - قد يورد الاحتمالات التي قد يتضمنها كلام ابن مالك:

من ذلك قول التواتي: «وَقَوْلُهُ: (لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا) ضَمِيرُ (بِهِ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ، أَيْ: لَا أَبْغِي بِاللَّهِ بَدَلًا فِي اعْتِمَادِي وَتَوَكُّلِي، أَوْ لَا أَبْغِي فِي مُتَعَلِّقِ حَمْدِي مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ الْجَامِعُ لِلذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى الْحَمْدِ»⁽⁶⁷⁾.

ويقول أيضا: «وَقَوْلُهُ: (وَعَسَتْ نَاقَةٌ بِخَلَا) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَمْدُودًا وَقَصْرَهُ لِلضَّرُورَةِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَقْصُورًا، وَهُوَ الْخَلَا أَيْ: الْحَشِيشُ»⁽⁶⁸⁾.

ثانياً: منهجه في إيراد الشواهد النحوية:

اهتم النحاة وعلماء الصرف بالشواهد رواية ودراية واتبعوا في كل صنف منها منهجاً خاصاً وحددوا له شروطاً تجعله مؤهلاً للاستشهاد كما نجدهم لم يجعلوها في مرتبة واحدة واختلفوا في حجية الاستشهاد ببعضها.

ومما يهتم به البحث بيان موقف التواتي من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب ويقصد بكلام العرب الشعر بما يشمل من قصيد ورجز، والنثر بما يشمل من كلام العرب اليومي ولهجاتهم وحكم وأمثال.

⁽⁶⁴⁾ حذفوا الهمزة اختصاراً لكثرة استعمالها. ينظر شرح التسهيل، ج 3، ص 52.

⁽⁶⁵⁾ المصدر نفسه، ق 2.

⁽⁶⁶⁾ المصدر نفسه، ق 2.

⁽⁶⁷⁾ المصدر نفسه، ق 1.

⁽⁶⁸⁾ المصدر نفسه، ق 9.

وإذا استعرضنا كتاب التواتي وجدناه زاخراً بألوان الاستشهاد المتعددة، وقد تنوعت شواهده فمنها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، والأقوال المأثورة:

1 - القرآن الكريم: عدّ التواتي الاستشهاد بالقرآن الكريم حجة يدعم بها أحكامه النحوية، من ذلك قوله: وَتَقُولُ فِي الْمُتَعَدِّي دَعَّ يَدْعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ [الماعون : 2]﴾.

أما القراءات فقد أشار للعديد من وجوه القراءة، من ذلك: حَبَّ يَحِبُّ يَعْنِي أَحَبَّ وَقَرَأَ الْعُطَارِدِي : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران : 31] يُحِبُّكُمْ﴾، وقال أيضاً: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ [الزخرف : 57]﴾، قُرِئَ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ. قِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ يَضِجُونَ، وَقِيلَ: بِالضَّمِّ بِمَعْنَى يُعْرِضُونَ، وَالْكَسْرُ بِمَعْنَى يَضِجُونَ، وَقِيلَ: الْكَسْرُ بِمَعْنَى يَضْحَكُونَ وَلَا يُضْمُّ فِعْلُ الضَّحِكِ. وَيُقَالُ: صَدَّ عَنْهُ أَعْرَضَ، وَصَدَّ عَنْهُ ضَجَّ، فَيَتَعَدَّى كُلُّ بَمَا يَتَعَدَّى مَا هُوَ بِمَعْنَاهُ⁽⁶⁹⁾.

2 - الحديث النبوي: ورد في شرح التواتي حديثان، الأول: إِنَّ لِلشَّيَاطِينِ فُخُوحًا مَصَالِي وَأَشْرَاكًا. والثاني: يَا دُنْيَا مَرِّي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلُولِي لَهُمْ⁽⁷⁰⁾. استشهد بالحديث الأولي لبيان المعاني التي تأتي لمادة (ص ل ي)، واستشهد بالثاني لبيان معاني مادة (م ر).

3 - الشعر: بلغ عدد الأبيات التي أوردها التواتي ثلاثة وعشرون بيتاً، وهو عدد ضئيل مقارنة بالمصنفات الصرفية الأخرى، غير أن الاستشهاد بالشعر عنده يحتل المرتبة الأولى، وأهم ما يلاحظ على استشهاد بالشعر ما يلي:

- استشهاد بالشعر أخذ صوراً متعددة، فتارة يستشهد بنصف البيت، وأخرى بالبيت كاملاً، وأحياناً بالبيتين.

- لم يكن استشهاد بالشعر على القواعد الصرفية فحسب، بل استشهد به على بعض المعاني اللغوية.

- لم ينسب أكثر الشواهد الشعرية لقائلها، ربما لشهرة تلك الأبيات، أو جرياً على عادة التأليف في ذلك العصر.

(69) المصدر نفسه، ق9.

(70) المصدر نفسه، ق8.

4 - النشر:

أورد الشيخ التواتي في شرحه جانباً من أقوال نثرية مأثورة، وكان لا ينسب القول إلى صاحبه إلا نادراً، من ذلك قوله: قَالَتِ الْعَرَبُ هَذَا عَلِقُ مَضْنَةُ وَالْعَلِقُ النَّفْسُ، وَهُوَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَعْنِي الْعَلِقُ وَمَعْنَاهُ هَذَا شَيْءٌ يَضُنُّ بِهِ لِنَفْسِهِ⁽⁷¹⁾.

خاتمة:

بعد هذه النبذة المختصرة عن حياة أحد رجال القرن الحادي عشر، هذه الشخصية التي قدمت إسهامات قوية، وتركت بصمات واضحة في مجال التدريس والتأليف، لم تلق العناية التي تستحقها، ولم تقم أي دراسة عن حياته، وما زالت للأسف الشديد جميع مؤلفاته مخطوطة، حاولت في هذا البحث التعريف به وبمؤلفاته، ومكان تواجدها، وحاولت إبراز منهجه في شرحه على لامية الأفعال الذي احتوى مادة علمية جديرة بالبحث والدراسة وسنعمل بإذن الله على نشره ليكون الكتاب في متناول الدارسين.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في التعريف بهذه الشخصية، كما أرجو أني فتحت الباب أمام الدارسين لكشف ما غمض من حياة هذا الرجل، ويعث ما اندرس من مؤلفاته. وبالله التوفيق.

(71) المصدر نفسه، ق32.

المراجع:

المخطوطات:

- 1 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، تقايد الشيخ التواتي على المرادي، مكتبة الموهوب أو لحبيب بجاية، الجزائر، تحت رقم: 13 tia. (لدي مصورة منه)
- 2 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، شرح شواهد الكتاب لسيبويه، دار الكتب الوطنية بتونس رقم: 5428 c. (لدي مصورة منه)
- 3 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، شرح لامية الأفعال، دار الكتب الوطنية بتونس رقم: 2936 c. (لدي مصورة منه)
- 4 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، شرح لامية الأفعال، خزانة آل أفضل بني يسقن غرداية، رقم: 25. (لدي مصورة منه)
- 5 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية، خزانة الماجد للتراث، رقم: 257.
- 6 - التواتي أبو عبد الله محمد (1031هـ)، غنية الراغب ومنية الطالب، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم: 3190 c.
- 7 - محمد بن بادي الكنتي (1388هـ)، مقدم العي المصروم على نظم ابن أب لأجروم، تح الصديق الحاج أحمد، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر.
- 8 - يحي الشاوي (1096هـ)، حاشية على المرادي، مخطوط بمركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، تحت رقم: 1828. (لدي مصورة منه)

المطبوعات:

- 1 - أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دط، 2007م.
- 2 - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م.
- 3 - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، منشورات ثالة، الجزائر، 2002.
- 4 - البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، وكالة المعارف، استانبول، سنة 1955م.
- 5 - البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، وكالة المعارف، استانبول، سنة 1947م.
- 6 - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، راجعه شوقي ضيف، دار الهلال، دت، دط.
- 7 - الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ببيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.
- 8 - الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002م.
- 9 - السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصر، 1355هـ.

- 10 - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح 11 - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979م.
- 11 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م.
- 12 - عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط، 1980م.
- 13 - عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.
- 14 - العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد ، الرحلة العياشية، تح سعيد الفاضلي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2006م.
- 15 - الفكون، عبد الكريم (ت1073)، فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى، تح أبو الأنوار دحية، دار الخليل القاسمي، المسيلة، الجزائر، ط1، 2007م.
- 16 - الفكون، عبد الكريم (ت1073)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م.
- 17 - الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس والأشبات، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
- 18 - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
- 19 - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
- 20 - موسوعة علماء المغرب (مجموعة كتب)، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م.



إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليم اللغة

العربية وصون مكانتها

Article entitled: Contributions of the Association of Algerian Muslim Scholars to the teaching and maintenance of the Arabic language

عبد الرحمن بوزنون

أمحاضر ب بقسم اللغة العربية بجامعة امحمد بوقرة بومرداس.

العنوان: 149 حي لوناوسي، الدويرة، الجزائر.

Adress_educ@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-22

تاريخ الاستلام: 2018-07-25

ملخص -

الناظر في التراث اللغوي والموروث الأدبي الذي خلفه لنا أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يدرك بجلاء المعاني السامية والمقاصد الرأقية التي كان أعضاء الجمعية يسعون لتحقيقها ويجدون لبلوغها، ولعل أبرز ما يرمقه من تلك الأهداف وأسمى ما يسترعي انتباهه من تلك الغايات سعيهم للرقى بفكر المجتمع الجزائري والسمو بأفكاره والنهوض بطموحاته قصد بعث روح الثقافة الأصيلة في ثناياه، وتجسيد الملمح الحضاري في جوانبه، وتثبيت دعائم الهوية الوطنية فيه.

واستغلال هذا الحراك الأدبي لتحقيق ذلك القصد التوعوي بناء أعضاء جمعية العلماء على منهجية متكاملة ومسلك متسلسل، ينطلق من تقرير أهمية اللغة العربية وبيان فضلها وجليل مكانتها مع إيضاح صلاحيتها لوصف مختلف الفنون ودراسة سائر العلوم، كما يشمل بحث أبواب العربية وتفصيل مسائلها بمختلف مستوياتها، وصولا إلى تنزيل تلك المباحث وتطبيقها على النص القرآني وتراث العرب الشعري والنثري لإيضاح المعاني وبيان الدلالات.

ويسعى هذا المقال للتدليل والتحليل لبعض الإسهامات اللغوية المنصبة في هذا المنحى، في مختلف الأعمال التي جادت بها قرائح أئمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر كثير من المصنفات والمحاضرات والمقالات.

الكلمات الدالة:

جمعية العلماء، اللغويات، الحضارة، التدريس.

Summary -

The visionary of the linguistic heritage and the literary heritage that was left to us by the imams of the Association of Algerian Muslim Scholars clearly recognizes the lofty meanings and the noble aims that the Association's flags sought to achieve and find to reach them. Perhaps the most prominent of these goals and the highest attention to these goals are seeking to promote the thought of Algerian society and the ideals of his ideas And to promote his ambitions in order to revive the spirit of authentic culture within it, and to embody the cultural aspect in its aspects, and consolidate the foundations of national identity in it.

And the exploitation of this literary movement to achieve this purpose of awareness built by the members of the Association of scientists on the methodology of an integrated and a sequential process, starting from the report of the importance of Arabic language and the statement of virtue and great position with the clarification of its validity to describe the various arts and the study of other sciences, and also includes the search of the doors of Arabic and detail the issues at various levels, Download and use these mabahiths on the Qur'anic text and the Arab heritage of poetic and prose to clarify the meanings and meanings.

This article seeks to analyze and analyze some of the linguistic contributions that have been made in this regard in the various works of the imams of the Association of Algerian Muslim Scholars through many works, lectures and articles, such as the linguistic contributions of its president, Abdelhamid Ben Badis, Us and other writers and flags of the Assembly.

Keywords-

Linguistics, Civilization, Association of savenets, Teaching.

مقدمة:

من المتعارف عليه بين مختلف الأمم والثقافات أن مقوم اللغة أحد أبرز مظاهر الخصوصية الحضارية وأهم المعبرّات الرئيسة عن مسألة الهوية، ورافد أساس للنهضة الفكرية والارتقاء المعرفي والعلمي، وتنبع الأهمية البالغة لهذا الجانب في تعلّق اللغة التي هي لسان الحضارة وقلّمها بالتحدّي الثّقافي الحاصل بين الأمم ، والتّسابق المحموم بين الحضارت من أجل فرض ثقافاتهما وتمكّين كافّة توابثها وعناصرها، انطلاقاً من عدّهـم اللغة صمام الأمن القومي، وعنوان الاستقرار الحضاري، والضعف والهوان الذي يلحق هذه اللغة ينسف الهوية، ويدمر باقي المقومات من أساسها.

وقد ارتأيت الإسهام في إثراء هذا المجال من خلال بحث التجربة اللغوية التي خاضتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إطار جدلية الذات والآخر مع الاستعمار الفرنسي، وذلك انطلاقاً من إشكالية رئيسة تستنطق منهجية أئمة الجمعية في نشر اللغة العربية وتتبع مسلكهم في بحث مسائلها ومدارسه أبوابها ، والعمل على بعثها وإحيائها في وسط أهلها في مختلف أنشطتها العلمية وأعمالها الإصلاحية .

ولعلّ أبرز ما نلاحظ اعتناء علماء الجمعية به هو بيان متانة علاقة لغة الضاد بثقافتنا الجزائرية وشدوّ التلاحم بينها في مختلف ثوابتها وسائر مقوماتها، ومن ذلك تركيزهم على كون اللغة العربية روح الإسلام قلباً وقالبا ، ونلاحظ هذا جلياً في جعل مؤسس هذه الجمعية العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس (1889 - 1940) تعلم اللغة رديف لتعلم الإسلام وملازماً له، وذلك في قوله: "لا بقاء للإسلام إلّا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، ولا تعليم له إلّا بتعليم لغته"¹.

وهذه العربية ليست مجرد لغة منتسبة إلى العرب، بل هي اللغة الأم التي يشترك فيها كلّ من يدين بالإسلام، إذ هي وعاء هذا الدّين وحافظة قرآنه ومسجّلة تراثه، وإلى هذا أشار المفكر والأديب والمصلح محمد البشير الإبراهيمي (1889 - 1965م) - الذي خصّص للعربية حيّزاً كبيراً من مقالاته ومحاضراته - في قوله: "وأما إحياء مجد اللسان العربي فالأنّه لسان هذا الدّين والمترجم عن أسرارهِ ومكنوناته، لأنّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة

للبشر كلّهم، لأنّه لسان محمّد بن عبد الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنسانيّ الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنّه لسان تاريخ هذا الدّين ومُجلّي مواقع العبر منه" بر.

وليس الإمامان ابن باديس والإبراهيمي وحدهما من نبّه إلى هذا الترابط وأوضح هذا التّعالق، فهذا أحد أعلام الجمعية الإمام العربيّ التبسيّ (ت 1957 م) يدعو ويحثّ النّاس على تصحيح هذه اللغة وتطهيرها ممّا شابها من النّقائص لما لذلك من أثر في دينها فيقول: "ولتُردّ على اللغة العربية شبابها، وتحي ذكرها بكل الطرق والذرائع، وليفهم الشعب العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقته، وخلط في مفرداته، حتى أصبح لسانه مزيجاً: أن لا دين، ولا قومية، ولا أمة، ولا أي مقوم مميز للأمة إذا هي مضت فيما هي عليه من الجهل بلغتها"³، ويقول في موضع آخر: "ولكن لغتنا إليها يعود بقاء الدين، ويظل مهيمنا على القلوب، ماسكا بالأرواح"⁴.

ولم يقصر الإمام الشاعر المصلح الطيّب العقبيّ (ت 1960 م) الاعتناء بقوانين العربية على أهل الأدب وفقهاء الأمة، بل أوجب ذلك على المهتمين بالصحافة والإعلام، ومن ذلك ما سطره في مقال: (الصحافة من هم رجالها؟)، إذ قال: "وليس معنى رقي الصحافة في نظرنا هو صقالة ورقها واتساع مساحتها في شكلها الطولي والعرضي، كلا بل معنى رقيها عندنا يظهر في مبدئها والغاية التي تعمل لها بشرط أن تكون تعبر عن شعورها في ذلك كله بعبارة صحيحة وأساليب لا تخرج عن قانون العربية الصحيح، ذلك الرقي الذي نعينه، وله وحده مفعوله في نفوسنا"⁵.

ومن القصائد التي سطرها أحد أعلام الجمعية ممّا يُدرك من خلاله أهميّة العناية بهذا الجانب ما جاء في أبيات شاعر الحركة الإصلاحية محمد العيد آل خليفة (1904م - 1979م) الذي لقبه الشيخ عبد الحميد بن باديس بأمرير شعراء الجزائر، إذ قال في قصيدته "العروبة أمنا الكبرى":

الملة السمحاء أصرة لنا ❖❖ فوق الأوامر والعروبة مولد
هيهات تقدر أن تفرقنا يد ❖❖ والله يجمع شملنا ومحمّد
إنّ العروبة أمنا الكبرى التي ❖❖ في الأمهات نظيرها لا يوجد⁶

ونلمح في طيات هذه النصوص المتقدمة من كلام أعلام الجمعية أنّ هذه اللغة تمثل هوية هذا الشعب في عمومها، وتشير إلى معلم بارز من معالم الانتماء الحضاري لهذه الأمة، ألا وهو انتسابها إلى الجنس العربي وتحليلها بشمائل العروبة. ولا ريب أنّ اللغة التي يتعاطف معها الإنسان بفكره وتنجذب إليها روحه هي جنسه وهويته، والثقافة التي يتعاطاها بفكره ويندمج معها وجدانه هي أصله وانتماءه، ويجسد ذلك الإبراهيمي في قوله: "إنّ اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى"⁷.

وفي إشارة جلية إلى هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والفكر يقول الإمام الإبراهيمي في مقام آخر: "لغة الأمة هي أفكارها، وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية - زيادة على ذلك القدر المشترك - أنّها حافظة دينها ومصححة عقائدها ومدونة أحكامها، وأنّها صلة بينها وبين ربّها تدعوها بها وتعترف، وتبوء بها إليه فيما تقتضيه، وتؤدّي بها حقوقه، فهي لذلك تشدّ عليها يد الضمانة"⁸، وماتود أنّ لها بها لغات الدنيا وإن زحرت بالأدب وفاضت بالمعارف، وسهّلت سبل الحياة، وكشفت عن مكنونات العلم"⁹.

وبعد تذييل من الشيخ أوضح فيه غياب المانع من تعلّم بعض اللغات عادّا ذلك أحد وسائل البحث عن الكمال في تتبّع الأسباب الدنيوية المتعددة، وحاصرا تحصيل الكمال الروحاني وإدراك التمام الإنساني في لغتها الأصلية التي تكوّن منها تسلسلها الفكري والعقلي، عقّب على ذلك بقوله: "وهي لغة العرب؛ ذلك لأنّ لغة العرب قطعة من وجود العرب وميزة من مميّزات العرب، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة، فإذا حافظ الرّنجي على رطانته ولم يبيع بها بديلا، وحافظ الصّيني على زمزمته فلم يرضَ عنها تحويلا، فالعربي أولى بذلك وأحقّ؛ لأنّ لغته تجمع من خصائص البيان ما لا يوجد جزء منه في لغة الرّنج أو لغة الصين.

ولأنّ لغته كانت - في وقت ما - لسان معارف البشر، وكانت - في زمن ما - ترجمان حضاراتهم، وكانت - في وقت ما - ناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب، وكانت - في وقت ما - هادية العقل الغربي الضالّ إلى موارد الحكمة في الشرق، وكانت - في جميع الأوقات - مستودع آداب الشرق

وملتقى قياداته الفكرية، وما زالت صالحة لذلك، لولا غباراً من الإهمال علاها، وعاقاً من الأبناء قلاها، وضيماً من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها¹⁰.

ونستشف هذا المفهوم العام الوارد في كلام خليفة ابن باديس فيما جاء في أبيات لطيفة لمحمد العيد آل خليفة في قصيدته "الشعر والأدب" يقول فيها:
أنا ابن جدي وقومي السادة العرب ❖ ❖ وحرفتي ما حييت : الشعر والأدب
أنفقت وقتي في شعروني أدب ❖ ❖ لا شغل عندي إلا : الشعر والأدب¹¹

ولعلّ منبع هذا الحرص الشديد والاعتناء الأكيد بإحياء اللغة العربية وبعثها من رجالات الجمعية، ومكمن ذلك الإرشاد الملح للنهل من رياضها والاقتطاف من غراسها هو الحالة البائسة والوضع المزريّة التي كانت تشهدها اللغة العربية تحت وطأة الاحتلال الفرنسي الذي لم يستهدف الأرض وحدها في غزوه للجزائر، بل حاول القضاء على شخصية الشعب الجزائريّ بمحاربة كلّ مفردات الهوية الحضارية فيه، واستهداف سائر خصوصياته الثقافية وثوابته الروحية.

وإلى هذا العداء الشديد للغة الجزائريين أشار الإمام الفضيل الورتلاني بقوله: "فمن ناحية العروبة، أعلنوا حرباً على لغتها، لا هودة فيها، وعدوها عدوهم اللدود، الذي يجب القضاء عليه قضاء مبرماً، لتحل محلها اللغة الفرنسية بأي ثمن، فأقفلوا جميع المعاهد التي تدرسها، ثم تدرجوا في إذلالها، فجعلوا اللغة الفرنسية هي وحدها اللغة الرسمية في دوائر الدولة، ومعنى ذلك أن اللغة العربية لم تعد صالحة البتة، لأكل الخبز في الجزائر، والناس من طبيعتهم يحبون الخبز ويحبون الحياة ثم تدرجوا في احتقارها فأصدروا قانوناً يعدها لغة أجنبية، في عقردارها، تعامل كما تعامل كل لغة أجنبية في الظاهر، وتعامل في الباطن وعند التطبيق، معاملة العدو غير المرغوب في حياته"¹².

ولا ريب أنّ غرض المستدمر من فعله ذلك هو تسهيل استكمال تنفيذ المخطط الاستعماري في جوانبه الفكرية والثقافية من خلال فرنسة اللسان والفكر والشعور والروح، وفصل هذا الشعب عن أصوله الحضارية، وتحويل أفرادها إلى أناس بلا انتماء، متكرّين لأصولهم، منسلخين عن قيمهم، غريبين عن حضارة أمّتهم، وبالتالي إنشاء أندلس جديدة، ثم إلحاقها نهائياً بفرنسا.

ويصوّر لنا الشيخ الإبراهيمي هذه الحرب الصليبية التي شنتها فرنسا على اللغة العربية في الجزائر بعد الاحتلال فيقول: "مشكلة العروبة في الجزائر

أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي، وهو عدو سافر للعرب، وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام... إلى أن يقول: "وبيان ذلك مع الإيجاز، أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو - منذ احتل الجزائر - عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة، لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام والليالي في أعمال المحو، لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، والعمل على تخريب آماله"¹³.

ولتحقيق تلك المآرب جنّدت فرنسا ترسانة من الإجراءات الإدارية واستعانت بسلسلة من الأحكام القانونية، كان أشدها قانون 8 مارس 1938م، الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، وحظر على المعلمين إلقاء الدروس أو إنشاء المدارس أو النوادي أو الوعظ في المساجد إلا برخصة، وإلا غُرِمَ المخالف وسُجِنَ¹⁴، وقد أشار الشيخ ابن باديس إلى هذا القانون فقال: "أعداء الأمة الجزائرية - وأعداء فرنسا أيضا - يجمعون أمرهم، ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على التعليم، ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها.

علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته، فناصروا تعليمها العداء وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي والضنّ بالرخص واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلّا على أقلّ القليل، ولما رأوا تصميم الأمة على تعلم قراءتها ودينها ولغة دينها، واستبسال كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين والقرآن ولغة الدين والقرآن، واستمرارهم على التعليم رغم التهديد والوعيد، ورغم الزجر والتغريم - لما رأوا هذا كله سعوا سعيهم وبذلوا جهدهم حتى استصدروا هذا القانون: قانون العقاب الرهيب"¹⁵.

كما عرّج الشيخ البشير الإبراهيمي على ذكر بعض هذه الملاحظات الشديدة، والتهديدات الأكيدة فقل: "بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم ونقدر أنها ستعم، وأن أول المطر قطرة، وأن الأحكام ستكون بالغرامة والسجن، ولكننا

سندخل هذه المحاكم برؤوس مرتفعة، ونستقبل هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان، وسندخل السجون بأعين قريرة، وسنلتقي بإخواننا المجرمين في مجالس الأحكام، ومقاعد الاتهام، وحسبنا شرفاً أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا، وحسبنا فخراً أن تكون التهمة فتح مدرسة دينية وقرآنية بدون رخصة، وحسب الاستعمار ديمقراطية أن يحاكم معلمي العربية والإسلام، ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الإجرام في محكمة واحدة وسجن واحد¹⁶.

وموازة مع هذا الحصار الجائر على اللغة العربية والقوانين الظالمة في حق معلمينا شجع المستدمر الفرنسي اللهجات المحليّة في التّخاطب والمحادثّة، وصرف البحوث والدراسات لبحث خصائص تلك اللهجات وميزاتها، وشكّك بالمقابل في أصالة اللغة العربية في هذه البلاد وتناسبها مع طبيعة المجتمع الجزائريّ.

والى هذه النقطة أشار العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال منشور له سنة 1948م بعنوان: "اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة، ليس لها ضرة"، ومما سطره في هذا المقال قوله: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حمايتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على السنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم.

فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الأفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيماً لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه، يزيدوها طيباً وعدوية أن القرآن بها يُتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتُختتم.

فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها، وخالطت الحواس والشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معاً.... وسلّطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واقتناع لا يد فيه للقهر، وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار¹⁷.

كما سعت الجمعية لردّ سائر الشّبّه حول هذه اللّغة ودفع مختلف الطّعون والانتقاصات التي حاول المستدمر الغاشم كيلها لها، حتى وصل الحال بمشايع الجمعية إلى عدّ الدّفاع عن العربية أحد مقاصد إنشائها، وعن ذلك يقول أديب الجزائر الإبراهيمي: "إنّ جمعيّتكم هذه أُسّست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كلّ عربي مسلم بهذا الوطن مكانةٌ لا تساويهما مكانة، وهما: إحياء مجد الدّين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربيّة"¹⁸.

فمن ذلك دعوى عدم صلاحيتها للعلوم التجريبية قديما وحديثا، وهذا ما أجاب عنه البشير الإبراهيمي في مقال له حول اللغة العربية وفضلها على العلم والمدنية بين فيه الدور الذي اضطلعت به هذه اللّغة في سالف الدّهر، وذلك ما يؤهلها للاضطلاع بدورها في الزمن الحاضر فيقول: "لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب لما استطاع الأسلاف أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا ذلك لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية..."

إلى أن يقول: "قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها والرياضيات بجميع أصنافها، والطب، والهندسة والآداب والاجتماع،... وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك، وإما أن تنتقل إليه في لغة غيرك فيكون قوة لغيرك."

وقد تظن أسلافنا لهذه الحقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه، وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضروري من الضياع بانتشاله من أيدي الغوائل، وينقله إلى الأواخر عن الأوائل، وبذلك طوقت العالم منة لا يقوم بها الشكر، ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير"¹⁹.

وهذا الكيد الإفرنجي المتعدّد وتلك الأساليب القهرية والقرارات الجائرة من طرف الإدارة الفرنسية حرك اهتمام العلماء والمفكرين، وأذكى غيرتهم على مقومات الوطن وثوابته، فتصدّوا لمجابهة السياسة الاستعمارية، ومقاومة أساليبها المنتهجة، فكانوا يبذلون وسعهم وطاقاتهم، ويواصلون ليلاً نهاراً من أجل العمل على نشر اللغة العربية في أوساط المجتمع الجزائري وإحياء مجدها بينهم.

وقد كان في طليعة هؤلاء علماء الجمعية، إذ وضعت الجمعية نصب أعينها رفض السياسة اللغوية الجائرة التي فرضت على الجزائري هجران لغته في مجال التعامل، وأعلنت الكفاح الصريح وبكل الوسائل من أجل الدفاع عن اللغة العربية وترقيتها وإحياء مجدها وزيادة اهتمام الناس بها حفظاً للمجتمع من الانصهار والزوال، مؤمنة في ذلك بنبل المشروع الذي كانت تضطلع به، ومستيقنة من عظمة الهدف الذي كانت تسعى إلى تحقيقه، صامدة في مواقفها حريصة على تنفيذ برامجها من خلال المساهمات الأدبية، والنشاطات العلمية، وكذا الممارسة الفعلية في الميدان.

والنصوص المؤكدة لذلك كثيرة مستفيضة، منها قول ابن باديس: "قد فهمنا - والله - ما يراد بنا، وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة عزمنا، وسنمضي - بعون الله - في تعليم ديننا ولغتنا، رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا، وإننا على يقين من أن العقوبة - وإن طال البلاء - لنا، وأن النصر سيكون حليفنا، لأننا قد عرفنا - إيماناً - وشاهدنا - عياناً - أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهم"²⁰.

ويقول الإبراهيمي في نفس السياق: "إن الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفينانة، وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء، عدت عليه عوادي الدهر، فنسي مجد العروبة، ولكنه لم ينس أبوتها، وابتلاه الاستعمار - عن قصد - بالبلبل؛ فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلّا الضاد، ولم يبق من العروبة مع هذا وذاك إلا سمات وشمائل، ولا من العربية إلا آيات ومخائل، وجاءت جمعية العلماء، على عبوس من الدهر، وتنكر من الأقوياء، فنضخت من روح العروبة في تلك الأنساب؛ فإذا هي صريحة، وسكبت من سرّ البيان العربي في تلك الألسنة؛ فإذا هي فصيحة، وأجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز فإذا هي ناصعة بيضاء، لم يزدتها تقادم الزمان إلا جدة"²¹.

وهذه الكفاحات المستميتة والنضال المبرر من الإمام الإبراهيمي وسائر رجالات الجمعية في الذود عن أحد أبرز مقومات الهوية الوطنية التي أراد الاستعمار طمسها ومحوها لم تكن لتذهب سدى في مهب الرياح، بل ظهرت ثمارها مزهرة غضة، وبان حصادها يانعا طيبا، فكان للجمعية الفضل الكبير في

كسر الحصار الذي فرضته سلطة المستعمر على لغتنا وإفشال الحملة التي شنتها على هويتنا وتاريخنا.

ومما خطه الإمام البشير الإبراهيمي مبيناً أثر أعمال الجمعية في ازدهار العربية وارتفاع شأنها في أوساط المجتمع ما جاء في قوله: «قد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تداركتها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه، فاستعادت على يدها شبابها، ووصلت بسبب الدين الحنيف أسبابها، وأصبحت الجزائر في مدة قليلة تُفاخر أمصار العربية الكبرى ومنابتها الأصلية، بأدبها وكتّابها وشعرائها وخطبائها»²².

وحول ذلك أيضاً كتب الإمام ابن باديس قائلاً: "حُوريت فيكم العروبة حتى ظُنَّ أن قد مات منكم عرقُها، ومُسَخَّ فيكم نُطْقُها، فجئتم بعد قرن، تَصَدِّحُ بِلَايُكُمْ بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطابُكم بشَقَاشِقِها، فتدكُّ الحصون والمعازل، ويهزُّ كتابُكم أقلامها، فتصيب الكلى والمفاصل"²³.

وكانت النخب المثقفة ممن حمل لواء بناء الوطن المحرر بعد الاستقلال، أغلبها ممن تلقى تعليمه في مدارس الجمعية، وقد أنشأت الجمعية خلال سنوات نضالها قرابة ثلاثمائة مدرسة، يتعلم بها ما حوالي أربعين ألف تلميذ، ولم تكن الجمعية تنتظر تمام بناء المدارس، بل كانت تستعجل الشروع في التعليم العربي للصغار فيما تصل إليه أيديها من الأماكن، وفي البيوت ربحاً للوقت قبل بناء المدارس²⁴.

وهذا الاجتهاد الفعلي والنشاط المميز للجمعية أنشأ لها مناوئين لنشاطاتها وأبرز لها معارضين لمشروعها، ولا يخفى أن رأس هؤلاء المعادين هي الإدارة الفرنسية التي أمنت في محاربة جمعية العلماء بعد أن لاحظت تفاعل المجتمع وتجاوبه معها، ونلمس هذا في تقرير لمحافظة الشرطة الفرنسية بالبرج جاء فيه: "إن ازدياد نفوذ العلماء هو الخطر الحقيقي على السياسة الفرنسية، لأن هدفهم هو تكوين الإنسان المسلم، والإنسان المسلم هو الذي يرتبط بلغته وقرآنه ولا يرضى بأي اندماج، ولا يقبل السيادة الفرنسية".

ولم تستسلم الجمعية لهذه الضغوط فتحدّ من نشاطها أو تتراجع عن مخططاتها، بل كلما أغلق الفرنسيون مدرسة أو أوقفوا جريدة لها قامت الجمعية بإنشاء أخرى، وكلما أصدر المستعمر قراراً أو سنّ قانوناً إلّا وحشدت

الجمعية الرّفْض والإنكار له، وجيشت النّخبة المثقّة وسائر طبقات المجتمع ضدّه بالحجّة والبيّنة القاطعة، وبالحكمة والأسلوب الأمثل، فكسبت التأييد والدّعم المنشود، وحققت الغايات والأهداف التي سطرّتها، بشهادة النّتائج المحسوسة المحقّقة، وباعترافات مختلف الشّخصيات المعاشية والدّراسة لتلك الفترة.

وإضافة إلى معاداة المستدمر الفرنسي فقد قابلت الجمعية مضايقات ومعارضة من بعض الشّخصيات الجزائرية والوجهاء الفاعلين على الساحة الوطنية من أمثال ثلة من النواب الحداثيين الفرنسيين، وأصحاب الخرافات والمشعوذين، وكذا من طرف اليهود والنّصارى والمبشرين.

وبفعل اجتهاد أعضائها ونضالهم، وحكمة قادتها وتبصّرهم، استطاعت الجمعية نشر علوم العربية بين الجزائريين وتلقينهم فنونها المختلفة، ومن نماذج ذلك ما اعتنى به بعض علماء الجمعية من تتبع فصيح الألفاظ وانتقاء مستقيم العبارات، ومن ذلك ما أشار إليه الإمام الإبراهيمي بقوله: «إنّ هذه الطبقات العامية التي تواظب على سماع الدروس والمحاضرات قد أصبحت تفهم العربيّة الفصحى حقّ الفهم بتأثير الممارسة والمران ... ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربيّة الفصحى وأخذت نفسي بذلك أخذاً أصيل به إلى درجة الإغراب أحياناً، وكان لي من وراء ذلك الالتزام غرضان:

أحدهما: إقامة الدليل للمتعلّمين باللّغات الأجنبية على أنّ الفصحى لا تعيا على حمل المعاني مهما تنوّعت وعلت،

وأنّها تُبدُ (17) اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتصورات، وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد.

والغرض الثاني: أن أحدث في نفوس العامة المحبّين للعلم والدّين أسفا يقضّ مضاجعهم، فيدعّهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم.

... ومازلنا على هذا حتى فعل المران فعله، وأصبحوا يفهمون ويدققون ويخرجون وهم يتدارسون.

وقد رجعت إلى العاميّة في بعض الدروس فاستهجنوها، ونَبَتَ عنها أذواقهم، وإني لا أدري لماذا لا نعجب للعامي يتعلّم الفرنسية بالسماع، ونعجب - بل لا نكاد نصدق - له أن يتعلّم العربيّة بالسماع، مع أنّ العربيّة أقرب إلى عاميّة وفطرتة وروحه ²⁵.

وليتضح مقدار جهد الجمعية في إحياء اللسان العربي وتذليل نطق الجزائريين بمفرداته وأساليبه، فقد عقد أمير البيان في الجزائر مقارنة بين الظروف التي اشتغلت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجتمع الجزائري وبين ما يعيشه القائمون على اللغة العربية فيقول -رحمه الله-: "هذا بعض ما قدمته جمعية العلماء للعروبة من صنائع لهذا الوطن، تفخر به في غير من، وتجدد به من غير ضن، ولولا الحياء لقاتل أكثر من ذلك ولتحدث كل العاملين في الشرق العربي لرفعة العربية وإعلاء شأنها بين اللغات بأنها عملت لها أكثر مما عملوا؛ عملوا لها وهم أحرار آمنون، في بلد لسانه وجنسها عربيان وحاكمه ومحكومها عربيان، وعملنا لها تحت تأثير زمجرة الاستعمار ودمدمة أنصاره، وأنقذناها من بين أنيابه وأظفاره"²⁶.

ومن بين ثمار اهتمام الجمعية بتعليم العربية وتنشئة الأمة عليها رقيها بالمجتمع الجزائري في سلم الحضارة المعاصرة، وتمكنها من تصحيح مفاهيمه وتجديد أفكاره، وتبصرت به حقيقة ذاته وتعريفه خصوصياته، وبعث طاقاته وتفجير إمكاناته الكامنة، وصحح رؤيته للوطن واللغة والثقافة، فأدرك الشعب بذلك حقيقة وجوده وانتمائه، وعرف عظمة تراثه ونبل تاريخه.

ونتج عن ذلك أن قويت في هذا الشعب الروح الوطنية، وزاد اعتزازه بخصوصياته الحضارية، واتضح لديه الحقائق التاريخية، وعن ذلك يقول العلامة الإبراهيمي: "لو نشاء لقلنا إننا أحيينا اللسان العربي، والنخوة العربية، وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المشرق، وأعدنا لهما سلطانهما على النفوس، وتأثيرهما في العقول والأرواح، وشأنهما الأول في الاتعاض والأسوة، فأحيينا بذلك كله الشعب الجزائري"²⁷.

ولعل أبرز آثار جهود الجمعية وأوضح نتائج كفاحها هو تهيئة الجزائريين للانطلاق في فك أغلال الاستعمار، وشحنهم للتخلص من ربة الاستعباد، وهو ما تحقق سريعا عبر تفجير ثورة نوفمبر المباركة، وإلى الدور البارز للجمعية في تفجير هذه الثورة نبه الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال له بعنوان "أثر أعماله وأعمال إخواني في الشعب الجزائري" حيث قال: "أثر أعماله في الشعب بارز لا ينكره حتى أعداؤنا من الاستعماريين وخصومنا من إخواننا السياسيين، فمن كذا في المطبوع، ولعل الصواب: فقد [أثرنا] بث الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يعرف ما له وما عليه، ومنها إحياء تاريخ الإسلام وأمجاد العرب، التي

كان الاستعمار يسد عليه منافذ شعاعها، حتى لا يتسرب إليها شيء من ذلك الشعاع....

وقد أصبح الشعب الجزائري بفضل جمعية العلماء، وما بدلناه من جهود في محو الرذائل، التي مكن لها الاستعمار، وتثبيت الفضائل التي جاء بها الإسلام، ولو تأخر وجود الجمعية عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا، ولو سلكنا سبيلاً غير الذي سلكناه في إيقاظ الأمة وتوجيهها في السبيل السوي لما قامت هذه الثورة الجارفة في الجزائر التي بيّضت وجه العرب والمسلمين²⁸.

ويضاف إلى ذلك ما تحصل من نتائج مرتبطة بالجانب الحضاري والمشروع النهضوي الذي تبنته جمعية العلماء من مثل إحياء الرسالة الروحية للمسجد، واسترداد وظيفته التثقيفية والفكرية بتسخير علماء ومفكرين يجوبون مختلف أرجاء الوطن لإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات العلمية بها، وكذا إنشاء المدارس الحرة في مختلف نواحي الوطن مع صياغة مناهجها التعليمية وبيان الطرائق البيداغوجية النافعة، زيادة على تأسيس مجموعة من الجرائد والصحف الإصلاحية التي لمت شمل العلماء والمتقنين وأبرزت آراءهم ونشرت أفكارهم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- خالد العربي، الفكر الإصلاحى عند الشيخ العربى التبسى، مقال: منشور بالمجلة المغاربية للدراسات التاريخية، الصادرة عن مخبر الجزائر بجامعة بلعباس بالجزائر، ع 1.
- عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، تح: عمار طالبى، دار الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: 1، سنة: 1388 هـ - 1968 م.
- العربى التبسى، مقالات فى الدعوة إلى النهضة الإسلامية فى الجزائر، جمع: أحمد شريف الرفاعى دار البعث، قسنطينة، سنة: 1981 م.
- الفضيل الورتلانى، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، ط: 4، سنة: 2009 م.
- كمال عجالي، مهنة الصحافة وشروط الصحفي فى نظر الشيخ الطيب العقبي، مقال منشور فى مجلة الآداب، لجامعة منتوري بقسنطينة، ع 5.
- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، سنة: 1997 م.
- محمد العربى الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، سنة: 1420 هـ - 1999 م.
- محمد العبد آل خليفة، ديوانه، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، دط، سنة: 2010 م.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، سنة: 1391 هـ - 1971 م.
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 3، سنة: 1414 هـ.

الهوامش:

- ¹ آثار ابن باديس، تح: عمار طالبى، دار الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: 1، سنة: 1388 هـ - 1968 م (ج 3/ص 243).
- ² آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، سنة: 1997 م (ج 1/ ص 134).
- ³ من كتاب: مقالات فى الدعوة إلى النهضة الإسلامية فى الجزائر، جمع: أحمد شريف الرفاعى دار البعث، قسنطينة، سنة: 1981 م (ج 1/ ص 44).
- ⁴ من مقال خالد العربى: الفكر الإصلاحى عند الشيخ العربى التبسى، نشر المجلة المغاربية للدراسات التاريخية الصادرة عن مخبر الجزائر بجامعة بلعباس، ع 1 (ص 75).
- ⁵ مقال: "الصحافة من هم رجالها"، جريدة البرق، ع: 5، بتاريخ: 4 أبريل 1927 م، نقلا عن: مهنة الصحافة وشروط الصحفي فى نظر الشيخ الطيب العقبي، لكمال عجالي، مقال منشور فى مجلة الآداب لجامعة منتوري بقسنطينة، ع 5، (ص 220 - 221).

- ⁶ الأبيات من بحر الكامل، وهي في ديوانه، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، د ط، سنة: 2010م (ص 210).
- ⁷ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1ج/ص 134).
- ⁸ الضئانة من ضئبه ضئا وضئانة إذا بخل بئلا شئيدا ومكث بالمكان ونحوه لم يبرحه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 3، سنة: 1414 هـ (ج 13/ص 261).
- ⁹ محمد البشير الإبراهيمي (ج 3/ص 281).
- ¹⁰ نفس المرجع والصفحة.
- ¹¹ البيتان من البسيط، وهما في ديوان محمد العيد آل خليفة (ص 50).
- ¹² الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، ط: 4، سنة: 2009 م (ص 135).
- ¹³ آثار الإبراهيمي (ج 5/ص 150 - 151).
- ¹⁴ ينظر: خالد العربي، الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي (ص 75).
- ¹⁵ آثار ابن باديس (ج 3/ص 243).
- ¹⁶ آثار الإبراهيمي (ج 3/ص 344).
- ¹⁷ نفس المرجع والصفحة.
- ¹⁸ المرجع نفسه (ج 1/ص 133).
- ¹⁹ المرجع نفسه (ج 1/ص 376).
- ²⁰ آثار ابن باديس (ج 3/ص 244 - 245).
- ²¹ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ج 1/ص 21).
- ²² المرجع نفسه (ج 1/ص 286).
- ²³ آثار ابن باديس (ج 3/ص 555).
- ²⁴ محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، سنة: 1420 هـ 1999م (ج 1/ص 203).
- ²⁵ آثار الإبراهيمي (ج 1/ص 149).
- ²⁶ نفس المرجع والصفحة.
- ²⁷ المرجع نفسه (ج 5/ص 288).
- ²⁸ المرجع نفسه (5 / 287).



مصطلحات علم الأصوات النطقي عند سيبويه وابن جني بين

التأصيل والاستعمال

The phonetic terms at Sibawayh and Ibn Jenny between rooting and usage

عمرو مذكور

أستاذ مشارك كلية الآداب- جامعة قطر

amrm1@qu.edu.qa

تاريخ القبول: 2019-11-16

تاريخ الاستلام: 2019-10-26

الملخص -

حدّد البحث مادته بمصطلحات علم الأصوات النطقي، في كتاب سيبويه، وسر صناعة الإعراب لابن جني. وقد اعتمد البحث في تقسيمه البعد المفهومي الذي يقدمه علم المصطلح؛ فجاءت مصطلحات كل وحدة قائمة بذاتها، ولكن الترتيب الداخلي - في كل فرع - جاء ألفبائياً؛ لوجود فجوات مصطلحية، إلا ما كان من مصطلحات بينها علاقة في المنظومة المصطلحية للعلم؛ فوضعت المترادفات (مُسْتَعْل / مُطْبَق)، أو اشتقاق لغوي (انْحِرَاف / مُنْحَرِف). في مدخل واحد، ووُضِعَ تالياً لها ما كان مضاداً لها في المفهوم مثل (جهر / مجهور) و(همس / مهموس). وجاء التقسيم كالاتي: مصطلحات عامة. مصطلحات علم الأصوات النطقي.

وبدأ البحث بعرض استخدام سيبويه وابن جني للمصطلح، وتحديد مفهومه، ثم تأصيل المصطلح خاصة عند السابقين لهما؛ محاولاً تحديد واضح المصطلح، أهو الخليل أم سيبويه أم ابن جني؟ ثم دراسة استخدام المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة، والتي تشمل معاجم اللسانيات وكتبه، مُحدِّداً العلاقة بين المصطلح والمفهوم في الاستخدام الحديث.

الكلمات المفتاحية -

المصطلح، علم الأصوات النطقي، اللسانيات، سيبويه، ابن جني

Abstract –

The Research Identifies The Phonetic Term, In THE BOOK Of SEBAWH, And Book “SER SENAAT ALEARAAB” Of IBN JENNY.

The Research Was Divided Into Two Main Sections, Which Adopted In Its Division The Conceptual Dimension Provided By The Terminology; Came The Terms Of Each Branch Itself, But The Internal Arrangement - In Each Branch - Came Alpha; Synonyms. In One Entry, It Was Placed Next To Her What Was Contrary To Them In The Concept Such (Voiced) And (Voiceless). The Division Was As Follows: General And Phonetics Terms.

The Research Began By Introducing The Use Of SEBAWH And IBN JENNY To Define The Concept, And Then Rooting The Term, Especially When ALKHALEEL.

Trying To Identify The Author Of The Term, Is It ALKHALEEL Or SEBAWH Or IBN JENNY? He Then Examined The Use Of The Term In Modern Linguistic Studies, Which Include Linguistic Dictionaries And Books, Defining The Relationship Between The Term And The Concept In Modern Usage.

Keywords-

Terminology, Phonetics, Linguistics, SEBAWH, IBN JENNY

المقدمة

يعمل البحث على دراسة المصطلح الصوتي، في كتاب سيبويه، وكتاب ابن جني سر صناعة الإعراب. ويضع البحث لنفسه تساؤلاً حول المصطلح الصوتي عند سيبويه وابن جني؛ فما مدى إسهامهما في بناء المنظومة المصطلحية لهذا العلم؟ وما المصطلحات التي اعتمداها بعد أساتذة سابقين لهما كالخليل؟ وإلى أي مدى استمرت هذه المصطلحات في العطاء المعرفي في العلوم اللسانية في العصر الحديث؟ ويحاول البحث أن يدرس إشكالية العلاقة التصورية بين المصطلح ومفهومه في ضوء معياري المنظومة المصطلحية واستخدام هذا المصطلح، وهنا يأتي تأصيل المصطلح قديماً عند سيبويه وأستاذه الخليل، ثم استخدام هذا المصطلح حديثاً؛ أهو شائع الاستخدام كالمخرج، أم نادر الاستخدام، وهل حدث تغير في مفهوم هذا المصطلح، هذه الأسئلة وتلك الإشكالات يحاول البحث استكشافها ومعالجتها في إطار منهجي؛ إذ جاءت أقسام البحث معتمدة التقسيم المفهومي الذي يقدمه علم المصطلح؛ فلم ترتب المصطلحات ألفبائياً، وإنما حسب فروع العلم، فجاءت مصطلحات كل قسم بذاته، المصطلحات العامة، ثم أعضاء النطق، فصفااتها. وبدأ البحث بعرض استخدام سيبويه وابن جني للمصطلح، وتحديد مفهومه، ثم تأصيل المصطلح عند السابقين؛ وهنا يحاول البحث تحديد واضع المصطلح، أهو الخليل أم سيبويه. ثم دراسة استخدام المصطلح في معاجم علم اللغة الحديث وكتبه. واعتمد البحث في عرضه لاستخدام المصطلح حديثاً - في الجداول -

كالآتي:

الحقل	المعنى
المصطلح	المصطلح العربي في المراجع الحديثة دون النظر إلى المفهوم.
المكافئ	المكافئ الأجنبي (إنجليزي/ فرنسي).
المستعمل	أشار البحث إلى المؤلف باختصار، وذكر بالتفصيل في قائمة المراجع.

1 - مصطلحات عامة.

ويقصد بها المصطلحات التي تستخدم في كثير من فروع علم الأصوات؛ النطقي، والأكوستيكي، والسمعي، وفي علم الأصوات الوظيفي. ويقصد بها

المصطلحات التي تستخدم في كثير من فروع علم الأصوات؛ النطقي، والأكوستيكي، والسمعي، وفي علم الأصوات الوظيفي.

1- 1 جرس: يعود هذا المصطلح إلى ابن جني، ولم يستخدمه سيبويه، وهو يدل على الأثر السمعي للصوت، يقول: "ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت منه راجعاً عنه أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول"¹.

وقد ورد المصطلح في الاستخدام المعاصر والجدول الآتي يوضح ذلك:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
جرس	Timbre	شاني، الخولي ² ، باكلا، بركة ¹ ، بعلبيكي، السيد، السفروشي، عزيز (مترجم).

ويقصدون به "خاصة سمعية تمكن المستمع من التفرقة بين الأصوات المتماثلة في النغم والجهارة والديمومة... (كتفرقة الصوائت عن غيرها)، ونوع يميز بين متكلم وآخر (في المكالمات الهاتفية مثلاً)"². ويبدو أن المفهوم المعاصر تأكيد لمفهوم ابن جني، إلا أنه أكثر تفصيلاً وإيضاحاً.

1- 2 حَرْف: قال سيبويه: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها". وعند ابن جني "حد منقطع الصوت وغايته وطرفه"³، ويعبر بذلك عن البعد الصوتي للوحدة الصوتية/ الفونيم التي يُعبر عنها برمز كتابي.

وقد استخدم الخليل هذا المصطلح بالمفهوم نفسه، يقول: "الياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلّق بها شيء، فُنسِبَ كل حرف إلى مدرّجته وموضع الذي يبدأ منه"⁴، واستخدم حديثاً كالاتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
حَرْف	Allograph	مصلوح

¹ ابن جني، 8.

² بعلبيكي، 504

³ سيبويه، 431/4، وابن جني، 14.

⁴ الخليل، 58 / 1

المصطلح	المكافئ	المستعمل
	Alphabet	الحناش
	Consonant	بعلبيكي، عبد الجليل
	Consonne, lettre	المسدي
	Graph	الخولي، بعلبيكي، مبارك، السيد
	Letter- Lettre	الخولي، بعلبيكي، مبارك، محي الدين، السيد، البركة
	Particle- Particule	الخولي، بعلبيكي، عزيز (مترجم)، البركة
	Phoneme	مبارك

يُظهر الجدول السابق مفهومين للمصطلح؛ أولهما كتابي وهو ما عُبِّر عنه بالمكافئ *allograph, alphabet, letter, graph* وكذلك عند د/ رمزي بعلبيكي الذي قابله بـ *consonant* إلا أنه يقصد به *graph*، وثانيهما صوتي عند د/ عبد الجليل، ود/ مبارك، ويبدو أن المفهومين كانا لدى الخليل وسيبويه؛ وربما يعود ذلك إلى ارتباط الخط العربي بالمنطوق، وهو ما جعل بعض المحدثين يميلون إلى استخدام الحرف بمعنى الوحدة الصوتية/ المورفيم، كما عند عبد الجليل ومبارك.

1- 3 صدّي: يرجع هذا المصطلح إلى ابن جني إذ يقول: "ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت منه راجعاً عنه أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدًى غير الصدى الأول وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدًى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين"¹. ويبدو أن استخدام ابن جني للصدى بمفهوم الأثر السمعي للصوت، فهو مرادف لمصطلح الجرس لديه.

المصطلح	المكافئ	المستعمل
صدى	Echo	محي الدين، السيد، مصلوح (مترجم).
صدى	Resonance	بعلبيكي، مبارك.

¹ ابن جني، ص 8.

ويبدو المفهوم عند المكافئ (Echo) مغايراً للمفهوم عند ابن جني؛ إذ يدل عند المحدثين على تردد الصوت بسبب ارتداد الموجة الصوتية، أما المفهوم الثاني الذي يقابل (Résonance) فإنه يشير إلى مفهوم "اهتزاز الهواء في مجرى النطق نتيجة التصويت أي اهتزاز الوترين الصوتيين"¹. ويبدو الاشتراك اللفظي في استخدام المحدثين للمصطلح، وإذا أضفنا المفهوم التراثي عند ابن جني، فإننا نكون أمام ثلاثة مفاهيم لمصطلح واحد، وهو الأمر الذي يؤدي إلى خلط في وتداخل.

1 - 4- علم الأصوات والحروف: أول من استخدم هذا المصطلح هو ابن جني، إذ يقول: "وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبول من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"². وإذا استبعدنا المعطوف والعاطف (والحروف)، -وقد كان القدماء يستخدمون مصطلح الحرف/ الحروف بمفهوم الوحدة الصوتية/ الفونيم -، فإننا نكون أمام مصطلح علم الأصوات ذائع الصيت في الدراسات اللغوية المعاصرة علماً لعلم الأصوات النظري، أو علم الأصوات العام، بله عنوان لعدد كبير من الكتب بداية من كتاب د. كمال بشر وليس انتهاء بعصام نور الدين علم الأصوات (الفوناتيكا). ولم يستثمر اللغويون الذين أتوا بعد ابن جني هذا المصطلح، ولا دراسته الرائدة سر الصناعة لبناء علم قائم بذاته هو علم الأصوات، وربما يرجع ذلك لاعتفاء اللغويين بدراسة الأصوات في مضمارين أحدهما في التجويد، والآخر في داخل الدرس الصريفي خدمة لباب الإدغام، والإعلال والإبدال والقلب.

2 - مصطلحات علم الأصوات النطقي:

قسّم البحث مصطلحات علم الأصوات النطقي إلى؛ مصطلح المخرج، ومصطلحات أعضاء النطق والمخرج، ومصطلحات صفات الأصوات.

¹ بعلبي، 428

² ابن جني، 9.

2- 1- المخرج.

2- 1- 1- مَخْرَج: يقول سيبويه: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها". ويقول ابن جني بعد أن يعدد مخارج الأصوات: "ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة... فذلك ستة عشر مخرجاً"¹.
 ويعود المصطلح إلى الخليل الذي يقول: "وأما مخرج العين... فالحلق، وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة"، وقد استخدم الخليل مصطلحات أخرى مثل (أحياز، حيز، مَدْرَج، مدرجة، موضع)² لتدل على موضع التقاء عضوي النطق لاعتراض الهواء لإنتاج الصوت، لكن سيبويه واللغويين بعده ثبتوا مصطلح المخرج، ولم يستخدموا في أغلبهم المرادفات التي استخدمها الخليل. وورد المصطلح في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
مخرج	Place of articulation	بعلبيكي، المنظمة
	Point d, articulation	المسدي، عارف، البركة، الحمزاوي
	Point of articulation	حجازي، عمر، بعلبيكي، مبارك

يتفق مفهوم المخرج عند سيبويه واللغويين المحدثين؛ فهو موضع التقاء عضوي النطق (الثابت والمتحرك) لاعتراض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضاً تاماً أو جزئياً.

2- 2- مصطلحات أعضاء النطق والمخارج.

2- 2- 1- مصطلحات الحلق.

2- 2- 1- 1- حَلَق: يقول سيبويه: عن مخارج الأصوات: "فللحلق منها [الأصوات الحلقية] ثلاثة"³. ويقول ابن جني: "ثلاثة منها للحلق"³. ويعود

¹ سيبويه، 431/4، ابن جني، 48.

² الخليل 1/ 52، 57.

³ سيبويه، 433/4، وابن جني، 46

المصطلح إلى الخليل الذي يقول: "العين والحاء والحاء والغين والفاء حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق"¹. وقد ورد المصطلح في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
حلق	Larynx	الحمزاوي، بعلبكي
	Pharynx	بعلبكي، السيد، الحميدان (مترجم)

ويختلف مفهوم الحلق قديماً عنه حديثاً؛ فقد يمتد المفهوم ليشمل الحنجرة وأقصى الفم، وهو ما جعل القدماء يصفون الغين والحاء بالحلقيّة، في حين يدلّ حديثاً على التجويف الواقع فوق الحنجرة وأسفل أقصى الفم². وكان اختلاف المفهوم سبباً في محاولة بعض المحدثين الابتعاد عن مصطلح الحلق واستخدام مصطلح البلعوم مقابل لـ Pharynx؛ ليقصد به تجويف فوق الحنجرة وأسفل أقصى الفم؛ فقد استخدم د/ بعلبكي مصطلح (حنجرة) مقابل لـ larynx ووضع الحلق مرادفاً له، واستخدم (بلعوم) مقابل لـ pharynx، ووضع (حلق) مرادفاً له³.

2- 1- 2- 2 أقصى الحلق: يقول سيبويه: "فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف". ويقول ابن جني: "فأولها من أسفله وأقصاه"⁴. ويكاد يتفق مع الخليل في عبارته حيث قال: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة"⁵. وقد ورد المصطلح في الدراسات الحديثة في معجم المصطلحات اللسانية للمنظمة العربية كالآتي: (أقصى الحلق - post pharynx). وربما يقصد الخليل بأقصى الحلق الحنجرة؛ إذ يحدد مخرج الهمزة، فأقصى الحلق هو الحنجرة⁶، ويرى د/ بشر أن هذا الفهم لـ (أقصى الحلق) يعود إلى سيبويه وليس الخليل، ولكن النص السابق قاطع في نسبة هذا الرأي إلى

¹ الخليل، 1/ 58.

² أنيس، 19، بشر، 306

³ الخولي، 150، بعلبكي، 276، 370

⁴ سيبويه، 433/4، وابن جني، 46.

⁵ الخليل، 1/ 52.

⁶ بشر، 291

الخليل، وقد وافق المعجمُ الموحدُ للمنظمة الخليل في المصطلح والمفهوم، ويستخدم أغلب المحدثين مصطلح (حنجرة) للتعبير عن أقصى الحلق¹.

2- 1- 3 - أَوْسَطُ/ وَسَطُ الْحَلْق: يقول سيبويه: "ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء"، ويقول ابن جني: "ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء"². ولم يرد المصطلح فيما عدت إليه من مراجع لغوية حديثة.

2- 1- 4 - أَذْنَى الْحَلْق: يقول سيبويه: "وأدناها [الحروف الحلقية] مخرجاً من الفم الغين والحاء". ولم يستخدمه ابن جني بعده بل قال "ومما فوق ذلك [وسط الحلق] مع أول الفم"³، ويعود هذا المصطلح المركب فيما يبدو إلى سيبويه إذ لم يستخدمه الخليل قبله، وحديثاً استخدمه د/ بعلبكي⁴.

2- 2- 2 مصطلحات الحنك:

2- 2- 1- حَنَكٌ أَعْلَى: قال سيبويه: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الثنايا مخرج النون"، ويقول ابن جني "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية مخرج اللام"⁵، ويبدو أن المصطلح يعود إلى سيبويه إذ استخدم الخليل مصطلح الغاريقول: "ثلاثة ذليقة ر ل ن، تخرج من ذَلَقَ اللسان من طَرَفَ غار الفم"⁶، وقد استخدم مصطلح الحنك الأعلى حديثاً كما يبدو في

الجدول الآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
حَنَكٌ أَعْلَى	Palait superieur	المسدي
	palate High	السيد

¹ الخولي، 150، بعلبكي، 276.

² سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

³ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

⁴ بعلبكي، 370.

⁵ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

⁶ الخليل، 51/1.

ويبدو أن هذا الاستخدام محدود يعود إلى معجمين فقط من معاجم المصطلحات اللغوية الحديثة في حين خلت منه أكثر المعاجم والكتب المذكورة في قائمة مراجع البحث.

2- 2- 3- مصطلحات اللسان.

2- 2- 3- 1- أَقْصَى اللِّسَان: يقول سيبويه: "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف". ويقول ابن جني: "ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف"¹، ولم يستخدم الخليل مصطلح أقصى اللسان، وتبدو الدلالة العامة للكلمة في اللغة، وهو ما يمكن أن يلاحظ في مراحل الصك الأولى للمصطلحات إذ يؤخذ -غالباً - بمعيار المعنى اللغوي في بداية الاستخدام، ثم يتحول الاستخدام من هذه الدلالة اللغوية العامة إلى المفهوم المصطلحي الخاص الدقيق في المجال العلمي الخاص. ولم يرد هذا المصطلح فيما رجعت إليه من معاجم وكتب لعلم اللغة الحديث.

2- 2- 3- 2- حَافَةُ اللِّسَان: يقول سيبويه: "ومن أول حافة اللسان ووما يليها من الأضراس مخرج الضاد". ويكرر ابن جني العبارة نفسها². ولم يستخدم الخليل مصطلح أقصى اللسان، وتبدو الدلالة العامة للكلمة في اللغة، وهو ما يمكن أن يلاحظ في مراحل الصك الأولى للمصطلحات حيث يؤخذ -غالباً - بمعيار المعنى اللغوي في بداية الاستخدام، ثم يتحول الاستخدام من هذه الدلالة اللغوية العامة إلى المفهوم المصطلحي الخاص الدقيق في المجال العلمي الخاص. ولم يرد هذا المصطلح فيما رجعت إليه من معاجم وكتب لعلم اللغة الحديث.

2- 2- 3- 3- طَرَفُ اللِّسَان: قال سيبويه: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الثنايا مخرج النون"، وقد اختصر ابن جني العبارة فقال: "ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون"³. ويعود هذا المصطلح إلى الخليل فقد

¹ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

² سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

³ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

استخدمه في تحديد أصوات السين والصاد والزاي فقال: "والصاد والسين والزاء أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللسان وهي مُستدَقَّ طرف اللسان"¹. لكنه استخدم لغوي بعيد عن الاستخدام المصطلحي، ومما لاشك فيه فإن ولادة المصطلحات مع نشأة العلوم يأتي بداية من الاستخدام اللغوي العام وفق الدلالة اللغوية، ويحدث انتقال -مع كثرة استخدام المفردة اللغوية في مجال علمي بعينه - إلى المفهوم المصطلحي الدقيق للمفردة اللغوية المستخدمة بوصفها مصطلح في هذا المجال العلمي، وهنا يحدث الارتباط التصوري بين المفهوم المعين داخل المجال العلمي وبين الرمز المصطلحي في إطار المنظومة المصطلحية لهذا العلم. ويستخدم المحدثون مصطلح (طرف اللسان) بمفهوم (أسلته)، وهو ما يتضح من الجدول التالي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
طَرَف اللسان	Apex	شاهين (مترجم)، لوشن، المنظمة، عارف
	apex of tongue	مصلوح، السيد
	Blade	عبد الجليل
	Blade of the tongue	الحمزاوي ، السعران، فتيح (مترجم)، بدري، شاني، باكلا، المنظمة، بعلبكي
	Front of the tongue Lamina	- بعلبكي
	Pointe de la langue	المسدي
	tongue apex	السيد

قابل بعض اللغويين مصطلح (طرف اللسان) بـ (Apex)، وآخرون بـ (Blade)؛ بمعنى الحافة. كما نجد التعدد المصطلحي للدلالة على مفهوم واحد عند المحدثين حيث استخدموا (طرف اللسان، ودُلَّق، دُولَق، دُلَق اللسان) مترادفة بإزاء المكافئ. (Apex).

¹ الخليل، 1 / 58.

2- 2- 3- 4- ظَهَرَ اللِّسَانُ: يقول سيبويه، ومن بعده ابن جني: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء".¹ وقد استخدم الخليل هذا المصطلح فقال: "وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مَخْرَجِ التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظَهَرِ اللِّسَانِ"²، وتبدو الدلالة العامة للكلمة/ المصطلح في اللغة، وهو ما يلاحظ في المراحل الأولى لصوغ المصطلح حيث يؤخذ -غالباً - بمعيار المعنى اللغوي، ثم يُتحوّل إلى المفهوم المصطلحي. وقد استخدم المصطلح في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
	Dorsum	بعلبكي، المنظمة
ظَهَرَ اللِّسَانُ	Dorsum = dos de la langue	المسدي
	dorsum of tongue	مصلوح، السيد

لكن مفهوم ظهر اللسان لدى المحدثين مختلف؛ فمصطلح (Dorsum) يعني مؤخرة اللسان لا وسطه؛ وقد استخدم د/عمر (مؤخرة اللسان) مقابلاً لـ (Dorsum)، وكذلك د/ بعلبكي، واعتبر (ظهر اللسان) من المرادفات المصطلحية المستخدمة في المراجع العربية.³ ولكن المفهوم عند الخليل يقصد به الجزء الأعلى من اللسان إذ حدد به المسافة الفاصلة من مخرج التاء إلى مخرج الشين.

2- 2- 3- 5- وَسَطُ اللِّسَانِ: يقول سيبويه وابن جني: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء"⁴، ويكرر ابن جني العبارة نفسها، ولم يستخدم الخليل هذا المصطلح، ولم يرد مصطلح (وسط اللسان) عند المحدثين فيما عدت إليه من مراجع.

¹ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

² الخليل، 1/ 52.

³ عمر، 107.

⁴ سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

2- 2- 4 مصطلحات الأسنان.

2- 2- 4 1- أُصُول الثَّنَائِيَا: يقول سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء". وقد استخدم الخليل المصطلح المفرد (ثنايا)¹، وجاء سيبويه ليستخدم المصطلح المركب (أصول الثنايا)، وهنا نرى كيفية ولادة المصطلح المفرد لدى الخليل، وتركيب مصطلح آخر عند تلميذه سيبويه، ثم استخدام اللغويين له ليتم تثبيته في المنظومة المصطلحية للعلم، ولكن اللغويين المحدثين لم يستخدموه في الدراسات الحديثة التي عدت إليها.

2- 2- 4 2- أَطْرَافُ الثَّنَائِيَا: يقول سيبويه وابن جني: "ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء"²، ويعود المصطلح إلى الخليل "الثنايا العليا والثنايا السفلى"³، وهي المرة الوحيدة التي ذكر فيها الثنايا العليا، لكن سيبويه استخدم المصطلح بقوله: (أطراف الثنايا) دون الوصف (عليا)⁴، وقد ورد المصطلح (ثنايا عليا) في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
ثنايا عليا	Inclsives superiores	القرمادي (مترجم)، المسدي

وقد استخدم المصطلح في قطر عربي واحد (تونس)، حيث انتقل من ترجمة د/ صالح قرمادي 1966م إلى معجم د/ المسدي 1984م، ولم يستخدم المصطلح لدى اللغويين العرب المحدثين -فيما عدت إليه من مراجع - باستثناءهما.

2- 2- 5 - مصطلحات الشفتين.

2- 2- 5 1- شَفَاةٌ سُفْلَى: يقول سيبويه وابن جني: "ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء"⁵. ولم يرد المصطلح عند الخليل الذي أورد المصطلحين (شفة، وشفتان).

¹ الخليل، 1/ 52.

² سيبويه، 433/4، وابن جني، 47.

³ الخليل، 2/ 246.

⁴ سيبويه، 433/4.

⁵ سيبويه، 433/4، وابن جني، 48.

المصطلح	المكافئ	المستعمل
شفة سفلى	Lower lip	الخولي، بعلبكي، السيد،

اقتصر ذكر المصطلح -فيما عدت إليه من مراجع - على المعجمين السابقين.

2- 2- 5- 2 شَفَتَان: يقول سيبويه وابن جني: "ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"¹، وقد استخدم الخليل مصطلح (شفتان)، ولم يستخدم الشفة السفلى، قال الخليل: "وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفَتَيْن خاصة، لا تعملُ الشَفَتَان في شيء، من الحُرُوف الصَّاحِ إلَّا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"²، أما سيبويه فقد استخدم المصطلح المركب (الشفة السفلى)، ونرى تأثير ابن جني بسيبويه إذ يتفق نصاهما. وقد أورده د/ الخولي، وبعلبكي³.

2- 2- 6 مصطلحات الأنف.

2- 2- 6- 1 خَيَاشِيم: يقول سيبويه: "ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة"، وسار على خطاه ابن جني موضحاً المقصود بالخفيفة: "ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة، أي الساكنة"⁴، والمصطلح من وضع سيبويه، وتبعه اللغويون القدماء والقراء.

وجاء استخدام المصطلح عند اللغويين المحدثين كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
خياشيم/ خيشوم	Fosses nasales	القرمادي (مترجم)، حمزاوي
خياشيم	Nasal cavity	المنظمة
خياشيم	nasal fossae	السفروشي

2- 3- 3 مصطلحات الصفات.

¹ سيبويه، 4/433، وابن جني، 48.

² الخليل، 1/ 51.

³ الخولي، 161، بعلبكي، 288.

⁴ سيبويه، 4/434، وابن جني، 48.

2- 3- 1- **إِنْحِرَافٌ/ مُنْحَرِفٌ**: يقول سيبويه: "ومنها المنحرف، وهو شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت... وهو اللام"، ويقول ابن جني: "ومن الحروف حرف منحرف؛ لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما وهو اللام"¹.

ويعود المصطلح إلى الخليل الذي يقول: "أما سائر الحروف فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان... ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون"². وقد استخدم مصطلح انحراف/ منحرف حديثاً في الكتب والمعاجم، وجاء استخدامه كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
انحراف	deflection	الفاسي
	Deviance	بعلبكي، السيد
	Deviation	مصلوح، الحميدان، (مترجم) بعلبكي، محي الدين، السيد
	Skewing	بعلبكي

وهناك من استخدم مصطلح (جانبي) لمفهوم الصوت المنحرف؛ وربما كان ذلك للابتعاد عن المعنى اللغوي العام للكلمة، وإذا كنا نستطيع وصف الصوت بالـ(جانبي) ليرادف (منحرف)، فإننا لا نستطيع استخدام المصدر (مُجَانِبَة) مرادفاً لـ(انحراف)، كما يستخدمون مصطلح الأصوات (البَيْنِيَّة) للدلالة على الراء واللام والنون³.

2- 3- 2- **جَهْرٌ/ مَجْهُورٌ**: يقول سيبويه مقسماً الأصوات إلى مجهورة ومهموسة: "فالمجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والضم"،

¹ سيبويه، 435/4، وابن جني 63.

² الخليل، 1/ 52.

³ بشر، 345، عمر، 320.

ويقول: "التاء والذال... شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس"، ويكرر ابن جني نصَّ سيبويه في تعريفه للمجهور: "فمعنى المجهور أنه حرف أشبع..."¹. وقد استخدم الخليل مصطلح (جَهارة)، فقال: "الهمسُ: حسَّ الصَّوت في الضمِّ ممَّا لا إشْرَابَ له من صَوْتِ الصَّدر، ولا جَهارة في المنطق، ولكنَّه كلامٌ مَهْمُوسٌ في الضمِّ كالسرِّ". وقال: "كلامٌ جَهيرٌ، وصوتٌ جَهيرٌ، أي: عالٍ"²، إن عبارتي الخليل تمثلان مولد مصطلح ما للتعبير عن مفهوم الجهر، وهو ما يؤكد وعي الخليل بمفهوم الجهر والهمس دونما تحديد لسببه، مع استخدام كلمة (جَهارة) للتعبير عن مفهوم الجهر، ثم يأتي تلميذه سيبويه ليستخدِم مصطلح (الجهر، ومجهور)، وربما كان الخليل قد استخدم مصطلح الجهر في دروسه لتلاميذه ومنهم سيبويه، إن نصِّي الخليل السابقين يقويان رأي من ينسب مصطلح الجهر إلى الخليل³، وإذا كان مصطلح (جَهارة) -مصدر جَهَر - لم يكتب له الاستخدام قديماً وحديثاً، فإن مصطلح (جَهَر) -مصدر جَهَر - قد استخدمه سيبويه، وثبَّته تلامذته، فشاع المصطلح قديماً وحديثاً. ويستخدم اللغويون المحدثون (الجهر، والمجهور) بإزاء المكافئ الإنجليزي (voice, voiced)⁴.

2- 3- 3- هَمْسُ/ مَهْمُوسُ: يقول سيبويه معرِّفاً المهموس: "وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه"، ويحاول ابن جني إيضاح بعض جوانب تعريف سيبويه بالتمثيل فيقول: "...وأنت تعتبر ذلك بأنه يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت، نحو سسس..."⁵، ويعود المصطلح إلى الخليل الذي يقول: "الهمسُ: حسَّ الصَّوت في

¹ سيبويه، 4/ 434، 461، وابن جني 61.

² الخليل، 10/4، 388/3.

³ الزجاج، 1/ 419.

⁴ الخولي، 303، بعلبكي، 531.

⁵ سيبويه، 4/ 434، ابن جني، 60.

الضم مما لا إشرابَ له من صَوْتِ الصَّدر، ولا جَهارة في المنطق، ولكنه كلامٌ مَهْمُوسٌ في الضم كالسرَّ¹.

إن نصَّ الخليل واضح الدلالة على إدراكه لمفهوم الهمس، فهو صوت لا يختلط به صوت الصدر، وقد يكون صوت الصدر الأثر السمعي لاهتزاز الشفتين الصوتيتين عند النطق بالمجهورات، وهو ما يؤكد قوله ولا جَهارة في المنطق، وهناك من يرى أن الخليل لم يستخدم مصطلح (الهمس)، وإنما هو لسيبويه²، ولكن النص السابق يؤكد أن المصطلح للخليل، وأخذه عنه تلميذه سيبويه، بل إن نصَّ الخليل يمتاز بوضوح مفهوم الهمس بإزاء الجهر وإن لم يلتفت إليه علماء العربية - عكس نصَّ سيبويه السابق.

وقد شاع المصطلح حديثاً، واقترب مفهومه كثيراً من المفهوم الخليلي، فهو صوت لا يصاحب نطقه اهتزاز الشفتين الصوتيتين³، وهذا الاهتزاز هو السبب في الأثر السمعي الذي أشار إليه الخليل بـ (صوت الصدر وجهارة المنطق)، والجدول الآتي يوضح استخدام المصطلح في الدراسات الحديثة:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
همس	Chuchotement	نور الدين، البركة
	Devocalization	السيد
	Sourdite	القرمادي (مترجم)
	Whisper	الحميدان (مترجم) شاني، باكلا، المنظمة، بعلبكي

2- 3- 4- رَخَاوَة/ رَخْو: يقول سيبويه مصنفاً الأصوات: "ومنها الرخوة وهي الهاء...والفاء، وذلك إذا قلت الطس وانفض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت"، ويقول ابن جني: "وللحروف انقسام آخر من حيث الشدة والرخاوة"⁴.

¹ الخليل، 10/4.

² الصيغ، 108.

³ بعلبكي، 536.

⁴ سيبويه، 434، ابن جني، 61.

ويعود هذا المصطلح إلى سيبويه، ويميل المحدثون إلى استخدام مصطلح الاحتكاك، واحتكاكي، وإن ورد المصطلح (رخو) عند الخولي وبعليكي بمفهوم مختلف؛ إذ يدل على صامت يرافق نطقه جهد عضلي ونَفَسِيّ ضعيف نسبياً¹.

2- 3- 5- شِدَّة/ شَدِيد: يقول سيبويه: "ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"، ويقول ابن جني موضحاً المفهوم بالتمثيل: "ومعنى الشدید أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه ألا ترى أنك لو قلت الحق والشط، ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتهناً"².

وقد ذاع المصطلح قديماً لدى اللغويين، ومازال القراء يستخدمونه إلى اليوم، وإن مال اللغويون المحدثون إلى استخدام مصطلح وقفي أو انفجاري، وقد أورده د/ بعليكي مرادفاً لانفجاري³.

2- 3- 6- إِسْتِعْلَاء/ إِطْبَاق - مُسْتَعْلٍ/ مُطَبَّق: استخدم سيبويه المصطلحات الأربع؛ فيذكر المصطلحين (استعلاء/ مستعل) عند حديثه عن أسباب منع الإمالة: "وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى"، ويفرق ابن جني بين الاستعلاء والإطباق في قوله: "وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض فالمستعلية سبعة وهي الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والطاء وما عدا هذه الحروف فمنخفض ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق وقد ذكرناها وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها"⁴.

وقد استخدم الخليل مصطلح مطبقة، إذ جاء في العين: "وكان الخليل يُسَمِّي الميم مُطَبَّقة؛ لأنها تطبق الفم إذا نُطِقَ بها"، وقال الخليل: "والميم مطبقة؛ لأنك إذا تكلمت بها أطبقت"⁵، وقد تغير هذا المفهوم عند سيبويه، فأصبح الإطباق لديه رفع اللسان إلى الحنك الأعلى؛ إذ يقول: "ومنها المطبقة

¹ الخولي، 152، بعليكي، 278.

² سيبويه، 434/4، وابن جني، 61.

³ بعليكي، 183.

⁴ سيبويه، 128/4، ابن جني، 62.

⁵ الخليل، 58/1، 421/8.

والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، كما يقول: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"، ويؤكد ابن جني قول سيبويه إذ يقول: "وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح فالمطبقة أربعة وهي الضاد والطاء والصاد والظاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه"¹، وقول سيبويه وابن جني بوضع الطاء في مقابل الدال لا التاء، وخلو الضاد من المقابل، له احتمالات عديدة؛ كأن يكونا وصفاً طاء وضاداً غير المعاصرتين في نطق المجيدين في تلاوة القرآن الكريم، وهو الاحتمال الأكبر؛ لأن متابعة ابن جني سيبويه في هذا النص قد تؤكد أن سيبويه لم يكن على خطأ حين وصفه لطاء بمقابلة الدال لا التاء.

وقد اشتهر مصطلح (مطبق/ مستعل) لدى علماء التجويد، كما أُستُخدم المصطلح في الدراسات الحديثة كآلاتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
مطبق	Emphatic	حجازي، السيد
	Pharyngeal	السيد
	Velarized	عمر، بدري، فتيح (مترجم)، عبد الجليل الخولي، بعلبكي،

يقابل بعض المحدثين مصطلح (مُطَبَّق) بـ (Pharyngeal) وآخرون بـ (Velarized)؛ فالأول مُحَلَّق، أي صوت حلقي، والثاني مُطَبَّق أي صوت يتصف بارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق (الحنك اللين)².

2- 3- 7- - إنْفَتْاح - مُنْفَتْح/ مَفْتُوح: يقول سيبويه: "ومنها [الأصوات] المطبقة والمنفتحة؛ فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك". ويقول ابن جني: "وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح

¹ سيبويه، 436/4، ابن جني، 61.

² عمر، 326.

فالمطبقة... وما سوى ذلك فمفتوح"¹، وقد استخدم سيبويه اسم الفاعل من المطاوع، في حين استخدم ابن جني اسم المفعول من الثلاثي، وهو أحد أسباب تعدد المصطلح، ولم يرد المصطلح فيما عدت إليه من مراجع لغوية حديثة.

2- 3- 8 تكرر/ مكرر: يعود المصطلح إلى سيبويه الذي يقول: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء"، ويقول ابن جني: "ومنها المكرر وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير"². وقد استخدم مصطلح التكرار والتكرير عند اللغويين والقراء قديماً وحديثاً. وإن استخدمه د/ الخولي بمفهوم مغاير ليقابل (Frequency)³. وبذلك نلاحظ تعدد المفهوم للمصطلح الواحد. وهو أحد مظاهر إشكالات المصطلح اللغوي المعاصر.

2- 3- 9 صفيير: يقول سيبويه: "أما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن لأنهن حروف الصفيير". ويقول ابن جني: "وحروف الصفيير -وهي الصاد والسين والزاي - لا يتركب بعضها مع بعض"⁴. وقد استخدم الخليل المصطلح، ولكن بدلالة لغوية لا مصطلحية: "الصفيير من الصوت كما تصفير بالدواب إذا سقيت"⁵. ويؤكد هذا النص مولد المصطلح أو ظهور مفهومه -على أقل تقدير - على يد الخليل، وليس لسيبويه كما هو شائع⁶، وقد ورد المصطلح في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
صفيير	Whistle	محي الدين، السيد
	Sifflement	المسدي

¹ سيبويه، 4/ 436، ابن جني، 61.

² سيبويه، 4/ 435، ابن جني، 63.

³ الخولي 98.

⁴ سيبويه، 4/ 464، ابن جني، 817.

⁵ الخليل، 7/ 114.

⁶ الصيغ، 157.

واستخدم بعلبكي مصطلح (صفيري) للتعبير عن المفهوم نفسه¹. ويتفق المحدثون على نسبة صفة الصفير إلى أصوات ال(س، ص، ز)، نظراً لقوة احتكاك الهواء في نقطة المخرج²، ولكن هذه الأصوات ليست الأكثر احتكاكية؛ فالشين أكثر احتكاكاً منها، وربما يعود هذا الوصف إلى نصّ الخليل السابق.

2- 3- 10 - قَلَقَلَة. يقول سيبويه: "اعلم ان من الحروف حروفاً مشربة ضُغِطَتْ من موضعها، فإذا وقفت عليها خرج من الضم صُوتٌ، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة"، ويقول ابن جني: "اعلم أن في الحروف حروفاً مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي القاف والجيم والطاء والذال والباء؛ لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط"³. وقد ورد المصطلح عند الحمزاوي فقط في معجمه مقابلًا لـ (sonorisation)، ويقصد بها "المبالغة في جهر الصوت لئلا تشوبه شائبة من همس"⁴. وهو المفهوم نفسه عند ابن جني.

2- 3- 11 - لَيْن / لَيْن: يقول سيبويه: "ومنها اللَّيْنَة، وهي الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما"، ويقول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو"⁵، والمد هو طول زمن النطق، واللين عكس الحروف الصّحاح، وربما كان العطف بين المد واللين من قبيل التأكيد، وعموماً فإن المصطلح اللغوي قديماً بني كثيراً على أصل الدلالة اللغوية للمفردة التي تنتقل من معجم اللغة العامة إلى المعجم المصطلحي.

ويعود المصطلح إلى الخليل وهو يصف الألف باللين، يقول: "وَتَفْسِيرُ الثَّلَاثِي الصَّحِيح أن يكونَ ثلاثةَ أَحْرَفٍ ولا يكون فيها واوٌ ولا ياءٌ ولا ألفٌ لَيْنَة ولا

¹ بعلبكي، 453.

² عمر، 118.

³ سيبويه، 4 / 174، ابن جني، 63.

⁴ الحمزاوي، 161.

⁵ سيبويه، 4 / 435، ابن جني، 17.

همزة في أصل البناء؛ لأن هذه الحروف يُقال لها حُرُوف العِلَل¹، وقد أُستُخدم المصطلح في الدراسات الحديثة كالآتي:

المصطلح	المكافئ	المستعمل
لَيِّن	Lax	الخولي، المنظمة، بعلبي، مبارك، السيد
	Laxness	السيد
	Loose	بعلبي
	Slack (phon)	بعلبي
	Slack (poet)	بعلبي

وجاء المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة بمفهوم مغاير قليلاً، فهو "صفة لصائت لا يصاحبه توتر كبير في أعضاء النطق مثل /a/...²"، وقد جاءت المصطلحات الأجنبية المكافئة مترادفة ماعدا Slack (poet) الذي يمثل مشتركاً لفظياً، إذ يدل على مفهوم المقطع غير المنبور في التفعيلة العروضية، وبذلك يقع الاشتراك في المفهوم المصطلحي، حيث يدل (لَيِّن) على مفهومين؛ أحدهما صوتي خالص، والآخر صوتي عروضي.

2- 3- 12 - هاو: يقول سيبيويه: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف"³، ولم يستخدم ابن جني هذا المصطلح. ويعود المصطلح إلى الخليل الذي يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً...، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة...، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إلا الجوف"⁴. لقد وصف الخليل (و، ي، ا، ء) بالـ(هاوية)؛ لكونها لا تعتمد على مخرج كالأصوات الصامتة، لكن سيبيويه خصَّص المصطلح وصفاً للألف

¹ الخليل/ 1/ 59. وانظر، 8/ 308.

² الخولي، 151، بعلبي، 277، 295، 458

³ سيبيويه، 435.

⁴ الخليل، 1/ 57.

دون غيرها، وإذا كان هذا المصطلح قد شاع لدى اللغويين القدماء وعلماء التجويد وأُستُخدم لوصف الألف، إلا أنه لم يستخدم في الدراسات اللغوية الحديثة فيما عدت إليه من مراجع.

3 - الخاتمة

حاول البحث أن يقدم المصطلحات الصوتية في الكتاب لسيبويه ت180هـ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ت392هـ، التي توزعت على قسمين: مصطلحات عامة، ومصطلحات علم الأصوات النطقي، وكانت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

3- 1 - جاء استخدام سيبويه وابن جني للمصطلح في إطار الضرورة لبناء الموضوع الذي يكتبان فيه، إلا ما كان من ابن جني أحياناً من شرحه لمفهوم مصطلحي عن قصد، كما في تأصيله لمصطلح (الحرف).

3- 2 - جاء منهج سيبويه وابن جني في ذكرهما للمصطلح متعددًا باستخدام؛ شرح تسمية المصطلح من خلال التمثيل كشرحه القلقة، أو وضعه مع مضاده مثل مصطلح الجهر الذي وُضع بإزاء الهمس، أو بتقديم مفهومه في منظومة العلم مثل شرحه المهموس والمجهور. لكنهما تركا بعض المصطلحات دون شرح أو تأصيل، وإن كان المفهوم واضحاً من الدلالة اللغوية للمصطلح، ومن السياق أيضاً.

3- 3 - أضاف ابن جني بعضاً من المصطلحات كان هو أول من استخدم مصطلح: جرس، وصدى، وعلم الأصوات والحروف.

3- 4 - ويمكننا أن نلاحظ مجموعة من الظواهر المصطلحية عند سيبويه وابن جني؛ فإن مرحلة سيبويه هي مرحلة تأصيل المصطلح الخليلي، وتأتي مرحلة ابن جني بعد ذلك بقرن لتأكيد بنية الجهاز المصطلحي لعلم الأصوات، والذي ولد في أغلبه على يد الخليل بن أحمد، وبني على يد تلميذه سيبويه، ثم جاء اللاحقون ليثبتوا هذه المصطلحات في درسه وكتبهم.

3- 5 - إن تثبيت المصطلحات حفظ للعلم، وتأكيد لأسسه، وتقوية لدعائمه، وليست تحجراً للعلم أو عدم إبداع، وإنما كان اللغويون -أمثال ابن جني - عاملين على تقوية الصرح العلمي، وتثبيت دائم العلوم؛ وهي المصطلحات

التي بذل السابقون الجهد في وضعها، ومتى لم تكن حاجة علمية لوضع مصطلحات أخرى، فإن الحفاظ على المنظومة المصطلحية التي وصلت إلى ابن جني عبر أساتذته وكتب السابقين أمر مهم لتماسك البنية العلمية، والتطوير من داخلها؛ ولذلك قلَّ عند ابن جني الترادف والاشتراك اللفظي بين المصطلحات ومفاهيمها؛ كي لا تتفكك المنظومة المصطلحية، ويصير لكل باحث مصطلحاته ومفهوماته الخاصة؛ فيعوق التطور العلمي.

3- 6 - وإذا كانت مرحلة الخليل تتميز بكثرة المرادفات المصطلحية (مخرج/ مدرج/ حيز)، فإن سيبويه عمل على تنقية هذه المرادفات، واستخدام واحد منها، فيصبح (المخرج)، وعليه صار من جاء بعده ومنهم ابن جني؛ ولذلك جاءت مصطلحات سيبويه وابن جني ضمن الاستخدام الضروري لتقديم المعلومة.

3- 7 - إذا نظرنا إلى استخدام المتخصصين في علم اللغة الحديث لمصطلحات سيبويه وابن جني نجد مصطلحات مستخدمة بكثرة وبالمفهوم الذي استخدمه سيبويه وابن جني؛ مثل: (مخرج)، ومصطلحات مستخدمة مع تغيير في المفهوم؛ مثل: (حلق)، ومصطلحات مستخدمة مع تعدد المفهوم؛ مثل: (حرف) لمفهوم الشكل الكتابي، ومفهوم الصوت الصامت، وهو عند سيبويه وابن جني للصوت الصامت أو الصائت. وقد أُستُخدمت بعض المصطلحات في بلد عربي واحد؛ مثل (ثنايا عليا) استخدمها القرمادي، المسدي في تونس. كما أن هناك مصطلحات مستخدمة في الكتب والمعاجم، وهي كثيرة؛ مثل (مخرج). ومصطلحات أُستُخدمت في المعاجم فقط، وهي تمثل رصيذاً معجمياً مُهملاً، مثل (أقصى الحلق).

وبعد فإن البحث قد حاول أن يُقدِّم خارطة ذهنية للمصطلح الصوتي عند سيبويه وابن جني من خلال العلاقة المنظومية التي تربط المصطلحات، فقدَّم البحث تصنيفاً للمصطلحات، وحلَّلها. ولم يتوقف عند ذلك بل عرض لاستخدامها في الدراسات اللغوية الحديثة، وقد توقف عند معاجم علم اللغة الحديث، والكتب التي تحتوي مسارد مصطلحية. ويرجو الباحث أن يكون قد وفَّق في ذلك، والحمد لله أولاً وآخراً.

المراجع

- أنيس (دت)، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- باكلا، (1983)، محمد حسن وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان - بيروت - ط1.
- بدري (1988)، د/ كمال إبراهيم بدري، علم اللغة المبرمج الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية، جامعة الملك سعود - الرياض.
- البركة (1984)، بسام، معجم اللسانية، جروس برس - طرابلس - لبنان - .
- بشر (2000)، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة.
- بعلبكي (1990)، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين - بيروت - ط1.
- بكداش (مترجم) (1984)، مارك ديشل - ت كمال بكداش، اكتساب اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - ط1.
- ابن جني، (1993)، سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداي، دار القلم - دمشق - ط3.
- حجازي (1981)، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة - القاهرة.
- الحمزاوي، (1977)، محمد رشاد الحمزاوي، معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوثيات الجامعة التونسية، تونس، عدد 14.
- الحميدان (مترجم)، (1999)، الموسوعة اللغوية، ن.ي. كولنج - ت: محي الدين الحميدان، د/ عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض.
- الخليل، (1980)، ابن أحمد الفراهيدي، العين، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد.
- خليل (مترجم)، (1979)، ديفيد كريستل، التعريف بعلم اللغة، ت: حلمي خليل، الهيئة العامة للكتاب - الإسكندرية - ط1.
- خليل، (1995)، خليل أحمد، معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني - بيروت - ط1.
- الخولي (1982)، محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان - بيروت - ط1.
- الزجاج (1973)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، المطابع الأميرية، القاهرة.
- السعران، (دت)، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية - بيروت.
- السفروشنى، (1987)، إدريس، مدخل للصوائتة التوليدية، دار توبقال - الدار البيضاء - ط1.
- سيبويه، (1983)، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

- السيد، (2000)، صبري إبراهيم، معجم مصطلحات العلوم اللغوية (يورك)،
لونهايمان - القاهرة - ط1.
- السيد (مترجم)، (1986)، ف. ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري
إبراهيم السيد، دارقطني بن الفجاءة - الدوحة.
- شاني، (1977)، عبد الرسول شاني، معجم علوم اللغة، اللسان العربي، الرياض، مجلد 15،
ج2.
- شاهين (مترجم)، (1984)، برتيل مالمبرج، علم الأصوات، - ت د/ عبد الصبور شاهين،
مكتبة الشباب - القاهرة.
- الصيغ (1998)، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق.
- عارف، (1993)، محمد نجيب، قاموس علم اللغة الحديث، المكتبة القومية - طنطا.
- عبد الجليل، (1998)، عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر - عمان - ط1.
- عزيز (مترجم) (1988)، دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل عزيز، بيت الموصل -
العراق.
- عمر، (1976)، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب - القاهرة.
- الفاسي (1983)، عبد القادر، المصطلح اللساني، اللسان العربي، الرياض،
ج1 - اللسان العربي - الرياض - عدد 23.
- ج2 - اللسان العربي - الرياض - عدد 26.
- ج3 - اللسان العربي - الرياض - عدد 27.
- ج4 - اللسان العربي - الرياض - عدد 28.
- فتية (مترجم)، (1988)، ديفيد ابركرومي، مبادئ علم الأصوات، ترجمة: محمد فتية،
القاهرة - ط1.
- القرمادي (مترجم)، (1966)، جان كانتيني، دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة:
صالح القرمادي، الجامعة التونسية - تونس.
- لوشن، (1995)، نور الهدى، علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، جامعة قار يونس - بنغازي -
ط1.
- مبارك، (1995)، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني - بيروت -
ط1.
- محي الدين، (2000)، محمد فوزي، القاموس الشامل لمصطلحات علم اللغة، التطبيقية،
دار الثقافة للطباعة - الدوحة - ط1.
- المسدي (1984)، عبد السلام، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب.
- مصلوح (2000)، سعد، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب - القاهرة.

- مصلوح (مترجم) (2002)، أرست بلوجرام، مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ترجمة: سعد مصلوح، عالم الكتب - القاهرة.
- المنظمة (1989)، المنظمة العربية للتربية، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس.
- نور الدين، (1992)، عصام، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني - بيروت - ط1.



**مساهمة العلاقات العامة في دعم الاتصالات التسويقية البيئية
المتكاملة وتحقيق فعالية الأداء البيئي للمنظمات الاقتصادية**
**The Contribution Of Public Relations In Supporting
Integrated Environmental Marketing Communications And The
Effective Environmental Performance Of Economic
Organizations**

ليلى سليمان¹، سمير رحمان²

1 - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية - الجزائر.

2 - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 01 الحاج لخضر.

Pr.slimani.l@gmail.com

slimani.leila@univ.ghardaia.dz

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-07-21

الملخص -

مثلت البيئة بقضاياها المتعددة مطلبا استراتيجيا لتحقيق أبعاد التنمية المستدامة باعتبارها تراثا إنسانيا مشتركا، وجزءا لا يتجزأ من حقوق الإنسان؛ فقد شرعت المحافل الدولية جملة من الاتفاقيات والسياسات والاستراتيجيات التي تكفل ضمان هذا الحق.

فكان لزاما على المؤسسات الاقتصادية باعتبارها أحد الأطراف الفاعلة والمسؤولة -لما يترتب على أنشطتها من تأثيرات جليلة وواضحة على البيئة -أن تعيد تقييم سياساتها الشاملة؛ لتكون أكثر التزاما بمسؤوليتها البيئية والاجتماعية، وذلك بدمج الاعتبارات البيئية التي تمكنها من تصحيح أدائها البيئي؛ استجابة للاشتراطات البيئية التي فرضتها التشريعات الدولية والمحلية المتعلقة بحماية البيئة.

كل ذلك يرتبط بمدى قدرة تلك المؤسسات على وضع الأسس الكفيلة التي تحد من تأثير أنشطتها على البيئة؛ لتحقيق الانسجام مع محيطها، وتحافظ

على صورتها، وتضمن بقاءها واستمرارها. وتعتبر العلاقات العامة أحد الروافد الهامة لتحقيق ذلك.

ومن هنا؛ استقت هذه الورقة البحثية أهميتها، مبرزة مكانة العلاقات العامة ودورها في دعم الاتصالات التسويقية البيئية المتكاملة، باعتبارها آلية اتصالية ضمن المزيج التسويقي البيئي، وكذا التركيز على الوظيفة الاتصالية للعلاقات العامة في إدارة صورة وسمعة المؤسسة، بما يسهم في تعزيز أدائها البيئي.

الكلمات الدالة-

العلاقات العامة - الاتصالات التسويقية المتكاملة - الأداء البيئي - المسؤولية البيئية - الصورة الذهنية - سمعة المؤسسة .

Abstract -

The Multiple Issues Of The Environment Are Presented As A Strategic Imperative, In Order To Realize The Dimensions Of Sustainable Development, Being A Common Human Heritage And An Integral Part Of Human Rights; International Forums Have Embarked On A Number Of Conventions, Policies And Strategies To Ensure This Right.

Economic Institutions, As One Of The Effective Members Responsible For The Clear And Visible Impact Of Their Activities On The Environment, Had To Reassess Their Overall Policies To Be More Committed To Their Environmental And Social Responsibilities By Incorporating Considerations That Would Enable Them To Correct Their Performance In Response To Requirements Imposed By International And Domestic Legislation On Environmental Protection.

This Is Linked To The Extent To Which They Are Able To Establish The Necessary Foundations That Limit The Impact Of Their Activities On The Environment In Order To Harmonize With Their Surroundings, Preserve Their Image And Ensure Their Survival And Continuity, And Public Relations Are An Important Tributary To This End.

Hence, This Research Paper Is Important To Highlight The Position And Role Of Public Relations In Supporting Integrated Environmental Marketing Communications As A Mechanism Within The Environmental Marketing Mix, As Well As Focus On The Public Relations Communication Function In Managing The Image And Reputation Of The Organization, Thereby Contributing, Strengthening And Activating Its Environmental Performance.

Keywords -

Public Relations - Integrated Marketing Communications- Environmental Performance - Environmental Responsibility- Mental Image- The Reputation Of The Organization.

مقدمة :

إنّ التطورات الاقتصادية الراهنة التي تشهدها المنظمات بصفة مستمرة، فرضت عليها ضرورة أن تُؤلي اهتماماً لتقييم أدائها البيئي، إلى جانب تقييم أدائها الاقتصادي، والتوجّه نحو تبني ممارسات إدارية جديدة ارتبطت بالتنمية المستدامة.

ويعتبر الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية والبيئية مقوّمًا من المقومات الهامة لتحقيق ذلك؛ باعتباره أحد أهمّ الرّهانات التي تواجه منظّمات الأعمال اليوم؛ وذلك لأنّ دمج الاعتبارات البيئية ضمن استراتيجياتها وممارساتها التسويقية، يترتب عليه الإفصاح عن الأداء البيئي «وهو ما يمثل تحديد قيم لجميع عناصر التكاليف المتولدة عن التزام المنشأة بمسؤوليات اجتماعية وبيئية معينة، سواء كان هذا الالتزام بمحض اختيارها أو قصرا بموجب القانون»[□]، فهو بذلك الأداة التي تعبر من خلالها المؤسسة عن الإيفاء بالتزاماتها تجاه البيئة والمجتمع، موضحة لكل الأطراف المستفيدة التكاليف البيئية التي تتحملها، والمترتبة على تأثير أنشطتها على البيئة ومدى انعكاس ذلك على البيانات المالية الخاصة بها. وتأسيسا على ما تقدم؛ يتوجب على المؤسسات التي تتبنى المسؤولية الاجتماعية والبيئية إيجاد سياسة بيئة تبرز وتحدد فيها المؤشرات التي ترتبط بأدائها البيئي؛ كترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، الحد من تأثير أنشطتها على البيئة، اتباع تكنولوجيا الإنتاج الأنظف وغيرها ... وبهذا عليها تحديد سلوكها البيئي ضمن سياسة تسويقية بيئية؛ وقد حدد مفهوم التسويق الأخضر معالم هذه الأخيرة، وما تحمله من آفاق جديدة وأهمية كبرى للمؤسسات، تمكنها من تحسين سمعتها لدى عملائها، وتسهم في تعظيم أرباحها وزيادة حصصها التسويقية واكتسابها لمزايا تنافسية .

غير أنّ تبني فلسفة التسويق البيئي ليس بالعملية الاعتبائية، وإنما هو عملية معقدة وديناميكية، تتحكم فيها مجموعة من العوامل المتغيرة، لذا تسعى

المؤسسات إلى تبني المفهوم الجديد الذي يختص بالاتصالات التسويقية المتكاملة **IMC* integrated marketing communications** والذي يشير في مضمونه إلى الجهود «التي تسعى إلى تحقيق الأهداف الترويجية للوصول إلى الأسواق المستهدفة، والتوعية بمنتجات المؤسسة وخدماتها، حيث يعتبر مزيجاً من الأدوات الترويجية بما فيها: الإعلان، البيع الشخصي، ترويج المبيعات، التسويق المباشر، الإشهار، والعلاقات العامة»^{٦٧}. هذه الأخيرة -أعني العلاقات العامة - تعد أهم أدوات الترويج ضمن منظومة الاتصال التسويقي المتكامل «حيث يرى توني جرينر Tony Greener أن العلاقات العامة هي العرض الايجابي لمنظمة ما أمام كل الجماهير»^{٦٨}.

وعلى ضوء ما سلف؛ تتجلى معالم الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة التطرق إليها من خلال السؤال الآتي:

- كيف تساهم العلاقات العامة في تحقيق فعالية الأداء البيئي للمنظمات الاقتصادية، من خلال دعمها للاتصالات التسويقية البيئية المتكاملة؟

وبذلك تتحدد أهداف هذه الدراسة فيما يأتي:

- معرفة العلاقة بين وظيفة العلاقات العامة كآلية ترويج ضمن المزيج التسويقي البيئي ومدى الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية والبيئية.
- إبراز وتوضيح دور الاتصال في العلاقات العامة لإدارة الصورة الذهنية للمؤسسة وسمعتها، بما يساهم في تحقيق وتفعيل أدائها البيئي.
- ولتحقيق هذه الأهداف تقرر تقسيم الورقة البحثية إلى أربعة محاور مفصلة فيما يأتي:

❖ **المحور الأول:** الإطار المفاهيمي للدراسة وأساسياتها (العلاقات العامة - الاتصالات التسويقية المتكاملة - الأداء البيئي)
❖ **المحور الثاني:** مكانة العلاقات العامة ضمن المزيج الاتصالي التسويقي البيئي.

❖ **المحور الثالث:** المجال التطبيقي للعلاقات العامة وارتباطه بالأداء البيئي.

❖ **المحور الرابع:** نماذج للأداء البيئي لبعض المؤسسات المهتمة بالبيئة.

1 - المحور الأول : الإطار المفاهيمي للدراسة وأساسياتها

1- 1 العلاقات العامة Public relation .

يعتبر مفهوم العلاقات العامة من أوسع المفاهيم تداولاً في الآونة الراهنه، فمختلف الدراسات التي تناولته أقرت بأهمية في مواكبة التغيرات التي تعيشها المنظمات اليوم، غير أنها لم تتوصل إلى ضبط مفهوم واحد جامع لمختلف عناصره، وفيما سيأتي نستعرض أهم التعريفات لهذا المفهوم.

- حيث عرفها لويس صالورون Louis Salleron «بأنها مجموعة الوسائل التي تستعملها المؤسسات لخلق جو من الثقة بين عمالها وبينها وبين الأوساط التي تتعامل معها وفي الجمهور العريض وبصفة عامة كي تحافظ على نشاطها وتضمن تطورها»^١.

- وفي ذات السياق يشير أدرمال باراديز إلى أن «العلاقات العامة في أوسع معانيها هي التعامل مع الناس للحصول على نجاح أو ربح ذاتي، وتتضمن أيضا الاهتمام بنشاط يؤدي إلى منفعة للجمهور وكسب ثقته وتأييده»^٢.

- كما يشترك بدوره نظام الجمعية الفرنسية للعلاقات العامة في إعطاء المفهوم نفس الأبعاد حيث يعرفها «بأنها الجهود التي يبذلها فريق ما لإقامة علاقات الثقة واستمرارها بين أعضائه بصورة مباشرة وبين الفريق وبين الجماهير التي تنتفع بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية التي تحققها المؤسسة»^٣.

ومن خلال التعريفات السالفة الذكر؛ يتضح أن مفهوم العلاقات العامة يتمحور حول ثلاثة عناصر أساسية وهي : المنظمة، الجمهور، والاتصال ذو اتجاهين لتحقيق المنفعة المتبادلة .

وفي سياق متصل يعرف البعض العلاقات العامة «بأنها نشر للمعلومات والأفكار والحقائق مشروحة ومفسرة لجماهير المؤسسة بغية الوصول إلى الانسجام أو التكيف الاجتماعي بين المؤسسة وجمهورها»^٤، حيث يركز هذا التعريف على الوظيفة الإعلامية للعلاقات العامة، من خلال تقديم مادة إعلامية، تبرز حقائق ومعلومات صحيحة وصادقة للجمهور، تشرح فيها سياسات المؤسسة وأنشطتها ووظائفها المتنوعة.

- وهو ما يؤكد ميلتون في قوله: هي «الأداء الصادق والإعلام عنه»[□]. وهو ما يعني أن وظيفة العلاقات العامة هي تقديم المؤسسة وصورتها بشكل شفاف وواضح من خلال الإفصاح على كل المعلومات التي يحتاجها الجمهور من أجل توطيد علاقته بها وكسب ثقته وزيادة اهتمامه بها
- كما تعرف أيضا بأنها «وظيفة الإدارة التي تقيس وتقوم وتتنبأ بالأراء والاتجاهات وردود الفعل المتوقعة من جمهور المؤسسة والجمهور الخارجي، وهي التي تتحكم في عملية الاتصال بين المؤسسة و جماهيرها؛ تحقيقا للمنفعة المتبادلة»[□]. وهنا يضيف التعريف دوراً مهماً في العلاقات العامة، وهو قياس اتجاهات الرأي العام الخاصة بالجمهور المرتبط بنشاط المؤسسة، وتفسيرها وتحليلها؛ لمعرفة أهم العوامل المؤثرة في تشكيل اتجاهات ايجابية نحو المؤسسة، وذلك يكون بالاستعانة بدراسات استطلاع الرأي.

بناء على ما سبق؛ نستخلص أنّ العلاقات العامة هي وظيفة إدارية واتصالية، تسعى إلى خلق نوع من التفاهم المشترك القائم على نقل الآراء والحقائق والسياسات ذات العلاقة بنشاط المؤسسة؛ لتكوين رأي إيجابي يسمح برسم صورة وسمعة جيدة لها لدى جمهورها وكافة متعاملاتها.

وليس يخفى أنّ تنوّع التعريفات الخاصة بالعلاقات العامة وتعدّدها؛ ينمُّ عن أهميتها كوظيفة أساسية وضرورية في المنظمات الحديثة، "وقد حدد هذه الأهمية كلا من كاتليب Cutlip وسنتر Center و بروم Broom في عدة وظائف رئيسية تؤديها العلاقات العامة في المنظمة؛ أهمّها¹⁰ :

- 1 -توقّع اتجاهات الرأي العام وتحليلها وتفسيرها، ودراسة القضايا ذات التأثير الإيجابي والسلبي على خطط المنظمة وعمليّاتها وسلوكيّاتها.
 - 2 -تقديم النصّح والمشورة لإدارة المنظمة عبر مختلف المستويات فيما يتعلق بصناعة قرارات المنظمة وأفعالها واتصالاتها ومسؤولياتها الاجتماعية.
 - 3 -مزاولة عمليات البحث وإعداد البرامج الاتصالية وتنفيذها وتقويمها بهدف تحقيق أهداف المنظمة، ومن أمثلة هذه البرامج تلك التي توجه للعاملين، وللمجتمع المحلي، وكذا الإدارات الحكومية.
 - 4 -إعداد الخطط بما يشتمل عليه ذلك من وضع الأهداف، وتحديد الميزانيات، وتجنيد العناصر اللازمة لأداء الوظائف المشار إليها وتدريبهم.
- كما ميّز Olivier Moch بين وظيفة العلاقات العامة على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي؛ إذ تعمل على «المستوى الداخلي على تعزيز التماسك بين المصالح المكونة للمؤسسة، وتعمل على خلق جو من الثقة وترسيخ ثقافة المؤسسة وتحفيز المستخدمين. أما على المستوى الخارجي فهي تهدف إلى تطوير علاقات المؤسسة مع جماهيرها المختلفة: الزبائن، الموردين، السلطات المحلية، الجمهور العام، ووسائل الإعلام»¹¹.

ويتقرر مما أوردناه؛ أنّ هذا الإطار التّأصيلي لمفهوم العلاقات العامة ووظائفها يبرز حجم الأدوار والوظائف والمزايا التي تحققها في المؤسسة، فكانت بذلك ضرورة حتمية على مستوى وظائف المؤسسات؛ لأنها بحاجة إلى إدارة اتصالاتها وعلاقتها مع متعاملها ومحيطها بشكل عام؛ حتى تحقق أهدافها وتضمن بقاءها، وهذا لن يتأتى إلا بوجود إدارة أو جهاز العلاقات العامة الذي يتولى تحقيق ذلك.

وقد ازدادت أهمية العلاقات العامة في ظل تطور المفاهيم التسويقية التي تركز على المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات فهي «تهدف من خلال برامجها إلى تدريب الجماهير على المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، عن طريق تبصرها بإمكانات المنظمة وجهودها والعقبات التي تصادفها»¹². وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في المحاور اللاحقة.

2-1 الاتصالات التسويقية المتكاملة Integrated Communications Marketing

رغم حداثة هذا المفهوم فإنّه حظي باهتمام كبير من قبل الباحثين والمتخصصين، فقد أصبح معروفا منذ سنة 1990م؛ غير أنه لا يزال غير واضح المعالم، وقد أرجع البعض سبب ذلك إلى صعوبة تجسيده وترجمته كمفهوم في الواقع العملي، بيد أنّ أغلب التعريفات رغم اختلافها في تحديد مفهومه؛ أجمعت على جملة من المرتكزات المكونة له، وتبيان ذلك في ما يأتي:

- عُرّف التسويق المتكامل IMC «بأنه التخطيط الذي يدرك القيمة المضافة لبرنامج الاتصال الشامل الذي يقيم الأدوار الاستراتيجية لمختلف أدوات الاتصال التي تتضمن: الإعلان، البيع الشخصي، العلاقات العامة والتسويق المباشر، وترويج المبيعات وغيرها، ويعمل على دمجها بطريقة واضحة ومتناسقة من أجل الحصول على أقصى قدر ممكن من التأثير»¹³.

- كما عرفته جمعية التسويق الأمريكية بأنه «عملية التخطيط المصممة لضمان كل فرص الاتصال الممكنة بين العلامة التجارية للمنتج أو الخدمة أو المنظمة وبين عملائها (وكذا العملاء المحتملين) حتى تكون متصلة بهم كل الوقت»¹⁴.

- وفي مفهوم آخر له، تم تعريفه بأنه «التحليل والاختبار والنشر والمراقبة الاستراتيجية لجميع عناصر الاتصالات التسويقية، من أجل التأثير بكفاءة

وفعالية في المعاملات بين المؤسسة وعملائها المكتسبين، والعملاء المحتملين وجميع المستهلكين»¹⁵.

- ومن جهته عرفه Duncan «بأنه عملية شاملة لخلق وإثراء العلاقات مع العملاء وكذا أصحاب المصلحة مع المؤسسة»¹⁶.

- كما ركز كلا من Philip.j.kitchen & Jones Graham.s في تعريف الاتصالات التسويقية المتكاملة أنها «تبدأ مع العملاء ثم تعمل على تحديد وتطوير الأشكال والأساليب التي تكون من خلالها برامج الاتصال أكثر إقناعاً»¹⁷.

ومن وجهة نظر Alain Van Cuyt «مفهوم الاتصالات التسويقية جاء من أجل دمج تقنيات الاتصال الرقمية ضمن باقي أدوات الاتصال المعروفة في مجال التسويق سابقاً»¹⁸.

انطلاقاً مما ذكرناه؛ نجد أن الاتصالات التسويقية المتكاملة تسعى إلى تحقيق الأهداف الترويجية بطريقة متكاملة؛ لإحداث التأثيرات المرغوبة على المستهلك، مستخدمة في ذلك مزيجاً متناسقاً ومتكاملاً من الأدوات الترويجية (الإعلان، البيع الشخصي، ترويج المبيعات، التسويق المباشر، العلاقات العامة ..). إن تركيز الاتصالات التسويقية على العميل بالدرجة الأولى، يعزز الاتجاه القائل بضرورة التحول من التركيز على مكونات المزيج التسويقي الأربعة 4 p إلى التركيز على 4 C وهو النموذج الذي يهتم بمصلحة العميل بالدرجة الأولى من خلال معرفة متطلباته واحتياجاته ورغباته؛ لإنتاج منتجات تتناسب معه وينتفع بها. كما يختلف عن النموذج الأول الذي يتبنى نظرة السوق وليس نظرة المشتري. وفي الجدول التالي نستعرض أهم عناصر النموذجين:

الجدول رقم 01: يمثل عناصر المزيج التسويقي: 4 P's و 4 C's.

C's4	P's4
القيمة للعميل Customer Value	المنتج product
التكلفة بالنسبة للعميل Cost to the Customer	السعر price
الراحة Convenience	المكان place
الاتصال Communication	الترويج promotion

المصدر : فليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق :كيف تنشئ الأسواق وتغزوها وتسيطر عليها، ترجمة: فيصل عبد الله بابر، ط5، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، 2006، ص114¹⁹.

ومن خلال الجدول رقم 01 نلاحظ أن رابع عنصر في المزيج التسويقي 4P's وهو الترويج: promotion يشير في مكونات المزيج التسويقي 4C's إلى الاتصال Communication، وهو ما يمثل الانتقال من المزيج الترويجي إلى الاتصال التسويقي المتكامل، «الذي يعد بمثابة تطبيق عملي للنظرة التكاملية في العملية الاتصالية حيث يعمل على دمج أنماط الاتصال المختلفة وأدواته المتنوعة مثل الإعلان والبيع الشخصي وتنشيط المبيعات والعلاقات العامة وغيرها في نموذج واحد، يوحد الجهود الاتصالية، ويزيد من فعاليتها، ويضمن عدم تناقضها مضمونا وأسلوبا ووسيلة»²⁰.

إن الطبيعة الديناميكية لمفهوم التسويق وتأثره بالعوامل البيئية المحيطة، بما فيها تطور وسائل الاتصال والترويج، وكذا وعي المسوقين بأهمية العملاء ووزنهم في العملية التسويقية، وذلك من أهم العوامل التي فتحت المجال لتلك التطورات التي عرفها المزيج التسويقي.

وهو ما جعل الشركة العالمية Ogily & Mather المختصة في مجال الإعلانات والتسويق والعلاقات العامة؛ تضيف عناصر تكميلية للمزيج التسويقي التقليدي p4، وهو نموذج يتماشى مع الرهانات الحالية ومع ما تعيشه المجتمعات اليوم من التأثير الكبير للإنترنت وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي والتغيرات التي تطرأ على احتياجات المستهلكين وتوقعاتهم وعاداتهم في التصفح والاستهلاك؛ قررت إعداد مزيج جديد سمي بـ 4 E Marketing Mix (Les 4 E de Marketing Mix: Emotion, Expérience, Exclusivité, Engagement)²¹.

العاطفة Emotion: هناك ارتباط عاطفي بين العلامة والمستهلك، لأن المستهلكين لا يشترون فقط المنتجات، وإنما يتعاملون مع تاريخ وقيمة العلامة التجارية، لهذا يتم التركيز على الرسائل العاطفية للعلامة التجارية التي تُنقل إلى المستهلك.

التجربة Expérience : إن تجربة العملاء مهمة جدا ومؤثرة على العلاقة بين المستهلك والعلامة التجارية، وهي التي تحدد ولاء العميل (المستهلك)،

بالإضافة إلى عوامل أخرى؛ كدرجة تحقيق الرضا لدى الزبون من المنتج أو الخدمة، ومدى ترسخ العلامة التجارية في ذهنه، والتجربة الجيدة للمستخدم تدفعه للترويج للعلامة في محيطه، وبذلك يعتبر سفيرا لها، ومكسبا قويا يحقق ميزة تنافسية للمؤسسة.

التفرد Exklusivité: حيث يريد المستهلك في القرن 21 أن يكون فريدا، بحيث تكون العلامة التجارية أصلية، وتشعر العميل بأنه هو وحده المعني برسالتها، فتخطبه مباشرة من خلال محتوى نادر أو سري أو حصري تخص به العميل، لأن الاستهلاك الفردي اليوم يتطلب تخصيص منتجات وفقا لتطلعات العميل، وكما يريدتها تماما، فهو يؤلف ويختار ما يريد من حيث اللون، الشكل، الحجم، والأنماط... كلها وفقا لرغباته وتطلعاته وميزانيته.

الالتزام Engagement: في بعض الأحيان تشارك بعض العلامات التجارية عملائها بالأخذ بأرائهم ومشاركاتهم كوسيلة للتقرب منهم، وهم بدورهم يعبرون عن اهتمامهم وولائهم، وهذا الالتزام المتبادل يدل على الثقة المتبادلة. إن النموذج المقترح من قبل الشركة العالمية Ogily & Mather يدل على ضرورة تطوير التقنيات والأدوات التي تستخدم في عملية الترويج للعلامة التجارية مع البيئة التسويقية، وما تشكله عواملها من رهانات وتحديات جديدة، فقد اقتحم التسويق عدة مجالات وميادين ساهمت في تعدد تخصصاته حيث ارتبط أيضا بالمسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات، وهو ما يمثل محور اهتمامنا في هذه الدراسة.

1- 3 الأداء البيئي Environmental performance

احتل مفهوم الأداء الصدارة في البحوث والدراسات العلمية الاقتصادية الخاصة بالأدب التسييري، باعتباره المحور الرئيسي لمختلف العمليات الرامية إلى ضمان استمرارية المؤسسة وبقائها. إذ يعتبر الأداء البيئي أحد أهم أنواع الأداء التي تشكل رهانا حقيقيا وتحديا يواجه المنظمات المعاصرة اليوم.

حيث يُعرف الأداء البيئي بأنه «كل النشاطات والعمليات التي تقوم بها المنظمة سواء بشكل إجباري أو اختياري من شأنها منع الأضرار البيئية والاجتماعية الناتجة عن نشاطات المنظمة الإنتاجية أو الخدمية أو التخفيف منها»²². يركز التعريف على ما يختص به الأداء البيئي من إجراءات وأساليب

ووسائل واستراتيجيات، من شأنها أن تحدّ من تأثير نشاط المؤسسة على البيئة، ويشير إلى نقطة مهمة جدا وهي أن أغلب الالتزامات البيئية تكون طوعية وغير إلزامية باستثناء ما تحدده القوانين والتشريعات المنظمة لنشاط المؤسسة.

- أما الأداء البيئي حسب ما عرفته منظمة التقييس العالمية الأيزو ISO

يشير إلى «النتائج الكمية القابلة للقياس لنظام الإدارة البيئية ذات العلاقة بالأبعاد البيئية والتي تم وضعها على أساس السياسة والأهداف البيئية للمنظمة»²³، يتضح من خلال هذا التعريف تكاملية العلاقة بين الأداء البيئي والإدارة البيئية؛ ذلك أنّ جوهر استراتيجية تطبيق الإدارة البيئية هو تحسين الأداء البيئي، فتقييم النتائج المحققة لنظام الإدارة البيئية يبرز الأداء البيئي الفعلي للمنظمة. وهو ما أكدته Angèle DOHOU-RENAUD في تعريفها للأداء البيئي على أنه «النتائج القابلة للقياس لنظام الإدارة البيئية : SME (Système de management environnemental) والتي لها علاقة بمدى تحكم المؤسسة في الجوانب البيئية من خلال سياساتها وأهدافها البيئية»²⁴.

ومن بين أشهر الآليات المستخدمة في مجال الإدارة البيئية وتحسين الأداء البيئي، هي آليات نظم الإدارة البيئية الممثلة في مواصفة الجودة البيئية 14000 ISO وهي سلسلة المواصفة الدولية الخاصة بالبيئة والتي تم إصدارها سنة 1996 من قبل المنظمة العالمية للتقييس ISO والتي تحدد المتطلبات الأساسية لإقامة نظام إدارة بيئية، كما تحدد المواصفة الأيزو 14001 في مضمونها العناصر والمتطلبات الأساسية لنظم الإدارة البيئية، فكل متطلب ورد فيها صاحبه شرحا مفصلا يشير إلى كيفية ممارسته ميدانيا .

وهذه المواصفة يمكن اعتمادها في أي منظمة ترغب فيما يأتي²⁵ :

- تطبيق وصياغة وتحسين نظام الإدارة البيئية.
- المطابقة الذاتية مع السياسة البيئية المعلنة.
- إقامة الدليل على المطابقة أمام أطراف أخرى.
- السعي نحو الإجازة والتسجيل لنظام الإدارة البيئية بها من قبل جهة محليا أو دوليا.

■ التقرير والإعلان الذاتي للمطابقة مع المواصفة.

كما تمكن المنظمات من تحقيق التوازن بين نشاطها الاقتصادي وبين أدائها البيئي؛ باعتبارها أداة للتحكم في العمليات والأنشطة والسياسات البيئية داخل المنظمة، وذلك بالاعتماد على مخرجات دراسات تقييم الأثر البيئي والمراجعة البيئية التي تسمح باتخاذ التدابير والإجراءات، والخطط الرامية لتجنب الآثار السلبية على البيئة، أو التخفيف من حدتها بهدف التطوير والتحسين المستمر في أدائها البيئي.

إذ يتضح مما سبق أن عملية تقييم الأداء البيئي عملية بالغة التعقيد خاصة مع الطبيعة الديناميكية التي يتميز بها الأداء، ولذا لا يمكن إيجاد «تعريف موحد للأداء البيئي؛ لأنه يرتبط بالسياسة البيئية الخاصة بكل مؤسسة والتي تأخذ بعين الاعتبار المهمات والقيم والظروف المحلية والإقليمية التي تخصها، ومتطلبات واحتياجات أصحاب المصلحة المرتبطة بها»²⁶، كما أنها وسيلة مساعدة تساهم مع نظام الإدارة البيئية في توفير كافة المعطيات والمعلومات التي يمكن أن تفيد المؤسسة.

حيث يساعد تقييم الأداء البيئي المنظمات -حسب ما حددته مواصفة التقييس العالمية -فيما يلي²⁷:

■ التعريف بالجوانب البيئية وتحديد الآثار البيئية المهمة، والتي يجب عليها التعامل معها.

■ وضع الأهداف والغايات لتحسين الأداء البيئي، وتقييم أدائها وفقاً لهذه الأهداف والغايات على المدى القصير والطويل.

■ تحديد الفرص لإدارة الجوانب البيئية بشكل أفضل.

■ تحديد الفرص لتحسين جوانبها البيئية.

■ تحديد الاتجاهات المتعلقة بأدائها البيئي.

■ مراجعة الأداء البيئي وتحسين كفاءتها.

■ تحديد الفرص الاستراتيجية.

■ الإفصاح عن أدائها البيئي داخليا وخارجيا.

وفقاً لما سبق عرضه في ماهية الأداء البيئي؛ يمكن القول بأن نظم الإدارة البيئية تعتبر من بين الوسائل الأكثر كفاءة لتأسيس ثقافة بيئية، وتصحيح

الأداء البيئي للمؤسسات الاقتصادية، وذلك من خلال تخطيط العمليات الداخلية، واعتماد الأساليب التكنولوجية السليمة بيئياً؛ لتحقيق التطوير والتحسين المستمر.

- المحور الثاني :

مكانة العلاقات العامة ضمن المزيج الاتصالي التسويقي البيئي.

إن استجلاء دور العلاقات العامة ومكانتها ضمن منظومة المزيج الاتصالي التسويقي البيئي، يقتضي منا التطرق لمفهوم التسويق البيئي **Environmental Marketing** الذي فرض نفسه بقوة في ظل التطورات الراهنة المتحكمة في أبعاد العملية التسويقية، والتي تدعو إلى ضرورة التزام المؤسسات بمسؤوليتها الاجتماعية والبيئية. إذ عرفه كلا من «شارتر وبولونسكي **Charter & Polonsky** بأنه عملية تسويق أو ترويج منتجات معتمدة على أدائها البيئي أي غير مضرّة بالبيئة»²⁸.

وحسب ما أكدّه **Olivier BOIRAL** بأن مواصفة الإدارة البيئية **ISO 14001** هي «استثمار استراتيجي لمواجهة الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة باللوائح البيئية، السياسات الحكومية، صورتها لدى الرأي العام وبشكل عام لتطوير الأسواق ومنه فإن أهم أهداف مواصفة **ISO 14001** هو تحديد الضغوطات المجتمعية والاستجابة لها»²⁹. «فهي بذلك تعتبر آلية تسويق أو أداة تسير فعالة في مجال حماية البيئة»³⁰.

♦ ومنه فإن ممارسة الأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة ضمن منظومة المزيج الاتصالي التسويقي البيئي تمكن المؤسسة مما يلي:

1 - تحديد متطلبات السوق: إن للسوق أهمية كبرى بالنسبة للمؤسسة لأنها بحاجة دائمة إلى تجهيزات ومواد أولية، كما يمثل المكان الذي تُسوّق فيه منتجاتها وخدماتها؛ إذ يمكن أن تكون المؤسسة أمام سوق احتكاري أو سوق تنافسي، لذا يلزمها أن تمنح أهمية كبرى لمتطلبات السوق عند اتخاذ أي قرار. ومع تزايد الوعي البيئي برز توجّه حديث وهو تبني فلسفة التسويق الأخضر والذي يُعنى بتسويق المنتجات الآمنة بيئياً.

2 - الالتزام القانوني والتشريعي: خلال قيام المؤسسة بأنشطتها تلتزم بجملة من القوانين واللوائح المفروضة من قبل الحكومة والجهات المسؤولة، والتي

لها تأثير مباشر في تحديد سياستها الاقتصادية ونشاطها بشكل عام. وتعتبر اللوائح التنظيمية البيئية واحدة من أهم الترسانة القانونية التي يتوجب على المؤسسة احترامها والالتزام بها.

3 - **مواجهة ضغوط الأطراف ذات المصلحة:** أول باحث اهتم بالأطراف ذات المصالح هو فريمان سنة 1984، وقد عرفهم بأنهم «كل شخص أو مجموعة تتوفر فيهم القدرة على التأثير في المؤسسة في تحقيق أهدافها، وكذلك الذين تؤثر فيهم المؤسسة في نفس المجال»³¹، حيث تم تقسيم أصحاب المصالح إلى قسمين: أصحاب المصالح الأساسيين وأصحاب المصالح الثانويين.

3 - 1 **أصحاب المصالح الأساسيين:** وتشمل كلا من:

• الزبائن والمستهلكين

يمثل الزبائن محور اهتمام مختلف العمليات والأنشطة التي تقوم بها المؤسسة؛ لأنها تتوجه بمنتجاتها وخدماتها لتلبية احتياجاتهم. «كما يُعتبر الزبائن أهم عنصر تتعامل معه المؤسسة، لهذا فهو يشكل أكبر ضغط بالنسبة لها. سواء تعلق الأمر بزبائن المؤسسة أو المستهلكين النهائيين، فإن طلباتهم في مجال حماية البيئة تبقى في نمو وتطور متزايد. فتبعا لالتماساتهم تحاول المؤسسة عادة إمدادهم بمنتجات صديقة للبيئة»³². كما يشكل المستهلك الهدف النهائي لأية عملية تسويقية، لأنه هو مفتاح نجاح المؤسسة أو فشلها.

• المساهمين والشركاء

«تواجه المؤسسات ضغوطا متزايدة من جانب كل من المستثمرين والمقرضين للحصول على معلومات عن الأداء البيئي والأداء المالي لها، وتتأتى حاجة هذه الفئات إلى مثل هذه المعلومات نتيجة لقناعتهم بأن الممارسة البيئية قد تؤدي إلى زيادة الالتزامات، وبالتالي المخاطر مما يؤدي إلى تضاعف الأرباح»³³. إن هذا التوجه الحديث لبعض المستثمرين الخضر فرض على المؤسسات ضرورة الإفصاح عن أدائها البيئي لجلب المزيد من الاستثمارات، وهذا ما يمثل جوهر المسؤولية البيئية والاجتماعية التي ترجح الجانب الأخلاقي وتحمل المسؤوليات على الربحية المطلقة.

• الموردون

الموردون هم الأطراف الذين يعملون على تلبية مختلف احتياجات المؤسسة من مدخلات (الموارد الأولية، المعلومات وغيرها)، حيث يشكل الموردون نوعاً من الضغط على المؤسسة، خاصة لدى اهتمامهم بالاعتبارات البيئية في تعاملاتهم وتفضيلهم للمؤسسات التي تولي أهمية للحفاظ على البيئة، في الوقت نفسه المؤسسة تبحث عن الموردون الذين يزودونها بمواد أولية صديقة للبيئة.

• الممولون والبنوك ووكالات التأمين

المؤسسة دائماً بحاجة إلى أموال ، خاصة إذا كانت الإمكانيات الذاتية لها لا تسمح لها بتلبية احتياجاتها فتتجه إلى المؤسسات المالية . «إن الضغوطات التي تمارسها البنوك على المؤسسات الملوثة تبدو ضعيفة نسبياً إن لم تكن منعدمة ، وعليه من واجب البنوك مراجعة السلوك البيئي للمؤسسات عند دراسة طلبات تمويلها، وهذا ما تقوم به فعلاً بعض البنوك ، بحيث تفرض على المؤسسات الملوثة إعداد دراسة تدقيق معمقة للأثر البيئي لنشاطها كشرط مسبق لأي نقاش حول مشاريع تمويلية محتملة»³⁴.

«ومن جهتها مؤسسات التأمين جعلت عقودها أكثر قسوة، فبعضها قد ألغت طلبات التعويض عن الخسارة البيئية من أنظمتها وبعضها الآخر قلص تغطيتها للتلوث المرضي. وبسبب ضرر تراكم التلوث، وفي إطار الضمان الذي يطلبه يمكن للمؤسسات أن تطلب معلومات عن الظروف الأمنية البيئية»³⁵.

• العمال

للعامل دور استراتيجي في تسيير وتوجيه وتنمية وتطوير المؤسسة وهذا يرتبط بالقدرات والكفاءات التي يتمتعون بها، وانطلاقاً من هذه الأهمية تم إنشاء نظام OHSAS 18000 (نظام السلامة والصحة المهنية) وفقاً لمواصفة ISO 18000 وهي مجموعة من المعايير الدولية التي تتعلق بإدارة السلامة والصحة المهنية.

3- أصحاب المصالح الثانويين: وتتمثل في:

♦ الحكومة: في إطار حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة تقوم الحكومة بوضع جملة من الأدوات القانونية التي تلزم بها المؤسسات خاصة الملوثة للبيئة،

وفي نفس الوقت تضع بعض الامتيازات لتلك التي تتحمل مسؤولياتها تجاه البيئة.

♦ المجتمع ومجموعات الضغط:

تشكل الهيئات والمؤسسات والمنظمات والجمعيات التي تعنى بحماية البيئة والحفاظ عليها نوعاً من الضغط النسبي على المؤسسات، «بحيث هناك علاقة جدلية ومتغيرة بين قطاع الأعمال والمجتمع المدني الذي يمثل صمام الأمان لضبط وقياس مدى نوعية تأثير قطاع الأعمال على خطط وبرامج التنمية المستدامة وعلى حياة الناس، والعلاقة المرجوة والمطلوبة من المجتمع المدني هي ليس تكريساً لما يسمى "صناعة المعارضة" أو المعارضة لأجل المعارضة لمجرد البحث عن دور، بل هو دور ريادي وأخلاقي لضمان استدامة العقد الاجتماعي بين قطاع الأعمال والمجتمع المدني»³⁶.

♦ المنافسون

إن تحليل المنافسة السائدة في السوق يمثل محور اهتمام المؤسسات من أجل اختيار الاستراتيجية المناسبة لأنشطتها، «حيث تسعى الشركات الموجودة في نفس القطاع للحصول على أفضل المزايا لدعم قدرتها التنافسية لتحقيق أهدافها، ولا يتحقق ذلك إلا بتحليل العوامل والمزايا التنافسية التي تمتلكها الشركات المنافسة»³⁷. ومن أهم مقومات القدرة التنافسية: الالتزام بالمواصفة الدولية للجودة، التطور التكنولوجي، تطور المهارات، نظم التعليم والتدريب، البحث والتطوير، دراسة الأسواق الخارجية، تقنية المعلومات.

و خلاصة لما سبق؛ نجد أن أغلب المؤسسات تسعى من خلال الاهتمام بأدائها البيئي ضمن منظومة الاتصالات التسويقية البيئية المتكاملة لاكتساب مزايا تنافسية؛ تمكنها من توسيع حصتها في السوق والحفاظ على بقائها واستمرارها وتعظيم أرباحها. وهو ما يرتبط بمدى استثمارها لأنشطة العلاقات العامة لبلورة رأي عام يحمل اتجاهات ايجابية حولها، تسهم في تحسين وتعزيز سمعتها لدى عملائها ومجتمعها بشكل عام.

♦ المحور الثالث : المجال التطبيقي للعلاقات العامة وارتباطه بالأداء البيئي.

1 - الوظيفة الاتصالية للعلاقات العامة وتحقيق مؤشرات الأداء البيئي.

تعتبر الوظيفة الاتصالية للعلاقات العامة محور كل العمليات الإدارية لذا فإن نجاح نظام الإدارة البيئية يتوقف على نوع ووسائل الاتصال المستخدمة، لذلك «ينبغي على المنظمة اتباع طريقة مناسبة لنقل المعلومات بشأن الجوانب البيئية المهمة، مع تحديد الاتصالات الداخلية بين المستويات والوظائف المختلفة، كذلك استلام، وتوثيق، والاستجابة للاتصالات من الأطراف الخارجية المستفيدة»³⁸. وتنقسم الاتصالات إلى نوعين :

أ - اتصالات داخلية:

"تعتمد الاتصالات الداخلية على تحفيز العاملين ، توضيح ما يتم اتخاذه من إجراءات فيما يتعلق بالبيئة، تحديد الأدوار والإجراءات، مراقبة الأداء البيئي، العمل على تحديد احتمالات التحسين . وعلى ذلك يحتاج الاتصال الداخلي إلى سريان المعلومات من المستوى الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى"³⁹. حيث تعتمد الاتصالات الداخلية على الاجتماعات، المنشورات الحائطية، موقع المؤسسة، شبكة الانترنت، وغيرها من وسائل الاتصال الداخلي.

ب - اتصالات خارجية:

تمثل الاتصالات الخارجية دعامة أساسية للمؤسسة من أجل التعريف بتوجهاتها وسياساتها البيئية لدى مختلف متعاملاتها، مما يساعدها على تحسين صورتها والحفاظ على علاقاتها، وتعزيز الثقة المتبادلة بينهم شريطة أن تتسم الاتصالات الخارجية بنوع من المصادقية، خاصة فيما يتعلق بالإفصاح عن أدائها البيئي، والذي يعتبر مسألة غاية في الأهمية .

كما يمكن تطبيق الأنشطة الخاصة بالعلاقات العامة لتحقيق مؤشرات الأداء البيئي على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي كما حددها كلا من Eddy Bauraing & Jacques Nicolas فيما يلي⁴⁰:

➤ على المستوى الداخلي:

- بالنسبة للإدارة:

- تعطي للإدارة نظرة عامة حول الوضعية البيئية للمؤسسة (الالتزامات القانونية...).
- تقدم للإدارة وسيلة لاتخاذ القرارات الاستراتيجية (ما هي الآثار التي يجب معالجتها وحسب الأولوية، هل يجب أن تستثمر المؤسسة في التكنولوجيا الأنظف...).
- تساعد الإدارة على متابعة النتائج البيئية (الاستثمارات...).
- تمكنها من مقارنة وضعيتها بالنسبة للمؤسسات الأخرى المتواجدة معها في نفس القطاع.

- بالنسبة للإطارات:

- تقدم متابعة منتظمة ومستمرة للتأثيرات الأساسية كاستهلاك الماء -كمية النفايات...

- تقدم وسيلة لاتخاذ القرار -تحسين كفاءة العمليات.

- بالنسبة للعمال

- التحسيس بالمسؤولية الخاصة بالعمال في أماكن عملهم.
- شرح الآليات والطرق الجديدة في العمل.

➤ على المستوى الخارجي:

- بالنسبة للجهات المسؤولة: تقديم صورة للوضعية القانونية للمؤسسة.

- بالنسبة للبنوك - المستثمرين ووكالات التأمين

- تقديم صورة للوضعية البيئية الخاصة بالمؤسسة (التكاليف البيئية والمخاطر...).

- تبرز التزامات المؤسسة من خلال التسيير البيئي.

- الزبائن وأصحاب المصالح:

- تعطي صورة شاملة لعملية التسيير البيئي الخاصة بالمؤسسة من خلال معلومات واضحة وملموسة في الواقع.
- توضح التزام المؤسسة من خلال التسيير البيئي.

مما سبق يتضح مدى تكامل الأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة على المستويين الداخلي والخارجي لتحقيق عملية تحديد مؤشرات الأداء البيئي وتقييمه، إذ تعتبر عملية تقييم الأداء البيئي جد مهمة بالنسبة للمؤسسة حيث تساعد المؤشرات المستخدمة في عملية اتخاذ القرار وتوفير المعلومات من أجل إعداد التقارير البيئية الخاصة بالمؤسسة والتي تعتبر وسيلة اتصالية سواء داخليا أو مع محيطها الخارجي .

2 - أهمية العلاقات العامة ضمن مصفوفة الأداء البيئي.

تكمن أهمية العلاقات العامة في تحقيق فعالية الأداء البيئي في إطار الأبعاد التي تتضمنها مصفوفة الأداء البيئي المرتبط بكافة الأنشطة التي تقوم بها المؤسسة، والتي حددها الباحثون في أربعة أبعاد، كما توضحه المصفوفة في الجدول أدناه.

الجدول رقم 2: مصفوفة الأداء البيئي Matrice de la performance environnementale

محور داخلي وخارجي محور العمليات والنتائج	على المستوى الداخلي	على المستوى الخارجي
العمليات	تحسين المنتجات والعمليات	تحسين العلاقة مع أصحاب المصالح
النتائج	احترام القوانين والتشريعات تحقيق عوائد مالية	آثار بيئية ايجابية تحسين صورة وسمعة المؤسسة

Source⁴¹ : (Angèle DOHOU-RENAUD, 2009,p 3.)

من خلال هذه المصفوفة يتضح لنا أن تحسين الأداء البيئي على المستوى الداخلي يرتبط بتحسين المنتجات والعمليات وهو ما يمكن المؤسسة من الاستجابة للقوانين والتشريعات البيئية والعمل بها، ويحقق لها عوائد مالية، في حين أنه على المستوى الخارجي يمكنها من استعادة ثقة عملائها، ويساهم في تحسين صورتها وسمعتها. وبذلك تبرز مدى أهمية العلاقات العامة في تحديد السلوك البيئي للمؤسسة الذي يمكنها من كسب رضا جماهيرها وخدمة الصالح العام، والالتزام بمسؤولياتها البيئية والاجتماعية.

ومنه يمكننا القول إن استثمار أنشطة العلاقات العامة في المؤسسة لتحقيق فعالية الأداء البيئي تتمحور حول العناصر الآتية :

1 - هوية وصورة المؤسسة Identity and image :

«هي الصورة المأخوذة عن المنظمة أو المؤسسة والتي تعتبر في غاية الأهمية فيما يتعلق بالعلاقات العامة كما أنها جزء لا يتجزأ من المسؤولية الاجتماعية المشتركة تجاه التواصل واعتمادا على الحقائق مثل تاريخ المؤسسة وسمعتها ومدى استقرارها والنجاح المالي، وتلعب صورة المؤسسة وكيفية تقديم المؤسسة لنفسها إلى العالم الخارجي دورا في غاية الفعالية»⁴². «و شهادة ISO14001 يمكن أن تستخدم كأداة في العلاقات العامة؛ لتحسين صورة المؤسسة البيئية مع المواطنين والجماعات البيئية، خصوصا بالنسبة للشركات التي تعاني من ضغوط بيئية، أو لديها صورة سيئة لدى جماهيرها، كما تسمح المواصفة بإبراز مدى التزام المسييرين بالمسؤولية الاجتماعية»⁴³.

كما تعتبر العلامة البيئية أيضا من أهم العوامل المساعدة على تحسين صورة المؤسسة وسمعتها من خلال الإيفاء بمسؤولياتها تجاه البيئة، غير أن هذا يرتبط بمدى الوعي البيئي للمستهلكين وموقع البيئة ضمن محددات اختياراتهم لمنتج دون غيره، ففي الدول المتقدمة المنتوجات bio (الصديقة للبيئة) تحظى باهتمام وإقبال على استهلاكها دون غيرها .

2 - سمعة المؤسسة Corporate reputation :

إن الاتصال حول الالتزامات المسؤولة تتضمن نقل صورة مسؤولة عن المؤسسة تعكس سمعة طيبة عنها تجاه الأطراف ذوي العلاقة⁴⁴. إذ يرى كل من Miles and أن السمعة الجيدة للمنظمة تنشئ نتيجة اعتناقها لمجموعة من المبادئ في أنشطتها المختلفة مثل⁴⁵ :

- مبدأ المصداقية مع المستثمرين والعملاء والموردين.
- مبدأ الثقة بين المنظمة والموظفين والعملاء والمجتمع.
- مبدأ الاعتمادية و مبدأ المسؤولية البيئية والاجتماعية والمالية.

3 -خلق الثقة المتبادلة مع جماهيرها Creating mutual trust with their customers:

تعتبر العلاقات العامة نشاطا اتصاليا تفاعليا يهدف إلى خلق علاقة ثقة متبادلة بينها وبين جماهيرها المختلفة، معتمدا على تقديم معلومات وبيانات صادقة تشرح تاريخ المؤسسة وثقافتها وسياساتها ومواقفها؛ لتساهم في تكوين رأي مبني على أساس من الحقائق؛ سعيًا منها لكسب تأييده، وزيادة اهتمامه بها . إذ يسهم الإفصاح عن الأداء البيئي في بلورة انطباعات جيدة حول المؤسسة لدى عملائها مما يكفل تعزيز وفائهم لمنتجاتها وخدماتها.

♦المحور الرابع: نماذج للأداء البيئي لبعض المؤسسات المهتمة بالبيئة.

أشار تقرير منظمة السلام الأخضر لعام 2018 لقائمة الشركات التقنية الخضراء الأكثر صداقة للبيئة وأظهر التقرير، الصادر بمناسبة يوم الأرض العالمي الذي وافق 22 أبريل، أن «أبل» استطاعت تشغيل مراكز بياناتها بالطاقة المتجددة النظيفة بنسبة 100%، في وقت خفضت «إتش بي» انبعاثات غازات الاحتباس الحراري من مصانعها بنسبة 21%، كما استطاعت «ديل» إعادة تدوير ثلث المخلفات البلاستيكية المستخدمة في تصنيع أجهزة الكمبيوتر، فيما أعلنت «مايكروسوفت» التزامها بتنفيذ تعهدات اتفاقية المناخ في باريس وخطة الطاقة النظيفة، وتعهدت «لينوفو» بإنهاء استخدامها لمواد كيميائية خطيرة معينة⁴⁶.

كما توجد العديد من الشركات التي اهتمت بأدائها ضمن سياساتها الشاملة نذكر منها ما يلي⁴⁷:

-قام بنك أوف أميركا، -وهو من أكبر المصارف في العالم -، مؤخراً بتسريع وتيرة الاستثمارات في الأعمال التجارية الرفيعة بالبيئة. فبعد أن تعهد باستثمار مبلغ 20 بليون دولار في الشركات ذات المحتوى الكربوني المنخفض في العام 2007م، فقد حقق هدفه قبل الموعد المحدد بأربع سنوات. وبالتالي، ضاعف التزامه بمقدار ثلاثة أضعاف تقريباً، حيث تعهد بأن يستثمر مبلغ 125 بليون دولار في الأعمال الخضراء الرفيعة بالبيئة، بحلول العام 2025م.

-توصّلت شركة "جنرال إلكتريك" إلى فكرة ذكية في العام 2005 م وهي: بناء البحوث البيئية والإنمائية ضمن نموذج عملها. فمشروعها المعروف باسم "التخيل الإيكولوجي" الذي تبلغ قيمته 15 بليون دولار، قد أثر على تصاميم

منتجات الشركة، ابتداءً من المصابيح الكهربائية إلى المحركات النفاثة، في حين بلغ حجم الإيرادات 200 بليون دولار منذ العام 2005م.

-تستخدم شركة بيبسي كولا، التكنولوجيا للتقليل من استخدامها للمياه والحد من بصمتها الكربونية. ففي المزارع التي تمدها بالمكونات، تقوم أجهزة الاستشعار بإبلاغ المزارعين عندما تكون هناك حاجة للمياه، وبذلك يتم المحافظة على الموارد، وفي نفس الوقت تتحسن الغلال. وقد تعهدت الشركة مؤخراً بتوسيع نطاق حقول الزراعة المستدامة إلى 500 ألف هكتار من الأراضي الزراعية في أميركا الشمالية.

-شركة والت ديزني تعلم علم اليقين أن تغيير المناخ ليس مجرد فكرة خيالية. وقد وضعت الشركة ثمناً يعرفه كل المسؤولين فيها لجميع الانبعاثات، بحيث تضمن أن المسؤولين التنفيذيين يضعون انبعاثات غازات الاحتباس الحراري كتكلفة في كل قرار تجاري يتخذونه. وقد تعهدت شركة ديزني بخفض الانبعاثات بنسبة 50 في المئة بحلول العام 2020م، عن مستويات العام 2012م.

-بالإضافة إلى الحد من انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري، تعمل شركة صناعة الشوكولاته الأميركية هيرشي على إيجاد سبل مستدامة للحصول على زيت النخيل، الذي يشكل مكوناً أساسياً في هذه الصناعة، والذي يمكن أن يتسبب الحصول عليه في إزالة الغابات. وقد تعهدت شركة هيرشي؛ بالإضافة إلى كل من شركة مارس، وشركة جنرال ميلز، وشركة كيلوغز، وشركة ماكدونالدز، وشركة كارغيل، وشركة بروكتر أند غامبل، بشراء زيت النخيل بطريقة تحافظ على الغابات.

ومن بين الشركات العربية الرائدة في مجال حماية البيئة نذكر على سبيل المثال لا الحصر شركة المراعي⁴⁸ التي تولي اهتماماً كبيراً لمسؤولياتها الاجتماعية والوطنية، ويبدو ذلك جلياً من خلال حرصها المستمر على إثراء حياة المستهلك، بتقديمها منتجات ذات قيمة غذائية وجودة عالية، ودعمها المستمر لكثير من البرامج والفعاليات الاجتماعية والوطنية في دول مجلس التعاون الخليجي. ويمتد اهتمام شركة المراعي بمسؤولياتها الاجتماعية والوطنية ليشمل اهتمامها بالبيئة، حيث قامت بتصميم نماذج عمل مناسبة تأخذ بعين الاعتبار شح المياه في المنطقة، مستشعرة أهمية المحافظة على هذه

الثروة الناضبة. وفي هذا الإطار تبنت شركة المراعي سياسات ملائمة في ترشيد استخدام المياه، حيث قامت بإدخال تقنيات حديثة في منظومات الإنتاج كان من شأنها تقليل استخدام المياه مقارنة بالطرق التقليدية والممارسات السائدة حالياً في هذا القطاع. كما قامت شركة المراعي بتبني برنامج ترشيد مياه طموح، يقضي باستيراد الأعلاف الخاصة بقطاع الألبان، بما يوازي الكميات المصدرة من الألبان إلى الخارج. ولا يقتصر اهتمام شركة المراعي على البيئة فحسب؛ بل يتعداها ليشمل الاهتمام بمصالح شركائها جميعاً بمن فيهم المساهمون والموظفون وكافة أفراد المجتمع.

خاتمة

تعمل المنظمات في بيئة تتصف بالتغير وعدم الاستقرار، ما يجعلها تواجه مجموعة من التحديات المتعلقة بكفاءة الأداء، والقدرة على التغيير والتطوير المستمر؛ لتحقيق التكيف مع متغيرات العصر الدائمة؛ إذ يتوقف نجاحها على ما تملكه من إمكانيات ومقومات، في مقدمتها دمج الاعتبارات البيئية ضمن استراتيجياتها الشاملة، نتيجة للتهديدات التي يواجهها النظام البيئي من جهة، وتطور فلسفة العلاقة بين الجانب الاقتصادي والجانب البيئي من جهة أخرى؛ قصد إيجاد حلول كفيلة بتحقيق التنمية المستدامة، وقد تطرقت دراستنا إلى جانب من هذا الموضوع، وخلصنا من خلالها إلى جملة من النتائج أهمها:

- تعتبر برامج الاتصالات التسويقية المتكاملة مدخلا تسويقيا حديثا، يُمكن المؤسسة من إدارة اتصالاتها بشكل متكامل ومتناسق؛ مما يكفل لها تحقيق أهدافها التسويقية.

- تعتبر العلاقات العامة دعامة اتصالية ضمن منظومة الاتصالات التسويقية البيئية المتكاملة، والتي تكفل تحقيق التكيف والانسجام بين المؤسسة و جماهيرها. حيث تسهم في تكامل الجهود التسويقية الرامية للإقناع والتأثير في المستهلكين والعملاء، والعمل على كسب تأييدهم وتحقيق رضاهم وولائهم، من خلال تصميم رسائل اتصالية تركز فيها على مدى سعي المؤسسة لتحقيق المنفعة لعملائها.

- تعتبر العلاقات العامة نسقا إداريا يعمل على دعم نظم الإدارة البيئية لتحقيق أهداف المؤسسة، وتأتي في مقدمتها العمل على تأكيد التزاماتها تجاه

البيئة، وذلك من خلال تقليل تأثيراتها السلبية على البيئة بتحسين عملياتها الإنتاجية واستخدام أحدث الطرق في ذلك، وهو ما يمكنها من زيادة إنتاجيتها وتحقيق وفرة مالية أكبر .

- تعمل العلاقات العامة على ترجمة السياسات البيئية الخاصة بالمؤسسة، من خلال تقديم رسائل اتصالية مبنية على معلومات وبيانات صادقة، تعكس حقيقة الأداء الاجتماعي للمؤسسة، وتبرز دورها في المجتمع، ويعتبر الإفصاح البيئي أحد الأساليب التي تكفل لها من تحقيق ذلك.

-تساهم العلاقات العامة في إبراز الصورة المشرفة للمؤسسة ودورها في المجتمع؛ انطلاقاً من إبراز مدى التزامها بمسؤوليتها البيئية والاجتماعية. كما تمكنها من تحقيق التكيف والانسجام بينها وبين جماهيرها داخليا وخارجيا.

- للعلاقات العامة أثر هام في دعم نظم الإدارة البيئية التي تعمل على تحقيق فعالية الأداء البيئي، من خلال وظيفتها التسويقية المتكاملة، ومساهمتها في زيادة قيمة المنتجات والخدمات، وترسيخ الرغبة لدى المستهلكين والعملاء بتفضيلها، وكذا تعزيز التواصل بين الوحدات والأقسام والإدارات المكونة للمؤسسة، والتواصل بينها وبين المؤسسات التي تتعامل معها؛ سعياً للوصول إلى الفهم المشترك والثقة المتبادلة.

- تُبرز مصفوفة الأداء البيئي مدى تكامل الأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة على المستويين الداخلي والخارجي؛ لتحقيق عملية تحديد مؤشرات الأداء البيئي وتقييمه، إذ تعتبر عملية تقييم الأداء البيئي بالغة الأهمية بالنسبة للمؤسسة، حيث تساعد المؤشرات المستخدمة في عملية اتخاذ القرار، وتوفير المعلومات من أجل إعداد التقارير البيئية الخاصة بالمؤسسة، والتي تعتبر وسيلة اتصالية على المستوى الداخلي والخارجي.

-تتضمن العلاقات العامة مجموعة من البرامج المتنوعة لتعزيز وحماية صورة المؤسسة ومنتجاتها وخدماتها، وغالبا ما يستخدم التسويق للحفاظ على هذه الصورة وتعزيزها أو تحسينها.

-إلى جانب الاهتمام الدولي بحماية البيئة من قبل بعض المؤسسات العالمية والعربية؛ نجد أن المؤسسات الجزائرية هي الأخرى تولي اهتماما بأدائها البيئي غير أن هذا التوجه مزال حديثا نظرا للتحديات التي تواجهها.

- ¹ - فضيل فارس، حمزة ضويفي، **المحاسبة البيئية كآلية لدعم وتحسين الأداء البيئي في ظل المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة**، مجمع مداخلات الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، ط2، نمو المؤسسات والاقتصاديات بين تحقيق الأداء المالي وتحديات الأداء البيئي، جامعة ورقلة، 22-23 نوفمبر 2011، ص 254.
- ² - **In Communications Camilleri, Integrated Marketing Mark Anthony-Travel Marketing, Tourism Economics and the Airline Product**, Chapter 5, Cham, Switzerland: Springer Nature, 2018, p 01-02.
- ³ - محمد صاحب سلطان، **العلاقات العامة ووسائل الاتصال**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2011، ص 32.
- ⁴ - جون شومالي، دينيس هويسمان، **العلاقات العامة**، ترجمة: محمد صالح العسلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (دراسات إعلامية)، تونس، 1994، ص 13.
- ⁵ - كمال شعبان عبد العال، **نجوم العلاقات وفنون التأثير**، دار الطرفين، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1420هـ، ص 14.
- ⁶ - حسن الحلبي، **مبادئ في العلاقات العامة**، ط01، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، 1980، ص 10.
- ⁷ - المرجع السابق، ص 12.
- ⁸ - علي بن فايز الجحني، **مدخل إلى العلاقات العامة والإنسانية**، ط01، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 21.
- ⁹ - المرجع السابق، ص 19.
- ¹⁰ - محمود يوسف، **إدارة وتخطيط العلاقات العامة**، ط02، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2012، ص 29.
- ¹¹ - Olivier Moch, **vade-mecum de communication externe des organisations**, L'édition professionnelle, 2013, p26.
- ¹² - محمد كريم فريحة، **العلاقات العامة البعد الفكري والتطبيقي**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2012، ص 12.
- ¹³ - ميسومي الجيلالي، **لعطوي جلول، تأثير المسؤولية الاجتماعية على مزيج الاتصال التسويقي -دراسة ميدانية على مؤسسة سويتلي لانتاج الحليب ومشتقاته بعين وسارة - الجلفة**، مجلة المعيار، المجلد التاسع، العدد الثاني 2018، ص 359.
- ¹⁴ - Abdellah el mzem, Serge Leclerc et des autres, **Vocabulaire des relations publiques**, 2^e édition, université de montréal, Canada, 2014, p 33.
- ¹⁵ - Loc.cit.
- ¹⁶ - William Menveille, **La communication Marketing intégrée auprès des entreprises de services -une étude de cas exploratoire dans l'hôtellerie**, revue Téoros, vol23, N°03, octobre 2004, p02.

- ¹⁷ - Philip.j.kitchen , Jones Graham.spickett, **The emergence of IMC: A theoretical perspective**, University of Hull, Journal of Advertising Research, March 2004, P23.
- ¹⁸ -Alain Van Cuycl ,**La communication intégrée Nouveau paradigme organisationnel ?** ,Hall,2007,p02.
- ¹⁹ - فليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق :كيف تنشئ الأسواق وتغزوها وتسيطر عليها ترجمة :فيصل عبد الله بابكر، ط5، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، 2006، ص114.
- ²⁰ - حمد بن ناصر بن حمد الموسى استخدام الاتصال التسويقي المتكامل في الشركات السعودية، ط01، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2010، ص85.
- ²¹ Alexandra Martin ,**Quand les 4 E bousculent le mix marketing traditionnel** , 2014, <https://www.miss-seo-girl.com/les-4e-bousculent-mix-marketing-traditionnel/>, le07/07/2019, 22 :30.
- ²² - عبد الرزاق قاسم الشحادة، القياس المحاسبي لتكاليف الأداء البيئي للشركة السورية العامة للأسمدة وتأثيرها في قدرتها التنافسية في مجال الجودة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول، 2010، ص283.
- ²³ - Norme internationale ISO 14031, **Management environnemental, Evaluation de la performance environnementale**, AFNOR, 1999, p 2.
- ²⁴ - Angèle DOHOU-RENAUD, **LES OUTILS D'ÉVALUATION DE LA PERFORMANCE ENVIRONNEMENTALE : AUDITS ET INDICATEURS ENVIRONNEMENTAUX**, congrès de l'association francophone de comptabilité, "la place de la dimension européenne de la comptabilité, contrôle et audit", Strasbourg, France, du 27 au 29 mai 2009, p 3.
- ²⁵ - نبيل الأعرجي وآخرون، دليل الجودة البيئية في جامعة بابل حسب المواصفة العالمية للبيئة الإيزو 14001، جامعة بابل، أيلول، 2010، ص4.
- ²⁶ Angèle DOHOU-RENAUD, **op.cit**, p 03.
- ²⁷ -Laurent Da Sihva, **LES INDICATEURS DE PERFORMANCE ENVIRONNEMENTALE AU SERVICE DE L'ÉCOEFFICACITÉ : LE CAS DE LA MINE CANADIAN MALARTIC**, Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement en vue de l'obtention du grade de maître en environnement (M. Env.), UNIVERSITÉ DE SHERBROOKE, Mai 2013, p17
- ²⁸ - سميرة صالح، التسويق الأخضر بين الأداء التسويقي والأداء البيئي للمؤسسات الاقتصادية، المجلة الجزائرية للبيئة والسياسات الاقتصادية، العدد 02، 2011، ص78.
- ²⁹ -Olivier BOIRAL, **ISO 14001 : d'une exigence commerciale aux paradoxes de l'intégration**, conférence de l'association internationale de management stratégique 13/15 juin 2001, Faculté des Sciences de l'administration, Université Laval Québec, Canada, p 9.
- ³⁰ - Olivier BOIRAL, **IBID** , p18.

- 31- عبد الرحمان العايب ، وظيفة التنمية المستدامة في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية -دراسة حالة المؤسسات العمومية لصناعة الاسمنت في الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 11، 2011، ص 176.
- 32 - عائشة سلمى كبحلي ، دراسة السلوك البيئي للمؤسسات الاقتصادية العاملة في الجزائر - دراسة ميدانية لقطاع النفط بمنطقة حاسي مسعود (مذكرة ماجستير)، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة قاصدي مرياح ، ورقلة، 2007/2008، ص 69.
- 33 - نجوى عبد الصمد ، طلال محمد مفضي بطاينة، الإدارة البيئية للمؤسسات الصناعية كمدخل حديث للتميز التنافسي ،المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات،جامعة ورقلة، 8- 9 مارس 2005، ص 140.
- 34 - محمد عادل عياض ، دراسة نظرية لمحددات سلوك البيئة في المؤسسة الاقتصادية، مجلة الباحث، جامعة ورقلة ، العدد 07، 2009 -2010، ص 17.
- 35 - عائشة سلمى كبحلي، مرجع سبق ذكره، ص 72.
- 36 - عودة الجبوسي ، المسؤولية الاجتماعية للأعمال والثقافة العربية ، الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة IUCN، ص 02.
- 37 - فؤاد أحمد محمد العفيري ، مدخل متكامل لإدارة التكاليف في ظل المنافسة في الشركات الصناعية ، الندوة الثانية عشر لسبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية ، 18 - 19 ماي 2010، ص 13.
- 38 - محمد صلاح الدين عباس ، نظم الإدارة البيئية والمواصفات القياسية العالمية ايزو 14000، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 166.
- 39 - عبد المنعم أحمد الفقي ، الإدارة البيئية لل عمران الحضري ، (مذكرة ماجستير)، قسم التخطيط و التصميم العمراني ، كلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، 2008، ص 85.
- 40- Nicolas,Les Indicateurs de Performances Eddy Bauraing ,Jacques-Environnementales : annexe technique N°1, fondation universitaire luxembourgeoise, Décembre 2000,p 04. op.cit ,p 3. 41- Angèle DOHOU-RENAUD,
- 42- بسام عبد الرحمان المشاقبة، معجم مصطلحات العلاقات العامة، ط01، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014، ص 215.
- 43- Olivier BOIRAL, op cit ,pp 14-15.
- 44- أمال مهري ، التوجه من الإعلام البيئي إلى الاتصال المسؤول في إطار التنمية المستدامة لدى المؤسسة الاقتصادية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 19 ، ديسمبر 2014، ص 248.
- 45 - حليلة السعدية قريشي ، دور التسويق الأخضر في تعزيز مبادئ التنمية المستدامة -شركة سونطراك الجزائرية نموذجا ، مجلة بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي المشترك ، 2014، ص 344.

⁴⁶ https://www.emaratalyoum.com/technology/electronic_equipment/2018-04-28-1.1093852.

⁴⁷ <https://share.america.gov->

⁴⁸ http://www.aleqt.com/2011/09/26/article_583934.html.

قائمة المراجع والمصادر

باللغة العربية

1. أمال مهري ، التوجه من الإعلام البيئي إلى الاتصال المسؤول في إطار التنمية المستدامة لدى المؤسسة الاقتصادية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 19 ، ديسمبر 2014.
2. بسام عبد الرحمان المشاقبة ، معجم مصطلحات العلاقات العامة ، ط01، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، 2014.
3. جون شومالي، دينيس هويسمان، العلاقات العامة :ترجمة: محمد صالح العسلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (دراسات إعلامية)، تونس ، 1994.
4. حسن الحلبي ، مبادئ في العلاقات العامة ، ط01، منشورات عويدات، بيروت -لبنان، 1980.
5. حليلة السعدية قريشي ، دور التسويق الأخضر في تعزيز مبادئ التنمية المستدامة -شركة سونطراك الجزائرية نموذجا ، مجلة بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي المشترك ، 2014.
6. حمد بن ناصر بن حمد الموسى:استخدام الاتصال التسويقي المتكامل في الشركات السعودية، ط01، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2010.
7. عائشة سلمى كبحلي ، دراسة السلوك البيئي للمؤسسات الاقتصادية العاملة في الجزائر - دراسة ميدانية لقطاع النفط بمنطقة حاسي مسعود (مذكرة ماجستير)، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، 2007/2008.
8. عبد الرزاق قاسم الشحادة، القياس المحاسبي لتكاليف الأداء البيئي للشركة السورية العامة للأسمدة وتأثيرها في قدرتها التنافسية في مجال الجودة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول ، 2010.
9. عبد الرحمان العايب ، وظيفة التنمية المستدامة في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية -دراسة حالة المؤسسات العمومية لصناعة الاسمنت في الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 11، 2011.
10. عبد المنعم أحمد الفقي ، الإدارة البيئية لل عمران الحضري ، (مذكرة ماجستير)، قسم التخطيط و التصميم العمراني ، كلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، 2008.
11. علي بن فايز الجحني ، مدخل إلى العلاقات العامة والإنسانية، ط01، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، 2006.
12. عودة الجبوسي ، المسؤولية الاجتماعية للأعمال والثقافة العربية ، الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة IUCN.

13. سميرة صالحى، التسويق الأخضر بين الأداء التسويقي والأداء البيئي للمؤسسات الاقتصادية، المجلة الجزائرية للبيئة والسياسات الاقتصادية، العدد 02، 2011.
14. فضيل فارس، حمزة ضويفي، المحاسبة البيئية كآلية لدعم وتحسين الأداء البيئي في ظل المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة، مجمع مداخلات الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، ط2، نمو المؤسسات والاقتصاديات بين تحقيق الأداء المالي وتحديات الأداء البيئي، جامعة ورقلة، 22 - 23 نوفمبر 2011.
15. فليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق: كيف تنشئ الأسواق وتغزوها وتسيطر عليها ترجمة: فيصل عبد الله بابكر، ط5، مكتبة جريز، المملكة العربية السعودية، 2006.
16. فؤاد أحمد محمد العفيري، مدخل متكامل لإدارة التكاليف في ظل المنافسة في الشركات الصناعية، الندوة الثانية عشر لسبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية، 18 - 19 ماي 2010.
17. كمال شعبان عبد العال، نجوم العلاقات وفنون التأثير، دار الطرفين، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1420هـ.
18. محمد صاحب سلطان، العلاقات العامة ووسائل الاتصال، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2011.
19. محمود يوسف، إدارة وتخطيط العلاقات العامة، ط02، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2012.
20. محمد كريم فريجة، العلاقات العامة البعد الفكري والتطبيقي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2012.
21. محمد عادل عياض، دراسة نظرية لمحددات سلوك البيئة في المؤسسة الاقتصادية، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، العدد 07، 2009 - 2010.
22. محمد صلاح الدين عباس، نظم الإدارة البيئية والمواصفات القياسية العالمية ايزو 14000، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
23. ميسومي الجبالي، لعطوي جلول، تأثير المسؤولية الاجتماعية على مزيج الاتصال التسويقي - دراسة ميدانية على مؤسسة سويتلي لانتاج الحليب ومشتقاته بعين وسارة - الجلفة، مجلة المعيار، المجلد التاسع، العدد الثاني 2018.
24. نبيل الأعرجي وآخرون، دليل الجودة البيئية في جامعة بابل حسب المواصفة العالمية للبيئة الإيزو 14001، جامعة بابل، أيلول، 2010.
25. نجوى عبد الصمد، طلال محمد مفضي بطاينة، الإدارة البيئية للمؤسسات الصناعية كمدخل حديث للتميز التنافسي، المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، 8 - 9 مارس 2005.

باللغة الأجنبية

1. Abdellah el mzem, Serge Leclerc et des autres, **Vocabulaire des relations publiques**, 2^e édition ,université de montréal,Canada,2014.
2. Angèle DOHOU-RENAUD, **LES OUTILS D'EVALUATION DE LA PERFORMANCE ENVIRONNEMENTALE : AUDITS ET INDICATEURS ENVIRONNEMENTAUX**, congrès de l'association francophone de comptabilité , "la place de la dimension européenne de la comptabilité , contrôle et audit ,Strasbourg , France ,du 27 au 29 mai 2009 .
3. Alain Van Cuycl ,**La communication intégrée Nouveau paradigme organisationnel ?** ,Hall,2007.
4. Alexandra Martin ,**Quand les 4 E bousculent le mix marketing traditionnel** , 2014 , <https://www.miss-seo-girl.com/les-4e-bousculent-mix-marketing-traditionnel/>, le 07/07/2019 ,22 :30.
5. Eddy Bauraing ,Jacques Nicolas ,**Les Indicateurs de Performances Environnementales : annexe technique N°1**, fondation universitaire luxembourgeoise, Décembre 2000.
6. Laurent Da Sihva, **LES INDICATEURS DE PERFORMANCE ENVIRONNEMENTALE AU SERVICE DE L'ÉCOEFFICACITÉ : LE CAS DE LA MINE CANADIAN MALARTIC**, Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement en vue de l'obtention du grade de maître en environnement(M. Env.),UNIVERSITÉ DE SHERBROOKE, Mai 2013.
7. Mark Anthony Camilleri , **Integrated Marketing Communications. In Travel Marketing, Tourism Economics and the Airline Product** ,Chapter 5 ,Cham, Switzerland: Springer Nature, 2018.
8. Norme internationale ISO 14031, **Management environnemental, Evaluation de la performance environnementale**, AFNOR, 1999.
9. Olivier BOIRAL, **ISO 14001 : d'une exigence commerciale aux paradoxes de l'intégration**, conférence de l'association internationale de management stratégique13/15 juin 2001, Faculté des Sciences de l'administration ,Université Laval Québec, Canada.
10. Olivier Moch, **vade-mecum de communication externe des organisations** ,L'édition professionnelle ,2013.
11. Philip.j.kitchen , Jones Graham.spickett, **The emergence of IMC: A theoretical perspective**, University of Hull, Journal of Advertising Research, March 2004.
12. William Menveille, **La communication Marketing intégrée auprès des entreprises de services –une étude de cas exploratoire dans l'hôtellerie**, revue Téoros, vol23,N°03, octobre 2004.



مدى تأثير المسؤولية الاجتماعية للشركات النفطية بتقلبات أسعار النفط دراسة مقارنة بين كل من شركتي قطر بترول وأرامكو السعودية للفترة (2010 - 2017)

The extent to which corporate social responsibility of oil companies is affected by oil prices A comparative study between Qatar Petroleum and Aramco Saudi (2010-2017)

بoulosnam محمد¹ ، عماد غزالي²

1- جامعة المدية، boulesnam.mohamed@univ-medea.dz

2- جامعة المدية، rezazi.imad@univ-medea.dz

تاريخ القبول: 2019-12-14

تاريخ الاستلام: 2019-09-03

ملخص -

هدفت هذه الدراسة أساسا إلى توضيح أهمية المسؤولية الاجتماعية للشركات بصفة عامة وللشركات النفطية على وجه الخصوص، والتعرف على تأثير أسعار النفط على أداء الشركات الاجتماعي، إضافة إلى معرفة الأدوار الاجتماعية التي تقوم بها بعض الشركات النفطية العربية. استخدم الباحثان التقارير السنوية والملحقة لشركتي أرامكو السعودية وقطر بترول بين فترة 2010 - 2017، وتتبع تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية والذي تكون من 25 نقطة.

توصلت الدراسة إلى أن مفهوم المسؤولية الاجتماعية أصبح يمثل جزء مهما من نظرة الأطراف ذوي العلاقة بالشركتين محل الدراسة، وهو ما يحتم الاهتمام بها طوعيا لا إزاميا، في حين التأثير الكبير للشركات النفطية على المجتمعات التي تنشط فيها لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكاره، خاصة إذا تعلق الأمر بالتأثيرات البيئية، لذا فإن اهتمام هذه الشركات بالمسؤولية الاجتماعية أمر أكثر من ضروري بهدف تغطية هذا الجانب السلبي من نشاطها.

الكلمات الدالة -

المسؤولية الاجتماعية، الشركات النفطية، أسعار النفط.

Abstract –

This Study Basically Aimed At Clarifying The Significant Importance Of Oil Companies' Social Responsibility And Identifying The Impact Oil Prices On Companies' Performance .Also To Present The Different Social Roles Of Oil Companies.

Researchers Used Annual And Additional Reports Of Qatar Petroleum And Saudi Aramco Between 2010 And 2017. Researchers Followed The Index Of Social Responsibility Which Consists Of 25 Points.

The Study Concluded That The Concept Of Social Responsibility Becomes A Significant Part Of Stakeholder's Point Of View. Therefore, It Is Unavoidable To Give Social Responsibility Voluntary And Obligatory Importance. Oil Companies Have Big Influence On Society Especially In The Environment Field, Thus, It Puts More Pressure On This Type Of Companies To Assume Their Responsibilities Toward Society To Cover The Negative Aspects Of Their Function.

Key Words-

Social Responsibility, Oil Companies, Oil Prices.

1. - مقدمة

لقد واجهت الأسواق العالمية في الآونة الأخيرة عدة صدمات نفطية مست جانب الأسعار الذي عرف انخفاضاً محسوساً، يرجع ذلك أساساً إلى قانون العرض والطلب، وإلى عدة اعتبارات أخرى تخرج في الغالب عن النطاق الاقتصادي. إن مثل هذا التراجع في الأسعار قد يسبب موجة إيجابية للدول المستوردة للنفط، تحاول حتى الدول المصدرة استثمار مثل هذه الصدمات للتفكير في مصادر ريعية جديدة تكون بديلاً مناسباً للنفط في ظل المستقبل المجهول لمصير الطاقة العالمي.

لا بد للحديث اقتصادياً عن تراجع أسعار النفط عدم عزلها عن تلك الآثار التي تسببها في شتى المجالات، فكثيراً ما تحاول الشركات المنتجة للنفط المساهمة في حماية البيئة والرعاية الصحية والمرورية وحماية الموظفين في إطار ما يسمى بالمسؤولية الاجتماعية، ويشعار كما نضرب نضرب أن نضرب.

1.1. - إشكالية الدراسة

بناء على ما تقدم أعلاه ونظرا للتراجع الرهيب في أسعار النفط الذي يؤثر بدرجة مباشرة وكبيرة على عائدات الشركات النفطية وأرباحها نطرح التساؤل الرئيس التالي: هل هنالك تأثير لانخفاض أسعار النفط على نشاطات المسؤولية الاجتماعية للشركات النفطية؟

يمكن تقسيم التساؤل الرئيس إلى تساؤلات فرعية كما يلي:

- ما أهمية المسؤولية الاجتماعية في الشركة؟

- هل تختلف نظرة شركات النفط للمسؤولية الاجتماعية عن غيرها من

الشركات؟

- ما واقع المسؤولية الاجتماعي في شركتي قطر بترول وأرامكو السعودية

على اعتبارهما قطبين نفطيين في منطقة الخليج ؟

- ما أثر انخفاض أسعار النفط على اهتمام شركتي قطر بترول وأرامكو

السعودية بمسؤوليتهما الاجتماعية؟

2.1. - فرضيات الدراسة

تأسيسا على ما تقدم وكإجابات مؤقتة لأسئلة الدراسة الفرعية يمكن

صياغة الفرضيات التالية:

- تعد المسؤولية الاجتماعية ضرورة حتمية في نشاط أي شركة ذلك لما

تقدمه من مزايا.

- بحكم نشاط الشركات النفطية ذو الأثر الكبير على البيئة والمجتمع

يمكن أن تختلف نظرتها للمسؤولية الاجتماعية عن باقي الشركات.

- تبدي الشركتان محل الدراسة اهتماما بمجالات المسؤولية الاجتماعية

بحكم التنافسية الموجودة في الخليج، وبحكم القوانين التي تفرضها الدول المعنية.

- هنالك تأثير سلبي لانخفاض أسعار النفط على الأداء الاجتماعي

لشركتي قطر بترول وأرامكو السعودية.

3.1. - أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال المرحلة الراهنة التي يتخللها تراجع رهيب في

أسعار النفط الأمر الذي يستدعي أخذ الحيطة والحذر، خاصة في الجوانب التي

كانت تغطيها الشركات النفطية، لأن أي تضحية إلزامية أمام الشركة ستكون

بالجانب الاجتماعي الطوعي لا محالة.

كما وتكتسي الدراسة أهميتها من أهمية موضوع المسؤولية الاجتماعية وما له من تأثير مباشر وغير مباشر على نشاط الشركات وتنافسيتها، بالإضافة إلى النشاطات الاجتماعية التي يمكن للشركات النفطية أن تغطيها بعيدا عن تأثيراتها السلبية المتعلقة بالبيئة والمجتمع.

4.1. - أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- التركيز على أهمية المسؤولية الاجتماعية للشركات بصفة عامة وللشركات النفطية على وجه الخصوص؛

- التعرف على تأثير أسعار النفط على أداء الشركات الاجتماعي؛

- معرفة الأدوار الاجتماعية التي تقوم بها شركتي قطر بترول و أرامكو السعودية؛

- التأكد من أن هنالك تأثيرا لأسعار النفط على الأداء الاجتماعي لشركتي قطر بترول وأرامكو السعودية.

5.1. - متغيرات الدراسة

تم الاعتماد على متغيرين رئيسيين في الدراسة وهما :

- المتغير المستقل: أسعار النفط

- المتغير التابع: المسؤولية الاجتماعية للشركة

6.1. - منهج الدراسة

قام الباحثان باستخدام المنهج الوصفي التحليلي استنادا على البيانات المتوفرة في و التي تناولت المسؤولية الاجتماعية، في حين تم الاعتماد على الاستدلال أثناء تتبع تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية لدى الشركتين المدروستين من خلال قراءة التقارير السنوية والاجتماعية بين سنوات 2010 - 2017، وذلك من أجل معرفة مدى تأثير الأداء الاجتماعي بمتغير الأسعار وذلك باستخدام تحليل الانحدار البسيط اعتمادا على الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS.

7.1. - الدراسات السابقة

يمكن عرض أهم الدراسات السابقة من خلال الجدول الآتي:

جدول 1. عرض الدراسات السابقة

الدراسة	أهداف الدراسة	نتائج الدراسة
بابا عبد القادر، وهيبة مقدم، المسؤولية الاجتماعية ميزة خالقة للقيمة، دراسة حالة شركة سونطراك. (بابا و مقدم، 2008).	هدفت الدراسة إلى معرفة المزايا التي ستتحقق للشركة في حالة التزامها بالمسؤولية الاجتماعية، والكشف عن العوائد المادية وغير المادية من هذا الالتزام مع التركيز على شركة سونطراك.	توصلت الدراسة إلى أن الشركة يمكن أن تكتسب أرباحاً على المستوى البعيد كلما زاد دورها الاجتماعي، إضافة إلى اكتسابها سمعة وصورة يمكن أن تحسن من ميزتها التنافسية.
محمد فلاق، المسؤولية الاجتماعية للشركات النفطية العربية، سونطراك الجزائرية، أرامكو السعودية أنموذجاً. (محمد، 2013)	هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تبني الشركات العربية لمفهوم المسؤولية الاجتماعية، وتأثيرها على المجتمع بالاعتماد على التقارير السنوية لشركتين عربيتين.	توصلت الدراسة إلى وجود مساهمات فعلية اتجاه المجتمعات التي تعمل فيها، كما وأوضحت الدراسة وجود تفاوت في أداء الشركتين الاجتماعيتين.
عثمان محمد الزين إدريس، المسؤولية الاجتماعية لشركات البترول ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية بالسودان. (إدريس، 2016)	هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تبني شركات النفط العاملة في السودان ممثلة بشركة بترونرجي للنفط والغاز لمفهوم المسؤولية الاجتماعية ودور ذلك على التنمية الاقتصادية للمجتمع.	توصلت الدراسة إلى أن شركات البترول العاملة في السودان يمكن أن تؤدي دوراً كبيراً في تخفيض حدة الفقر من خلال مساهماتها في أنشطة التنمية الاقتصادية المختلفة.

المصدر: من إعداد الباحثين اعتماداً على الدراسات السابقة المذكورة.

6.1. - هيكل الدراسة

للإجابة على إشكالية وفرضية الدراسة قمنا بتقسيم الدراسة إلى محورين: يتضمن المحور الأول الإطار النظري للمسؤولية الاجتماعية للشركات، ويعالج المحور الثاني أثر أسعار النفط على المسؤولية الاجتماعية لشركتي قطر للبترول وأرامكو السعودية.

3. - الإطار النظري للمسؤولية الاجتماعية

1.3. - مفهوم المسؤولية الاجتماعية

يعتبر مفهوم المسؤولية الاجتماعية من المصطلحات التي لم يتم ضبطها بصفة نهائية ذلك أن التطور الحاصل في مجالاتها يجعله دائم التوسع ويمكن استعراض بعض المفاهيم والتي تناولتها بعض الهيئات الدولية أو بعض المفكرين وندرج منها:

عرفها البنك الدولي على أنها التزام بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيها والمجتمع المحلي والمجتمع ككل لتحسين مستوى معيشة الناس بأسلوب يخدم التجارة والتنمية في آنٍ واحد. (Copron & Francoise, 2007, p. 23)

عرفها مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة على أنها التزام مستمر من قبل الشركات على التصرف بشكل أخلاقي والمساهمة في التنمية الاقتصادية مع ضرورة تحسين نوعية الحياة للقوى العاملة والمجتمع المحلي قصد تحقيق تنمية مستدامة. (NBCSD, 2010, p. 6)

عرفها الاتحاد الأوروبي على أنها مفهوم تقوم الشركات بمقتضاه بتضمين اعتبارات بيئية واجتماعية في أعمالها، وفي تفاعلها مع أصحاب المصالح على نحو تطوعي، ويركز الاتحاد الأوروبي على فكرة أن المسؤولية الاجتماعية هي مفهوم تطوعي لا يستلزم سن القوانين أو وضع قواعد محددة تلتزم بها الشركات للقيام بمسؤولياتها اتجاه المجتمع. (حسين، 2010، صفحة 3)

كما عرفت المنظمة العالمية للمعايير بأنها: تحمل المسؤولية الناجمة عن أثر النشاطات التي تقوم بها على المجتمع والمحيط لتصبح نشاطاتها منسجمة مع منافع المجتمع والتنمية المستدامة.

وأكدت الغرفة التجارية العالمية على أن المسؤولية الاجتماعية هي جميع المحاولات التي تساهم في تطوع المؤسسات لتحقيق تنمية ذات اعتبارات أخلاقية

واجتماعية، وبالتالي فإن المسؤولية الاجتماعية تعتمد على المبادرات الحسنة من الشركات دون وجود إجراءات ملزمة قانونياً، فهي تتحقق بالإقناع والتعليم. (حسين، 2010، صفحة 3)

عرفها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأنها عبارة التزام الشركة بالمشاركة في عمل الصالحات عند ممارسة أنشطتها اتجاه الأطراف ذوي العلاقة، نتيجة التكليف الذي ارتضته في ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية، بهدف النهوض بالمجتمع الإسلامي، مع مراعاة المرونة والاستطاعة والشمول والعدالة. (صالح و رولا، 2015، صفحة 19)

في حين يعرفها بعض المهتمين والمتخصصين أمثال Grond على أنها الانتقال من ذلك المفهوم الفلسفي إلى مفهوم أدق يشمل جل العوامل التي يمكنها تحقيق التنمية المستدامة دوم التضحية بالأداء الاقتصادي للشركة.

كما عرفت من طرف Christine على أنها الطرق التي بواسطتها تسعى الشركة إلى التواصل مع المجتمع الذي تعمل فيه ومواءمة قيمها وسلوكها مع تلك الجهات المعنية من أصحاب المصالح والتي تشمل الموظفين والعملاء والموردين والحكومة والبيئة والمجتمع ككل. (Grond, 2003)

عرفها David على أنها النشاطات التي من خلالها يمكن للشركات دمج نشاطاتها الاجتماعية والبيئية في عملياتها التجارية وتفاعلها بذلك مع أصحاب المصلحة على أساس طوعي. (David & Guler, 2008, p. 11)

عرفها فيليب Philip Kotler و Nancy Lee بأنها التزام بتحسين رفاهية المجتمع من خلال ممارسات أعمال اختيارية تقديرية ومساهمات بالموارد المؤسسية. (فيليب و نانسي، 2011، صفحة 9)

تعرف المسؤولية الاجتماعية كذلك بمسميات أخرى كالمساءلة، أخلاقيات المؤسسة، مواطنة المؤسسة، ريادة الأعمال المسؤولة وصولاً إلى القدرة التنافسية المسؤولة واستدامة المؤسسات. (Paul, 2007, p. 4)

كذلك اشتركت مجمل التعريفات السابقة في أهداف المسؤولية الاجتماعية للشركة وتباينت في المجالات الممكن إدراجها ضمن التعريف وعلى الأساس يمكن القول أن المسؤولية الاجتماعية ما هي إلا " جل النشاطات التي تقوم بها الشركة بغية الوصول إلى أهدافها المرغوبة والقيم السائدة في المجتمع

والتي تعتبر حتما جزءا من المنافع الاقتصادية المباشرة لإدارة الشركة والساعية إلى تحقيقها كجزء من الإستراتيجية العامة لها ويمكن إيجادها بمسميات مختلفة قد تتقاطع أو تتشابه في مضامينها كالمواطنة والاستدامة".

2.3 . - أهمية المسؤولية الاجتماعية للشركات

لا شك أن المسؤولية الاجتماعية باتت جزء لا يكاد يتجزأ من نشاط الشركات ذلك أن الشركات المسؤولة اجتماعيا أثبتت جدارتها وتنافسيتها ويمكن في هذا الصدد تلخيص أهمية المسؤولية الاجتماعية للشركات في النقاط التالية: (صالح ورولا، 2015، صفحة 31)

- الشركة المسؤولة اجتماعيا تتضمن تطبيقا لمبادئ المساءلة والشفافية وسلامة المستهلك؛

- الشركة المسؤولة اجتماعيا تشجع المشاركة الفعالة للعاملين ذكورا كانوا أو إناثا؛

- الشركة المسؤولة اجتماعيا تحاول الابتعاد عن الممارسات الخادعة لمستهلكيها؛

- ترفع المسؤولية الاجتماعية الميزة التنافسية للشركة لأنها تضمن استمرارية ثقافة الإبداع، وتجذب وتساهم في الحفاظ على الموظفين، كما وتسمح برفع الأداء المالي للشركة؛

- تحسن المسؤولية الاجتماعية صورة الشركة لدى المتعاملين والجمهور وبقية الأطراف ذوي العلاقة.

بالإضافة إلى ذلك يمكن القول أن المسؤولية الاجتماعية تسمح بوجود المزايا التالية: (نجم، 2006، صفحة 214)

- توقعات الجمهور: الاهتمامات الاجتماعية للشركة تدعم الأهداف الاقتصادية؛

- الأرباح طويلة الأمد: إن الأعمال المسؤولة اجتماعيا تميل لأن تكون أكثر ضمانا لتحقيق الأرباح طويلة الأمد، وهذه نتيجة لطبيعة العلاقة الجيدة مع المجتمع وتحسن صورتها لدى الجمهور؛

- الالتزام الأخلاقي: مراعاة ما هو الصواب من الخطأ في كل نشاطاتها؛

- الصورة الذهنية للجمهور: إضافة هدف إرضاء الجمهور لكسب ثقة وولاء أكبر فئة من المجتمع؛
- البيئة الأفضل: التزامها بحل المشكلات الاجتماعية الصعبة من أجل توفير حياة أفضل ومستويات استقرار أفضل للمجتمع؛
- عدم تشجيع صدور لوائح حكومية: والتي من شأنها أن تكلف الشركة والتزامها بالمسؤولية يجنبها هذه التكاليف؛
- الموازنة بين المسؤولية والقوة: متابعة الأعمال بالمسؤولية الاجتماعية أي إعطاء الصورة الحسنة عن أعمال الشركة؛
- امتلاك الموارد: إن الأعمال تمكن من امتلاك الموارد المالية والمادية التي تقدم الدعم الاجتماعي والمشروعات الحسنة للمجتمع؛
- تفوق الوقاية على العلاج: من خلال دورها في حل المشكلات في وقتها قبل أن تتفاقم وتصبح مكلفة أو صعبة الحل.

3.3 - شركات النفط بين تعظيم الربح ومسؤوليتها الاجتماعية

أدركت الحكومات في العالم الصناعي مبكرا ومن التجربة أن الصناعة النفطية بحكم طبيعة عملياتها وتكوينها يلازمها العديد من المخاطر البيئية المحتملة فسرعت القوانين والأنظمة الحمائية، وأنشأت الأجهزة الرقابية المتخصصة لتحقيق التوازن بين المصلحة الخاصة للشركات ومصلحة المجتمع والبيئة المحيطة، وبالتالي أصبحت الشركات النفطية حريصة على الحفاظ على البيئة خوفا من العقوبات الرادعة، وتجنباً لانتقادات منظمات حماية البيئة وجمعيات النفع المدني، وطمعا في كسب التصالح مع المجتمع والحفاظ على سمعتها التجارية واستمراريتها ونمو أعمالها، وهذا بالمعنى المبسط ما يقصد به تحمل الشركات مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع والبيئة. فقد نشأت فكرة «المسؤولية الاجتماعية» في الأساس لتقليل التضارب وتحقيق التوازن بين المصلحة الخاصة للشركات والمصلحة العامة للمجتمع، حيث أن الشركات في سعيها للبحث عن الربحية يجب أن تراعي المحافظة على البيئة ورفاهية المجتمع. (عبد الله، 2013، صفحة 5)

من المعروف أن الشركات النفطية العالمية وما يعرف بـ «متعددة الجنسيات» مارست الازدواجية في تطبيق مبدأ المسؤولية الاجتماعية، فحين انتقلت للعمل في

دول العالم الثالث تراخي اهتمامها وحرصها على إتباع المعايير والمواصفات البيئية وأخلاقيات العمل التي كانت تتبعها في دولها الأم مستغلة غياب التشريعات والمساءلة وفساد أنظمة الحكم المحلي، وبالتالي تغلبت المصلحة الخاصة (تعظيم الربح بأي طريقة) فحدثت الخروقات للمعايير البيئية والحقوق العمالية وكثيرا ما نسمع أو نقرأ عن قضايا عماليه وكوارث بيئية تسببت فيها الشركات المتعددة الجنسية في دول أمريكا الجنوبية (الإكوادور والبرازيل) وفي أفريقي (أنجولا وغانا) وغيرها من دول العالم الثالث، ومن أشهر القضايا البيئية المتنازع عليها هي الشكوى التي رفعتها حكومة الإكوادور متهمه شركة النفط الأمريكية شيفرون - تكساكو بتلويث منطقة واسعة من غابات الأمازون الواقعة في شرق الإكوادور بالنفايات السامة في الفترة ما بين 1964 - 1990، وتسببت في تلوث المياه الجوفية، وانتشار أمراض سرطانية بين سكان المنطقة، وأصدرت محكمة محلية في الإكوادور حكما على الشركة الأمريكية بدفع تعويضات يبلغ قدرها 19 بليون دولار، وكما هو متوقع رفضت الشركة الاتهام والحكم، وطالبت بتحويل القضية لأمريكا أو للتحكيم الدولي ومازالت القضية عالقة، وعندما قدمت شركات النفط العالمية لدول الشرق الأوسط مارست نفس الازدواجية في تطبيق المسؤولية الاجتماعية ولعقود طويلة.

وتحت ضغوط الاحتجاجات العمالية وتنامي المعرفة التقنية للأجهزة المحلية بدأت الشركات تغير في سياستها وبدأ اهتمامها التدريجي بالمسؤولية الاجتماعية وتقديم الخدمات التطوعية، وأصبحت في الأخير جزءا من منظومة المشاريع و خطة العمل. في دول الخليج العربي تحولت ملكية الشركات الأجنبية بالكامل في عقد الثمانينات، وأصبحت تسمى بأسماء الدول المالكة وترتبط مباشرة بوزارات البترول/ النفط، وأن ظل العامل الأجنبي مؤثرا في الإدارة والتخطيط، ومن الملاحظ أن العامل المشترك لأغلب شركات النفط الوطنية في دول العالم النامي أنها تمتلك حصانة منيعة من المساءلة والمراقبة الاجتماعية، وبالتعبير الدارج يمكن وصفها بدولة داخل الدولة، الأمر الذي قد يؤثر على ممارسة وفعالية مسؤولياتها الاجتماعية حينما تكون في مأمن من المساءلة والمراقبة وفي غياب الدور الاجتماعي لمنظمات النفع المدني. (عبد الله، 2013، صفحة 5)

يبقى الحديث عن المد والجزر بين تعظيم الريح والاهتمام بمجالات المسؤولية الاجتماعية في شركات النفط أمراً ظرفياً، خاصة في ظل تجارب هذه الأخيرة واقتناعها بأن آثار الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية ستكون ايجابية لا محالة، وفي ظل الإلزامية التي تفرضها الدول المستقبلية لشركات النفط.

3. - الإطار التطبيقي للدراسة

1.3. - لمحة عامة عن شركتي قطر بترول وأرامكو السعودية

1.1.3 - قطر بترول

قطر للبترول هي مؤسسة وطنية تملكها الدولة تأسست بموجب المرسوم الأميري رقم 10 لسنة 1974، وهي مسئولة عن جميع مراحل قطاع النفط والغاز في دولة قطر.

تشمل الأنشطة الرئيسية لقطر للبترول وشركاتها التابعة ومشاريعها المشتركة عمليات الاستكشاف، وإنتاج، وبيع النفط الخام، والغاز الطبيعي، وسوائل الغاز والغاز الطبيعي المسال، والمنتجات البترولية المكررة، والوقود المصنّع، والبتروكيماويات، والإضافات البترولية، والأسمدة الكيماوية، والصلب، والألومنيوم على المستويين المحلي والدولي.

وتتم عمليات ونشاطات قطر للبترول وشركاتها التابعة في المواقع البرية بما في ذلك الدوحة، ودخان، ومدينتي مسيعيد ورأس لفان الصناعيتين، وفي المواقع البحرية التي تشمل جزيرة حائل، ومحطات الإنتاج البحرية، ومنصات الحفر، وحقل الشمال. (قطر بترول، 2014، صفحة 14)

2.1.3 - أرامكو السعودية

أرامكو السعودية هي شركة النفط الوطنية المملوكة للمملكة العربية السعودية، وهي شركة عالمية متكاملة للنفط والكيماويات، وقد أصبحت خلال تاريخها الممتد لثمانين عاماً شركة عالمية رائدة في مجال التنقيب عن المواد الهيدروكربونية وإنتاجها وتكريرها وتوزيعها وشحنها وتسويقها، فضلاً عن كونها أكبر مصدر للنفط الخام وسوائل الغاز الطبيعي في العالم.

وتتمتع أرامكو السعودية بأضخم بنية تحتية للنفط والغاز في الصناعة من حيث حجم الإنتاج وموثوقية التشغيل والتقدم التقني، فمعامل الشركة وموظفوها القائمون على تشغيل تلك المعامل يجعلان منها المنتج الأول للزيت

الخام في العالم حيث تنتج برميلاً واحداً تقريباً من كل ثمانية براميل ينتجها العالم من الزيت.

وتحتفظ الشركة بأكبر طاقة إنتاجية احتياطية من النفط الخام في العالم، وهي طاقة جاهزة للاستخدام بغرض المحافظة على استقرار السوق النفطية في حال اضطراب الإمدادات، وتتولى الشركة إدارة احتياطي مؤكد من النفط الخام التقليدي والمكثفات يبلغ نحو 261.1 بليون برميل، فيما بلغ متوسط الإنتاج اليومي من النفط الخام 9.54 مليون برميل في اليوم، كما تتولى الإشراف على احتياطيات من الغاز الطبيعي تبلغ 294 تريليون قدم مكعبة قياسية.

ويقع المقر الرئيس لأرامكو السعودية في الظهران بالمملكة العربية السعودية، فيما تنتشر مكاتبها وأعمالها في أنحاء المملكة، ويعمل بها أكثر من 61 ألف موظف ينتمون إلى 77 دولة، كما توجد شركات تابعة ومنسوبة لأرامكو السعودية داخل المملكة وفي الصين ومصر واليابان والهند وهولندا وكوريا وسنغافورة والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

2.3. - اهتمام شركتي قطر بترول وأرامكو بالمسؤولية الاجتماعية

1.2.3 - ملخص اهتمام قطر بترول بالمسؤولية الاجتماعية

تساهم قطر بترول في العديد من المجالات التي بدورها تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاستدامة، من خلال عدة أوجه من الأنشطة والتي يمكن أن نوجزها في ما يلي:

- إدخال الأوجه الاقتصادية والبيئية والاجتماعية في كافة قرارات

الأعمال؛

- إحراز أداء بيئي سليم غير خفض التأثيرات التي تخلفها أنشطة

الشركة؛

- البحث عن سبل فضلى لإدارة الموارد الطبيعية باستخدام كمية أقل من

الطاقة وخفض الانبعاث؛

- التقيد بالتشريعات البيئية المحلية والدولية والإقرار بالإجراءات

والمقاييس الفضلى لإدارة التكنولوجيا والبيئة؛

-إبداء اهتمام كبير بالبيئة من خلال رعاية برامج الوعي والتربية البيئية في المدارس والمجتمع، وورش العمل حول البيئة، غرس الأشجار وإزالة النفايات البحرية والبرامج المتعددة للمحافظة على الموارد الطبيعية القيمة وحمايتها.

1.2.3 - ملخص اهتمام أرامكو السعودية بالمسؤولية الاجتماعية

أ - المجتمع:

تعد المجتمعات التي تتسم بالسلامة والصحة والحيوية أساس التقدم والنمو في المستقبل. وتساهم أرامكو في ذلك بعدة طرق، حيث دخلت الشركة في عام 2014 في شراكة مع شركة جونز هوبكنز ميديسن لتحسين نوعية الرعاية الصحية لمئات الآلاف من الأشخاص في المنطقة الشرقية من المملكة، وقدمت المساعدة لوزارة الصحة من خلال بناء مركز للتحكم والسيطرة وتزويد العيادات الطبية في مختلف أنحاء المملكة بما تحتاجه لاحتواء وإيقاف انتشار متلازمة الشرق الأوسط التنفسية فيروس نوفل كورونا، كما تم انجاز مشاريع عديدة لجعل المدارس الحكومية التي بنتها أرامكو السعودية أكثر أمناً وتطوراً وكفاءة في استهلاك الطاقة.

بالإضافة إلى الإيمان بأن الرياضة والنشاط الرياضي من أساسيات النسيج الاجتماعي السعودي في المستقبل، لاسيما الدور الذي تلعبه الرياضة في تعزيز رفاهية ورخاء الشباب السعودي. وقد أسهمت أرامكو السعودية في إبراز هذه الرؤية إلى حيز الوجود عن طريق بناء الملعب الرئيس لمدينة الملك عبد الله الرياضية في جدة، وإطلاق برنامج لبناء ملاعب إضافية في أنحاء المملكة.

كما نفذت الشركة العديد من حملات التوعية والبرامج المجتمعية في مجال السلامة في أنحاء المملكة استفاد منها مئات الآلاف من المواطنين والمقيمين في المدارس ومعاهد التدريب والمراكز التجارية والمهرجانات الثقافية. وواصلت الشركة العمل على تحسين عادات السياقة الآمنة من خلال غرس المعرفة والارتقاء بالوعي وبناء القدرات في مجال الاستجابة للطوارئ وتطبيق حلول تقنية تحد من أساليب السياقة الخطرة، إضافة إلى ما تقدم فقد استهدفت التبرعات الخيرية في عام 2014 الفئات الأكثر احتياجاً للعون. (أرامكو، 2015، صفحة 41)

ب - البيئة:

- إعداد وتنسيق استراتيجيات ترشيد وتحسين استهلاك الطاقة بالتعاون مع الأجهزة الحكومية وشركات الكهرباء والماء.
- رعاية المبادرات والبرامج التي تسعى لتلبية احتياجات المملكة من الطاقة بطريقة اقتصادية ومقبولة من الناحية البيئية.
- استخدام تقنيات تتسم بالكفاءة والابتكار والجدوى الاقتصادية.
- إعادة تدوير 6454 طنا من الورق والكرتون من خلال برامج نفذت في مناطق المكاتب والمناطق السكنية منذ عام 2009.
- إعادة تدوير 381 طنا من البلاستيك والزجاج والألومنيوم من خلال برامج نفذت في مناطق المكاتب والمناطق الأخرى.
- تلبية 46% من احتياجات مياه الري من خلال مياه الصرف الصحي المعالجة.

-زراعة 453,500 شتلة منغروف على طول السواحل السعودية منذ عام 2011. (أرامكو، 2015، الصفحات 71 - 75)

3.3. - تحليل تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية في قطر بترول وأرامكو السعودية

إن الحديث عن مؤشر المسؤولية الاجتماعية هو محاولة كمية للتعبير عن حجم الإفصاح الاجتماعي في التقارير السنوية للشركات، أو هو محاولة قياس الأداء الاجتماعي وقد استخدمت العديد من الدراسات هذا المؤشر في حين تختلف محتويات المؤشر من باحث لآخر.

ويمكن تقسيم مؤشر المسؤولية الاجتماعية إلى أربعة أقسام رئيسية:

-الاهتمام بالجانب البيئي؛

-الاهتمام بالموارد البشرية؛

-الاهتمام بالمجتمع؛

-الاهتمام بالعملاء؛

ويندرج ضمن هذه المجالات العناصر التالية:

أ -الاهتمام بالجانب البيئي: ويتضمن ما يلي:

-سياسة الشركة اتجاه البيئة؛

- المساهمة في برامج حماية البيئة والتلوث؛
 - حماية الموارد الطبيعية؛
 - مشاريع إعادة التدوير؛
 - استخدام الآلات الأقل تلويثا للبيئة؛
 - البحث والتطوير فيما يتعلق بالبيئة؛
 - الاستثمار في المجال البيئي.
- ب - الاهتمام بالموارد البشرية: ويتضمن ما يلي:
- عدد الموظفين حسب الدوائر؛
 - برامج التدريب للموظفين؛
 - مستوى رواتب وأجور الموظفين؛
 - برامج تشجيع صحة الموظفين؛
 - مساهمة الشركة نحو رفاهية الموظفين؛
 - برامج سلامة الموظفين؛
 - سياسة التعيين في الشركة؛
 - سياسة الترقية وتحفيز الموظفين.
- ت - الاهتمام بالتفاعلات مع المجتمع: ويتضمن ما يلي:
- التبرعات لنشاطات المجتمع، المستشفيات والجامعات؛
 - برامج طلابية، منح؛
 - فرص العمل والتقليل من البطالة؛
 - المساهمة في خدمة المجتمع بالتقليل من الجرائم؛
 - محاربة الفقر؛
- ث - الاهتمام بالعملاء: ويتضمن ما يلي:
- جودة المنتج؛
 - الاستجابة لشكاوي العملاء؛
 - دور الشركة في السيطرة على الأسعار؛
 - الالتزام بلوائح حماية المستهلك؛
 - إعلام الزبائن عن السلع والخدمات المقدمة.

وبناء على ما تقدم فإن الأداء الاجتماعي المتميز هو ما يعبر عنه بمؤشر كلي قدره 100% أو 25 نقطة من 25.

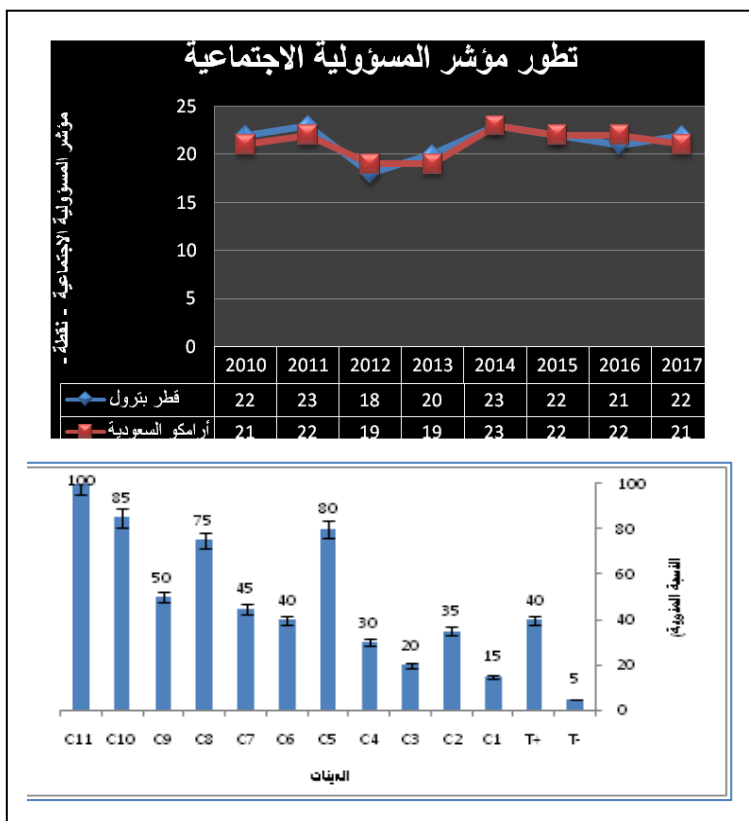
جدول 2. تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية في شركتي قطر بترول و أرامكو السعودية للفترة (2010 - 2017)

2017	2016	2015	2014	2013	2012	2011	2010	
22	21	22	23	20	18	23	22	قطر للبنترول
21	22	22	23	19	19	22	21	أرامكو السعودية

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على التقارير السنوية للشركتين خلال سنوات الدراسة.

من خلال الجدول والشكل أعلاه نلاحظ تقاربا كبيرا في مؤشر المسؤولية الاجتماعية لكل من شركة قطر بترول وأرامكو السعودية بقيمة دنيا 18 نقطة من 25 نقطة لأخفض مستوى لاهتمام قطر بترول بالمسؤولية الاجتماعية والإفصاح عن ذلك في تقاريرها السنوية، وقيمة 19 نقطة من 25 نقطة كحد أدنى لشركة أرامكو السعودية، وقد سجلت هذه المستويات في سنة 2012 .
توضح سنوات الدراسة بالنسبة للشركتين وصول مؤشر المسؤولية الاجتماعية إلى درجة عالية ممثلة بالقيمة 23 والتي تحصلت عليها الشركتان سنة 2014 مما يدل على اهتمامها الكبير وتغطيتهما لـ 23 بندا من بنود المؤشر الخاص بالمسؤولية الاجتماعية.

شكل 1. تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية في شركتي قطر بترول وأرامكو السعودية



المصدر: من إعداد الباحثين اعتماداً على التقارير السنوية للشركتين خلال سنوات الدراسة.

رابعاً، تحليل أثر أسعار النفط على مؤشر المسؤولية الاجتماعية لشركتي قطر بترول وأرامكو السعودية

4.3 - تحليل أثر أسعار النفط على مؤشر المسؤولية الاجتماعية لشركتي قطر بترول وأرامكو السعودية

جدول 3. تطور مؤشر المسؤولية الاجتماعية في شركتي قطر بترول و أرامكو السعودية للفترة (2010 - 2017)

المسؤولية الاجتماعية لشركة أرامكو السعودية (بالنقطة)	مؤشر المسؤولية الاجتماعية لشركة قطر بترول (بالنقطة)	المتوسط السنوي لسعر البترول (دولار أمريكي)	
21	22	,3877	2010
22	23	,46107	2011
19	18	,45109	2012
19	20	,87105	2013
23	23	,2996	2014
22	22	49,49	2015
22	21	,7640	2016
21	22	,5152	2017

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على التقارير السنوية للشركتين خلال سنوات الدراسة.

سيتم تقصي تأثير أسعار النفط بين سنوات 2010 و 2017 وتأثيرها على الأداء الاجتماعي للشركتين محل الدراسة ممثلا بمؤشر المسؤولية الاجتماعية باستخدام نموذج الانحدار البسيط.

4.31. - بالنسبة لشركة قطر بترول

جدول 4. معاملات معادلة خط الانحدار لشركة قطر بترول

Sig	مستوى	قيمة Beta	الأخطاء المعيارية	قيمة B	
0.000			1.94	22.57	الثابت
0.54		- 0.25	0.23	.015-0	أسعار النفط

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا مخرجات SPSS

يوضح جدول المعاملات أعلاه أن زيادة أسعار النفط بدولار واحد سيؤدي إلى انخفاض في مؤشر المسؤولية الاجتماعية ب 0.015 نقطة، وهو انخفاض لا يبدو معنويا نظريا لأن النموذج الموضح لا يفسر جل المتغيرات المؤثرة في مؤشر المسؤولية الاجتماعية، الأمر الذي يشير إليه مستوى الدلالة المقدر ب 0.54 والذي جاء أكبر من مستوى الدلالة المعتمد 0.05، وهو ما يدل على أن هناك

تأثيراً جانبياً لا يكاد يكون محسوساً لأسعار النفط على مؤشر المسؤولية الاجتماعية.

جدول 5. ملخص جدول الانحدار لشركة قطر بترول

معامل الارتباط R	معامل التحديد R square	معامل التحديد المصحح Adjusted R square
0.25	0.06	0.09-

المصدر: من إعداد الباحثين اعتماداً مخرجات SPSS

ومن خلال ملخص جدول الانحدار نلاحظ أن متغير أسعار النفط يفسر فقط ما نسبته 6 % من التغيرات الحاصلة في مؤشر المسؤولية الاجتماعية وهذا بالاعتماد على معامل التحديد أما بالاعتماد على معامل التحديد المصحح فيتضح جلياً بأن القيمة التفسيرية لأسعار النفط سالب وهو ما يعني أن النموذج لا يفسر بأي حال من الأحوال التغيرات الحاصلة في مؤشر المسؤولية الاجتماعية.

4.32. - بالنسبة لشركة أرامكو السعودية

جدول 6. معاملات معادلة خط الانحدار لشركة أرامكو السعودية

Sig مستوى الدلالة	قيمة Beta	الأخطاء المعيارية	قيمة B	
0.000		1.59	22.78	الثابت
0.313	- 0.41	0.01	- 0.021	أسعار النفط

المصدر: من إعداد الباحثين اعتماداً مخرجات SPSS

من خلال جدول المعاملات أعلاه نلاحظ أن زيادة أسعار النفط بدولار واحد سيؤدي إلى انخفاض في مؤشر المسؤولية الاجتماعية ب 0.021 نقطة، وهو انخفاض لا يبدو معنوياً نظرياً لأن النموذج الموضح لا يفسر جل المتغيرات المؤثرة في مؤشر المسؤولية الاجتماعية، الأمر الذي يشير إليه مستوى الدلالة المقدر ب 0.313 والذي جاء أكبر من مستوى الدلالة المعتمد 0.05، وهو ما يدل على عدم وجود أدنى تأثير لأسعار النفط على مؤشر المسؤولية الاجتماعية.

جدول 7. ملخص جدول الانحدار لشركة أرامكو السعودية

معامل الارتباط R	معامل التحديد R square	معامل التحديد المصحح Adjusted R square
0.41	0.16	0.029

المصدر: من إعداد الباحثين اعتماداً على مخرجات

من خلال ملخص جدول الانحدار نلاحظ أن متغير أسعار النفط يفسر فقط ما نسبته 16 % من التغيرات الحاصلة في مؤشر المسؤولية الاجتماعية، وهذا بالاعتماد على معامل التحديد، أما بالاعتماد على معامل التحديد المصحح فيتضح جلياً بأن القيمة التفسيرية لأسعار النفط صغيرة جداً 2.9 % وهو ما يعني أن المتغيرات خارج النموذج لها تأثير أكبر على مؤشر المسؤولية الاجتماعية.

4. - خاتمة:

من خلال التحليل النظري والجانب التطبيقي للدراسة يمكننا تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

- أصبحت المسؤولية الاجتماعية تمثل جزءاً مهماً من نظرة الأطراف ذوي العلاقة للشركة، وهو ما يحتم الاهتمام بها طوعاً لا إكراهاً.
- التأثير الكبير للشركات النفطية على المجتمعات التي تنشط فيها لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكاره، خاصة إذا تعلق الأمر بالتأثيرات البيئية، لذا فإن اهتمام هذه الشركات بالمسؤولية الاجتماعية أمر أكثر من ضروري بهدف تغطية هذا الجانب السلبي من نشاطها.
- تعد قطر بترول وأرامكو السعودية قطبان نفطيان كبيران في منطقة الخليج العربي، وأوضحت التقارير الخاصة بالشركتين مدى اهتمامهما بالأنشطة الاجتماعية وصولاً إلى مفهوم الشركة المواطنة.
- أوضحت التقارير السنوية تحسناً ملحوظاً في مؤشر المسؤولية الاجتماعية وهو ما يبرز جهود الشركتين الحثيث لتطوير المجتمع الذي تنشط فيه مع تقارب كبير في مستوى المؤشر نظراً لطبيعة عمل الشركتين وكذا البيئة المحلية والدولية المتقاربة بين الشركتين.

-لم يبد من خلال تتبع تأثير أسعار النفط للسنوات التسع السابقة على الأداء الاجتماعي أي تأثير يذكر، ذلك أن المسؤولية الاجتماعية في الشركتين محل الدراسة باتت ثقافة مؤسسية قبل أن تكون لها أهداف ربحية.

-يمكن القول أن تأثير أسعار النفط يمكن أن يؤثر على المبالغ المنفقة في مجالات المسؤولية الاجتماعية، ولكن بوجه عام أصبحت هذه الأنشطة جزءا من استراتيجية الشركتين التي لا يمكن الاستغناء عنها في خضم تقلبات الاقتصاد القصرية الأجل.

وبناء على النتائج المتوصل إليها يمكن تقديم بعض الاقتراحات التالية:
-غياب نماذج للمسؤولية الاجتماعية محليا يجعل الشركات الوطنية بعيدة كل البعد عن ثقافة المسؤولية الاجتماعية، والتي تبدو في ظاهرها تكاليف آنية من أجل عوائد تسويقية مستقبلية.

-تعتبر قطر بترول و أرامكو السعودية أنموذجين عربيين ناجحين للشركات الناجحة ماليا والمكتسبة لثقافة المسؤولية الاجتماعية، وهو ما يستدعي دراسة مثل هذه النماذج وتطبيقها محليا خاصة في ظل تفاقم الآثار المتعلقة بالنشاط النفطي خاصة والطاقي بصفة عامة لاسيما موضوع الغاز الصخري مؤخرا والطاقات البديلة.

-محاولة استغلال الفترات الربعية ذات العوائد المعتبرة في نشاطات اجتماعية تكون الشركات الكبرى هي المؤطر والمسير لها، تحسينا لصورتها وضمانا لاستمراريتها.

المراجع

- الحموري صالح، المعاينة رولا (2015)، المسؤولية المجتمعية للمؤسسات، كنوز المعرفة، الأردن.
- عبود نجم نجم (2006)، أخلاقيات الادارة ومسؤولية الأعمال في شركات الأعمال، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن.
- ادريس (2016)، المسؤولية الاجتماعية لشركات البترول ودورها في التنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان.
- الأعرج حسين (2010)، المسؤولية الاجتماعية للشركات، مجلة جسر التنمية، العدد 90، المعهد العربي للتخطيط، الكويت.
- عبد القادر بابا، وهيبه مقدم (أفريل، 2008)، المسؤولية الاجتماعية ميزة خالقة للقيمة، مجلة الاقتصاد و المناجمت، جامعة تلمسان، الجزائر.
- فلاق محمد (2013)، المسؤولية الاجتماعية للشركات العربية النفطية، سونطراك الجزائرية أرامكو السعودية أنموذجا، مجلة الباحث، العدد 12، الجزائر.
- كوتر فيليب، لي نانسي. (2011)، المسؤولية الاجتماعية للشركات، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر.
- علي ابراهيم عبد الله (2013)، المسؤولية الاجتماعية لدى الشركات النفطية، جريدة اليوم، العدد 14612، السعودية.
- أرامكو (2015)، تقرير المواطنة، السعودية: أرامكو .
- قطر بترول (2014)، التقرير السنوي، قطر بترول.

Copron, M., & Francoise, Q. l. (2007). la responsabilité d entreprise. edition la découverte.

David, C., & Guler, A. (2008). corporate social responsibility. UK: De Montfort University.

Grond, J. P. (2003). la prise en compte du concept de responsabilité sociale. france: group de travail.

NBCSD. (2010). The social role of business. New Zeland: New Zeland council for sustainable development.

Paul, H. (2007). corporate social responsibility an implementation guide for business. International institute for sustainable development.



قياس العلاقة الديناميكية بين الصدمات الاقتصادية وأداء البورصات العربية

Measuring The Dynamic Relationship Between economic shocks and Performance of Arab Stock Exchanges

صلاح الدين نعاس¹، عبد الرحمان بن سانية¹، علي بن الضب²

¹ - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة غرداية

² - معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المركز الجامعي لعين تموشنت

¹salahnaas92@gmail.com

²abensania@yahoo.fr

³ali-bendob@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2019-05-29

تاريخ الاستلام: 2019-05-04

ملخص -

تهدف هذه الورقة إلى قياس وتحليل الآثار التي يمكن أن تتركها الصدمات الاقتصادية المتمثلة في سعر النفط الخام، سعر الصرف المحلية مقابل الدولار، عرض النقود وسعر الفائدة على البورصات العربية خلال الفترة الممتدة ما بين 2007-2017، شملت عينة الدراسة مؤشرات سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي للأوراق المالية وبورصة قطر، استخدمنا بيانات شهرية لكل من أسعار الإغلاق المؤشرات والمتغيرات الاقتصادية، وقدرنا نماذج الانحدار الذاتي المشروط بعدم تجانس التباين الأخطاء الأحادية ونموذج شعاع تصحيح الخطأ، توصلت الدراسة إلى وجود علاقات تكاملية بين المتغيرات الاقتصادية وتقلبات العوائد، ووجود علاقة توازنية طويلة الأجل تتجه من المتغيرات الاقتصادية إلى تقلبات العوائد، كما خلصت إلى أن التغيرات الحاصلة في تقلبات عوائد مؤشر سوق السعودي ترتبط أساساً بمتغير سعر الصرف، وسعر الفائدة في سوق أبوظبي، وسعر النفط في بورصة قطر.

كلمات المفتاحية -

تكامل مشترك، صدمات طلب، صدمات عرض، نموذج شعاع تصحيح الخطأ، بورصات عربية.

Abstract-

This paper aims to measurement and analysis the effects that economic shocks can leave represented in the oil price, exchange rate against the US dollar, money supply and interest rate on the Arab stock exchanges for the period from 2007-2017, This study includes Saudi stock market index TADAWUL, ADSMI and DSM-200, Using monthly data for stock indices and economic variables, We apply GARCH models, and The Error Correction Model (ECM), We conclude that there is a cointegration between economic variables and the volatility of returns, The existence of a long-term equilibrium relationship tends from economic variables to volatilities, There is a volatility Saudi stock market is Mainly related to the exchange rate variable, and interest rate in the Abu Dhabi stock markets, and oil price in the Qatar Exchange.

Keywords-

Co-Integration, Demand Shocks, Supply Shocks, Error Correction Model, Arab stock exchanges.

مقدمة-

وُجدت أسواق رأس المال في الأساس لتشبع رغبات وحاجات المتعاملين من خلال تعبئتها للمدخرات وتمويل الاستثمارات، ومن ثم أضحت ضرورةً حتميةً استلزمتهما المعاملات الاقتصادية بين الأفراد والمؤسسات والحكومات، وأصبحت تلعب دوراً بارزاً بالغ الأثر والأهمية في الدول المتقدمة والنامية على حدٍ سواء، لما تقوم به من أدوار هامة في الحياة الاقتصادية، منها دعمها لمعدلات النمو الاقتصادي، وتوفير السيولة للمتعاملين، ناهيك عن تخفيض المخاطر وتسييرها، وتوفير المعلومات حول أداء المؤسسات، فضلاً عن تعظيم ثروة المساهمين وتخصيص الموارد بكفاءة عالية، كما تساهم بصفة كبيرة في تحديد اتجاهات أداء المتغيرات الاقتصادية الخاصة بدولة ما، نظراً لتمتعها بتغطية حجم النطاق الاقتصادي.

لذا تزايد في الآونة الأخيرة اهتمام الدول العربية على تطوير بورصاتها والرفع من درجة كفاءتها نظراً للدور المهم الذي تؤديه في تمويل الخطط التنموية الاقتصادية، غير أنها شهدت خلال تلك الفترة العديد من الاضطرابات والتقلبات المالية، بل وأصبحت هذه الأخيرة السمة اللاصقة لها، وشوّهت بذلك عملها وتحريف أهدافها، وكما هو معلوم فإن حركة أسعار الأسهم بالبورصات العربية تتأثر بمختلف العوامل والأحداث سواء من داخل السوق أو من خارجه، وقد يكون للبعض منها تأثير سلبي الأمر الذي يسبب التقلبات في مؤشراتها وتنشأ في ضوءها حالة عدم الاستقرار، ويمكن إيجاز تلك العوامل بعبارة بسيطة مضمونها أن الأوراق المالية كأى سلعة معينة تتحدد في ضوء تفاعل عوامل العرض والطلب عليها، وهذا أساساً نتيجة لوجود مجموعة من العوامل تحكم في مقدار العرض وكذلك في الطلب عليها، من بينها العوامل الاقتصادية التي حظيت باهتمام كبير من قبل المحللين الماليين والمسيرين والهيئات المختصة باعتبارها إحدى العوامل الخارجية المؤثرة في أسواق رأس المال، لذا تحاول هذه الدراسة قياس وتحليل الصدمات الاقتصادية على أداء البورصات العربية وتقلباتها.

◀ إشكالية الدراسة

أكدت العديد من الدراسات إلى أن بعض الدول سواء كانت متقدمة أو نامية قد تعرضت إلى صدمات اقتصادية مختلفة، وكان لتلك الصدمات آثار على العديد من المتغيرات البورصية، ليبقى الإشكال المطروح حول وجود علاقة بين الصدمات الاقتصادية وتقلبات البورصات العربية على المدين الطويل والقصير من عدمها؟ ومدى هذا التأثير إن وجد؟ وهل لتقلبات أسواق رأس المال أثر على المتغيرات الاقتصادية؟

◀ أهداف الدراسة

يتمثل الهدف الرئيس من هذه الدراسة في قياس العلاقة المحتملة بين الصدمات الاقتصادية وتقلبات البورصات العربية خلال الفترة 2007-2017 وتحديد مدى تأثير هذه العلاقة، وذلك من خلال:
قياس العلاقة الطويلة والقصيرة الأجل المحتملة بين الصدمات الاقتصادية والتقلبات الشرطية لعوائد مؤشرات البورصات العربية؛

التعرّف على أي من الصّدّامات الاقتصادية الأكثر تأثيراً على البورصات العربية، وأي من البورصات الأكثر تأثراً بالصّدّامات الاقتصادية؛
التحقق من العلاقة التبادلية بين الصّدّامات الاقتصادية وتقلّبات البورصات العربية خلال الفترة 2007-2017؛
تحديد فترات الصّدّامات التي تحدثها المتغيّرات الاقتصادية على تقلّبات البورصات العربية.

◀ أهمية الدراسة

تعد دراسة وتحليل العوامل المؤثرة على أداء البورصات -منها الصّدّامات الاقتصادية- من أهم العناصر التي تساهم في وضع السياسات الاقتصادية الملائمة للمحافظة على الاستقرار في البورصات، مما يساهم في إدارة الأزمات المالية، كما تساعد نتائج هذه الدراسة المستثمرين في فهم ومعرفة قنوات تأثير العوامل الاقتصادية على البورصات مما يساهم في اختيار المحفظة المالية التي تحقق عائداً أعلى ومخاطرة أقل، وبالتالي وضع استراتيجيات الاستثمار الملائمة. يعتمد البحث على المنهج التحليلي، وتمّ تقسيمه إلى أربعة أجزاء، بعد المقدمة، يستعرض الجزء الثاني الإطار النظري والدراسات السابقة لعلاقة الصّدّامات الاقتصادية بأداء أسواق رأس المال، بينما يتناول الجزء الثالث الدراسة القياسية وتحليل النماذج، في القسم الرابع نقدم النتائج والمقترحات.

I. الإطار النظري والدراسات السابقة

حاولت العديد من الدراسات تفسير تقلّبات البورصات العالمية من خلال الصّدّامات الاقتصادية¹ التي يتعرض لها النشاط الاقتصادي، هذه الصّدّامات شكّلت محور اختلاف بين مدارس الفكر الاقتصادي، خاصة من جانب الآثار المترتبة عنها، وتنقسم إلى نوعين: صدمات الطلب *Demand Shocks* كصدمات السياسة النقدية والسياسة المالية، وصدمات العرض *Supply Shocks* كالصدمات النفطية.

¹ - الصدمة الاقتصادية هي الحدث الذي ينتج منه تغيير كبير ومفاجئ (غير متوقع في معظم الأحيان) في الاقتصاد والمتغيرات الاقتصادية المختلفة، والصدمة إما أن تكون موجبة أو سالبة.

1. الصدمات النقدية *Monetary Policy Shocks* وأسواق رأس المال

يقصد بالصدمات النقدية التغير غير المقصود في أحد المتغيرات النقدية كالتذبذبات في عرض النقد أو اختلال الطلب على النقود (صدمة نقدية كمية)، صدمات أسعار الفائدة وكذلك تقلبات أسعار الصرف الناجمة عن تقلبات الطلب والعرض المحلي والأجنبي على رؤوس الأموال (صدمة نقدية سعرية).

1.1. صدمات عرض النقود *supply shocks*

تحدث صدمة عرض النقد عند قيام السلطات النقدية بشكل مفاجئ بتغذية الاقتصاد بجرعات كبيرة أو قليلة من النقود محدثة اختلال التوازن بين الممتلكات النقدية الفعلية للأفراد وما يرغبون في حيازته والاحتفاظ به. يُعد الاقتصادي *Sprinkel* رائداً في توضيح تأثير عرض النقدي على سوق الأسهم، وقد تبلورت أفكاره في هذا الشأن في كتابين الأول سنة 1964 بعنوان "النقود وأسعار الأسهم" والثاني سنة 1971 بعنوان "النقود والأسواق"، حيث استخدم التحليل البياني في الكشف عن طبيعة العلاقة، وخلص إلى أن الارتفاع في أسعار الأسهم لن يحدث بدون توسع في النمو النقدي، وعلى العكس فإن الانخفاض في أسعار الأسهم لا يمكن أن يقع دون التراجع في النمو النقدي، وقام كل من *Chandran and Norazman* (2004) بفحص أثر صدمة عرض النقود على مؤشر سوق كوالالمبور المالي KLSI خلال فترة الممتدة ما بين 1990-2003، وباستخدام اختبار جرانجر للسببية توصلت الدراسة إلى وجود علاقة سببية ثنائية الاتجاه بين عرض النقود وأسعار الأسهم، وخلصت أيضاً إلى أن أي تأخير زمني يشير إلى أن السببية من أسعار الأسهم إلى عرض نقود أضعف مقارنة بالسببية من عرض النقود إلى أسعار الأسهم (Chandran & Dan Norazmn, 2004). عكس النتيجة السابقة، وبتطبيق نموذج GJR-GARCH, EGARCH خلصت دراسة *Choi and Yoon* (2015) إلى أن تغيرات عرض النقود لا تؤثر على تقلبات سوق الأسهم الكوري خلال الفترة 1980-2013، وأن عوائد الأسهم وتقلباتها لا تؤثر على عرض النقود (Choi & Yoon, 2015).

2.1. صدمات سعر الفائدة *interest rate shocks*

تنجم هذه الصدمة عن تدخل البنك المركزي بوضع سعر الفائدة بما لا ينسجم مع الحالة الاقتصادية السائدة، والذي يعود أحياناً إلى اعتماد أغلب البنوك المركزية في وضع سعر الفائدة على قاعدة نسب الفائدة البسيطة والمتضمنة فجوة الناتج $\hat{y}_t$ ونسب التضخم $\hat{\pi}_t$ (الغالبى ومطوق، 2014، ص10).

توصلت معظم الدراسات إلى أن هناك علاقة عكسية بين التغير في معدل الفائدة وتقلبات أسعار الأسهم، منها دراسة (Fama and Schwert 1977) التي أظهرت وجود علاقة سلبية وثيقة بين معدلات الفائدة قصيرة الأجل وعوائد الأسهم في الولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة ما بين 1953-1971 (Fama & Schwert, 1977)، نفس النتيجة توصلت لها دراسة (Mcmillan 2005) بوجود ارتباط سلبي بين معدلات الفائدة وأداء أسهم المؤسسات المدرجة في سوق الولايات المتحدة خلال الفترة 1971-2000، كذلك دراسة (Donald et al 2017) التي بينت أن سعر الفائدة على أذونات الخزنة لمدة 3 أشهر ومعدل الإقراض لهما علاقة سلبية مع عوائد سوق الأسهم الكيني خلال الفترة 1993-2015 (Donald, Rose & Nelson, 2017)، كما أشارت معظم الدراسات إلى أن التغيرات في أسعار الفائدة تسبق التغيرات في أسعار الأسهم زمنياً، إلا أنه توجد بعض الدراسات أكدت بأن أسعار الأسهم لها تأثير سببي على معدلات الفائدة.

3.1. صدمات سعر الصرف *Exchange rate*

تكون صدمة سعر الصرف إذا كانت هناك تارجحات كبيرة *Wide Swings* عشوائية وغير عشوائية في سعر الصرف الأجنبي مقابل العملة المحلية.

حاولت عدة دراسات إثبات العلاقة بين تقلبات أسعار الصرف وأسعار الأسهم، فقام كل من (Abdalla & Murinde 1997) باختبار العلاقة السببية بين أسعار الصرف الأجنبي وأسعار الأسهم في أربع بلدان آسيوية: الهند، كوريا، باكستان، الفلبين، وتوصلت الدراسة إلى نتائج مختلفة بشأن هذه البلدان، بخصوص كوريا والهند وباكستان فقد جاءت النتائج متسقة مع منهج السوق السلعية، في حين أظهرت النتائج أن التغيرات في أسعار الأسهم السوق الفلبين هي التي تقود التقلبات الحاصلة في سعر الصرف العملة المحلية، كما جاء في منهج توازن المحفظة (Abdalla & Murinde, 1997)، وتوصلت دراسة جبار

(2016) إلى أن العملات العربية قد تميزت بالاستقرار شبه التام خلال السداسي الأول من سنة 2015، الأمر الذي جعلها مستقلة عن تطور أسواق رأس المال العربية، في حين كان هناك تأثيراً أقوى للعملات الرئيسية في العالم -الدولار واليورو- على أسواق رأس المال العالمية (جبار، 2016)، نفس النتيجة توصلت إليها دراسة (Seri et al (2015) بعدم وجود علاقة بين أسعار الصرف وسوق باكستان للأوراق المالية خلال الفترة 2004-2009 (Seri, Dileep, Farhan, & Saqib, 2015).

2. صدمات السياسة المالية *Fiscal Policy Shocks* وأسواق رأس المال

حظيت صدمات السياسة المالية باهتمام قليل مقارنة بالاهتمام البالغ للأدبيات الاقتصادية وإجماعها على طبيعة تأثير صدمات السياسة النقدية على المتغيرات الاقتصادية. يقصد بصدمات السياسة المالية بأنها التغيرات المفاجئة التي تحدث في أدوات السياسة المالية من إيرادات ونفقات حكومية استجابة للتغيرات غير المتوقعة في النشاط الاقتصادي.

1.2. صدمة الإنفاق الحكومي *Expenditure Shocks*

يقصد بصدمة الإنفاق الحكومي الفرق بين الإنفاق الحكومي الفعلي والإنفاق الحكومي المخطط، أي هي التغيرات المؤقتة في الإنفاق الحكومي لمواجهة حالات طارئة، إن هذه التغيرات من شأنها خلق صدمات موجبة أو سالبة في المتغيرات الاقتصادية الكلية، حيث تجمع نظريات الاقتصاد الكلي على أن تأثير صدمة الإنفاق الحكومي على أسواق رأس المال تكون عبر معدل الفائدة، إذ أن الإنفاق غير المضبوط يمكن أن يؤثر على السوق المالي من خلال الإزاحة المالية *Financial Crowding-out* التي تؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة ومن ثم انخفاض القيمة الحالية للأرباح المستقبلية نتيجة لارتفاع معدل الخصم، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض أسعارها ومن ثم انخفاض جاذبيتها مقارنة بالأصول المالية الأخرى، وهذا ما أكدته دراسة (Afonso and Sousa (2011 الذي خلص إلى أن صدمات النفقات الحكومية لها أثر سلبي على أسعار الأسهم، في حين وجد (José Tavares & Rossen Valkanov (2001 أن زيادة الإنفاق الحكومي له أثر إيجابي على العوائد المتوقعة للأسهم والسندات.

2.2. صدمة السياسة الضريبية *Tax Shocks*

يؤدي التغير في السياسة الضريبية إلى حدوث تأثيرات هامة مباشرة وغير مباشرة على سوق رأس المال وتقلباته، فهي تؤثر على تكلفة رأس المال وربحية المؤسسات، ومن ثم على الطلب على رأس المال والاستثمار وما ينطوي على ذلك من التأثير على الطلب على الأموال القابلة للاقتراض ومن ثم عرض الأوراق المالية وبالتالي على أسعارها.

وجد كل من (Tavares and Valkanov, 2001) حدوث تحول قياسي في مقبوضات الضرائب، مما أثر بشكل ملموس على انخفاض عوائد الأسهم والسندات الحكومية للولايات المتحدة بنسب تراوحت بين 4% إلى 9%، بما يشير إلى أن الضرائب ذات تأثير سلبي على الأسهم (Tavares, Valkanov, & Murinde, 2001).

3. الصدمة النفطية *Oil Shock* وأثرها على أسواق رأس المال

تُعرف صدمات الأسعار النفطية على أنها التحول الداخلي في منحني العرض بسبب تأثر النفط الخام بالأحداث الخارجة عن السوق النفطية والاقتصاد الكلي (Nordhaus, 2007, p. 220)، ونظراً لأهمية النفط في الاقتصاد العالمي، فإن أثر التغيرات فيه شكل مصدر قلق كبير للاقتصاديين بدءاً من العمل الرائد (Hamilton, 1983)، ومما لا شك فيه أن الاقتصاديات التي تعتمد بدرجة كبيرة على النفط، فإن التغيرات الكبيرة التي تحصل في أسعاره ستتبعها على الأرجح تغيرات نفسية وفعلية في سوق الأسهم.

وفي دراسة الحداد (2003) التي هدفت إلى إبراز علاقة سوق الأسهم السعودية بأسعار النفط وهل هذه العلاقة ايجابية أو سلبية، وهل هي متماثلة لجميع القطاعات؟ خلصت الدراسة إلى أن علاقة الارتباط بين تقلبات أسعار النفط وأداء مؤشر سوق الأسهم السعودي قوي، وأن تأثير أسعار النفط يتزايد مع مرور الوقت، كذلك أوضحت الدراسة أن أكثر القطاعات تأثراً بأسعار النفط هو القطاع الصناعي وأقلها تأثراً الخدمات (الحداد، 2003).

فحصت دراسة (Martin Agren, 2006) أثر انتقال إلى أسعار الأسهم ضمن نموذج (BEKK) خلال الفترة الممتدة 1989-2005، فوجدت دلالات على انتقال تقلبات أسعار النفط في اليابان والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية، بينما

كان التأثير ضعيفاً في السويد، وكان لتأثير الأخبار معنوية ضعيفة بينما التقلبات التي حدثت في أسواق الأسهم كانت لها صلة قوية بعوامل اليقين وأسواق النفط، وحسب تفسير *Martin Agren* فإن الارتفاع الذي شهدته أسواق النفط كان مزيجاً غير طبيعياً من العرض المقيد والطلب المتفجر والمضاربات المالية للنفط الخام، إضافة إلى العوامل السياسية (Ågren, 2006).

II. قياس العلاقة بين الصدمات الاقتصادية وتقلبات العوائد في البورصات العربية

1. تحديد البيانات والمنهجية الدراسة

قصد صياغة تشخيص كمي لطبيعة التأثير الذي يمكن أن تسببه الصدمات الاقتصادية على عوائد الأسهم في البورصات العربية وتقلباتها، فوقع التطبيق على البيانات الشهرية لمؤشر سوق الأسهم السعودي TADAWUL، سوق أبوظبي للأوراق المالية ADSMI وبورصة قطر DSM-200 خلال الفترة من 2007/01/01 إلى 2017/12/31، وتم استخدام البيانات الشهرية لأربع عوامل اقتصادية لكل دولة والمتمثلة في: سعر النفط الخام شهري O، سعر صرف العملة المحلية مقابل الدولار E، معدل النمو في عرض النقود M2، سعر الفائدة I (متوسط شهري لأسعار الفائدة بين البنوك لكل من السعودية وقطر، في حين تم استخدام أسعار الفائدة على ودائع العملاء في دولة قطر)، وتم اختيار عينة الدراسة لعدة اعتبارات أهمها توافر البيانات والمعلومات خلال الفترة المدروسة.

تم استقاء تلك البيانات من خلال النشرة الإحصائية الشهرية التي يتم إصدارها من قبل البنوك المركزية للدول محل الدراسة وكذا المواقع الرسمية للبورصات، وسعيًا منا لتحقيق هذا الهدف سنستخدم نموذج أشعة الانحدار الذاتي *Vector Autoregressive VAR* هذا الأخير يتيح استخدام اختبار أسلوب التكامل المشترك *Cointegration* لمعرفة وجود تكامل مشترك بين المتغيرات الدراسة على مدى الطويل، واختبار السببية *Causality* لتحديد اتجاه المتغيرات المسببة لحدوث تغيرات في التباين الشرطي، واختبار التباين *Variance*

Decomposition ودوال الاستجابة *Impulse Response Function* IRF التي تساهم في معرفة العلاقات الديناميكية بين متغيرات الدراسة².

2. نتائج تقدير النماذج

تعتبر دراسة الاستقرارية خطوة أساسية لتحديد درجة تكامل متغيرات محل الدراسة، إذ من المتطلبات الأساسية لإجراء اختبارات التكامل المشترك أن تكون السلاسل الزمنية للمتغيرات غير مستقرة في مستوياتها، ومتكاملة من نفس الدرجة، وفي هذا الصدد تم استخدام اختبار جذور الوحدة من خلال تطبيق اختبار كل من ADF، PP، KPSS.

1.2. اختبارات الاستقرارية والسكون

اتضح نتائج تطبيق اختبار كل من ADF، PP (بدون الثابت واتجاه العام)، KPSS (مع الثابت) أن السلاسل الزمنية لجميع المتغيرات محل الدراسة ليست مستقرة عند المستوى *Levels* وتحتوي على جذر وحدوي³ وبالتالي فهي غير متكاملة من الدرجة $I(0)$ ، وبإجراء فروقاتها من الدرجة الأولى، أشارت النتائج إلى وجود استقرارية لجميع المتغيرات محل الدراسة، وبالتالي فهي متكاملة من الرتبة الأولى $I(1)$ ، وهذا يشير إلى إمكانية وجود تكامل مشترك بين المتغيرات في جميع البورصات المدروسة، والجدول التالي يوضح ذلك:

² - تم التعبير عن متغير تقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة *Volatility* بالتباين الشرطي الذي

تم استخراجه من خلال تطبيق نموذج $GARCH(1,1)$.

³ - تعمدنا عدم عرض نتائج نموذج $GARCH(1,1)$ واختبارات جذر الوحدوي عند المستوى لتخفيف

حجم نتائج البحث.

الجدول رقم (01): نتائج اختبار استقرارية المتغيرات (فروق من درجة الأولى)

المتغير	ADF بدون الثابت والاتجاه	PP بدون الثابت والاتجاه	KPSS مع الثابت		
إحصائية t	القيم الحرجة عند 5%	إحصائية t	القيم الحرجة عند 5%	إحصائية t	القيم الحرجة عند 5%
سوق الأسهم السعودي					
VTADAWUL	-10.1698	-1.9433	-10.1943	-1.9433	0.0452
O	-8.2771	-1.9433	-8.2305	-1.9433	0.0807
E	-13.1762	-1.9433	-53.0057	-1.9433	0.5000
M2	-11.9155	-1.9433	-40.9252	-1.9433	0.0124
I	-5.9205	-1.9433	-5.8903	-1.9433	0.3065
سوق أبوظبي للأوراق المالية					
VADSMI	-5.8923	-1.9433	-9.4713	-1.9433	0.0737
O	-8.2771	-1.9433	-8.2305	-1.9433	0.0807
E	-10.1938	-1.9433	-114.8312	-1.9433	0.1781
M2	-8.2518	-1.9433	-63.7664	-1.9433	0.2357
I	-6.441	-1.9433	-6.482	-1.9433	0.0915
بورصة قطر					
VDSM-200	-10.2815	-1.9433	-10.3233	-1.9433	0.0819
O	-8.2771	-1.9433	-8.2305	-1.9433	0.0807
E	-4.249	-1.9433	-35.21	-1.9433	0.0418
M2	-16.4303	-1.9433	-121.0469	-1.9433	0.1259
I	-14.0129	-1.9433	-13.843	-1.9433	0.467

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

2.2. نتائج اختبار التكامل المشترك لجوهانس Cointgration test

توصلنا بالاعتماد على اختبارات الاستقرارية السابقة إلى نتيجة أساسية تفيد بعدم استقرار مستويات المتغيرات المدروسة، مقابل استقرار فروقاتها الأولى، مما يعني أنها متكاملة من الرتبة الأولى، يسمح هذا بإجراء اختبار التكامل المشترك لمعرفة العلاقة التوازنية بين المتغيرات على مدى الطويل، ولتحقيق هذا الغرض تم استخدام منهجية التكامل المشترك لجوهانس التي تعد من الأنسب الطرق المستخدمة - حسب الباحثين - لتقدير متجه التكامل بين المتغيرات الاقتصادية، والجدول رقم (02) يلخص نتائجه:

الجدول رقم (02): نتائج اختبار التكامل المشترك لجوهانسن

فرضية عدم لمتجه التكامل Vector	القيمة الذاتية Eigen value	اختبار الأثر Trace statistic	القيمة الحرجة لاختبار الأثر	القيمة الذاتية Max- eigenvalue	القيمة الحرجة للقيمة الذاتية العظمى
سوق الأسهم السعودي					
None	0.4421	159.6678	69.8188	0.0000	33.8768
At most 1	0.3328	84.3778	47.8561	0.0000	27.5843
At most 2	0.1407	32.1622	29.7970	0.0262	21.1316
At most 3	0.0586	12.5970	15.4947	0.1304	14.2646
At most 4	0.0365	4.7978	3.8414	0.0285	3.8414
سوق أبوظبي للأوراق المالية					
None	0.4098	128.4795	69.8188	0.0000	33.8768
At most 1	0.2600	60.4579	47.8561	0.0021	27.5843
At most 2	0.1017	21.5988	29.7970	0.3214	21.1316
At most 3	0.0409	7.7506	15.4947	0.4925	14.2646
At most 4	0.0180	2.3548	3.8414	0.2149	3.8414
بورصة قطر					
None	0.4426	144.5484	69.8188	0.0000	33.8768
At most 1	0.2562	70.8941	47.8561	0.0001	27.5843
At most 2	0.1686	33.5874	29.7970	0.0175	21.1316
At most 3	0.0456	10.3074	15.4947	0.2578	14.2646
At most 4	0.0344	4.4228	3.8414	0.0355	3.8414

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

أظهرت نتائج اختبار التكامل المشترك الموضحة في الجدول رقم (02)، وجود علاقات تكاملية بين المتغيرات الدراسة في سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي للأوراق المالية وبورصة قطر، وهو ما يبدو جلياً من القيمة المحسوبة لاختبار الأثر والقيمة الذاتية العظمى التي كانت أكبر من القيمة الحرجة عند مستوى معنوية 5%، مما يعني قبول الفرضية البديلة التي تقر بوجود عدد أشعة للتكامل المشترك أكبر أو يساوي الواحد، وبالتالي وجود علاقة توازن طويلة الأجل بين الصدمات الاقتصادية وتقلبات عوائد المؤشرات المدروسة، بمعنى آخر أن تلك المتغيرات لا تبتعد كثيراً عن بعضها البعض على المدى الطويل وتظهر سلوكاً متشابهاً، وبالتالي هناك نموذج لتصحيح الخطأ لابد من تقديره. ويلاحظ كذلك من النتائج وجود علاقتين للتكامل المشترك في سوق أبوظبي للأوراق المالية، وهو ما تثبته قيم إحصائيتي الأثر والقيمة الذاتية العظمى عند مستوى

معنوية 5%، وهو ما يعني وجود معادلتين للتكامل المشترك بين المتغيرات محل الدراسة.

3.2. تقدير نماذج شعاع تصحيح الخطأ

بعد التأكد من وجود علاقة التكامل المشترك وذلك حسب طريقة جوهانسن تأتي الخطوة الموالية لتصميم نموذج شعاع تصحيح الخطأ VECM، الذي يتم من خلاله إضافة حد تصحيح الخطأ⁴، تم اختيار تباطؤ فترة واحدة التي تعطي أقل قيمة لـ AIC و SC لكل البورصات لتقدير هذا النموذج، والجدول التالي يلخص نتائجه:

الجدول رقم (03): نتائج اختبار نموذج شعاع تصحيح الخطأ

سوق الأسهم السعودي					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VTADAWU L)	Error Correction:
-1.519953**	- 38.57413***	0.065754***	61.60202* *	-0.001665*	CointEq1
-18.00892**	-6.391492	-0.351278*	-198.7593	0.028288	D(VTADAWUL(-1))
0.005516**	0.005182	-0.000116**	0.253869* **	-3.93E-05	D(O(-1))
14.44700***	- 119.2757***	-0.293675***	-80.71127	0.094733**	D(E(-1))
0.022425**	- 0.186576**	-0.000793***	- 0.743267*	-2.00E-05	D(M2(-1))
0.503840***	-1.152632*	0.003913**	2.784471	0.001448*	D(I(-1))
-0.010872	-0.043694	7.90E-05	0.029152	2.50E-05	C
0.54957	0.54776	0.34259	0.15257	0.07451	R-squared
24.8091	24.6280	10.5962	3.6609	1.63719	F-statistic
سوق أبوظبي للأوراق المالية					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VADSMI)	Error Correction:
-0.510262	222.2992***	0.076315***	5.115623	-0.003280*	CointEq1
-31.42866*	-146.3832	-0.988415***	-1168.004	0.011568	D(VADSMI(-1))
0.002966	0.034946	-3.37E-05*	0.203329**	-8.33E-06	D(O(-1))
		-0.359827***	-433.7153	-0.039052	D(E(-1))

⁴ - يعكس معامل حد الخطأ سرعة التكيف أو التعديل من الأجل القصير إلى الأجل الطويل، أي مقدار التغير في المتغير التابع نتيجة انحراف قيمة المتغير المستقل في الأجل القصير عن قيمته التوازنية في الأجل الطويل بمقدار وحدة واحدة، ويتوقع أن تكون قيمته سالبة ما دام أنه يشير إلى المعدل الذي تتجه به العلاقة من الأجل القصير إلى الأجل الطويل.

4.572718	532.1556***				
0.000533	-0.047669	0.000136***	0.126816	5.81E-06	D(M2(-1))
0.608104***	1.688715	0.000992	-	0.002487***	D(I(-1))
-7.49E-06	-0.014001	-1.35E-05	-0.068352	-6.25E-06	C
0.308577	0.419185	0.519153	0.204591	0.309104	R-squared
9.074614	14.67492	21.95320	5.230049	9.097053	F-statistic
بورصة قطر					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VDSM-200)	Error Correction:
-	-	0.246753**	40.79120	-0.040934**	CointEq1
2.285166**	101.7602***				
2.001994	99.58071*	0.151758	-63.27650	-0.224406**	D(VDSM-200(-1))
-	0.009130	-6.13E-07	0.293039*	-0.000116**	D(O(-1))
0.000340			**		
0.982323	-	-0.499524***	19.46827	-0.005959	D(E(-1))
	39.46390***				
0.007893	-0.055962	-0.001695**	-0.200464	0.000120	D(M2(-1))
-	-	0.001852	-0.963815	0.003435**	D(I(-1))
0.246085***	3.155112**				
-	0.002109	4.73E-05	0.241796	9.28E-05	C
0.020653					
0.169856	0.584786	0.381630	0.113746	0.142523	R-squared
4.058092	27.93315	12.24026	2.545515	3.296529	F-statistic

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

(**)(*) تشير إلى وجود دلالة إحصائية عند مستوى 1%، 5%، 10% على التوالي.

تظهر نتائج تقدير نماذج شعاع تصحيح الخطأ، أن معاملات تصحيح الخطأ الذي تعبر عن قوة جذب نحو التوازن في المدى الطويل سالبة ومعنوية في سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي وبورصة قطر، هذا ما يفسر صلاحية نماذج VECM في تفسير العلاقات وتأكيد نتائج اختبار جوهانس، وبناء على ذلك فإن الانحراف الفعلي لتقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي وسوق أبوظبي في المدى القصير في الفترة t-1 عن العلاقة التوازنية في المدى الطويل يصحح شهريا بمقدار 0.16%، 0.3% على التوالي وهي قيمة ضئيلة، بينما في بورصة قطر يصحح شهريا بـ 4%، وعموما تكشف إشارة معلمة حد تصحيح الخطأ على معنوية العلاقة طويلة الأجل تتجه من المتغيرات الاقتصادية إلى تقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة.

وعلى صعيد القوة التفسيرية للنماذج، تبين إحصائية F معنوية معلمات النماذج المقدرة عند مستوى معنوية 5%، وهو ما يؤكد تبعية تقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة في الصدمات الاقتصادية.

يتضح من خلال الشكل رقم (01) أن النموذج شعاع تصحيح الخطأ المقدر VECM يحقق شروط الاستقرار *Satisfies The Stability Condition*. إذ أن جميع المعاملات أصغر من الواحد، وجميع الجذور تقع داخل دائرة الوحدة، مما يعني أن النموذج لا يعاني من مشكلة في ارتباط الأخطاء أو عدم ثبات التباين.

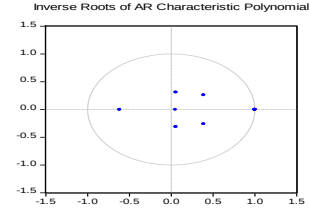
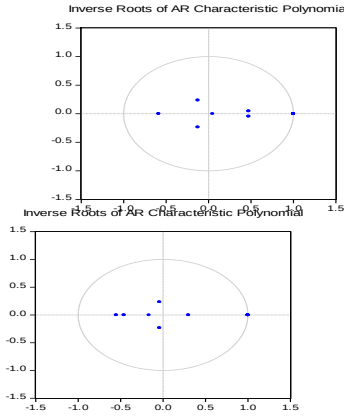
الشكل رقم (01): استقرار نموذج شعاع تصحيح الخطأ المقدر VECM

سوق الأسهم

سوق أبوظبي للأوراق المالية

بورصة قطر

السعودي



المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

ولمعرفة ما إذا كان هناك سببية ثنائية أو سببية ذات اتجاه واحد على الأقل بين المتغيرات الاقتصادية (O. E. M2. I) وتقلبات مؤشرات البورصات المدروسة على المدى القصير، نعرض نتائج اختبار *VEC Granger Causality/Block* الذي يبين العلاقة السببية بين المتغيرات المدروسة على المدى القصير:

الجدول رقم (04): نتائج اختبار سببية جرانجر VEC Granger
Causality/Block Exogeneity Wald

سوق الأسهم السعودي					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VTADAWUL)	Excluded
5.364291**	0.008634	3.217736*	0.387776	-	D(VTADAWUL)
6.071743**	0.068464	4.235563**	-	2.068928	D(O)
16.70576***	14.55038***	-	0.309434	4.833573**	D(E)
5.000197**	-	9.867805***	3.259735*	0.026716	D(M2)
-	3.201248**	4.551654**	0.867666	2.659070*	D(I)
51.28338	15.40021	15.09025	6.309515	7.129098	All
سوق أبوظبي للأوراق المالية					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VADSMI)	Excluded
3.484661*	0.224443	31.40436***	2.257218	-	D(VADSMI)
2.525739	1.040871	2.962948*	-	0.848664	D(O)
0.415779	16.71883***	-	1.754278	1.293514	D(E)
0.011723	-	6.985453***	0.311022	0.059450	D(M2)
-	1.208078	1.278154	7.710337***	37.64678***	D(I)
6.9996	18.7901	38.7156	18.1426	47.42134	All
بورصة قطر					
D(I)	D(M2)	D(E)	D(O)	D(VDSM-200)	Excluded
0.256966	2.895867*	0.127943	0.234107	-	D(VDSM-200)
1.751744	0.054780	4.70E-06	-	4.068129**	D(O)
1.670786	12.28261***	-	0.598477	0.129244	D(E)
1.631751	-	6.517955**	0.959985	0.797478	D(M2)
-	5.493030**	0.035990	0.102629	3.004101*	D(I)
7.660791	16.75541	6.78421	1.991537	10.59062	All

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

(***) (**) (*) تشير إلى وجود دلالة إحصائية عند مستوى 1%، 5%، 10% على التوالي.

توضح نتائج الجدول رقم (04) السببية المباشرة بين التقلبات في عوائد المؤشرات والصدمات الاقتصادية المتمثلة في سعر النفط الخام شهري O، سعر الصرف العملة المحلية مقابل الدولار E، معدل النمو في عرض النقود M2، سعر الفائدة I في كل دولة.

تشير النتائج إلى وجود علاقة سببية تبادلية ذات دلالة إحصائية بين كل من سعر الصرف، سعر الفائدة وتقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي عند فترة الإبطاء المختارة (1)، بمعنى أن حدوث تغيير في سعر الصرف وسعر الفائدة سوف يؤدي إلى تغيير في تقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي، والعكس صحيح،

وتفسير ذلك هو أن ارتفاع أسعار الفائدة من شأنه أن يؤدي إلى زيادة تكلفة الفرصة البديلة للاحتفاظ بالنقد أو استثمارها في الأسهم مما يؤدي إلى انخفاض أسعار الأسهم، كما أن ارتفاع أسعار الفائدة يؤثر على العائد على الاستثمار في المؤسسات وبالتالي يؤدي إلى انخفاض أرباحها، مما ينتج عنه تراجع الطلب على أسهم المؤسسات، أما بالنسبة إلى نتائج تأثيرات سعر الصرف على تقلبات، فإن انخفاض سعر صرف العملة قد يشير إلى ارتفاع معدلات التضخم في المستقبل، الأمر الذي يجعل المستثمرين يشككون في الأداء المستقبلي للمؤسسة، فيسعون إلى تعديل محافظهم الاستثمارية وإعادة التوازن فيها، ونتيجة لذلك فإن أسعار الأسهم في سوق رأس المال ستخفض.

قد يكون تفسير انتقال تقلبات سوق رأس المال إلى سعر الصرف من خلال آثارها على الثروة، ومن ثم آثارها على السيولة وبشكل غير مباشر على سعر الصرف، إذ أن الانخفاض في أسعار الأسهم المؤدي لتلك التقلبات يقلل من ثروة المستثمرين المحليين ويقلل من السيولة في الاقتصاد، إذ أن انخفاض السيولة في الوقت نفسه يخفض أسعار الفائدة والتي بدورها تحفز تدفق رؤوس الأموال، ما يسبب انخفاض في قيمة العملة، ومن ناحية أخرى يمكن للمساهمين في سوق تداول العملات الأجنبية استعمال المعلومات عن أسعار الأسهم ومؤشر أسواق رأس المال لتحسين توقعات معدلات تبادل العملات، فبعد وصول المعلومات عن تقلبات سوق رأس المال لأي سبب كان، فإن ذلك سيجعل المستثمرين والمضاربين في سوق الصرف الأجنبي يسارعون إلى تعديل حالات استثماراتهم ومحافظهم الاستثمارية من حيث حجم امتلاكهم للعملات الأجنبية مقارنة بالعملة المحلية، وهذا يؤثر عندها على قيمة العملة المحلية مقارنة بالعملات الأجنبية، مما يغير سعر صرف العملة المحلية مقارنة بالعملات الأجنبية، فيحدث ذلك تقلبات في سعر صرف العملة المحلية في سوق الصرف الأجنبي.

كما تشير النتائج إلى غياب علاقة ذات دلالة إحصائية بين أسعار النفط وتقلبات العوائد في السوق السعودي، حيث أن تحركات سعر النفط لا تسبب تغييراً في عوائد مؤشر السوق في المدى القصير، بالرغم من أن النفط يلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد السعودي من خلال دعم الإنفاق الاستثماري والاستهلاكي، وقد يكون التفسير لهذه النتيجة أن قطاع النفط في المملكة العربية السعودية

مملوك للدولة وليس لشركات القطاع الخاص، مما ينتج عنه عدم تأثير سوق الأسهم المكون من عدة المؤسسات بإيرادات القطاع النفطي.

أسفرت النتائج كذلك إلى وجود علاقة سببية ذات اتجاهين بين كل من سعر الفائدة وتقلبات عوائد مؤشر سوق أبوظبي للأوراق المالية، إلى جانب ذلك توجد علاقة سببية من جانب واحد تتجه من تقلبات العوائد السوق إلى سعر الصرف، وهذا يعني أن معرفة تقلبات السوق التاريخية تساهم مساهمة معنوية في تحسين القدرة التنبؤية مستقبلاً بأسعار الصرف، وهذا ما يتوافق مع منهج توازن المحفظة *Portfolio Balance Approach* (المشار إليه سابقاً)، أما في بورصة قطر فتوضح النتائج أنه بالإضافة إلى سعر الفائدة تلعب متغيرة سعر النفط دوراً كبيراً في تفسير التقلبات عوائد المؤشر وفي اتجاه واحد، كما تشير النتائج إلى وجود علاقة سببية من جانب واحد تتجه من تقلبات العوائد السوق إلى عرض النقود، وباستثناء هذه العلاقة أحادية الجانب، نلاحظ أن تقلبات عوائد بورصة قطر وحتى سوق أبوظبي لا يؤثران على بقية المتغيرات الاقتصادية، وهذه يعني أن تلك البورصات مازالت تعتبر ناشئة، وتفتقر بالتالي إلى بعض مقومات البورصات العالمية كالحوكمة ووجود أدوات مالية حديثة يمكن لها أن تؤثر على عدة نشاطات في البورصات.

يتضح مما سبق أن القاسم المشترك في تأثير المتغيرات الاقتصادية على تقلبات العوائد في البورصات يتجلى في سعر الفائدة الذي كان له أثر واضح وبارز في تفسير تقلبات جميع عوائد مؤشرات البورصات المدروسة، حيث أن معرفة أسعار الفائدة التاريخية لكل دولة يحسن من التنبؤ مستقبلاً بتقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة، وهذه النتيجة تتوافق والنظرية الاقتصادية التي حددت تلك العلاقة والتي تعتبر أن سعر الفائدة العدو للدود في البورصات.

4.2. تقدير دوال الاستجابة وتحليل التباين

يعتبر تحليل دوال الاستجابة ومكونات التباين أهمية كبيرة في التنبؤ، حيث تقيس دوال الاستجابة الفورية *Impulse Response Functions* أثر صدمة بمقدار انحراف معياري واحد في قيمة حد الخطأ العشوائي في إحدى المعادلات المكونة لمنظومة VECM على القيم الحالية والمستقبلية للمتغير الداخلي أو

التابع، أما تحليل مكونات التباين *Variance Decompositions* فإنه يقيس الأهمية النسبية للمتغير في تفسير تباين أخطاء التنبؤ للمتغيرات في النموذج.

1.4.2. آثار الصدمات وتحليل دوال الاستجابة

يسمح تحليل الصدمات بقياس أثر التغير المفاجئ لظاهرة معينة على باقي المتغيرات، وبعد إجراء اختبار استجابة ردة الفعل لتقلبات عوائد مؤشر البورصات المدروسة نتيجة حدوث صدمة مفاجئة في المتغيرات الاقتصادية، بينت النتائج الموضحة في الجدول رقم (05) استجابة ردة الفعل للتقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي، وبورصة قطر لصدمة عشوائية مقدارها انحراف معياري واحد في المتغيرات الاقتصادية الكلية وذلك لمدة 10 فترات زمنية.

بينت النتائج بخصوص سوق الأسهم السعودي، أن أي صدمة عشوائية موجبة في تقلبات عوائد المؤشر، تحدث أثراً إيجابياً ذاتياً فوراً بحوالي 0.2% في الفترة الأولى، ويستمر هذا التأثير على كامل مجال التنبؤ، بينما كانت قيم معاملات استجابة ردة الفعل لتقلبات عوائد مؤشر السوق VTADAWUL الناتجة عن التغير في جميع المتغيرات الاقتصادية ضئيلة خلال سنوات فترة الدراسة، حيث بلغت قيمة هذه المتغيرات خلال الفترة الخامسة مثلاً: 0.000462، 0.000461، -0.000213، -5.92E-06، وهذا يعني أن التغير في سعر الفائدة I، سعر الصرف العملة المحلية مقابل الدولار E، سعر النفط الخام شهري O، معدل النمو في عرض النقود M2 بـ 1% يؤدي إلى زيادة في VTADAWUL بنسبة 0.000462، 0.000461، -0.000213، -5.92E-06 على التوالي.

يتربط عن حدوث صدمة هيكلية موجبة في سعر النفط أثر سالب وضعيف في VTADAWUL خلال كامل فترة الاستجابة، وذلك يعني أن الزيادة في الأسعار العالمية للنفط بمقدار 1% يؤدي إلى انخفاض في VTADAWUL بمقدار 0.02% في الفترة الثانية، وبالتالي فإن حدوث صدمة موجبة في الأسعار العالمية للنفط سوف يكون له أثر إيجابي وضعيف في تقلبات عوائد مؤشر السوق، وفيما يخص سعر الصرف وسعر الفائدة، فإن حدوث صدمة موجبة فيهما يترتب عليها أثر موجب في VTADAWUL خلال كامل فترة الاستجابة، أي أن الزيادة في سعر الصرف وسعر الفائدة يؤدي إلى ارتفاع في VTADAWUL، حيث تستمر

الاستجابة في التزايد على مر الفترات الممتدة لفترة الاستجابة مسجلة أعلى معدل 0.04%، 0.05% بالنسبة إلى سعر الصرف وسعر الفائدة على التوالي، بينما نجد أثر صدمة عرض النقود على VTADAWUL يتراوح ما بين الموجب والسالب خلال الفترة الاستجابة، حيث أدى حدوث صدمة موجبة في عرض النقود إلى حصول أثر موجب، أي ارتفاع VTADAWUL خلال أربع فترات الأولى، ثم تحول الأثر ما بين الموجب والسالب باقي فترات الاستجابة.

تبين تقديرات دوال الاستجابة في سوق أبوظبي، أن الصدمة السابقة في تقلبات عوائد مؤشر السوق VADSMI تؤثر مباشرة وبشكل موجب في قيمها الحالية والمستقبلية، كما تبين النتائج أن حدوث صدمة موجبة في تقلبات سعر النفط وعرض النقود ستصحب باستجابة سلبية فورية لـ VADSMI بدءاً من الفترة الثانية بالنسبة لسعر النفط والفترة الثالثة لعرض النقود، أي أن الزيادة في المتغيرين يؤدي إلى انخفاض في VADSMI، بينما نجد أن التغير المفاجئ في سعر الفائدة أحدث أثر موجب على VADSMI، حيث أن حدوث صدمة مفاجئة في سعر الفائدة بمقدار 0.07% كأقصى استجابة في الفترة السادسة، في حين يتذبذب أثر سعر الصرف ما بين السالب والموجب على VADSMI مع انخفاض الاستجابة خلال كامل الفترة.

تظهر النتائج كذلك أن بورصة قطر تتفاعل مع التغيرات الحاصلة في السوق العالمية للنفط، عرض النقود، سعر الفائدة وسعر الصرف، حيث أن حدوث صدمة موجبة في سعر النفط وعرض النقود يترتب عليه أثر سالب على VDSM-200، أي أن الزيادة في المتغيرين تؤدي إلى انخفاض VDSM-200، هذا عكس المتغيرين سعر الفائدة وسعر الصرف اللذين لهما أثر موجب على VDSM-200، مع ملاحظة وجود شبه استقرار أو تقارب في معامل الاستجابة الناتج من الصدمتين، حيث أن حدوث صدمة مفاجئة في سعر الفائدة وسعر الصرف بمقدرة انحراف معياري واحد يؤدي إلى ارتفاع في VADSMI بمقدار 0.069%، 0.043% كأقصى استجابة في الفترة السادسة بالنسبة لسعر الفائدة، والفترة الثالثة بالنسبة لسعر الصرف على التوالي.

الجدول رقم (05): نتائج دوال استجابة تقلبات عوائد المؤشرات لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية

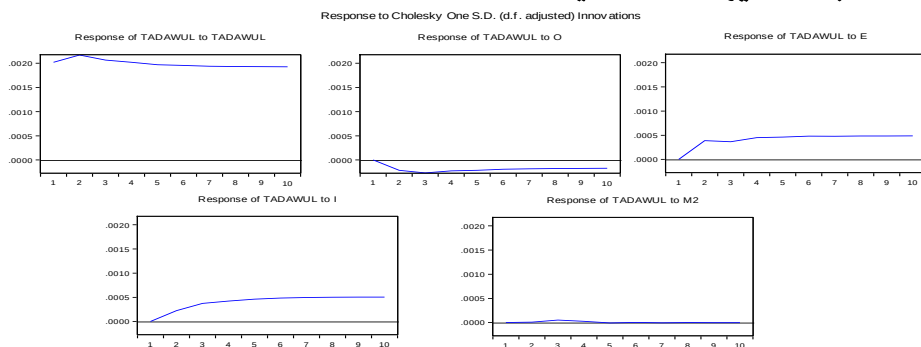
استجابة تقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية					
I	M2	E	O	VTADAW UL	فترة الاستقراء
0.000000	0.000000	0.000000	0.000000	0.002022	1
0.000224	9.80E-06	0.000388	0.000213	0.002169	2
0.000374	5.13E-05	0.000366	0.000266	0.002067	3
0.000423	2.56E-05	0.000452	0.000224	0.002021	4
0.000462	-	0.000461	0.000213	0.001970	5
0.000484	5.24E-06	0.000481	0.000192	0.001956	6
0.000495	3.18E-06	0.000480	0.000184	0.001938	7
0.000501	4.67E-07	0.000486	0.000176	0.001934	8
0.000504	1.80E-06	0.000485	0.000173	0.001929	9
0.000506	3.71E-07	0.000487	0.000171	0.001928	10
استجابة تقلبات عوائد مؤشر سوق أبو ظبي للأوراق المالية لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية					
I	M2	E	O	VADSMI	فترة الاستقراء
0.000000	0.000000	0.000000	0.000000	0.000692	1
0.000342	5.44E-06	4.84E-05	0.000127	0.000742	2
0.000567	5.60E-06	1.45E-05	0.000128	0.000749	3
0.000684	1.13E-05	5.09E-06	0.000118	0.000693	4
0.000711	2.53E-05	9.16E-06	-9.16E-05	0.000683	5
	-	-	-8.28E-	0.000669	6

0.000712	2.52E-05	2.30E-06	05		
0.000703	-	2.71E-06	-7.63E-05	0.000672	7
0.000699	-	-	-7.67E-05	0.000670	8
0.000696	-	8.33E-07	-7.63E-05	0.000672	9
0.000695	-	-	-7.72E-05	0.000671	10
استجابة تقلبات عوائد بورصة قطر لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية					
I	M2	E	O	VDSM-200	فترة الاستقراء
0.000000	0.000000	0.000000	0.000000	0.004443	1
0.000750	-	0.000233	-	0.003526	2
0.000612	0.001136	0.000432	0.000980	0.003723	3
0.000723	-	0.000330	-	0.003671	4
0.000682	0.001109	0.000399	0.001051	0.003684	5
0.000696	-	0.000358	-	0.003684	6
0.000696	0.001119	0.000385	0.001058	0.003681	7
0.000694	-	0.000369	-	0.003684	8
0.000696	0.001123	0.000379	0.001058	0.003682	9
0.000694	-	0.000373	-	0.003683	10

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

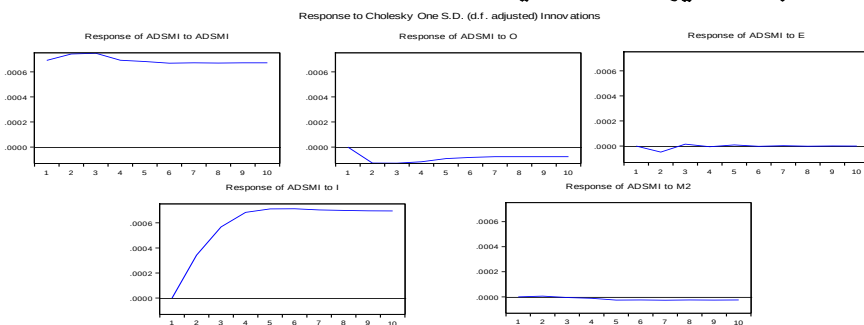
ولكي نوضح مدى استجابة عوائد المؤشرات السابقة للصدمات الاقتصادية، نقوم بإدراج الشكل البياني التالي الذي يلخص مختلف التغيرات التي تحدث خلال العشر فترات:

الشكل رقم (02): استجابة تقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية



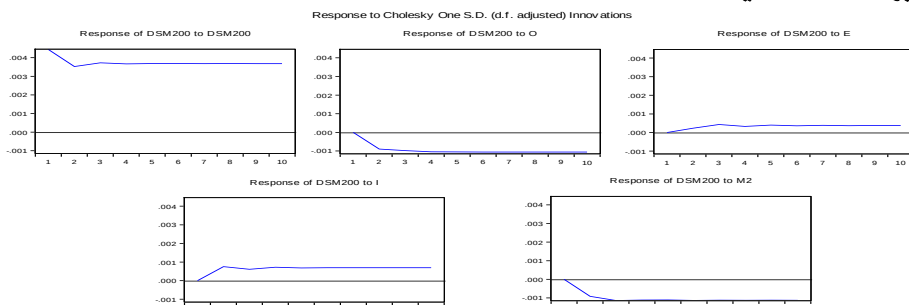
المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

الشكل رقم (03): استجابة تقلبات عوائد مؤشر سوق أبوظبي للأوراق المالية لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية



المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

الشكل رقم (04): استجابة تقلبات عوائد مؤشر بورصة قطر لصدمة تقلبات المتغيرات الاقتصادية



المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

ويمكن أن نلخص مما سبق في الجدول التالي:

الجدول رقم (06): أثر الصدمات الاقتصادية على تقلبات عوائد المؤشرات

تقلبات سوق الأسهم السعودي		تقلبات سوق أبوظبي للأوراق المالية		تقلبات بورصة قطر	
موجب	سالب	موجب	سالب	موجب	سالب
	x		x		x
x		x		x	
	x		x		x
x		x		x	
	x		x		x

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على تحليل النتائج المتحصل عليها في الدراسة.

2.4.2. تحليل التباين

إن الهدف من تحليل التباين هو معرفة مدى مساهمة كل متغير في تباين خطأ التنبؤ، أو بمعنى آخر قياس إسهام الصدمات العشوائية لمتغيرات النموذج في التقلبات المستقبلية لمتغير ما، ويعرض الجدول رقم (07) نتائج تحليل التباين لخطأ التنبؤ بتقلبات عوائد مؤشرات البورصات العينة:

الجدول رقم (07): نتائج تحليل التباين في استجابة تقلبات عوائد مؤشرات

المدرسة للصدمات الاقتصادية

سوق الأسهم السعودي					
فترة الاستقراء	S.E.	VTADA WUL	O	E	M2
I					
1	0.002022	100.0000	0.000000	0.000000	0.000000
2	0.003006	97.27937	0.502099	1.663856	0.001063
3	0.003696	95.65461	0.850431	2.084056	0.019960
4	0.004263	94.34916	0.914548	2.690005	0.018605
5	0.004747	93.34948	0.939334	3.113668	0.015165
6	0.005182	92.55302	0.924739	3.472640	0.012824
7	0.005579	91.93714	0.906718	3.737076	0.011098
8	0.005948	91.44319	0.884956	3.954806	0.009763
9	0.006295	91.04736	0.866060	4.125306	0.008726
10					

4.154162	0.007883	4.266758	0.848796	90.72240	0.006623	
سوق أبوظبي للأوراق المالية						
I	M2	E	O	VADSMI	S.E.	فترة الاستقراء
0.000000	0.000000	0.000000	0.000000	100.0000	0.000692	1
10.07264	0.002544	0.200938	1.389304	88.33458	0.001079	2
21.28193	0.002956	0.123536	1.579848	77.01173	0.001437	3
29.99618	0.006265	0.085109	1.535969	68.37648	0.001739	4
35.27466	0.020759	0.066374	1.369581	63.26862	0.002002	5
38.65364	0.029562	0.053628	1.242535	60.02064	0.002229	6
40.79110	0.036908	0.045124	1.141039	57.98582	0.002433	7
42.30153	0.041066	0.038947	1.069976	56.54848	0.002620	8
43.39908	0.044421	0.034254	1.015373	55.50687	0.002794	9
44.25926	0.046734	0.030573	0.974240	54.68920	0.002958	10
بورصة قطر						
I	M2	E	O	VDSM- 200	S.E.	فترة الاستقراء
0.000000	0.000000	0.000000	0.000000	100.0000	0.004443	1
1.634193	2.306260	0.157184	2.438916	93.46345	0.005867	2
1.833580	4.165891	0.471892	3.435550	90.09309	0.007148	3
2.161703	4.984822	0.518257	4.203400	88.13182	0.008217	4
2.289956	5.468722	0.605991	4.691875	86.94346	0.009168	5
2.394382	5.840238	0.633200	5.024518	86.10766	0.010032	6
2.469704	6.083831	0.670529	5.269588	85.50635	0.010825	7
2.523372	6.281327	0.689015	5.451194	85.05509	0.011566	8
2.567947	6.427439	0.708495	5.594990	84.70113	0.012261	9
2.601822	6.548975	0.721429	5.709041	84.41873	0.012919	10

المصدر: البرنامج الإحصائي EViews 10.

يوضح جدول رقم (07) دور كل صدمة من صدمات المتغيرات المستعملة في الدراسة في تفسير التقلبات الظرفية للبورصات المدروسة في فترة 10 أشهر من التنبؤ، حيث نلاحظ أن التغيرات الحاصلة في تقلبات عوائد مؤشر سوق الأسهم السعودي في الفترة الأولى ترتبط أساساً بالتغيرات الحاصلة في قيمته هو نفسه خصوصاً خلال الفترات الثلاث الأولى، ونجد أن تأثير التقلبات ينخفض مع مرور الوقت حتى يصل إلى حوالي 90.72% في الفترة 10، ويتضح أيضاً أن تفسير المتغيرات الاقتصادية لتقلبات سوق الأسهم السعودي ارتفعت بشكل متزايد مع مرور الزمن بعد أن كانت ضعيفة خلال الفترات الأولى، حيث وصلت تأثير تغيرات سعر الصرف في الفترة 10 إلى 4.26%، أما نسب تغيرات سعر الفائدة، سعر النفط، وعرض النقود فهي على الترتيب الآتي 4.15%، 0.84%، 0.007%.

يتبين من خلال الجدول رقم (07) عند تحليل مكونات تقلبات سوق أبوظبي، أن معظم التغيرات الظرفية التي تحدث في تقلبات عوائد مؤشر سوق أبوظبي تتعلق بتجديدات المتغيرة نفسها، إذ أن هذا التجديد يسمح بتفسير حوالي 88.33% من تغيرات تقلبات السوق خلال الفترة الثانية، لتتراجع هذه النسبة مع مرور الوقت حتى تبلغ حد 54.68% عند الفترة 10، بالمقابل، نجد مع تناقص نسبة مساهمة تقلبات عوائد المؤشر في تفسير تغيراتها الذاتية تزايد نسبة مساهمة صدمات سعر الفائدة في تفسير هذه التغيرات، التي وصلت تأثيرها على تقلبات عوائد مؤشر السوق حوالي 44.25% في الفترة 10، مما يعني أن تأثير سعر الفائدة على التقلبات العوائد يستغرق فترة أطول مقارنة بباقي المتغيرات الاقتصادية التي لها تأثير جد ضعيف في تفسير تقلبات عوائد مؤشر سوق أبوظبي للأوراق المالية والتي تراوحت ما بين 0.002% و 1.57%.

أما بخصوص بورصة قطر، نجد أن العامل الاقتصادي الذي يمثل أكبر نسبة في تفسير تقلبات عوائد المؤشر -بجانب المؤشر نفسه- هو سعر النفط في الفترة الثانية، وبلغت ذروة نسبة مكونات سعر النفط في التقلبات حوالي 5.70% في الفترة 10، كما نلاحظ من النتائج أن نسبة تفسير صدمات سعر الصرف للتقلبات كانت ضعيفة، بينما تفسير صدمات عرض النقود وسعر الفائدة ارتفعت بشكل متزايد مع مرور الوقت لتصل إلى 6.54%، 2.60% في

الفترة 10 على التوالي، مما يعني على أن تأثير تلك المتغيرات على التقلبات العوائد يستغرق فترة أطول مقارنة بباقي المتغيرات.

الخلاصة

حاولنا من خلال هذه الدراسة توضيح مدى تأثير الصدمات الاقتصادية (سعر النفط، سعر الصرف العملة المحلية مقابل الدولار، عرض النقود، سعر الفائدة) على تقلبات البورصات العربية الممثلة في سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي للأوراق المالية وبورصة قطر خلال الفترة الممتدة ما بين 2007-2017، استخدمنا بيانات شهرية لكل من أسعار الإغلاق مؤشرات TADAWUL، ADSMI، DSM-200 والمتغيرات الاقتصادية لكل دولة، ولتحقيق هدف الدراسة، تم استخدام نماذج الانحدار الذاتي المشروط بعدم تجانس التباين الأخطاء الأحادية، وأشعة الانحدار الذاتي، وتوصلنا إلى النتائج التالية:

✓ وجود علاقات تكاملية بين المتغيرات الاقتصادية (سعر النفط، سعر الصرف، سعر الفائدة، عرض النقود) وتقلبات عوائد المؤشرات في سوق الأسهم السعودي، سوق أبوظبي للأوراق المالية وبورصة قطر، تبعاً لاختبار التكامل المشترك لجوهانسن، مما يعني أن المتغيرات تتحرك معاً في المدى الطويل، هذه النتيجة تعد دعماً لنظرية التسعير بالمراجعة التي تشير إلى أهمية المتغيرات الاقتصادية في تفسير عوائد الأسهم وتقلباتها في الأسواق المالية؛

✓ أسفر التحليل القياسي لنموذج تصحيح الخطأ عن وجود علاقة توازنية طويلة الأجل تتجه من المتغيرات الاقتصادية إلى تقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة؛

✓ بينت نتائج اختبار سببية جرانجر بالاعتماد على نموذج VECM وجود علاقة سببية تبادلية بين كل من سعر الصرف، سعر الفائدة وتقلبات عوائد مؤشر سوق السعودي، هذه النتيجة تتفق مع النظرية الاقتصادية ونتائج كل من دراسة (Fama and Schwert (1977 و (Donald et al (2017 و Issam & Murinde (1997 وتفسير ذلك هو أن ارتفاع أسعار الفائدة من شأنه أن يؤدي إلى زيادة تكلفة الفرصة البديلة للاحتفاظ بالنقود أو استثمارها في الأسهم مما يؤدي إلى انخفاض أسعار الأسهم وزيادة تقلباتها، أما بالنسبة إلى نتائج تأثيرات سعر الصرف، فإن انخفاض سعر صرف العملة قد يشير إلى ارتفاع معدلات

التضخم في المستقبل، الأمر الذي يجعل المستثمرين يشكون في الأداء المستقبلي للمؤسسة، ونتيجة لذلك فإن أسعار الأسهم في سوق رأس المال ستنخفض، كما خلصت نتائج السببية غياب تأثير سعر النفط على عوائد أسهم سوق السعودي وبالتالي تتنافى هذه النتيجة مع ما جاءت به النظرية الاقتصادية؛

✓ وجود علاقة سببية ذات اتجاهين بين كل من سعر الفائدة وتقلبات عوائد مؤشر سوق أبو ظبي، أما في بورصة قطر فتوضح النتائج أنه بالإضافة إلى سعر الفائدة تلعب متغيرة سعر النفط دور كبير في تفسير تقلبات عوائد المؤشر وفي اتجاه واحد وهي نفس النتيجة المتوصل إليها في دراسة الحداد (2003) و Martin Agren (2006) حيث أن التغيرات في أسعار النفط تؤثر على الميزانية العامة للدولة، مما يؤدي إلى التأثير على الإنفاق الحكومي، والذي يدفع بدوره إلى التأثير على ربحية المؤسسات، ويترجم ذلك في النهاية على سوق الأسهم وتقلباته؛

✓ أوضحت نتائج اختبار سببية جرانجر عدم وجود علاقة سببية بين عرض النقود وتقلبات عوائد البورصات المدروسة، وهذه النتيجة تخالف منهج الكينزي والنقدي في تأثيرات عرض النقود، وتتفق مع دراسة كل من Choi and Yoon (2015)؛

✓ إن حدوث صدمة في المتغيرات الاقتصادية ستصحب باستجابة ضعيفة لتقلبات عوائد مؤشرات البورصات المدروسة تبعاً لتحليل دوال الاستجابة، بينما أشارت نتائج متجهة الانحدار الذاتي من خلال استخدام تحليل التباين إلى أن التغيرات الحاصلة في تقلبات عوائد مؤشرات في الفترة الأولى ترتبط أساساً بالتغيرات الحاصلة في قيمة المؤشرات نفسها خصوصاً خلال الفترات الأولى، تليها متغير سعر الصرف في سوق السعودية، وسعر الفائدة في سوق أبوظبي، وسعر النفط في بورصة قطر.

بناءً على نتائج الدراسة، نوصي بضرورة فهم ومعرفة المتغيرات الاقتصادية الأكثر تأثيراً على البورصات العربية، وكذا معرفة قنوات تفاعلها وتأثيرها، الأمر الذي يمكن أن يحسن اتخاذ القرارات الاستثمارية وبالتالي الرفع من كفاءة البورصات وتحسين أدائها، بالإضافة إلى تطوير السياسات وإجراء التكييفات الملائمة من قبل هيئات الإشراف على البورصات المدروسة وصانعي

السياسات لاحتواء الآثار التي تحدثها الصدمات الاقتصادية وتحقيق الاستقرار في البورصات.

المراجع

الحداد، راضي صالح (2003)، تأثير أسعار النفط على سوق الأسهم السعودية، المجلة الاقتصادية السعودية (العدد 13).

الغالبى، عبد الحسين جليل، مطوق، ليلي بديوي (2014)، العلاقة التبادلية بين الصدمات النقدية وأسعار الصرف في مصر، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية (العدد 3)، جامعة الواسط، العراق.

جبار، محفوظ (2016)، أثر تقلبات أسعار الصرف على أسواق رأس المال -دراسة إحصائية لبعض الأسواق المتقدمة والنامية خلال السداسي الأول من سنة 2015-، مجلة الباحث (العدد 16)، جامعة ورقلة، الجزائر.

Abdalla, I. S., & Murinde, V. (1997). Exchange rate and stock price interactions in emerging financial markets: evidence on India. *Applied Financial Economics*, 7(1), 25-35.

Ågren, M. (2006). Does oil price uncertainty transmit to stock markets?. Working Paper Series, Department of Economics, Uppsala University.

Chandran, V. G. R., & DAN Norazman S. A. (2004). Casuality between Money Supply and Stock Prices: Preliminary investigation on Malaysian Stock market. *Jurnal Akademik*, 4, 137-144.

Choi, K.-H. and Yoon, S.-M. (2015). The Effect of Money Supply on the Volatility of Korean Stock Market. *Modern Economy*, 6, 535-543.

Donald, A. O., Rose, W. N., & Nelson, H. W. (2017). Effects of Interest Rate on Stock Market Returns in Kenya. *International Journal of Economics and Finance*, 9(8), 40-50.

Fama, E. F., & Schwert, G. W. (1977). Asset returns and inflation. *Journal of financial economics*, 5(2), 115-146.

Nordhaus, W. D. (2007). Who's afraid of a big bad oil shock? *Brookings Papers on Economic Activity*, (2), 219- 238

Seri, S., Dileep, K., Farhan, J., Saqib, M. (2015). Impact of Exchange Rate on Stock Market. *International Journal of Economics and Financial Issues*, 2015, 5(Special Issue), 385-388.

Tavares, J., & Valkanov, R. I. (2001). The neglected effect of fiscal policy on stock and bond returns.



فعالية برنامج علاجي قائم على مهارات ما وراء الذاكرة وأثره على الذاكرة العاملة لدى المعسرين قرائيا

The effectiveness of a therapeutic program based on metamemory skills and its impact on working memory in dyslexics

داود حكيمة¹، عطار سعيدة²

1- طالبة دكتوراه، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية جامعة أوبوكر بلقايد تلمسان

2- أستاذة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية الجامعة أوبوكر بلقايد تلمسان

تاريخ القبول: 2019-10-07

تاريخ الاستلام: 2019-08-16

ملخص -

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على فاعلية برنامج علاجي مقترح قائم على عمليات ما وراء الذاكرة ودراسة أثره في زيادة نشاط الذاكرة العاملة لدى التلاميذ المعسرين قرائيا. يطبق البرنامج على عينة من تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ممن لديهم عسر في القراءة. ولهذا الغرض صممت الباحثة برنامج في ضوء الأطر النظرية لما وراء الذاكرة والدراسات السابقة في هذا الصدد، يعمل على جعل التلاميذ واعين بطريقة عمل الذاكرة العاملة، وتعليمهم الإستراتيجيات الميتامعرفية، وتدريبهم على طرق اختيار الإستراتيجية المناسبة للموقف التعليمي، وقد توصلت الدراسة إلى وجود إثربلبرنامج العلاجي.

الكلمات الدالة -

ما وراء الذاكرة، الذاكرة العاملة، عسر القراءة، برنامج علاجي، الفاعلية.

Abstract-

The Purpose Of This Study Is To Determine The Efficacy Of A Proposed Therapeutic Program Based On The Process Of Metamemory And To Study Its Effect On The Increase Of The Working Memory Activity Of Dyslexic Students. The Program Applies To A Sample Of Grade 5 Students With Reading Disabilities. To This End, The Researcher Has Designed A Program In Light Of The Theoretical Frameworks Of Working Memory And Previous Studies In This Field, Makes Students Aware Of How Working Memory Works, Teaches Them About Training Strategies And How They Work. Learns The Means To Choose The Strategy Best Suited To The Educational Situation.

Keywords-

Metamemory, Working Memory, Dyslexia, Therapeutic Program, Efficiency.

1. - مقدمة:

إن الأطفال ذوي اضطرابات التعلم يظهرون اضطرابات واضحة في العمليات التي تتطلب الاعتماد على الذاكرة، وتتمثل المشكلة الرئيسة عندهم في ضعف نشاط الذاكرة العاملة والتي تشكل عقبة حقيقية تقف خلف معظم اضطرابات العمليات المعرفية لديهم، ومن ثم فإنه يكون من المتوقع بالنسبة لهم أن يجدوا صعوبات في عدد من الأنشطة الأكاديمية والمعرفية على اختلاف أنواعها (Miller & Harris, 1988)، فالذاكرة العاملة ومشكلاتها هي الأكثر شيوعاً بين الأطفال ذوي اضطرابات التعلم، والتي تظهر في مجموعة من الدلائل والمؤشرات ومن أهمها: الإخفاق في تعلم الموضوعات الأكاديمية، وصعوبات في الانتباه، والتذكر والوعي بالمفاهيم والأشياء، والعلاقات المكانية. (Swanson, 2015)، كما يرتبط وجود عجز أو قصور في الذاكرة العاملة ببعض أنماط اضطرابات التعلم الأكاديمية مثل صعوبات القراءة، والفهم القرائي، وصعوبات الكتابة والتعبير الكتابي، وتعلم الرياضيات واكتساب المفاهيم والرموز الرياضية. (السيد، 2017)، بالإضافة إلى ذلك يرى (Swanson, 1994) أن

الطلاب ذوي الاضطرابات التعليمية يستخدمون آليات تشفير مختلفة عن تلك التي يستخدمها أقرانهم العاديين، كما أنهم يواجهون صعوبات أكثر من أقرانهم ذوي المستوى الجيد في القراءة في التشفير اللغوي للمعلومات المدخلة و يعانون من صعوبات مماثلة في استرجاع الشفرات اللغوية المرتبطة بالمفردات، كما أنهم يجدون صعوبات في كل من تخزين واسترجاع المعلومات اللغوية، كما يفشلون في استخدام آليات تشفير فعالة مثل التي يستخدمها أقرانهم الطبيعيون، ويؤدي فشلهم في ذلك إلى انخفاض مستوى التحصيل وتدنى ناتج التعلم. (Swanson, 1994)، والسبب وراء هذه الاختلافات يرجع إلى فشل هؤلاء الأطفال في استخدام استراتيجيات فعالة بشكل تلقائي، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن الأطفال ذوي اضطرابات التعلم يفشلون في تبني إستراتيجية مناسبة في تشفير المعلومات كما أنهم يجدون صعوبات في تطبيق هذه الاستراتيجيات، حيث أن هؤلاء الطلاب يجدون صعوبة في التحول من استراتيجية إلى استراتيجية أخرى أو التخلي عن الاستراتيجيات غير المناسبة ويجدون صعوبات كذلك في استرجاع المعلومات البصرية و لديهم قصور في سعة الذاكرة قصيرة العاملة كما يجدون صعوبة بالغة في استدعاء المعلومات المخزنة في الذاكرة ويفشلون في مهام التعرف والاستدعاء. (Passolunghi, 2012) وبالتالي فإن حسن اختيار واستخدام استراتيجيات التذكر يمكن أن تؤدي إلى تطوير الذاكرة العاملة لدى ذوي صعوبات التعلم، عندما يتم تعليمهم لها وأن العمل على تحسين ورفع من كفاءة هذه المكونات من شأنه أن يقلل من الصعوبات التي تواجهها هذه الفئة. (Robinson, 1999)

لهذا جاءت الدراسة الحالية لتقديم برنامج تدريبي لمهارات ما وراء الذاكرة يساعد ذوي اضطرابات التعلم في القراءة أن يحسنوا من نشاط الذاكرة العاملة لديهم عن طريق جعلهم واعين بعمليات الذاكرة لديهم وبالأخطاء المحتملة وتمدهم بمعلومات عن نظم الذاكرة وتعليمهم كيف يستخدمون إستراتيجيات معينة، تكون أكثر فائدة من غيرها في تعلم المادة ودراستها مما يساعدهم على تنظيم المعلومات ورفع مستوى الأداء والاحتفاظ بالمعلومات واستخدام المعلومات أو توظيفها بصورة منتجة وفعالة.

وبشكل أدق تحاول الدراسة الحالية الإجابة على التساؤل التالي:
هل توجد فروق دالة إحصائية في كفاءة نشاط الذاكرة العاملة لدى ذوي
عسر القراءة للمجموعة التجريبية في القياس القبلي والبعدي بعد تطبيق
البرنامج.

وانطلاقاً من ذلك نطرح الفرضية التالية:
توجد فروق دالة إحصائية في كفاءة نشاط الذاكرة العاملة لدى ذوي عسر
القراءة للمجموعة التجريبية في القياس القبلي والبعدي بعد تطبيق البرنامج
أهمية الدراسة الحالية:

- 1 - قلة الدراسات على المستوى العربي - في حدود علم الباحث - التي
تناولت الوعي بما وراء الذاكرة لدى فئة ذوي اضطرابات التعلم وخاصة التي
تناولت أثره على الذاكرة العاملة.
 - 2 - عينة الدراسة والمتمثلة في التلاميذ ذوي اضطرابات التعلم في القراءة.
 - 3 - ما تقدمه الدراسة الحالية من برنامج لتنمية الوعي بما وراء الذاكرة
يمكن أن يستفيد منه معلمو اضطرابات التعلم والوالدين.
 - 4 - إبراز دور الذاكرة العاملة في التخفيف من حدة مظاهر اضطرابات
التعلم.
 - 5 - أهمية الوعي بما وراء الذاكرة حيث أن القصور فيه يزيد في حدة العسر
وفي أداء المهمات التعليمية بصفة عامة.
 - 6 - ما تسفر عنه الدراسة من نتائج تكشف عن دور الوعي بما وراء الذاكرة
في إعداد برامج علاج اضطرابات التعلم النمائية ولاسيما اضطرابات الذاكرة
واعتبار التدريب على مهارات الوعي بما وراء الذاكرة محورا هاما فيها.
- منهج وعينة الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية على المنهج شبه التجريبي باعتبارها تجربة هدفها
التعرف على فاعلية برنامج لمهارات ما وراء الذاكرة (كمتغير مستقل) وأثر
ذلك على كفاءة الذاكرة العاملة (كمتغير تابع)، إلى جانب استخدام
التصميم التجريبي ذي المجموعة الواحدة للوقوف على أثر البرنامج (القياس
القبلي والبعدي) على المتغيرات محل الدراسة. واشتملت العينة على (6) من

تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ممن لديهم عسر في القراءة، منهم 4 ذكور و2 إناث.

2. - ما وراء الذاكرة:

يعد Flavell أول من أشار إلى مصطلح ما وراء الذاكرة سنة 1971 موضحاً من خلاله المعرفة بالعمليات والمحتويات داخل الذاكرة فقد لاحظ Flavell أن ما وراء الذاكرة ليست بمعزل عن الجوانب العقلية الأخرى مما دعا إلى وضع ما وراء الذاكرة أو ممارسة المراقبة والتأملات حول عمليات الذاكرة ضمن ما وراء المعرفة بصفة عامة. وظهت عدة تعريفات لما وراء الذاكرة حيث يعرفها (Flavell and Wellman, 1977) أنها ما يدركه الفرد عن ذاكرته الخاصة.

1.2. - مكونات ما وراء الذاكرة:

أجمعت العديد من الدراسات أن ما وراء الذاكرة يتكون من مكونين هما:

1 - المكون المعرفي:

يتضمن هذا المكون على ثلاث مكونات فرعية تتفاعل معا وتؤثر بدرجة واضحة في كفاءة التذكر وهي:

أ - وعي الفرد بتقدير سعة الذاكرة لديه: وتتمثل في معلومات الفرد عن ذاكرته، فالفروق في كم معلومات المتعلمين ونوعها عن ذاكرتهم تؤثر في عمليات التحكم الإجرائي في استخدام الاستراتيجيات الخاصة وفي تعميمها أيضاً. (Wright & Osborne, 2005)

ب - الوعي بمدى السهولة والصعوبة في معالجة المهام: يُعرف الوعي بمدى السهولة والصعوبة في معالجة المهام بأنه الدرجة التي تحدد وعي الفرد بمتطلبات تجهيز المهام التي يؤديها من استراتيجيات التفسير والاسترجاع وأسلوب الاستدعاء. (Miller Harris, 1988, 630)

ج - الوعي بانتقاء واستخدام الاستراتيجيات الملائمة لمتطلبات المهام: أن الشرط الأساسي لاكتساب السلوك الاستراتيجي هو وعي المتعلم بوجود ما يدعو للتذكر، وأن هناك مهام تتطلب منه تذكرها مما يتطلب منه بذل الجهد القصدي المتعمد للتفسير ومعالجة المهام. (Alloway, 2006)

2 - المكون التحكيمي:

يشير هذا المكون إلى ضبط السلوكيات المعرفية والتحكم فيها وتوجيه عمليات الذاكرة أثناء موقف التعلم، وهذا يتطلب تخطيط أساليب معالجة المهام واستثارة الأنشطة المعرفية ومراجعة الفهم والاستيعاب لموقف التعلم وتقويم الحلول.

3. - عسر القراءة:

يظهر العديد من الأطفال في المدرسة الابتدائية قصوراً واضحاً في مهارات القراءة، مؤدية في النهاية إلى الإخفاق الأكاديمي ليس في القراءة فحسب، وإنما يمتد ذلك إلى انخفاض التحصيل الدراسي في بقية المواد الدراسية الأخرى. تعريف عسر القراءة: يعرفها الاتحاد العالمي لعلم الأعصاب بأنها اضطراب يظهر في شكل صعوبة في تعلم القراءة، بالرغم من كون ذكاء هؤلاء الأطفال عادي ويتوفرون على تعلم مناسب، وفي ظروف اجتماعية واقتصادية طبيعية وترتبط عسر القراءة ب قصور في العمليات المعرفية الأساسية التي يكون على الأغلب ذو منشأ نورولوجي. (Stavrou, 2002).

1 - أنواع عسر القراءة:

1) عسر القراءة الفونولوجي:

يعتبر هذا النوع أكثر أشكال عسر القراءة انتشاراً حيث يمثل 70 % من ذوي عسر القراءة ويرى هذا الاتجاه أن عسر القراءة راجع إلى قصور معرفي فونولوجي يجعل الطفل غير قادر على أداء الإجراءات الخاصة بتجميع ثم فك رموز الكلمات وكذلك في عملية الربط بين الحرف وصورته الصوتية.

عسر القراءة البصري الانتباهي:

ويعود سببه إلى قصور في النظام البصري الانتباهي مما ينتج عنه خلل في المسار المفرداتي الذي يمثل استراتيجية ضرورية لتعلم القراءة. ومن أهم مظاهر هذا القصور: خلل في التعرف البصري على الكلمات ، صعوبة في قراءة الكلمات التي تتسم بنظام تهجئة غير منظم (أي تكتب ولا تنطق)، خلل في الذاكرة العاملة يحول دون معالجة العديد من المدخلات البصرية في آن واحد.

2) عسر القراءة المختلطة:

الشكل الثالث من عسر القراءة يمثل مزيج بين النوعين السابقين وبالتالي فإن الأطفال المصابون بهذا النوع من العسر لديهم قصور في السيروتين الفنولوجية والبصرية في آن واحد، مما يؤدي ظهور أعراض شديدة لدى الطفل.

(Colé & Sprenger, 2006)

4. - الذاكرة العاملة:

ظهر مصطلح ذاكرة العمل في بداية السبعينيات على إثر البحوث التي قامت بخصوص الذاكرة القصيرة المدى، ثم أصبحت بعد ذلك أحد النقاط الأساسية للبحث في العلوم العصبية والمعرفية؛ فقد شهدت دراسة الذاكرة العاملة تطورات متعددة وسريعة، وبخاصة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ويتجلى ذلك في أعداد الأبحاث المنشورة في المجلات العالمية، والكتب الأكاديمية وتمثل ذاكرة العمل المرحلة النشطة في التخزين القصير المدى حيث يتم فيها تحليل ومعالجة المعلومات وتعد الذاكرة العاملة من أكثر مكونات الذاكرة التي حظيت باهتمام الباحثين في هذا المجال لما لها من دور أساسي في عملية معالجة المعلومات. ويستخدم مصطلح الذاكرة العاملة بديلاً للمصطلح التقليدي الذاكرة قصيرة الأمد، حيث كان بادلي وهيتش (Baddeley and Hitch) أول من أكد على ضرورة استبدال المصطلح بسبب قصوره.

يعرف بادلي وهيتش (Baddeley et Hitch 1994) الذاكرة العاملة من خلال وظيفتها على أنها حفظ العناصر الوظيفية للمعرفة مما يسمح للإنسان باستيعاب البيئة المباشرة حوله وتمثيلها وحفظ المعلومات عن تجارب الماضي المباشر وتعزيز اكتساب المعرفة الجديدة وحل المشكلات والاستنباط والربط والتعرف وفق الأهداف الحالية. (في رحيم، 2018 ص 07). ويعرفها Solso 1991 على أنها آلية تعمل بوصفها مستودعاً مؤقتاً يستطيع حمل المعلومات لمدة قصيرة وهي قادرة على تحويل هذه المعلومات واستخدامها في توليد استجابات (Solso.1991p 172)، أما Alloway & Alloway فيشير أن الذاكرة العاملة نظام مسؤول عن تخزين المعلومات ومعالجتها بشكل مؤقت خلال ممارسة الفرد للأنشطة الإدراكية اليومية التي تحتاج إلى تخزين هذه المعلومات

ومعالجتها، وتتميز بقدرة محدودة. (Alloway & Alloway 2015) في بن
(حمد، 2016)

النموذج متعدد المكونات للذاكرة العاملة (Baddeley 2002):

يعد نموذج بادلي إضافة قيمة في علم النفس المعرفي رغم بعض الانتقادات التي وجهت إليه، إلا أنه يبقى أفضل النماذج وأكثرها شيوعاً حيث يحظى بقبول الكثير من العلماء والباحثين، يتكون هذا النموذج من مجموعة من المكونات الفرعية المتخصصة للمعرفة والتي تقوم بالاحتفاظ بالمعلومات ومعالجتها وصيانتها كل حسب نوعه (لفظية - بصرية - بصرية مكانية) وعلى الرغم من أن هذا النموذج احتفظ بالإطار العام للنموذج الأول الذي اقترحه بادلي وهيتش عام 1974 إلا أنه أضاف بعض المتغيرات الخاصة بالمنفذ المركزي. (الأنصاري ومغازي، 2013 ص 22). افترض بادلي وجود نظام أساسي مسؤول عن التحكم في الذاكرة العاملة ومكوناتها جميعها وسماه المنفذ المركزي وأشار إلى أن هناك عدة أنظمة فرعية تساعد النظام الأساسي سماها أنظمة الخدمة، ومع مرور السنين استطاع بادلي أن يضيف عنصراً رابعاً لم يتضمنه النموذج الأصلي وهو الحاجز العرضي أو مصدر الأحداث، وبذلك تكون الذاكرة العاملة تحتوي على أربعة مكونات تعمل معاً في تكامل واتساق. (تجاني، 2015 ص 63). وفيما يلي تفصيل لهذه المكونات.

1 - المكون اللفظي:

كانت تسمى الحلقة الفونولوجية في نموذج بادلي الأول وهي إحدى مكونات النظام الخادم في الذاكرة العاملة، وهي مسئولة عن الاحتفاظ بالمعلومات اللفظية والمعالجة الصوتية، وهي تقوم بدوران المعلومات التي تم سماعها للاسترجاع الفوري. (hitch & Furst, 2000). يعد هذا المكون هو المسؤول في الذاكرة العاملة عن القيام بمجموعة العمليات اللازمة لحفظ المعلومات اللفظية وتخزينها واسترجاعها، سواء كان الحفظ مؤقتاً في الذاكرة قصيرة المدى أو بشكل ثابت في الذاكرة طويلة المدى (كامل، 2001 في أبو الديار، 2012 ص 26)، وتتركب من مخزون فونولوجي وسياق تكرار لفظي، حيث يستقبل المخزون الفونولوجي المعلومات المقدمة سمعياً والتي تخزن على شكل رموز

فونولوجية في مدة قصيرة جدا تتراوح من (1.5) إلى (2) ثانية حسب ما بينه كل من تومسون وبادلي (12) وتدرج باستمرار بواسطة ميكانيزم التكرار النطقي، أما إذا كان تقديم المادة بصرياً فتمر عملية التخزين بمرحلتين: المرحلة الأولى يتم فيها ترجمة أو تشفير المادة فونولوجياً بواسطة ميكانيزم التكرار اللفظي، ثم في مرحلة ثانية يتم تخزينها في السجل الفونولوجي أين تتم عملية التنشيط بواسطة نفس الميكانيزم لأجل الاحتفاظ بالمعلومة لزمن معين. (صادقي وصادقي، 2014 ص4).

2 - المكون البصري المكاني:

عرفها بادلي على أنها نظام له القدرة على الاحتفاظ المؤقت ومعالجة المعلومات البصرية المكانية وأداء الدور المهم في التوجيه المكاني وحل المشكلات البصرية المكانية، وذلك من خلال الإحساس أو عن طريق الذاكرة طويلة المدى. (Baddeley 2002، في أبو الديار 2012 ص26). كما تقوم بدور الذاكرة قصيرة المدى، إذ يتطلب ذلك الحفاظ على المعلومات البصرية أثناء قيام المكونات الأخرى بأدوارها، والدوائر الصوتية والمسودة البصرية المكانية يقومان بأدوار أقل من حيث المستوى عن تلك التي يقوم بها الضبط التنفيذي Randall, (Braver & Cohen 2007).

3 - المعالج المركزي:

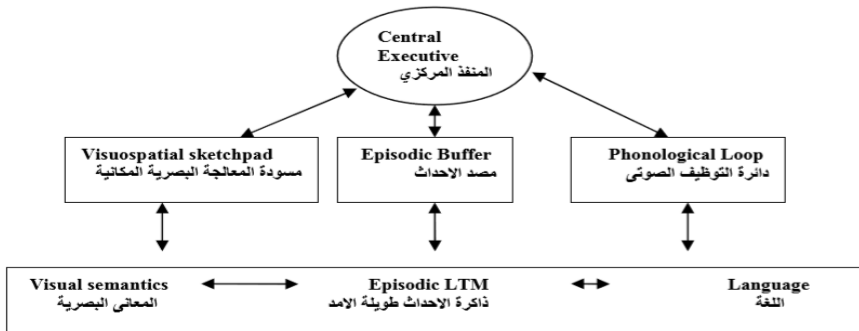
يعد المعالج المركزي من أهم مكونات الذاكرة العاملة وذلك لأنه يعمل على تنظيم المعلومات الواردة إلى الذاكرة العاملة وتخزينها ومعالجتها واسترجاع المعلومات السابقة وتخزينها في أنماط السعة، وقد نظر "بادلي" إلى المعالج المركزي على أنه جوهر الذاكرة العاملة فهو المسؤول عن الانتباه واختيار الإستراتيجية والتحكم في العمليات المختلفة المعنية بالتخزين قصير الأمد. ومهام المعالجة العامة وتنسيقها (أبو الديار، 2012). وهو جهاز للتحكم في الانتباه ويراقب عمل العناصر الأخرى وينسقها، إذ يتدخل في العمليات المعرفية كلها، ويرى بادلي أن المعالج المركزي المعمل العقلي للمعالجة الفورية وتخزين المعلومات بالإضافة إلى مهمة أخرى هي كبت المعلومات الغير مرتبطة بالمهمة

الحالية كي لا تؤثر على أداء المهمة، فهو يسترجع المعلومات المهمة ويكبت خلاف ذلك. (Randall, Braver & Cohen 2007).

4 - مصدر الأحداث:

ويسمى أيضا الحاجز العرضي حيث وضع بادلي (2000) تعديلات لنموذجه الثلاثي في عام 1986 والذي تمت مراجعته سنة 1998، حيث أضاف إليه مركبة رابعة سماها الحاجز العرضي هذا الأخير يكون نظام، لقدرات محدودة للدمج والتخزين المؤقت للمعلومات المتعددة النماذج أثناء تصور عرضي أحادي للمعلومات الآتية. من الأنظمة التابعة والذاكرة طويلة المدى، كما يخضع هذا المكون أيضا لمراقبة الإداري المركزي. (صادقي وصادقي، 2014 ص5). وهو نظام تخزين ذي شفرة متعددة المكونات يقوم بتجميع الأحداث المترابطة ويتدخل ويربط بين نظم عديدة ويستخدم شفرات مختلفة، أي أنه ينشط مصادر عديدة للمعلومات في آن واحد مما يساعد على تكوين نموذج واضح للموقف (المهمة) ومن تم معالجتها كما يعالج المعلومات من المنظومتين الفرعيتين والذاكرة طويلة الأمد ثم يحلل هذه المعلومات. (أبو الديار، 2012 ص29).

الشكل (1) مكونات الذاكرة العاملة حسب بادلي 2000



الذاكرة العاملة لدى ذوي اضطرابات التعلم:

وتعدّ مشكلات الذاكرة مسؤولة عن عدد من صعوبات التعلم في مرحلة المدرسة للأطفال، كما أن الطلبة العاديين عند مقارنتهم بالطلبة ذوي صعوبات التعلم، فإنهم يملكون استراتيجيات تذكر متعددة، مثل التقسيم لوحدات صغيرة، والتوسع، والتكرار، وعند تزويد الطلبة باستراتيجيات للتذكر يستمر الطلبة ذوو صعوبات التعلم في إظهار صعوبات؛ بسبب افتقارهم لمهارات توظيف تلك الاستراتيجيات، وذلك بسبب قصور مهارات ما وراء المعرفة لديهم (اللقطة، 2007). أشار سوانسون واشبيكر (Swanson & Ashbaker 2000) وسوانسون وساكس - لي (Swanson & Sachse- Lee 2001) إلى إن هناك أدلة على إن المشكلات التي تتعلق بالذاكرة العاملة والأداء الوظيفي التنفيذي تعد أهم من تلك المشكلات التي تتعلق بالذاكرة قصيرة المدى ذات الصلة بالقراءة والحساب وذلك لدى التلامذة ذوي صعوبات التعلم، ففي دراسة (سوانسون واشبيكر) التي دارت حول التعرف على الكلمات والفهم القرائي استخدم الباحثان مهام التقييم المعالجة الصوتية أو الفونولوجية والمعالجة الإملائية والمعالجة السيمانتية على عينة من أربعين تلميذ من ذوي صعوبات التعلم وأربعين تلميذ ممن يقرؤون بمهارة وقد اتضح إن أداء التلامذة ذوي صعوبات التعلم في كل المهام كان يقل بشكل دال عن أداء أقرانهم الذين كانوا يقرؤون بمهارة وانتهى الباحثان إلى إن القدرات المتعلقة بالذاكرة العاملة تتنبأ بتلك الكيفية التي تؤدي بها كل مجموعة على مهام الفهم القرائي وإن التلامذة ذوي صعوبات التعلم يواجهون مشكلات في تجهيز المعلومات خلال مهام التعرف على الكلمات والفهم القرائي. (Hallahan et al 2005).

5. - مصطلحات الدراسة:

المعسر قرائيا: تعرفه الجمعية البريطانية للدسلكسيا (2008) هو الشخص الذي لديه صعوبة تعلم خاصة تؤثر على تطور القراءة والكتابة والمهارات المتعلقة بهما ومن خصائصها صعوبات في المعالجة الصوتية ، والتسمية السريعة للأشياء ، والذاكرة العاملة ، وسرعة معالجة المعلومات ، والتطور التلقائي للمهارات والتي لا تتماشى مع القدرات الذهنية .

ويعرفون إجرائياً: يعرفوا إجرائياً بأنهم مجموعة من التلاميذ يعانون من عسر في القراءة بمدرسة بن سهلة بومدين -فدان السبع - بناء على الأدوات المستخدمة في الدراسة.

البرنامج التدريبي: هو مجموعة من الأساليب والأنشطة المدونة والمبرمجة والهادفة إلى إكساب الطلبة ذوي اضطرابات التعلم مهارات الوعي بما وراء الذاكرة والمحددة في محتوى البرنامج.

الذاكرة العاملة: يعرف بادلي 2000 Baddeley الذاكرة العاملة على أنها القدرة على معرفة الحقائق أو الأفكار الموجودة في الذاكرة أثناء حل مشكلة أو إجراء مهمة معينة

وتعرف إجرائياً: هي العلامة التي يحصل عليها التلميذ علي مقياس الذاكرة العاملة المستخدم في الدراسة.

ما وراء الذاكرة: يعرفها TARWIR ET RITCH (2002) على أنها مدى رضا الفرد عن ذاكرته ووظيفة الذاكرة اليومية ومدى استخدامه الاستراتيجيات ومساعدات التذكر المختلفة.

6. - أدوات البحث:

1 - مقياس الذاكرة العاملة:

تم إعداد المقياس الحالي من طرف العايد (2007) في ضوء الإطار النظري للذاكرة العاملة، ومن خلال الاطلاع على المقاييس المستخدمة في بعض الدراسات السابقة، ويتكون المقياس من الأبعاد الثلاثة التالية:

أولاً: بعد الترميز الصوتي ويقاس باختبار التذكر السمعي للكلمات والجمل ذات المعنى، ويقاس هذا الاختبار قدرة الطفل على تذكر كلمات، وجمل، تتدرج في مستوى الصعوبة. ويتكون من (15) بنداً والدرجة القصوى للاختبار هي (15) درجة) بواقع درجة لكل بنداً.

ثانياً: بعد الترميز البصري ويقاس باختبار تذكر ترتيب الصور، ويقاس هذا الاختبار القدرة على التذكر البصري، ويتضمن الاختبار جزأين ، الأول تذكر الصور بدون ترتيب ، والثاني تذكر الصور بترتيب معين. يتضمن كل

جزء (10) صور، ويعطى الطالب درجة لكل إجابة صحيحة، وبهذا تكون درجة الاختبار الكلية (20) درجة .

ثالثاً: بعد الترميز بالمعنى ويقاس باختبار تذكر الاسم مع الصور المناسبة له. يهدف هذا الاختبار إلى قياس القدرة على التذكر البصري، حيث يتكون هذا الاختبار من عشرة صور. وتكون درجة الاختبار الكلية (10) درجات .

2 - اختبار تشخيص العسر القرائي لنصرة عبد الجليل جلجل:

وضع هذا الاختبار من طرف نصرة جلجل سنة 1993، ويهدف إلى تشخيص عسر القراءة من خلال مجموعة من المحددات والمتمثلة في التعرف على الكلمة وفهم الكلمة، وفهم الجملة، والفهم من خلال القراءة الصامتة

3 - مصفوفات رافن ل John. Raven

ظهر هذا الاختبار لأول مرة عام (1947) وتم تعديله عام (1956). حيث استغرق إعداد وتطوير هذا الاختبار حوالي (30) عاماً من عمر العالم الإنجليزي "جون رافن، ويعتبر اختبار "رافن من الاختبارات (العبر حضارية

الصالحة للتطبيق في مختلف البيئات والثقافات؛ فهو اختبار لا تؤثر فيه العوامل الحضارية

يتكون هذا الاختبار من (3) مجموعات، وهي:

المجموعة: (A) والنجاح فيها يعتمد على قدرة الفرد على إكمال نمط مستمر، وعند نهاية المجموعة يتغير هذا النمط من اتجاه واحد إلى اتجاهين في نفس الوقت.

المجموعة (AB) والنجاح فيها يعتمد على قدرة الفرد على إدراك الأشكال المنفصلة في نمط كلي على:

أساس الارتباط المكاني.

المجموعة: (B) والنجاح فيها يعتمد على فهم الفرد للقاعدة التي تحكم التغيرات في الأشكال المرتبطة منطقياً أو مكانياً، وهي تتطلب قدرة الفرد على التفكير المجرد.

4 - البرنامج التدريبي:

تم إعداد البرنامج في ضوء الأطر النظرية للذاكرة العاملة والدراسات السابقة في هذا الصدد وخاصة التي تناولت إعداد برامج لتنمية وتنشيط الذاكرة العاملة لدى الأطفال عامة ولدى ذوى اضطرابات التعلم خاصة والأدب النفسي في هذا المجال إلى جانب خصائص الأطفال ذوى اضطرابات التعلم .

هدف البرنامج:

- جعل التلاميذ واعين بنظم الذاكرة لديهم
- تعليمهم الإستراتيجيات المستخدمة في التذكر
- تدريبهم على طرق اختيار الإستراتيجية المناسبة للموقف التعليمي

محتويات البرنامج:

يتكون البرنامج من أنشطة معدة بغرض تحقيق الأهداف المسطرة يقسم في تطبيقه على 16 جلسة ويتضمن ما يلي:

أولاً الوعي بنظم الذاكرة:

ويهدف إلي

- تعريف التلاميذ على المنطقة المسؤولة عن الذاكرة.
- كيفية التي تعمل بها الذاكرة والاختلافات والفروق الموجودة بين الناس في أداء الذاكرة.

- التعرف على أهم الاستراتيجيات المستخدمة في التذكر

ثانياً: التدريب على الاستراتيجيات المختلفة للتذكر:

وتتضمن هذه المرحلة التدريب على الإستراتيجيات التالية

- إستراتيجية التكرار

- إستراتيجية التصنيف

- إستراتيجية إعطاء معنى للمعلومة

- إستراتيجية تفعيل المعرفة السابقة

ثالثاً: التدريب على التحكم في الذاكرة:

ويهدف إلى تدريب التلميذ علي الاعتماد على نفسه في اختيار

الإستراتيجية المناسبة للموقف والوقوف على مبررات هذا الاختيار.

8. - الإجراءات المتبعة:

- المرحلة الأولى:

قامت الباحثة بزيارة مدرسة بن سهلة بومدين (فدان سبع) بتلمسان والتعرف علي معلمي السنة الخامسة حيث يتواجد بالمدرسة ثلاثة أقسام (أ - ب - ج) وقدمت للمعلمين استمارة الزيات الخاصة بعسر القراءة والذاكرة وطلبت منهم أن يقدموا لها قائمة التلاميذ الذين تتوفر فيهم المشكلات المذكورة في البطارية . وبعد الحصول علي القائمة والتي اشتملت علي 20 تلميذ ثم جمعهم في قسم واحد من أجل القيام بعملية التشخيص وذلك باستخدام اختبار مصفوفات رافن وذلك من أجل استبعاد حالات بطء التعلم اختبار تشخيص العسر القرائي لنصرة عبد الجليل جلجل من أجل الكشف عن عسر القراءة.

بعد تفريغ نتائج الاختبار تم تحديد عينة الدراسة والتي اشتملت على 6 تلاميذ 4 ذكور 2 إناث وكانت النتائج كالتالي:

الجدول (1) المجموعة التجريبية

الحالة	الاسم واللقب	الجنس	تاريخ ومكان الازدياد
1	ب.م	ذكر	2008/10/04
2	ب.بي	ذكر	2008/12/14
3	ر.ك	ذكر	2008/04/15
4	ب.بيس	أنثى	2007/09/17
5	ب.ش	أنثى	2007/03/24
6	و.م	ذكر	2008/05/11

1 - العسر القرائي:

تم تطبيق اختبار العسر القرائي لنصرة عبدالمجيد جلجل و كانت النتائج كالتالي:

الجدول (2) المجموعة التجريبية

الحالة	الاسم واللقب	النقاط المتحصل عليها	نتيجة الاختبار
1	ر.ر	47	معسر قرائيا
2	ب.أ	45	معسر قرائيا
3	ك.ن	43	معسر قرائيا
4	ب.د	48	معسر قرائيا
5	ل.ح	40	معسر قرائيا
6	ب.و	44	معسر قرائيا

يتضح من الجدول (2) أن جميع أفراد العينة التجريبية يعانون من عسر في

القراءة

2 - الذاكرة العاملة:

قامت الباحثة بالقياس القبلي حيث طبقت مقياس الذاكرة العاملة علي المجموعة التجريبية وتحديد العلامات المحصل عليها في جميع أبعاد المقياس وكانت النتائج كالتالي

الجدول (3) القياس القبلي لنشاط الذاكرة العاملة المجموعة التجريبية

أبعاد الاختبار	الحالة 1	الحالة 2	الحالة 3	الحالة 4	الحالة 5	الحالة 6
بعد الترميز الصوتي						
اختبار التذكر السمعي للكلمات والجمل	7	6	8	7	7	6
اختبار التتابع السمعي للأرقام	5	5	4	5	6	6
المجموع	12	11	12	12	13	12
الرتب	7	3	7	7	11	7
بعد الترميز البصري						
اختبار تذكر الصور البصري	9	12	7	13	10	11
اختبار تذكر ترتيب الصور	10	18	8	15	13	12
اختبار رسم المتهات	3	2	3	3	3	2
المجموع	22	32	18	31	26	25
الرتب	3	10.5	1	9	5	4
بعد الترميز بالمعنى						
اختبار تذكر نسخ الأشكال الهندسية	5	4	5	6	5	4
اختبار تصنيف المعاني	3	5	4	5	4	5
اختبار تذكر الاسم مع الصورة المناسبة له	2	3	3	4	4	6
المجموع	10	12	12	15	13	15
الرتب	1	3.5	3.5	8.5	6	8.5
النتيجة						

يتضح من الجدول (3) أن جميع أفراد العينة التجريبية يعانون من تدني

نشاط الذاكرة العاملة

المرحلة الثانية:

بدأت الباحثة بتطبيق البرنامج خلال الفترة الممتدة ما بين 19- 04- 2017

والخميس 07 - 05 - 2017 حيث تكون البرنامج التدريبي من (16) جلسة ، بواقع

جلسة يومية، ومدة الجلسة (35 - 45) دقيقة ،وتوزيع جلسات البرنامج كان

كالتالي: (1) جلسة للتعارف بين أفراد العينة ،(15) للتدريب وبعد الانتهاء من

البرنامج قامت الباحثة بالقياس البعدي لمقياس الذاكرة العاملة للتأكد من فعالية البرنامج ثم استخدمت الأساليب الإحصائية المناسبة للتحقق من صحة الفرض تم القيام بما يلي:

1- بعد القياس القبلي الذي تم في المرحلة الماضية قامت الباحثة بالقياس البعدي لمقياس الذاكرة العاملة للمجموعة التجريبية وكانت النتائج كالتالي:

الجدول (4) القياس البعدي للمجموعة التجريبية

أبعاد الاختبار	الحالة 1	الحالة 2	الحالة 3	الحالة 4	الحالة 5	الحالة 6
بعد الترميز الصوتي						
اختبار التذكر السمعي للكلمات والجمل	13	13	14	14	13	12
اختبار التتابع السمعي للأرقام	7	8	6	8	7	7
المجموع	20	21	20	22	20	19
الرتب	9	11	9	12	9	7
بعد الترميز البصري						
اختبار تذكر الصور البصري	16	17	15	18	16	18
اختبار تذكر ترتيب الصور	15	20	14	18	17	19
اختبار رسم الماهات	4	3	5	4	5	4
المجموع	35	40	34	40	38	41
الرتب	7	10.5	6	10.5	9	12
بعد الترميز بالمعنى						
اختبار تذكر نسخ الأشكال الهندسية	7	7	8	9	7	9
اختبار تصنيف المعاني	6	6	7	6	6	7
اختبار تذكر الاسم مع الصورة المناسبة له	7	9	8	8	7	9
المجموع	20	22	23	23	20	25
الرتب	7.5	9	10.5	10.5	7.5	12
النتيجة						

2 - حساب دلالة الفروق بين متوسطات درجات عينة الدراسة في القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية لاختبار الذاكرة العاملة باستخدام اختبار مان - ويتني البرنامج على أداء الذاكرة العاملة

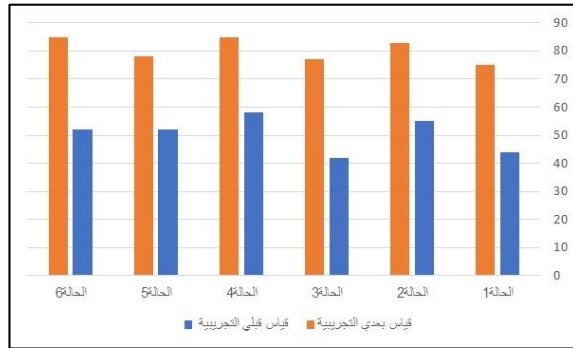
جدول (5) نتائج اختبار مان - ويتني (U) Mann-Whitney للفروق بين متوسطى رتب درجات مجموعتي الدراسة ودلالاتها في الذاكرة العاملة (التجريبية البعديّة)

م	المتغيرات	القياس القبلي (ن=6)		القياس البعدي (ن=6)		U	Z	الدلالة
		متوسط الرتب	مجموع الرتب	متوسط الرتب	مجموع الرتب			
1	الترميز الصوتي	9.5	57	3.5	21	0	0.001	دالة
2	الترميز البصري	9.17	55	7.58	45.5	2	0.001	دالة
3	الترميز بالمعنى	9.5	57	3.5	21	0	0.001	دالة
5	الدرجة الكلية	9.5	57	3.5	21	0	0.001	دالة

ويتضح من الجدول (5) وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى (0,001) على مقياس الذاكرة العاملة في الدرجة الكلية والأبعاد (بعد الترميز الصوتي، بعد الترميز البصري، بعد الترميز بالمعنى) بين أفراد المجموعة التجريبية في القياس القبلي والبعدي بعد تطبيق البرنامج وكانت الفروق لصالح القياس البعدي مما يدل على الأثر الايجابي لتنمية مهارات ما وراء الذاكرة على الذاكرة العاملة وهو ما يحقق صحة الفرضية.

الشكل (2) نشاط الذاكرة العاملة للمجموعة التجريبية في القياس القبلي

والبعدي



نلاحظ من الشكل رقم (2) أن نشاط الذاكرة العاملة للمجموعة التجريبية قد تحسن في القياس البعدي مقارنة بالقياس القبلي.

9. - مناقشة النتائج:

أشارت نتائج الدراسة ومن خلال المعالجة الإحصائية للبيانات وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياس القبلي ومتوسطات درجات نفس المجموعة في القياس البعدي بعد تطبيق البرنامج العلاجي على مقياس الذاكرة العاملة لصالح القياس البعدي بعد تطبيق البرنامج، حيث زادت قيمة المتوسط الحسابي الأمر الذي يدل على زيادة مستوى نشاط الذاكرة العاملة لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد تطبيق البرنامج العلاجي، وهذا يعكس التحسن الملموس في مهارات الذاكرة العاملة الثلاث التي يقيسها المقياس بعد تطبيق البرنامج، ولأن هذه الفئة تتمتع بمستوى ذكاء يقع في المدى المتوسط لأن اضطرابات التعلم لا تعود إلى انخفاض نسبة الذكاء، فعندما هيئت لهم بيئة تعليمية مناسبة تمكنهم من الاستفادة من قدراتهم أسفرت عن تعلمهم كما بدا في تحسن مهارات الذاكرة العاملة، كما تؤكد هذه النتيجة كذلك أن التلاميذ ذوي اضطرابات التعلم قد تم تطوير مهارات ما وراء الذاكرة لديهم وذلك نتيجة لتطبيق البرنامج التدريبي عليهم مما يشير إلى أن هؤلاء التلاميذ قد اكتسبوا قدرة على

التخطيط والضبط والتحكم في الذاكرة وهذا يؤكد على أن تعليم استراتيجيات ما وراء المعرفة بصفة عامة وما وراء الذاكرة بصفة خاصة يعتبر فعال في مساعدة الأطفال المعسرّين قرائيا على تجاوز مشكلات الذاكرة العاملة لديهم وتفسر الباحثة هذه النتيجة لتطور مهارات ما وراء الذاكرة لديهم من عدة نواحي أهمها :

1 - هذه النتيجة تدل على أن المهارات التي تكون منها البرنامج كانت تغطي الأبعاد المستهدفة في الذاكرة العاملة وهي البعد البصري و السمعي وبد المعاني والذي يبين أن البرنامج كان له أثر ذو دلالة على جميع الأبعاد سابقة الذكر بالإضافة إلى الدلالة على البعد الكلي والتي تعطي مؤشرا وضحا على قوة البرنامج من حيث معالجة الأمر الذي صمم من أجله .

2 - تفسر هذه النتيجة كذلك أن الغالبية العظمى من النشاطات التي يتكون منها البرنامج هي نشاطات تعتمد على المنهج المدرسي الذي ضمن وجود درجة مقبولة من التوافق بين نشاطات البرنامج التدريبي و الخبرات المعرفية السابقة للتلميذ وهذا يضمن وجود درجة من التفاعل الإيجابي بين التلاميذ و البرنامج مما ساهم في هذه النتيجة.

3 - كذلك يمكن أن تعود هذه النتيجة إلى الأسلوب الذي استخدمته الباحثة والمتمثل في الاهتمام بجانب بيداغوجية النضج كالتعزيز ومحاولة التخفيف من حدة انخفاض تقدير الذات لديهم مما أدى إلى زيادة دافعتهم للتعلم.

11. - خاتمة:

لقد توصلت الكثير من الدراسات التي أجريت حول فئة المعسرّين قرائيا والعمليات المعرفية لديهم إلى وجود اضطراب في هذه العمليات مما دفع هؤلاء الباحثين للعمل على التدخل المبكر والملائم لعلاج هذه الاضطرابات و ذلك لتفادي الفشل المتكرر في الدراسة، و قد أكدت هذه الدراسات على ألا يقتصر التدخل على تحديد جوانب ضعف هذه الفئة فقط مما يؤدي إلى استيائهم من المربين وجهودهم وعدم الاستجابة للمدرسة، بل يجب إعادة التفكير والاهتمام

بدعم بيئتهم الدراسية وبنيتها وعلاجهم والتعاون بين المتخصصين بمختلف خبراتهم.

في ضوء نتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة بما يلي:

- 1 - إدخال التدريب على مهارات ما وراء الذاكرة في تعليم الطلبة ذوي اضطرابات التعلم كأسلوب أساسي في عملية تعليمهم.
- 2 - عقد ورشات تدريبية للمعلمين الذين يدرسون الطلبة ذوي اضطرابات التعلم يتم فيها تدريبهم على كيفية التعامل مع هذه الفئة
- 3 - الاهتمام بالبرامج العلاجية الموجهة لذوي اضطرابات التعلم داخل المؤسسات التعليمية.
- 4 - استثمار البرنامج المقترح للتخفيف من المشكلات المدرسية التي تعاني منها هذه الفئة.

قائمة المراجع:

- السيد رنا محمد. (2017)، فعالية برنامج قائم على نموذج بادلي لتحسين أداء الذاكرة العاملة البصرية والمكانية وأثره على الديسكالوليا لدى أطفال ذوي صعوبات التعلم. رسالة ماجستير في التربية. كلية التربية للطفولة المبكرة، جامعة القاهرة: مصر.
- الغالية بنت زاهر العبري (2016)، فاعلية برنامج تدريبي في تحسين الذاكرة العاملة لدى طالبات صعوبات تعلم القراءة في محافظة مسقط، رسالة الماجستير في التربية. جامعة نزوي: سلطنة عمان.
- رحيم عبد الله جبر الزبيدي، (2018)، علاقة ما فوق الاستيعاب بالذاكرة العاملة لدى طلبة الجامع. مجلة كلية التربية/جامعة واسط. 1(31). 653-694.
- الأنصاري. بدر. ومغازي، عبد ربه. (2013). الفروق الفردية في الذاكرة العاملة لدى الأطفال الكويتيين من عمر 4 و حتى 12 سنة. Annals of Arts & Social Sciences/Hawliyyat Kulliyyat al-adab, 34.
- تجاتي، كوثر. (2015). علاقة ضعف الانتباه البصري بالذاكرة العاملة لدى الاطفال ذوي نقص الانتباه وفرط النشاط. رسالة ماجستير غير منشورة: جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

- الخطيب، مونيكا الن شريف. (2012). أنماط الذاكرة العاملة (التنفيذية، البصرية، الصوتية) لدى طلبة صعوبات التعلم في القراءة، والرياضيات. رسالة الماجستير في التربية. كلية العلوم التربوية والنفسية: جامعة عمان.
- صادقي، رحمة و صادقي، فاطمة. (2014) الذاكرة العاملة والازدواجية اللغوية دراسة مقارنة بين تلاميذ الناطقين بالعربية والتلاميذ الناطقين بالتارقية بمنطقة تمناست. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 16.
- صادقي، رحمة و صادقي، فاطمة. (2014) الذاكرة العاملة والازدواجية اللغوية دراسة مقارنة بين تلاميذ الناطقين بالعربية والتلاميذ الناطقين بالتارقية بمنطقة تمناست. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 16.
- اللقطة، رائدة. (2007). سعة الذاكرة العاملة والنمط المعرفي (لفظي / تخيلي) وسرعة الإدراك وعلاقتها بالعمليات المستخدمة في حل المشكلات لدى الطلبة الاردنيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية، عمان، الاردن.
- أبو الديار، مسعد: (2012). الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، ط1 مكتبة الكويت الوطنية، الكويت.

- Swanson, H. L., & Hoskyn, M. (1998). Experimental intervention research on students with learning disabilities: A meta-analysis of treatment outcomes. Review of Educational Research, 68(3), 277-321.
- Robinson, S. M. (1999). Meeting the needs of students who are gifted and have learning disabilities. Intervention in school and clinic, 34(4), 195-204. - Rosenthal, D. M. (2000). Consciousness, content, and metacognitive judgments. Consciousness and cognition, 9(2), 203-214.
- Schraw, G., & Dennison, R. S. (1994). Assessing metacognitive awareness. Contemporary educational psychology, 19(4), 460-475.
- Swanson, H. L. (1994). Short-term memory and working memory: Do both contribute to our understanding of academic achievement in children and adults with learning disabilities?. Journal of Learning disabilities, 27(1), 34-50.
- Wright, D. B., & Osborne, J. E. (2005). Dissociation, cognitive failures, and working memory. American Journal of Psychology, 118(1), 103-113.
- Miller, P. H., & Harris, Y. R. (1988). Preschoolers' strategies of attention on a same-different task. Developmental Psychology, 24(5), 628.

- Alloway, T. P. (2006). How does working memory work in the classroom?. Educational Research and reviews, 1(4), 134-139.
- Passolunghi, M. C. (2012). Working memory and arithmetic learning disability. In Working memory and neurodevelopmental disorders (pp. 127-152). Psychology Press.
- Nelson, T. O. (1990). Metamemory: A theoretical framework and new findings. In Psychology of learning and motivation (Vol. 26, pp. 125-173). Academic Press.
- Flavell, J. H. (1976). Metacognitive aspects of problem solving. The nature of intelligence, 231-235.
- Reilly Randall C. O' Braver Todd S. _ , & Cohen Jonathan D, (2007) A Biologically-Based Computational Model of Working Memory
- Swanson, H. L. (1994). The role of working memory and dynamic assessment in the classification of children with learning disabilities. Learning Disabilities Research & Practice.
- Swanson, H. Lee, (2015). Cognitive , intelligence, and achievement: A tribute to J. p. Das. pp. 175 - 196. xviii., 511 Pp. San Diego, CA, US: Elsevier Academic Press; US.
- Colé, P., & Sprenger-Charolles, L. (2006). Lecture et dyslexie: approche cognitive. Paris: Dunod.
- Stavrou, L. (2002). Maturité affective et sociale de l'enfant dyslexique-dysorthographique. Carrefours de l'education, (1), 110-125.



ضرورة حماية خصوصية مراسلات البريد الإلكتروني

في التشريع الجزائري

The Need to Protect the Privacy of E-mail Correspondence in the Algerian Legislation

بلغيث سمية

قسم الحقوق ، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة العربي بن مهيدي

– أم البواقي –

belghit.soumia@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-05-21

تاريخ الاستلام: 2018-08-12

ملخص -

يشكل البريد الإلكتروني واحدة من أهم المزايا التي تقدمها الانترنت للفرد في عصرنا الحالي؛ لسرعة و سهولة وصول الرسائل و الملفات من خلاله من جهة، و سهولة استخدامها و بساطة تكلفته من جهة أخرى. هذه الرسائل التي يعبر من خلالها المرسل عن أفكار و أحاسيس خاصة به لا يرغب عادة في الإطلاع عليها من طرف الغير.

و نظراً لكون المراسلات الخاصة تعتبر صورة من صور الحق في حرمة الحياة الخاصة أصبح لزاماً على المشرع التدخل و فرض حماية جنائية خاصة على مراسلات البريد الإلكتروني الخاصة في إطار حماية حق الفرد في حرمة حياته الخاصة.

الكلمات المفتاحية -

البريد الإلكتروني، المراسلات، الحياة الخاصة، الخصوصية.

Abstract-

Le Courrier Électronique Est L'un Des Avantages Les Plus Importants Offerts Par Internet À L'individu À Notre Époque Pour La Rapidité Et L'accessibilité Des Messages Et Des Fichiers À Travers Lui D'une Part, Et Sa Facilité D'utilisation Et La Simplicité Du Coût De L'autre. Ces Messages Par Lesquels L'expéditeur Exprime Ses Pensées Et Ses Sentiments Ne Veulent Généralement Pas Être Vus Par Les Autres.

Étant Donné Que La Correspondance Privée Est Une Forme De Confidentialité, Il Incombe Aux Législateurs D'intervenir Et D'imposer Une Protection Pénale Spéciale Aux Messages Électroniques Privés Afin De Protéger Le Droit À La Vie Privée De L'individu.

Mots-Clés-

Courrier Électronique, Correspondance Privée, Vie Privée.

مقدمة:

لقد أصبحت الانترنت في وقتنا الحالي ضرورة تفرضها الحياة المعاصرة، يلجأ إليها الباحث والدارس في شتى العلوم و المعارف المختلفة. هذا العالم الافتراضي الذي يقوم على وجود شبكة عالمية تربط الحواسيب و الشبكات الصغيرة بعضها البعض عبر العالم من خلال خطوط الهاتف أو الأقمار الاصطناعية أو الألياف الضوئية و غيرها من تقنيات الاتصال، فمن منا لم يدخل يوما إلى قوقل للبحث عن موضوع معين، و من منا لم يستعمل السكايب أو الفيبر أو الفايسبوك....الخ. و من منا لم يكتسب بريدا الكترونيا خاصا به يرسل من خلاله العديد من الرسائل و يتلقى مختلف الصور و الملفات الشخصية، فالبريد الإلكتروني يعد من أهم مزايا الانترنت لسرعة وصول الرسائل و الملفات من خلاله و سهولة استخدامه و تكلفته البسيطة مقارنة بوسائل الاتصال الفوري الأخرى كالفاكس، حيث يستعمل في إرسال وتلقي مراسلات عامة و أخرى تتمتع بالخصوصية التي تحتاج إلى حماية قانونية من أي شكل من أشكال الاعتداء الذي يعتبر اعتداء على حرمة الحياة الخاصة للفرد.

الأمر الذي يجعلنا نتساءل: هل يخضع البريد الإلكتروني لنظام قانوني خاص؟ وهل وفرّ المشرع الجزائري للمراسلات التي تتم خلاله حماية جنائية خاصة؟ ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي إشكاليين فرعيين هما: ما هو البريد الإلكتروني؟ وما هي الطبيعة القانونية لمراسلات البريد الإلكتروني؟ للإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم الموضوع إلى قسمين نتناول في الشق الأول مفهوم البريد الإلكتروني. و نتناول في الشق الثاني الطبيعة القانونية لمراسلات البريد الإلكتروني وحمايتها جزائياً.

المبحث الأول: مفهوم البريد الإلكتروني.

البريد الإلكتروني واحد من أهم وسائل الاتصال الإلكتروني الحديثة التي تحتاج دراستها إلى الوقوف على تعريفاته المختلفة، وإجراء إطلاقة و لوجيزة على مراحل نشأته، ثم التعرف على أنواعه في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: تعريف البريد الإلكتروني.

المطلب الثاني: نشأة وتطور البريد الإلكتروني

المطلب الثالث: أنواع البريد الإلكتروني.

المطلب الأول: تعريف البريد الإلكتروني.

أوجد الكثير من فقهاء القانون تعريفات مختلفة للبريد الإلكتروني إلا أن جميعها تصب في قالب واحد. حيث عرفه البعض على أنه: "مكنة التبادل غير المتزامن للرسائل بين أجهزة الحاسب الآلي"، وعرفه البعض الآخر بأنه: "طريقة تسمح بتبادل الرسائل المكتوبة بين الأجهزة المتصلة بشبكة المعلومات"¹ و يقصد به أيضا "استخدام شبكات الحاسب الآلي في نقل الرسائل بدلا من الوسائل التقليدية، حيث يخصص لكل شخص صندوق بريد إلكتروني خاص

1 العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد: الحماية الجنائية للبريد الإلكتروني، دراسة تأصيلية مقارنة. رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العدالة الجنائية، تخصص السياسة الجنائية. تحت إشراف الدكتور أحمد بن محمد اليماني بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض سنة 2010 ص 21.

به، و هذا الصندوق عبارة عن ملف وحدة الأقراص المغنطة التي تستخدم في استقبال الرسائل.¹

و عرفه الدكتور خالد ممدوح إبراهيم بأنه: " تلك المستندات التي يتم إرسالها أو استلامها بواسطة نظام اتصالات بريدي الكتروني و تتضمن ملحوظات مختصرة ذات طابع شكلي حقيقي، و يمكنه استصحاب مرفقات به مثل معالجة الكلمات و أية مستندات أخرى يتم إرسالها رفقة الرسالة ذاتها" ²

و بناء على ما تقدم نجد أن جميع التعريفات اتفقت على وجوب وجود جهاز حاسب الي متصل بشبكة معلومات يتم خلالها إرسال و استقبال رسائل و ملفات ذات طابع شخصي بين الأفراد. ³

المطلب الثاني: نشأة و تطور البريد الإلكتروني.

يرتبط ظهور البريد الإلكتروني بظهور الانترنت في الولايات المتحدة الأمريكية، و يرجع الفضل في ظهوره إلى العالم الأمريكي "راي توملينسون RAY TOMLINSON" الذي يعتبر بحق مخترع البريد الإلكتروني حيث صمم على شبكة الانترنت برنامج لكتابة الرسائل يسمى send message و ذلك بغرض تمكين العاملين بالشبكة من تبادل الرسائل فيما بينهم. و كانت البداية عندما كان "راي توملينسون RAY TOMLINSON" يعمل كموظف بسيط في شركة (بي بي آن) الأمريكية بعد أن تخرج في عام 1965 من معهد ماساشوستس الشهير للتكنولوجيا، و قد كلفت وزارة الدفاع الأمريكية شركته

¹ صالح عبد الرحيم: انعقاد الزواج بالبريد الإلكتروني: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي و القانون الجزائري، مقال منشور بمجلة دفاتر السياسة و القانون العدد السابع جوان 2012 ص 191.

² خالد ممدوح إبراهيم: أمن مراسلات البريد الإلكتروني، الدار الجامعية الإسكندرية، طبعة 2008 ص 56، 55.

³ عرفه القانون الفرنسي على أنه: ' كل رسالة سواء كانت نصية أو صوتية أو مرفق بها صور أو أصوات يتم إرسالها عبر شبكة اتصالات عامة و تخزن عند أحد خوادم تلك الشبكة أو في المعدات الظرفية للمرسل إليه ليتمكن هذا الأخير من استعادتها. خالد ممدوح إبراهيم (المرجع نفسه) ص 56.

التي يعمل بها ببناء شبكة اتصالات آريانت ARPANET ، و الهدف منها ربط كافة المعاهد العلمية و الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية لتبقى على تواصل فوري، و قد عمل توملسون على إعداد برنامج حاسوبي بسيط لكتابة الرسائل أطلق عليه اسم "SNDMSG" و الهدف منه أن يكتب أحد الموظفين رسالة و يتركها للآخرين لكي يطلعوا عليها. و ذلك ضمن ملف مثبت على جهاز الحاسوب، و كذلك تدوين الملاحظات و المهام المنجزة و التي يجب انجازها، بحيث يتمكن الموظف الذي سيعمل لاحقا على جهاز الحاسوب نفسه من معرفة ما أنجز من أعمال، و ما يجب عليه القيام به دون حاجة لعقد لقاءات متكررة بين الموظفين.

و جاء عام 1971 ليظهر أول حاسوب شخصي في العالم، كان خلالها توملينسون يصمم برنامج CYPNET الخاص بنقل و تبادل الملفات بين أجهزة الحاسوب المختلفة المرتبطة بشبكة "آريانت". و ما كاد توملينسون يفرغ من برنامج CYPNET الخاص بنقل الملفات عبر أجهزة الحاسوب المرتبطة بشبكة آريانت حتى لمعت في ذهنه فكرة ربط برنامج CYPNET و برنامج SNDMSG المخصص بكتابة الرسائل ليصبحا برنامجا واحدا، و هكذا ظهر ما يعرف بالبريد الإلكتروني القادر على نقل الرسائل بين أجهزة الكمبيوتر المرتبطة ضمن نظام شبكة واحدة، و بالرغم من ذلك فإن عدم توافر إمكانية التعرف على مصدر الرسالة بقيت عائقا أمام اكتمال الفكرة، حيث كان وقتها 15 جهاز حاسوب فقط مرتبطة على شبكة "آريانت" موزعة في الولايات المتحدة الأمريكية. و من هنا كان لابد من ابتكار رابط أو رمز يجمع بين اسم المرسل و موقعه، و تأمل إلى لوحة المفاتيح فاختار الرمز at و هو الرمز الذي لا يستعمله الأشخاص ضمن أسمائهم، و يعني هذا الرمز at أو حينما ننطقها باللغة العربية ب "أت" ¹

¹ و هكذا تم اعتماد at ليكون همزة وصل بين اسم المرسل و مكان وجوده و ليتعرف بذلك الطرف الآخر على من أرسل الرسالة و من أين تم الإرسال ، و اكتملت الفكرة حيث أرسل "راي توملينسون" أول رسالة إلكترونية في التاريخ لنفسه في عام 1971 تضمنت مجموعة من الحروف العشوائية هي "QWERTYUIOP" و ذلك في مقرر شركة "بي بي أن" في

المطلب الثالث: أنواع البريد الإلكتروني.

البريد الإلكتروني كوسيلة حديثة لتبادل الرسائل عبر شبكة الانترنت لم يأخذ شكلا واحدا وإنما تعددت أنواعه بحسب الأغراض التي أنشئ لأجلها، فقسم إلى أربعة أنواع: البريد الإلكتروني الخارجي والداخلي، مزود خدمات الخط المفتوح وكذا مقدم خدمة الدخول إلى الانترنت.

أولاً: البريد الإلكتروني الخارجي: (Web Mail): وهو البريد المعروف للجميع، و يستخدم عبر الانترنت من خلال أي متصفح، و من أي مكان في العالم، و تقدم هذه الخدمة بشكل أساس بواسطة شركات بريد دولية كبيرة مثل "HOTMAIL" و "GMAIL" و "YAHOO" وغيرها.

ثانياً: البريد الإلكتروني الداخلي : (Private E-mail): يوجد هذا النوع على هيتين:

الهيئة الأولى: نظام البريد الإلكتروني الداخلية المشتركة: حيث يسمح فقط بالتعامل الداخلي للعاملين والموظفين داخل المؤسسة الواحدة، أي تكون هناك شبكة داخلية مغلقة خاصة بموظفي الشركة فقط* مثل مجموعة من المكاتب أو مبنى أو مجموعة من المباني، و تتكون من مجموعة من الحاسبات المتصلة ببعضها البعض بطريقة تسمح باقتسام الموارد فيما بينها و ذلك من خلال تجهيزات ومعدات معينة.

الهيئة الثانية: نظام شبكة اكسترنات (Extranet): و تعني إمكان وجود اتصال شبكي خاص بين فروع المؤسسة الواحدة و الإدارات المتنوعة، و يمكن أن

ماساشوستس لمزيد من التفصيل ارجع إلى: العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد (المرجع السابق) ص 24 - 25.

¹ العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد (المرجع السابق) ص 30.

² المعروف بمصطلح 'Local Area Network' أو "LAN" وتعني شبكة اتصالات يتم امتلاكها بشكل خاص، تغطي منطقة جغرافية محددة العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد المرجع نفسه و الصفحة نفسها.

³ خالد ممدوح إبراهيم (المرجع السابق) ص 63.

تجد هذا النوع عامة بين البنوك و بعض الشركات التجارية، حيث توجد شبكة
ربك بين الفرع الرئيس والفروع والإدارات المختلفة^١

ثالثا: مزود خدمات الخط المفتوح: (Service Provider): ويقصد به وجود نظام يقوم بمقتضاه مزود الخدمات بتقديم كلمة عبور للمشارك
(Pass Word) حيث يمكنه الدخول إلى النظام البريدي لدى مزود
الخدمات الذي يقدم هذه الخدمة بمقابل مالي.^٢

رابعا: مقدم خدمة الدخول إلى الانترنت: يقصد به أن الاتصال بالانترنت
يكون عبر شبكات محلية (LAN) تتصل بدورها بشبكات أكبر. وهكذا حيث
يكون لكل منهما دور في حركة توزيع أو إرسال البريد الإلكتروني بما يجعل
الرسالة قابلة للتوصيل طالما كان هناك مزود خدمة الدخول إلى شبكة
الانترنت في مناطق الإرسال.^٣

هذا وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن عناوين البريد الإلكتروني تأتي في
إحدى صورتين: دولية أو وطنية: تتمثل عناوين البريد الإلكتروني الدولية في
الأنشطة الدولية العامة التي لا تنتمي إلى دولة معينة، وإنما توجه أساسا إلى
المستهلكين في كافة دول العالم ومنها القديم: gov, edu, mil, net, int
com, org, ومنها الجديد ك: web; nom, arts, info, store, rec
firm. في حين يقصد بعناوين البريد الإلكتروني الوطنية تلك العناوين التي
تنتهي بحرفين يشيران إلى اسم الدولة التي تنتمي إليها هذه العناوين مثل:
العناوين الأمريكية تنتهي ب "US" الفرنسية "fr" المصرية "eg" السعودية "sa
الخ.....".

المبحث الثاني : الطبيعة القانونية لمراسلات البريد الإلكتروني.

إنّ البحث في الطبيعة القانونية لمراسلات البريد الإلكتروني، من حيث
اعتبارها مراسلات خاصة يقتضي بداية التعرف على طريقة عمل البريد
الإلكتروني، وكيفية الحصول على عنوان بريد الكتروني خاص، وكذا شروط

¹ العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد (المرجع السابق) ص 32.

² خالد ممدوح إبراهيم (المرجع السابق) ص 65.

³ خالد ممدوح إبراهيم نفس المرجع ونفس الصفحة السابقة.

خصوصية مراسلات البريد الإلكتروني و ضرورة حمايتها جزائياً في التشريع العقابي الجزائري. هذا ما سندرسه في هذا المبحث من خلال المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: طريقة عمل البريد الإلكتروني.

المطلب الثاني: طريقة الحصول على عنوان البريد الإلكتروني.

المطلب الثالث: الصفة الخاصة لمراسلات البريد الإلكتروني.

المطلب الرابع: ضرورة تجريم الاعتداء على خصوصية مراسلات البريد

الإلكتروني.

المطلب الأول: طريقة عمل البريد الإلكتروني.

تمر رسالة البريد الإلكتروني على كمبيوتر معين في الشبكة، أو على كمبيوتر معين في شبكة موفر شبكة الانترنت "ISP"، حيث يقوم هذا الكمبيوتر المسمى "خادم البريد الإلكتروني" بالاحتفاظ بالبريد المرسل، و ت فحص عنوان وجهته، و اختيار المسار الأمثل لتوجيهه إلى ذلك العنوان، و ذلك باستخدام البروتوكول البسيط لنقل البريد الإلكتروني، و هي "SMTP" ¹ و عند إرسال الرسالة فإن على الخادم أن يتمكن من إيجاد صندوق بريد المستقبل، فإن لم يتمكن تعود الرسالة أدرجها، و يتلقى المرسل رسالة عدم تسليم من خادم "SMTP" أو من برنامج البريد الإلكتروني. و تمر رسالة البريد الإلكتروني بعد توقفها القصير جداً في خادم البروتوكول البسيط بنقل البريد "SMTP Server" على أكثر من خادم بريدي حتى تصل وجهتها. و يخزن كل خادم من هذه الخدمات الرسالة المارة عبره بشكل مؤقت و عند وصول الرسالة وجهتها يحتفظ بها في صندوق للبريد الإلكتروني ضمن خادم البريد في الشبكة أو على خادم البريد لدى موفر خدمة الانترنت الذي يتعامل معه الطرف المستقبل، و

¹ و هو اختصار ل: Simple Mail Transfer Protocol و يسمى بمزود أو ملقم إرسال البريد الإلكتروني، و هو المسؤول عن تنظيم عملية إرسال أو نقل الرسائل من حساب المرسل إلى آخر تحت مجموعة بروتوكولات "ICP/IP" التي تتحكم بطريقة الإرسال و توجيهه عبر خدمات البريد الإلكتروني.

تبقى الرسالة هناك حتى يتم استرجاعها. ورغم تنقل رسالة البريد الإلكتروني بين العديد من الشبكات إلا أن ذلك لا يستغرق أكثر من ثانية.¹

المطلب الثاني: طريقة الحصول على عنوان البريد الإلكتروني.

يتم الحصول على عنوان البريد الإلكتروني للمستخدم بإحدى الطريقتين: الأولى: المنح (Attribution) و الثانية الاختيار (Election). ففي الطريقة الأولى لا يكون للمستخدم الحرية في اختيار مكونات عنوانه الإلكتروني، إذ يتكون العنوان في الغالب من اسم المستخدم إلى جانب مورد الخدمة. وهذه الطريقة دائما ما تتوافر لدى الجهات الحكومية والمنظمات الدولية والجامعات و الأكاديميات العلمية و الشركات التي تتولى تخصيص عنوان الكتروني للعاملين بها.

أما الطريقة الثانية الاختيار (Election) فالمورد يترك للمستخدم الحرية الكاملة في تكوين العنوان بالشكل الذي يريده حتى لا يحد من حرية المستخدم في تشكيل عنوانه الإلكتروني إلا المقتضيات الفنية لعمل شبكة الانترنت، و التي لا تسمح بتسجيل اسم سبق تسجيله بواسطة أحد المستخدمين، و في هذه الحالة قد يضع الشخص اسمه أو لقبه أو يختار اسما مستعارا أو اسما خياليا، وقد يكون الاشتراك بمقابل، وقد يكون مجانا، و ذلك بغرض الدعاية لبعض المواقع لجذب الأشخاص إليها مثل موقع "HOTMAIL"، "YAHOO"، "GOOGLE" ²

المطلب الثالث: الصفة الخاصة لمراسلات البريد الإلكتروني.

لا يتحقق الاعتداء على سرية المراسلات التي تتم بطريق الاتصالات إلا إذا كانت ذات صفة خاصة، و تعتبر المراسلات الإلكترونية التي تتم عبر الانترنت ذات طابع خاص طالما توافرت فيها شروط اعتبار المراسلة خاصة، و يلزم للمراسلات لكي تتسم بالخصوصية عنصرين أساسيين هما:

أ - عنصر موضوعي: و يتعلق بمضمون الرسالة، بمعنى أن تكون الرسالة ذات طابع شخصي أو خاص فيما تخبر به.

¹ العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد (المرجع السابق) ص 33.

² خالد ممدوح إبراهيم (المرجع السابق) ص 68.

ب - **عنصر شخصي:** والمراد به إرادة المرسل في تحديد المرسل إليه و رغبته في عدم السماح للغير بالإطلاع على مضمون الرسالة. و عند توافر هذان العنصران في الرسالة فإنها تتصف بالرسالة الخاصة التي لها خصوصيتها و سريتها المحمية قانوناً، و لا أهمية لشكل الرسالة أو طرق نقلها و توصيلها إلى المرسل إليه^١ و لا شك في أن رسائل البريد الإلكتروني عند توافر عنصري الخصوصية فيها، تعد من المراسلات الخاصة. حيث لا أهمية لوسيلة نقل الرسائل. وهذا ما ذهب إليه الفقه رغم عدم توافر نص قانوني يعتبر البريد الإلكتروني من المراسلات الخاصة.^٢

وفي هذا المجال اعتبر القضاء الفرنسي رسائل البريد الإلكتروني محمية بموجب القانون طالما كان المضمون الذي تحمله مراسلاً بصفة حصرية من طرف شخص معين إلى شخص آخر محدد، وهذا على عكس المراسلات العامة. في حين لا تدخل رسائل البريد الإلكتروني التي يتم توزيعها عبر الانترنت لعدد من الناس دون تمييز في نطاق حماية سرية المراسلات التي تتم بطريق الاتصالات بموجب المادتين 226-15 و 432-9، و يأخذ نفس الحكم رسائل البريد الإلكتروني التي تتضمن جرائد و دوريات رقمية و كذلك تعليمات إدارية لموظفي المؤسسة "not service" كما لا تكسب الصفة الخاصة المراسلات

¹ نشوى رأفت إبراهيم: الحماية القانونية لخصوصية مراسلات البريد الإلكتروني مقال متوفر على موقع www1.mans.edu.eg بتاريخ 08 سبتمبر 2016 بصيغة PDF تحت إشراف الأستاذ الدكتور صلاح الدين فوزي كلية الحقوق جامعة المنصورة ص 4.

² و تجدر الإشارة إلى أنه يوجد اتجاه آخر تمثله إحدى محاكم الولايات المتحدة، حيث رأت أن كل المراسلات الإلكترونية تعد من الرسائل العامة، و أنها لا تتعلق بالحق في الخصوصية أو السرية إلا إذا وجد نص صريح يقر عكس ذلك. نشوى رأفت إبراهيم نفس المرجع السابق تهميش رقم 4 ص 5.

الإلكترونية المكتوبة التي يتم إرسالها إلى قاعات الدردشة الجماعية و إلى مجموعات الأخبار¹.

أما المشرع الجزائري فقد اكتفى بوضع تعريف واضح و دقيق للرسائل الإلكترونية في الملحق الخاص بالمرسوم التنفيذي رقم 01 - 123² بقوله:

(الرسائل الإلكترونية: هي بمثابة تبادل و قراءة و تخزين معلومات في شكل رسائل معطيات بين الموزعات الموجودة في مواقع متباعدة و يمكن المرسل إليه

(أو المرسل إليهم) قراءة الرسالة المبعوثة في وقت حقيقي أو في وقت مؤجل).

من هذا التعريف نستنتج أن المشرع الجزائري يعتبر الرسائل الإلكترونية رسائل معطيات، بمعنى أنها رسائل يتم تبادلها عبر أجهزة متصلة بشبكة معلوماتية دون أن ينص صراحة على اعتبارها مراسلات خاصة. و بالرجوع إلى نصوص القانون رقم 2000 - 03 المتضمن قانون البريد و المواصلات السلكية و اللاسلكية³ لا يمكن اعتبار مراسلات البريد الإلكتروني رسائل خاصة لكونها لا تمر لا الشبكة البريدية طبقا لنص المادة 09 من نفس القانون التي ورد فيها (يقصد في مفهوم هذا القانون ب:

5 - المادة البريدية: كل إرسال تسمح مواصفاته التقنية بالتكفل به في الشبكة البريدية، من بينها مواد المراسلة، الكتب و المجلات و الجرائد و اليوميات، و كذا الطرود البريدية المحتوية على بضائع بقيمة أو بدون قيمة تجارية)،

¹ طارق عثمان: الحماية الجنائية للحياة الخاصة عبر الانترنت -دراسة مقارنة -رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون الجنائي جامعة محمد خيضر بسكرة دفعة 2006/2007 ص 76.

² المرسوم التنفيذي رقم 01 - 123² المؤرخ في 15 صفر عام 1422 الموافق ل 9 ماي 2001 المتعلق بنظام الاستغلال المطبق على كل نوع من أنواع الشبكات بما فيها اللاسلكية الكهربائية على مختلف خدمات المواصلات السلكية و اللاسلكية الصادر بالجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بتاريخ 13 مايو 2001 العدد 27 ص 13.

³ القانون رقم 2000 - 03 المؤرخ في 05 جمادى الأولى عام 1421 الموافق ل 05 غشت سنة 2000 م يحدد القواعد العامة المتعلقة بالبريد و بالمواصلات السلكية و اللاسلكية المنشور في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية بتاريخ 06 غشت سنة 2000 م العدد 48 ص 03.

في حين يمكن اعتبارها نوع من المراسلات الإلكترونية المكتوبة التي يمكن قراءتها في وقت حقيقي أو في وقت مؤجل طبقاً للعبارة الأخيرة الواردة في التعريف السابق ذكره من جهة، و طبقاً للمادة 08 من قانون البريد و المواصلات التي جاء فيها: (يقصد في مفهوم هذا القانون ب: 21 - المواصلات السلكية و اللاسلكية : كل تراسل أو ارسال أو استقبال علامات أو اشارات أو كتابات أو صور أو أصوات أو معلومات مختلفة عن طريق الأسلاك أو البصريات أو اللاسلكي الكهربائي أو أجهزة أخرى كهربائية مغناطيسية.) من جهة أخرى، لكونها تحمل معلومات مكتوبة يتم تبادلها بين مرسلين عبر الوسائل المادية المختلفة.

و انطلاقاً من اعتبار المراسلات الإلكترونية نوع من المراسلات المكتوبة فإن فضها أو إتلافها لا يمكن اعتباره جريمة معاقب عليها قانوناً طبقاً لنص المادة 303 من قانون العقوبات التي ورد فيها: (كل من يفض أو يتلف رسائل أو مراسلات موجهة إلى الغير وذلك بسوء نية وفي غير

الحالات المنصوص عليها في المادة 137 يعاقب بالحبس من شهر (1) إلى سنة (1) وبغرامة من 25.000 دج إلى 100.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط....)، لأنّ النص لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الرسائل الإلكترونية، على الرغم من أنّ المادة 303 وردت في تعديل قانون العقوبات لسنة 2006 بمقتضى القانون رقم 06 - 23² و تعريف الرسائل الإلكترونية جاء في سنة 2001 كما رأينا. فلو كان في نية المشرع إلحاقها بالمادة 303 لفعل ذلك، لأننا لم نلتو من المشرع اللغو و التناقض في أحكامه.

و استناداً إلى كون البريد الإلكتروني يعتبر ملفاً معلوماتياً يتم التعامل من خلاله عبر أجهزة متصلة بشبكة الأنترنت تسري عليها أحكام القسم السابع مكرر

¹ الأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق ل 8 يونيو سنة 1966 المتضمن قانون العقوبات المعدل و المتمم.

² المؤرخ 29 ذي القعدة عام 1427 الموافق ل 20 ديسمبر 2006 المعدل و المتمم للأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق ل 8 يونيو سنة 1966 المتضمن قانون العقوبات. الصادر في الجريدة الرسمية بتاريخ 24 ديسمبر 2006 العدد 84 ص 11.

من قانون العقوبات المتعلقة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات¹ لكونه نظاما معلوماتيا. وبذلك فإن الدخول إلى صندوق البريد الإلكتروني لأحد الأفراد يشكل جريمة الدخول الغير مشروع إلى منظومة معلوماتية المعاقب عليها بموجب المادة 394 مكرر التي تنص على أنه: (يعاقب بالحبس من ثلاثة (3) أشهر إلى سنة (1) وبغرامة من 50.000 دج إلى 100.000 دج كل من يدخل أو يبقى عن طريق الغش في كل أو جزء من منظومة للمعالجة الآلية للمعطيات أو يحاول ذلك.

تضاعف العقوبة إذا ترتب على ذلك حذف أو تغيير لمعطيات المنظومة. وإذا ترتب عن الأفعال المذكورة أعلاه تخريب نظام اشتغال المنظومة تكون العقوبة الحبس من ستة (6) أشهر إلى سنتين (2) والغرامة من 50.000 دج إلى 150.000 دج). ذلك أن الدخول غير المشروع لمنظومة معلوماتية يفترض أن يكون النظام مفتوحا أمام الجمهور وأن يكون الدخول مخالفا لإرادة صاحب النظام².

ففي نظام البريد الإلكتروني يفترض أن صاحب صندوق البريد الإلكتروني، يستخدم رمزا سريا لدخول الصندوق الخاص به، ولا يعلم بهذا الرمز السري غيره من الأفراد. وكل استخدام لهذا الرمز السري أو كسر له من دون موافقة صاحب البريد الإلكتروني يشكل دخولا غير مشروع لنظام البريد الإلكتروني، أو جريمة اختراق لنظام البريد الإلكتروني طبقا للمادة 394 مكرر أعلاه. كذلك فإن كل حذف أو تغيير لمعطيات البريد الإلكتروني كتغيير اسم المستخدم أو الرمز السري لصاحبه يعتبر جريمة التلاعب بمنظومة معلوماتية طبقا لنفس المادة في فقرتها الأخيرة. في حين أن الإطلاع على مراسلات الكترونية خاصة وما تحويه من بيانات و معلومات خاصة بالأفراد لا يمكن اعتبارها معطيات خاصة بالمنظومة حتى يمكن اعتبار الإطلاع عليها جريمة؛ لكونها ملفات أو صور أو تسجيلات أو رسائل مكتوبة و ليست برامج معلوماتية. هذا من جهة.

¹ يقصد بالأساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات كل مركب يتكون من وحدة أو مجموعة وحدات معالجة، والتي تتكون كل منها من الذاكرة و البرامج و المعطيات و أجهزة الإدخال و الإخراج و أجهزة الربط و التي يربط بينها مجموعة من العلاقات عن طريقها يتم تحقيق نتيجة معينة و هي معالجة المعطيات.

² طارق عثمان (المرجع السابق) ص 78.

و من جهة أخرى، فإنه لو تُرك البريد الإلكتروني مفتوحاً_ و هذا أمر مفترض من الممكن حدوثه_ فإن مجرد الإطلاع على الرسالة و قراءتها، دون علم و رضا صاحبها، و دون إحداث أي تغييرٍ علي محتواها أو إتلافها أو حذفها؛ يعتبر ذلك اعتداءً على خصوصية المراسلات الخاصة الموجودة في البريد الصادر أو الوارد أو في الملفات المحفوظة في البريد الإلكتروني التي تتضمن أسراراً و معلومات شخصية خاصة، يتم تبادلها بين الأفراد خفية، و يخشى عليها من تطفل الآخرين و اطلاعهم. وهذا يعتبر قصوراً تشريعياً يمس الإنسان في حقه في حرمة حياته الخاصة، لعدم وجود نص صريح في قانون العقوبات و القوانين المكملة له يعالج هذه المسألة. و من هنا يثار التساؤل: هل يجوز للقاضي الجزائي التوسع في تفسير نصوص قانون العقوبات لاسيما المادة 303 مكرر لتطبيقها على كل من يتطفل على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بالأفراد و حماية حرمة حياتهم الخاصة؟

للإجابة على هذا التساؤل سنتطرق إلى موقف الفقه من التوسع في تفسير النصوص التقليدية ثم رأينا في الموضوع على التوالي:

أولاً: ضرورة التوسع في تفسير النصوص التقليدية:

يرى جانب كبير من الفقه وجود فجوة رقمية رهيبة بين الدول، فبالنسبة للدول التي تعاني من التخلف في المجال المعلوماتي، لم تسن بعد قوانين تجرم بها الأفعال غير المشروعة عبر الانترنت وليس أمامها سوى تطبيق القوانين الجنائية القائمة بموادها التقليدية على هذه الوقائع خوفاً من إفلات الجناة من قبضة العدالة، وذلك مع بعض التفسير الموسع لهذه النصوص.

فعلى الرغم من أن القصور التشريعي قد أصبح واقعاً ملموساً إلا أن هذا لا يحول دون الاجتهاد في تفسير النصوص العقابية التقليدية التي تعاقب على صور الاعتداءات المختلفة على المال بحيث يمكن تطبيقها على الجرائم المستحدثة التي أوجدتها ثورة الاتصالات عن بعد. فلا محالة أن التطور قد يوسع من دائرة المجالات التي تحميها نصوص التجريم والعقاب بحيث يمكن أن ندخل في إطارها عناصر أخرى طالما أمكن اعتبارها من جنسها، و أنّ المشرع يحميها بذات هذه النصوص.

و يرى الأستاذ بارش سليمان أن اتخاذ سبيل التفسير الموسع للنصوص التقليدية من أجل تطبيقها على الجرائم المرتكبة عبر الانترنت يمنح السلطات القضائية حرية تفسير هذه النصوص حيث أن القاضي يمكنه أن يعطي تفسيراً أكثر مرونة للنصوص القانونية يسمح من وضع هذه الجرائم تحت طائلة التجريم والمتابعة، وذلك في ظل السلطة التقديرية التي يتمتع بها القاضي.¹

رأينا في الموضوع: إلزامية التقيد بمبدأ الشرعية:

تخضع النصوص التجريبية والعقابية في المادة الجزائية لمبدأ الشرعية استناداً للمادة الأولى من قانون العقوبات التي تنص على أنه: (لا جريمة ولا عقوبة أو تدابير أمن بغير قانون). بمعنى أنه لا يدان شخص لارتكابه فعلاً لم يكن مجرماً وقت ارتكابه، ولا يقضي القاضي بعقوبة لم يرد فيها نص. وطالما أن نصوص قانون العقوبات والقوانين المكملّة له لم تتضمن نصاً واضحاً صريحاً يجرم الإطلاع على المراسلات الإلكترونية الخاصة وحذفها أو التلاعب بها و تغيير محتواها. فإنّ هذا الفعل يبقى مباحاً استناداً لمبدأ الشرعية لعدم وجود نص واضح ودقيق. والقول بالتوسع في تفسير النصوص التقليدية بمفهومها الواسع من شأنه المساس بهذا المبدأ. إذ أن ترك الأمر بيد القضاء لتفسير النصوص القائمة على نحو أوسع من الذي وضعت لأجله فيه مدعاة لاستحداث جرائم جديدة لم يشأ المشرع العقاب عليها. كما أن هذا التوسع باعتقادنا يتناقض مع مبدأ دستوري أصيل يخول الاختصاص في التشريع للسلطة التشريعية (البرلمان بغرفتيه). وذلك طبقاً لنص المادة 122 من الدستور التي تنص على أنه (يشرع البرلمان في الميادين التي يخصصها له الدستور...قواعد قانون العقوبات والإجراءات الجزائية لاسيما تحديد الجنايات والجنح والعقوبات المختلفة المطابقة لها). فتتحول بذلك السلطة القضائية إلى سلطة تشريعية، وهذا يتنافى مع المادة 122 أعلاه، إذ أن وظيفة السلطة القضائية هي تطبيق القانون وليس سنّ القوانين.

كما أن إعطاء القاضي الجزائي سلطة واسعة في تفسير النص القديم، يتناقض مع مبدأ أساسي في القانون الجزائي؛ وهو التفسير الضيق للنص

¹ بارش سليمان: مبدأ الشرعية في قانون العقوبات الجزائري، دار الهدى عين مليلة 2006

الجزائي الغامض، ما لم يكن في التفسير الواسع مصلحة للمتهم، و ذلك استنادا لقاعدة الشك يفسر لصالح المتهم، مراعاة لمقتضيات قرينة البراءة. و ليس من مصلحة المتهم استحداث جرائم جديدة لم يرد فيها نص.

و تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنه لا يمكن للقاضي الجزائي أعمال سلطته التقديرية في المطابقة بين الرسائل البريدية الخاصة التي ورد فيها نص (المادة 303 من قانون العقوبات) و المراسلات الإلكترونية الخاصة التي لم يرد فيها نص و إلحاق حكم الأولى بالثانية في التجريم و العقاب؛ استنادا لمبدأ عدم جواز القياس في المادة الجزائية. لذلك فإننا نقترح على المشرع إصدار نص جديد يقرر تجريم كل فعل يعد تنصتا أو التقاط أو اعتراضا عمديا و دون وجه حق لما هو مرسل عن طريق الشبكة المعلوماتية أو إحدى وسائل تقنية المعلومات. و ذلك تطبيقا لمبدأ الشرعية من جهة، و لكي لا يفلت المجرمون من العقاب من جهة ثانية. و تسهيلا على القضاة من جهة ثالثة. و لعل القانون الجديد المتعلق بالاتصالات الإلكترونية المعروض على البرلمان لمناقشته سيحمي خصوصية مراسلات الأفراد الخاصة عبر البريد الإلكتروني و لما لا ؟!!!!.

الخاتمة:

إنه و في إطار وضع سياسية جنائية متوازنة تهدف إلى حماية حق الفرد في حرمة حياته الخاصة بمختلف صور و أنواع الحقوق التي تندرج ضمن هذا الحق، حاول المشرع رسم خارطة عمل محكمة لضبط مختلف القواعد القانونية التي تجرم شتى أنواع الاعتداءات الواقعة على هذا الحق.

و باعتبار الحق في حرمة المراسلات الإلكترونية الخاصة الصادرة و الواردة عبر البريد الإلكتروني واحدا من أهم و أبرز هذه الحقوق، التي لا تكفي النصوص التجريبية الحالية لحمايتها على النحو الذي فصلنا فيه سابقاً من خلال هذا البحث. بات لزاما على المشرع أن يتدخل و يكفل لهذه المراسلات الخاصة حرمتها و خصوصيتها و يجرم بنصوص واضحة و صريحة مختلف الانتهاكات الواقعة عليها. ليكمل بذلك حلقة من الحلقات المفقودة و الناقصة، و التي تشكل فراغا تشريعياً يخل بمصادقية النصوص الدستورية الموجودة من خلال صعوبة تطبيقها من طرف القاضي الجزائي، المقيّد بمبدأ الشرعية الجزائية. مما يساهم في افلات المجرمين من العقاب و تماديهم في الاعتداء على خصوصيات غيرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

- 1 - الدستور الجزائري.
- 2 - القانون رقم 2000 - 03 المؤرخ في 05 جمادى الأولى عام 1421 الموافق ل 05 غشت سنة 2000 م يحدد القواعد العامة المتعلقة بالبريد و بالموصلات السلكية و اللاسلكية المنشور في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية بتاريخ 06 غشت سنة 2000 م العدد 48 ص 03.
- 3 - الأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق ل 8 يونيو سنة 1966 المتضمن قانون العقوبات المعدل و المتمم.
- 4 - المرسوم التنفيذي رقم 01 - 123 المؤرخ في 15 صفر عام 1422 الموافق ل 9 ماي 2001 المتعلق بنظام الاستغلال المطبق على كل نوع من أنواع الشبكات بما فيها اللاسلكية الكهربائية على مختلف خدمات المواصلات السلكية و اللاسلكية الصادر بالجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بتاريخ 13 مايو 2001 العدد 27 ص 13.

قائمة المراجع:

- 1 - العمري عبد الله بن ناصر بن أحمد.: الحماية الجنائية للبريد الإلكتروني، دراسة تأصيلية مقارنة. رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العدالة الجنائية، تخصص السياسة الجنائية. تحت إشراف الدكتور أحمد بن محمد اليماني بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2010.
- 2 - بارش سليمان: مبدأ الشرعية في قانون العقوبات الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، طبعة 2006.
- 3 - خالد ممدوح إبراهيم: أمن مراسلات البريد الإلكتروني، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، طبعة 2008.
- 4 - صالح عبد الرحيم: انعقاد الزواج بالبريد الإلكتروني: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، مقال منشور بمجلة دفاتر السياسة والقانون العدد السابع ، جوان 2012.
- 5 - نشوى رأفت إبراهيم:، الحماية القانونية لخصوصية مراسلات البريد الإلكتروني مقال متوفر على موقع www.mans.edu.eg بتاريخ 08 سبتمبر 2016 تحت إشراف الأستاذ الدكتور صلاح الدين فوزي كلية الحقوق جامعة المنصورة.
- 6 - طارق عثمان: الحماية الجنائية للحياة الخاصة عبر الانترنت -دراسة مقارنة - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون الجنائي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، دفعة 2006 - 2007.



دور المحتسب في حماية البيئة

The role of the Muhtasib in protecting the environment

حاج أحمد عبد الله

قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة أدرار، الجزائر

abdellah0139@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-08-30

ملخص -

تضمنت الشريعة الإسلامية العديد من الأحكام التي تُبين مدى مراعاتها للبعد البيئي في أحكامها، وهو ما أدى لظهور بعض الأنظمة الإسلامية تُسهم في حفظ البيئة، ومن أهمها نجد نظام الحسبة، حيث جاءت في كتب الحسبة نصوص كثيرة، تفيد مواجهة المحتسب لكل تصرف يمكن أن يؤدي للمساس بالبيئة، سواءً تعلّق الأمر بإجراء الرقابة في الأسواق أو مختلف الطرق والأماكن العمومية، لذا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الإجراءات التي يتخذها المحتسب في عمله بهدف حفظ البيئة، حيث قسمنا الدراسة لعنصرين، تناولنا في العنصر الأول للتعريف بالمفاهيم الأساسية للبحث، بينما تعرضنا في العنصر الثاني لتحديد الجانب الذي تتجلى فيه مراعاة البعد البيئي في اختصاصات المحتسب.

كلمات دالة -

نظام الحسبة، المحتسب، حماية البيئة، النهي عن المنكر، حفظ الصحة، حفظ نظافة المدينة، جمال المدينة.

Abstract-

The Islamic law (Sharia) contains many provisions that demonstrate the extent to which the environmental dimension is taken into account in its provisions, which had led to the emergence of some Islamic systems contributing to the preservation of the environment, one of the most important is the Hisbah system, where in the books of al-Hesba many texts, stating to confront the Muhtasib with any behavior likely to harm the environment, whether it's about executing oversight on the market or different roads and public places, therefore, this study sheds light on the measures that the Muhtasib takes in his work to preserve the environment, where the study dealt with the definition of the basic concepts of the research, as it touched identifying the aspect in which the environmental dimension is reflected in muhtasib specialties.

Key words-

Hisbah system, Muhtasib, Environmental protection, Prohibition of vice, Health preservation, improve environmental health, The beauty of the city.

مقدمة-

اهتمت الحضارة الإسلامية اهتماماً كبيراً بحماية البيئة، ويرجع ذلك لمراعاة الشريعة الإسلامية للبعد البيئي في أحكامها، حيث يُعدّ نظام الحسبة من أهم النظم الإسلامية التي اهتمت برعاية البيئة في جميع عناصرها، إذ اتسع مجال الاحتساب ليشمل جميع المهن والحرف التي عرفتها تلك المرحلة، ليشمل كل ما فيه مساس بالبيئة، سواءً تعلّق الأمر بإجراء الرقابة في الأسواق أو مختلف الطرق والأماكن العمومية، وقد صدرت العديد من المؤلفات في الحسبة، حيث تضمنت بشكل جلي مراعاة المحتسب للبعد البيئي في عمله، وهو ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية: ما المقصود بالحسبة وحماية البيئة ؟ وكيف تمت مراعاة البعد البيئي في عمل المحتسب ؟

وتكمن أهمية دراسة الموضوع في التعرف على الكيفية التي تمت بها مراعاة حماية البيئة في عمل المحتسب، وهو ما يفيد في إمكانية التأثير الإيجابي في النظام القانوني البيئي المعاصر بما كان معمولاً به في نظام الحسبة. ولدراسة هذا الموضوع اتبعنا الخطة الآتية:

المطلب الأول: مفاهيم أساسية.

الفرع الأول: تعريف الحسبة والمحاسب.

الفرع الثاني: تعريف حماية البيئة.

المطلب الثاني: مراعاة البعد البيئي في اختصاصات المحاسب.

الفرع الأول: مراعاة عنصر حفظ الصحة في الاحتساب.

الفرع الثاني: مراعاة عنصر النظافة وجمال المدينة في الاحتساب.

المطلب الأول: مفاهيم أساسية:

إن التعرّض لتحديد دور المحاسب في حماية البيئة، يتطلّب منا التعريف بالمدلول الاصطلاحي للحسبة والمحاسب (الفرع الأول)، ثم التعريف بحماية البيئة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: تعريف الحسبة والمحاسب:

أولاً: تعريف الحسبة: اختلفت تعريفات فقهاء السياسة الشرعية في تحديد المدلول الاصطلاحي للحسبة، ومما جاء في تعريفها عند بعض المتقدمين ما ذكره الماوردي، حيث عرّف الحسبة بأنّها: "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله" ⁽¹⁾، كما عرّفها أبو يعلى الفراء بأنّها: "أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله" ⁽²⁾، ويتضح من خلال التعريفين بأن الاحتساب يباشره المحاسب الوالي والمتطوع.

كما تعرّض بعض المتأخرين لتعريف الحسبة، حيث عرّفها منير العجلاني بأنّها: "اسم لمنصب في الدولة الإسلامية، كان صاحبه بمنزلة (مراقب) للتجار وأرباب المهن، والحرف، يمنعهم من الغش في عملهم، وموضوعاتهم، ويأخذهم باستعمال المكاييل، والموازين الصحيحة، وربما سحر عليهم بضائعهم" ⁽³⁾. ولعلّ ما يؤخذ على هذا التعريف أنّه حصر مهمة المحاسب في نطاق محدود، إذ جعلها

(1) الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، بيروت، 1422 هـ - 2001م، المكتبة العصرية، ص 260.

(2) أبو يعلى الفراء، **الأحكام السلطانية**، بيروت، 1414 هـ - 1994م، دار الفكر، ص 32.

(3) منير العجلاني، **عقريّة الإسلام في أصول الحكم**، بيروت، 1409 هـ - 1988م، دار النفائس، ص 288.

تقتصر في الرقابة على التجار وأهل الحرف، في حين أن الحسبة أعم وأشمل، إذ يتسع نطاقها لتشمل جميع مناحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، فمهمة والي الحسبة لا تقتصر على مجال واحد.

وعرفها عبد الله محمد عبد الله بأنها: "سلطة تخول صاحبها حق مباشرة الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، بتفويض من الشارع، أو توليه من الإمام، وتوقيع العقاب على المخالفين بمقتضى أحكام الشريعة في حدود اختصاصه"⁽⁴⁾. وبالرغم من صحة اعتبار الحسبة نظام رقابي أساساً، لكنه أخفق في عدم مراعاته لتحديد طبيعة السلطة المخولة للمحتسب في كونها سلطة إدارية أم قضائية، كما لم يبين طبيعة العقوبة المخولة له حدية أو تعزيرية.

وعلى ضوء تلك الانتقادات المذكورة آنفاً، تتضح لنا خصائص الحسبة؛ وهي:

1 - الحسبة وظيفة شبه قضائية، تقوم بها الدولة عن طريق موظف عام يسمى بوالي الحسبة.

2 - تخول وظيفة الحسبة صاحبها سلطة الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، أي أن اختصاص المحتسب يقتصر على مواجهة المنكرات الظاهرة دون غيرها.

3 - يتم تغيير المنكر الظاهر بتوقيع العقوبة التعزيرية دون تجاوزها للعقوبة الحدية؛ لأن النظر في غير المنكرات الظاهرة يعود لاختصاص الولايات العامة الأخرى في النظام الإسلامي.

ثانياً: تعريف المحتسب: أورد الفقهاء للمحتسب عدة تعريفات؛ منها:

يُعرف ابن الإخوة المحتسب بأنه: "... من نصبه الإمام، أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم"⁽⁵⁾، كما يعرفه الدريويش بأنه: "موظف مختص من قبل الدولة يقوم بمهمة الإشراف على نشاط الأفراد في

(4) عبد الله محمد عبد الله، ولاية الحسبة في الإسلام، ط1، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1416هـ - 1996م، ص 60-61.

(5) ابن الإخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص 13.

مجال الدين، والأخلاق، والاقتصاد...، تحقيقاً للعدل والفضيلة، وفقاً للمبادئ المقررة في الشرع الإسلامي، والأعراف المألوفة في كل مكان وزمان⁽⁶⁾.

أمّا محمد رواس قلججي، وحامد صادق قنيبي، فيعرفانه بأنه: "من ولّاه السلطان لينكر المنكر إذا ظهر فعله، ويأمر بالمعروف إذا ظهر تركه"⁽⁷⁾.

تتفق هذه التعريفات على اعتبار المحتسب الوالي موظفاً رسمياً؛ يعين من قبل الدولة، لأجل الرقابة على مشروعية أعمال الأفراد، وفق أحكام الشرع الإسلامي، وخدمة مصالح الجماعة، بهدف المحافظة على النظام العام في المجتمع الإسلامي.

وتتعدد صور الحسبة عن طريق الاختصاص المكاني، والنوعي لوالي الحسبة، فقد تنشأ ولاية الحسبة، وعلى رأسها موظف كبير يهيمن على شؤونها، ويكون مسؤولاً عنها أمام ولي الأمر وينوب عنه ممثلون باختصاصات مكانية، أو نوعية، يمارسون الحسبة في مجالاتها المتعددة⁽⁸⁾.

وتجدر الإشارة بأن أكثر تعلق عمل المحتسب يكون بالأسواق وتنظيمها، وهو ما ذكره يحيى بن عمر الأندلسي حيث قال: «ينبغي للوالي أن يتحرى العدل، وأن ينظر في أسواق رعيته ويأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق، ويعبر عليهم صنجاتهم، وموازينهم، ومكاييلهم كلّها فمن وجده غير من ذلك شيئاً عاقبه على قدر ما يرى من جرمه، وافتياته على الوالي...»⁽⁹⁾.

وقد جعل الشيزري الباب الثاني من كتابه، للنظر في الأسواق، والطرق، حيث جاء فيه: «ويجعل - أي المحتسب - لأهل كلّ صنعة منهم سوقاً يختصّ بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقاصدهم أرفق، ولصنائعهم أنفق، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار، كالخبّاز، والطباخ والحدّاد، فالمستحب أن

(6) الدريويش، أحكام السوق، ص 435.

(7) محمد رواس قلججي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء - عربي إنجليزي - ط 1، بيروت، دار النفائس، 1985م، ص 409.

(8) محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص 60.

(9) يحيى بن عمر الأندلسي، أحكام السوق، تحقيق محمد علي مكي - مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1424 - 2003م، ص 47.

يُبعد حوانيتهم عن العطارين، والبزازين، لعدم المجانسة بينهم، وحصول الأضرار...، ولَمَّا لم تدخل الإحاطة بأفعال السوق تحت وسع المحتسب، جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها، خبيراً بصناعتهم، بصيراً بغشوشهم، وتدليساتهم، مشهوراً بالثقة والأمانة، يكون مشرفاً على أحوالهم، ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع، والبضائع وما تستقر عليه من الأسعار، وغير ذلك من الأسباب، التي يلزم المحتسب معرفتها...»⁽¹⁰⁾.

ومن أهم مهام المحتسب في السوق، مراقبة المكايل، والموازين، والصنجات، حيث يقول أبو يعلى الفراء: « وممّا يتأكد على المحتسب: المنع من التطفيف، والبخس في المكايل، والموازين والصنجات، وليكن الأدب عليه أظهر، وأكثر، ويجوز له إذا استراب بموازين السوق، ومكايلهم أن يختبرها، ويعايرها... »⁽¹¹⁾، ويقول أيضاً: « وممّا يؤخذ ولاية الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع في الأسواق ثلاثة أصناف، منهم من يراعي عمله في الوفاء بالتقصير. ومنهم من يراعي حاله في الأمانة والخيانة. ومنهم من يراعي عمله في الجودة، والرداءة... »⁽¹²⁾، ثم يقوم بتفصيل الكيفية التي تتم بها مراقبة عمل كل صنف من أهل الصنائع على حدى.

ويقول الغزالي: « ومنها - أي منكرات الأسواق - بيع الملاهي، وبيع أشكال الحيوانات المصوّرة في أيام العيد، لأجل الصبيان، فتلک يجب كسرها، والمنع من بيعها كالملاهي، وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب، والفضة، وكذلك بيع ثياب الحرير، وقلانس الذهب، والحرير - أعني التي لا تصلح إلا للرجال - أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال، فكل ذلك منكر محظور...»⁽¹³⁾.

ويقول ابن القيم: « ويدخل في المنكرات ما نهى الله عنه، ورسوله من العقود المحرمة، مثل عقود الربا، صريحاً، واحتيالاً، وعقود الميسر، كبيع الغرر، وكحل الحبل، والملاسة، والمنابذة والنجش، وهو أن يزيد في السلعة من لا

(10) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 11 - 12.

(11) أبي يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص 337.

(12) المصدر نفسه، ص 341.

(13) الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 3، ص 45.

يريد شرائها، وتصيرية الدابة للبون، وسائر أنواع التدليس وكذلك سائر الحيل المحرمة على أكل الربا ...»⁽¹⁴⁾، إلى أن يقول: « فعلى والي الحسبة إنكار ذلك جميعه والنهي عنه، وعقوبة فاعله، ولا يتوقف ذلك على دعوى ومدعى عليه، فإن ذلك من المنكرات التي يجب على ولي الأمر إنكارها، والنهي عنها »⁽¹⁵⁾. وهكذا، فإن ما ذكرناه من أقوال الفقهاء، حول ما يتعلق بمنكرات الأسواق، وتنظيمها والإجراءات التي يتخذها المحتسب في ذلك، هو غيض من فيض، كما أنه يتعذر حصر كل ما يقتضيه النظر في الأسواق، حيث يقول ابن عبد الرؤوف: « ولما كان ما تقتضيه الحسبة في البيوع والصناعات يكثر، وتقصيها يعسر، نبهت على الأكثر منها بالأقل، وأشرت فيها إلى بعض العمل... »⁽¹⁶⁾، فقد قال هذا الكلام عند بداية كلامه عن النظر في البيوع، كما أشار إلى ذلك غيره من الفقهاء⁽¹⁷⁾.

الفرع الثاني: تعريف حماية البيئة:

تتجه تشريعات الدول في تعريفها للبيئة إتجاهين على النحو الآتي⁽¹⁸⁾:

- 1 - الاتجاه الأول: يأخذ بالمفهوم الضيق للبيئة، فيحصره في عناصرها الطبيعية.
- 2 - الاتجاه الثاني: يأخذ بالمفهوم الواسع للبيئة، فيجعلها شاملة للعناصر الطبيعية والإنسانية، أي البيئة الطبيعية والحضرية.

(14) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص 285 – 286.

(15) المصدر نفسه، ص 287.

(16) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدرايس، ط 1 – بيروت، دار ابن حزم 1425 هـ 2005 م – ص 60 – 61.

(17) نذكر منهم على سبيل المثال: الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 3، ص 45، والشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 03.

(18) جدي وناسة، الحماية الجنائية للبيئة الهوائية – دراسة مقارنة –، أطروحة دكتوراه، إشراف جلول شيتور، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2016 – 2017 م، ص 26.

وبالرغم من أن المشرع الجزائري لم يضع تعريفاً مُحدداً للبيئة، لكنه نصّ على الأهداف التي ينشدها تحقيقها من خلال إصداره لقانون حماية البيئة⁽¹⁹⁾، وذلك بموجب م 2 منه بقولها: "تهدف حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة على الخصوص إلى ما يأتي:

- تحديد المبادئ الأساسية وقواعد تسيير البيئة.
 - ترقية تنمية وطنية مستدامة بتحسين شروط المعيشة، والعمل على ضمان إطار معيشي سليم.
 - الوقاية من كل أشكال التلوث والأضرار الملحقّة بالبيئة، وذلك بضمان الحفاظ على مكوناتها.
 - إصلاح الأوساط المتضررة.
 - ترقية الاستعمال الإيكولوجي العقلاني للموارد الطبيعية المتوفرة، وكذلك استعمال التكنولوجيا الأكثر نقاءً.
 - تدعيم الإعلام والتحسيس ومشاركة الجمهور ومختلف المتدخلين في تدابير حماية البيئة".
- كما حدّدت الفقرة السابعة من م 4 من قانون حماية البيئة مكونات البيئة أو عناصرها، حيث نصت على أنه: "تتكون البيئة من الموارد الطبيعية اللاحيوية والحيوية كالهواء والجو والماء والأرض وباطن الأرض والنبات والحيوان، بما في ذلك التراث الوراثي، وأشكال التفاعل بين هذه الموارد، وكذا الأماكن والمناظر والمعالم الطبيعية". ويتضح من خلال النص بأن المشرع الجزائري، يكتفي بحصر مكونات البيئة في عناصرها الطبيعية، وهو ما يُفيد بأنه يتبنى المدلول الضيق لتعريف البيئة⁽²⁰⁾.

(19) القانون رقم 03 - 10 المؤرخ في 19 جمادي الأولى عام 1424هـ الموافق 19 يوليو سنة 2003م المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة (ج ر ج المؤرخة 20 يوليو 2003م، ع 43).

(20) جدي وناسة، الحماية الجنائية للبيئة الهوائية - دراسة مقارنة -، ص 28.

وتعدّ الحماية الجنائية للبيئة أهم أنواع الحماية القانونية المقرّرة لها؛ لأنّ المشرّع في تطبيقه لهذا النوع من الحماية، يعمل على تجريم كل سلوك يخل بأحد عناصر البيئة، ويقرّر له جزاء جنائي معين، حيث عمل المشرع الجزائري على تجريم كل ما يؤدي إلى تلوث البيئة، إذ حدّد مدلول التلوث في الفقرة الثامنة من نص م4 من قانون حماية البيئة بأنه: "كل تغيير مباشر أو غير مباشر للبيئة، يتسبب فيه كل فعل يحدث أو قد يحدث وضعية مضرة بالصحة وسلامة الإنسان والنبات والحيوان والهواء والجو والماء والأرض والممتلكات الجماعية والفردية".

ولأجل المحافظة على المصالح البيئية المحمية جنائياً، يُعتبر كل سلوك يُجرّمه المشرّع جريمة بيئية، حيث تُعرّف الجريمة البيئية بأنها: "كل سلوك إيجابي أو سلبي غير مشروع، سواء كان عمدياً أو غير عمدي، يصدر عن شخص طبيعي أو معنوي يضر أو يحاول الإضرار بأحد عناصر البيئة، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، يقرّر له القانون البيئي عقوبة أو تدبيراً احترازياً" (21).

وارتكاب الفعل المؤدّي للجريمة البيئية قد يتم عن طريق سلوك إيجابي كقيام شخص بإزعاج السكينة البيئية للأفراد بآلات مكبرات الصوت، كما قد يتم عن طريق سلوك سلبي كامتناع طبيب عن تطعيم الناس ضدّ مرض معد (22).

وباستقراء النصوص المتعلقة بالجريمة البيئية في قانون العقوبات الجزائري ومختلف القوانين الخاصة المكملة له، يلاحظ بأن أغلب الجرائم

(21) أشرف هلال، جرائم البيئة بين النظرية والتطبيق، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005م، ص36. نقلاً عن: فيصل بوخالفة، الجريمة البيئية وسبل مكافحتها في التشريع الجزائري، أطروحة دكتوراه، إشراف شادية رحاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016 - 2017م، ص34.

(22) فيصل بوخالفة، الجريمة البيئية وسبل مكافحتها في التشريع الجزائري، ص34.

البيئية تمّ تصنيفها على أنها جناح أو مخالفات، كما تقتصر أغلب الجزاءات التي تضمنتها النصوص على الغرامة⁽²³⁾، ومن بين الجرائم البيئية نجد:

1 - تشويه الطريق العام: تنص م 444 مكرر من قانون العقوبات⁽²⁴⁾ بأنه: "يعاقب بغرامة من 8000 إلى 16000 دج، كما يجوز أن يعاقب بالحبس من عشرة أيام إلى شهرين كل من يعيق الطريق العام بأن يضع أو يترك فيها دون ضرورة مواد أو أشياء كيفما كانت من شأنها أن تمنع أو تنقص من حرية المرور أو تجعل المرور غير مأمون".

2 - رمي النفايات المنزلية في غير الأماكن المخصصة: تنص م 55 من قانون تسيير النفايات⁽²⁵⁾ بأنه: "يعاقب بغرامة مالية من خمسمائة (500 دج) إلى خمسة آلاف دينار (5.000 دج) كل شخص طبيعي قام برمي أو بإهمال النفايات المنزلية وما شابهها أو رفض استعمال نظام جمع النفايات وفرزها الموضوع تحت تصرفه من طرف الهيئات المبينة ...".

3 - الإخلال بالمساحات الخضراء وقلع الشجيرات: تنص م 39 من قانون تسيير المساحات الخضراء⁽²⁶⁾ بأنه: "يعاقب كل من يتسبب في تدهور المساحات الخضراء أو قلع الشجيرات بالحبس من ثلاثة (3) أشهر إلى ستة (6) أشهر وبغرامة من عشرين ألف دينار (20.000 دج) إلى خمسين ألف دينار (50.000 دج)".

(23) فيصل بوخالفة، الجريمة البيئية وسبل مكافحتها في التشريع الجزائري، ص 39.

(24) القانون الصادر بالأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 هـ الموافق 8 جوان سنة 1966م المتعلق بقانون العقوبات (ج، ر، ج، ج، المؤرخة في 11/06/1966م، ع49) المعدل والمتمم حسب آخر تحيين له بالقانون رقم 16 - 02 المؤرخ في 19 يونيو سنة 2016م (ج ر ج ج المؤرخة في 22 يونيو 2016م، ع37).

(25) القانون رقم 01 - 19 المؤرخ في 27 رمضان عام 1422 هـ الموافق 12 ديسمبر سنة 2001م المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها (ج ر ج ج المؤرخة 15 ديسمبر 2001م، ع77).

(26) القانون رقم 07 - 06 المؤرخ في 25 ربيع الثاني عام 1428 هـ الموافق 13 مايو سنة 2007م المتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها (ج ر ج ج المؤرخة 13 مايو 2007م، ع31).

المطلب الثاني: مراعاة البعد البيئي في اختصاصات المحتسب:

يتبين من خلال النصوص الواردة في كتب الحسبة أهمية الدور الذي يقوم به المحتسب في حفظ البيئة، وهو ما يدفعنا لتحديد كيفية مراعاة المحتسب في عمله لعنصر الصحة والسكينة (الفرع الأول)، لتعرض بعدها لتحديد كيفية مراعاة المحتسب في عمله لعنصر النظافة وجمال المدينة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: مراعاة عنصر حفظ الصحة في الاحتساب.

أدت ولاية الحسبة دوراً كبيراً في مجال حفظ الصحة، حيث يقوم المحتسب بالرقابة على الأسواق، والمحلات التجارية، وأصحاب الحرف المختلفة ...، ليدرك مدى التزام هاته الجهات بأحكام الشريعة الإسلامية، حيث جعل ضوابط لكل مهنة أو حرفة، حتى يمنع ما قد ينجم من أضرار على صحة أفراد المجتمع، فكانت من أهم واجبات المحتسب مراقبة الأماكن العامة، والمهن التي ترتبط بنظافتها صحة الناس، مثل الصيدلة، والخبازين، والفرانين والطباخين، واللحامين، وغيرهم⁽²⁷⁾، فإن وجد الشروط الصحية ليست متوفرة أمرهم بمراجعاتها، ويجوز له أن يُصادر السلع التي يراها ضارة بالمصلحة العامة، كما يجب عليه أن يمنع الأدوية التي قد تهدد حياة الناس، أو تضرّ بهم⁽²⁸⁾.

ولقد جاءت في كتب الحسبة نصوص كثيرة، تتضمن جوانب من أعمال المحتسب المتعلقة بحفظ الصحة، وذلك أثناء تعرضها لذكر اختصاصات المحتسب، ومن مقاصد الحسبة في حفظ البيئة، والتي شهدت النصوص بمراجعاتها نجد:

أ - منع مصادر تلوث الطرقات: يقول الغزالي: "... وكذلك ذبح القصاب، إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم؛ فإنه منكريمه، بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحاً، فإن في ذلك تضييقاً بالطريق، وإضراراً بالناس، بسبب ترشيش النجاسة، وبسبب استقذار الطابع للقاذورات ..."⁽²⁹⁾.

(27) ينظر، محمود عبد المولى، التلوث البيئي - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2003م، ص 108 - 109.

(28) محمد فاروق النبهان، أبحاث إسلامية، ص 186 - 187.

(29) الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 3، ص 46.

ب - مراعاة تهوية الحانوت ونظافته وجودة السلع: يقول الشيزري فيما يتعلق بالحسبة على الخبازين، حيث يقول: "ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم، وتفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان، لئلا يتضرر بذلك الناس، وإذا فرغ الخباز من إحماؤه، مسح داخل التنور بخرقه نظيفة، ثم شرع في الخبز ... ويأمرهم بنظافة أوعية الماء، وتغطيتها، وغسل المعاجن، ونظافتها، وما يغطى به الخبز، وما يحمل عليه ..."⁽³⁰⁾، ثم بعد ذلك يقول: "... ولا يعجن العجّان بقدميّه، ولا بركبته، ولا بمرفقيه؛ لأن في ذلك مهانة للطعام، وربما قطر في العجين شيء من عرق إبطيه، وبدنه ...، ويكون ملثماً أيضاً؛ لأنه ربما عطس، أو تكلم، فقطر شيء من بصاقه، أو مخاطه في العجين ..."⁽³¹⁾.

ج - تسهيل حركة المرور، ومنع الإضرار بالمارة: يقول الماوردي: « وإذا بنى قوم في طريق سابل منع منه، وإن اتسع الطريق يأخذهم بهدم ما بنوه، ولو كان المبني مسجداً؛ لأن مرافق الطرق للسلوك، لا للأبنية »⁽³²⁾، ثم يقول: « وإذا وضع الناس الأمتعة، وآلات الأبنية في مسالك الشوارع، والأسواق ارتفاقاً، لينقلوه حالاً بعد حال مكنوا منه إن لم يستضر به المارة؛ ومنعوا منه إن استضرّوا به، وهكذا القول في إخراج الأجنحة والأسبطة، ومجاري المياه، وأبار الحشوش، يقرّ ما لا يضر، ويمنع ما ضرّ »⁽³³⁾.

ويقول الغزالي بأن: « ... بناء الدّكات متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار، وإخراج الرواشن، والأجنحة، ووضع الخشب، وأحمال الحبوب، والأطعمة على الطريق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق، واستضرار المارة، وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلاً، لسعة الطريق فلا يمنع منه »⁽³⁴⁾.

(30) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 22.

(31) المصدر نفسه، ص 22.

(32) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 278.

(33) المصدر نفسه، ص 278.

(34) الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 3، ص 46.

أما ابن خلدون، فيقول: « ... ويحملُ الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمّالين، وأهل السفن من الإكثار في الحمل ... »⁽³⁵⁾، كما ذكر أيضاً بأنه من أعمال المحتسب: « ... الحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة ... »⁽³⁶⁾.

د - المراقبة المستمرة لأصحاب المهن والحرف المختلفة خدمة للصحة العمومية: تشمل رقابة المحتسب جميع المهن، والحرف المختلفة، إذ يجعل لكل منها قواعد وإجراءات تخدم الصحة العمومية، وسنتناول شيء من تلك القواعد والإجراءات التي تتعلق ببعضها فيما يلي:

1 - الحسبة على الخبازين:

يقول الشيزري: « ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم، وتفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة، يخرج منها الدخان، لئلا يتضرر بذلك الناس، وإذا فرغ الخباز من إحماؤه مسح داخل التنور بخرقه نظيفة، ثم شرع في الخبز. ويكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين، ومواضع حوانيتهم، فإن الحاجة تدعوه إلى معرفتهم ويأمرهم بنظافة أوعية الماء، وتغطيتها، وغسل المعاجن، ونظافتها، وما يغطى به الخبز، وما يحمل عليه »⁽³⁷⁾.

ويقول ابن عبد الرؤوف: « ويؤمرون -أي الخبازون- أن يفرقوا بين خبزة الرطلين، وخبزة الرطل ونصف، وأن لا يعملوا خبزة من خبزتين ...، ويوزن الخبز عليهم، فما وجد ناقصاً، كسر عليهم، وباعوه وزناً ... »⁽³⁸⁾، فقد كان نقصان وزن الخبز، يعدّ منكراً يعاقب عليه.

سئل يحيى بن عمر الأندلسي عن الخبز، يوجد عند أصحاب الحوانيت ناقصاً، قال: « أرى أن يؤدب من وجد عنده، ويخرج من السوق؛ لأنه يتجرّ فيه، ولا حجة

(35) ابن خلدون، المقدمة، ص 249.

(36) المصدر نفسه، ص 249.

(37) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 22.

(38) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص 74.

له في نقصانه، قيل له: من يؤدّب: صاحب الفرّ، أو صاحب الحانوت؟ قال: إذ عرف صاحب الحانوت بنقصانه، فالأدب عليهما معاً⁽³⁹⁾.

2 - الحسبة على الجزارين، والقصابين:

يُلزم المحتسب الجزار بعدّة أشياء، أورد بعضها الشيزري حيث قال: « يستحب أن يكون الجزار مسلماً بالغاً عاقلاً، يذكر اسم الله على الذبيحة، وأن يستقبل القبلة، وأن ينحر الإبل معقولة ويذبح البقر، والغنم مضطجعة على الجنب الأيسر... ولا يجزّ الشاة برجلها جرّاً عنيفاً، ولا يذبح بسكين كالة؛ لأن ذلك تعذيب للحيوان، وقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تعذيب الحيوان.

ويُلزمه في الذبح أن يقطع الودجين، والمريء، والحلقوم، ولا يشرع في السلخ بعد الذبح، حتى تبرد الشاة، ويخرج منها الرّوح...، وينهي المحتسب عن نفخ لحم الشاة بعد السلخ؛ لأن نكهة الأدمي تغير اللحم، وتزفره...، ولهم أماكن يعرفونها في اللحم ينفخون فيها الماء؛ فيراعيهم المحتسب عند غيبة العريف، ومنهم من يُشهر في الأسواق البقر السّمان، ثم يذبح غيرها، وهذا تدليس⁽⁴⁰⁾.

أما بالنسبة للقصابين، فيأمرهم المحتسب بعدّة أشياء، حيث يذكر ابن عبد الرّؤوف بعضها فيقول: « ويؤمرون أن يفرقوا لحم الضأن، والمعز، وبين لحم البطون، والرؤوس، ولحم البدن، وغيره وبتنظيف الرّحاب، وكثرة الذباب، والبعد عن الأقذار...، ويؤمرون بأن يتخذوا عوداً يقطعون عليه اللحم، ويكون صليباً نظيفاً، ويكلفون بتغطيته بالليل عن الهوام، ويضعون على موضع القطع ملحاً، فإنه يمنع الهوام⁽⁴¹⁾.

كما يُحدّد الغرض من تصنيف اللحوم، وكيفية فصلها عن العظام، حيث يقول: «... ويؤمرون بتفريق أوصام اللحوم المختلفة الأصناف، فهو أبعد من الدّلسة، وأن يفصلوا اللحم بالسكين لا بالسّاطور، وهكذا يفصل أهل المشرق اللحم بالسكين لا بالسّاطور، إلا أن يتعرّض عظم لا بدّ من قطعه بالسّاطور؛ لأن

(39) يحي بن عمر الأندلسي، أحكام السوق، ص55.

(40) الشيزري، المصدر نفسه، ص27.

(41) ابن عبد الرّؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص79.

السَّاطور يهرّس العظم، ويخلطه باللحم، وكذلك يجردون اللحم عن العظم بالسكين ...»⁽⁴²⁾.

3 - الحسبة على الطباخين:

يقول ابن عبد الرؤوف: « يجب على صاحب الحسبة أن يتفقد الطباخين عند الغدو، والعشي فأما بالغدو فيقف على اللحم الذي منه يطبخون، لئلا يكون لحماً ردياً، أو لحماً من غير الصنف الذي يؤكل لحمه يبيعه ببيع الطيب، وأما بالعشي، فلئلا تبقى لهم بقية، فيزيدوا عليها غيرها ويخلطونها، ثم يعيدوا طبخها، فتستر رائحته، ويفسد طعمه، ويؤمرون ببيع ما بقي لهم منفرداً »⁽⁴³⁾.

ومن خلال ما سبق؛ فإن هذه النصوص الواردة في كتب الحسبة، لدليل على تلك الدقة التي ينبغي للمحتسب مراعاتها في حفظ الصحة البيئية، وهذا عند نشاطه الرقابي المتعلق بممارسة اختصاصاته الوظيفية، حيث يعدّ ذلك خير شاهد على ما كانت عليه الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت؛ فهذه النصوص تبين أهمية حفظ الصحة عند المسلمين، ومراعاتهم لقواعد النظافة، وهذا في وقت كانت فيه أوروبا متأخرة في هذا المجال⁽⁴⁴⁾، ويعني ذلك أن حفظ الصحة العامة من مظاهر حفظ البيئة في نظام الحسبة، إذ توجد العديد من النصوص التي تزرعها كتب الحسبة في هذا المجال.

الفرع الثاني: مراعاة عنصر النظافة وجمال المدينة في الاحتساب:

جاءت في كتب الحسبة عدّة نصوص تشريعية، تتضمن جوانب من أعمال المحتسب المتعلقة بحفظ نظافة المدينة، ورعاية مظهرها الجمالي، وهو ما يؤكد مراعاة المحافظة على المظهر السليم للبيئة النقية، الأمر الذي يُسهم بدوره في التنمية المستدامة، ومن بين تلك النصوص نجد:

يقول الغزالي: « ... وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق جذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم، فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحاً، فإن في ذلك تضيقاً بالطريق، وإضراراً بالناس، بسبب ترشيش

(42) المصدر نفسه، ص79.

(43) المصدر نفسه، ص85.

(44) سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص202.

النجاسة، ويسبب استقذار الطّباع للقاذورات ...»⁽⁴⁵⁾ ثم يقول: «... وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق، وتبديد قشور البطيخ، أو رشّ الماء بحيث يخشى منه التزلّق، والتعثر، كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة، فإن ذلك ينجس الثياب، أو يضيق الطريق ...»⁽⁴⁶⁾.

ويقول الشيزري: «وأما الطرقات، ودروب المحلات، فلا يجوز لأحد إخراج جدار داره، ولا دكانه فيها إلى الممرّ المعهود، وكذلك كل ما فيه أذية، وإضرار على السالكين، كالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء، ومجري الأوساخ الخارجة من الدّور في زمن الصيف إلى وسط الطريق، بل يأمر المحتسب أصحاب الميازيب أن يجعلوا عوضها مسيلاً محفوراً في الحائط مكلّساً يجري فيه ماء السطح، وكل من كان في داره مخرج للوسخ إلى الطريق، فإنه يكلفه سدّه في الصيف ويحفر في الدّار حفرة يجتمع إليها»⁽⁴⁷⁾.

أما ابن خلدون فيقول: «... ويحمل - أي المحتسب - الناس على المصالح العامة في المدينة ...»⁽⁴⁸⁾، إذ تُعدّ المحافظة على نظافة المدينة، وجمالها مصلحة عامة، يلزم المحتسب اتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها.

وعليه، فإنه من خلال النصوص السابقة، يتبين لنا الدور الذي كان يقوم به المحتسب للمحافظة على المظهر الجمالي للمحيط، والذي يعدّ بدوره مظهراً من مظاهر حفظ البيئة في نظام الحسبة.

كما تجدر الإشارة بأنه لما كان عمل الضبط الإداري له علاقة بحفظ البيئة، فإن عمّار عوابدي يقول: «ويعتبر أول، وأقدم نص تشريعي في العالم، تعرّض لتحديد العناصر المادية، لفكرة النظام العام كهدف لنشاط، وسلطات، وأعمال البوليس الإداري، القانون البلدي الفرنسي الصادر في 28 أوت - أغسطس - 1791م، والقانون الفرنسي الصادر في 05 أفريل 1884م، الذي حدّد عناصر،

(45) الغزالي، إحياء علوم الدين، مج3، ص46.

(46) المصدر نفسه، مج3، ص46.

(47) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص14.

(48) ابن خلدون، المقدمة، ص249.

ومقومات النظام العام المادية...»⁽⁴⁹⁾، حيث يفيد هذا النص بأن الدور الذي كان يقوم به المحتسب في حفاظ العناصر القانونية للنظام العام سبق بقرون عمل الضبط الإداري؛ لأن القانون الوضعي لم يعرف هذه العناصر، إلا في أواخر القرن التاسع عشر⁽⁵⁰⁾، مما يؤكد سبق النظام الإسلامي للتشريع الوضعي في مجال حفظ البيئة.

- الخاتمة -

وفي ختام الدراسة توصلنا للنتائج التالية:

- 1 - تقوم الدولة بوظيفة الحسبة عن طريق موظف عام يسمى بوالي الحسبة، إذ يعين من قبل الدولة؛ لأجل الرقابة على مشروعية أعمال الأفراد وفق أحكام الشرع الإسلامي، بإعماله سلطة النهي عن المنكرات الظاهرة بتوقيع العقوبة التعزيرية دون تجاوزها للعقوبة الحدية التي يختص القضاء بتوقيعها، حيث تمكن هذه السلطة المحتسب من تحقيق هدف المحافظة على البيئة.
- 2 - تتجه تشريعات الدول في تعريفها للبيئة إتجاهين، أحدهما ضيق والآخر واسع، حيث يتضح من خلال نصوص المشرع الجزائري، بأنه يكتفي بحصر مكونات البيئة في عناصرها الطبيعية، وهو ما يفيد بأنه يتبنى المدلول الضيق لتعريف البيئة، كما تُعدّ الحماية الجنائية للبيئة أعلى مراتب الحماية القانونية.
- 3 - تؤكد النصوص الواردة في كتب الحسبة، تلك الدقة التي ينبغي للمحتسب مراعاتها في حفظ الصحة البيئية وجمال المدن، وهذا عند نشاطه الرقابي المتعلق بممارسة اختصاصاته الوظيفية على مختلف المهن والحرف، إذ يُعدّ ذلك خير شاهد على ما كانت عليه الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت من اهتمام بحفظ البيئة؛ لأجل تحقيق المفهوم الحديث للتنمية المستدامة.

(49) عمار عوابدي، القانون الإداري، ج2، ص29.

(50) لم يقدّر لدراسة عناصر النظام العام في فرنسا، أن تبرز على بساط البحث، قبل صدور قانون 05 أبريل 1884م الخاص بتحديد اختصاصات الهيئات المحلية، فهو أول قانون استند إليه الفقه في استخلاص عناصر النظام العام. ينظر، محمد أحمد فتح الباب السيد، سلطات الضبط الإداري في مجال ممارسة حرية الاجتماعات العامة، ص40.

4 - إذا كان النظام القانوني المعاصر للضبط الإداري يستهدف بنشاطه حفظ البيئة بحفظ النظام العام، فإن عمل المحتسب في حفاظ العناصر القانونية للنظام العام سبق بقرون عمل الضبط الإداري؛ لأن القانون الوضعي لم يعرف هذه العناصر إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وهو ما يؤكد سبق النظام الإسلامي للتشريع الوضعي في الاهتمام بحفظ البيئة. وعليه؛ فإننا نوصي المشرع البيئي الجزائري للإفادة من نظام الحسبة في نطاق الوسائل المتعلقة بالحماية الجنائية للبيئة، لا سيما من حيث إعمال العقوبة الإدارية في مجال المخالفات وضبط حدودها. وفي الأخير أحمد الله عز وجل على توفيقني لإنهاء هذا البحث، كما أستغفره عن كل ما يكون قد صدر مني من خطأ أو تقصير، وصلّ اللهم وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً.

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - قانون الإجراءات الجزائية الصادر بالأمر رقم 66 - 155 المؤرخ في 18 صفر عام 1386هـ الموافق 8 يونيو سنة 1966م (ج ر ج لسنة 1966، س3، ع48، ص622 وما بعدها) المعدل والمتمم وفق آخر تحيين له بالقانون رقم 18 - 06 المؤرخ في 10 يونيو 2018م.
- 2 - قانون العقوبات الصادر بالأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386هـ الموافق 8 جوان سنة 1966م (ج، ر، ج، ج، المؤرخة في 11/06/1966م، ع49) المعدل والمتمم حسب آخر تحيين له بالقانون رقم 16 - 02 المؤرخ في 19 يونيو سنة 2016م (ج ر ج المؤرخة في 22 يونيو 2016م، ع37).
- 3 - القانون رقم 01 - 19 المؤرخ في 27 رمضان عام 1422هـ الموافق 12 ديسمبر سنة 2001م المتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها وإزالتها (ج ر ج المؤرخة 15 ديسمبر 2001م، ع77).
- 4 - القانون رقم 03 - 10 المؤرخ في 19 جمادي الأولى عام 1424هـ الموافق 19 يوليو سنة 2003م المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة (ج ر ج المؤرخة 20 يوليو 2003م، ع43).
- 5 - القانون رقم 07 - 06 المؤرخ في 25 ربيع الثاني عام 1428هـ الموافق 13 مايو سنة 2007م المتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها (ج ر ج المؤرخة 13 مايو 2007م، ع31).
- 6 - أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش، أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي، ط1 - الرياض، دار عالم الكتاب، 1409 هـ - 1989م.
- 7 - جدي وناسة، الحماية الجنائية للبيئة الهوائية - دراسة مقارنة -، أطروحة دكتوراه، إشراف جلول شيتور، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية 2016 - 2017م.
- 8 - الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، 1422 هـ - 2001م، المكتبة العصرية.
- 9 - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، بيروت، 1414 هـ - 1994م، دار الفكر.
- 10 - منير العجلاني، عبقريّة الإسلام في أصول الحكم، بيروت، 1409 هـ - 1988م، دار النفائس.
- 11 - عبد الله محمد عبد الله، ولاية الحسبة في الإسلام، ط1، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1416 هـ - 1996م.
- 12 - ابن الإخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م.
- 13 - محمد رواس قلجعي، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء - عربي إنجليزي - ط1، بيروت، دار النفائس، 1985م.

- 14 - محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، - دراسة تأصيلية مقارنة -، القاهرة، دار الهداية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1998م.
- 15 - يحيى بن عمر الأندلسي، أحكام السوق، تحقيق محمد علي مكي - مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1424 - 2003م.
- 16 - الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1981م - 1401هـ.
- 17 - الغزالي، إحياء علوم الدين، كمج، بيروت، دار الجيل. مج3.
- 18 - ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، القاهرة، مطبعة المدني.
- 19 - ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدرايس، ط1 - بيروت، دار ابن حزم 1425هـ 2005م.
- 20 - أشرف هلال، جرائم البيئة بين النظرية والتطبيق، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005م.
- 21 - فيصل بوخالفة، الجريمة البيئية وسبل مكافحتها في التشريع الجزائري، أطروحة دكتوراه، إشراف شادية رحاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016 - 2017م.
- 22 - محمود عبد المولى، التلوث البيئي - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2003م.
- 23 - محمد فاروق النبهان، أبحاث إسلامية في التشريع والفكر والحضارة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406 هـ - 1986م.
- 24 - ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الجيل.
- 25 - سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- 26 - عمار عوابدي، القانون الإداري - النشاط الإداري -، ج2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002م، ج2.
- 27 - محمد أحمد فتح الباب السيد، سلطات الضبط الإداري في مجال ممارسة حرية الاجتماعات العامة، رسالة دكتوراه، مجموعة رسائل الدكتوراه، مكتبة جامعة أدرار، قسم الدوريات والمجلات والرسائل، الرقم 203.



دور العلامة التجارية في تحقيق التنمية الاقتصادية

The Brand's Role in Achieving Economic Development

محمد مصطفى زرباني

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة غرداية

mohamedzerbani@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2018-06-11

ملخص -

العلامة التجارية عرفت منذ اقدم العصور، استغلها التجار في الاعمال التجارية، وبرعوا في تطويرها، فابتكروا رموزا وتسميات متنوعة تتشكل منها العلامة، وتوضع على السلع والبضائع والخدمات، فتميزها لتسهيل التعرف عليها اثناء المعاملات التجارية، تفاديا لاختلاطها وضمان حمايتها في السوق. ومع التوسع التجاري وتزايد الحرف والمهن، خاصة بعد التقدم الذي أحدثته الثورة الصناعية في أوروبا، بادرت الدول الى ابرام اتفاقية دولية، تتعلق بحماية حقوق الملكية الصناعية والتجارية، الى جانب الدعوة الى سن قوانين وطنية، تضمن الحماية. وذلك لدورها، وتأثيرها البالغ على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تتجاوزها احيانا الى ابعاد سياسية. عندما يتعلق الامر بالشركات الكبرى التي لها علامات مميزة وتتداخل مصالحها الاقتصادية مع السلطة السياسية، في البلد الذي تنتمي اليه او قد تتحول الى وسيلة ضغط اقتصادي وسياسي في بلدان اخرى. لهذا تبوأ العلامة التجارية مكانة مرموقة في مجالات التنمية الاقتصادية، فأصبحت تضمن الحماية والرقابة الفعالة لمنتجات الشخص الطبيعي او المعنوي. في هذا الاطار، اهتم القانون الجزائري بالعلامات، فنظمها حتى تسير التحولات الاقتصادية الراهنة وتواكب اتفاقيات تحرير التجارة الدولية وتأثيراتها على النواحي الاقتصادية.

كلمات مفتاحية -

العلامة التجارية - الملكية الصناعية - المنتج - التنمية الاقتصادية -

تسجيل العلامات

Abstract -

The Brand Is Known Since Antiquity, The Traders Exploited It In The Commercial Business, And They Knew Their Development Well, They Have Designed Various Symbols And Labels. A Variety Consists Of The Mark And Placed On The Goods And Goods, And Services It Is Distinguished For Easy Identification During Commercial Transactions In Order To Avoid Mixing And Ensuring Their Protection In The Market.

With The Expansion Of Trade And The Increase Of Trades And Professions, Especially After The Progress Of The Industrial Revolution In Europe States Have Initiated An International Convention Relating To The Protection Of Industrial And Commercial Property Rights In Addition To Calling For The Enactment Of National Laws Ensuring Protection For Its Role And Profound Impact On Various Aspects Of Economic And Social Life, What He Sometimes Promoted To The Political Dimensions, When It Comes To Big Companies, Who Have Distinctive Marks Their Economic Interests Overlap With Political Power In The Country To Which They Belong, Or Can Become A Means Of Economic And Political Pressure In Other Countries. That's Why The Brand Has Assumed A Prestigious Position In The Areas Of Economic Development ,Ensuring The Effective Protection And Control Of The Products Of Natural Or Legal Persons.

In This Context Algerian Law Was Concerned With Brands And Regulated Them, In Order To Keep Pace With The Current Economic Transformations.

Algerian Law Was Concerned With Trademarks, And Regulate It And Modified Depending On The Case, To Keep Pace With Current Economic Transformations; And Keep Up The Pace Of International Trade Liberalization Agreements, And Their Effects On Economic Aspects.

Keywords -

Brand - Industrial Property - The Product - Economic Development - Trademark Registration

مقدمة

تعتبر العلامة التجارية، فكرة قديمة عرفتها مختلف الحضارات الانسانية عبر العصور، استغلها التجار والصناع واصحاب الحرف في اعمالهم التجارية والحرفية، وبرعوا في تطويرها، فابتكروا رموزا وتسميات متنوعة تتشكل منها العلامة، وتوضع على السلع والبضائع والخدمات، فتميزها لتسهيل التعرف عليها اثناء المعاملات التجارية، تفاديا لاختلاطها وضمان حمايتها في السوق.

في هذا الصدد، يقول الباحثون ان الجذور القانونية الاولى لتنظيم العلامات ظهرت في اللوحة الخامسة من القانون الآشوري في مجال حماية العلامات المميزة، حيث نصت المادة 265، على انه {اذا الرجل...واخذ شاة من قطيع جاره وغير واحد علامة ملكيته الخاصة، فيجلد...مائة مرة بعضى وينزعون شعره ويؤدي عمل الملك شهر واحد ويكون مسئولا عن السرقة}¹.

ويشير البعض الاخر من الباحثين انها ظهرت قبل ثلاثة آلاف سنة في الحضارات الشرقية كاليونان والصين، حيث كان الصناع يرسمون اختامهم على المبتكرات الخزفية². كما عرفتها حضارات قديمة مثل، الحضارة الفرعونية وعند اليونان والرومان، من خلال وجود دلائل على استعمال العلامات في الرسومات والمجسمات وايضا على الاواني والمزهريات³.

ومن جهتهم اشتهر العرب قبل الاسلام بتجارة القوافل نحو الشام واليمن، بأسلوب منظم وكانت كل قافلة تنسب لصاحبها وتنال شهرتها بوضع علامة تميزها عن غيرها في التجارة والاسواق. وقد ابرم زعماء قريش اتفاقيات في المجال التجاري، ودخلوا في شراكة مع رؤساء قبائل عربية⁴.

اما الحضارة الاسلامية فقد تميزت اكثر، بتطور الافكار والدعوة الى العلم والتحرر من الخرافات والمعتقدات الباطلة، فبرز العلماء في شتى الميادين، وتوسعت التجارة بفعل اتساع المساحة الجغرافية للبلاد الاسلامية، فتوسعت معها حركة التجارة والمعاملات المالية والشراكة وانتشار الاسواق التي تتزاحم فيها السلع والبضائع، التي تعرف بالعلامات وتنسب الى بلدها الاصلي. وفي جانب الصناعة التي تنوعت، فأنشئت مصانع الورق والنسيج الحريري في مصر والشام والعراق وبلاد فارس، وفي مجال الاختراعات، توصلوا الى اختراع صندوق الساعات

لتحديد اوقات الصلاة. واخترعوا الارحية على افواه الانهار، التي استغلوها في استخراج الطاقة المائية والهوائية وتنظيم المياه لمعرفة حركة المد والجزر في البحار⁵.

ومع مرور الزمن تطورت فكرة استعمال العلامات، مع حرص اصحاب الثروات والحرف والصناعات التي ظهرت بشكل قوي اثناء قيام الحركة الصناعية والتي ارتبطت بشكل كبير مع التوسع التجاري، فانتقلت العلامات من الاستخدام التقليدي والعرفي الذي استقر عليه التجار والصناعيين والحرفيين، الى الشكل الحديث، فتدخل القانون لفرض قواعد الحماية، فأخضع الحقوق المتعلقة بها لنظام قانوني يعتمد على الايداع والتسجيل امام مصلحة مختصة، بهدف ضمان الحقوق وتوفير الاستقرار في المعاملات التجارية والصناعية وفسح المجال امام المنافسة المشروعة.

ونظرا لأهمية العلامات التجارية، بادرت مجموعة من الدول الى عقد المؤتمرات وابرام الاتفاقيات التي سعت من خلالها الى ضبط الاوضاع التجارية والصناعية، وحماية الحقوق المترتبة عن الملكية الصناعية، التي من ضمنها العلامات التجارية والصناعية.

امام هذه التحديات، لجأت مجموعة من الدول، الى عقد اتفاقيات جديدة في مجال الملكية الفكرية، منها على الخصوص اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة المرتبطة بحقوق الملكية الفكرية، المبرمة في مراكش بالمغرب بتاريخ 15/04/1994م. حيث اكدت على مبدأ حماية حقوق الملكية الفكرية، بما فيها الجوانب المتعلقة بالتجارة. وفيما يتعلق بالعلامات التجارية والصناعية، حددت المادة 15 من الاتفاقية المواد القابلة للحماية، واعتبرت العلامة التجارية كل علامة تسمح بتمييز السلع والخدمات المتكونة من الكلمات التي تشمل اسماء شخصية وحروفا وارقاما واشكالا ومجموعات الوان و اي مزيج منها⁶. وقد واكب القانون الجزائري هذا التطور، فاهتم بحقوق الملكية الصناعية بصفة عامة والتي تعتبر العلامات التجارية والصناعية جزء منها، فتأسس المكتب الوطني للملكية الصناعية سنة 1963م، ثم صدر قانون حماية علامات المصنع والعلامات التجارية

في سنة 1966م⁷، الذي استمر في العمل لمدة 37 سنة، ثم ألغي العمل به في سنة 2003م، لتلبية شروط الانضمام للمنظمة العالمية للتجارة⁸.

من هذا المنطلق، فإن العلامة التجارية قد حافظت على أهميتها ودورها في التنمية دوليا ووطنيا، باعتبارها أداة مرتبطة بالمنتج والخدمات، وتأثيرها البالغ في مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة. وقد تجاوزها أحيانا إلى أبعاد سياسية، عندما يتعلق الأمر بالشركات الكبرى، التي تمتلك علامات مميزة، وتتدخل مصالحها مع سلطة اتخاذ القرار السياسي في البلد الذي تنتمي إليه أو بلد آخر تمارس فيه نشاطا اقتصاديا. لاسيما وقد توسعت وظائفها، وتحولت إلى أداة تضمن الحماية والرقابة على المنتجات والخدمات المقدمة للمتعاملين والمستهلكين. وفي نفس الوقت تؤدي إلى التعريف بالأشخاص الطبيعيين والمعنويين، فتميزهم كتجار وشركات وتمنح التعرف على المنتجات والخدمات المعروضة⁹.

وعليه فإن هذه الدراسة تركز على إبراز أهمية العلامة التجارية وتوضيح الجوانب القانونية المتعلقة بها وضبط علاقتها بالتنمية الاقتصادية.

فاذا كانت العلامات التجارية بهذا النحو من الأهمية والاهتمام، فهل يسمح نظامها القانوني بتحقيق وظيفة اقتصادية ملائمة وفعالة ؟

لمعالجة الإشكالية، نتناول محورين أساسيين، نتطرق في المحور الأول إلى العلامة التجارية بين المفهوم والوظيفة. ثم نوضح في المحور الثاني، طرق استغلال العلامة التجارية لتحقيق التنمية الاقتصادية.

أولا: العلامة التجارية بين المفهوم والوظيفة

نتناول في هذا العنوان الأساسي، تحديد مفهوم العلامة التجارية، ثم إبراز الوظائف الرئيسية التي تقوم بها العلامة وذلك حسب العناصر التالية:

1 - مفهوم العلامة التجارية

نوضح في هذا العنصر، نظرة القانون والفقه للعلامة بكل أصنافها، ثم نبين موقف القانون الدولي للملكية الفكرية، وذلك فيما يأتي:

أ - نظرة القانون الداخلي للعلامة التجارية

أكد الدستور الجزائري في المادة 43 منه، على ان حرية الاستثمار والتجارة معترف بها وتمارس في اطار القانون. وان الدولة تعمل على تحسين مناخ الاعمال وتشجع على ازدهار المؤسسات دون تمييز خدمة للتنمية الاقتصادية الوطنية. كما تكفل الدولة ضبط السوق ويحمي القانون حقوق المستهلك ويمنع الاحتكار والمنافسة غير النزيهة¹⁰. وهي المبادئ الدستورية التي تضمن حماية حقوق الملكية الفكرية في الجوانب التجارية والصناعية.

وبالرجوع الى قانون العلامات الساري المفعول¹¹، والذي يهدف الى تنظيم وحماية العلامات التجارية والصناعية، نجد انه قد تبني فكرة اللجوء الى تعريف بعض المصطلحات المرتبطة بالعلامات وحدد المقصود منها قانونا، وهذا عكس القانون الذي ظل سائدا منذ سنة 1966م، الذي تفادى تقديم تعريف للعلامات التجارية والصناعية على غرار اغلب التشريعات في الدول العربية وغيرها. فأصبحت تعرف قانونا بأنها: { كل الرموز القابلة للتمثيل الخطي لاسيما الكلمات بما فيها اسماء الاشخاص والاحرف والارقام والرسومات او الصور والاشكال المميزة للسلع او توضيحيها والالوان بمفردها او مركبة التي تستعمل كلها لتمييز سلع او خدمات شخص طبيعي او معنوي عن سلع وخدمات غيره }¹².

فمن خلال هذا التعريف نجد ان القانون الجزائري قد حصر مجموعة من العناصر، الدالة على العلامة كالرموز والكلمات والاحرف والارقام والالوان واعتبرها تميز السلع والخدمات عند استعمالها في المجال التجاري او الصناعي من طرف شخص طبيعي يمارس تجارة او صناعة او يساهم في تقديم خدمات او من طرف شخص اعتباري كالمؤسسة او الشركة التي لها نشاط في المجال التجاري والاقتصادي. وعليه فان العلامة بهذا المعنى تشكل حماية اساسية للمنتوج وتميزه بشكل واضح عن كل المنتجات المطروحة في السوق. فالكلمات باعتبارها من الرموز، قد تتضمن اسم التاجر صاحب العلامة او غيره حسب اختياره، ولهذا نجد بعض العلامات تتضمن اسم محدد يشتهر به التاجر سواء

كان شخص طبيعي او شخص معنوي كالشركات التجارية، مثال ذلك: شركة رونو للسيارات ومؤسسة الراجحي الخ...

اما الاحرف والارقام، فقد تتشكل في العلامة وتشتهر بها في السوق، مثل: شركة LG للهواتف النقالة وشركات السيارات التي تعتمد على الارقام الموضوعية على السيارات واشتهرت بها، مثل 404 و 504 وغيرها. وقد تجمع العلامة بين الاحرف والارقام في المنتج مثل سيارة R4...

وبالنسبة للرسوم والصور، كرسوم خطوط او دوائر او صورة شخص او حيوان واتخاذها شعارا لمؤسسة تجارية او شركة اعمال مثال ذلك: علامة شركة طيران او شركة انتاج البترول او مؤسسة توزيع المياه او الغاز او شركة اتصالات الجزائر. وبالتالي فالعلامة الجماعية لها ميزة تختلف عن العلامة الفردية، لانها تستعمل بشكل مشترك من طرف مؤسسة تجارية او خدمتية او اكثر.

فلاحظ ان العلامة الجماعية في اعتقادنا، اصبحت تهدف الى حماية منتجات مؤسسات مختلفة او جماعات قانونية قائمة تربط بين اعضائها مصالح واعمال مشتركة كالمؤسسات الاقتصادية العمومية او شركات القطاع الخاص، الامر الذي يؤدي الى تشجيع مختلف القطاعات الاقتصادية العمومية او الخاصة وتحقيق التنمية الاقتصادية.

ونظرا للارتباط الوثيق بين العلامة التجارية والسلع والخدمات، فان قانون العلامات الجزائري قدم تعريفات خاصة بكل منها، وعرف الخدمة بانها: {كل اداء له قيمة اقتصادية}¹³. والخدمة التي يقدمها المتعامل يجب ان تكون لها بقوة القانون علامة خاصة تميزها عن باقي الخدمات المتنافسة، وفي هذه الحالة تكون العلامة مرتبطة بشكل وثيق بالخدمة التي هي اداء له قيمة اقتصادية في السوق. ومن هنا تساهم العلامة التجارية بشكل مباشر في توسيع الخدمات وتمنع المنافسة غير المشروعة التي تؤدي قطعا الى تنمية اقتصادية حقيقية.

كما عرف القانون السلعة بانها: {كل منتج طبيعي او زراعي او تقليدي او صناعي، خاما كان او مصنعا}¹⁴. وعليه فان السلعة بالمفهوم

القانوني، تتعلق بالمنتج الذي يشمل عدة مجالات كمنتج المياه المعدنية الطبيعية او منتج الثروات الطبيعية الموجودة في باطن الارض، او منتج له طابع زراعي او صناعي وغيره. وفي هذه الحالات فان صاحب المنتج ملزم بتمييزه بعلامة تجارية التي تدفع بالمنتج الى الشهرة والمنافسة المشروعة في السوق الاقتصادية.

وبالرجوع الى القواعد العامة، نجد ان القانون المدني قدم تعريفا خاصا للمنتج واعتبره كل مال منقول ولو كان متصلا بعقار، لاسيما المنتج الزراعي والمنتج الصناعي وتربية الحيوانات والصناعة الغذائية والصيد البري والبحري والطاقة الكهربائية¹⁵. ورتب المسؤولية على المنتج عن كل ضرر ناتج عن عيب في منتوجه حتى ولو لم تربطه بالمتضرر علاقة تعاقدية¹⁶.

في هذه الحالة نلاحظ ان القانون الجزائري، قد وسع نطاق مفهوم المنتج والخدمة وربطهما بكل المجالات الاقتصادية والتجارية وذلك لمسايرة مقتضيات مرحلة الانفتاح الاقتصادي وتشجيع الدخول في المنافسة المشروعة، تحقيقا لمبدأ حرية الصناعة والتجارة الذي اقره الدستور.

بهذا المفهوم، اسقط القانون الصفة التقليدية للعلامات التي ظلت سائدة خلال فترة الاقتصاد الموجه والتي اصبحت لا تتماشى مع التوجهات الاقتصادية الراهنة. واكتفى بالقول بانها علامات دون تحديد وظيفتها او نوعها، تاركا المجال اكثر ليكون لها دور حقيقي وفعال في التنمية الاقتصادية، ومنح الحرية للمنتجين واصحاب رؤوس الاموال والاعمال، للدخول في الاستثمارات بشكل تنافسي، وعدم التقيد بتحديد مجال خاص بكونها علامات تجارية او علامات مصنع. وحسب بعض الدراسات المتخصصة، فان القانون الجزائري جمع هذين النوعين من العلامات تحت عبارة علامة السلعة، اما المؤسسة التي تقدم خدمات لتشخيص الخدمة المقدمة، فتكون في هذه الحالة علامة خدمة¹⁷.

ومن جهة اخرى، نجد انه حصر العلامات في تعريفات ضيقة في اعتقادنا ربما لا تحقق الاهداف المرجوة المرتبطة بوظيفة العلامة التجارية، ولا تفي بالمعنى الحقيقي الذي تحولت اليه العلامات فتوسع نطاقها وتعددت وظائفها،

بحكم ازدياد النشاط التجاري والصناعي والخدماتي وتعددت وسائله بحكم التطور التكنولوجي وظهور الشبكات الرقمية، الامر الذي ادى الى دخول العلامة التجارية والصناعية مجالات الانترنت والعنوان الالكتروني¹⁸.

فالنظرة الضيقة للتعريف القانوني حصرت العلامات في كونها مجرد شكل او رمز او اسم تجاري، في الوقت الذي انتقلت فيه الى المجال الالكتروني واصبحت ايضا كسهم او حصة في تكوين راس مال شركة كما سمح القانون بقابليتها للتنازل او الرهن والدخول بها في مختلف المعاملات المالية. وهي في اعتقادنا مسألة لا يستوعبها الا التفسير الفقهي والاجتهاد القضائي.

ومن جانب اخر، نلاحظ ان القانون الجزائري استعمل مصطلح العلامات دون تحديد وظيفتها او نوعها، وبالتالي يمكن ان تكون علامة تجارية او صناعية او علامات مميزة. غير انه بالنظر لخصوصية بعض العلامات، حرص على تمييز العلامة الجماعية عن العلامات الاخرى وتناولها بشكل خاص في الباب السادس من قانون العلامات وعرفها بانها: {كل علامة تستعمل لإثبات المصدر والمكونات والانتاج او كل ميزة مشتركة لسلع او خدمات مؤسسات مختلفة، عندما تستعمل هذه المؤسسات العلامة تحت رقابة مالكيها}¹⁹. مؤكدا كذلك على الزام صاحبها بالسهر على حسن استعمال علامته وفق احكام القانون والنظام الاساسي الخاص بها الذي يقتضي تحديد شروط الاستعمال والنص على ممارسة رقابة فعلية على استعمالها²⁰.

الى جانب ذلك تناول مصطلح العلامات الدولية مؤكدا على ان التسجيلات الدولية للعلامات عندما تمتد حمايتها الى الجزائر في اطار الاتفاقيات الدولية المصادق عليها تخضع الى الفحص التلقائي والتحقق من صحة تسجيلها في البلد التي تنتمي اليه وكذلك التأكد من عدم اعتراضها مع الرموز او العلامات التي استثنائها القانون من التسجيل²¹.

كما نص على العلامة المشتركة التي تقترب من العلامة الجماعية واكد على تسجيلها وفق الشروط التي تخضع لها العلامات الجماعية من حيث الشكل والمضمون²².

ب - رأي الفقه في العلامة التجارية

اذا اردنا البحث في التعاريف الفقهية، نجد منها من رأى بأن العلامة يقصد بها تلك السمة المميزة التي يضعها التاجر على منتجات محله التجاري، فهي علامة تجارية. او الصانع على المنتجات التي يقوم بصنعها وهي علامة مصنع، قصد تمييزها عن المنتجات الاخرى المشابهة لها في السوق²³. ويعرفها اتجاه اخر، بأنها: كل ما يتخذ من تسميات او رموز او اشكال، توضع على البضائع التي يبيعها التاجر او يصنعها المنتج او يقوم بإصلاحها او تجهيزها او خدمتها لتمييزها عن بقية المبيعات او المصنوعات او الخدمات²⁴.

وذهب آخرون، الى ان العلامة التجارية هي عبارة عن اشارات مميزة تحدد سلعاً او خدمات على انها تلك التي ينتجها او يوفرها شخص محدد او مشروع محدد²⁵. اما الاستاذ مصطفى كمال طه فقد عرفها بانها: " الشارات التي يضعها الصانع والتاجر على منتجات بضائعه تمييزاً لها عن المنتجات والبضائع المماثلة، كالأسماء المتخذة شكلاً مميزاً والحروف والأرقام والرسوم والرموز²⁶.

وعليه نجد ان الفقه في الغالب، قد توصل الى ان العلامة التجارية مرتبطة بالتاجر والصانع، الذي يستخدمها كشعار لمنتوجه المعروض للبيع في السوق. وبالتالي فالعلامة تحمي المنتج وتستهدف المستهلك بالإرشاد والتوجيه نحو المنتج الحقيقي او الاصلي، حتى يميزه عن غيره لمنع المنافسة غير المشروعة.

ج - العلامة التجارية في الاتفاقيات الدولية

اهتمت دول العالم بالملكية الفكرية ذات الطابع الصناعي، منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بحكم تداخل العلاقات السياسية والاقتصادية واكتشاف الثروات الباطنية في مناطق دون اخرى، نتج عنها مشكلات وعوائق في التجارة الخارجية، دفعت الى ضرورة ترتيب البيت العالمي والتحكم فيه اكثر من خلال الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، لتسهيل التبادل التجاري ومنع الحواجز الجمركية وتشجيع الاختراعات للتحكم في تسجيلها والعمل على نقل رؤوس الاموال.

ونظرا لارتباط العلامات التجارية والصناعية بالاقتصاد والتجارة العالمية، لكونها عنصر مهم في الصادرات والواردات، من خلال تمييز السلع والمنتجات المرتبطة بالشركات والمؤسسات التجارية، فإن الدول صادقت على اتفاقيات دولية، تتعلق بحماية حقوق الملكية الفكرية ذات الطابع الصناعي والتجاري والتنظيم التجارة الدولية. على رأسها اتفاقية باريس المؤرخة في 20 مارس 1883م، التي اعتبرت فيما بعد الدستور العالمي للملكية الصناعية²⁷. حيث جاء في البند الاول منها انه: { تشمل الملكية الصناعية، براءات الاختراع ونماذج المنفعة والرسوم والنماذج الصناعية والعلامات الصناعية او التجارية وعلامات الخدمة والاسم التجاري وبيانات المصدر او تسميات المنشأ وكذلك قمع المنافسة غير المشروعة }²⁸. فتعاهدت الدول التي انضمت اليها، بسن تشريعات تضمن الحماية القانونية في هذا الاطار.

وبالرغم من التطبيقات التي عرفت مبادئ اتفاقية باريس الى جانب القوانين الوطنية، فإن هذه الحقوق، ظلت عرضة للاعتداء والتقليد والمنافسة غير المشروعة وعدم تحقيق العدالة. ما ادى بالدول الى طرح مشاكلها وعوائق التجارة العالمية عدة مرات، لمناقشة الوضع القانوني والاقتصادي الذي تعيشه الملكية الصناعية والحقوق المرتبطة بها. فظهرت على اثرها، اتفاقيات مكملة لاتفاقية باريس منها، اتفاقية فيينا لتسجيل العلامات التجارية لسنة 1973م²⁹. وتم بموجب التعديلات، التأكيد على ان الدول التي تسري عليها التعديلات، تشكل اتحادا عالميا لحماية الملكية الصناعية³⁰. كما ألزمت الدول المنضوية تحتها، برفض تسجيل العلامة ومنع استعمالها، اذا كانت في شكل نسخة او مقلدة من شأنها ايجاد لبس في العلامة. وتحديد شروط الايداع والتسجيل عن طريق التشريع الخاص بكل دولة وعدم تقييد حرية صاحب العلامة بالتنازل عنها، احتراماً لحق ملكيته خلال مدة معينة وتشجيعاً للتنمية الاقتصادية.

وبظهور المنظمة العالمية للتجارة (World Trade Organisation) تحت اطار الامم المتحدة، توسع مفهوم التجارة الدولية التي تعتبر العلامة التجارية والصناعية جزء هاماً فيها، واحيطت بمجموعة من المبادئ، نذكر منها بشكل مختصر ما يلي:

- مبدأ تحرير التجارة الدولية، القائم على التزام الدول بتخفيض القيود على وارداتها مقابل الحصول على تخفيض مماثل لصادراتها

- مبدأ الدولة الاولى بالرعاية، بمنح الاعضاء كل المزايا والحقوق والاعفاءات

- مبدأ التقيد بقواعد السلوك في المعاملات التجارية، وذلك بالالتزام بأسلوب المفاوضات لتحرير التجارة وعدم اللجوء الى الاغراق، واحترام الشفافية وتسوية المنازعات³¹.

كما انبثق عن المنظمة، مجلس خاص بالجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية، للتأكيد على اهميتها في اقتصاديات الدول والاهتمام اكثر بالحقوق المرتبطة بها. ثم ابرمت اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة في مجال حقوق الملكية الفكرية في سنة 1994م التي تعرف باتفاقية تريبس. التي صاغت تعريفا خاصا بالعلامات في البند الخامس عشر منها، بأنها: {تعتبر كل علامة او مجموعة من العلامات تسمح بتمييز السلع والخدمات التي تنتجها منشأة عن تلك التي تنتجها المنشآت الاخرى صالحة لان تكون علامة تجارية وتكون هذه العلامات لاسيما الكلمات التي تشمل اسماء شخصية وحروفا وارقاما واشكالا ومجموعات الوان واي مزيج منها مؤهلة للتسجيل واشترطت كذلك التمييز المكتسب والادراك بالنظر}³².

وعليه فان الاتفاقيات الدولية بشأن الملكية الفكرية عموما والملكية الصناعية بشكل خاص، تعتبر مصدرا اساسيا للعلامات التجارية، بحيث تستمد منها القوة الالزامية والحماية القانونية، لتأدية وظيفتها بشكل ملائم.

وبالرغم من الجهود الدولية التي سعت الى توفير الحماية القانونية للملكية الصناعية عموما والعلامات على الخصوص في ظل الاتفاقيات الدولية، الا انها اثارت بعض الجدل في الاوساط الفقهية، خاصة بعد ظهور المنظمة العالمية للتجارة وتكريسها لاتفاقية الجوانب المتعلقة بالتجارة في مجال الملكية الفكرية³³. اذ يرى البعض ان الشروط التي جاءت بها والحماية التي قررتتها، تؤدي الى منح حقوق احتكارية للشركات العاملة في مجال التكنولوجيا

الحيوية، وهذا يؤدي الى فرض قيود لا تكون في صالح الدول النامية. لأنها تستهدف حماية مصالح اخرى تريد تحقيقها الشركات المنتجة³⁴.

وفي اعتقادنا فان هذا الاتجاه هو عين الصواب، لان الذي يتعاقد مع طرف قوي يمتلك التكنولوجيا ويحتكرها وهو طرف ضعيف لا يمتلك حتى اقتصاد بالمفهوم الحقيقي، فإن الحماية في ظل شروط عالمية غير متوازنة، تتحول الى أداة خطيرة في يد من يتحكمون في الانتاج العالمي، تحت مظلة تحرير التجارة العالمية. وخير دليل، تلك الشروط القاسية التي تفرضها المنظمة العالمية للتجارة على الدول التي تريد الانضمام اليها، كالتحكم في قانون داخلي للملكية الفكرية، وفرض حالات معينة يجب استثناءها من مجالات الحماية او منح براءات اختراع بشأنها، كالأصناف النباتية او الاجناس الحيوانية وكل الطرق البيولوجية للحصول على النبات او الحيوان، وتركها للشركات العاملة في الدول المصنعة لكي تستغلها وتستثمر فيها بالقانون.

وعلى سبيل المثال: تم نقل اصناف من نبات الارز المعروف باسم العلامة التجارية " باسمتي " من بلده الاصلي الهند، وتحويله الى الاقتصاد الامريكي، فاستغلت شركة تكساس الامريكية هذا المنتج بنفس العلامة لجودته فتأخذ الشركة المسيطرة، المادة الخام من الدول النامية، باسم الاستثمارات الاجنبية واتفاقيات التعاون الدولي، مع ضمان حظر القوانين الداخلية لبعض الأبحاث التي اشرنا اليها، فتحتكرها وتقوم بتعديلها في معاملها ومختبراتها العلمية والصناعية، ثم تحولها الى اختراع تطبيقا لقوانينها الخاصة، فتمهد لها الطريق للتحكم في مقدرات الشعوب، في اطار مبدأ الحق في الاسبقية³⁵.

وعليه يجدر التأكيد على ان شروط المنظمة العالمية للتجارة والاتفاقيات المنبثقة عنها، ليست في صالح اقتصاديات الدول النامية ومنها الجزائر، في اعتقادنا للأسباب التالية:

- تطبيق جميع اتفاقيات المنظمة بمجرد الانضمام اليها، يتعارض مع مبدأ سيادة الدول وحريتها في ابرام الاتفاقيات التي تراها مناسبة لوضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

- تطبيق مبدأ حرية الاستيراد والتصدير وإلغاء التعريفات الجمركية، يضر بالاقتصاد الهش القائم على صادرات محدودة
- إعادة النظر في القوانين المتعلقة بالتجارة والصناعة وفرض احكام قانونية معينة، قد يؤدي الى التدخل في استغلال ثروات حيوية بشكل او بآخر، كالاستثمار الاجنبي، ومن جهة يعمل على عدم تشجيع الابتكارات والاختراعات وهجرة الادمغة العلمية. مثال ذلك استثناء انواع النباتات والطرق البيولوجية للحصول عليها من مجال الاختراع³⁶.
- فرض شرط عدم التفرقة بين الدول في المعاملات التجارية، قد يفرض التعامل حتى مع دولة لا تربطها علاقات دبلوماسية مع دولة اخرى، لأسباب سياسية ومن منطلق مبدأ تطهير الاحتلال.

2 - الوظائف الأساسية للعلامة التجارية

تدخلت التشريعات القانونية لتنظيم العلامة التجارية واحاطتها بأحكام تهدف لتحديد وظيفتها الأساسية وحماية الحقوق والآثار المترتبة عنها. لهذا يؤدي وجود العلامة اولا الى اعتبارها اداة رقابة فعالة، لانها تعرف المنتج وتحدده³⁷، وتؤدي الى جذب الاستثمارات الوطنية والاجنبية وتمنح الفرص للدخول الى السوق وممارسة المنافسة الحرة. وعليه نحاول حصر اهم الوظائف التي تؤديها العلامة التجارية وتحقيق الغرض منها في مجال التنمية الاقتصادية وذلك من خلال العناصر التالية:

أ - الوظيفة القانونية للعلامة التجارية

ان دخول المنتج او السلع والبضائع الى السوق، موجه بشكل اساسي الى المستهلك الذي يجب عليه ان يتحمل مسؤوليته في اقتناء ذلك المنتج، غير ان القانون فرض على التاجر او صاحب العلامة، ان يلتزم بوضع علامة تجارية او صناعية خاصة بالمنتج او الخدمات التي يعرضها والا تعرض للمسائلة تحت طائلة القانون. فبواسطة العلامة لا تختلط البضائع بغيرها ويستطيع طالب هذه البضاعة بالذات ان يطمئن اذا ما وجد العلامة موضوعة على البضاعة او المنتجات التي يتعامل بها³⁸ بهذه الوظيفة التي يخولها القانون للعلامة، فانها تعتبر اداة رقابة على المنتج.

ولهذا اكد القانون على الزامية وجودها في كل منتج او سلعة او خدمة مقدمة للمستهلك بيعت او عرضت للبيع عبر انحاء التراب الوطني. وفي الحالة التي لا تسمح فيها طبيعة او خصائص المنتج او السلعة من وضع العلامة عليها مباشرة، يجب وضعها على الغلاف او على الحاوية³⁹. وهذا حتى تؤدي وظيفتها القانونية وتسهل على المستهلك التعرف على المنتج حتى لا يقع في اللبس.

ومن جانب اخر، سجل القانون تحفظات على بعض الرموز ومنع استعمالها كعلامة في المجال التجاري او الصناعي او الخدماتي، لتعارضها مع وظيفة العلامة التجارية واستثنائها من التسجيل، وهي حسب ما ورد في قانون العلامات⁴⁰، نحددها كما يلي:

- الرموز الخاصة بالملك العام او المجردة من صفة التمييز
- الرموز التي تمثل شكل السلع او غلافها اذا كانت الطبيعة او وظيفة السلع او التغليف تفرضها
- الرموز المخالفة للنظام العام او الآداب العامة
- الرموز المحظورة بموجب القانون الوطني او الاتفاقيات التي تكون الجزائر طرفا فيها

- الرموز التي تتضمن من بين عناصرها نقلا او تقليدا لشعارات رسمية او اعلام او شعارات اخرى او اسم مختصر او رمز او اشارة او دمغة رسمية تستخدم للرقابة والضمان من طرف الدولة او منظمة مشتركة بين الحكومات انشئت بموجب اتفاقية دولية، الا اذا رخصت لها السلطة المختصة لهذه الدولة او المنظمة
- الرموز التي يمكن ان تضلل الجمهور او الاوساط التجارية فيما يخص طبيعة او جودة او مصدر السلع والخدمات والخصائص الاخرى المرتبطة بها
- الرموز التي تشكل حصريا او جزئيا بيانا قد يحدث لبسا مع المصدر الجغرافي لسلع او خدمات

- الرموز المماثلة او المشابهة لعلامة او لاسم تجاري يتميز بالشهرة في الجزائر، وتم استخدامه لسلع مماثلة ومشابهة، تنتمي لمؤسسة اخرى الى درجة

أحداث تضليل بينهما أو الرموز التي هي بمثابة ترجمة للعلامة أو الاسم التجاري

- الرموز المطابقة أو المشابهة لعلامة كانت محل طلب تسجيل أو تسجيل يشمل سلعا أو خدمات مطابقة أو مشابهة لتلك التي سجلت من أجلها علامة المصنع أو العلامة التجارية، إذا كان هذا الاستعمال يحدث لبسا

- العلامات التي انتهت فترة حمايتها منذ سنة أو أكثر من تاريخ قبل تاريخ ايداع طلب تسجيلها

- العلامات الجماعية التي انتهت فترة حمايتها منذ ثلاث سنوات أو أكثر. وعليه فإن هذا الحظر، جاء للتأكيد على الوظيفة الحقيقية للعلامة ودورها الفعال في حماية المنتج أو الخدمة المعروضة أمام المتعاملين الاقتصاديين والمستهلكين. وذلك حتى لا يقع اللبس واختلاط العلامات والرموز، فتتأثر بذلك المنتجات والسلع والخدمات.

فمن هذه الناحية، نستنتج ان العلامة تعمل على تحقيق وظيفتين مزدوجتين من منطلق توفير الحماية القانونية للإنتاج والسلع والخدمات، التي تقوم بها مختلف المؤسسات في القطاع العام أو القطاع الخاص. ومن منطلق تدعيم القطاع الانتاجي بعنصر مساهم في تفعيله وتدعيمه.

ب - الوظيفة الاقتصادية

لا شك ان وجود علامة على منتج معين، يؤدي الى جذب الاستثمارات الوطنية والاجنبية ومنح الفرص للدخول الى السوق وممارسة المنافسة الحرة، فالعلامة التجارية أو الصناعية تؤدي الى الشهرة والانتشار الواسع للمنتج، وبالتالي تصبح للعلامة وظيفة اقتصادية تدفع المنتج أو الخدمة للمساهمة بشكل كبير في الاقتصاد والتنمية. وبهذا المعنى توسعت الشركات وانتشرت عبر العالم بعد اكتسابها لعلامة تميزها، واصبحت تحظى بتنافس قوي حول منتجاتها.

وقد تبنى القانون الجزائري هذا الاتجاه، وجعل للعلامة بصفة عامة، وظيفة تتلاءم أكثر مع التطورات التي تعرفها التنمية الاقتصادية وكل المجالات المرتبطة بها. فأكد على حمايتها في قانون الجمارك عندما تطرقت

احكامه لتنظيم عمليات الاستيراد والتصدير، خاصة في ظل تطبيق مبدأ ضمان حرية التجارة والصناعة والاستثمار، فإن هذا القانون⁴¹، نظم التجارة الخارجية بشكل عام، وخص منها العلامات لارتباطها بعمليات التصدير والاستيراد، وحظر السلع المقلدة والعلامات التي تمس بحق الملكية الفكرية، نذكرها حسب ما وردت في القانون، كما يلي:

- السلع بما في ذلك توضيبيها والتي تحمل بدون ترخيص علامة صنع أو علامة تجارية تكون مماثلة لعلامة صنع أو علامة تجارية مسجلة قانونا بالنسبة لنفس فئة السلع أو التي لا يمكن التمييز بينها فيما يتعلق بمظهرها الأساسي لهذه العلامة الصناعية أو التجارية والتي تمس بحقوق صاحب العلامة المعنية.

- جميع الرموز المتعلقة بالعلامة (علامة رمزية، بطاقة، ملصق، نشرة دعائية، استمارة الاستعمال، وثيقة الضمان) ولو تم تقديمها منفصلة عن بعضها، ضمن نفس الشروط التي قدمت فيها السلع المذكورة أعلاه.

- الأغلفة الحاملة لعلامات السلع المقلدة المقدمة بصفة منفصلة ضمن نفس الشروط التي قدمت فيها السلع المذكورة أعلاه

- السلع التي تتضمن نسخا مصنوعة بدون موافقة صاحب حق المؤلف أو الحقوق المجاورة

- استبعاد العلامات التي تحملها البضائع المقلدة، إلا في بعض الحالات الاستثنائية⁴².

فلا شك ان الرقابة الجمركية بهذا الشكل، تعمل على تسهيل عمليات جمركة البضائع بالنسبة للمتعاملين الاقتصاديين والمساهمة في رفع الاختناق على المساحات التابعة للموانئ والمطارات لتصبح مناطق عبور وليس مناطق تخزين⁴³. ومن جانب آخر، تساهم الرقابة الجمركية في حماية العلامة التجارية والصناعية من كل الاستغلال غير المشروع وتوفير لها المناخ القانوني والاقتصادي المناسب، للقيام بوظائفها المشروعة، التي تساعد اكثر على النمو الاقتصادي وتعمل اكثر على ترقية أنشطة التصدير والاستيراد وتشجع انظمة الجباية الضريبية في تأدية وظيفتها وتحول دون التهرب او الغش الضريبي.

ج - الوظيفة الاجتماعية

ان لجوء التاجر او الصانع الى اكتساب علامة يخصصها لبضاعته او منتوجه او يقدم من خلالها خدمة للجماهير، لا شك انه بهذا السلوك الحضاري يؤدي الى ازدهار التجارة والصناعة، ويزداد توسعها والطلب عليها، فيتحسن الوضع الاجتماعي لطبقة معينة في المجتمع ويزول الفقر وتنخفض معدلات البطالة وتؤدي الى بروز طبقة اجتماعية متوسطة، وتكون النتيجة تحقيق الرفاه الاجتماعي.

كما يمكن للدور الاجتماعي للعلامة التجارية ان يخدم مصلحة المجتمع من خلال حماية المستهلكين الذين تعودوا على علامة معينة لمدة زمنية معتبرة، وادت جودتها وميزتها الى استقرارها في اذهانهم، فتحولت عندهم الى اداة لتمييز السلع والمنتجات عندهم، فلا يكون من السهل عدم تجديدها لهم من الناحية القانونية بعد استقرارها اجتماعيا.

ثانيا: طرق استغلال العلامة التجارية لتحقيق التنمية الاقتصادية

لا شك ان للعلامة التجارية اسهام كبير واساسي في التنمية والنهوض بالاقتصاد الوطني، فهي تستعمل في هذا المجال بعدة طرق وأساليب، بهذه الصفة تكون في حاجة دائمة الى التنوع والتنافس والجودة وهي المسائل التي قد تضمنها العلامة التجارية في الكثير من الاحيان، اذا ما استعملت واستغلت بشكل صحيح، ووجدت البيئة الاقتصادية المناسبة والمشجعة. خاصة وانها اثبتت وجودها وصلاحيتها في كافة الانظمة الاقتصادية السائدة في العالم. وذلك انطلاقا من طبيعتها التي اهلتها لولوج عالم التجارة والصناعة والاقتصاد بصفة عامة. لعدة اعتبارات منها تمتعها بالصفة الالزامية والاستقلالية والتملك الفردي لشخص طبيعي او معنوي، ولا اعتبارها منقول معنوي.

وللتوضيح اكثر، نتطرق الى العناصر التالية:

1 - استعمال العلامة التجارية لمنع المنافسة غير المشروعة

لتحريك القطاعات التنموية والاقتصاد الوطني وفق الاطر الصحيحة، يكون الاشخاص التجار والصناعيين والاشخاص المعنويين من مؤسسات وشركات تجارية، في حاجة دائمة الى استعمال علامة تجارية او

صناعية تخص اعمالهم ومنتجاتهم او خدماتهم، التي تعمل على تمييزها وحمايتها من اعمال مشابهة لها في السوق الاقتصادية، فتعتبر في هذه الحالة وسيلة لمنع المنافسة غير المشروعة. فالقانون في هذه الحالة لم يميز بين الشخص الوطني والشخص الاجنبي فالكـل يتمتع بحماية علامته بمجرد توفر الشروط القانونية وقبولها للقيد في سجل العلامات، وهذا تشجيعا لحرية التجارة والصناعة وجذب الاستثمارات الاجنبية. ولهذا نلاحظ ان القانون الجزائري قد انتهج طريقا مبسطا في الاجراءات الادارية لايداع العلامات وتسجيلها.

وبالتالي فهو في خدمة المصلحة العامة للاقتصاد الوطني، غير ان القيد الوحيد الذي ربما لا يشجع المتعاملين، يكمن في شرط تسديد الرسوم عند الايداع وكان في الامكان تأجيلها الى حين بداية استعمال العلامة عند اول طلب تسجيل لها. وعليه نتطرق الى التوضيحات التالية:

أ - التسجيل والاستعمال الالزامي للعلامة التجارية

في هذا الاطار، اكد القانون على وجوب استعمال العلامة المودعة في السنة المالية للإيداع، خلال مدة تسجيلها والمحددة بعشر سنوات قابلة للتجديد⁴⁴. وتبقى ملكا للشخص الذي استوفى شروط التسجيل. وهذا لضمان تأدية دورها في المجال التجاري والاقتصادي، الذي يتطلب الاستقرار والانتماء في المعاملات.

ودعما لاستقرار النشاط التجاري والاعمال الخدماتية، فان القانون شجع ايضا كل شخص قام بعرض سلع او خدمات تحت العلامة المطلوبة اثناء معرض دولي معترف به رسميا ان يطلب تسجيلها ويطالب بحق الاولوية فيها ابتداء من تاريخ العرض، خلال اجل ثلاثة اشهر ابتداء من تاريخ انتهاء العرض⁴⁵.

وعليه فانه يترتب على العلامة المسجلة النتائج التالية:

- صاحب العلامة يتمتع بحق الملكية على السلع والخدمات المرتبطة بها
- حق التنازل عن العلامة المسجلة باسمه
- حق منح رخص استغلال العلامة في المجال التجاري والصناعي

- حق منع الغير من استعمال علامته تجاريا دون ترخيص مسبق منه على سلع او خدمات مشابهة

وقد استثنى القانون من التسجيل، العلامة ذات الشهرة في الجزائر والتي تنتمي الى مؤسسة تجارية او صناعية، لأنها اكتسبت الشهرة من خلال النشاط التجاري او الصناعي او الخدماتي الذي ظلت تقوم به تلك المؤسسة التجارية او الشركة، واصبح لها دور اساسي في المجال التجاري والاقتصادي، واكتسبت ثقة المتعامل والمستهلك.

وهذا الإعفاء من الخضوع لإجراء التسجيل مرة اخرى، قد يكون للاعتبارات التالية:

- حفاظا على استمراريته في السوق وعدم حجبها ولو مؤقتا، تشجيعا لدورها في النمو الاقتصادي

- كونها اصبحت بشهرتها الواسعة وسيلة مضمونة وفعالة للحيلولة دون المنافسة غير المشروعة

- تخفيف عبء الاجراءات الادارية والرسوم عن صاحب العلامة المشهورة

- تعود فئة معينة من المستهلكين عليها

ويترتب على عدم استعمال العلامة التجارية ابطالها اذا تجاوزت المدة ثلاث سنوات دون انقطاع من تاريخ التسجيل ما لم يقدم الحجة الكافية بوجود ظروف قاهرة حالت دون استعمالها⁴⁶.

ب - القانون الواجب التطبيق في تسجيل العلامة

في هذه الحالة، يرى جانب من الفقه ان الحق في العلامة لا يتقرر بتسجيلها وانما بالأسبقية في استعمالها، لهذا اخذ البعض منه بإخضاعها لقانون الدولة التي استعملت فيها لأول مرة، وهو الوضع الذي ظل سائدا في فرنسا الى غاية صدور قانون في 1964/12/31م، الذي جعل الحق مرتبط بالتسجيل وليس بالأسبقية في الاستعمال. فيكون القانون الواجب التطبيق، قانون الدولة التي تم فيها التسجيل⁴⁷.

اما القانون المدني الجزائري، فقد اخذ بتطبيق قانون محل وجود العلامة التجارية الذي هو مكان منشأة الاستغلال⁴⁸.

وبغض النظر عن الزامية استعمال العلامة التجارية من الناحية القانونية، فإن المسألة تهم صاحب العلامة من جهة، لأنها ترتب له حقوقا يجب حمايتها وحماية المنتج في حد ذاته، من جهة أخرى.

ج - الاستغلال المشروع للعلامة التجارية

ان استغلال العلامة التجارية يعد امرا حتميا وملزما من الناحية القانونية والاقتصادية، لضمان الجدبة في النشاط التجاري والاقتصادي فهو يمنح العلامة الدور الاساسي، لتحقيق الهدف منها في مجال المال والاعمال، وهو حماية السلع والخدمات ومنع المنافسة غير المشروعة وتكريس مبدأ الائتمان في السوق الاقتصادية. ولهذا فان القانون قيد صاحب العلامة بشروط في حالة عدم استغلال العلامة المسجلة منها اسقاط حقه ومنحها لشخص اخر يطلبها⁴⁹.

وبالتالي فان صاحب العلامة التجارية والصناعية، يجب عليه ان يلتزم قانونا باستغلالها بشكل جدي وحقيقي، حتى تتحقق الوظائف الاساسية لها. والعكس صحيح عند اخلاله بالتزاماته اتجاه العلامة، فانه يترتب عنها سقوط حقه في استعمال العلامة او الاستفادة منها مهما كانت طريقة الاستعمال او الاستغلال.

ولهذا منحه القانون عند استعمالها الحقيقي، مدة طويلة تتمثل في عشر سنوات قابلة للتجديد مرة أخرى، لاعتبارات اقتصادية واجتماعية، وان كان هذا الحق مؤقتا فالمدة كافية لاكتساب الشهرة المتميزة في السوق وبمرور الزمن تزداد قيمتها الاقتصادية وتسمح لها بان تساهم بشكل او بآخر في عدة قطاعات تنموية.

2 - التصرفات الواردة على العلامة تحقق التنمية الاقتصادية

من خصائص الملكية عموما، انها قابلة للتصرف بالاستعمال والاستغلال والانتفاع، وهذا ما يجعلها تندمج في التنمية وتساهم فيها بشكل اساسي، وعليه فان الحق في ملكية العلامة التجارية يخول لصاحبها حق الاستئثار بها والتصرف فيها وفق الاشكال القانونية، كالتنازل عنها ورهنها والترخيص للغير باستغلالها، وتقديمها كحصصة في تكوين رأسمال شركة او

مؤسسة تجارية وانتقال ملكيتها الى الورثة بقوة القانون، وهي الحالات القانونية التي نوضحها فيما يلي:

أ - انتقال الحق في العلامة بالتنازل عنها

نظرا للدور الاساسي للعلامة التجارية في الحياة الاقتصادية، ونظرا لكونها مالا منقولاً معنوياً ومكوناً من مكونات الذمة المالية لمالكها، فإن القانون سمح لصاحب العلامة المسجلة ان يتصرف في ملكية علامته بالطرق المعمول بها في مجال المعاملات المالية، وذلك بنقل الحقوق المخولة له كلياً او جزئياً او رهناً⁵⁰.

كما يمكن لصاحب العلامة، التنازل عنها ونقل ملكيتها للغير، او منح رخصة استغلال بشأنها. واشترط القانون في هذه الحالات، ان تتم عملية التصرف الواردة على العلامة التجارية، بالطرق القانونية المعتادة والمتمثلة اساساً في الكتابة وامضاء الاطراف في عقد نقل الملكية او رهن العلامة المسجلة، او منح رخصة باستغلالها، وفق الاجراءات المعمول بها في القانون المدني⁵¹. وتكون هذه التصرفات منفصلة عن المؤسسة التجارية او المحل التجاري التي تعتبر احدى عناصره.

وعليه فان التصرفات الواردة على العلامة التجارية، تنتج آثارها المدنية حسب طبيعة التصرف الذي قام به صاحب العلامة، وبالتالي تنتقل حقوق العلامة للمالك الجديد او المرخص له بالاستغلال. وتترتب كل الالتزامات المعمول بها منها مبدأ ضمان المبيع وعدم التعرض واحترام مبدأ عدم المنافسة⁵². ويعد انتقال الحق في العلامة باطلاً، اذا كان الغرض منه تضليل الجمهور او الاوساط التجارية، فيما يخص طبيعة او مصدر او طريقة الصنع او الخصائص او قابلية استخدام السلع او الخدمات المرتبطة بالعلامة⁵³. وعند نقل الحقوق المتعلقة بالعلامة يجب قيدها في سجل العلامات الذي تملكه ادارة المعهد الوطني الجزائري للملكية الصناعية بناء على طلب احد الاطراف المتعاقدة ويكون مرفقاً بوثيقة او عقد يثبت نقل الحق⁵⁴.

ب - الرسوم المستحقة على العلامة

يشترط في طلب القيد وتسجيل العلامة التجارية، دفع الرسوم المستحقة التي جاء التأكيد عليها في قوانين المالية السارية المفعول. ابتداء من قانون المالية لسنة 1978م المعدل والمتمم بقوانين لاحقة، خاصة منها قانون المالية لسنة 1986م، وقانون المالية لسنة 1997م، وقانون المالية لسنة 2003م، وقانون المالية لسنة 2007م.

حيث نصت المادة 88 من قانون المالية لسنة 2007م،⁵⁵ على انه تعدل احكام المادة 111، من القانون رقم 11/02، المؤرخ في 2002/12/24م، والمتضمن قانون المالية لسنة 2003م، وتحرر كما يأتي: تحدد تعريفات الرسوم المحصلة لفائدة المعهد الوطني الجزائري للملكية الصناعية بعنوان حماية علامات الصنع والعلامات التجارية والرسوم والنماذج، كما يأتي:

1 - بالنسبة لرسوم الايداع او التجديد

- رسوم الايداع: 14000 دج

- رسم التجديد: 15000 دج

- رسم التسجيل عن كل صنف من المنتجات او الخدمات: 2000 دج

- رسم المطالبة بالأولوية: 1000 دج

2 - الرسوم اللاحقة للإيداع

- رسم تسليم شهادة هوية علامة: 400 دج

- رسم العدول عن استعمال العلامة: 800 دج

- رسم اضافي عن التأخير بشأن تجديد العلامة: 800 دج

3 - رسم التحري وتسليم النسخ

- رسم التحري عن نفس العلامة: 1600 دج

- رسم التحري عن نفس العلامة في ثلاث اقسام: 3000 دج

- رسم تصحيح اخطاء مادية عن كل علامة: 200 دج

- رسم تسليم صورة مطابقة لأصل وثيقة علامة: 200 دج

- رسم تسليم صورة مطابقة عن نظام الاستعمال المشترك للعلامة: 200 دج

4 - الرسوم المتعلقة بسجل العلامات

- رسم تسجيل عقد تنازل او حق امتياز علامة او نقلها عن طريق الارث: 3000دج

- عن كل علامة من العلامات التالية المذكورة في نفس القائمة: 200دج

- رسم تسجيل كافة انواع التسجيلات الاخرى المتعلقة بالعلامة: 1600دج

- رسم تسليم صورة مطابقة للتسجيل في سجل العلامات او شهادة اثبات

عدم تسجيل: 800دج

- رسم وطني لطلب تسجيل دولي لعلامة: 2000دج⁵⁶.

وعليه فان القانون الجزائري قد اولى اهمية مالية للعلامات بكل اصنافها وادرجها ضمن عائدات الخزينة العمومية، فحدد لها رسوم شبه جبائية تساهم في خدمة للاقتصاد الوطني، وللتأكيد ايضا على حمايتها والاستعمال الجدي لها في المجالات التجارية والصناعية والخدمات من جهة، ومن جهة اخرى ادماج الرسوم المالية للمساهمة بشكل او بآخر في تحقيق التنمية الاقتصادية.

ج - الترخيص باستغلال العلامة

لا شك ان العلامة التجارية اصبحت لها قيمة معنوية ومادية لكونها جزء من النشاط الاقتصادي بفضل وجودها في الشركات التجارية والمؤسسات المالية، التي زادت قيمتها بالعلامة التي تمتلكها في السوق والمعاملات. فمن هذا الجانب، تحولت العلامة التجارية والصناعية الى ثروة هامة في المجال الاقتصادي والتجاري كما هو الحال بالنسبة للعلامة التجارية " كوكا كولا " وغيرها .

واصبح لمالك العلامة، ان يتصرف فيها بالإضافة الى كل التصرفات، بتقديم رخصة باستغلالها ايضا، دون التنازل عنها، وهذا تمكينا له باستعمالها او استغلالها، حتى تؤدي الدور المنوط لها في تفعيل التنمية الاقتصادية. ويجب ان يتضمن عقد الترخيص العلامة ومدة الرخصة والسلع والخدمات التي منحت من اجلها والاقليم الذي تستغل فيه العلامة. وتقيد الرخصة في سجل العلامات الذي تمسكه ادارة المعهد الوطني الجزائري للملكية الصناعية.

د - رهن العلامة التجارية

نصت على رهن العلامة المادة 14 و 15 من قانون العلامات، بحيث يجوز انتقالها بالرهن بشرط الكتابة وامضاء الاطراف في عقد رهن العلامة المسجلة وذلك وفق قانون العقود. اما اذا كان انتقال الحق في العلامة بالرهن وكان الغرض منه تضليل الجمهور او الاوساط التجارية فانه يعد باطلا ولا اثر له مثلما وضحه القانون.

هـ - تقديم العلامة كحصة في رأس مال الشركة التجارية

لم يؤكد قانون العلامات التجارية هذه الحالة بشكل صريح لكن يمكن تطبيقها لصالح الشركات بمفهوم نقل الحق في العلامة وفق عقود النقل التي سبقت الاشارة اليها، كرخصة الاستغلال والرهن. ومع ذلك يمكن التصريح بالعلامة كحصة في رأسمال الشركة عند اتفاق الشركاء المؤسسين على ذلك وادراجه كبند في العقد التأسيسي للشركة امام الموثق محرر العقد. لان العلامة باعتبارها منقول معنوي، تكون قابلة للملك والتصرف فيها بالتنازل او الرهن، او الترخيص وبما ان هذا الحق يمكن تقديره ماليا، فانه يكون مقبولا كحصة في الشركة، بشرط ان يقبل الشركاء في القانون الاساسي للشركة هذه الحصة ويقدرن قيمتها نقدا، حتى يمكن اعتمادها في تحديد نسبة الارباح التي تحققها الشركة وتحمل الخسائر ومسئولية الشركة. وبالتالي، تعتبر كحصة مكونة لرأسمال الشركة وتصبح في ذمتها المالية. وفي حالة انقضاء الشركة وحلها يحق لصاحب العلامة استرجاعها من جديد.⁵⁷ كما ان الشركة يمكنها التعامل مع صاحب العلامة بالتعاقد معه على استغلال العلامة او نقل ملكيتها للشركة.

بهذا المعنى، فان العلامة يكون لها دور اساسي في تحقيق اغراض الشركة التجارية، التي لا يمكن فصلها الاهداف الكبرى للتنمية الاقتصادية.

الخاتمة

في الختام نصل الى ان العلامة التجارية لها عدة وظائف، تساهم من خلالها بشكل كبير في جذب الاستثمارات الوطنية والاجنبية لتحقيق التنمية الاقتصادية وتلعب دور اساسي في حماية المنتج والخدمات وتشجع المنافسة المشروعة وتضمن حماية المستهلك كلما كانت العلامة ذات جودة واصالة فتبعث فيه روح الطمأنينة والثقة بالمنتج. فهي تؤدي هذه الوظائف من خلال الاوضاع التالية:

- استعمالها واستغلالها في مختلف المجالات المحركة للاقتصاد والتنمية.
- ارتباطها الوثيق بالقطاعات التجارية والاطواسط المالية والصناعية والحرفية
- لها دور اساسي في حماية وتوفير الشهرة للأشخاص الطبيعية والمعنوية، كالشركات التجارية والمؤسسات المالية، من خلال تمييز منتجاتها وخدماتها، والتشجيع على جذب الزبائن والمتعاملين بشهرة علامتها التجارية.
- اثبتت فعاليتها في توفير الرقابة والحماية، عن طريق تمييز السلع والمنتجات والخدمات
- حظيت بالقبول والمصادقية لدى التجار والشركاء والمتعاملين والمستهلكين.
- تفسح المجال للتاجر صاحب العلامة ان يساهم بها في رأسمال شركة، بدلا من الاوراق المالية

- تسمح للمستهلك بالقدرة على تمييز السلع والمنتجات ومع ذلك نجد ان القانون بالرغم من توفيره للوسائل الملائمة لحماية العلامة التجارية، الا ان الواقع الاقتصادي الحالي، تتنافس فيه علامات متنوعة ومتداخلة فيما بينها ومقلدة، فاصبح المنتج معرض للمنافسة غير المشروعة والاعتداء على علامته التجارية بشتى الوسائل والطرق التدليسية والغش، ما ادى بالمستهلك الى التباس الامور عليه واصبح غير قادر على تمييز العلامة الاصيلية من العلامة المزيفة. وهذا ما يجعل من القائمين بالأمور، من سلطات

ادارية وامنية مختصة، ومجتمع مدني ان يبادروا اكثر بالسهر على حماية العلامة التجارية.

وعليه، نبادر بتقديم الاقتراحات التالية:

- 1 - الاهتمام اكثر بالجوانب القانونية المنظمة للعلامات بكل اصنافها، بالاستفادة من قوانين بعض الدول وتجاربها في مجال التجارة والاعمال
- 2 - الاهتمام بالجانب الهيكلي والتنظيمي الخاص بالمؤسسة المعنية بتسجيل العلامات، المتمثلة في الديوان الوطني الجزائري للملكية الصناعية، بإنجاز مقر مركزي لائق به وفتح فروع تنسيقية على المستوى الوطني، لتشجيع المتعاملين الاقتصاديين، والمخترعين وتقريب الاجراءات الادارية منهم.
- 3 - توسيع العمل بالترخيص لاستغلال العلامة التجارية الواردة في المواد من 16 الى 18، من قانون العلامات باللجوء الى الرخصة الاجبارية، عند عدم استعمال العلامة خلال مدة ثلاث سنوات، لمنع التحايل وحجب العلامة عن وظيفتها الاقتصادية.
- 4 - ان شرط تسديد الرسوم عند اول طلب ايداع للعلامة، يمكن عدم ادراجه في شروط التسجيل، تشجيعا للمتعاملين والفاعلين في القطاع التجاري والصناعي، وتأجيله الى مرحلة استغلال العلامة.
- 5 - تدعيم مصالح الجمارك وتشكيل فرقة مختصة بالجوانب المتعلقة بالعلامات التجارية.

الهوامش

- ¹ : محمود سلام زناتي: القانون الأشوري، طبعة 1972، عين شمس، القاهرة، ص 22.
- ² : عجة الجيلالي : ازمتات حقوق الملكية الفكرية، دار الخلدونية، ط/2012م، الجزائر، ص: 271.
- ³ : Ali Haroun : La protection de la marque au maghreb ; OPU ; Alger, 1979 ;page 18.
- ⁴ : علي محمد مصطفى : تاريخ العرب الاقتصادي قبل الاسلام ، دار المنهل اللبناني، ط/1، 2003، ص:208.
- ⁵ : عبد الحميد خطاب: كتاب الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر، ص: 38.

- ⁶ : الطيب زروتي: مرجع سابق ، ص: 300.
- ⁷ : الامر رقم: 57/66، المؤرخ في 19 مارس 1966م المتعلق بعلامات المصنع والعلامات التجارية
- ⁸ : الأمر رقم 06/03 المؤرخ في 06/07/2003م، المتعلق بالعلامات والساري المفعول.
- ⁹ : سمير جميل حسين الفتلاوي: الملكية الصناعية وفق القوانين الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط/1988م، الجزائر ، ص: 257.
- ¹⁰ : المادة 43 من دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المؤرخ في: 28 نوفمبر 1996م المعدل في 14
- ¹¹ : الامر رقم: 06/03، المؤرخ في 06/07/2003م، المتعلق بالعلامات
- ¹² : المادة الثانية من الامر رقم: 06/03، المؤرخ في 06/07/2003م، المتعلق بالعلامات
- ¹³ : الفقرة الرابعة من نفس المادة المذكورة اعلاه
- ¹⁴ : الفقرة الثالثة من نفس المادة المذكورة اعلاه
- ¹⁵ : الفقرة الثانية من المادة 140 مكرر من القانون المدني الجزائري
- ¹⁶ : الفقرة الاولى من المادة 140 مكرر من القانون المدني الجزائري
- ¹⁷ : فرحة زراوي صالح: الكامل في القانون التجاري الجزائري - الحقوق الفكرية - ابن خلدون للنشر، ط/2006 ، ص: 201.
- ¹⁸ : شريف محمد غنام: حماية العلامات التجارية عبر الانترنت في علاقتها بالعنوان الإلكتروني، دار الجامعة الجديدة ، 2007، الاسكندرية، ص: 17.
- ¹⁹ : الفقرة الثانية من المادة الثانية من الامر اعلاه
- ²⁰ : المادة 23 من الامر 06/03، المؤرخ في 06/07/2003م
- ²¹ : المادة 13 من المرسوم التنفيذي رقم 277/05، المؤرخ في: 02/08/2005م، الذي يحدد
- كيفية ايداع العلامات وتسجيلها.
- ²² : المادة 31 من نفس المرسوم السابق
- ²³ : فرحة زراوي صالح : مرجع سابق ، ص: 201.
- ²⁴ : سمير جميل حسين الفتلاوي: مرجع سابق ، ص: 252.
- ²⁵ : نصرالدين حسن احمد: عناوين مواقع الانترنت، منشورات زين الحقوقية ، بيروت لبنان، ط/2008م، ص: 90.
- ²⁶ : مصطفى كمال طه: النظرية العامة للقانون التجاري والبحري - دراسة مقارنة - منشورات الحلبي الحقوقية، ط/1، بيروت، لبنان ، 2006م، ص: 102.
- ²⁷ : انضمت الجزائر لاتفاقية باريس، بموجب الامر رقم: 48/66، المؤرخ في 25/02/1966م. وصادقت عليها بجميع تعديلاتها بالامر رقم: 02/75، مؤرخ في 09/01/1975م

- ²⁸ : الطيب زروتي : القانون الدولي للملكية الفكرية – تحاليل ووثائق – مطبعة الكاهنة ، ط/1، 2004، الجزائر، ص: 139.
- ²⁹ : الطيب زروتي : نفس المرجع ، ص: 82.
- ³⁰ : البند السادس والسابع والثامن من اتفاقية باريس والتي انضمت اليها الجزائر في 25 مارس 1966م.
- ³¹ : يوسف مسعداوي ، دراسات في التجارة الدولية، دار هومة، ط/2، 2016، الجزائر، ص ص، 122 – 123.
- ³² : الطيب زروتي : مرجع سابق ، ص: 300.
- ³³ : التي تعرف اختصارا باتفاقية تريبس on Related Aspects of intellectual (Agreement property Rights)
- ³⁴ : السيد احمد عبد الخالق: الاقتصاد السياسي لحماية قانون الملكية الفكرية، دار الجامعة الجديدة، طبعة 2006م، الاسكندرية، ص: 246.
- ³⁵ : السيد احمد عبد الخالق: نفس المرجع، ص: 254.
- ³⁶ : وهو الاستثناء الوارد في المادة الثامنة من الامر 07/03، المؤرخ في 19/7/2003م، المتعلق ببراءات الاختراع
- ³⁷ : Ali Haroun, La protection de la marque au Maghreb , O.P.U ; 1979 ; Alger ; page 19.
- ³⁸ : وادي جمال: العلامة التجارية في التشريع الجزائري، مجلة دراسات قانونية، العدد 03، أكتوبر 2002، دار القبة للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، ص 51.
- ³⁹ : المادة الثالثة من الامر 06/03، المؤرخ في 19/07/2003م، المتعلق بالعلامات
- ⁴⁰ : المادة السابعة من الامر 03 – 06، المؤرخ في 19/07/2003م، المتعلق بالعلامات
- ⁴¹ : القانون رقم 07 – 79 المؤرخ في 21 يوليو سنة 1979 والمتضمن قانون الجمارك، المعدل والمتمم.
- ⁴² : المادة 22 من القانون رقم 07 – 79 المؤرخ في 21 يوليو سنة 1979 والمتضمن قانون الجمارك، المعدل والمتمم، بموجب قوانين المالية.
- ⁴³ : موسى بود هان: النظام القانوني لمكافحة التهريب في الجزائر، دار الحديث للكتاب، ط/1، 2007، الجزائر، ص 114.
- ⁴⁴ : المادة الخامسة من الامر 06/03،
- ⁴⁵ : المادة السادسة من نفس الامر اعلاه
- ⁴⁶ : المادة 11 من الامر 06/03، المؤرخ في 19/07/2003م، المتعلق بالعلامات
- ⁴⁷ : اعراب بلقاسم: القانون الدولي الخاص الجزائري – تنازع القوانين – دار هومة، 2001م، الجزائر، ص: 297.

- 48 : المادة 17 مكرر ، من القانون المدني الجزائري
49 : فرحة زواوي صالح : مرجع سابق ، ص : 248.
50 : المادة 14 من قانون العلامات
51 : المادة 15 من قانون العلامات
52 : فرحة زواوي صالح : مرجع سابق ، ص : 251.
53 : المادة 14 من قانون العلامات
54 : المادة 22 من المرسوم التنفيذي رقم 277/05 ، المؤرخ في : 02/08/2005م ، الذي يحدد
كيفية ايداع العلامات وتسجيلها .
55 : قانون رقم 24/06 ، مؤرخ في 27/12/2006 ، المتضمن قانون المالية لسنة 2007م ، ج . ر عدد
85.
56 : المادة 88 من القانون رقم 24/06 ، مؤرخ في 27/12/2006 ، المتضمن قانون المالية لسنة
2007م ، ج . ر عدد 85.
57 : فرحة زواوي صالح : مرجع سابق ، ص : 254.

المراجع

اولا: القوانين

- 1 : الامر 2/75 ، المؤرخ في 9/1/1975م ، المتعلق بانضمام الجزائر الى اتفاقية باريس لسنة
1883م . المنشور بالجريدة الرسمية عدد 1975/10 .
2 : دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المؤرخ في : 28 نوفمبر 1996م المعدل في
14/04/2002م و 16/11/2008م ، و 6/03/2016م .

3: القانون المدني

4: القانون التجاري

- 5 : الامر رقم : 06/03 ، المؤرخ في 19/07/2003م ، المتعلق بالعلامات
6 : القانون رقم 07 – 79 المؤرخ في 21 يوليو سنة 1979 والمتضمن قانون الجمارك ، المعدل
والمتمم ، بموجب قوانين المالية .
7 : قانون رقم 24/06 ، مؤرخ في 27/12/2006 ، المتضمن قانون المالية لسنة 2007م ، ج . ر عدد
85.

- 8 : المرسوم التنفيذي رقم 277/05 ، المؤرخ في : 02/08/2005م ، الذي يحدد كيفية ايداع

العلامات وتسجيلها

ثانيا: المؤلفات

- 1 – السيد احمد عبد الخالق: الاقتصاد السياسي لحماية قانون الملكية الفكرية، دار الجامعة
الجديدة، طبعة 2006م، الاسكندرية.

- 2 : الطيب زروتي : القانون الدولي للملكية الفكرية – تحاليل ووثائق – مطبعة الكاهنة ، ط/1، 2004، الجزائر.
- 3 : اعراب بلقاسم: القانون الدولي الخاص الجزائري – تنازع القوانين – دار هومة، 2001م، الجزائر،
- 4 : سمير جميل حسين الفتلاوي: الملكية الصناعية وفق القوانين الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط/1988م، الجزائر.
- 5: شريف محمد غنام: حماية العلامات التجارية عبر الانترنت في علاقتها بالعنوان الإلكتروني، دار الجامعة الجديدة، 2007، الاسكندرية.
- 6 – نصرالدين حسن احمد: عناوين مواقع الانترنت، منشورات زين الحقوقية، بيروت لبنان، ط/2008م.
- 10: فرحة زواوي صالح: الكامل في القانون التجاري الجزائري – الحقوق الفكرية – ابن خلدون للنشر، ط/2006.
- 11 : يوسف مسعداوي ، دراسات في التجارة الدولية، دار هومة، ط/2، 2016، الجزائر.
- 13 : محمود سلام زناتي: القانون الآشوري، طبعة 1972، عين شمس، القاهرة.
- 17 : مصطفى كمال طه: النظرية العامة للقانون التجاري والبحري – دراسة مقارنة – منشورات الحلبي الحقوقية، ط/1، بيروت، لبنان ، 2006م.
- 21 : موسى بود هان: النظام القانوني لمكافحة التهريب في الجزائر، دار الحديث للكتاب، ط/1، 2007، الجزائر، ص 114.
- ⁵⁷ : وادي جمال: العلامة التجارية في التشريع الجزائري، مجلة دراسات قانونية، العدد 03، اكتوبر 2002، دار القبة للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر.
- : علي محمد مصطفى : تاريخ العرب الاقتصادي قبل الاسلام ، دار المنهل اللبناني، ط/1، 2003.
- ⁵⁷ : عبد الحميد خطاب: كتاب الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر
- 14 : Ali Haroun, La protection de la marque au Maghreb , O.P.U ;1979 ; Alger .



حالة القطاع الفلاحي في ولاية لعصابة بموريتانيا بين اكراهات الوسط الطبيعي والامكانات المادية للسكان الريفيين

The State of the Agricultural Sector in the Province of Lasaba in Mauritania Between The Constraints of the Natural Milieu and the Material Capabilities of the Rural Population

عبد الله سيدي محمد أبنو

abdoullah2@yahoo.fr

أستاذ الجغرافيا البشرية المساعد؛ قسم العلوم الاجتماعية - كلية الآداب
والفنون. جامعة حائل. السعودية

تاريخ القبول: 2019-05-27

تاريخ الاستلام: 2019-03-12

ملخص -

مما لاشك فيه أن موضوع إعداد المجال والتنمية الترابية كمفهوم وكبرنامج عمل، أضحى يتصدر قائمة الأولويات والقضايا التي تشغل جل الدول، إيماننا منها على أنه السبيل الوحيد لتبوء مكانتها داخل منظومة المجتمع الدولي والذي أصبح يفرض على الدولة تطوير بنيتها الاقتصادية والاجتماعية، تناولت هذه الدراسة بالبحث والتحليل القطاع الفلاحي بشقيه الرعوي والزراعي بولاية لعصابة بموريتانيا، وقد شخّصت الدراسة الوضعية الراهنة لهذا القطاع الذي تعتمد عليه غالبية السكان في الأرياف الموريتانية، وتوصلت إلى نتائج مهمة لتطويره.

الكلمات المفتاحية -

القطاع الزراعي - الزراعة - التنمية - التنمية الفلاحية - المجالات
الريفية

Abstract -

There Is No Doubt That The Topic Of Preparing The Field And The Development Of Land As A Concept And A Work Program Has Become The Top Priority And The Issues That Concern Most Countries, Believing That It Is The Only Way To Take Its Place Within The International Community, Which Has Forced The State To Develop Its Economic And Social Structure. The Agricultural Sector, Both Pastoral And Agricultural, In The State Of The Gang In Mauritania, Has Been Identified In The Study The Current Situation Of This Sector, Which Depends On The Majority Of The Population In Rural Mauritania, And Reached Important Results For Development

Keywords -

The Agricultural Sector - Agriculture - Development - Agricultural Development - Rural Areas

مقدمة:

واجهت موريتانيا منذ ستينيات القرن الماضي مناخا غير ملائم بحكم قساوته، إذ شهد الوسط الطبيعي تدهورا كبيرا، نتيجة تأثير الجفاف و التصحر، الأمر الذي أدى إلى وجود اقتصاد هش ومتخلف.

ولطالما كان تطوير القطاع الزراعي والنهوض به هاجسا يؤرق صناع القرار في الدول السائرة في طريق النمو، وذلك للأهمية الكبيرة التي يشغلها القطاع الفلاحي في مجال التنمية، باعتباره مركزا حيويا واستراتيجيا في تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي لموريتانيا، و الحد من الاعتماد على الواردات و من التبعية الاقتصادية التي تهدد استقلال الدول، خصوصا في عصر يشهد أزمات مالية تنعكس على توفير الغذاء في المقام الأول.

و على المستوى الداخلي، لا تخفى أهمية القطاع الزراعي في الرفع من المستوى المعيشي للمواطن، وهذا ما ينعكس إيجابا على كل القطاعات الوطنية الأخرى.

ورغم إدراك الدولة الموريتانية لأهمية القطاع الفلاحي، إلا أن السياسات المرسومة في إطار كل الخطط الاقتصادية لم ترق نتائجها أبداً إلى مستوى تطلعات المواطن الموريتاني.

اشكالية البحث:

إن الطبيعة الصحراوية للأراضي الموريتانية، وعدم انتظام الأمطار، وضعف مستواها في أغلب مناطق البلاد، وانعدام المياه السطحية الصالحة للزراعة؛ كل ذلك جعل من الزراعة نشاطاً ثانوياً تتطلب ممارسته قدراً كبيراً من المثابرة والتصميم والوعي، وفي أحيان أخرى النشاط الوحيد الممكن مزاولته في بعض مناطق البلاد من قبل ساكنتها، وبالتالي لم تكن هناك زراعة حقيقية، بمعنى وجود مزارعين لهم أراضي زراعية، باستثناء زراعة الواحات التي كانت تركز على زراعة النخيل وبعض المحاصيل الثانوية. أما النشاط الرئيسي، فقد كان عبارة عن زراعة تقليدية موسمية تعتمد على الأمطار؛ من هنا تأتي إشكالية البحث التي تحاول الكشف عن أهم مميزات القطاع الفلاحي في إحدى الولايات الموريتانية ذات الكثافة السكانية المرتفعة، والأنشطة الاقتصادية التقليدية.

فرضية البحث:

تقوم الدراسة على فرضية مؤداها أن وضع التنمية الفلاحية المستدامة في المناطق الريفية الموريتانية -خصوصاً منطقة ولاية لعصابة- وبالحجم المطلوب إلى تطويرها تنموياً لا يتماشى مع مؤهلاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتنمية ريفية -حضرية مستدامة

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مجموعة من الأهداف أهمها:

- 1 - الكشف عن أهم مؤهلات ومعوقات القطاع الفلاحي في ولاية لعصابة بموريتانيا
- 2 - رصد أوجه القصور التنموي في المجال الريفي وكيفية وضع حلول له.

أولاً: القطاع الفلاحي بولاية العصابة بموريتانيا:

تمارس الزراعة في أغلب الأحيان، إلى جانب تربية الماشية بموريتانيا. ويعتبر عامل التوفيق بين الزراعة وتربية الماشية، ومشكل الملكية العقارية، من أهم المعوقات الرئيسية التي تحول دون نجاح القطاع الفلاحي بموريتانيا.

1. عوامل الإنتاج الزراعي.

ترتبط الزراعة في منطقة ولاية لعصابة بالظروف الطبيعية، كما ترتبط بالعوامل البشرية والفنية، حيث يشكل العمل والخبرة الفنية والتمويل أهم الركائز لأي إنتاج، وخصوصاً الإنتاج الزراعي.

ويواجه النشاط الزراعي بولاية لعصابة جملة من العوائق والعقبات ظلت حتى وقتنا الراهن حجر عثر أمام تطويره، مما انعكس سلباً على إنتاجية هذا النشاط، الذي يعتبر من أهم الأنشطة الاقتصادية بالوسط الريفي، وتعتمد عليه شريحة كبيرة من سكان المنطقة، ورغم أهمية المساحة الصالحة للزراعة مقارنة مع باقي مناطق موريتانيا والحجم الكبير لليد العاملة في هذا القطاع، إلا أن إنتاجيته ظلت ضئيلة ومتذبذبة جداً، الشيء الذي يُترجم أن المشكل لا يكمن في المساحة فحسب، بقدر ما يكمن في عوامل الإنتاج الطبيعية والبشرية والتي تحكمته في نوع وكم الإنتاج بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

1- 1 - عوامل الإنتاج الطبيعية: تعد عوامل الإنتاج الطبيعية من أهم العوامل المؤثرة في الزراعة بولاية العصابة، وذلك نظراً لضعف الآليات والوسائل المستخدمة قصد الرفع من قيمة القطاع الريفي بشكل عام والزراعة بشكل خاص، لذلك فإن عدم ملائمة أي عنصر من هذه العناصر الطبيعية الفاعلة ستكون له انعكاسات واضحة على النشاط الزراعي، ويمكن حصر أهم هذه العوامل في نقص المياه، والجفاف والتصحر، وتدني خصوبة التربة... الخ.

1- 1- 1 - خضوع النشاط الزراعي لنظام التهطل المطري: تلعب المياه دوراً كبيراً في إنعاش الإنتاج الزراعي وخاصة الزراعة الواسعة التي ترتبط أكثر من غيرها - ارتباطاً كلياً بمياه الأمطار، ومع ذلك فإن أبرز التحديات التي تواجهها البيئات الجافة وشبه الجافة، تتعلق بقلّة الأمطار ونُدرة المياه. حيث تعمل هذه الوضعية على استمرار زحف الرمال على أغلب المساحات الزراعية

نتيجة الحركة السريعة للكتبان الرملية التي تعمل الرياح على تسهيل حركتها بشكل دائم ومستمر.

ومن خلال دراسة للمؤهلات الطبيعية بولاية لعصابة؛ استنتج مدى تذبذب الأمطار بها وقلة المتساقط منها فصليا، حيث لا تتجاوز كميات الأمطار التي تتساقط عليها سنويا في أحسن الأحوال بين 200 إلى 250 ملم، هذه الوضعية اثرت على الزراعة وأنشطة المزارعين، حينما لم توفر لهم الأمطار القدر الكافي لزراعة سدودهم، هذه الوضعية تزيد انعكاساتها في ظل غياب قطاعات مسقية في الولاية.

1- 1- 2 - خصوبة التربة: إن طبيعة التربة بالمنطقة تعتبر ذات أهمية محدودة في مجال الزراعة حيث تتمثل المناطق ذات التربة الغنية نسبيا بالمواد العضوية والصالحة للزراعة في أماكن تجمع المياه كالمنخفضات المتمثلة في الحواجز والسدود، لكن هذه المنخفضات زيادة على كونها غير مستصلحة زراعيًا، عانت كثيرا بفعل عوامل التصحر والجفاف الذي عمل على مزجها بتربات فقيرة وشديدة النفاذية مثل تربة الكتبان الرملية التي تنتشر على نطاق واسع في ولاية العصابة، مما أدى إلى اختفاء الكثير من هذه المنخفضات تحت تأثير هذه الكتبان لتلعب دورا كبيرا في إفقاد التربة للكثير من مكوناتها العضوية وأصبحت هشة أمام عوامل التعرية الريحية والمائية مما انعكس سلبا على كم ونوع الإنتاج الزراعي، ومن أمثلتها: الكتبان الرملية المطلة على المنخفضات السهلية والتي عمل برنامج مكافحة التصحر في بداية تسعينات القرن الماضي على مقاومتها من خلال زرع أحزمة خضراء، إلا أن هذه الأشجار كان لزراعتها دور سلبي على المناطق الزراعية، خصوصا تلك التي تعرف زراعة النخيل، نظرا لأن جذور هذه الأشجار تغوص بعيدا في أعماق التربة، وبالتالي عملت على مضايقة النخيل، واستنزاف الفرشة المائية.

1- 2- عوامل الإنتاج البشرية: تعتبر عوامل الإنتاج البشري عنصرا بالغ التأثير على أي نشاط اقتصادي مهما كان نوعه، وتزداد الحاجة إلى العنصر البشري إذا كان هذا النشاط يرتبط بالوسط الريفي، حيث تغيب الآلة والمعدات الحديثة، بالإضافة إلى تعقد وضعية الملكيات العقارية، وكذا ضعف الإرشاد

الزراعي ونقص الوسائل والمعدات، وهجرة اليد العاملة، إضافة إلى مشاكل التسويق، وغياب مشاريع استثمارية في المجال الزراعي تساعد في تنميته بشكل عام وتفتح له آفاقا للانفتاح على مجالات أخرى، تصدير، تصنيع... الخ. ومن أبرز عوامل الإنتاج البشرية ذات الأثر المتحكم في الزراعة بولاية لعصابة.

1- 12. الوضعية القانونية للأرض:

يشكل العقار إحدى الركائز الأساسية لعملية التنمية وإعداد المجال. كما يعد إحدى وسائل الإنتاج الضرورية، فنظام الملكية وحجم الاستغلاليات له تأثير مباشر على نظام الإنتاج، وعلى الفرص المتاحة لتعبئة العقار خدمة للتنمية الترابية. غير أنه لا يزال نظام ملكية الأراضي بموريتانيا يشكل أكبر تحدي أمام المشاريع التنموية، بحيث لا زالت الجماعات القبلية تهيمن على ملكية الأراضي بحجة ملكيتها إثر التقسيم الذي قام به المستعمر للأراضي وتوزيعها على زعماء القبائل.

ولا يزال لنوع ملكية الأرض دورا أساسيا في التأثير سلبا أو إيجابا على الإنتاج الزراعي عموما، ويختلف ذلك التأثير من مجتمع لآخر، ومن منطقة لأخرى، كما يختلف باختلاف الأنظمة الاقتصادية، فالاختلاف من الملكية الفردية إلى الملكية الجماعية يؤثر على قوة العمل وبالتالي على نوعية الإنتاج، كما أن سيطرة مجموعة ما على الأرض الصالحة للزراعة تعني حرمان مجموعة أخرى منها، بينما قد يعني توزيع الأرض على مختلف الأفراد تقطيع للمجال بشكل تصبح معه المساحات لا تتحمل إنتاجا كبيرا أو متنوعا بسبب صغرها، خاصة في المناطق التي تكون فيها الأراضي الصالحة للزراعة محدودة، إلى غير ذلك من المؤثرات ذات الصلة بالأوضاع العقارية للأرض.

وتطرح ملكية الأرض مسألة حساسة في موريتانيا، بحيث يلاحظ اليوم أن بعض القبائل ما زالت تأخذ قيمتها وهيبتها بما تملكه من الأرض، لذا فإن مسألة ملكية الأرض ظلت مثار خلاف دائم بين حكومات هذه البلاد ومجتمعاتها، على اعتبار أنها وليدة سياسة استعمارية اتخذها المستعمر من أجل السيطرة على شعوب مستعمراته، وهذا المشكل يزداد ضراوة إذا ما أخذناه على مستوى

موريتانيا حيث وجدت الدولة الناشئة بعد الاستقلال أمامها نظاما معقدا يسوده الطابع القبلي وكان ذلك نتيجة لتصرف الإدارة الفرنسية الاستعمارية التي عملت على تقسيم القطع الأرضية على شيوخ العشائر والوجهاء الذين عملوا على نصرتها، مما انعكس سلبا على توزيع الأراضي بصفة غير متكافئة على المواطنين¹.

وتعتبر منطقة الدراسة من أكثر المناطق احتضانا لهذه الظاهرة، ويرجع ذلك إلى تباين النسيج القبلي من حيث حجم النفوذ، مما انعكس بشكل طبيعي على عدم توازن الملكية العقارية للأرض، فظلت لكل قبيلة حوزتها الترابية، ولا يمكن لغير أفرادها أن يحفر فيها الآبار أو يزرعها مخافة أن يحوز ملكيتها فيما بعد، وكثيرا ما احتدمت النزاعات القبلية بشأن ملكية الأراضي وترسيم حدودها، وحتى داخل القبيلة الواحدة تطرح المسألة العقارية أكثر من مشكل.

إضافة إلى تشتت الملكية العقارية بسبب النزاعات نفسها أو الإرث الذي يعد من أكبر المعوقات العقارية بالمنطقة، هذا على الرغم من أن الدولة قامت سنة 1983 بإنشاء قانون للإصلاح العقاري (القانون رقم 83/127) والذي يعتبر أن الأرض ملك لمن أحيها وما عدى ذلك يعتبر ملكا للدولة تتصرف فيه متى شاءت، كما أصدرت عقب ذلك مرسوما آخر سنة 1990 ينص على أن النظام العقاري قد ألغي إلى الأبد، وفي سنة 2000 أدخلت ترتيبات جديدة على هذا القانون بموجب مرسوم رقم 2000/89 الصادر في 17 من يوليو يهدف إلى تخفيف الإجراءات وعقلنة أكبر في تسيير سياسة منح الأراضي²، ورغم أهمية هذه القوانين فإنها ما زالت غير فاعلة في الأوساط الريفية كما أن تعدد المصالح الفنية المكلفة بها (وزارات الداخلية، التنمية الريفية، المالية) يجعل القرارات بطيئة التنفيذ، ومنه فان سياسة الإصلاح العقاري، إذا كان لها انعكاس يذكر

¹ - الشيخ ولد الشيباني "إمكانيات وعوائق التنمية الريفية المستدامة في مقاطعة العيون - موريتانيا" 2009، ص: 105.

² - الجمهورية الإسلامية الموريتانية، "الحالة الراهنة للقطاع الريفي في موريتانيا وآفاقه" 2007، ص: 29.

فإنه يقتصر على المناطق المستصلحة على ضفة النهر، أما مناطق الزراعة المطرية فلا تزال استفادتها من هذه السياسة لم تتضح بعد.

1- 2- 2. **مشكل التمويل:** من أجل تطوير الإنتاج الزراعي لا بد من توفير المال كأحد أهم عوامل الإنتاج، ووعيا من الدولة بمدى ارتباط التقدم الزراعي بالموارد المالية، رصدت في الخطط التنموية وبرامج الإصلاح الهيكلي مجموعة الاستثمارات العمومية المخصصة لتمويل النشاط الزراعي، كما أنشأ صندوق القرض الزراعي لدعم المزارعين، إلا أنه ظل لحد الساعة متمركزا في مدينة انواكشوط ولم تستفد منه سوى مناطق الزراعة المروية على ضفة النهر، ليتبقى المجالات البورية بعيدة من أن تطاله تدخلات هذا الصندوق، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الفقر (56%) بولاية لعصابة مقابل (42%) على المستوى الوطني مهيمنا على نسبة (70% فئة المزارعين) ³ كعائق دون الولوج إلى التمويل الذاتي، وقد حكمت هذه الوضعية على النشاط الزراعي بها أن ظل أسيرة مجموعة من القواعد منها: ضعف التجهيز الهيدروفلحي وضعف الحماية (السياج) وتدني المردودية.

1- 2- 3 - **غياب الإرشاد الزراعي:** يعتبر التكوين والإرشاد الزراعي عاملان فاعلان في تنمية القطاع الزراعي، فبواسطتهما يمكن نقل المعارف ونتائج البحوث العلمية إلى المزارعين لكي يتمكنوا من تحسين طرق إنتاجهم والرفع من خبراتهم لتطبيقها في المجال الزراعي، فالإرشاد الزراعي إذن عملية تعليمية وتوعوية مباشرة تنقل بواسطتها التجارب الزراعية إلى المزارع بصفة تتماشى ومستواه الثقافي مما يعود عليه بالنفع مستقبلا. ولا يزال الإرشاد الزراعي بموريتانيا مقتصرا الآن على مناطق الزراعة المروية على ضفة النهر.

1- 2- 4 - **عدم استخدام الأسمدة والمخصبات الزراعية:** تلعب المدخلات الزراعية عامة دورا أساسيا إلى جانب عوامل الإنتاج الأخرى في الرفع من إنتاجية الأرض، وتتكون من مواد عضوية وأخرى معدنية تساهم في تخصيب التربة والرفع

³ - الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وزارة الشؤون الاقتصادية والتنمية "الإطار

الاستراتيجي لمحاربة الفقر 2008" ص: 8.

من إنتاجيتها وتزداد أهمية هذه المواد نظرا لتدهور التربة وفقرها الناجم عن دينامية التعرية وزحف الرمال بشكل مستمر.

1- 2- 5 - استخدام تقنيات زراعية بدائية لا تساعد على تحسين المردودية: إن المتتبع للمشهد الزراعي ليس فقط على عموم أنحاء الولاية يلاحظ للوهلة الأولى بدائية الوسائل المستخدمة فيه بدءا بعملية البذر وانتهاء بالحصاد، وهو عائق جعل جل المزارعين يهدرون أوقاتهم ولا ينتجون بالمقابل ما يسد رمقهم.

1- 2- 6 - ظروف تسويق غير مشجعة: إذا أضيفت إلى هذه الأوضاع المردودية المتدنية لما يتم حصاده بالنسبة لكل مزارع فإن النتائج المستخلصة تؤدي دائما إلى السير في الاتجاه المغاير لمزاولة الزراعة بشتى أشكالها، فمن الملاحظ أن سنوات الجودة في الإنتاج يرافقها تدن في الأسعار، وذلك ما انعكس سلبا على المزارع. أما سنوات الشح فإن الكمية المحصلة لا تكفي للاستهلاك السنوي لأصحاب المزرعة أو الحقل مما ينجر عنه تراكم مديونية جانبية لتغطية الحاجات الأخرى (الأرز - القمح - السكر والشاي والألبسة... الخ).⁴

1- 2- 7 - هجرة اليد العاملة: تعتبر هذه الظاهرة من أخطر ما يواجهه النشاط الزراعي بالمنطقة خاصة في ظل التمايز الواضح في مستوى المعيشية والخدمات فيما بين المدن والأرياف الموريتانية، إذ أن هذا البعد لم توليه الدولة عناية جادة، رغم محاولاتها في هذا الإطار، لذا أدت تقلبات الإنتاج تبعا لحالة الأمطار وضعف وسائل المزارعين المادية والبشرية إلى البحث عن أعمال مكملية في الأشهر اللاحقة للحصاد، وكان ذلك في البداية محصورا في فترة زمنية تنتهي مع بداية هطول الأمطار ليعود المزارع عندها إلى موطنه الأصلي، غير أن الصورة تبدلت وبدا هؤلاء يستقرون في المراكز الحضرية معتمدين على تلك الأعمال التي كانوا يزاولونها موسميا، وانقطعت رابطتهم بالحقول وإعدادها⁵ وانعكست العملية سلبا على المساحات الزراعية وإنتاجيتها بالولاية عموما وهي مقتضيات أسهمت مع مرور الوقت في خلق عزوف واسع النطاق عن ممارسة الزراعة

⁴ - سيدي عبد الله المحبوبي "الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا...." 1998، ص: 202

⁵ - نفس المرجع السابق، ص: 205.

التقليدية، أو تحول عبثها على كاهل كبار السن والنساء والأطفال في ظل غياب شبه تام للزراعة المروية.

2- أنواع الزراعة السائدة:

من خلال الرجوع إلى الطبيعة المناخية الجافة والصعبة، يتضح أن الأنشطة الزراعية في منطقة ولاية العصابة تعتمد أساسا على الزراعة المطرية التي لا يتحكم فيها المزارع، إنما ترجع في الأساس إلى مستوى الأمطار المسجلة، وتمارس الزراعة المطرية في مناطق واسعة من ولاية العصابة، وتنقسم هذه الزراعة إلى زراعة مطرية بعلية، وزراعة مطرية خلف السدود. كما توجد الزراعة الواحية، هذا بالإضافة إلى الزراعة المروية التي تتجسد في زراعة الخضروات. وهذه الأنشطة الزراعية تتميز بضعف المردودية، إذ لا تزال تتحكم فيها الظروف الطبيعية إلى درجة كبيرة، ويعتبر الجراد الصحراوي المهاجر من الخاطر التي تهدد الأنظمة الزراعية.

ومن أهم أصناف الزراعة الممارسة في ولاية العصابة:

1- الزراعة المطرية:

سميت بالزراعة المطرية نظرا لارتباطها بمياه الأمطار، وهي الأكثر شيوعا بالريف الموريتاني وتختلف مساحتها من سنة لأخرى تبعا لكميات الأمطار التي يظل النشاط الزراعي رهين بها في موريتانيا، وتقدر مساحة الزراعة المطرية بـ 14551 هكتار، كما أن المنطقة المحاذية لـ "وادي كاركور" تعتبر منطقة زراعية من أغني المناطق وأكثرها قابلية للتنوع الزراعي⁶. ويعتبر النشاط الزراعي مصدر غذائي لشريحة مهم من الساكنة المحلية، كما يشكل مصدر دخل للعديد منهم⁷. ومن أهم أنواع الحبوب التي تزرع بها هي الذرة البيضاء ، والدخن ، والفاصوليا.

1- 1- الزراعة البعلية : تمارس الزراعة البعلية مباشرة بعد سقوط الأمطار ابتداء من شهر يوليو وتستمر إلى غاية شهر نوفمبر وذلك في جنوب

6 - CENTRE MAURITANIE D'ANALYSE DE POLITIQUES-2004.ibid . 30.

7- Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa- 2010.p45 .

ووسط الولاية ، وقد عرفت تراجعا قويا خلال سنوات الجفاف الذي ضرب منطقة الساحل في بداية السبعينات من القرن المنصرم، وتقدر مساحتها حاليا بـ 60.000 هكتار على عموم تراب الولاية، ولا يستغل منها خلال السنوات المطيرة سوى مساحة تتراوح بين 23.000 و 27.000 هكتار⁸، ويدخل في هذه المساحات بعض الحواجز الترابية الصغيرة التي تسمح بتخزين مياه الأمطار لعدة أيام، ويزرع في هذا النوع الذرة الصفراء وال فول السوداني وتقدر إنتاجية الهكتار فيها ما بين 350 إلى 500 كغ للهكتار بمعدل إنتاج سنوي يصل إلى 13.500 طن⁹.

1- 2 - الزراعة خلف السدود: تعتبر الزراعة خلف السدود في ولاية العصابة ذات أهمية كبرى. إذ تمثل التقنية الوحيدة للاستفادة من مياه الأمطار، ونظرا لذلك فإن هذه التهيئة تتطلب جهودا مالية وتقنية وفكرية متكاملة، لما تمليه طبيعة السيول في موسم الخريف التي تتسم بالفضائية والعنفوان، وهو الأمر الذي ظل مغيبا خلال دراسة مختلف أنواع السدود في موريتانيا، حيث تتعرض السدود التقليدية (سدود تبنى بالرمل) للتحطم سنويا لسوء تصميمها، كما لا تخلو السدود الحديثة (التي تبنى بالإسمنت والحجارة) من مشاكل ترتبط بالجوانب التقنية المتبعة عند انجازها وكذلك في مرحلة ما بعد الانجاز، حيث تنعدم الصيانة في كثير من الأحيان، وهي مقتضيات نجم عنها عدم السيطرة على تعبئة مياه الأمطار لصالح الزراعة، لتسهم إلى جانب ضعف مساحات هذه السدود في توسع مساحات الزراعة المباشرة، التي تعتمد على المياه المنحصرة في المنخفضات أو في المستنقعات؛ ويمكن تصنيف السدود هنا إلى صنفين أساسيين هما: السدود التقليدية والسدود الحديثة، تنضاف إليهما الحواجز الترابية كتقنية يتم إتباعها داخل مجاري الأودية وعلى هوامشها لخلق مستوى من العدالة في توزيع المياه بين من يستغلون عالية هذه الأودية وسافلتها، ثم التخفيف من عنفوان السيول حتى لا تعمل على جرف وتعرية الأراضي الزراعية.

8 - Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa- 2010 p.45 .

9- Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa- 2010. p.45.

1- 2- 1- الزراعة خلف السدود الحديثة: يبلغ عدد السدود الحديثة في الولاية 21 سداً¹⁰، تتوزع على البلديات الريفية الخمسة؛ ويرجع انشاءها إلى صندوق الأمم المتحدة للسكان الذي عمل في بداية السبعينات 1983 على بناء 10 سدود بولاية لعصابه عموماً تمتد على مساحة 1525 هكتار، ثم بعد ذلك عمل برنامج العصابه في بداية التسعينات على متابعة هذه السدود في إطار صيانتها وبناء سدود أخرى جديدة، وقد بلغت المساحة الإجمالية للسدود الحديثة بولاية لعصابه آنذاك 3037 هكتاراً¹¹، لكن الذي يعاب على هذه السدود هو كونها لا تعدو منشآت تقليدية في الأصل تمت تقويتها لمقاومة المياه وحجزها، تحتوي على فتحات لتفريغ المياه، وعلى الرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بطاقة السدود ومعدلات التصريف، فإن الدراسات المتوفرة تظهر نجاعتها من حيث تخزين مياه الأودية والاحتفاظ بها.

1- 2- 2- الزراعة خلف السدود الرملية: يبلغ عدد هذه السدود في المنطقة 28 سداً وتتم التقنية المتبعة في انجازها عن التأخر العلمي في ميدان التهيئة الزراعية، فهي لا تعدو كونها في بعض الأحيان ردمات ترابية لا يتجاوز ارتفاعها مترين تتعرض للانهيأ عندما تكون الأمطار غزيرة، مما يؤدي إلى ضياع مياهها كاملة، وذلك بحكم أن أغلبها لا يتوفر على فتحات لتفريغ المياه، وبالتالي تقل فرص التحكم فيها، وربما يرجع الأمر إلى أن الكثير من هذه السدود تم إنشاؤه من طرف الأفراد أو القبائل بدافع التملك وحياسة الأراضي بدل دافع الاستغلال، لذلك كثيراً ما يرتبط اسم السد باسم الشخص أو الجماعة التي أنجزته.

2 - 2- الزراعة المروية:

منذ فجر الاستغلال و الإنتاج الزراعي الموريتاني يركز أساساً على الزراعة التقليدية (الذرة، والدخن) والري بالطرق البدائية، مما جعل البلد

10 MDR. Direction Régionale de L'ASSABA. Service d'aménagement Rural 2011.

11 - السالك ولد مولاي اشريف " دور الماء في تنظيم المجال بولاية لعصابه " بحث لنيل دبلوم دراسات معمقة في الجغرافيا، جامعة تونس الأولى 2002، ص: 62.

قاصرا عن التوصل إلى رفع مستوى معيشية المواطنين وسد الثغرات الحاصلة في مجال الحبوب، بل أن كميات كبيرة من هذه الأخيرة يتم استيرادها من الخارج.

2- 1 - النظام الواحي:

يعود تاريخ إنشاء أول واحة نخيل في ولاية لعصابة، إلى فترة الاستعمار حيث تم استجلاب فسيلات نخيل صغيرة سنة 1925 من تجكجة، وكانت هذه المبادرة من طرف الحاكم الفرنسي لدائرة لعصابة آنذاك ¹². أما اليوم فإن ولاية لعصابة تتوفر على 134 واحة، وحسب الإحصاء الوحيد الذي أجرته السلطات العمومية سنة 1984 في هذا الشأن، فقد بلغ عدد النخيل في واحات ولاية لعصابة 243.671 نخلة أي بنسبة (23%) من مجموع النخيل في موريتانيا ¹³، وفي سنة 1995 أجري مسح للواحات على مستوى ولاية لعصابة وقدر عدد النخيل ب 380193 نخلة ¹⁴ على مساحة تقدر ب 913 هكتار. وهذه الواحات تعتبر ثروة مهمة للتنمية المحلية يجب على الدولة منحها العناية اللازمة وذلك من خلال مخططات تنموية تشاركية تعمل على انتشارها من الواقع التي أصبحت تعيشه، كما أنها تشكل منتوجا سياحيا يمكن تثمينه، خاصة وأن السياحة الداخلية تعرف بهذه المجالات ازدهارا خلال موسم نضج التمر.

وقد بينت دراسة أجراها مشروع التنمية المستدامة للواحات في موريتانيا سنة 2006 حول واحة العوجه بمقاطعة كنكوصه أنها تضم 8760 نخلة، وتتراوح متوسط إنتاجية النخلة من التمر ب 10 - 15 كغ ¹⁵. غير أن هذه الواحات قد دخلت في أزمت بيومناحية كادت أن تقضي عليها. مع إهمال السلطات

12-Centre d' Information Mauritanien pour le Développement Economique et technique qui fait quoi en Mauritanie «volume 2» kiffa 1997..p 39.

13-Ministère du Développement Rural .Etude Sur le Développement des Oasis en Mauritanie-2009 p 7.

14 -programme de développement durable des oasis en Mauritanie .note sur les oasis dans la wilaya de l'assaba 2009 . p. 4.

15-programme de développement durable des oasis en Mauritanie .plan de développement communautaire oasisien de l agrod al wja 2006. p .10.

العمومية لهذا الصنف من الزراعة، كما هاجر العديد من سكانها، و تبقى ضعيفة بالمقارنة مع مردودية النخيل في بلدان شبه المنطقة¹⁶.

وتعتمد الواحات في ولاية العصابة على مياه الأمطار اعتماد كبيرا، الأمر الذي جعل مشكل المياه أكثر حدة من غيره، بسبب العجز المطري في المنطقة، ويتم استغلال الكميات الموجودة من المياه بشكل تقليدي وغير معقلن، مما يزيد في ضياعها باستثناء بعض المضخات التي دخلت مجال الاستغلال في السنوات الأخيرة مع أنها أدت إلى زيادة الاستهلاك عن الحاجة، وقد بينت دراسة¹⁷ حول الواحات بولاية لعصابة، أن (93%) من الواحات بولاية العصابة تعتمد على الآبار التقليدية، أما من حيث استخراج المياه فإن (52.4%) من جملة الآبار يتم استغلالها عن طريق المجهود العضلي مباشرة¹⁸، ومع تواصل سنوات الجفاف زادت حاجة الواحات إلى المياه، حيث تقدر بعض الدراسات أن حاجة الهكتار، بالواحات تتراوح ما بين 312000م³ و 315000م³ سنويا، ويزيد من ذلك هشاشة النظام البيئي إثر موجات الجفاف والتصحر، مما أدى إلى تراجع الفراشات المائية وبالتالي نضوب الآبار¹⁹.

2-2-2 - زراعة الخضروات:

يمارس هذا النمط من الزراعة بصفة محدودة في مناطق انتشار الواحات، وعلى مستوى البعض من القطع الأرضية الصغيرة على هوامش مدينة كيفة، أو ضمن القرى الريفية بباقي بلديات المقاطعة، بيد أن هذا النوع من الزراعة لم يتبلور بصفة واضحة إلا عقب سنوات الجفاف وما تلاها من تنام لموجات الاستقرار، لذا فإنها - باستثناء عدد من الواحات كان قد أقيم قبل تلك

16 -Office Régional de Mise en Valeur Agricole du Tafilalet . Systèmes de production oasiens et Sylva-pastoraux: interactions, complémentarités et développement durable. Cas du bassin de Ghéris (Maroc) 2003 p 18.

17 Source : Seyfoullah EL Abass .étude sur les Systèmes d'irrigation dans les oasis de Mauritanie : problèmes de pompage et tentatives de réalimentation des nappes phréatiques .2009 p 6

السالك ولد احمد شريف "دور الماء في تنظيم المجال بولاية لعصابة" مرجع سبق ذكره 18 - ص:94.

19 - نفس المرجع السابق، ص: 36.

الفترة - تعد حديثة ودخيلة على النمط الزراعي بالمنطقة الذي اقتصر لفترة طويلة على إنتاج الحبوب.

وتبدأ زراعته في شهر نوفمبر وحتى نهاية شهر يناير ولكنه يعاني من ضعف الحماية والحفظ مما يجعل فترة استهلاكه محدودة لا تتجاوز 70 يوما، وقد قدرت المساحة المزروعة بالخضروات على المستوى الجهوي بـ 200 هكتار، وبمعدل إنتاج سنوي قدر بـ 1890 طن^{٢٠}. ومن أهم أصناف هذه الخضروات الطماطم والبصل والبطاطس والجزر... الخ، ويعتبر ضعف وسائل السقي من أهم المشاكل المطروحة للمزارعين، إذ يقوم العديد منهم بحفر آبار تقليدية كمصدر لري هذه المساحات المزروعة.

إن إنتاج منطقة الدراسة من الخضروات لا يزال ضعيفا جدا، حيث لم يتجاوز في مجموعه 830 طنا سنة 2017 وهي مردودية لا تكفي لتغطية حاجيات الولاية.

وتعاني زراعة الخضروات بولاية العصابة من جملة من المعوقات تكمن في صغر المساحات المخصصة لزراعتها، ونقص المياه مما يحول دون إمكانية السقي بطرق عصرية، كالسقي بالرش أو التنقيط، إضافة إلى ضعف وسائل الحماية ضد خطر الحيوانات، وغياب التأطير ونقص الأسمدة والمخصبات، وتشكل عملية تسويق منتوج زراعية الخضروات إحدى أهم المشاكل المطروحة للمزارعين نظرا لكون العديد منهم لا يتمكن من تسويق إنتاجه.

III- الصيد في بحيرتي كنكوصه وأجار: تتوفر بحيرتي " كنكوصه وأجار"

على العديد من أصناف الأسماك و يمارس الصيد فيها عدد من الصيادين. ولم يكن ذلك الصيد، لأهداف تجارية ذات شأن، إلا أن مساهمته في الاكتفاء الذاتي للسكان المحليين والحد من الاختلالات الاقتصادية الداخلية للأسرة كانت كبيرة، فهذا النشاط القديم لهؤلاء الصيادين مكنهم من اصطيد الكميات الكافية للاستهلاك الذاتي، لكنه مكن مع ذلك من تغذية بعض الصناعات المحلية، إذ أن هذا الإنتاج باعتباره ثمرة مجهود بذله الصيادون بوسائلهم المتاحة فإنه يستحق التقدير لما يظهره على المستوى المحلي، فقد قدرت كمية إنتاج

20 -le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l'assaba.2004.p.19.

الصيد السنوي للفرد الواحد خلال سنة 2010 بـ 1272 كغ/سنة^{٢١} ويتم بيع الكلف الواحد بـ 600 أوقية. ولكن عملية التقدير السمكي ظلت نتائجها متباينة من سنة لأخرى، وحتى داخل السنة الواحدة. ومن الصعب الحصول على معطيات أرقام كاملة متعلقة بالكمية المصطادة وتطورها، وذلك بسبب عدم بوح الصيادين بالكميات المصطادة وكذلك عدم اهتمام السلطات المحلية بهذا المورد المهم. ولا يتوفر الصيادين على سوق محلي يتم من خلاله تسويق الأسماك.

IV- موارد الغطاء النباتي: تعد الأشجار المثمرة الطبيعية عنصرا مهما في المنظومة الإنتاجية المحلية، بل يعتمد عليها السكان في إنتاج بعض المنتجات الغذائية والعلاجية^{٢٢}، بالإضافة إلى أنها تعد مسكنا للعديد من الوحوش البرية، وتضم أشجارا أصبحت نادرة في العديد من مناطق البلاد الأخرى، حيث تشكل تراثا غابويا يجب حمايته وجعله منتوجا سياحيا يدر بالنفع على الساكنة المحلية، ومن بين الأشجار التي يستغل السكان ثمارها، (شجرة التيدوم، شجرة السدر *mauritiaca zizyphus*، شجرة القتاد *Mimosaceae*، أمور، أزكلم، *hyphaena thebaica*... الخ)، وتعرف ضغطا كبيرا يؤدي إلى تراجع مساحاتها، وتناقصت كثافتها بسبب الرعي المفرط وموجات الجفاف المتكررة وقطع الأشجار بصفة غير قانونية لإنتاج الفحم. ويعد البيع السري للحطب والفحم الخشبي، أكبر مشكل تعاني منه هذه الفصيلة الشجرية. وانطلاقا من المكانة التي تحتلها المنتجات الشجرية في النسق الإنتاجي المحلي، فإنه من الواجب حماية هذا الغطاء النباتي التي غالبا ما تتعرض لحرائق من طرف السكان، خصوصا وأن مكافحة حرق الأشجار تعد بعدا أساسيا في تنمية واستراتيجية تجدها^{٢٣}. وقد بينت دراسة قام بها مشروع التوافق بين الفقر

21- Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa- 2010 .p 69.

22 - République Islamique de Mauritanie .rapport de la consultation sur le thème .Agriculture et lutte contre la pauvreté .2000. p.19 .

23 - المادة 27 من القانون رقم 97- 007 صادر بتاريخ 07/1997/20 المتضمن لدونة الغابات

في موريتانيا، الجريدة الرسمية، ص: 162.

والبيئة في مقاطعة كنكوصه سنة 2010، أن سكان هذه المقاطعة يعتمدون كثيرا على ثمار هذه الأشجار الموجودة في هذه المقاطعة لأغراض عديدة ²⁴.

النشاط الرعوي

تمثل الثروة الحيوانية موردا اقتصاديا هاما لسكان ولاية العصابة، ومهنة توارثها الخلف عن السلف لكنها لم تشهد تطورا يذكر، نتيجة لضعف مكانتها في جميع المخططات التنموية التي تبنتها الدولة منذ الاستقلال حتى وقتنا الراهن، مما نتج عنه وجود جملة من المشاكل والاختلالات ظلت تحول دون تطور وتقدم إنتاجية هذا القطاع.

1. الرعي الحر:

مازال الرعي الحر (غير المنظم) هو الأسلوب السائد في مراعي موريتانيا عموما، ويتم بصورة تقليدية، متكيفة مع شروط الوسط الطبيعي والمناخ، فهناك جزء من هذه القطعان مرتبط بالتجمعات السكنية وموجه للاستهلاك المحلي اليومي، ^{سمير}

كما توجد ظاهرة الانتجاع الذي يرتبط بموارد الكأ والمياه أثناء فترات الجفاف، ويتبع هذا الرعي النمط الترحالي نظام البحث عن الكأ والمراعي؛ فقسوة الظروف الطبيعية فرضت أنماطا من التكيف على الممنين. إذا كانت ظاهرة الانتجاع الجماعي قد تراجعت بشكل أو بآخر خلال السنوات الأخيرة، فقد استمرت على شكل ترحال تقوم به مجموع من الأفراد، و قد انحسرت فترتها في أشهر قليلة.

2. التوزيع المجالي لقطعان المواشي:

إن ولاية العصابة تحتل المرتبة الثالثة من حيث توزيع رؤوس المواشي في موريتانيا، فمقاطعة كيفه وحدها تأوي (35.3%) من مجموع رؤوس المواشي على المستوى الجهوي.

24 - Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa- 2010 .p . 45.

²⁵ - محمد الأمين ولد لمات "البلديات والتنمية المحلية" مرجع سبق ذكره، ص: 75.

بيد أن التغيرات المناخية التي حدثت خلال السنوات الأخيرة، والتحولات المجالية التي عرفتها المنطقة، أدت إلى استقرار قطاع المواشي في مناطق دون أخرى. فأصبحت المواشي تعاني من سوء التوزيع المجالي، وهو ما انعكس على نمط تربية الماشية (الترحال) الذي أصبح يتماشى ومناطق الوفرة، وفتح المجال أمام تنامي ظاهر التصحر وما يسببه من تشوه للمجال الرعوي، فغياب مخطط الجهوي للإستصلاح الترابي، يعمل على تنظيم المجال الرعوي ويشجع على تنمية رعوية مستدامة²⁶، وعمق الاختلالات المجال الرعوي. فقد ظل هذا الإجراء غائبا إلى يومنا هذا.

3 - الإنتاج الحيواني:

لا يزال الإنتاج الحيواني، يحتل مكانة مهمة على الصعيد الوطني إذ يعتمد عليه السكان سواء في الوسط الريفي أو الحضري، وفي ولاية العصابة تزداد أهميته لكونه أحد الركائز الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد المنطقة فهو مصدر دخل وغذاء أساسيين بالنسبة لهم. كما يؤمن الاحتياجات المحلية من اللحوم خصوصا في المراكز الحضرية²⁷. ولم تقم الدولة بتجربة لتطوير الإنتاج الحيواني.

13. إنتاج اللحوم الحمراء: تعد اللحوم في موريتانيا من أهم الأغذية التي يعتمد عليها المجتمع الموريتاني عامة، و يتم تزويد المجالين القروي والحضري بمادة اللحوم الحمراء. ويقدر الإنتاج الجهوي من مادة اللحوم الحمراء يقدر بـ 13700.77 طن سنويا أي ما يمثل (11.7%)²⁸ من الإنتاج الوطني من مادة اللحوم الحمراء الذي يبلغ 95625 طن سنويا. كما يصدر قسم من الماشية حيا إلى الدول المجاورة²⁹. ولا توجد إحصاءات عن الحيوانات

²⁶ - المادة 20 من قانون رقم 2000 - 044 المتضمن لدونة الرعوية بموريتانيا، الجريدة

الرسمية بتاريخ 2003 / 07 / 15، ص: 309.

27 - Ministère du Développement Rural. Filière lait en Mauritanie Etat des lieux et perspectives. 2008. p.19.

28 - le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba. 2004. ibid. p 23.

²⁹ - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " التقرير الوطني حول التنمية البشرية المستدامة

والفقر في موريتانيا 2005 " مرجع سبق ذكره ص: 14.

المذبوحة بالولاية، غير أن هذا الاستغلال المكثف للثروة الحيوانية، وغير المعقلن من شأنه أن يؤثر عليها في المستقبل. غير أن المسح الذي أجري سنة 2003، أشار إلى أن عدد الرؤوس المذبوحة 38990 رأس على المستوى الجهوي، سجلت على مستوى ولاية العصابة 22544 رأسا، منها 5860 رأسا من البقر، و 16259 رأسا من الأغنام والمعز، و 425 رأسا من الإبل.

إن هذه الكمية لم تلبي حاجيات الفرد من اللحوم سنويا حسب توصيات منظمة الصحة العالمية، التي توصي بـ 21 كلغ من اللحم للفرد سنويا، ويقدر نصيب الفرد من اللحوم سنويا بـ 6.32 كلغ³⁰ بالمنطقة وهو أقل بكثير من المعدل الذي أوصت به المنظمة العالمية للتغذية.

2.3 إنتاج الألبان:

تعتبر الألبان أهم المصادر الغذائية بموريتانيا، إذ يكاد البلد يحقق اكتفاء ذاتي في مادة الألبان، ولا يزال الإنتاج التقليدي للحليب يحتفظ بمكانته الاقتصادية والاجتماعية، ويستوعب الاستهلاك الذاتي القسم الأكبر من إنتاج الألبان (95%)، إذ لا يسوق منه سوى (5%) فقط³¹. وتقدر كمية إنتاج الحليب بـ 47160 طن سنويا على المستوى الجهوي، كما يقدر نصيب الفرد الواحد بـ 0.5 لتر من الحليب يوميا، ولا تغطي صناعة الألبان الناشئة سوى (2%) من إنتاج الماشية الوطنية (الأبقار والإبل) بطاقة إنتاجية تبلغ 50000 لتر يوميا³²، بينما يستمر استيراد كميات كبيرة من الحليب المعقم بالمعالجة الحرارية من الخارج.

ولا توجد أرقام على مستوى منطقة ولاية العصابة حول كمية إنتاج الألبان، ويتناقص إنتاج الحليب حسب فصول السنة الأربعة، إذ يعد فصل الخريف أهم هذه الفصول من حيث إنتاج الألبان، فيما يقل في فصل الصيف. ويقدر كمية

30 - le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba.2004.ibid. Op. cit 23.

- الجمهورية الإسلامية الموريتانية " التقرير الوطني حول التنمية البشرية المستدامة والفقر 2005 " مرجع سبق ذكره، ص:14.

32 - le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba2004,.ibid . p 23.

إنتاج حليب البقر بـ 7 لتر يوميا، والإبل بـ 4 لتر يوميا تترت، وينقص وزن الحليب في فصلي الصيف والربيع، ولا توجد مراكز لجمع الحليب وتحويل مادة الحليب في المنطقة. ويتم توجيه إنتاج الحليب مباشرة إلى الاستهلاك الذاتي. وتشير بعض تقديرات منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة والبنك الدولي سنة 2002، إلى أن الدخل حسب إناث البقر المنتجات يمكن أن يزيد بنسبة (30%)، بفضل تحسين التسيير الجماعي للموارد الرعوية وتثمين المنتجات والمتابعة الصحية وتعزيز التكامل بين الزراعة وتربية الماشية بتر.

3-3 - إنتاج الجلود: تنتج كميات من الجلود سنويا، ولا تتوفر على أرقام على المستوى المحلي، إلا أنه ونظرا لحجم الحيوانات التي يتم ذبحها يمكن القول بأن المنطقة من بين المناطق، التي يتم عن طريقها جلب كميات ضخمة من الجلود إلى العاصمة نواكشوط، ومن ثم يتم تصديرها إلى الدول المجاورة (سنغال وساحل العاج)، أو إلى الدول الأوروبية، أو يباع الكثير منها في الأسواق المحلية، غير أنها لا تزال تعاني العديد من الاكراهات التي تحد من الاستفادة الكاملة من هذه الشعبة.

3-4 - تجارة المواشي: تعتبر ولاية العصابة منطقة رعوية بامتياز، إذ يعتمد السكان فيها على الرعي بصفة أساسية. في تأمين الحاجيات الأساسية الأخرى، فيتم بيع المواشي من أجل اقتناء المواد الغذائية والملبس، والمسكن... الخ. كما يتحين المنمنمين أوقات الأعياد والمناسبات التي تكون المواشي تباع بأثمان مرتفعة فيسوق بعض من قطيعه إلى الأسواق التي يتم بها بيع المواشي. وفي المقابل نجد العديد من المزارعين بالمنطقة يبيع الإنتاج الزراعي ويشتري المواشي ليكسبها. كما يتم تصدير أعداد معتبرة من الحيوانات سنويا، إلى الولايات المجاورة أو خارج الوطن.

33 - محمد ولد الشيخ عبد القادر "الثروة الحيوانية في موريتانيا والعوامل المؤثرة فيها" بحث لنيل شهادة دكتوراه دولة في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001، ص: 285.

34 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية "الحالة الراهنة للقطاع الزراعي والريفي في موريتانيا وأفاقه 2007". مرجع سبق ذكره ص: 38.

6- معوقات النشاط الرعوي: على الرغم من كون الثروة الحيوانية تمثل موردا اقتصاديا هاما لسكان ولاية العصابة، ومهنة توارثها الخلف عن السلف فإنها لم تشهد تطورا يذكر، نتيجة لضعف مكانتها في جميع المخططات التنموية التي تبنتها الدولة منذ الاستقلال حتى وقتنا الراهن، مما نتج عنه وجود جملة من المشاكل والاختلالات ظلت تحول دون تطور وتقدم إنتاجية هذا القطاع.

6 - 1 - مجال رعوي غير منظم: نظرا لتحكم الظروف الطبيعية (الأمطار والمياه والغطاء النباتي) في التأثير على النشاط الرعوي فقد عانى كثيرا، وخصوصا بعد تردد سنوات الجفاف 1970 - 1984 التي عملت على نقص الموارد الرعوية ومصادر المياه، وعلى الرغم من أن تأثير الظروف الطبيعية أمر غير مستقر يسوء في بعض السنين وينتفش في بعضها الآخر، فإن المنطقة تتوفر على إمكانيات رعوية كبيرة جعلت منها منطقة انتجاع أساسية تتوافد إليها القطعان من الولايات والمناطق المجاورة، كولاية تكانت ومقاطعة تامشكط بالحوض الغربي، ناهيك عن كونها منطقة انتجاع لمنمي مقاطعة بومديد الواقعة في الجزء الشمالي من ولاية لعصابة.

6 - 2 - قلة المحميات والآبار الرعوية:

من البديهي أن توفر المراعي العشبية، وتنوع الغطاء النباتي، وتوفير نقاط المياه، أمور تتحكم إلى حد بعيد في تنمية رؤوس وإنتاج الثروة الحيوانية، ونتيجة لموجات الجفاف المتتالية أصبحت المقاطعة تعاني من نقص حاد في غطاءها النباتي العشبي والشجري وخصوصا في الجزء الشمالي الذي يعتبر طاردا بسبب ضعف إمكانياته الرعوية، مما يعني أن تدبير الموارد الرعوية أصبح اليوم لا مناص منه نظرا لتنامي الضغط الذي تعرفه المنطقة ليس من قبل القطيع المحلي فحسب بل من قبل قطعان المناطق المجاورة كذلك، لذا فإن مشكل نقص المراعي كان بالإمكان تفاديه عن طريق تدبير جزء منها في شكل محميات رعوية لا تستغل إلا في أوقات الخصاص الشديد ، ومع وعي الدولة بأهمية المحميات الرعوية ومحاولة توفيرها في الكثير من المناطق فإن نصيب الولاية لا يزال محدودا جدا ،

وفي ظل غياب إحصائيات دقيقة حول حاجيات القطيع المحلي من الماء، وعدم دقة المعايير المأخوذة في هذا الصدد من جهة أخرى فقد لجأنا إلى الاعتماد على معطيات إدارة البيطرة التي أعطت تقديرات حول حجم الاستهلاك اليومي لكل أنواع الحيوانات حسب المعدلات التالية: 30ل/يوم لكل رأس من البقر والإبل، و10ل/يوم لكل رأس من الغنم، و20ل/يوم لكل رأس من الخيول والحمير^{سمتر}

6- 3 - انتشار الأوبئة والأمراض الحيوانية:

تتوفر ولاية العصابة على مصلحة جهوية للصحة البيطرية يؤطرها طبيب بيطري واحد، وما يزيد على 12 صيدلية لبيع أدوية الحيوانات و9 حظائر للتلقيح، لكن هذه البنيات رغم عدم تغطيتها لحاجيات القطيع في الميدان الصحي تتسم بسوء توزيعها الجغرافي على مجال المنطقة، فالمصلحة الجهوية وصيدليات بيع الأدوية تتركز ببلدية كيفه الحضرية.

إن هذه الإمكانيات المحدودة لا تزال عاجزة عن ضمان مستوى معقول من التغطية الصحية للثروة الحيوانية، مما جعل الأمراض التي تفتك بها سنويا تحول دون تطور أعدادها وزيادة إنتاجها، وهو ما يتسبب باستمرار في خسارة اقتصادية للمربين من جهة وللإقتصاد المحلي من جهة أخرى، وتنعكس تبعات ذلك ومخلفاته بشكل حاد على مستويات العيش بالوسط الريفي.

إن ضعف الوسائل والرقابة الصحية المتخذة لحماية الثروة الحيوانية من الأمراض الوبائية وطبيعة الوعي الواسع جعلت انتقال العدوى بين القطعان أمر في منتهى السهولة، إضافة إلى عقلية المربي التي ما زالت لحد الساعة لا تعطي أهمية للتلقيح ضد هذه الأمراض التي غالبا ما تكون السبب المباشر في القضاء على جزء كبير من القطيع.

ومن أكثرها شيوعا في المنطقة مرض "بوادمية" bovine Peste ومرض "ارصيصة" Charbon symptomatique و"كمامه" Fièvre éphémère وكلها أمراض تصيب الأبقار، أما فصيلة الإبل فإن أكثر

35 - السالك ولد مولاي ولد احمد شريف "دور الماء في تنظيم المجال بولاية لعصابة"

مرجع سبق ذكره، ص: 106.

الأمراض انتشارا بينها مرض "انحاز Pazolose ومرض "الجدي" Dermatose nodulaire وبالنسبة للأغنام تصاب هي الأخرى بمرض "أطيّار" Charbon bactérien وإن كان هذا المرض يصيب جميع أنواع القطيع، ثم مرض "أجايحة" Parasitose interne ، ولهذه الأمراض على مختلف أنواعها تأثير بالغ على إنتاجية الثروة الحيوانية بالمنطقة □ تر .

6- 4 - غزو الجراد الصحراوي للبلاد: تتعرض المراعي لخسائر فادحة بسبب غزو الجراد الصحراوي للبلاد ، الأمر الذي يعرض الثروة الحيوانية لمجاعات. ولا تزال التدابير المتخذة من طرف الدولة دون المستوى المطلوب لمكافحة هذه الآفة التي تعتبر من أهم الكوارث الطبيعية التي تعاني منها الأنظمة الزراعية والرعية في موريتانيا .

6- 5 - عواثق أخرى: أصبحت القطعان الوافرة من الحمير تشكل آفة خطيرة على تدمير المراعي في وقت قياسي تاركة المراعي على شكل أراضي جرداء، وينضاف إلى ذلك انتشار بعض السلوكيات المضرة بالمراعي، بحيث تنتشر على نطاق واسع ظاهرة جمع الأعشاب ونقلها إلى المدن لبيعها مما يلحق أضرار جسيم بالمراعي.

خاتمة

يتميز المجال الفلاحي بسوء التنظيم، وتعاني الفلاحة بالمنطقة من تدبير تقليدي للاستغاليات مع اعتماد أنظمة للتأطير غير ملائمة، ويعتبر الجفاف من أهم الاكراهات الطبيعية التي تواجه القطاع الفلاحي بشقيه الرعوي والزراعي، حيث يعاني من تأثيرات المناخ وضعف التساقطات وتفاوت مقاديرها من سنة لأخرى، علاوة على عدم استغلال المياه السطحية والجوفية وضعف تثمينها، وكل هذا جعل النشاط الفلاحي يعرف أزمات قوية من حين لآخر.

36-RIM. Ministère délégué au près du premier ministre chargé de l'environnement et du développement durable, projet approche pauvreté - Environnement, Agenda21 p 48.

مما يستوجب تدخل من الدولة ووضع استراتيجيات جهوية لمعالجة مشكلة القطاع الفلاحي الذي يعتمد عليه أكثر من 45% من السكان.

المراجع والمصادر

- 1 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " تقرير ملامح الفقر في موريتانيا سنة 2008
- 2 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " الموارد المائية بموريتانيا "دراسة أجريت حول الموارد المائية سنة 1985
- 3 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " التقرير الوطني حول التنمية البشرية المستدامة والفقر في موريتانيا 2005
- 4 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " التقرير الوطني حول التنمية البشرية المستدامة والفقر 2005
- 5 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وزارة الشؤون الاقتصادية والتنمية "الإطار الاستراتيجي لمحاربة الفقر 2008
- 6 - الجمهورية الإسلامية الموريتانية " الحالة الراهنة للقطاع الزراعي والريفي في موريتانيا وأفاقه 2007
- 7 - الشيخ ولد الشيباني "إمكانيات وعوائق التنمية الريفية المستدامة في مقاطعة العيون - موريتانيا "
- 8 - 1- الجمهورية الإسلامية الموريتانية، " الحالة الراهنة للقطاع الريفي في موريتانيا وأفاقه " 2007
- 9 - السالك ولد مولاي أشراف " دور الماء في تنظيم المجال بولاية لعصابة" بحث لنيل دبلوم دراسات معمقة في الجغرافيا، جامعة تونس الأولى 2002
- 10 - محمد الأمين ولد لمات" البلديات والتنمية المحلية بولاية العصابة بحث لنيل دبلوم دراسات معمقة في الجغرافيا، جامعة شعب الدكالي، المغرب 2007
- 11 - محمد ولد الشيخ عبد القادر "الثروة الحيوانية في موريتانيا والعوامل المؤثرة فيها "بحث لنيل شهادة دكتوراه دولة في الجغرافيا ،جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001، ص:285.
- 12 - 1 - سيدي عبد الله المحبوبي "الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا، 1998م
- 13 - بشير ولد محمد الولاتي " جغرافية موريتانيا " المطبعة الوطنية - نواكشوط 1991
- 14 - المادة 20 من قانون رقم 2000 - 044 المتضمن لدونة الرعوية بموريتانيا، الجريدة الرسمية بتاريخ 2003 /07/15
- 15 - المادة 27 من القانون رقم 97 - 007 صادر بتاريخ 20/07/1997 المتضمن لدونة الغابات في موريتانيا، الجريدة الرسمية

- 16-CENTRE MAURITANIEN D'ANALYSE DE POLITIQUES-2004
- 17-Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa - 2010.
- 18-Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa - 2010.
- 19-1- Elaboration de l'Agenda 21 local pour la moughataâ de Kankoussa - 2010..
- 20-MDR. Direction Régional de L'ASSABA. Service d'aménagement Rural .2011
- 21-Centre d' Information Mauritanien pour le Développement Economique et technique qui fait quoi en Mauritanie ،volume 2،kiffa 1997.
- 22-Ministère du Développement Rural .Etude Sur le Développement des Oasis en Mauritanie-2009.
- 23-programme de développement durable des oasis en Mauritanie .note sur les oasis dans la wilaya de l'assaba 2009
- 24-1-programme de développement durable des oasis en Mauritanie .plan de développement communautaire oasisien de l agrod al wja 2006
- 25-Office Régional de Mise en Valeur Agricole du Tafilalet . Systèmes de production oasisiens et Sylva-pastoraux: interactions, complémentarités et développement durable. Cas du bassin de Ghéris (Maroc) 2003 .
- 26-Seyfoullah EL Abass .étude sur les Systèmes d'irrigation dans les oasis de Mauritanie : problèmes de pompage et tentatives de réalimentation des nappes phréatiques .2009.
- 27-le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l'assaba.2004.
- 28-Elaboration de l'Agenda 21 local pour la Moughataâ de Kankoussa-2010 ..
- 29-République Islamique de Mauritanie .rapport de la consultation sur le thème .Agriculture et lutte contre la pauvreté .2000

- 30-Elaboration de l'Agenda 21 local pour la Moughataâ de Kankoussa-2010
- 31-
- 32-Ministère du Développement Rural .Filière lait en Mauritanie Etat des lieux et perspectives.2008.
- 33-le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba.2004
- 34-le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba.2004
- 35-le diagnostic du secteur rural dans la wilaya de l' Assaba2004,
- 36-
- 37-RIM. Ministère délégué au près du premier ministre chargé de l'environnement et du développement durable, projet approche pauvreté - Environnement, Agenda21



جماليات التكرار في الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف بين الميزة الصوتية والقيمة البلاغية

The aesthetics of repetition in the popular poetic discourse in
the region souf
between voice and rhetorical value.

بن حمده محمد الصالح¹، عاشور سرقة²

1 - جامعة غرداية - الجزائر

2 - جامعة غرداية - الجزائر

salahbenhamda@gmail.com¹

sergmaachour@yahoo.fr²

تاريخ القبول: 2019-11-16

تاريخ الاستلام: 2019-08-05

ملخص -

يعتبر التكرار ظاهرة أسلوبية وهو يسهم بشكل كبير في تشكيل الإيقاع الداخلي للنص الشعري وتثبيته ، كما أنه من أهم الظواهر الصوتية التي ميّزت الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف ، حيث أنه يعتبر أحد العناصر الأساسية في بناء النص الشعري الشعبي والحفاظ على تماسكه وانسجامه ، إضافة إلى القيمة الدلالية والبلاغية التي يحملها ، والشاعر الشعبي غالبا ما يلجأ للتكرار للوصول إلى القيمتين الصوتية والبلاغية ، ومن ثم إضفاء صبغة جمالية على النص الشعري.

الكلمات الدالة -

تكرار، صوت، شعر، شعبي، بلاغة، إيقاع .

Abstract-

The repetition is a stylistic phenomenon and it contributes greatly to the formation of the inner rhythm of the poetic text and its stabilization. It is also one of the most important vocal phenomena that characterized the popular poetic discourse in the Suof region. It is considered as one of the essential elements in building the popular poetic text and maintaining its Coherence and harmony in addition to the rhetorical and semantic value, the popular poet often resort to repetition to reach the rhetorical and acoustic value, and then add an aesthetic touch on the poetic text

Key words-

Repetition, voice, poetry, popular, eloquence, rhythm.

1 - مقدمة :

يمثل الخطاب الشعري الشعبي مظهرا بارزا من مظاهر الأدب الشعبي وذلك لما له من مكانة عالية وسط الجماعة الشعبية ، لأنه يمس أغلبية فئات المجتمع ، فيتحدث باسمهم ويعبر عن آمالهم وآلامهم وتطلعاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ، فينسلخ من الذاتية ويذوب في الجماعة ويحمل همومها وانشغالاتها ، ومن هنا فإننا لمعرفة ثقافة شعب ما وأهم مقوماتها يكون الخطاب الشعري الشعبي سبيلا ميسرا لذلك ، ويمكننا أن نعتبر الشعر الشعبي مرآة عاكسة للمجتمع الذي يتداول فيه .

وقد عرف الشعر الشعبي بمنطقة وادي سوف (التي تقع بالجنوب الشرقي الجزائري) غزارة كبيرة في النتاج وتنوعا ملحوظا في المواضيع والأغراض وانتشارا واسعا من حيث التداول الشفاهي ، ورواجا واهتماما كبيرين في الأوساط الشعبية.

وتتميز الشعر الشعبي بمنطقة سوف بمجموعة من الظواهر الصوتية التي دلت على تمكن الشعراء الشعبيين بالمنطقة وقدرتهم على النظم والإبداع والتصوير ، ويعتبر التكرار من بين الظواهر الأسلوبية البارزة في الخطاب الشعري الشعبي ، حيث أنه يعتبر أحد العناصر الأساسية في بناء النص الشعري الشعبي

والحفاظ على تماسكه وانسجامه ، إضافة إلى القيمة الدلالية والبلاغية التي يحملها ، والشاعر الشعبي غالبا ما يلجأ للتكرار للوصول إلى القيمتين الصوتية والبلاغية ، ومن هنا تتراءى لنا الإشكالية الجوهرية التالية : كيف أسهمت ظاهرة التكرار في إبراز الميزة الصوتية للخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف ؟ ، ثم ما هي أبرز الأغراض البلاغية لهذه الظاهرة ؟ .

2. - إضاءات نظرية أولية :

1.2. - مفهوم الشعر الشعبي :

لقد تعددت تعريفات الشعر الشعبي نظرا لتعدد مسمياته ، والدارس للشعر الشعبي يصعب عليه الوصول إلى تعريف دقيق وشامل ، حيث يعرفه الباحث خليل أحمد خليل فيقول : " أن الشعر الشعبي هو المروي والمكتوب معا وهو الفصيح والعامي معا ، القديم والمتجدد معا ، وهو إلى جانب ذلك الحامل ثقافيا لطموح عام لدى الشعب " ¹ (خليل أحمد خليل، دت) ، ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أن الشعر الشعبي أعم من الشعر الفصيح وهو يساوي بين المكتوب والشفاهي والقدم والجدة والفصحى والعامية .

وهناك من يطلق عليه تسمية الشعر الملحون ومنهم محمد المرزوقي الذي يعرفه فيقول : " أما الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم فهو أعم من الشعر الشعبي إذ يشتمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله وسواء روي من الكتب أو مشافهة ، وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب أو كان من شعر الخواص ، وعليه فوصف الشعر الملحون أولى من وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى الكلمة إلى عامية لغته ، وقد ينصرف إلى نسبته للعامية ، فكان وصفه بالملحون مبعدا له من هذه الاحتمالات " ² (محمد المرزوقي، 1967م) .

ويقدم لنا ابن خلدون وصفا للشعر الشعبي فيقول : " يهجم شعراؤه هجوما من أول كلامهم دون مقدمات ، أما أساليبه وفنونه فهي لا تختلف عن الفصيح إلا في حركات الأعراب وأواخر الكلم " ³ (ابن خلدون، 1989م) .

فابن خلدون يجعل الاختلاف الوحيد بين الشعر الشعبي والشعر الفصيح في الحركات الإعرابية وأواخر الكلمات ، كما بصف الشعر الشعبي بأنه

يتميز بالعضوية التي يتبّعها الشاعر الشعبي والذي ينظم الشعر بكل عضوية دون ضوابط أو مناهج علمية محددة تحكمه .

ويرى بعض الدارسين أن الشعر الشعبي ما ظهر إلا بعد أن فسدت اللغة العربية ودخلها اللحن وانتشرت العامية وابتعد الناس عن الفصحى ، فيقول التّلي بن الشيخ : " إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية ، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه ، متوارثا جيلا عن جيل عن طريق المشافهة ، وقائله قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثله مثل المتلقي " ⁴ (التلي بن الشيخ، دت) ، وتشير نبيلة سنجاقي إلى اختلاف اللهجات وفقا لاختلاف المناطق الجغرافية في تعريفها للشعر الشعبي ، حيث تقول : " هو فن من الفنون الأدبية يعبر به النّاظم عن حالة فردية أو مأساة اجتماعية بلهجة خاصة توحى إلى رقعة جغرافية ما " ⁵ (نبيلة سنجاقي، دت) .

ومن هنا تتضح لنا أسباب اهتمام الجماهير بالشعر الشعبي والإقبال عليه فهو يعتبر ذاكرة الأجيال المتعاقبة وهمزة وصل بينهم وبين ماضيهم ، وتمكّن من الصمود ومسيرة الأجيال المتعاقبة ومواكبتها عبر الزمن مسجلا تاريخها وبطولاتها ومبرزا قيمها وعاداتها وتقاليدها .

وقد اختلف الباحثون حول نشأة القصيدة الشعبية في الوطن العربي عموما وفي الجزائر خصوصا ، ولعلّ أهم الأسباب في نشوء اللحن في الكلام عموما هو اختلاط العرب الأقحاح في مرحلة الفتوحات الإسلامية وبعدها بالأعاجم حيث ذكر هذا الأمر ابن خلدون في مقدمته حين قال : " فسدت اللغة نتيجة دخول الأعاجم إلى البوتقة العربية ، وظهرت لغة مغايرة للفصحى حين فقدت الحركات والإعراب ومع ذلك ظلت قادرة على توصيل المعنى " ⁶ (ابن خلدون، 1989م) ، ومن هنا فإن نشأة الشعر الشعبي يعود إلى ظهور اللحن على ألسنة العرب ، وهذا ما ذكره أيضا بعض الدارسين المعاصرين الذين اتفقوا مع سلفهم في ذلك " نشأ الشعر الشعبي المعاصر نشأة طبيعية ، وتدرج من الفصح إلى العامي ، فلقد كان هذا الشعر في الجاهلية وصدر الإسلام فصيحاً ، وبقي كذلك حتى منتصف القرن الرابع هجري (عصر الاحتجاج) حيث بدأ الوهن

والفساد يدخلان إليه بفساد اللغة التي كان يتكلمها البداه وينظمون بها أشعارهم ، وبدأ شيوع العامية بينهم " ⁷ (مشاركة محمد زهير، 1988م) .

2.2 - مفهوم التكرار :

إذا عدنا إلى تعريف والتكرار في اللغة فهو مصدر " كرّر إذا ردّد وأعاد ويقال : كرر الشيء تكريرا وتكرار ، أعاده مرّة بعد مرّة ، ومن معانيه : الرجوع أو الترجيع والإحياء بعد الفناء " ⁸ (ابن منظور، 1988م) .

أما في الجانب الاصطلاحي فيعتبر " ظاهرة أسلوبية ، فهو يمثل أداة لغوية يعكس جانبا من المواقف الشعورية والانفعالية " ⁹ (موسى ربايعه، 2010م) ، وهو " إعادة الكلمة أو العبارة بلفظها أو معناها في موضع آخر أو مواضع متعددة في نص واحد " ¹⁰ (شفيح السيد، 1996م) ، وفي الشعر الشعبي كثيرا ما نجد التكرار ، ويأتي لأغراض دلالية أو جمالية ، وهناك تكرار الكلمة وتكرار العبارة ، وينتج عنه إيقاع موسيقي علاوة على غرضه البلاغي المعنوي ، فهو " ظاهرة إيقاعية موسيقية وبلاغية معنوية تقتضي ترديد ملفوظات (حرف ، كلمة ، جملة عبارة ، صوت ...) أكثر من مرة ، وهي من الأساليب الحديثة في الشعر المعاصر " ¹¹ (يوسف أبو العدوس، 2007م) .

3 - التكرار في الخطاب الشعري الشعبي (أنواعه وأغراضه) :

الملاحظ أن ظاهرة التكرار بارزة وجليّة في الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف ، حيث نجد هذه الميزة بكثرة ، على اعتبار أنها ميزة صوتية تضفي إيقاعا موسيقيا لدى المتلقي ، بالإضافة إلى ما تحمله من قيمة بلاغية تؤدي أغراضا في المعنى ، وللتكرار أنواع منها : تكرار الصوت ، الحرف ، الكلمة والجملة .

3. 1 - تكرار الصوت :

اهتم الشعراء الشعبيون بتكرار الصوت في الخطاب الشعري سواء كان هذا التكرار في الصوامت أو الصوائت ، على اعتبار أن الصوت الصائت " هو الذي لا ينحبس معه الهواء لا جزئيا ولا كليّا ولا ينطلق انطلاقا كليّا تاما فمجراه فيه ضيق لا يصل إلى درجة الانحباس ، وهو ثلاثة أصوات هي : (الألف والواو والياء) " ¹² (عبد الكريم الروديني، دت) ، ومثال ذلك قول الشاعر علي عناد في

قصيدة فقدان العزيز (القصيدة كاملة موجودة في الملحق) ، والتي مطلعها ¹³ (محمد الصالح بن علي، 2008م) :

غَيْبٌ سَفَرٌ مُؤَلَّكٌ يَا تَصْوِيرَهُ نَحْبِيكَ نَسْتَحْفَظُ عَلَيْكَ ذَخِيرَهُ
نَحْبِيكَ فِي كُرَاسَةٍ وَنُشَوِّفُكَ مَضْرِبَ أَعَزِّ بِلَاصِهِ
وَقَرَّرْتُ قُلُوبَ نَبِيرِكَ عَسَاسَهُ يَحْمُوكُ فِي غِيَابِي عَنِ التَّغْيِيرِهِ
اللَّهُ يَرْحَمُهُ وَيُوجِدُ سَلَاكَ خُلَاصِهِ وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُ اللَّهُ بِأَسِطِ خَيْرِهِ

الملاحظ في هذه القصيدة أن هناك بعض الأصوات التي تكررت بكثرة وقد ورد في هذه القصيدة أنواع مختلفة من الأصوات المتكررة ، إلا أننا نختار هنا الأصوات التالية : (الألف - الراء - الدال - السين - النون) كنموذج لمحاولة الوصول إلى غرض الشاعر :

- صوت الراء (صامت) : تكرر هذا الصوت (70) مرة في هذه القصيدة ، وهو من الأصوات المجهورة متوسط الشدة والرخاوة ، ويمتاز بالركة والنظارة وتكراره يثير نغمة وجرسا موسيقيا يشد السامع ، فيجعل المقطع يفيض بدلالات الحركة والتتابع ، فهو يحاكي الحركة المستمرة ، وقد وظفه الشاعر للتعبير عن إحساسه العميق بالحزن والألم لفقدان صديقه ، فهو صوت جهوري يرسم لنا ملمحا حركيا لعاطفة الشاعر المفعمة بالأوجاع والأحزان .

- صوت الألف (صائت) : تكرر هذا الصوت (149) مرة في القصيدة ، وهو من الأصوات المجهورة اللينة المدية ، ويعتبر من الحروف التي فيها اتساع وليونة ، فهذا الصوت بحضوره القوي والمتكرر يظهر انفعال الشاعر ويبين مدى حسرته ، كما أنه يساعد الشاعر في إبراز وتصوير مصيبتة بفقدان صاحبه ، وذلك لما له من صدى موسيقي عالٍ وصوت مسموع ليوصل أحزانه ومشاعره ، وكأنه يوحى بالحزن والألم والوجع ، فيطابق المعنى الذي يحمل تلك الدلالات ، فهو من الأصوات الأكثر سماعا والأقوى تأثيرا في السامعين .

- صوت الدال (صامت) : تكرر صوت الدال (43) مرة في قصيدة الشاعر علي عناد وهو من الأصوات الانفجارية ، فكأن الشاعر يسعى لتفجير ما في قلبه من أحزان لكي لا تبقى حبيسة صدره ، وتكرار هذا الصوت ولد موسيقى إيقاعية قوية أسهمت في تشكيل ملمح صوتي عالٍ .

- صوت النون (صامت) : وقد تكرر (33) مرة في القصيدة ، وهو صوت رنين ذو غنة يحمل صدى متردد ، كما أنه من أصوات اللين ، وقد وظفه الشاعر بغية تبليغ المتلقي بالألم الذي انتابه بفقدان صديقه الساسي ، والحزن العميق الذي خلّفه وراءه جرّاء الفراق .

- صوت السين (صامت) : تكرر هذا الصوت في القصيدة (33) مرة ، وما يميّز هذا الصوت أنه صوت صفيري مهموس خافت يحمل نوعاً من النعومة التي تناسب التعبير عن الحزن والفراق ، وهذا ما أراد الشاعر من خلال تكرار هذا الصوت ليعبر عن مقصده ويبرّر موقفه ويجسّد عاطفته الجياشة المفعمة بالحزن والألم واللوعة التي انتابته بعد فقدان صديقة ، وصوت السين من الأصوات المميزة التي تشكل جرساً ونغماً يشدّ الانتباه .

وعموماً يمكننا القول أن لكل صوت من الأصوات دور يؤديه في النص الشعري ، كما تختلف مميّزات وصفات كل صوت عن غيره ، والشاعر يختار ما يناسبه من أصوات للتعبير عن مراده وغرضه في قالب موسيقي جمالي يشدّ السامع ويلفت انتباهه .

3. 2 - تكرار الحرف :

يعتبر تكرار الحرف " أسلوب يكرّسه الاستعمال اللغوي لمحاكاة الحدث بتكرير حروف الصيغة مع ما يصاحب ذلك من إبراز الجرس " ¹⁴ (فهد ناصر عاشور، 2004م) .

ونذكر مثالا على ذلك من قصيدة للشاعرة حدي الزرقى تصف فيها الرعد حيث تقول ¹⁵ (أحمد زغب، 2010) :

هَـا الرّعدُ مَاقَوَاهُ كِي جَارُ	يَتَكَلَّمُ أَجْهَارُ
مَلَجَلَجَ وَمَادِيهِ تَيَّارُ	طَاغِي مَعْدِي حُدُودَ
اِترْجِمَ لَفِظَ كُورُغُلِي حَارُ	سَكْرَانُ بَادُورُ
صِنْدِيدُ مَا يُطَيِّقُشِ الْعَارُ	أَخْوَالُ عَنَتَرُ جُدُودَ
مَا ضَيَّقَ خُلُوقُهُ الْحَرَارُ	تَغَشَّشَ غَضَبُ ثَارُ
فِي كَبَدَتِهِ شَعِلَتِ النَّارُ	مِنْ صُفْرَةِ الْعَيْنِ سُودَ

نلاحظ في هذا المقطع توظيف الشاعرة لحرف الألف الممدودة في مجموعة من الكلمات نذكر منها : (جار - أجهار - تيار - حار - أدوار - العار - الجزار - ثار - النار ...) ، وهو من حروف اللين المرنة والمميزة التي تترك أثرا صوتيا متصاعدا ، وقد لجأت الشاعرة لهذا الحرف كإجراء للتعبير عن تصوّرها للموضوع الذي تصف فيه الرعد من جهة ، وترجمة أحاسيسها ومشاعرها تجاه الموضوع من جهة ثانية ، وقد اختارت هذا الحرف بالذات نظرا لما له من صدى موسيقي مرتفع وصوت مسموع ، حيث أنه أسهم في أحداث ملمح صوتي جسّد نوعا من التناغم الموسيقي ، والذي أضفى بدوره جمالية على الإيقاع العام للقصيدة .

3. - تكرار الكلمة :

يلجأ الشعراء إلى تكرار الكلمات لما لها من إيقاع مؤثر في موقعها في القصيدة ، وكذا فإن لها دلالة لغوية إيحائية ، فهو يحقق الميزة الصوتية والقيمة الدلالية ، والكلمة عند الشعراء الشعبيين لها وزنها ومكانتها ودلالاتها ومعانيها العميقة ، ومن خلال تكرارها يمكن إيصال المعنى المراد وتوضيحه والتأكيد عليه وتقريبه لأذهان المتلقين .

ويمكن القول أن تكرار الكلمة يعتبر ظاهرة صوتية حديثة تسهم في تحقيق فاعلية الخطاب الشعري وتتجلى هذه الفعالية في إنتاج الدلالة أحيانا وفي إنتاج الإيقاع الخالص أحيانا أخرى ، وفي بعض الأحيان يمزج بين الإيقاع والدلالة ، ولهذا النوع صورتان هما : تكرار الكلمة بمعناها وتكرار الكلمة بمعنى مختلف ¹⁶ (محمد عبد المطلب، 1997م) ، وفي كل الحالات فإن التكرار غالبا ما يكون بغرض شدّ الانتباه وتقوية المعنى .

ومن أمثلة تكرار الكلمات نذكر في ختام قصيدة بعنوان " الأدب الشعبي في سوف " للشاعر الساسي حمادي يقدم تحياته ، فيقول ¹⁷ (بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، 2006م) :

تَحْيَاتُنَا يَا سَادَه
تَحْيَاتُ لَأَهْلِ الْعِزْمِ وَالْإِرَادَه
تَحْيَاتُنَا لِلشَّعْبِ
تَحْيَاتُنَا لِرَجَالِنَا وَأَبْنَانَا وَالْقِيَادَه
الله لِينَا يَجْلِبِ السَّعَادَه
تَحْيَاتُنَا لِبَنَاتِنَا وَنِسَانَا

نلاحظ هنا تكرار لفظة (تحياتنا) خمس مرات في هذا الدور ، وهذا التكرار أسهم في التعبير عن مشاعر وأحاسيس الشاعر العاطفية ، كما أنه يفيد التعدد والتنوع ، وجاء كنوع من التأكيد على المعنى المقصود ، علاوة على الملمح الصوتي الذي أضفاه على هذا المقطع .

- ويقول الشاعر الجيلاني شوشاني واصفا حياة البادية ¹⁸ (شوشاني محمد الجيلاني، 2019م) :

اَكْتُبْ عَلَى مَا رَيْتُ
اَكْتُبْ عَلَى مَا تَرَكْتُ وَتَحَلَّيْتُ
اَكْتُبْ وَلِيَدِي عَ الْجَمَلِ وَالْبَيْتِ
اَكْتُبْ عَلَى أَصْلِكَ مِنْ بَيْتِ
اَكْتُبْ عَلَى لَشَجَارِ
اَكْتُبْ عَلَى الْحُورِ خَزِينِ الدَّارِ
اَكْتُبْ عَلَى مَا تَرَكْتُ وَتَحَلَّيْتُ
اَكْتُبْ عَلَى بَخْنُوقِ بَنَوَائِشِهِ
اَكْتُبْ عَلَى الْمَثْمَرَةِ وَتَبَيَّتْ شَجَرُ الْهَيْشِ
اَكْتُبْ عَلَى الْغُرَسَاتِ وَالْجَبَارِ
اَكْتُبْ فِيهَا حَاطِيْنَه عَيْشِي

تكرار لفظة (اكتب) يحمل العديد من المعاني ، فهذا التكرار بهذا المعنى لا يفسد القصيدة بقدر ما يعكس ترابط الأبيات وتماسكها بصورة واضحة ، وفعل الأمر المتكرر هنا والمتمثل في (اكتب) جاء للتأكيد على المعنى وشد الانتباه ولم يكن مملاً في القصيدة ، فالشاعر هنا يسعى لترسيخ بعض المفاهيم من خلال هذا التكرار ، كما أن هذا التكرار أسهم في تشكيل نغم صوتي مع بداية كل شطر في هذا المقطع .

- ثم يقول في نفس القصيدة :

وَأَرْسُمُ رَحَى وَقْصَعَه وَعُقَابَ آثَارِ
وَأَرْسُمُ بُيُوتَ نَجُوعِ
وَأَرْسُمُ أَنْوَاعَ الْبَرِّ نَوْعِ وَنَوْعِ
وَأَرْسُمُ فِيآفِي خَالِيَةِ وَتَرْوَعِ
وَأَرْسُمُ أَلْوَانَ أَزْهَارِ
وَأَرْسُمُ سِتَارَ الْبَيْتِ بِهْدَارِيشِهِ
وَأَرْسُمُ غَدَتَ وَلَاحِقَه لِفُزُوعِ
إِمَّا جِبِلَّ وَلَّا رِمْلَ بَعَارِيشِهِ
وَأَرْسُمُ رِبْعَ بَشْكُونَتِهِ وَحَشِيشِهِ
وَأَرْسُمُ بُيُوتَ شَعْرِ فِي دَوَارِ

وَأَرْسُمُ جِبِلَّ وَرَاحِلَةٍ وَلَوْيَشَهْ
وَأَرْسُمُ جِبِلَّ وَوَادٍ بِكْشَاكِيشَهْ
وَأَرْسُمُ بِحِيرَهْ وَزَرْعَ لَاحِ سَبُولِ
قَالِي زِمَانَكُ مَا قَدِرْتُ نَعِيشَهْ
وَنَتَا زِمَانَكُ طَايِرٌ بِلَا رِيَشَهْ

وَأَرْسُمُ شَوَايِلَ مَادَّةٍ وَاعْشَارَ
وَأَرْسُمُ حَشِيشَ رَبِيعٍ بِالنُّوَارِ
أَرْسُمُ جِبِلَّ وَزَمْوُولِ
وَأَرْسُمُ وَلَدَ فُوقَ الْحَصَانِ يَجُولِ
قَتْلَهْ زِمَانِي فَرَسْنَا وَفَحُولِ

جاء تكرار لفظ (ارسم) موازيا للفظ (اكتب) ومكملاً له في هذه القصيدة ، وقد تكرر هذا الفعل (16) مرة في هذا المقطع ، وبالرغم من كثرة تكراره إلا أنه لم يخل بالمعنى ولم يفسد الإيقاع العام للقصيدة ، وهذا التكرار يحمل نفس المعاني التي ذكرناها سابقا ، وذلك من خلال رسم ملمح موسيقي يحمل دلالات عميقة ، فقد يظهر الغرض في أوله أن الشاعر يهدف إلى الأمر ، وهذا بتوظيف فعل الأمر ، لكن بعد التمعّن في الأبيات يتّضح لنا أن الشاعر يصف حياة البادية ومميزاتها وطبيعتها الخلابة ، وجاء التكرار كنوع من التفصيل وتتابع الوصف .

ويذكر الشاعر الساسي حمادي في قصيدة بعنوان " خواطر " أهمية ورمزية الورد في الحياة ، فيقول¹⁹ (بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، 2006م):

الْوَرْدُ يَذْبُلُ كَانَ فَاتَ رَبِيعَهْ أَلِي خَدَمَتَهْ طَبِيعَهْ
وَالْتَرَهْنَهْ سَقْدَ عَلَيْكَ وَبِيعَهْ

الورد يَا وَرْدَ الْحَيَاةِ وَالْحُبِّ يَا وَرْدَ يَا مُرَادَ كُلِّ حَبِيبِ
الورد رِيحَهْ بِالْعَبِيرِ اكْبُ عَطِيرٌ مَسِيكَ دِيرَ سَبُؤْلَتَهْ فِي الْجَبِّ
الورد دُونَهْ الْحَالُ مَا يُصْنَعُ وَمَهْمَا تَطَوَّحَ فِي الْقُلُوبِ قَرِيبُ

في هذا المقطع نلاحظ أن التكرار أضفى تلاحما صوتيا جميلا وخلق ملمحا موسيقيا في بداية الأبيات ، كما أنه حمل دلالات التأكيد على المعنى وتوضيح الفكرة العامة التي يريد الشاعر إيصالها للمتقّي ، وهذا التكرار حافظ على الفكرة العامة للقصيدة وساهم في ترابط عناصرها وانسجامها ، وهو ما يساعد المتلقي على فهم الموضوع ، ولا يدع مجالا للتأويلات .

وقد يكون التكرار أحيانا باستعمال الضمير المنفصل ، فيستخدم الشاعر كلمة ثم يكررها باستخدام ضمير منفصل يعود عليها ، ومثال ذلك من نفس القصيدة السابقة ، حيث يصف الشاعر سر الحب وأهميته في حياة الناس ويكرر لفظ الحب باستخدام الضمير (هو) ، فيقول :

وَالْحُبُّ عِنْدَهُ سِرٌّ شَيْ عَجَبٌ وَعِنْدَهُ عَلَامَةٌ فِي النَّظَرِ مَا تُغِيبُ
هُوَ الدَّوَاءُ هُوَ طِبِّيبُ الطَّبِّ وَهُوَ الشَّقَاءُ وَالشُّوقُ وَالتَّعْذِيبُ
هُوَ الْحَيَاةُ هُوَ زَهْوُ كُلِّ طَرَبٍ نَزْهَةُ حَبِيبِي وَرَاحَتُهُ وَتَخْلِيعُهُ

وهناك نمط آخر من تكرار الألفاظ متمثل في تكرار كلمتين متتابعتين متمثلتين في (مضاف ومضاف إليه) ، وهذا التكرار نجده في قصيدة " نجع العرب " للشاعر أحمد بن سعود ، حيث طغى هذا التكرار على أغلبية أدوار القصيدة ، مشكلا بذلك نوعا من النغم الموسيقي المتكرر ، والذي يحمل دلالات تقودنا للعودة دائما للموضوع الأساسي للقصيدة والذي يتمحور حول اللفظين المكررين (نجع العرب) ، حيث يقول الشاعر في مطلع القصيدة ²⁰ (أحمد زغب ، 2010م) :

نَجْعُ الْعَرَبِ مِطَانْبَهُ حَيْفَانَهُ أَعْطِيهِ الْمَطَرَ وَالنَّصِرَ مِنْ مُوَلَانَا
نَجْعُ الْعَرَبِ وَاجْحَافَهُ وَنَجْعُ الْعَرَبِ هَسَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَافُهُ

ثم تتكرر هذه الثنائية في مجموعة من أدوار القصيدة :

نَجْعُ الْعَرَبِ شَاغِلْنَا ...

نَجْعُ الْعَرَبِ بِفَرْوَحِهِ ...

نَجْعُ الْعَرَبِ مَتْرَبِص ...

نَجْعُ الْعَرَبِ فِي الْخِيَمَةِ ...

نَجْعُ الْعَرَبِ فِ خِيَارِهِ ...

نَجْعُ الْعَرَبِ فِي الصَّمْعَةِ ...

نفس الصورة نجدها في قصيدة " فرح الرزم " للشاعر أحمد الليبي ، حيث يقول الشاعر في مطلعها ²¹ (أحمد زغب ، 2010م) :

فَرَحُ الرِّزْمِ كَيْ لَفَنَ لَهُ حَرَائِرُ بِدَا الْفَتَنِ تَأْيِيرُ عِيَادُ اللَّفُوشَاوْ عَقْدُ النَّدَائِرِ

ثم تتكرر هذه الثنائية في مجموعة من أدوار القصيدة كالتالي :

فرح الرزم كي ضربته وشع ...

فرح الرزم نم بين النّزالي ...

فرح الرزم كي ضربته بيدي ...

4.3 - تكرار الجملة :

يعتبر تكرار الجمل أحد أنواع التكرار التي يستخدمها الشعراء " وهو نوع يُكثره الشاعر في شعره ، وهو تكرار الجملة بالكيفية نفسها ، أي الطريقة التي تبنى بها الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها " ²² (عبد الحميد هيمة، 1998م) ، وفي الخطاب الشعري الشعبي نجد هذا النوع من التكرار خاصة في بداية أدوار القصيدة ، فالشاعر يعتمد في بعض الأحيان إلى تكرار جملة بعينها في بداية الأدوار ليحافظ على الموضوع الأساس للقصيدة من جهة ، وتشكيل إيقاع موسيقي متجانس يؤثر على المتلقي من جهة ثانية .

ومثال ذلك في قصيدة " نصائح " للشاعر محمود بن عمار ، حيث يقدم فيها مجموعة من النصائح الدينية للمستمعين فيقول في مطلعها ²³ (بن حمده محمد الصالح، 2017م) :

نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي تُوبُوا لِلّٰه وَتَمَشُّوْا فِيْ اَرْضَاهُ
لَا تَنْسُوا مَذَاكِرَةَ شَرِيْفٍ سِمَاهُ

ثم يتوالى تكرار هذه الجملة في بقية مطالع أدوار القصيدة على النحو التالي:

نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي تُوبُوا لِلّٰه
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي كَانَ فَهْمْتُونِي
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي رَانِي نَصِيْحُ
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي تَمُّوا لِفُرُوضُ
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي طِيْعُوا الْوَالِدِيْنَ
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي طِيْعُوا بَعْضَاكُمْ
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي بَعْرِفِي الْيَ تَمَّ
نُوصِيْكُمْ يَا خَاوْتِي بَعْرِفِي الْمِيْجُودُ

هذا التكرار يحمل العديد من الدلالات النفسية والفنية التي تحقق غرض الشاعر ، وقد أكسب هذا التكرار النص قدرة على التأثير في المستمعين ، كما أعطى القصيدة طابعا من الحركية والاستمرارية وسرعة تدفق اللغة ، ويتمثل غرضه الأساسي في المحافظة على الفكرة العامة للقصيدة المتمثلة في النصيحة والتأكيد عنها ، مع مراعاة المحافظة على تماسك النص وانسجامه . وفي قصيدة أخرى للشاعر نفسه يعبر فيها عن شوقه وحنينه لأهله وأحابيه الذين حالة الغربة بينه وبينهم ، فيتساءل عن أحوالهم في قوله ²⁴ (بن حمده محمد الصالح ، 2017م) :

يَا لِنَدْرَا وَشْ حَال هَاك النَزِيلَه	بِفُقْدَانِهِمْ مَشْغُوبٌ مِنْ لُحْوِيلَه
وَشْ حَال مِنْ يَبْغِينَا	أَوْشْ حَال مِنْ فِي الْحَوْشْ يَفْكَرِينَا
أَوْشْ حَال لِبْنِي عَم وَمَالِينَا	أَوْشْ حَال بَنْت أُمِّي مَع لِحْوِيلَه
يَا لِنَدْرِي نَحْيُوشْ وَتِلَافِيَا	جَمِيع مِنْ يَنْشِدْ عَلَى لِحْوِيلَه

دلّ هذا التكرار على السؤال الذي شغل الشاعر وأقلقه على أهله وأحابيه ومن خلال هذا التكرار يتجلى لنا غرض القصيدة وموضوعها المحوري، والذي أكد عنه الشاعر من خلال توالي التساؤلات وتتابعها (وش حال) ، كما أنه يحيلنا على الحالة النفسية للشاعر المضطرب بالقلق والحيرة والإحساس بالحنين والشوق ، وهذا واضح وجلي من خلاله تكراره للسؤال عن الحال .

4. - خاتمة :

في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا القول أن التكرار وسيلة من الوسائل اللغوية التي تؤدي دورا تعبيرا وصوتيا في القصيدة الشعبية ، وعندما يعتمد الشاعر الشعبي لتكرار صوت أو لفظة أو جملة تتجلى لنا بشكل واضح قدرته على السيطرة على هذا العنصر المتكرر من جهة ، وتمكنه من بناء النص وتحقيق انسجامه من جهة ثانية ، كما أن للتكرار دور كبير في القصيدة على المستوى الصوتي ، فهو ينسجم مع المعنى ويتضامن معه ليقدم لنا شكلا موسيقيا راقيا ، علاوة على الغرض البلاغي الذي يؤديه ضمن المعنى العام للقصيدة .

أما أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الورقة البحثية فنجملها في ما يلي :

- التكرار من المظاهر الأسلوبية الصوتية التي اهتم بها الشعراء الشعبيون وضمّنوها خطاباتهم الشعرية للوصول إلى أهدافهم .
- حفل الخطاب الشعري الشعبي بظاهرة التكرار بجميع أنواعها ، وهذا دليل على أهمية هذه الظاهرة في تحقيق الانسجام الصوتي والإيقاع الموسيقي .
- تعددت الأغراض البلاغية للتكرار وتنوعت بحسب غرض كل شاعر .
- الاختيار هو أحد محددات أسلوب الشاعر ، وقد لمسنا هذا من خلال اختيار الشعراء للأصوات وتكرارها أكثر من غيرها خدمةً لأغراضهم الشعرية .
- ظهر جلياً في الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف اهتمام الشعراء بالجانب الموسيقي الداخلي والذي تُشكّله مجموعة من المظاهر الصوتية من بينها التكرار .
- تناسب التكرار مع ميزة الشفاهية التي تطبع الخطاب الشعري الشعبي بمنطقة سوف وهي الميزة التي تسهّل تلقي الشعر الشعبي وحفظه .

- الملحق :

- قصيدة " الفقيد الراحل " للشاعر علي عناد .

غَيْبٌ سَفَرٌ مُؤَلَّكٌ يَا تَصَوِيرَ	نُخْبِيكَ نُسْتَحْفِظُ عَلَيْكَ ذَخِيرَ
- نُخْبِيكَ فِي كُرَاسَةِ	وَنُشَوِّفُكَ مَضْرِبَ أَعَزِّ بِلَاصِهِ
وَقَرَّرْتُ قَلْبَ نَذِيرِكَ عَسَاسَهُ	يَحْمُوكَ فِي غِيَابِي عَنِ التَّغْيِيرِ
اللَّهُ يَرْحَمُهُ وَيُوجِدُ سِلَاحَ خِلَاصِهِ	وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُ اللَّهُ بِأَسْطِ خَيْرِهِ
- نُخْبِيكَ فِي كُرَاسِي	فِي الْجَيْبِ وَلَا فِي وَسَائِدِ رَاسِي
كِي نَشُوفُهَا كَايْتِي شَبَحَتِ السَّاسِي	نُعَدِّي مَعَهَا وَقْتُ فِي التَّفْصِيرِ
وَكُلُّ وَقْتٍ فَأَكْرِبُهُ مَا نِي نَاسِي	صَغُرَ خَاطِرِي وَطَاحَتِ ذَمُّوعِي غَزِيرَ
- ذَمُّوعِي طَاحَتِ	وَشَدِيدَتَهَا سَخَفَتْ فَمَسَّتْنِي سَاحَتِ
حَصْرَاهُ يَا دُنْيَا مَشَتْ وَرَاحَتِ	وَالْعُودُ اللَّيْ تُكْسِرُ مَا يَتَّوَجَدُ تَجْبِيرَ
وَلَا تُقُولُ هَاهِي إِسْقَمْتُ وَسَمَاحَتِ	وَحَتَّى الْبَحْرُ يَنْشَفُ إِيَّيْسَ غَدِيرَ
- كُلُّ شَيْءٍ لِيهِ خَدَادَهُ	وَمَا إِفِيدَشْ حَسَابَهُ أَيَّامَ عَدَادَهُ
السَّاسِي رَقْدَ رَيْحٍ وَشَدَّ أَوْسَادَهُ	بِحَالِ لَا نَظْمُ الشَّعْرِ مِنْ تَغْيِيرَ

حُكْمُ اللَّيِّ خَلَقَ مَا هُوَ شَ حُكْمُ عِبَادِهِ
 - سِرْكُنْ فِي دَارِهِ
 يَا لِنَدْرَا وَاشْ حَالَتُهُ وَأَخْبَارِهِ
 بِحَالِ لَنَا سَافِرٌ وَجِي لِنَصْغَارِهِ
 - كَانَ مَعَاهُمْ
 وَبِحَالِ لَنَا عَاشِرٌ عَشِيرٌ مَعَاهُمْ
 عُمَرَةُ غُدِي شَافِي عَلَى سِبَاهُمْ
 - سِرْفَرُوثَعْدِي
 اِتْكَسَلْ رَقْدًا يَا مَشْطَرَةَ فِي الْمَدَّةِ
 الْعَدَّادُ كَمَلَهُمْ أَيَّامُ الْعَدَّةِ
 - صَغُرَ خَاطِرِي مَقْتَوَانِي
 اتْعَدَى قِيسَانِي لِلْمَقَامِ الثَّانِي
 وَبِحَالِ لَنَا جِيئَهُ وَلَا هُوَ جَانِي
 - فَبَعْدَتْ سَاحَاهُ
 فَاقْدُ صِبَاحَهُ لَا وَجَدْتَ الرَّاحَةَ
 وَلَوْ كَانَ تُوجِدُ شَاطِرَهُ نَوَاحَهُ

وَلْخَرِينِ جَمْلَهُ شَادِينِ مَرِيرِهِ
 اِتَّقَى مِشِي فَارَقَ عَرَبَ الْحَارَةِ
 اللَّهُ يَجْعَلُهُ مَجَاوِزَ حَسِينِ السَّيْرِ
 بِحَالِ لَنَا هَدَفَ الصَّافِيَةِ وَبَشِيرِهِ
 بِحَالِ لَنَا هَدَفَ مِنْ غِييْتِهِ لَنَا جَاهُمْ
 وَبِحَالِ لَنَا حَوْشَ بَحُورِ كَثِيرِهِ
 وَعَلَى جَالِهِمْ دَاخِلَ بَحُورِ كَبِيرِهِ
 وَلِلدَّائِمَةِ لَأَحَقُّ إِبَاءَهُ وَجَدَهُ
 وَلِلْعَائِلَةِ خَلَى الشُّقَا وَالْحِيرَهُ
 وَلَا طُبَّ يَنْفَعُ لَنَا دَوَاءَ لَنَا غَيْرَهُ
 عَلَى زُولِ فَارَقْنِي مِشِي خَلَانِي
 وَمَعْجُوزَ حَارِصَ جَبْرِ فِي التَّحْدِيرِهِ
 قَعْدَ مَضْرِبِهِ كَانَ الْحَجَرَ شَمِيرَهُ
 وَضَارِبَ عَلَيْهَا الرِّيحَ وَالْفَرَّاحَهُ
 وَاشْ حَالَةُ الْفَارَقِ حَيِّبَ عَشِيرِهِ
 وَنَهْدِيلَهَا مَلِيَّةَ فُلُوسَ جَبِيرِهِ

المراجع :

- 1 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1989م .
- 2 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، مج5 .
- 3 - بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الساسي حمادي، حياته ومختارات من شعره، مطبعة مزوار، ط1، 2006م.
- 4 - بن علي محمد الصالح ، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2008 م
- 5 - التلي بن الشيخ ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830 – 1954م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دط، دت .
- 6 - خليل أحمد خليل ، الشعر الشعبي اللبناني دراسة ومختارات ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، د ط . دت .
- 7 - شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- 8 - عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر الشباب أنموذجاً، مطبعة هيمة، ط1 ، 1998م.
- 9 - عبد الكريم الروديني، فصول في علم اللغة العامة، دار الهدى، الجزائر، دط، دت
- 10 - فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط، 2004م
- 11 - محمد الصالح بن حمده، الغربية والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة سوف، الشاعر محمود بن عمار أنموذجاً، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2017 م
- 12 - محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لوتمان، ط1، 1997م،
- 13 - محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس ، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967.
- 14 - مشاركة محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1988 ، دمشق ، سوريا ، ط1.
- 15 - نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، دت
- 16 - موسى ربايع، الأسلوبية في الشعر الجاهلي، دار جرير للنشر، عمان، الأردن ، ط1 ، 2010م.
- 17 - يوسف أبو العدوس، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
- 19 - لقاء مع الشاعر شوشاني محمد الجيلاني من عرش الربيع عمره 65 سنة بمنزله بالبياضة ولاية الوادي يوم الاثنين 18 مارس 2019 م .

- الهوامش :

- 1 - خليل أحمد خليل ، الشعر الشعبي اللبناني دراسة ومختارات ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، د ط ، ص5
- 2 - محمد المرزوقي ، الأدب الشعبي في تونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1967 ، ط5 ، ص 51
- 3 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1989 ، ص 528 .
- 4 - التلي بن الشيخ ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830 - 1954) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 395.
- 5 - نبيلة سنجاق ، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة ، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي ، دت ، ص 133.
- 6 - ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص 526 - 567 .
- 7 - مشاركة محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، ص 428.
- 8 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، مج5 ، مادة (كر) ، ص 135 .
- 9 - موسى ربيعة ، الأسلوبية في الشعر الجاهلي ، دار جرير للنشر ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010م ، ص14 .
- 10 - شفيق السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1996 ، ص 212 .
- 11 - يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق ، المسيرة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2007م ، ص 237 .
- 12 - عبد الكريم الرودي ، فصول في علم اللغة العامة ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 155 .
- 13 - محمد الصالح بن علي ، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد ، مديرية الثقافة لولاية الموادي ، ط1 ، 2008 م ، ص 130.
- 14 - فهد ناصر عاشور ، التكرار في شعر محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، الأردن ، ط ، 2004م ، ص 60 .
- 15 - أحمد زغب ، أعلام الشعر الملحون بمنطقة سوف ، ج3 ، مرجع سابق ، ص 39 - 40.
- 16 - محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوتمان ، ط1 ، 1997م ، ص 404 .

- 17 - بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الساسي حمادي، حياته ومختارات من شعره، مطبعة مزوار، ط1، 2006 م، ص 120 - 121 .
- 18 - لقاء مع الشاعر شوشاني محمد الجيلاني من عرش الربيع عمره 65 سنة بمنزله بالبياضة ولاية الوادي يوم الاثنين 18 مارس 2019
- 19 - بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الساسي حمادي، حياته ومختارات من شعره، مرجع سابق، ص 71 .
- 20 - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ج2، ص 94.
- 21 - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج1، مرجع سابق، ص 111.
- 22 - عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر الشباب أنموذجا، مطبعة هيمة، ط1، 1998م، ص37 .
- 23 - محمد الصالح بن حمده، الغربية والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة سوف، الشاعر محمود بن عمار أنموذجا، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2017 م، ص 134.
- 24 - محمد الصالح بن حمده، الغربية والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة سوف، الشاعر محمود بن عمار أنموذجا، مرجع سابق، ص 119 - 120 .



تعلم اللغات الأجنبية في المراحل العمرية المبكرة - في عصر العولمة -

وآثارها على تعلم اللغة العربية، وعلى التنشئة اللغوية للفرد

Foreign Linguistics In The Early Stages Of The Globalization Era And Its Effects On Learning Arabic And On The Individualization Of Language.

طارق ثابت

كلية اللغة والأدب العربي والفنون - جامعة باتنة

thabettarek@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-08-16

تاريخ الاستلام: 2018-05-18

ملخص -

سوف تبحث هذه المداخلة في تعلم اللغات الأجنبية في المراحل العمرية المبكرة وآثار ذلك على تعلم اللغة العربية، وعلى التنشئة الثقافية واللغوية للفرد، مع بيان بعض الحلول لذلك؛ لأن الإشكالية المطروحة هنا هي في كيفية تدخّل اللغة والثقافة في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد باعتبارهما ضابطين أو قانونين يأتیان لتأطير الفرد ومنحه في المقابل هوية تُدرّكُ بعبارات التماهي مع الوسط الذي يقبل هذا الفرد لغته واستعمالاتها؛ وإشكالية اللغة العربية التي تعيش في الوقت الراهن تدهورا على مستويات كثيرة، لا سيما في ظل المتغيرات الدولية الجديدة أو ما أُصطلح على تسميته "بعصر العولمة" الذي باتت فيه هويات الشعوب الثقافية، لا سيما الهوية اللغوية مهددة بالتراجع إن لم نقل بالزوال والاندثار، وقد توصلت المداخلة إلى بعض الحلول والتوصيات لذلك.

الكلمات المفتاحية -

اللغات الأجنبية، العولمة، اللغة العربية، التنشئة اللغوية.

Abstract-

Cette Intervention Examinera L'apprentissage Des Langues Etrangères A Ses Débuts Et Ses Conséquences Sur L'apprentissage De La Langue Arabe Et Sur L'éducation Culturelle Et Linguistique De L'individu, Avec Quelques Solutions, Car Le Problème Est Ici De Savoir Comment Interférer Avec La Langue Et La Culture Dans Le Processus De Socialisation De L'individu A L'avenir. Le Problème De La Langue Arabe, Qui Se Dégrade Actuellement A Plusieurs Niveaux, Notamment A La Lumière Des Nouvelles Variables Internationales Ou De Ce Que L'on Appelle "L'ère De La Mondialisation « Qui Est Devenue L'identité Culturelle Des Peuples, En Particulier L'identité Linguistique Est Menacée De Se Retirer Sinon L'extinction Et L'extinction, A Atteint Une Intervention A Des Solutions Et Des Recommandations Pour Cela .

Mots-Clés-

Langues Etrangères, La Mondialisation, La Langue Arabe, L'éducation Linguistique.

1 -مقدمة: إن اللغة هي قوام الأمة، وقوام كيانها التاريخي والثقافي والحضاري، فهي العنصر الأساسي في التكوين القومي للشعوب؛ إذ ليست اللغة أداة للمتخاطب فحسب، بل وعاء يحمل في طياته الفكر نفسه، ولغة كل أمة هو لسان حالها الذي يعبر عن آلامها وآمالها، وبواسطتها تحفظ تراثها الفكري والثقافي والعلمي والحضاري، كي ينقل من جيل إلى آخر؛ حيث تقاس حضارة أمة من الأمم بكم التراث العلمي والفني والأخلاقي المدون بلغتها، كما تضطلع اللغة بدور رئيس في عمليتي التنمية الحضارية والتبادل الثقافي لا لكونها أداة تواصل واتصال نعبر بها عن المفاهيم والأفكار والتصورات والقيم، ونحفظ بها التراث الفكري والثقافي والعلمي فحسب؛ بل بوصفها أحد العناصر الجوهرية من العناصر المكونة للثقافة والفكر تتجاوز أهميتها من التعبير والحفظ إلى التغيير أيضا، ولا تقل أهمية اللغة في الدراسات التاريخية أيضا فهي مفتاح

معرفة الحوادث والوقائع والانجازات المدونة في الوثائق؛ حيث تعتبر اللغة الوسيلة التي اعتمدها الإنسان في تدوين الأخبار والانجازات المختلفة، فالوثائق التي تعتبر الركيزة الأساسية في المعرفة التاريخية، سواء كانت هذه الوثائق مدونة على الجدران أم على أوراق أم على ألواح أم على جلود حيوانات وغيرها، تعتمد في أغلب الحالات بما تحتويه من معلومات وصور ومخططات وأشكال على اللغة وكيفية استعمالها في التعبير عن الحوادث والحالات، فتحفظ المندثر وتدعم الباقي بالشاهد اللغوي.

2 - اكتساب اللغة الأجنبية والتعدد اللغوي: يتعلق اكتساب اللغة الثانية بدراسة الطريقة التي يصبح فيها الفرد قادراً على تعلّم لغةٍ أو أكثر، غير لغته الأولى، قد يبدأ من الطفولة أو بعد سنّ البلوغ، والفرد الماهر في تعلّم لغتين ويستطيع أن يتحدث بسجيةٍ وتلقائيةٍ يمكن اعتباره ثنائي اللغة (Bilingual)، وقد حظي تعليم اللغة باهتمام كبير من اللغويين وعلماء الاجتماع وعلماء التربية وعلماء النفس، وكان من نتيجة هذا الاهتمام أن تطوّر وتبلور شيئاً فشيئاً حتّى أصبح علماً قائماً بذاته، له مصادره كما أنّ له مجالاته، وأطلق على هذا العلم الجديد الذي شهد النور في منتصف القرن الماضي علم اللغة التطبيقيّ Applied Linguistics وتناول هذا العلم في بداية ظهوره مجالات عدّة: من مثل تعلّم اللغة الأولى وتعليمها، تعليم اللغة الأجنبية، التعدّد اللغوي، التخطيط اللغوي، علم اللغة الاجتماعيّ.

إن الحياة المعاصرة تفرض على الفرد أن يكون متشعباً بأكثر من لغة واحدة حتى يتمكن من التفتح على العالم وثقافته وتكنولوجياه؛ فنجد أن معظم دول العالم قد أدرجت ولو لغة ثانية إما في المرحلة المتوسطة (الإعدادية) أو خلال المرحلة الابتدائية كما هو الحال بالنسبة للجزائر؛ نظراً للاعتقاد السائد حول أهميتها في وقت مبكر كما جاء به: "précoce bilinguisme بنفيلد"، حيث

أشار¹ إلى إمكانية شروع الطفل في تعلم لغة ثانية منذ سن الحضانة، وأكد "بنفيلد" رأيه مشيراً إلى مرونة أعصاب الدماغ أثناء هذه السن، وأضاف بأن التدريب المبكر على أصوات هذه اللغة يساعد أعضاء الصوت على التكيف معها وبالتالي تضادي الوقوع في مشكلات قد تخلقها الازدواجية فيما بعد، فتموه الذهني يكون في نفس الوقت بنفس إيقاع سير نمو اللغوي في كلتا اللغتين اللتين يمتلك، ويمكن أن يعرف التعدد اللغوي بنفس التعريف الذي عرف به "مارتيني"² الازدواجية اللغوية والتي تتمثل في كون مزدوج اللغة يمارس استعمال لغتين وطنيتين بنفس الكفاءة، وإن كل لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به (أي أنه يملك أداتين للتفكير ونظاميين ثقافيين).

أما "تيتون"³ فيرى أنها القدرة على التعبير بلغة ثانية مع احترام المفاهيم والبنى الخاصة بها، دون اللجوء إلى ترجمة باللغة الأم، ويمكن أن نبرز أسباب ذلك كالتالي:

أ - الأسباب السياسية: للعامل السياسي أهمية كبرى في ظهور الثنائية اللغوية وتفشيها، كالهجرة الجماعية لأسباب سياسية، أو اقتصادية، أو دينية هروباً من الاضطهاد السياسي، أو العرقي، أو الديني، وحتى هروباً من الفقر والأمراض بحثاً عن السلامة والأمن، فينشأ عن هذه الهجرات احتكاك قوي، إما أن تتعلم الجماعة لغة البلد المضيف أو العكس.

كذلك يسهم الغزو العسكري في نشوء الثنائية اللغوية، إذ أن طول مدة الاحتلال وشعور أفراد الدولة بأهمية اللغة الغازية ومنفعتاتها، وتفاعلهم معها، يعطي اللغة الغازية دفعة للاستمرار والبقاء والانتشار.

¹ winkin (yves) : vers une anthropologie de la communication, p.22 science humaines N° 4

² مقال لـ عمار تعوينات بعنوان "الازدواجية اللغوية والثقافية في الجزائر" منشور بموقع

الكاتب

<http://taouinet.maktoobblog.com/55/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B2%D8%AF%>

³ المرجع السابق.

ب - الأسباب الاقتصادية: تسهم العوامل الاقتصادية في نشوء الثنائية اللغوية وتنميتها، وذلك أن الانتصار الذي تناله إحدى اللغتين يكون في ميدان المعاملة، يعني في صميم الحياة نفسها، كذلك تستدعي حركات التصنيع في كثير من البلدان استخدام عمال ذوي جنسيات مختلفة ما يؤدي إلى نشوء ثنائية.⁴

ج - الأسباب الاجتماعية: بدورها الأسباب الاجتماعية تتسبب في ظاهرة الثنائية اللغوية، فال يونانية مثلا كانت تمثل ثقافة من أعرق ثقافات البشرية، ولذلك لم تستطع اللاتينية التغلب عليها، كذلك من العوامل المسهمة والمؤثرة عامل الزواج، فالزواج بين أصحاب جنسيات مختلفة يولد جيلا من الأطفال ثنائيي اللغة، بحيث يحمل الطفل لغة الأم والأب معاً، فالأم تصرّ على تعليمه لغتها والأب أيضاً، وهذا ما يحدث حين يفكر الشاب بالهجرة إلى الدول الغربية بقصد التعليم، والعمل فيكون الزواج من الأجنيات⁵، كما أن المستوى الاجتماعي يعمل في الثنائية، فتكتسي الثنائية حلة المكانة الاجتماعية [البرستيج].⁶

د - الأسباب النفسية: تبرز الأسباب النفسية في فقدان الثقة بالنفس، وباللغة الأم وتلك حال بعض الطلبة الذين يشعرون بالاعتزاز باستخدامهم لألفاظ أجنبية فضعف الدول العربية مثلا ولد في نفوس أهلها الشعور بالتخلف عند التحدث بلغتهم الأم، فيرغب هؤلاء في تقليد الغرب القوي والمتحضر والمتفوق.⁷

ج - الأسباب التربوية: للتعليم دور في انتشار الثنائية فحين يكون التدريس في كافة مراحل اللغة الأم تنهض اللغة، وتتطور، وتنحصر اللغات الأجنبية، ولكن المشهد التعليمي الجامعي في البلاد العربية يتناقض مع هذه الوجهة، إذ أن كثيرا من التخصصات تدرس بلغات أجنبية، لاسيما التخصصات العلمية إذ

⁴ عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان، 2007، ص 103.

⁵ عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، ص 105.

⁶ يعني ذلك اكتساب لغة ثانية رفيعة تساعد على تقمص منزلة اجتماعية رفيعة.

⁷ عناني وليد وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، ص 105.

تدرس باللغة الفرنسية أو الإنجليزية مما يجبر الطالب على الثنائية، وذلك في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي، بالإضافة إلى أن هناك مصطلحات لا مقابل لها مما يفرض عليه استخدام المصطلح باللغة الأجنبية دون محاولة تعريبه، إضافة إلى أن بعض الأسباب تتعلق بالإعلام وما يلحظ فيه من خروج في كثير من الأحيان عن اللغة الأم في محاولة لترويج إعلان أفضل وأرقى يجذب الانتباه. □

أما أشكال التعدد اللغوي فهي ثلاث أنواع □ :

أ - الازدواجية اللغوية التكميلية (le bilinguisme additif): وفيها تُستخدم اللغة الأولى مثل اللغة الثانية وكل واحدة ذات مرجع ثقافي خاص بها؛ أي أن أصحاب هذا النوع لهم سجلين لغويين وثقافيين، ولا يوجد تداخل بينهما وتسمى أيضا بالازدواجية المتزنة وفيها يملك الفرد نظامين دلاليين منفصلين وكل واحد له ارتباطات خاصة به (بين الدال والمدلول)، أي نظامين من المفاهيم واحد لكل لغة، مما يسمح له بسهولة الاتصال مع أفراد اللغة الأولى وأفراد اللغة الثانية.

ب - الثنائية اللغوية (la diglossie): وهي التي يكون فيها تنافس لهجتين ذات وضع اجتماعي ثقافي متباين إحداهما معتبرة محليا ويعني شكلا لغويا مكتسبا أوليا، ومستخدما في الحياة اليومية، والثاني يمثل اللغة التي تستعمل في بعض الظروف ومفروضة من قبل الذين يمثلون السلطة، وتسمى أيضا من قبل اللغويين بالوضعية (سوسيو - لغوية) □□، ويمكن لهذه الثنائية اللغوية أن لا تمس إلا جزءاً فقط من مجموعة معنية، وتسمى أيضا بالازدواجية المركبة حيث يملك الفرد نظاما متّحدا أو مدموجا، فيسلك سلوك المتحدث الأصلي في أي

⁸ المرجع السابق، ص 107 بتصرف.

⁹ ينظر الدكتور عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي

والكتابي، دار هومة، الجزائر، ص 73.

¹⁰، نور الدين النيفر فلسفة اللغة واللسانيات، ط 1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر

والتوزيع، 1993، ص 167 بتصرف.

من اللغتين، نظرا لكون الوحدات الدلالية تمثل اتحادا لوحدات اللغتين، ولا يكون لديه سوى نظام واحد حيث الارتباطات تمثل خليط النظامين اللغويين وفي هذا النوع نجد الطفل يتذبذب بين إسناد المفاهيم إلى لغته الأصلية واللغة الثانية.

ج - الازدواجية اللغوية الناقصة أو شبه الازدواجية (le bilinguisme soustractif): وفي هذه الحالة نجد أن الثقافتين الأصلية والثانية تتدخلان دائما في استعمال سواء اللغة الأصلية والثانية دون وعي، وتوضح في عدم إتقان أي من النظامين اللغويين، ويطلق عليها أيضا الازدواجية غير المتزنة □□؛ حيث يتكلم الفرد اللغة الأم ولكنه يرجع إلى لغته الأصلية فيما يخص الدلالة عند تحدّثه بلغة ثانية لأنه يستعين بها وينظامها اللغوية والدلالي فهو لا يملك إلا نظاما لغويا واحدا هو نظام لغته الأم، ولكن اللغة الأخرى تستعمل عادة بواسطة الترجمة، والمشكلة هنا تظهر عندما تكون هناك فكرة يمكن أن تُستحضر بلفظة واحدة في اللغة الأم، بينما تتطلب موازنة معنوية بواسطة عدة ألفاظ في اللغة الأخرى، أي يُترجم عناصر لغة إلى أخرى.

3 - التعليم المبكر للغات الأجنبية ومخاطره: من الطبيعي بالنسبة للغة الأجنبية أن يبدأ التعرض لها في المرحلة المتأخرة لا السليقة عند الطفل، وأن هذا هو وقت بداية ظهور الحاجة لها، وقد كان واقع اللغة الأجنبية في الوطن العربي من حيث سن بدء التعرض ومداه مرضيا عنه حتى وقت قريب، و لكن دخولنا في عصر العولمة والذي تغلب عليه الثقافة الغربية فرض على اللغويين والتربويين على حد سواء دراسة إمكانية تحسين وضع اللغة الأجنبية، وذلك لزيادة الحاجة إليها، فبدؤوا يدرسون أسباب ضعف الطلاب فيها علّ الضعف ينتفي بانتفاء السبب، وبالرغم من أن هناك العديد من الأسباب المرشحة منطقيا لتفسير ضعف المستوى العام إلا أن السبب الرئيس الذي تركز عليه معظم البحوث في الآونة الأخيرة هو سن بدء التعرض للغة الأجنبية، وقد ظهرت مجموعة ليست بالقليلة من البحوث تُعلّق الضعف أساسا على تأخير بدء التعرض للأجنبية لما

¹¹ المرجع السابق، ص 168.

بعد المرحلة الابتدائية، وتدعو للتبكير بتعليم الأجنبية كعلاج ناجع لضعف طلابنا في هذه اللغة، وتتلخص حجج المعارضين للتبكير في أن فيه إضعافا للغة الأولى وتمييعا لثقافتها. وقد كان أول من نبه إلى الأثر السلبي لجمع علمين على المتعلم هو ابن خلدون حين قال "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معا ويستصعبان. ويعود منهما بالخيبة"¹²، وبالتالي نستطيع القول انه تبعا لابن خلدون فإن الكفاءة في كلا اللغتين ستتأثر سلبا إن تعرض الطالب لهما في نفس المرحلة.

واليوم يؤمن الكثير من المتخصصين في الثنائية اللغوية¹³ بأن تعلم لغتين أو أكثر في سن الطفولة يؤثر سلبا على إتقان إحدى هذه اللغات، والحقيقة أن هناك عدد من الأبحاث العلمية العملية التي اهتمت بدراسة هذا الأثر السلبي للتبكير بتعليم اللغة الأجنبية، منها ما شمل جميع مهارات اللغة الأم ومنها ما اقتصر على هذه المهارة أو تلك، وقد خلص إلى أن التبكير في تعريض الطالب العربي للغة الإنجليزية أو الفرنسية يؤثر سلبا على مهارتي القراءة والكتابة في اللغة الأولى نظرا لاختلاف اتجاه مسار العين في العربية عنه في الأجنبية، فالأولى تتطلب تعويد الطالب عينه الاتجاه من اليمين إلى اليسار والثانية تتطلب قلب الاتجاه إلى الضد وهذا يسبب إعاقة لتطور الطالب في اللغتين، و بروز ظاهرة الخلط اللغوي، والتعميم عند طلاب الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية.

¹² - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإي، دار الشروق، مصر، ط4، ص535.

¹³ Stavans, A. (1990). Code Switching in Children Acquiring English. University of Pittsburgh.

و يؤكد آخرون الأثر السلبي للغة الأجنبية على مهارة النطق أو التحدث، فقد تُؤكد¹⁴ من وجود ظاهرة التداخل من الإنجليزية إلى العربية وخاصة على المستوى الصوتي حيث أكد 35% من المدرسين في الكويت أن نطق الطلبة بعد تطبيق نظام إدخال الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في عام 1993 أصبح أسوأ مما كان عليه قبل إدخال هذه المادة، ويمثل لهذه الظاهرة في تسمية الطلاب بعض الأصوات العربية بأسماء الأصوات الإنجليزية كتسمية الكاف (كاي) أو الميم (آم) وغيرها.

والحقيقة أن أثر اللغة الأجنبية السلبي على مهارة التحدث في اللغة الأولى لا يقتصر على لحن الطلاب في نطق الأصوات بل يتعداه لضعف عام في القدرة على التعبير تعبيرا كاملا عن كفاءتهم التعليمية وتحصيلهم الدراسي، وإن أحد أسباب ضعف التحصيل اللغوي في اللغة الأولى يرجع لتعلم اللغة الأجنبية في بداية المرحلة الابتدائية.

إن بعض الباحثين يعتقدون بأن للتبكير تأثيراً غير مباشر يأتي من الموازنة بين العربية واللغات الأجنبية يقول نصرت عبد الرحمن "إن بعض الطلبة يوازنون بين العربية واللغات الأجنبية صعوبة ويسرا وترجح لهم صعوبة العربية في نحوها وصرفها ورسم حروفها وإملائها، فيخذلون زملاءهم عن العربية، وتنتقل الألفة إلى معلمي العربية، وواضعي المناهج، ومؤلفي الكتب المدرسية، يذهبون إلى التيسير بعد التيسير حتى باتت كتب العربية لا تعلم العربية¹⁵، ومن الآثار غير المباشرة أيضاً أن التبكير بإدخال الأجنبية يزيد احتمال التأخر الدراسي الذي يسبب النفور من العلم عموماً، ومن ثم يزيد احتمال التسرب الذي يحرم الطلاب من فرصة التعرض للفصحى كونها غير مستخدمة كلغة للتواصل في

¹⁴ طه أمين ، دراسة متخصصة حول أثر الإنجليزية على اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ (1419/10/8هـ).

¹⁵ - نصرت عبد الرحمن ، أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مرحلة التعليم العام، بحث مقدم لندوة أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مراحل التعليم، مجمع اللغة العربية، عمان. في الفترة 26/ آذار/ 1988م.

الحياة اليومية، ففي دراسة لأحد الباحثين¹⁶ قارن فيها أداء تلاميذ مدارس اللغات في مادة العلوم بأداء تلاميذ المدارس الرسمية بنفس المادة، وجد الباحث أن التلاميذ الذين درسوا العلوم باللغة الإنجليزية أي تلاميذ مدارس اللغات قد تأخروا دراسيا عن أقرانهم في المدارس الرسمية الذين درسوا العلوم باللغة العربية، فضلا عن أن تلاميذ مدارس اللغات يستثقلون المادة و ينفرون منها.

إن أكثر ما يستشهد به المعارضون للتبكير في إثبات ضرره كون الأجنبية تُفرض في جميع المراحل غداة كل استعمار وذلك لتغيير اتجاهات الشعوب وتسهيل تبعيتهم، والأجانب أنفسهم لا ينكرون هذا بل يؤكدونه في كتبهم، فقد ذكر (Carny)¹⁷ أن تعليم اللغات الأجنبية يمكن أن يكون أداة للاستعمار الثقافي وغالبا ما تتبناه الدول التي لا تزال لديها نوايا استعمارية.

إن نظرة الانبهار بالأجنبية مجتمعة مع النظرة الدونية للعربية تعوق نمو الطفل الفكري وتقلل من احترامه لنفسه وثقافته خاصة، و"أنها تضعف الانتماء إلى الثقافة الأصلية. فغالبا ما يرى الطفل نفسه منتميا إلى ثقافة اللغة الأقوى اجتماعيا"¹⁸، فاللغة ليست مجرد كلمات وعبارات و تراكيب نحوية، وإنما هناك مضمونها الذي يحمل ثقافة أهلها وأفكارهم وقيمهم، والتي سوف تمثل المكان الأرفع في تشكيل وجدان المتعلم.

لقد استطاعت اللغات الأجنبية النيل من أجيالنا المعاصرة وبخاصة ما يحدث من مخطط مدروس لهدم هويتنا الثقافية من خلال تهميش اللغة العربية والاهتمام باللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية بشكل خاص، وفي دول الخليج أصبحت الإنجليزية هي اللغة الأولى السائدة في التعليم من خلال

¹⁶ يسري عيفي، تأثير تدريس العلوم باللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية على تحصيل التلاميذ واتجاهاتهم في مادة العلوم، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، ع 6، ص 125.

¹⁷ Carny, M. Education as Cultural Imperialism. NY: David Mackay Company Inc. 1974.

¹⁸ حمد الرشيد، تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية الإيجابيات والسلبيات (دراسة استطلاعية)، رسالة الخليج العربي، ع 68، ص 19، ص 79.

المدارس والكليات والجامعات والمؤسسات والقطاعات الأخرى، وقد دلت البحوث التربوية على أن استعمال لغة أجنبية في التعليم مسؤول إلى حد كبير عن الهدر في الموارد خاصة في الدول الفقيرة، وأيضاً عن الارتباك والإحباط وارتفاع نسب التسرب بين الطلاب الذين يجدون أنفسهم في وضع لا يمكنهم من معرفة ما يدرس باللغة الأجنبية بسبب عدم معرفتهم الكافية لهذه اللغة^{□□}. ويبدو أن استعمال اللغات الأوروبية في التعليم في البلدان النامية مرتبط إلى حد كبير بقرارات سياسية لا علاقة لها بالاعتبارات التربوية الصحيحة. ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في الأقطار الإفريقية في جنوب الصحراء التي وجدت أن استعمال اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية في التعليم يعيق عملية الاندماج الاجتماعي بين فئات الطلبة في الصف الواحد. وتدل الدراسة التي قام بها K.Heugh على أن 75% من أطفال المدارس في جمهورية جنوب إفريقيا لا يستطيعون إنهاء المدرسة بنجاح بسبب العائق اللغوي المتمثل باستخدام اللغة الإنجليزية كلغة تدريس، ولهذا السبب بالذات تمت الموافقة للسكان الأصليين المعروفين بالأفريكانوس Africanos بأن يتعلموا بلغتهم الأصلية بدلاً من اللغة الإنجليزية[□].

إن استخدام اللغة الأجنبية في تدريس العلوم الأساسية والهندسية والطبية وتكنولوجيا المعلومات يوجد شعوراً بالاستغراب وحتى الدونية عند الطالب العربي الذي يجد أن اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية هما لغات العلوم الحديثة، في حين تستعمل اللغة العربية في تدريس مواد أقل أهمية.

إن من المسلمّات التربوية التي أبانها البحث التربوي وأثبتتها التجربة العملية أن الطالب يستوعب الموضوع الذي يدرسه بلغته بشكل يفوق استيعابه له إذا ما تعلمه بلغة غير لغته، ويلعب التعليم باللغة الأم دوراً حاسماً في تحقيق نوعية

¹⁹ David Marsh , " English as a Medium of Instruction in the New Linguistic_Order: Global Characteristics ,Local Consequences", 2006, p.30

²⁰ K.Heugh , The Case against Bilingual Education and Multilingual Education in South Africa , (Cape Town : praesa , 2000).

التعليم وجودته، كما أنه يساعد على توطين العلوم وترسيخ طرائقها وتطور منهجية البحث العلمي فيها في وجدان المتعلمين وإدراكهم.

إن تعلم لغة أجنبية وإجادتها ضرورة في عصرنا ولكن هذا لا ينبغي أن يتم على حساب اللغة القومية التي يجب أن تدرس بها غالبية المقررات الجامعية في مجال الإنسانيات، وما لا يقل عن ثلث المقررات في المجالات الأخرى، إن تدريس غالبية المقررات الجامعية باللغة الإنجليزية يقطع صلة الطالب بلغته العربية ويفقده ما اكتسبه خلال مرحلة ما قبل الجامعة .

6 -خاتمة:إن ما يهددنا في عصر العولمة هو تهديد لجميع أركان الهوية:(الدين ، اللغة ، الثقافة ، الجوانب الاجتماعية ...)، وهذه الخطورة بعواملها المختلفة المتعددة قد تكون مفروضة لا خيار لنا فيها، وبعضها قد تكون بأيدينا، كما هو الحال في التعليم باللغة الأجنبية إذ هو أحد الأبواب التي تؤثر في الهوية ؛ فعن طريقه تتسرب إلى عقلية العربي الجوانب الثقافية والاجتماعية وغيرهما الأجنبية من خلال العناية بمحتوى اللغة الأجنبية - وبالذات في ظل الانهزامية التي يعيشها كثير من أفراد الأمة بسبب عوامل كثيرة، منها : النظرة العالية إلى الثقافية الأجنبية في مقابل النظرة الدونية للعربية وتراثها بل وأهلها - فتظهر بوادر التقمص بالشخصية الأجنبية (لغة وسلوكاً ومظهراً)، فمن المؤسف مثلاً استعمال اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) في التدريس في الكليات العلمية والطبية، وفي الأخير يمكن أن نقول أن الفرد لا يعي هويته الثقافية واللغوية إلا انطلاقاً من تعرفه على لغته وتنميتها والمحافظة على أصالتها قومياً وإنسانياً، باعتبارها مصدر إبداع وعطاء وتفاعل مع مختلف الثقافات العالمية .

مصادر ومراجع البحث

أولا - الكتب:

- 1 - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإيفي، دار الشروق، مصر، ط4، د.ت.
- 2 - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة 212، الكويت، آب 1996 .
- 3 - أنيس فريحه، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار، بيروت، لبنان، 1980م.
- 4 - عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر.
- 5 - عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ط3، 1980، مؤسسة الرسالة بيروت.
- 6 - عناني وليد وبرهومة عيسى، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان، 2007.
- 7 - محمد محفوظ، الإسلام الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- 8 - نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، ط1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، 1993.

ثانيا - المراجع الأجنبية:

- 1-Carny, M. Education as Cultural Imperialism. NY: David Mackay Company Inc. 1974.
- 2-David Marsh , " English as a Medium of Instruction in the New Linguistic Order: Global Characteristics ,Local Consequences", 2006.
- 3-K.Heugh , The Case against Bilingual Education and Multilingual Education in South Africa , (Cape Town : praesa , 2000).
- 4- Stavans, A. (1990). Code Switching in Children Acquiring English. University of Pittsburgh.
- 5- winkin (yves) : vers une anthropologie de la communication, science humaines N° 4.

ثالثا - المجلات والصحف :

- 1 - التركي الحمد، مقال: "هوية بلاهوية - نحن والعولة"، ورقة مقدمة لمؤتمر القاهرة، مصر، 1998، بعنوان العولة وقضايا الهوية الثقافية صحيفة "المدينة" السعودية، ملحق (الأربعاء)، في 15 أفريل 1998م.
- 2 - تيسير الكتابة بالعربية، مجمع اللغة العربية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، 1958م.
- 3 - حمد الرشيد، مقال: "تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية الإيجابيات والسلبيات (دراسة استطلاعية)"، رسالة الخليج العربي، ع 68، س 19.

- 4 - خافيير دي كويلار، مقال: "التنوع الإنسان المبدع"، تقرير اللجنة المعنية بالثقافة العالمية والتنمية، منشورات اليونسكو، الطبعة العربية القاهرة، مصر، مركز مطبوعات اليونسكو، سنة 1996م.
- 5 - الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الثقافة، ط.2
- 6 - سعيد بنكراد، مقال: "استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة"، مجلة علامات ع21 س..2004
- 7 - طه أمين، مقال: "دراسة متخصصة حول أثر الإنجليزية على اللغة العربية في المرحلة الابتدائية"، جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ(8/10/1419هـ).
- 8 - عبد العزيز العاشوري، مقال: "اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب"، مجلة "المستقبل العربي السنة (4)، عدد (27)، ماي 1981م.
- 9 - نصرت عبد الرحمن، مقال: "أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مرحلة التعليم العام"، بحث مقدم لندوة أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية في مراحل التعليم، مجمع اللغة العربية، عمان. في الفترة 26/ آذار/ 1988م.
- 10 - يسري عفيفي، مقال: "تأثير تدريس العلوم باللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية على تحصيل التلاميذ واتجاهاتهم في مادة العلوم"، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، الكويت ع6 .

رابعاً - المواقع الالكترونية:

- 1 - مقال لعمر كوش بعنوان : "التواصل وفلسفة العمل التواصلي"، في موقع مجلة الرأي بتاريخ 08/12/2009. <http://www.arraae.net/culture/9842.txt>
- 2 - مقال لعمار تعوينات بعنوان "الازدواجية اللغوية والثقافية في الجزائر" منشور بموقع الكاتب
<http://taouinet.maktoobblog.com/55/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B2%D8%AF%>



تأثير التسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح للوجهة السياحية بالجزائر

-دراسة حالة عينة من مركبات العلاج الحموي بالجزائر -

The impact of direct tourism marketing in the decision to choose
the tourist destinations tourist in Algeria

Case: A sample of Therapeutic tourism complex in Algeria

بلقاسم تويزة¹ ، العيد قريشي²

1- كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة البويرة

2- كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة جيجل

¹ touizabelkacem@yahoo.fr

² laid.korichi@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-26

تاريخ الاستلام: 2019-04-05

الملخص -

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التسويق المباشر السياحي وأثره في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية بالجزائر ولتحقيق هذه الأهداف تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتكون مجتمع الدراسة من السياح الذين توافدوا إلى مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) أثناء فترة إجراء دراستنا، وتم استخدام الاستبانة كأداة رئيسية لهذا الغرض لتطبيقها على عينة الدراسة المكونة من (556) سائح، وتم تحليل 500 استبانة بنسبة (94,16 %). أما بالنسبة لموظفي إدارة المركبات السياحية فتم أخذ المجتمع برمته نظرا لصغر حجمه والبالغ (101) مفردة، وتم استرجاع (77) استبانة خضعت للتحليل النهائي وبنسبة استرداد (83,17 %). ولتحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS)، وتوصلت الدراسة إلى وجود تأثير ذو دلالة إحصائية للمتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) في قرار اختيار السائح لمركبات

السياحة العلاجية الحموية حسب وجهة نظر كل من السياح وإدارة المركبات السياحية (عينة الدراسة).

الكلمات المفتاحية -

السياحة، التسويق المباشر السياحي، الوجهة السياحية، السياحة الحموية، قرار السائح.

Abstract-

This Study Aims To Identify The Reality Of Direct Tourism Marketing And Its Impact On The Decision To Choose The Therapeutic Tourism In Algeria And To Achieve These Goals Was Used Descriptive Analytical Method, The Study Population Will Be Tourists Who Have Come To The Red Sea Medical Tourism (Study Sample) During The Period Of Our Study, , And The Questionnaire Was Used As A Main Tool For This Purpose To Be Applied To The Sample Of The Study Consisting Of (556) Tourists, 500 Questionnaires Were Analyzed By (94.16%). A Sample Of 101 Employees Was Selected, And 77 (Questionnaire) Were Returned To The Final Analysis With A Recovery Rate (83.17%). To Analyze And Process Data Statistically, The Statistical Program (SPSS). The Study Found That There Is A Statistically Significant Effect Of The Independent Variable (Direct Tourism Marketing) In The Decision To Choose The Tourist, Therapeutic Tourism Complex , According To The View Of Both Tourists And The Management Of Tourist Complex(Sample Study).

Keywords-

Tourism, Direct Tourism Marketing, Tourist Destination, Therapeutic Tourism, Tourist Decision.

مقدمة-

من الحقائق الثابتة التي لا يختلف حولها عاقلان فإن السياحة قد أصبحت في عصرنا الحاضر صناعة قائمة بذاتها , مما أهلها لاحتلال مكانة رفيعة بالغ الأهمية , نظرا لما حققته وتحققه من منافع متعددة على كافة المستويات والأصعدة سواء كانت اقتصادية , اجتماعية , ثقافية , بيئية ,

إنسانية... الخ. فقد اهتمت غالبية الدول بالعمل على تعظيم الآثار الإيجابية للسياحة، وتجنب أثارها السلبية من خلال استراتيجيات التنمية السياحية ، والتسويق السياحي المعتمدة والتي تهدف إلى زيادة واستمرار التدفق السياحي . والجزائر واحدة من هذه الدول النامية . التي أصبحت تسطر استراتيجيات بعيدة المدى في مجال التنمية السياحية بالنسبة للسياحة الدولية و السياحة الداخلية على حد سواء .

وتعتبر السياحة العلاجية الحموية في الجزائر من أهم أنواع السياحة الداخلية ، لأسباب عديدة من بينها فإن السياحة الحموية تتميز بوجود طلب عليها من قبل السائح المحلي والعربي وحتى الدولي هذا من جهة ، كما أن المنتج السياحي التي تقدمه يترتب عليه الإقامة لمدة طويلة من طرف السائح لتلقي العلاج وهذا من جهة أخرى ، كما تعتبر متنفس للعائلات الجزائرية من أجل تغيير الأجواء والراحة والاستجمام ، وبالأخص الفئات ذوي الدخل المتوسط والضعيف ، فيمكن أن نطلق عليها مصطلح سياحة العائلة بامتياز . كما تساهم في التنمية الاقتصادية المحلية بمناطق تواجد مركبات العلاج الحموي . وعليه فالسياحة العلاجية هي سوق رائدة يتطلب دراسته والاهتمام به ، والتعريف بمكونات خدمات السياحة العلاجية المتاحة . وخصوصا السياحة الطبيعية والحموية . وتعريف السائح بهذا النوع من السياحة واستقطابه نحو وجهاتها المختلفة . وهذا الاستقطاب والجذب لن يتأت إلا من خلال تفعيل آليات التسويق والترويج السياحي .

هذا وتمتلك الجزائر موارد حموية كبيرة منتشرة في كافة أنحاء الوطن تقدر ب 220 منبع ، وقد قامت الدولة في بداية السبعينيات (في علم 1976) بترقية سبعة منابع منها فقط إلى محطات للعلاج بالمياه الحموية ذات طابع وطني والمتمثلة في : حيث نجد على مستوى الغرب الجزائري: محطة حمام بوحنيقية بمعسكر ، ومحطة حمام بوحجر بعين تيموشنت ، ومحطة حمام بوغرة بتلمسان ، أما في الجنوب : محطة حمام الصالحين ببسكرة ، وفي الشرق: محطة قر قور بسطيف ومحطة حمام الشلالة بقالة ، وبالوسط محطة حمام ريغة بعين الدفلى ، بالإضافة إلى محطة العلاج بمياه البحر لسيدي فرج بالعاصمة. و التي تضاهي في مستواها محطات الدول المتقدمة

آنذاك من حيث: التجهيزات الطبية , والطاقت البشرية المشرفة عليها, فساهمت بقدر واسع في تحسين صحة المواطن عامة واستقرار الحياة المهنية خاصة .

لقد أصبح الاقتصاد الرقمي من سمات العصر الحالي ويعتبر التسويق عبر الانترنت كجزء منه , وهذه حقيقة صارت راسخة لدى مؤسسات الأعمال وكذا رجال البيع والتسويق مما دفعهم للتوجه نحو التسويق المباشر الذي يتيح فرصة استخدام مختلف وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية , من خلال التفاعل و الحوار المباشر مع الزبون فينتج عن ذلك تبادل في المعلومات والمعرفة تمكنهم من تكوين قاعدة بيانات حديثة ودقيقة ومتكاملة على أساس تخطيط طويل المدى عن حاجات ورغبات الزبائن .

1 -أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في زيادة الاهتمام من طرف الدولة الجزائرية بالقطاع السياحي وبالأخص منذ بداية الألفية الثالثة , والاقتناع بقدرة هذا القطاع في كونه بديلا للخروج من اقتصاد المحروقات وبالأخص بعد الهزات الاقتصادية التي ما فتئت تعصف بمداخل الجزائر من جراء تهوي أسعار النفط ؛ كما تنبع أهمية الدراسة من الدور الذي يؤديه الترويج السياحي في مواجهة المنافسة العالمية الحادة في السوق السياحي , وبالأخص المنافسة على المستوى الإقليمي -أشقائنا العرب في الجوار- مما يستدعي الاعتناء بالسياحة عامة و بالسياحة العلاجية الحموية خاصة.

2 -أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

-التحقق من نوع علاقة الارتباط وشدتها ما بين التسويق المباشر وقرار اختيار السائح لوجهته السياحية بمركبات السياحية العلاجية الحموية عينة الدراسة؛

- تحديد علاقات الاتجاه التأثيرية للتسويق المباشر على قرار تفضيل السائح لوجهة سياحية معينة من بين مركبات السياحية العلاجية الحموية عينة الدراسة؛

-تشخيص وتحديد العلاقة التأثيرية بين التسويق المباشر وقرار اختيار الوجهة السياحية من قبل السياح المحليين بمركبات السياحة العلاجية الحموية عينة الدراسة .

3 -إشكالية الدراسة: مما لا شك فيه بأن السائح الجزائري يتعرض للإغراء من قبل المنافسة الأجنبية الحادة - وبالأخص أشقائنا العرب بالجوار - باستخدام كافة التقنيات والأساليب التسويقية الحديثة، من خلال وسائل الاتصال العصرية - الفضائيات والانترنت - للتأثير عليه وجذبه نحوها. وعليه تكمن مشكلة البحث بشكل أساسي في كيفية الارتقاء بالتسويق المباشر باعتباره أحد عناصر المزيج الترويج السياحي وتفعيل آلياته بغرض استقطاب السائح الجزائري نحو مناطق الجذب للسياحة الداخلية (مركبات السياحة العلاجية الحموية) ، والاحتفاظ به وتعزيز ولائه مع ضرورة تحسين مستوى الخدمات ، الاستقبال ، الهياكل... الخ واستخدام الترويج السياحي بكفاءة وفاعلية لمواجهة المنافسة الأجنبية الحادة.

ويمكن صياغة إشكالية الدراسة من خلال التساؤل الجوهري التالي :
ما مدى تأثير التسويق المباشر السياحي وآلياته في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية بالجزائر كوجهة سياحية حسب وجهة نظر كل من السياح وإدارة مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) ؟

4 -فرضيات الدراسة: تبني هذه الدراسة على أساس الفرضيات العدمية (H0) والمستمدة من أهداف البحث ، ومضمونها كالتالي :

الفرضية الأساسية الأولى: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند معنوية معتمدة 5% بين التسويق المباشر السياحي و قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية من وجهة نظر كل من السياح وإدارة مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة).

الفرضية الأساسية الأولى: لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية عند معنوية معتمدة 5% للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية حسب وجهة نظر السياح (عينة الدراسة).

الفرضية الأساسية الثانية: لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية حسب وجهة إدارة المركبات السياحية (عينة الدراسة).

5 - مجتمع الدراسة وعينتها: اعتمادا على أهداف وفرضيات الدراسة، فقد تم سحب عينة ميسرة من السياح الذين توافدوا إلى مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) أثناء فترة إجراء دراستنا - خلال 2013-2014، وقد تم اللجوء إلى أسلوب العينات غير العشوائية نظرا لشاسعة حجم المجتمع الأصلي للدراسة، وتعذر حصر عناصر المجتمع خلال فترة توزيع الاستبيان، وكذا لانعدام الإطار العام للعينة بسبب صعوبة الحصول على قواعد البيانات بعدد وأسماء السياح. وقد بلغ حجم العينة المختارة (600) سائح، وتم استرجاع (556) استمارة استبيان. بحيث تم استبعاد (56) استمارة استبيان بعد عملية الفرز وذلك بسبب عدم موافقتها لشروط التقويم الإحصائي. ليبقى (500) استبانة خضعت للتحليل النهائي وبنسبة استرداد (94,16 %) واستخدمت طريقة المقابلة الشخصية في عملية توزيع الاستبيان. أما بالنسبة لموظفي إدارة المركبات فتم أخذ المجتمع برمته نظرا لصغر حجمه والبالغ (101) مفردة، وتم استرجاع (84) استمارة استبيان. بحيث تم استبعاد (07) استمارات بعد عملية الفرز وذلك بسبب عدم موافقتها لشروط التقويم الإحصائي. ليبقى (77) استمارة استبانة خضعت للتحليل النهائي وبنسبة استرداد (83,17 %).

6 - مجتمع الدراسة وعينتها: اعتمادا على أهداف وفرضيات الدراسة، فقد تم سحب عينة ميسرة من السياح الذين توافدوا إلى مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) أثناء فترة إجراء دراستنا خلال 2013 - 2014، وقد تم اللجوء إلى أسلوب العينات غير العشوائية نظرا لشاسعة حجم المجتمع الأصلي للدراسة، وتعذر حصر عناصر المجتمع خلال فترة توزيع الاستبيان، وكذا لانعدام الإطار العام للعينة بسبب صعوبة الحصول على قواعد البيانات بعدد وأسماء السياح، وقد بلغ حجم العينة المختارة (600) سائح، وتم استرجاع (556) استمارة استبيان. بحيث تم استبعاد (56) استمارة استبيان بعد عملية الفرز وذلك بسبب عدم موافقتها لشروط التقويم

الإحصائي. ليبقى (500) استبانة خضعت للتحليل النهائي وبنسبة استرداد (94,16 %) واستخدمت طريقة المقابلة الشخصية في عملية توزيع الاستبيان .
أما بالنسبة لموظفي إدارة المركبات فتم أخذ المجتمع برمته نظرا لصغر حجمه والبالغ (101) مفردة ، وتم استرجاع (84) استبانة استبيان . بحيث تم استبعاد (07) استمارات بعد عملية الفرز. وذلك بسبب عدم موافقتها لشروط التقويم الإحصائي. ليبقى (77) استبانة خضعت للتحليل النهائي وبنسبة استرداد (83,17 %) .

7 -الدراسات السابقة في الموضوع :

- دراسة وائل مهنا منصور (2010): حول الفعالية الاقتصادية لسياسات التسويق والترويج السياحي في سورية.¹ وهدفت الدراسة إلى : عرض وتقديم الإطار الفكري والفلسفي للتسويق والترويج ، والتعرف على مفاهيم وعناصر مزيجي التسويق والترويج السياحي وأهم السياسات المتبعة . و المساهمة في وضع استراتيجية تسويقية وترويجية تساعد على تحقيق التوازن المطلوب بين العرض السياحي والطلب الذي تسعى إلى تناميّه بمعدلات طموحة ومتوازنة . ومن نتائج هذه الدراسة أكد السياح على أهمية استخدام التسويق المباشر في إقامة علاقات مميزة مع المؤسسات السياحية . وشراء خدماتها .

-دراسة إياد عبد الفتاح النصور (2006): حول تطوير استراتيجية تسويقية لتنمية السياحة العلاجية في الأردن.² و تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الصفات ، والخصائص والأنشطة التي يتمتع بها قطاع السياح العلاجية في الأردن ، وذلك من أجل استخدامها في تطوير الاستراتيجية التسويقية المناسبة لهذا القطاع . فمن خلال إبراز عناصر المزيج التسويقي في قطاع السياحة العلاجية في الأردن . وتخلص الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان

¹ وائل مهنا منصور ، الفعالية الاقتصادية لسياسات التسويق والترويج السياحي في سورية ، رسالة دكتوراه ، سوريا :جامعة تشرين ، كلية الاقتصاد، 2010 .

² إياد عبد الفتاح علي النصور ، تطوير إستراتيجية تسويقية لتنمية السياحة العلاجية في الأردن ، رسالة دكتوراه ، الأردن :جامعة عمان العربية ، كلية الإدارة والمالية، 2006 .

أهمها أن التزام المستشفى بالقوائم السعرية التي يعلنها عن خدماته العلاجية في الأسواق المستهدفة ، كان له دور كبير في جذب الطلب الخارجي .

8. حدود الدراسة: وهي تتمثل في المجال الزمني والمكان والبشري .

♦ المجال المكاني : تم اختيار عينة مكونة من سبع مركبات التسيير السياحي لمحطات العلاج الحموي – الحمامات المعدنية – ذات طابع وطني الموزعة على الجهات الأربعة للوطن (الغرب، الوسط، الجنوب، الشرق)، والمتمثلة في : حمام ريغة بعين الدفلى، حمام بوحنيفية بمعسكر، حمام بوحجر بعين تموشنت، حمام بوغرارة تلمسان، حمام الشلال بقالة، حمام قرقر بسطيف، حمام الصالحين بسكرة ؛

♦ المجال الزمني : امتدت فترة دراستنا التطبيقية من بداية شهر نوفمبر 2013 إلى غاية شهر ماي 2014 وهذا لتجميع المعلومات من المركبات السياحية، وإجراء الاستقصاء ؛

♦ المجال البشري: تم توجيه استقصاء إلى عينة من موظفي الإدارة ومسؤوليها، وكذا استقصاء آخر موجه إلى عينة من عملاء المؤسسة بالإضافة إلى مقابلات شخصية مع بعض موظفي ومسؤولي تلك المركبات السياحية .

9- أدوات اختبار فريات الدراسة : وسنتناول في هذا البحث اختبار مدى وجود علاقة ارتباط بين كل بعد من أبعاد المتغير مستقل والمتغير التابع لكافة متغيرات نموذج الدراسة، وذلك بالاعتماد على الاختبارات الإحصائية التالية: باستخدام (T) لاختبار معنوية معامل الارتباط، واستخدام معامل الارتباط البسيط بيرسون (R) لتحديد شدة ونوع علاقة الارتباط. ويتم اختبار معنوية معامل الارتباط وذلك باستخدام لإحصائية (T) من خلال المعادلة التالية (٤) : $t = r \times \sqrt{(n-2) / (1-r^2)}$.

ولغرض قياس أثر كل بعد من أبعاد المتغير مستقل في المتغير التابع لكافة متغيرات نموذج الدراسة تم استخدام نموذج الانحدار الخطي البسيط، وسبب استخدام هذا الاختبار لتحديد العلاقة الاتجاهية التأثيرية بين متغيرين (أثر المتغير المستقل في المتغير التابع . من خلال تحديد القرار الإحصائي حول

¹ عبد الحميد عبد المجيد البلدي ، مرجع سابق ، ص 194.

الفرضية (H₀) باستخدام اختبار (F)، و تطبيقا لقاعدة القرار بحيث :
ترفض فرضية العدم (H₀) لما تكون قيمة F المحسوبة أكبر من قيمة F
الجدولية. وعليه نرفض فرضية العدم (H₀) ونقبل الفرضية البديلة (H₁) ،
أما إذا كانت قيمة F المحسوبة أقل من قيمة F الجدولية ، تقبل الفرضية
العدم (H₀) وترفض الفرضية البديلة (H₁) .

وتأسيسا على ما تقدم نقسم هذا الدراسة إلى ما يلي :

أولاً: الإطار النظري التسويقي المباشر ؛

ثانياً: وصف وتشخيص متغيرات الدراسة الميدانية؛

ثالثاً: اختبار فرضيات الدراسة ؛

رابعاً: النتائج والتوصيات.

أولاً: الإطار النظري التسويقي المباشر

1. تعريف التسويق المباشر :

يطلق البعض على التسويق المباشر مصطلح التسوق النظري حيث يقوم
المستهلك بشراء احتياجاته في أي مكان كان. حتى من بيته وهو على فراش
من دون أن يكلفه ذلك عناء اللجوء للأسواق وقصد محلات الشراء. في أحيان
أخرى يطلق عليه مصطلح تسويق الطلب المباشر.
وتعتبر عملية بناء علاقات لمدة أطول مع مختلف العملاء من متطلبات
فاعلية أداء التسويق المباشر .

فقد تعددت تعاريف التسويق المباشر التي جاء بها رجال التسويق ومن بين
أهمها :

لقد قدم الباحث فين جنكيز (Vein Jenkins) تعريفاً للتسويق المباشر بأنه
«نظام تسويقي يستخدمه السوق لإقامة علاقة مباشرة مع المستهلك من
خلال اتصالات تفاعلية»¹.

– أما جمعية التسويق المباشر (DMA) فقد عرفت التسويق المباشر بأنه
«نظام تسويق تفاعلي يستخدم وسيلة اتصال واحدة أو أكثر للتأثير على

¹ بشير العلاق، التسويق في عصر الإنترنت والاقتصاد الرقمي، ط 1، عمان، دار المناهج للنشر
والتوزيع، 2003، ص166.

الزبائن ، بهدف اتخاذ قرار شراء أو عقد صفقة تجارية في زمان ومكان محددين يتم الاتفاق عليها بين الزبون والمسوق مباشرة».^١

- أما الأستاذ كوتلر فقد عرف التسويق المباشر على أنه «ذلك النظام التسويقي المتفاعل والذي يستخدم واحد أو أكثر من وسيلة إعلان للتأثير وقياس الاستجابة ، أو تحقيق صفقة تجارية في أي موقع ، من خلال استخدام البريد والهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني أو الانترنت للاتصال المباشر مع زبائن معينين وزبائن محتملين وحثهم على الاستجابة المباشرة».^٢

وعليه نستنتج تعريف التسويق المباشر على أنه «نظام تسويقي تفاعلي ذو اتصال شخصي مزدوج ، يعتمد على قاعدة البيانات في التواصل المباشر مع العملاء المستهدفين المحددين بشكل دقيق ، والتأثير عليهم ودفعهم من أجل توليد استجابة فورية مباشرة قابلة للقياس ، مما يؤدي إلى انجاز عملية البيع ، وإقامة علاقة دائمة مع الزبائن من خلال استغلال جميع وسائل الاتصالات غير التقليدية والإلكترونية الحديثة ، وشبكة الانترنت».

2. أبعاد التسويق المباشر: وتشير التعاريف السابقة إلى أبعاد التسويق المباشر التالية :

- يوجد إجماع على أنه نظام تسويقي حديث يعتمد أسلوب الحوار التفاعلي بين المسوق والزبون .

-أنه يؤكد على ضرورة حصول استجابة فورية المتمثلة في اتخاذ قرار الشراء ؛

- كما يؤكد على إمكانية قيام الزبون بالتفاعل مباشرة مع البائع أو المسوق وتحديد طلباته ؛

-كما يشير إلى أهم ميزة يتفرد به التسويق المباشر والمتمثلة في إمكانية التواصل والوصول إلى الزبون في أن مكان وعلى مدار 24/24 ساعة في اليوم؛

^١ حميد الطائي ، أحمد شاكر العسكري ، الاتصالات التسويقية المتكاملة ، عمان : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، 2009 ، ص 167.

^٢ Philip Kotler, Marketing Management, 9th ed, prentice hall, New Jersey, 1997, P 605.

- ولتحقيق فاعلية أفضل للتسويق المباشر فإن الأمر يتطلب بناء علاقات طويلة الأمد مع الزبائن؛

- والشئ المميز في تعريف الأستاذ كوتلر هو الإشارة وبوضوح تام إلى استخدام التقنيات الحديثة المستعملة في التعامل التجاري مابين مؤسسات الأعمال بعضها البعض، أو مع الزبون المستهدف، والمتمثلة بالبريد الإلكتروني والانترنت.

3. **خصائص التسويق المباشر :** يحظى التسويق المباشر بخصائص تميزه عن غيره من أنواع التسويق الأخرى نذكر أهمها فيما يلي: ^١

-**الإعلان والحدث (الشراء):** التسويق المباشر يجعل الإعلان مع الحدث بصورة مباشرة وسريعة ويتوقع من ذلك إستجابة مباشرة، بينما الإعلان لا يحقق هذه الناحية؛

-**الخصوصية:** الإعلانات سواء كانت محلية أو دولية تعد من الأنظمة المفتوحة، فالرسائل الإعلانية لا يمكن أن توجه بدقة إلى أفراد معينين لكون الإعلان يطلع عليه ويقرأه ويسمعه من يهمه الأمر أو لا يهمه الأمر، أما عن طريق التسويق المباشر فإن ذلك قد يحقق نتائج أفضل للاتصال التلفوني معناه الاتصال المباشر بالفرد المعني وإذا لم يكن متواجدا فلا يمكن إتمام العملية الاتصالية؛

-**التغذية العكسية:** التسويق المباشر يمكن القائمين من قياس الاستجابة المتحققة، وأية طلبات لخدمات أو معلومات إضافية قد يطلبها الزبون. ويسهل التسويق المباشر من عملية قياس آراء الزبائن بدقة ، كما يوفر للمؤسسة القدرة على تغيير العروض تدريجيا وذلك حسب طلبات الزبائن و مختلف العملاء.

-**الأسلوب المباشر:** ويعني أن التسويق المباشر لا يستخدم وسطاء كرجال البيع أو تجار التجزئة، وإنما تكون العلاقة مباشرة بين البائع والمستهلك. ومن خلال حث الزبون المستهدف على الاتصال عن طريق الهاتف ، أو عبر البريد ،

¹ Patricia C , Marketing de l'analyse à l'action , Node et Pearson éducation , France , 2004, P 205.

فمن الشائع استخدام صيغة الأمر المباشر مثل " اتصل الآن " أو " أطلب المنتج فوراً " على عكس أشكال الترويج الأخرى .

-تفاعل الفرد مع الوسيلة/ الرسالة: تحدث اتصالات شخصية بين المسوق والجمهور المستهدف عبر البريد أو الهاتف أو الإنترنت، ولإحداث ذلك التفاعل لابد من تكوين قاعدة بيانات هذا الجمهور ليسهل الوصول إليهم . و تفاعلات التسويق المباشر يمكن أن تحدث في أي مكان ، فقد يكون المكان عبارة عن منزل الزبون . ومن فوق سرير نومه ، عن طريق البريد الإلكتروني وعلى مدار الساعة 24/24 ساعة.

- استخدام الوسائل الإعلانية: يعتمد التسويق المباشر على عدد من الوسائل الإعلانية لبث عروضه الترويجية كالبريد المباشر، الكتالوجات، الاتصالات الهاتفية، التلفزيون، الجرائد والمجلات الإنترنت؛

-استخدام قاعدة للبيانات: يهدف هنا استخدام قاعدة البيانات إلى خفض أعداد الجماهير التي تصل إليهم الرسائل الترويجية والتركيز على أولئك الذين لديهم اهتمامات تتناسب مع مضمون هذه الرسائل؛

-إحداث استجابة يمكن قياسها: تأخذ الاستجابة عدة أشكال كالاتصال هاتفيا وبذلك يمكن حساب عدد المكالمات التي تمت لطلب المنتج المعلن عنه. كما يمكن طلب المنتج بالبريد المباشر أو الإلكتروني أو زيارة موقع التسوق عبر الإنترنت وأيضا يسهل حساب حجم الاستجابة في هذه الحالات؛

-إقامة علاقة مع العملاء: ينبغي أن يكون لدى كل طرف من أطراف عملية تبادل المنتجات في مجال التسويق المباشر رؤية واضحة عن المكاسب المترتبة على هذه العملية، فالعمليل يحصل على تشكيلة من الإشباع الملموس والغير الملموس متمثلة في راحة التسوق، المنفعة الوقتية الرضا والثقة التي يمكن أن تتطور بين العملاء والبائعين، أما البائع أو المورد فسيعود عليه ذلك بالربح والسمعة والمكانة الطيبة. ويسمح التسويق المباشر بإقامة علاقة طويلة المدى مع الزبائن ،فهو أكثر من أداة اتصالية بكثير باعتباره يركز على جمع وتشغيل البيانات بشكل منتظم من خلال قاعدة المعلومات بهدف إدارة المعاملات حسب الطلب ؛

- إمكانية تخصيص الموارد : يمكن المؤسسة من تخصيص إمكانياتها المادية والمالية و البشرية ، وبالتالي المساهمة في تحقيق أهداف المؤسسة من خلال إنجاز أهداف الترويج بالدقة المطلوبة.¹

- استخدام التقنية : أي استخدام كل تقنيات الاتصال الترويجي والتي لها تأثير في إحداث استجابة حالية ، أو في الأجل القصير وتوفير للشريحة المستهدفة من الزبائن الوسائل التي تمكنها من النقل المباشر لهذه الاستجابة إلى المؤسسة المعنية بالتسويق المباشر لصورتها ومنتجاتها ؛

- التكاليف : إن التكاليف الناجمة عن حملة التسويق المباشر عبر الانترنت تأتي بالأساس من تكلفة شراء المعلومة : وهي تكلفة اقتناء وتأسيس قاعدة البيانات للزبائن ، وتقسم التكاليف إلى مباشرة تضم شراء أو تأجير ملف ومعالجة وحماية البيانات ، وتكاليف غير مباشرة والتي تتمثل في النفقات المرتبطة بقاعدة البيانات ؛

-ردود الأفعال من قبل المستهلكين: وتكون استجابة المستهلك إيجابية وفق إحدى الطرائق التالية:

- أخذ موعد هاتفي والقيام بالشراء الحالي ؛
-التسجيل في قاعدة البيانات من خلال مالأ استمارة من أجل استقبال رسالة إخبارية، أو الانضمام إلى مجموعة، أو الاستفادة من الخدمات المخصصة للأعضاء المسجلين؛

- طلب وثائق، أو زيارة موقع متحرك .
4. أهداف التسويق المباشر: يسعى التسويق المباشر إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها التالي:

- جذب مستهلكين جدد للمنتج، وتحقيق الشراء وتكراره.
- في غالبا الأحيان يهدف التسويق المباشر لخلق استجابة مباشرة ، حيث يمكن حث متلقي الرسالة على الاتصال عن طريق الهاتف ، أو عبر البريد .
- بناء علاقات قوية مع المستهلكين من خلال اتصالات ما بعد البيع .
- المساعدة على عمليات بيع وتوزيع المنتج .

¹ Catherine Viot , Le Marketing, 2ème edition, 2010, P P228 -229.

- مساعدة وسائل تنشيط المبيعات من خلال عرض خصومات الأسعار والمشاركة في توزيع العينات .
- ✓ عرض مزايا ومنافع المنتج بشكل أوضح ومفصل .
- ✓ زيادة ولاء ورضا المستهلك : من خلال ما تقدمه الشركات من مزايا تتعلق بالخصم وحرية الشراء والدفع
- ✓ تحقيق الطلب المباشر : يهدف التسويق المباشر إلى الاتصال والشراء المباشر سواء أكان بواسطة الهاتف أو البريد أو بواسطة الكمبيوتر .
- ✓ إتاحة المعلومات : يهدف التسويق المباشر إلى فتح قنوات اتصال لتمكين العملاء المرتقبين للسؤال عن معلومات أكثر .
- ✓ إمكانية التجربة : حيث يهدف التسويق المباشر إلى تمكين العميل المرتقب من طلب تجربة المنتج وإمكانية إرجاعه إذا لم يكن كما توقعه العميل . كما يمكن فحص المنتج عن طريق الموقع الإلكتروني للمؤسسة .
- ✓ اختيار الفئة المؤهلة : و هذا يعني جمع معلومات حول (النشاط , العنوان , الهاتف , اسم المسؤولين ...) حول مؤسسات أو أشخاص التي لا نعرف سوى اسمها . و اختيار الفئة المؤهلة يعني انتقاء الفئة المستهدفة من بين جميع الفئات المحصل عليها , للاتصال معها بفعالية ؛
- ✓ الوفاء : فالإتصال المباشر بالعملاء يخلق تصور ذهني دائم عن المؤسسة ومنتجاتها .
- ✓ تخفيض التكاليف المتغيرة : فاستعمال الهاتف أقل تكلفة من استعمال شاحنات البيع , كذلك يمكن الحصول على تخفيضات من البريد في حالة إرسال عدد كبير من الرسائل؛
- ✓ إدارة جيد للوقت : بالاستعمال الجيد لقواعد البيانات , و التسيير الجيد للبريد الشخصي المسجل في الحاسب الآلي ليتم استعماله في الوقت المناسب وبسرعة كبيرة؛
- ✓ نمو الحصة السوقية والتواجد في السوق , خصوصا باستعمال الهاتف والبريد المباشر.

✓ القيام بالاستثمارات : وذلك عن طريق الأرباح المحققة من التسويق المباشر؛

5. أهمية التسويق المباشر: ويمكن تمييز منافع التسويق المباشر بالنسبة لطرفي العملية التسويقية، مثلا المؤسسة السياحية والسائح¹، كما يواجه بعض التحديات ومنها :

1.5. منافعه بالنسبة للمؤسسة: ومنها: *

✓ دقة الهدف: يتم تحديد العميل المستهدف من خلال الاتصال الشخصي والمباشر.

✓ التخصيص: تنفيذ نشاط التسويق المباشر يوفر الوقت والجهد والمال ، ذلك بفضل استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .

✓ التحكم : من خلال الاستخدام الآلي للمعلومات في قاعدة بيانات التسويق المباشر .

✓ التفاعل المباشر مع العملاء ، من خلال علاقة شخصية مباشرة تتفهم فيها الإدارة مباشرة مطالب و حاجات العملاء وتسعى إلى تحقيقها كما تتعرف على ردود الفعل المباشرة عن المنتجات المقدمة وأسلوب تقديمها؛

✓ انخفاض الإدراك من قبل المنافسين: تكون المنافسة أقل حدة بالمقارنة مع باقي عناصر المزيج التسويقي الأخرى.

✓ يحقق التسويق المباشر معدل وصول أكبر للعملاء : حيث تعتمد أنشطته على قواعد بيانات قوية و مرنة بما يحقق الاستفادة المثلى من التكلفة المنفقة على النشاط التسويقي؛

✓ تسهيل عمليات الشراء و التبادل مع العملاء من خلال إمكانية الرد المباشر و السريع حيث يوفر التسويق المباشر عدة وسائل إما بالبريد أو الفاكس أو باستخدام الانترنت للرد المباشر من جانب العميل مما يقلل ضياع الجهود التسويقية؛

¹ مليكة الطيب سليمان، أثر الاتصال التسويقي خارج وسائل الإعلام في تحقيق رضا العميل ، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الاقتصادية ، جامعة البليدة 2008، ص95.

² Jean Claude Andérani et autres , Le Marketeur : fondements et nouveautés du marketing , Pearson éducation France , Paris , 2eéd , 2006 , P 278.

✓ باستعمال تقنيات معالجة قواعد البيانات، يمكن تجزئة و استهداف العملاء بدقة ، و تجنب عيوب وسائل الإعلام الجماهيري التي لا يمكن تجنبها؛

✓ ضمان عدد كبير من الاتصالات و بتكاليف أقل من البيع الشخصي بشكل آني و سريع أكثر من جميع وسائل الترويج الأخرى.

2.5. منافع بالنسبة الزبون(السائح) : -ملائم و سهل الاستعمال و ذو طابع خاص. يمثلا في المجال يمكن السائح من شراء المنتج السياحي □ الخدمات السياحية - من مكان تواجده عن طريق البريد الإلكتروني ، والاقتصاد في الوقت والجهد ، في فراشه من بيته على مدار الوقت 24/24 ساعة و كل أيام الأسبوع ؛

- يمكن السائح أن يرى و يشاهد العروض والوجهات السياحية في أي وقت من خلال الموقع الإلكتروني للمؤسسة السياحية .

-يعطي التسويق المباشر مجالا واسعا لسائح للدخول إلى المواقع الشبكة الإلكترونية الخاصة المؤسسات السياحية و الحصول على كم هائل من المعلومات لمختلف الوجهات السياحية على المستوى العالمي.

-يستطيع السائح الحصول على رد أو استجابة فورية من رجل البيع الشخصي في المؤسسة السياحية ، والتفاعل معه عبر الهاتف أو الموقع الشبكي، وفي نهاية المطاف يمكن التوصل إلى نقطة الالتقاء، وتحرير طلب الشراء للحصول على الخدمات السياحية التي يرغب في شرائها وفي الوقت الذي يفضله.

6. العوامل المساعدة على انتشار التسويق المباشر : أسهمت متغيرات وعوامل كثيرة في زيادة وتيرة نمو التسويق المباشر واتساع رقعة انتشاره بسرعة فائقة في كافة أرجاء المعمورة ، ومن بين أهم تلك العوامل نجد :^١

-التجزئة للسوق ووسائل الاتصال: التوجه الحالي في عمل المنظمات هو التجزئة الدقيقة للسوق واستخدام ما يقابل ذلك من وسائل الاتصال والترويج للوصول والبحث عن الحاجات الدقيقة للمستهلك. إذ لم يعد

¹ Philip Kotler, et autres , Marketing Management ,Prentice Hall, 12th ed , New Jersey ,2006, P 416.

بالإمكان مفهوم التسويق الشامل مسابقة هذا التطور التكنولوجية الهائل ، وبالتالي أصبح التسويق المباشر أفضل وسيلة في التعامل .

-التوجه نحو العميل : إن التوجه العالمي لدى الشركات التجارية نحو خدمة العميل ، فأصبحت تلك المؤسسات تسعى الآن إلى أن تكون قريبة من العميل لفهمه وتلبية احتياجاته وضمان استمرار العلاقات معه بعد الشراء .

-التطورات الحاصلة في التكنولوجيا: بفضل التطور التكنولوجي الحاصل في مجال الكمبيوتر والبرمجيات المعتمدة فيها أتاح فرص كبيرة ومتعددة أمام المستهلك في الحصول على احتياجاته من سلع وخدمات وتسوقه وهو جالس في منزله أو مكان عمله، دون الحضور لموقع التسوق. وهذا الأمر قد دفع باتجاه النمو لاستخدام التسويق المباشر . كما ساهمت التطورات السريعة والمتنامية إلى ولادة مصادر وأشكال معلوماتية، فبفضل التكنولوجيا أصبح بالإمكان تجميع وتخزين وتحليل البيانات الخاصة بالعملاء بكفاءة وسرعة وفعالية عالية جدا .

- قاعدة المعلومات: الاستخدام المتزايد والمتطور للتكنولوجيا وتحديدًا للحاسبات أتاح فرص كبيرة لبناء قواعد معلومات عن الأطراف المختلفة التي تتعامل معهم المؤسسة، وسواء كان ذلك مستهلكون موزعون، موردون، كما قد أتاح للمؤسسة أن تصنف تلك المعلومات لكي تتمكن من الوصول المتخصص والمحدد إلى المستهدفين من تلك الأطراف. بهدف التعامل معهم أو الاستجابة لطلباتهم الحالية والمستقبلية؛

- تحليل البيانات: التسهيلات التكنولوجية المتطورة أتاح الفرصة أمام المسوقين في تحليل البيانات الديموغرافية، (علم إحصائي يهتم بتوزيع وتركيب السكان ونموهم والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية إلى غير ذلك)، التي تحصل عليها وتصنيفها بما يتوافق مع خصوصية عملها وطبيعة المنتجات التي تقدمها، على سبيل المثال يمكن تقسيم العائلات على أساس الحجم مما يتيح فرصة كبيرة لاستخدام التسويق المباشر من خلال تجزئة السوق المستهدف، استخدام الوسيلة المباشرة والمناسبة للوصول إلى ذلك الجزء المحدد؛

- **التنسيق بين نظم التسويق:** إن الارتفاع في التكاليف المترتبة على استخدام أسلوب البيع الشخصي دفع العديد من الشركات للاستفادة من مزايا التسويق المباشر، وعليه فإن التنسيق والتوافق بين أنظمة التسويق قد أسهم في تحقيق النمو بالتسويق المباشر عبر تحقيقه للتخفيض الحاصل في التكلفة وفاعلية لأداء النشاط التسويقي وصولاً إلى الأهداف المخططة؛

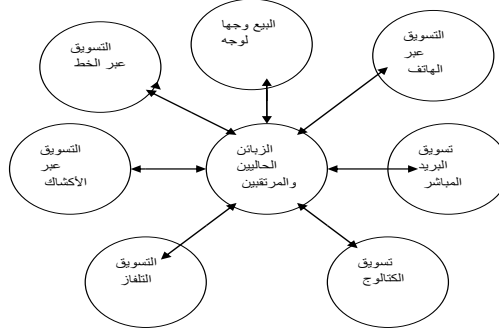
- **الخدمات المصرفية:** إن التطور الحاصل في تقديم الخدمة المصرفية أسهم في نمو التسويق المباشر حيث أصبح من الممكن أن تطلق المصارف اليوم شعارها "مجتمع بلا نقود"، وذلك عن كون كل عمليات المستهلك يمكن أن تتم من خلال المصرف، وهذا جعل عمليات الشراء لدى المستهلك تتم عبر التسويق المباشر طالما أن عملية الدفع أساساً ستتم عبر المصرف. كما أن تسهيل وسائل الدفع والتحصيل تعتبر من نقاط القوة التي ستساهم في نمو التسويق المباشر و التوسع في قبول التعاملات والتبادلات البيعية من خلال الوسائل الالكترونية الحديثة.

- **ظهور بطاقة الائتمان :** فأصبح في الإمكان الشراء عن بعد دون جهد في الدفع والشراء .

7. **وسائل التسويق المباشر:** يتضمن التسويق المباشر عدة أشكال ومن أهمها وذلك حسب (Kotler and Armastrong) في الشكل رقم (1) التي تسبح حول مركز هذا النوع من الترويج، والمتمثل في تحقيق استجابة فورية من قبل الزبون (السائح) المستهدف وتدعيم ولائهم^١.

¹ Philip Kotler et G. Armastrong, principles of marketing, Student Value Edition, 16th Edition , P P439-440.

الشكل رقم (1): أنواع وسائل التسويق المباشر



Source : kotler.ph ,Armstrong.G ,Principle of marketing ,prentice Hall USA ,2004,P509.

1.7.1. التسويق عبر الهاتف Telephone Marketing : يعرف التسويق

عبر الهاتف بأنه النشاط التسويقي الذي يستعمل الهاتف كوسيلة بيع مباشرة للزبائن وزبائن الأعمال customers (and business customers) ، وقد أصبحت وسيلة الاتصال الرئيسية للتسويق المباشر ، ولكن مسوقي (B2B) الشركات فيما بينها ، أيضا يستخدمون التسويق الهاتفي على نطاق واسع ، وبشكل عام توجد ثلاثة مداخل للتسويق عبر الهاتف وهي :

–النداء المسجل Canned Call

–النداء المؤطر Farmed call : وهذا أشبه ما يكون بالمقابلة شبه المنتظمة

(Semi – structured Interview) .

– النداء المفصل على مقاس المتلقي Customer call

2.7. تسويق البريد المباشر Direct –mail Marketing : لن

وهو أسلوب يعمل على إيصال رسالة إعلانية مطبوعة، ومحددة إلى سوق محددة أيضا (أي إلى فئة من السياح معينين مثلا) ، وغالبا ما تكون الرسالة الإعلانية على شكل رسالة دعوة شراء سلعة أو تجربتها ، أو الاستفادة من خدمة (خدمات العلاج الحموي) ، أو المشاركة في نشاط تجاري ، أو قد تكون الرسالة على شكل نشرة أو مطوية أو أية مواد ترويجية و مطبوعات يرغب المسوق (مركب السياحة العلاجية الحموية) في إيصالها إلى السائح المستهدف

¹ J . Lendrevie et autres, Mercator, 7^{em}ed, Dalloz, Paris, 2003, p618.

بغية التأثير في قرار اختياره لمركبات العلاج الحموي كوجهة سياحية . كما يعني إرسال مادة ترويجية إلى قطاع من السوق المستهدف (السياح) بهدف تنشيط وترقية المنتج السياحي ، او توطيد العلاقات مع السياح وإدامتها. وتنقسم أشكال البريد المباشر إلى :

-البريد الإلكتروني

- الفاكس (fax)،

- التليتكس télétex

- البريد الصوتي messagerie vocal.

3.7. التسويق عبر الكتالوج Catalog Marketing : إن الكتالوجات التي توجه مباشرة للزبائن تعتبر وسيلة بيعيه شائعة منذ سنوات طويلة ، حيث توجد شركات متخصصة في مجال البيع من خلال الكتالوجات (الدليل، مطوية) ، ولكن بسبب التقدم التكنولوجي الذي أجبر الشركات للتوجه باتجاه الشخصية ، والتسويق من طرف لطرف آخر one –to–one Marketing . وقد نتجت عنها بعض التغيرات كبديل عن الكتالوجات ، وبشكل خاص عرض المنتجات بواسطة الانترنت . ولقد تم تعريف الكتالوجات بأنها: وسيلة تسويق مباشرة تستخدم المطبوعات والفيديو، والكتالوجات الإلكترونية، وتقوم بإرسالها إلى فئة سوقية مختارة. على أساس أن منتجاتها موجودة في محلاتها أو مخازنها ، أو تعرضها عبر الخط .

4.7. التسويق عبر التلفزيون Television Marketing : إن البيع عبر التلفزيون فهو عبارة عن برنامج تلفزيوني . يسمح بتقديم طلبيات مباشرة ، والاتصال برقم هاتف معين .وهي وسيلة مناسبة للمنتجات البسيطة (تمثيل بسيط أحسن من حديث طويل أو صورة خير من ألف كلمة) "وهناك كثير من الخدمات التي تتطلب تفاعلي طرفيها (المقدم والمستفيد) يمكن تقديمها من خلال برامج تفاعلية تلفزيونية. ونجد شكلين للتسويق عبر التلفزيون :^١
أ -إعلان الاستجابة المباشرة direct advertising

¹ Patricia C , opcit , P 206 .

ب - قنوات التسوق المنزلية Home shopping channels : بدأت تنتشر هذه القنوات التجارية بشكل كبير جدا عبر الفضائيات العالمية التي دخلت في كل بيت في العالم . و الأسلوب المتبع في عملية البيع لسلع والخدمات هو أسلوب بسيط و لا يحتاج إلى جهد تسويقي كبير ، سوى عملية عرض ذكية للمنتج وإبراز المنافع التي يحققها إضافة إلى طرح الأسعار التنافسية . وكذلك عملية إيصال المنتج إلى البيت عن طريق الاتصال بالرقم المجاني المثبت على الشاشة .

5.7. التسويق عبر الأكشاك Kiosk Marketing: تضع بعض الشركات أجهزة حديثة تقدم خدمات إلى الزبائن تشتمل على المعلومات وأوامر الطلب للحصول على المنتجات المعروضة عبر أجهزة تسمى بالأكشاك ، وغالبا ما توضع هذه الأكشاك في المحلات التجارية الكبيرة ، المطارات والموانئ التجارية ومواقع أخرى . وما يصطلح عليها بالخدمة الآلية الذاتية فعلى سبيل المثال أكشاك كوداك ، تسمح للزبائن لتحويل الصور من الهاتف النقال ويطبعونها صور ملونة بجودة عالية

6.7. التسويق الإلكتروني (عبر الانترنت) Electronic Marketing : لقد صار من الأمور السهلة اليوم الاتصال إلكترونيا ما بين مؤسسات الأعمال أنفسهم لأغراض البيع والشراء وتبادل المعلومات والبيانات . كما أصبح بمقدور الأفراد الاتصال والتواصل فيما بينهم في كافة أسقاء المعمورة. وكذا التواصل مع مؤسسات الأعمال . ويعتبر التسويق الرقمي (والتسويق الإلكتروني E- Marketing) من أحدث أشكال التسويق المباشر التي تجعل من العملية التسويقية تفاعلية بين طرفيها سواء من جانب الزبائن والمؤسسة. وقد سهل ذلك إمكانية رقمنة المعلومات. ومختلف الوسائل التقليدية الترويجية . مما يؤدي إلى تحقيق استجابة فورية في شكل معلومات مرتدة .

7.7. البيع من الباب إلى الباب (البيع وجها لوجه) : أي أن المنتجات تصنع وتخرج من باب المنتج لتسلم وتدخل إلى باب المستهلك مباشرة وتعد هذه الطريقة بديل فعال وطريق مجدية في البيع بالتجزئة ويسعر منخفض، وتسمى أيضا " البيع وجها لوجه " وهي تناسب المنتج الذي ينال الاهتمام

الشخصي للزبون. وعلى مندوب البيع أن يتصف بقدرته في الإقناع وإقامة علاقات طيبة مع الزبائن ويستمعون إلى نصيحته عند اتخاذهم لقرار الشراء.

ثانيا : وصف وتشخيص متغيرات الدراسة الميدانية:

1. اختبار صدق وثبات المقياس: لقد تم استخدام اختبار كرونباخ ألفا - Alfa Gronchi - من أجل التحقق من ثبات أداة الدراسة (الاستبانة) بحيث بلغت معدل الثبات الكلي للاستبانة (86,1%)، وتعد هذه القيمة ممتازة لأنها أعلى من النسبة المقبولة والتي يجب ألا تقل عن 60 % في العلوم الإدارية والاقتصادية. (sekaran- 2000).^١

2. نتائج التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة : وتم استخدام مقياس المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري والأهمية النسبية (نسبة الاتفاق)، بغية وصف إجابات أفراد العينة والتعرف على مدى الانسجام والتوافق في تصوراتهم عن متغيرات الدراسة بأبعاده ومكوناتها المختلفة. وقد اعتمد متوسط أداة القياس وقيمته (3) -و يمثل المتوسط الحسابي الفرضي - . وتعرف نسبة الاتفاق : بأنها حاصل قسمة المتوسط الحسابي على درجات سلم ليكرت الخماسي (5) منسوبا إلى مئة. انظر الجدول رقم (1).

1.2. التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة من وجهة نظر السياح

الجدول رقم (1) : نتائج التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة من وجهة نظر السياح

متغيرات الدراسة	ابعد المتغير المستقل	متوسط حسابي	انحراف معياري	اهمية نسبية	قرار احصائي
المتغير المستقل التسويق المباشر	بواسطة البريد الإلكتروني للسائح	29003	152631	65,8%	قبول
	بواسطة قنوات التلفزيونية للتسويق في البيت .	17203	171821	63,44%	قبول
	بواسطة الموقع الإلكتروني للمركب عبر الانترنت .	12603	188681	62,52%	قبول
	اجمالي ابعاد المتغير المستقل (التسويق المباشر)	19603	96558	63,92%	قبول
المتغير التابع	قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية	78473	80715	75,69%	قبول

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج ssps . حيث : N=500 و بدرجة حرية

(1,498) و عند مستوى معنوية معتمدة 5%.

¹ Sekaran,u, Research methods for managers,(4th ed), hobokrn,nj:john wiley &sons,2003,p.243.

من الجدول رقم (1) نجد: بأن قيمة الوسط الحسابي العام للمتغير التابع و للمتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي)، وقيم الأوساط الحسابية لجميع أبعاده كانت أكبر من قيمة الوسط الحسابي الفرضي – و الذي قيمته 3 – مما يدل على قبول متغيرات الدراسة وكل فقرات الاستبيان قبولاً عاماً دون استثناء من طرف السياح (عينة الدراسة) .

و نجد بأن أعلى نسبة اتفاق أفراد عينة الدراسة كانت حول البعد الأول (بيع خدماته إلى السائح بواسطة بريده الإلكتروني) بمعدل قدره (65,8%) وهذا أمر طبيعي لأن كل مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) تسمح للسياح بحجز خدمات الإقامة مسبقاً من خلال الهاتف دون الحضور الشخصي للسائح بمدة معينة وحسب تقنيات الحجز المتعارف عليها في ميادين الفندقية. وكذا عن طريق الإنترنت لكن هذه الخدمة متاحة في بعض المركبات فقط على سبيل المثال مركب الشلالة للعلاج الحموي بقالة .

2.2. تحليل الإحصاء الوصفي للمتغير المستقل التسويق المباشر السياحي

من وجهة نظر الإدارة

يبين الجدول رقم (2) عرض وتحليل إجابات أفراد العينة حسب آرائهم حول أبعاد متغير المستقل المتمثل في عنصر التسويق المباشر. وأي تلك الفقرات أبلغ أهمية ووضوحاً حسب وجهة نظر الإدارة.

الجدول رقم (2) : نتائج التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة من وجهة نظر إدارة

المركبات السياحية

متغيرات الدراسة	أبعاد المتغير المستقل (عبارات)	متوسط حسابي	انحراف معياري	اهمية نسبية	قرار احصائي
التسويق المباشر	بواسطة البريد الإلكتروني للسائح	,37663	,235861	67,53%	قبول
	بواسطة قنوات التلفزيونية للتسويق في البيت .	,24683	,204771	64,93%	قبول
	بواسطة الموقع الإلكتروني للمركب عبر الإنترنت .	,68833	,066961	73,76%	قبول
	بواسطة :الهاتف ، البريد ، الانترنت للوصول مباشرة إلى السائح .	,98703	,006471	79,74%	قبول
	اجمالي ابعاد المتغير المستقل (التسويق المباشر)	,57473	,85173	71,49%	قبول
المتغير التابع	قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية	,05194	,55558	81,03%	قبول

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج spss. حيث : $N=77$ و بدرجة حرية (1,76) و عند مستوى معنوية معتمدة 5% .

من الجدول رقم (2) نجد: بأن قيمة الوسط الحسابي العام للمتغير التابع و للمتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) وقيم الأوساط الحسابية لجميع أبعاده كانت أكبر من قيمة الوسط الحسابي الفرضي – والذي قيمته 3 – مما يدل على قبول متغيرات الدراسة وكل فقرات الاستبيان قبولاً عاماً دون استثناء. ويعزى ذلك إلى تبني بعض آليات التسويق المباشر السياحي من قبل كل مركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة). وهذا ما نجد له انعكاسه الايجابي على مستوى تكوين اتجاهات ايجابية من خلال حصول اتفاق أفراد عينة الدراسة – موظفي الإدارة المستجوبين – على قبول كل الفقرات التي تتضمن عنصر التسويق المباشر السياحي .

ثالثاً : نتائج اختبار فرضيات الدراسة

1. اختبارا الفرضية الأساسية الأولى : والتي تنص : لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية من وجهة نظر السياح.

الجدول رقم (3): معلمات الانحدار البسيط لاختبار الفرضية الأساسية الأولى من وجهة نظر السياح.

القرار الإحصائي حول H_0	المتغير المعتمد: قرار اختيار السائح لوجهته السياحية							
	اختبار T				اختبار F			
رفض H_0	معامل الارتباط R^2	معامل الارتباط R	المعامل للانحدار Beta	sig	قيمة محسوبة جدولية	قيمة محسوبة جدولية	قيمة محسوبة جدولية	المتغير المستقل: التسويق المباشر السياحي
	,151	,388	,324	,000	1,96	9,394	3,90	88,239

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج spss. حيث : $N=500$ و بدرجة حرية (1,498) و عند مستوى معنوية معتمدة 5% .

من مطالعتنا لنتائج SPSS في الجدول رقم (3) نستنتج مايلي:

1.1 اختبار معنوية معامل الانحدار : ونجد أن قيمة (T) المحسوبة = 9,394 في الجدول أعلاه وهي أكبر من قيمة (T) الجدولية

($1,96 = \text{Sig} = 0,000$) كما أن مستوى دلالة الاختبار الإحصائي هو أقل من مستوى المعنوية المعتمد

1.2 ($\delta = 5\%$)، مما يدل على ثبات معنوية معامل الانحدار البسيط بدرجة عالية عند مستوى المعنوية المعتمد، وفي مجال ثقة 95 % .

22. - القرار الإحصائي حول الفرضية (H_0) : كما نلاحظ بأن قيمة (F المحسوبة = 88,239) وهي أكبر من قيمة (F الجدولية = 3,86) وبما أن قاعدة القرار ترفض فرضية العدم (H_0) لما تكون قيمة F المحسوبة أكبر من قيمة F الجدولية. وعليه نرفض فرضية العدم (H_0) ونقبل الفرضية البديلة (H_1)، ليصبح منطوق الفرضية الفرعية (هـ): يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية من وجهة نظر السياح عينة البحث.

23. - القدرة التفسيرية: من الجدول أعلاه نجد أن قيمة معامل التحديد هي ($R^2 = 0,151$) وتعني قيمة هذه نسبة بأن متغير التسويق المباشر يتميز بقدرة تفسيرية متوسطة. مما يدل على وجود علاقة تأثيرية ذات دلالة إحصائية لنموذج الانحدار البسيط. وهذا يؤشر بأن المتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) قادر على تفسير ما نسبته 15,1 % من التغيرات التي تطرأ على قرار اختيار السائح لوجهته السياحية، أما باقي النسبة 84,9 % من التغيرات فيعود تفسيرها لمساهمة المتغيرات الأخرى للنموذج أو التي خارج النموذج.

24. - المعامل المعياري للانحدار ($Beta$): من نتائج تحليل الانحدار البسيط في الجدول أعلاه نلاحظ أن قيمة المعامل المعياري للانحدار ($Beta = 0,324$) وتأسيسا على قيمة الاختبار الإحصائي (T) نستدل بأن المعامل ($Beta$) كانت قيمته ذات دلالة إحصائية معنوية، وتعني قيمته الموجبة بأن زيادة المتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) بمقدار وحدة يؤدي إلى زيادة في المتغير التابع بمقدار 0,388 وحدة. مما يؤكد بأن لعنصر التسويق المباشر تأثيرا ذو دلالة إحصائية معنوية عالية في المتغير التابع. وذلك عند مستوى المعنوية المعتمد ($\delta = 5\%$)، من وجهة نظر السياح.

25. - تحديد نوع وشدة علاقة الارتباط : ونجد أن قيمة معامل الارتباط $(=0,397)$ وقيمته تمثل شدة علاقة الارتباط بأنها علاقة متوسطة بين المتغيرين (التسويق المباشر السياحي و قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية) ، وهذا يدل على وجود علاقة ارتباط ذات معنوية عالية وموجبة ، والإشارة الموجبة تدل على نوع علاقة الارتباط، مما يعني أن هناك علاقة طردية - لأن إشارة موجبة - بين المتغيرين، وبعبارة أخرى كلما تم الاهتمام بالتسويق المباشر السياحي أكثر كلما أدى ذلك إلى تكوين اتجاهات ايجابية من طرف السياح نحو مركبات السياحة العلاجية الحموية ، والنتيجة النهائية هي قيام السائح باختيار هذه المركبات كوجهة السياحية يقصدها باستمرار ، مما يؤدي إلى زيادة عدد السياح الوافدين إلى مركبات السياحة العلاجية الحموية.

2. اختبارا الفرضية الأساسية الأولى : والتي تنص : لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية من وجهة إدارة المركبات السياحية.

الجدول رقم (4): معلمات الانحدار البسيط لاختبار الفرضية الأساسية الأولى من وجهة إدارة المركبات السياحية ..

القرار الإحصائي حول H ₀	المتغير المعتمد :قرار اختيار السائح لوجهته السياحية								المتغير المستقل للتسويق المباشر السياحية
	معامل التحديد R ²	معامل الارتباط R	المعامل المعياري للانحدار Beta	sig	اختبار T		اختبار F		
					قيمة جدولية	قيمة محسوبة	قيمة جدولية	قيمة محسوبة	
نرفض فرضية العدم (H ₀)	,16 1	,4010	,261	,00 0	1,68	,7873	3,98	,34314	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج SPSS. حيث : $N=77$ و بدرجة حرية (1,76) ، وعند مستوى معنوية معتمدة 5% .

من مطالعتنا لنتائج SPSS في الجدول رقم (4) أدناه نستنتج مايلي:

1.2 - اختبار معنوية معامل الانحدار : ويتضح بأن قيمة (T) المحسوبة = 3,787 وهي أكبر من قيمة (T) الجدولية (= 1,68). كما أن مستوى دلالة

الاختبار الإحصائي ($\text{Sig} 0,000 =$) وهو أقل من مستوى المعنوية المعتمد ()، مما يدل على ثبات معنوية معامل الانحدار البسيط بدرجة عالية عند مستوى المعنوية المعتمد، وفي مجال ثقة 95 % .

2.2 - القرار الإحصائي حول الفرضية (H_0) : كما نجد قيمة (F المحسوبة = 14,343) وهي أكبر من قيمة (F الجدولية = 3,98) وتطبيقاً لقاعدة القرار نرفض فرضية العدم (H_0) ونقبل الفرضية البديلة (H_1)، ليصبح منطوق الفرضية الفرعية (هـ): يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية من وجهة نظر إدارة تلك المركبات.

3.2 - القدرة التفسيرية: تشير نتائج تحليل الانحدار البسيط في الجدول رقم (6) بأن معامل التحديد يتصف بقدرة تفسيرية متوسطة على العموم حيث بلغت قيمته ($R^2 = 0,161$). وهذا يعني بأن المتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) قادر على تفسير ما نسبته 16,1 % من التغيرات التي تطرأ على قرار اختيار السائح لوجهته السياحية، أما باقي النسبة 83,9 % من التغيرات فيعود تفسيرها لمساهمة المتغيرات الأخرى للنموذج أو التي خارج النموذج .

4.2 - المعامل المعياري للانحدار ($Beta$) : من نتائج تحليل الانحدار البسيط في الجدول أعلاه يتبين بأن قيمة المعامل المعياري للانحدار هي ($Beta = 0,261$) . وبالنظر إلى قيمة الاختبار الإحصائي (T) نستدل بأن المعامل ($Beta$) كانت قيمته ذات دلالة إحصائية معنوية . و قيمته الموجبة تعني بأن زيادة المتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) بمقدار وحدة من الانحرافات المعيارية ينتج عنه زيادة في المتغير المعتمد - التابع - الذي مضمونه (قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية كوجهته السياحية) بمقدار: 0,261 وحدة . وعليه نستدل على وجود علاقة اتجاه تأثيرية ذات دلالة إحصائية معنوية عالية للمتغير المستقل (التسويق المباشر السياحي) في المتغير التابع. وذلك عند مستوى المعنوية المعتمد ($\delta = 5\%$) .

5.2 - تحديد نوع وشدة علاقة الارتباط : وكذلك يتضح بأن قيمة معامل الارتباط ($= 0,401$) وقيمته تمثل شدة علاقة الارتباط بأنها علاقة ارتباط

متوسطة بين المتغيرين)التسويق المباشر السياحي و قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية) ، وهذا يدل على وجود علاقة ارتباط ذات معنوية عالية وموجبة، والإشارة الموجبة تدل على نوع علاقة الارتباط، مما يعني أن هناك علاقة طردية - لأن إشارة موجبة - بين هذين المتغيرين. وبعبارة أخرى كلما تم الاهتمام بالتسويق المباشر السياحي أكثر كلما أدى ذلك إلى تكوين اتجاهات ايجابية من طرف السياح نحو مركبات السياحة العلاجية الحموية ، والنتيجة النهائية هي قيام السائح باختيار هذه المركبات كوجهة السياحية يقصدها باستمرار. مما يؤدي إلى زيادة عدد السياح الوافدين إلى مركبات السياحة العلاجية الحموية.

رابعا: النتائج والتوصيات

1. النتائج

-يرتبط ضعف الطلب السياحي الحالي نتيجة لعدم فاعلية سياسات التسويق والترويج المتبعة في تسويق المنتج السياحي الجزائري. و في تأثيرها على قناعات السياح وقراراتهم وتحفيزهم لاختيارها كمقصد سياحي ؛
- بينت النتائج أن مستوى ممارسة التسويق المباشر السياحي بمركبات السياحة العلاجية الحموية (عينة الدراسة) متوسط على العموم ، حيث بلغ المتوسط الحسابي العام للمتغير (3,1960) وبانحراف معياري عام (96558) وهذا حسب وجهة نظر أفراد العينة المستجوبة (السياح) ؛
-بينت النتائج بأن نسبة اتفاق أفراد العينة الدراسة حول هذا لمتغير بلغت(63,92%) . مما يعني أن أفراد العينة المستجوبة لهم اتجاهات ايجابية نحو فقرات المكونة لمتغير التسويق المباشر السياحي ؛
- كما يوجد تطابق في وجهات النظر وأراء عيني الدراسة (السياح وإدارة المركبات السياحية) حول الأهمية النسبية لعنصر التسويق المباشر السياحي بأنه الأسلوب الترويجي الأكثر تأثيرا على قرارات السياح عند اختيار وجهاتهم السياحية. كما أنه الأكثر استعمالا من قبل تلك المركبات السياحية عينة الدراسة و بلغت أهميته النسبية مقدار(81,03%) وهذه النسبية عالية جدا.

- لقد أثبتت الدراسة بأن الأهمية النسبية للتسويق المباشر السياحي كانت عالية من نظر وإدارة المركبات السياحية بمقدار (71,49%). وهذا يؤكد اعتماد مركبات العلاج الحموي عينة الدراسة بدرجة كبيرة على التسويق المباشر السياحي في الترويج والتعريف بمنتجاتها السياحية وخدماتها العلاجية مما نجد تأثيره الواضح على قرارات اختيار السياح لتلك المركبات لوجهات سياحية . وقد أشارت دراسة (Olmsted and Park, 2000) إلى نفس النتيجة حيث 73% من أفراد عينة الدراسة يفضلون الانترنت كمصدر معلوماتي عن ترويج السياحة، والتي تعتبر من أهم أدوات الحديثة في مجال التسويق المباشر ؛

-لقد أكدت الدراسة على ثبات معنوية علاقة الارتباط بدرجة عالية عند مستوى المعنوية المعتمدة. وفي مجال ثقة 95%، وقيمته موجبة مما يعني نوع علاقة الارتباط طردية . حيث كانت شدة الارتباط الإجمالي قد بلغت قيمته (37,7%) بالنسبة للسياح كما كانت قيمته (40,01%) المتعلقة بإدارة المركبات عينة الدراسة. إذن توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عالية بين المتغيرين (التسويق المباشر السياحي وقرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية) ؛

-لقد توصلت الدراسة بأن المعاملات المعيارية للانحدار البسيط (Beta) لكافة أبعاد التسويق المباشر السياحي ذات دلالة إحصائية معنوية، مما يؤكد وجود تأثير ذو دلالة إحصائية التسويق المباشر السياحي في قرار اختيار السائح لمركبات السياحة العلاجية الحموية حسب وجهة نظر كل من إدارة المركبات السياحة والسياح (عينة الدراسة) ؛ سواء أخذت هذه أبعاد بصورة مجتمعة أو منفردة ؛

-لقد أكدت الدراسة بأن 81,60% من مفردات العينة هم سياح دائمين في قرار اختيارهم لمركبات السياحة العلاجية الحموية كوجهة سياحية باستمرار. مما يحتم على هذه المؤسسات السياحية توطيد العلاقات بصورة دائمة مع هؤلاء السياح من أجل الاحتفاظ بهم، وتكوين قواعد المعطيات للسياح الذين يقصدونها باستمرار. بغية تسهيل عملية الاتصال والتواصل معهم بصورة دائمة.

2.التوصيات:

-وضع خطة تسويقية تعمل على إظهار جميع المزايا التنافسية للجزائر
تجعلها ضمن قائمة المقاصد السياحية العالمية ومن البلدان التي لا بد من زيارتها ،
وابتكار صيغ حديثة لتقديم المنتج السياحي الجزائري بما يتفق مع المنظور
الإعلامي الجديد والتطور الحاصل في تكنولوجيا الاتصالات ؛

-الترويج للسياحة الداخلية بالتنسيق مع مؤسسات التسيير السياحي
الجزائرية بالتعاون مع اتحاد غرف السياحة وشركة الطيران الجزائرية وشركات
النقل والتسويق ، مع مراعاة رغبات حاجات المواطنين وإمكانياتهم ؛

-تشجيع السياحة الداخلية وتوفير متطلباتها وتوجيهها إلى مناطق التنمية
لزيادة نسبة الإشغال والتشغيل وتخفيف حدة الموسمية ، مع مراعاة إمكانية
المواطنين الجزائريين ورغباتهم .وكذا تطوير أنماط جديدة للسياحة الداخلية في
الجزائر .كسياحة العطل المدرسية موجهة لمختلف الشرائح ، طلبة الجامعات ،
التلاميذ المدارس لكل أطوار التربية الوطنية

-الاهتمام بالعنصر البشري الذي يشكل جزء أساس من المنتج السياحي بإعداد
دورات تدريبية تخصصية مستمرة للعاملين بهدف تأهيلهم وتحفيزهم وزيادة
كفاءاتهم ، وصولا لتحقيق جودة الخدمة المقدمة وكسب رضا السياح وولاءهم ؛

-إعداد خريطة إلكترونية سياحية للجزائر وإقامة لوحات إلكترونية على
تقاطعات الطرق وفي مداخل المدن والمناطق السياحية كدليل إلكتروني لإرشاد
السائح إلى المقصد السياحي ، وتحسين مستوى الإرشاد السياحي ، مع
التركيز على تطوير مهارات المرشدين وزيادة عددهم ؛

-صباغة استراتيجية ترويجية على أساس الجذب تستهدف إثارة طلب
السياح (العملاء) مباشرة من خلال التسويق و جهود الترويجية الالكترونية
المكثفة (إي التركيز على جهود الإعلان) للتأثير على قراراتهم بشراء المنتج
السياحي عبر الوسطاء الذين يقومون بالاتصال بالمنشأة .

قائمة المراجع والإحالات إلى الهوامش:

1. بشير العلاق، التسويق في عصر الإنترنت والاقتصاد الرقمي، ط 1، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2003.
2. أبو رومان أسعد وآخرون، التسويق السياحي والفندقي، ط 1، عمان، دار حامد للنشر والتوزيع 2000.
3. وائل مهنا منصور، الفعالية الاقتصادية لسياسات التسويق والترويج السياحي في سورية، رسالة دكتوراه، سوريا: جامعة تشرين، كلية الاقتصاد، 2010.
4. مليكة الطيب سليمان، أثر الاتصال التسويقي خارج وسائل الإعلام في تحقيق رضا العميل، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة البليدة، 2008.
5. كنعان نولف، القيادة الإدارية، ط 3، الرياض: مطابع الفردوق التجارية، 1985.
6. عثمان غنيم، نبيل سعد، التخطيط السياحي، ط 2، عمان: دار الصفاء للنشر، 2003.
7. حميد الطائي، أحمد شاكر العسكري، الاتصالات التسويقية المتكاملة، عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2009.
8. إياد عبد الفتاح علي النصور، تطوير إستراتيجية تسويقية لتنمية السياحة العلاجية في الأردن، رسالة دكتوراه، الأردن: جامعة عمان العربية، كلية الإدارة والمالية، 2006.
9. الحوري مثنى، دباغ إسماعيل، اقتصاديات السفر والسياحة، ط 1، مؤسسة الوراق للنشر عمان، 2000.
10. Alain .G , Gael. B , Marketing pour ingénieurs , Dunod , Pris , 2010.
11. Catherine Viot , Le Marketing, 2ème edition, 2010.
12. Jean Claude Andérani et autres , Le Marketeur : fondements et nouveautés du marketing , Pearson éducation France , Paris ,2eéd , 2006 .
13. J-P Lozato –Giotart et M. Balfet , Management du tourisme , 2eed , Pearson education France , Paris , 2007 .
14. Kotler.ph , Armstrong.G , principes of marketing, Student Value Edition, 16th Edition, 2015 .
15. Marian Burk wood , Marketing planning , Pearson education France , Paris , 2005 .
16. P.Smith, J.Taylor, Marketing Communications, An integrated approach, 3 ed ed, (London: Kogan page limited), 2003.
17. Patricia C , Marketing de l'analyse à l'action , Node et Pearson éducation , France, 2004.
18. Philip Kotler, et autres , Marketing Management ,Prentice Hall, 12th ed , New Jersey ,2006.
19. Philip Kotler, Marketing Management, 9th ed, prentice hall, New Jersey, 1997.
20. Sekaran.u ,Research methods for managers,(4th ed), hobokm, john wiley & sons, 2003.

الملاحق:**الملحق رقم (1): ترميز فقرات الاستبيان الموجه للسياح وإدارة المركبات السياحية ؛**

المتغيرات المستقلة	الرقم	الرمز	الفقرات (العبارات)
البريد الإلكتروني	1	1A	الاتصال بواسطة البريد الإلكتروني للسائح يؤثر بقوة على اتخاذ قرار اختيارك للمركب السياحي (الحمام المعدني).
	2	A2	يفضل السائح التعامل مع المركب السياحي (الحمامات المعدنية) بواسطة البريد الإلكتروني.
	3	A3	أن يقدم المركب السياحي (الحمام المعدني) المعلومات الضرورية لعملية بيع خدماته بواسطة البريد الإلكتروني للسائح.
	4	A4	المواقع الإلكترونية للمؤسسات السياحية تساعد السائح على معرفة واكتشاف المركبات السياحية (الحمامات المعدني) قبل زيارتها .
	5	A5	تهتم إدارة المركب السياحي (الحمام المعدني) بمراقبة عملية تقديم الخدمات السياحية إلى السياح .
	6	A6	الإشهار السياحي بواسطة قنوات التلفزيونية للتسويق في البيت ساهمت في إثارة رغبته لزيارة مناطق سياحية بالوطن .
	7	A7	النشرات الإخبارية في قنوات التلفزيون الوطني تؤثر على قرار اختيارك للمركب السياحي (الحمام المعدني) .
	8	A8	الإعلانات السياحية الأجنبية أكثر جاذبية وتأثيرا من الإعلانات السياحية الوطنية على قرار اختيار السائح لوجهته السياحية .
	9	A9	تكسب إدارة المركب السياحي ثقة السياح بواسطة تقديم خدمات الضيافة (الترحيب، الأمن، التسلية والترفيه، العناية بممتلكاتهم – السيارة -...) .
قنوات التلفزيونية للتسويق	10	A10	يتعرف السائح على الخدمات السياحية (الحمامات المعدنية) عن طريق : الموقع الإلكتروني للمركب عبر الإنترنت.
	11	A11	يقوم المركب السياحي (الحمام المعدني) بعرض خدماته وبيعها إلى السائح بواسطة الموقع الإلكتروني للمركب عبر الانترنت .
	12	A12	يوفر الموقع الإلكتروني للمركب عبر الانترنت للسائح معلومات كافية عن المركب السياحي وخدماته .
	13	A13	تهتم الإدارة بالاتصال والتواصل مع السياح من أجل إقناعهم بشراء خدمات المركب السياحي (الحمام المعدني) .
	14	A14	يفضل السائح التعامل مع المركب السياحي (الحمامات المعدنية) بواسطة البريد.
الوصول مباشرة إلى السائح	15	A15	يفضل السائح التعامل مع المركب السياحي (الحمامات المعدنية) بواسطة الهاتف .
	16	A16	يفضل السائح التعامل مع المركب السياحي (الحمامات المعدنية) بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي.
	17	A17	يخصص المركب السياحي (الحمام المعدني) أرقام الهاتف المجانية لبيع خدماته إلى السائح بواسطة قنوات التلفزيونية للتسويق في البيت .
	19	1Y	يقوم السائح بزيارة المركب السياحي (الحمام المعدني) من أجل تغيير الأجواء، النظرة، الاستجمام، العلاج .
المتغير التابع: قرار السائح	20	2Y	يعتمد السائح عند اتخاذ قرار اختياره للمركب السياحي (الحمام المعدني) على المعلومات التي يجمعها من مصادر الترويج (الإشهار) السياحي المتنوعة .
	21	3Y	يعتمد السائح في الاختيار والمفاضلة بين المركبات السياحية (الحمامات المعدنية) على أساس: أسعار وجودة الخدمات السياحية والعلاجية .
	22	4Y	يتخذ السائح قرار اختياره للمركب السياحي (الحمام المعدني) بعد ما يتشاور مع أفراد أسرته .
	23	5Y	المعلومات التي مصدرها : (الأقارب، و الأصدقاء، و المعارف) تساعدك على اتخاذ قرار اختيارك للمركب السياحي (الحمام المعدني) .
	24	6Y	المعلومات التي مصدرها وسائل الاتصال (التلفزيون، الإذاعة، الجرائد والمجلات، الانترنت) تساعدك على اتخاذ قرار اختيارك للمركب السياحي (الحمام المعدني) .



بيان الإمام القرطبي المالكي لمكانة الصحابة

وعدالتهم والدفاع عنهم

The Statement of the Imam Al Qurtubi Defending the Companions and their Justice

يَحْيَى غُشِّي

الأستاذ المحاضر بقسم العلوم الإسلامية في جامعة غرداية

abooways@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-12-10

تاريخ الاستلام: 2019-10-01

ملخص -

يعالج موضوع هذا البحث جانباً مهماً من بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم، وعدالتهم والدفاع عنهم عند الإمام القرطبي المالكي. وقد جاء بيانه ذلك على صور عديدة؛ فبين الإمام القرطبي المالكي مكانة الصحابة رضي الله عنهم من خلال سوقه للنصوص الشرعية التي تدل على ذلك مع كلامه عنها. كما أظهر رحمه الله تعالى وجوب القول بعدالتهم رضي الله عنهم، مقررًا ذلك بالنصوص الشرعية وثناؤه عليهم رضي الله عنهم؛ مما استدعى ذلك منه بأن قام الإمام القرطبي المالكي بالدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم، فظهرت من خلال هذا البحث جهوداً عظيمة من الإمام القرطبي المالكي في الدِّب عن الصحابة رضي الله عنهم والدفاع عنهم وبيان مكانتهم، فكان له رحمه الله موقف رائع ومميز تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق فيه أهل السنة في هذا الموضوع، فكان ذلك حسنة من حسناته إلى يوم القيامة.

وكانت أهم نتائج هذا البحث في الأمور التالية:

- أن الإمام القرطبي المالكي أولى جانب الصحابة رضي الله عنهم عناية كبيرة في مؤلفاته، يشيد بهم ويرفع من قدرهم، ويدافع عنهم.
- كما كانت له جهود واضحة في بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم العالوية.
- تقريره لوجوب عدالة الصحابة رضي الله عنهم من خلال النصوص الشرعية.

وأقواله الدالة على ذلك.

- ظهور حبه العظيم للصحابة ﷺ من خلال دفاعه عنهم وثنائهم عليهم ﷺ.

- الكلمات المفتاحية

القرطبي، بيان، مكانة، الصحابة، الدفاع.

Resume –

The Companions And Their Justice And Defending Them At Al_Imam Al Kortobi Al-Maliki, His Statements Came On Many Ways. Al_Imam Al Kortobi Al-Maliki Showed The Status Of The Companions Through The Islamic Texts That Indicate This Status With His Talks About It. Also He Showed The Obligation On Their Justice, As Provided By The Islamic Texts And Blessing Them. This Led To Defend On The Companions By Al-Imam Al Kortobi Al-Maliki. Through This Research There Are A Great Efforts Of Al Imam Al Kortobi In Defending On The Companions And Showing Their Status. He Had A Wonderful Position Towards The Companions Of The Messenger Of Allah. He Was With Ahl Al Sunna In This Subject, That Was A Good Thing For Him Till The Ddoomsday.

The Most Important Results Of This Research In The Following Matters:

- Al Imam Al Kortobi Gave A Great Cere To The Companions In His Writings, Praise Them And Raise Their Status.
- Also He Has A Clear Efforts In Showing The High Status Of The Companions.
- His State Of The Justice Of The Companions Throughout The Islamic Texts That Indicate This.
- His Great Love Of The Companions Appears Through His Defense Praise Them.

Key Words-

Al Kortobi, Showing, Status, The Companions, Defense

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن من أعلى الكمال شرفُ صحبة النبي ﷺ، فالصحاباء رضي الله عنهم من أعظم الناس عند الله ﷻ، وعند رسوله ﷺ مرتبةً، وأشرفهم حظوةً ومنزلةً، أكثر الله ﷻ، ورسوله ﷺ في وصفهم والثناء عليهم ومدحهم، فتعددت الآيات وتواترت الأحاديث بذكرهم الجميل، ونشرهم الطيب، ورفعتهم السامية في الدنيا والآخرة، وما خُصوا به من الصفات الكريمة، والشيم العالية، والمواهب الجليلة والرفيعة، والتي تدل على سمو منزلتهم ﷺ، وعلو مكانتهم، ورفع شأنهم، وعدالتهم، وتبين - أيضاً - ما للصحابة من منزلة وفضل ومكانة، وكيف لا تكون لهم تلك المنزلة والمكانة؟ وهم من اختارهم الله العليم الحكيم؛ لصحبة سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ، ونصرة دينه، فهم الصفوة المؤمنة التي حملت الرسالة، وبهم أظهر الله الإسلام، وأعلى كلمة الحق، فجزاهم الله خيراً لما قدَّموه لأمة الإسلام بعدهم، اللهم آمين.

وقد بذل علماء السنة رحمهم الله تعالى جهوداً عظيمة في الذب عن الصحابة ﷺ والدفاع عنهم وبيان مكانتهم، وتقرير أن من أسباب الهلاك: التعدي والقدرح في أصحاب رسول الله ﷺ.

ولذلك كان من الواجب بيان الحق الذي قرره أهل السنة، والإشادة بعظيم جهادهم وجهودهم، في التصدي لهذه المكيدة التي تُكاد للإسلام وأهله؛ إذ الطعن في الصحابة ﷺ طعنٌ في دين الإسلام.

وقد كان للإمام القرطبي المالكي جهداً مباركاً في ذلك، وخطا في هذا المضمار خطوات جليلة نافعة، فأحببتُ في هذا البحث أن أجمع ما تيسر لي من الأقوال والنقول عنه رحمه الله تعالى في بيان مكانة الصحابة ﷺ، والدفاع عنهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية موضوع هذا البحث وأسباب اختياره من خلال النقاط

الآتية:

- 1 - أن فيه بياناً لمكانة الصحابة عليهم السلام والدفاع عنهم.
- 2 - أن هذا الموضوع له صلة بأصول الاعتقاد وهو - أيضاً - أصل في التفريق بين أهل السنة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع.
- 3 - وجود عدد كبير من أهل الأهواء والبدع، المثيرين للشبه الباطلة والافتراءات الزائفة، حول الصحابة عليهم السلام، مستخدمين في ذلك عبارات براقية وأساليب ملتوية.
- 4 - شهرة الإمام القرطبي، وعلو قدره عند العلماء، ويتبين ذلك عند الوقوف على ترجمته.
- 5 - أن دفاع القرطبي عن الصحابة عليهم السلام مبثوث في كثير من كتبه على تنوعها واختلافها، فجمع ذلك في مكان واحد، أدعى للإفادة منه.
- 6 - الرغبة في الإفادة من الإمام القرطبي المالكي، ومن منهجه في هذا الموضوع المهم، مما يساعد على تكوين شخصية الباحث، وتنمية ملكاته العلمية.

مشكلة البحث:

مضمون مشكلة هذا البحث في السؤال الآتي: هل الإمام القرطبي المالكي كان له دور في بيان مكانة الصحابة عليهم السلام والدفاع عنهم من خلال كتبه؟ وتوضح هذه المشكلة أكثر بطرح بعض التساؤلات الفرعية على النحو الآتي:

- 1 - ما هي أبرز جهود القرطبي التي تبين مكانة الصحابة عليهم السلام وتدافع عنهم من خلال كتبه؟
- 2 - ما هي أساليبه في بيان مكانة الصحابة عليهم السلام وما وسائله وما أبرز سماته في ذلك؟
- 3 - ما أساليبه ووسائله في الدفاع عن الصحابة عليهم السلام وما سمات منهجه في ذلك؟

منهج البحث:

اتبعت بتوفيق الله تعالى وعونه في هذا البحث. المنهج الاستقرائي الاستنتاجي. والذي يجمع بين طريقي الاستقراء والاستنتاج. متبعا في ذلك الأمور الآتية:

- 1 - تتبعت كلام القرطبي وآرائه عن الصحابة رضي الله عنهم عموماً من خلال ما تيسر لي من كتبه.
- 2 - اجتهدت على حصر وانتقاء كلام القرطبي المتعلق ببيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم والدفاع عنهم.
- 3 - رتبت كلام القرطبي وآرائه حسب خطة هذا البحث.

أهداف البحث

تتجلى الأهداف المرجو تحقيقها من هذا البحث في النقاط التالية:

- 1 - إبراز عناية الإمام القرطبي المالكي ببيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم.
- 2 - جمع أقوال الإمام القرطبي المالكي الدالة على وجوب القول بعدالة الصحابة رضي الله عنهم.
- 3 - إظهار بعض صور دفاع الإمام القرطبي على الصحابة رضي الله عنهم.

خطة البحث:

انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على الافتتاحية وأهمية البحث ومشكلته. وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: التعريف بالصحابة رضي الله عنهم، والتعريف بالإمام القرطبي المالكي. فاشتمل على الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: التعريف بالصحابة رضي الله عنهم.

الفرع الثاني: التعريف بالإمام القرطبي المالكي رحمه الله تعالى.

المبحث الأول: بيان الإمام القرطبي المالكي مكانة الصحابة وعدالتهم، وثنائهم العام عليهم رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: دفاع الإمام القرطبي عن الصحابة ﷺ.

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بالصحابة ﷺ، والتعريف بالإمام القرطبي المالكي:

التمهيد لهذا البحث: يكون ببيان هذين الفرعين الآتين:

الفرع الأول: التعريف بالصحابة ﷺ:

من المناسب قبل الشروع في البحث، أن نقف على تعريف الصحابي، وما حدُّ هذا الشخص الذي أنزله أهل السنة المنزلة العظيمة، وذلك على النحو الآتي:

1 - تعريف الصحابي لغةً:

الصحابي في اللغة: واحد الصحابة، منسوباً إليهم، والصاحب: اسم فاعل، من صحب يصحب، فهو صاحب، ويقال في الجمع: أصحاب وأصحاب وصحب وصحاب وصحبة، وصحبان وصحابة وصحابة. والصاحب: مشتق من الصحبة، وهي في اللغة بمعنى الملازمة والانقياد، وكل شيء لازم شيئاً، فقد استصحبه⁽¹⁾.

واللغة لا تقيد الصحبة بقدر مخصوص من الزمن، يقول القاضي أبو بكر الباقلاني عن ذلك: "لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص؛ بل هو جارٍ على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهراً سنةً وشهراً ويوماً، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار هذا هو الأصل"⁽²⁾. وقال السخاوي -أيضاً-: "وهو لغة يقع على من صحب أقل ما

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (286/7) طبعة: دار صادر بيروت.

(2) الكفاية في علم الرواية للخطيب ص 69 - 70. تحقيق: أبو عبد الله السورقي، نشر

المكتبة العلمية المدينة المنورة.

يطلق عليه صفةً فضلاً عما طالته صحبته، وكثرت مجالسته⁽¹⁾.

2 - تعريف الصحابي اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف الصحابي اصطلاحاً⁽²⁾، وخلافهم مبني على ما ينبغي أن يُراعى في المعنى، هل هو المعنى اللغوي أو المعنى العرفي؟
فذهب جمهور المحدثين أن الصحابي في الاصطلاح: "هو من لقي النبي ﷺ يقظةً، مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان، ولو تخلّت ردةً في الأصح"⁽³⁾.

وذهب جمهور الفقهاء والأصوليين أن الصحابي: "من لقي النبي ﷺ يقظةً، مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، وطالته صحبته، وكثر لقاءه به، على سبيل التبعية له، والأخذ عنه، وإن لم يرو عنه شيئاً، ومات على الإيمان"⁽⁴⁾.

فالمحدثون راعوا في تعريف الصحابي اصطلاحاً: المعنى اللغوي العام؛ حيث يطلق الصحابي لغةً على الملازم والمنقاد، سواءً أطالته صحبته أم قصرت.

والأصوليون راعوا في تعريفهم للصحابي المعنى العرفي؛ حيث يطلق الصحابي عرفاً على من طالته صحبته وكثرت ملازمته⁽⁵⁾.

والذي يظهر أن تعريف المحدثين للصحابي فيما يتعلق بموضوعنا - أي جانب العدالة وحرمة الطعن فيهم - هو الراجح لما يلي:

(1) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي (8/4)، ط الأولى: 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(2) انظر سياق أقوالهم وأدلتهم في: "تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة" للعلائي ص 30 - 50.

(3) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (71/1) تحقيق عادل أحمد، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 سنة 1415هـ.

(4) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص 158 المحقق: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة 1406هـ.

(5) انظر: جامع الأصول لابن الأثير (34/1) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.

- 1 - لأنه يتلاءم مع المدلول اللغوي لكلمة الصحبة، والمعاني اللغوية من الأمور المستقرة، التي لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة. بخلاف العرف الذي يتغير - في غالب الأحيان - بتغير الزمان والمكان. وعند الاختلاف يرجع إلى المعايير الثابتة دون المتغيرة⁽¹⁾.
 - 2 - إن جمهور المحدثين: "حين عرفوا الصحابي بالمعنى الاصطلاحي بناءً على مراعاة المعنى اللغوي، أخذوا المعنى اللغوي بمعناه العام الشامل لطول الصحبة وقصرها، ولم يقصروه على بعض أفراد؛ وهو طول الصحبة دون قصرها، بخلاف أهل الأصول الذين راعوا في تعريفهم للصحابي بعض المعنى اللغوي فقط، وهو طول الصحبة، فقصرُوا المعنى اللغوي على بعض أفرادهِ، وتركوا البعض الآخر ولاشك أن مراعاة المعنى اللغوي بجميع أفرادهِ أولى من قصره على بعضها؛ فإنه في اللغة يشمل الملازمة، وهي تستلزم طول الصحبة المعبر عنه بالمعنى العرفي، ويشمل الانقياد الذي لا يستلزمها"⁽²⁾.
 - 3 - اختلاف أهل الأصول في تحديد مدة المصاحبة، دليل على عدم استنادهم إلى أصل ثابت فالبعض اشترط أن تكون سنة فأكثر. ومنهم من اشترط دون ذلك، وهذا يدل على أن قولهم فيه نظر⁽³⁾.
- الفرع الثاني: التعريف بالإمام القرطبي المالكي رحمه الله تعالى⁽⁴⁾.**

(1) انظر: الصحابة ومكانتهم عند المسلمين لمحمود عيدان ص9، رسالة ماجستير، طبعة 1413هـ.

(2) انظر: صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة لعيادة الكبيسي ص72 - 73 دار القلم للطباعة، دمشق، ط1 1407هـ.

(3) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص146.

(4) مصادر الترجمة: تاريخ الإسلام للذهبي (7/123)، وطبقات المفسرين للداودي (1/246 - 247)، وطبقات المفسرين للسيوطي 92، وسير أعلام النبلاء (3/217)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (2/25 - 43)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، الطبعة الثانية سنة 1997م، والديباج المذهب في أعيان علماء المذهب لابن فرحون (2/210)، تحقيق مأمون الجنان، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1417هـ، وشجرة النور

لما كان الكلام في هذا البحث عن جهود الإمام القرطبي المالكي، كان مما لا بد منه التعريف بهذا الإمام، وما كان عليه من علم وعقيدة ومكانة، وجعلتُ هذا القسم في نقاط على النحو التالي:

1 - اسمه ونسبه وكنيته، ومولده:

هو الإمام العلامة: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، المالكي . ويكنى: أبو عبد الله .
الأنصاري: نسبة إلى الأنصار صحابة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة.
الخزرجي: نسبة إلى الخزرج إحدى قبيلتي الأنصار.
القرطبي: نسبة إلى المدينة الكبيرة في بلاد الأندلس: قرطبة⁽¹⁾.
ولد في مدينة قرطبة، والأقرب لولادته أنه بين (585 - 595) في أواخر القرن السادس الهجري.

2 - عقيدته ومذهبه الفقهي:

كان الإمام القرطبي المالكي على معتقد أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف هذه الأمة من الصحابة ﷺ والتابعين، ومما يوضح هذا قوله: "فمن بدّل أو غير أو ابتدّع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبتَغَدِينَ منه، المسوّدِي الوجوه، وأشدّهم طرداً وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلّهم مبدّئون مبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الظلم والجور وطمس الحقّ وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع"⁽²⁾.

الزكية (1/197)، والوافي بالوفيات (2/87)، وشذرات الذهب (5/335)، وهديّة العارفين (2/129)، والأعلام (5/322).

(¹) قرطبة: مدينة عظيمة بوسط الأندلس، وبها كانت ملوك بني أمية، استولى عليها الأنصاري سنة 632هـ، وحالياً بأسبانيا. يُنظَر: معجم البلدان للحموي (4/324).
(²) في تفسيره (4/168).

أما مذهبه الفقهي: فهو على مذهب إمام دار الهجرة: مالك بن أنس رحمه الله. فكان الإمام القرطبي مالكي المذهب.

3 - مكانته العلمية وثناء العلماء عليه⁽¹⁾ :

تبوأ الإمام القرطبي مكانة عالية، ولقد أثنى عليه أهل العلم في عصره، وممن جاء بعده.

فممن أثنى عليه الإمام الذهبي، فقال عنه: "الإمام العلامة أبو عبد الله القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الركبان"⁽²⁾.
وأثنى عليه ابن فرحون المالكي بقوله: "الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة"⁽³⁾.
وقد وصفه الصفدي بقوله: "إمام متفنن، متبحر في العلم"⁽⁴⁾.
وقال عنه ابن العماد الحنبلي: "وكان إماما علما من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف جيد النقل"⁽⁵⁾.

ومما تقدم تتضح مكانة الإمام القرطبي عند علماء المسلمين، فلم يتخلف أحد منهم على الثناء عليه، وبيان مكانته.

4 - مؤلفاته⁽⁶⁾ :

كتب الإمام القرطبي مؤلفات عدة، يظهر من خلالها تنوع اهتمامه، وتعدد مشاربه في كافة أنواع العلوم، وتبين سعة اطلاعه، أذكر منها الآتي:

(1) ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير مشهور حسن ص32 وما بعدها.

(2) تاريخ الإسلام (75/50).

(3) الديباج المذهب (317/1).

(4) الوافي بالوفيات (122/2).

(5) شذرات الذهب (334/5).

(6) انظر لذلك: تاريخ الإسلام (74/50)، والديباج المذهب (317/1)، وهداية العارفين (129/6).

والجامع لأحكام القرآن (113/15 - 117)، و(268/10)، و(146/16).

1. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن.
 2. التذكار في فضل الأذكار.
 3. قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة.
 4. الإعلام بما في دين النصارى من المفاصد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام.
 5. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة .
 6. أرجوزة، جمع فيها أسماء النبي ﷺ وشرحها.
 7. الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.
 8. منهج العباد ومحبة السالكين والزهاد.
 9. المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس.
 10. شرح التقصي.
 11. اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية.
 12. الأسنى في شرح الأسماء الحسنى. وغيرها.
- 5 - وفاته⁽¹⁾؛

بعد أن استقر الإمام القرطبي بمصر قرابة 88 عاماً، توفاه الله تعالى بمنية بني خصيب، ويقال لها اليوم " المنيا " ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة 671 من الهجرة. ويكاد يكون هذا موضع اتفاق الكتب التي ترجمت له، رحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الأول: بيان الإمام القرطبي المالكي مكانة الصحابة وعدالتهم، وثناؤه العام عليهم ﷺ.

إن أهل السنة يعتقدون أن للصحبة شرفاً عظيماً، يُمنح صاحبها ميزة خاصة، وقد أجمعوا على علو مكانة الصحابة ﷺ وسمو منزلتهم، ورفع شأنهم عند الله تعالى، فللصحابة ﷺ مكانة عظمى عند علماء المسلمين قاطبة، ومما يدل على ذلك عنايتهم الشديدة فيما يتعلق بالصحابة ﷺ،

(¹) انظر: شذرات الذهب (5/335)، ونفح الطيب (2/211)، وهدية العارفين (6/129).

وخاصة ببيان عدالتهم؛ لما يترتب على تعديلهم من أحكام، كما يعتقد أهل السنة أن الصحابة رضي الله عنهم عدولٌ كلهم، وأنهم أهل استقامة وصلاح في دينهم وأخلاقهم، اكتسبوا هذا التعديل بتعديل الله تعالى لهم، وثنائهم عليهم، وثناء رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الحال التي كانوا عليها شاهدة على ذلك، ولقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم.

وقد أجمع أهل السنة على عدالتهم بتعديل الله صلى الله عليه وسلم ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، فلا يحتاجون بعد ذلك إلى تعديل أحد، فكل واحد منهم عدل، إمام، فاضل، واجب على الأمة تعظيمه وتوقيره واحترامه والترضي عنه والاستغفار له⁽¹⁾.

كما يعتقد أهل السنة أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول، قد تحققت فيهم صفة العدالة، ظهر فيهم معناها؛ فكانوا من أكثر الناس ملازمةً للتقوى؛ لذلك أجمع أهل السنة على قبول رواية الصحابي، وشهادته دون توقف فيها، وقد نقل إجماعهم على ذلك جمعٌ كبير من العلماء⁽²⁾؛ فالصحابة رضي الله عنهم جميعاً عدول عند أهل السنة والجماعة.

وهذا المبحث خصصته لذكر ما تسير من الأقوال والعبارات عن الإمام القرطبي المالكي في بيانه مكانة الصحابة رضي الله عنهم عموماً، والتي توضح - أيضاً - عدالة الصحابة رضي الله عنهم، وثنائه العام عنهم، أسردها على النحو الآتي: أولاً: استدلال الإمام القرطبي المالكي بالنصوص الشرعية على عدالة

(¹) انظر: الشريعة للأجري (1634/4)، تحقيق عبد الله الدميحي، نشر دار الوطن

الرياض، ط2 سنة 1420هـ. والعواصم من القواصم لابن العربي ص 252، والكفاية للخطيب ص 46.

(²) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (19/1)، تحقيق علي محمد

البجاوي، نشر دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى سنة 1412هـ. وفتح المغيث

للسخاوي (103/3)، والإصابة لابن حجر (9/1)، وغيرها.

وفتح المغيث للسخاوي (103/3)، والإصابة لابن حجر (9/1)، وغيرها.

الصحابة ﷺ وفضلهم:

استدل الإمام القرطبي المالكي على عدالة الصحابة ﷺ بما ساقه في مصنفاته من أدلة من نصوص الكتاب والسنة، والتي تقرر عدالتهم وفضلهم ﷺ، فمن ذلك الآتي:

1- قول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾.

في الآية بيان أفضلية هذه الأمة، وأن الله جعلها أمةً وسطاً، خياراً عدولاً، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم، ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم هم على رأس هؤلاء، فوجه الاستدلال من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وسطاً بمعنى عدولاً وخياراً، وخصّ به الصحابة؛ لأنهم المخاطبون بهذه الآية.

قال القرطبي مبيناً ذلك: "المعنى: والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، أي أعدلهم وخيرهم، ولما كان الوسط مجاناً للغلو والتقصير كان محموداً"⁽²⁾.

- وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽³⁾. أفادت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد رضي عن الصحابة عموماً، وعلى أهل بيعة الرضوان خصوصاً، وأكرم بهذا من فضل وتشريف لهم، ولا شك أن الله تعالى لا يرضى إلا عن العدول والخيار من الخلق. قال القرطبي في سياق بيانه لفضائل الصحابة، مقررّاً بذلك عدالتهم رضي الله عنهم: "وهكذا القول في الصحابة، اشتركوا في الصحبة، ثم

(1) سورة البقرة: 143 .

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 153 - 154) .

(3) سورة الفتح: ١٨ .

تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل، فهم متفاضلون بتلك. مع أن الكل شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم، وحسبك بقوله الحق - وذكر الآية - فعم وخص، ونفى عنهم الشين والنقص، رضي الله عنهم أجمعين. ونفعنا بحبهم آمين⁽¹⁾.

- وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ 3 بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾.

بين الله تعالى حالهم وطيب مآلهم، بما وصفهم به من أشرف الصفات. فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالثناء عليه. ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فذكر تعالى أن من صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان. فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتابه، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم، لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم¹⁹.

يقول القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياءه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهب شذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلائهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم. ورضي

(¹) انظر: الجامع لأحكام القرآن (264/3).

(²) سورة الفتح: 29.

عنهم وأرضاهم. ووعدهم الجنة. وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة. بإخبار الرسول ﷺ. هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن. والأمور الجارية عليهم بعد نبينهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مُسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب⁽¹⁾.

وقال -أيضاً - ناقلاً عن إمام المذهب مالك بن أنس دَوَّده عنهم رضي الله عنهم. ومقررراً عدالة الصحابة رضي الله عنهم: "رُوي أنه كان عند مالك بن أنس رجلاً، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرا مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ قال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله. فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته. فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى -وذكر الآية - وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم. فحذار من الوقوع في أحدٍ منهم، كما فعل من طعن في الدين. فمن نسبه أو واحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن، طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومتى ألحق واحد منهم تكذيباً فقد سب؛ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه⁽²⁾. وقال الإمام القرطبي: بعد أن سرد بعض الآيات الدالة على مناقب الصحابة رضي الله عنهم: "إلى غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء

(¹) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/299).

(²) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/297-298).

عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم، ومآل أمرهم⁽¹⁾.

- كما اشتملت السنة على أحاديث كثيرة، تنوه بفضل الصحابة عليهم السلام، وتنص على توقييرهم واحترامهم، وتشيد بمكانتهم ومنزلتهم، والثناء عليهم رضي الله عنهم، وتحذر من التعرض لهم. وهذه الأحاديث بمجموعها، لا شك أنها دليل عظيم على عدالة أصحاب رسول الله عليه السلام ونزاهتهم.

وما قيل حول الآيات القرآنية، يقال هنا، فمن أثنى عليه رسول الله عليه السلام، وامتدحه، وأوجب على الأمة محبته واحترامه وتوقييره، فإنه لا ريب أن يكون ذلك المديح والثناء تعديلاً له، فقد وصفهم النبي عليه السلام في أحاديث يطول تعدادها، وأطنب في تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم بتعديليهم. وقد استدلل الإمام القرطبي - أيضاً - على عدالة الصحابة عليهم السلام والتحذير من الطعن فيها بأحاديث صريحة واضحة، أذكر منها الآتي:

1 - عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله عليه السلام قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة))⁽²⁾.

فهذا الحديث فيه تركية لجميع الصحابة عليهم السلام وإثبات العدالة لكل منهم. والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم بالخيرية المطلقة، والأفضلية لهم على سائر أمته. فأثبت الحديث الخيرية للصحابة عليهم السلام؛ حيث أنهم يمثلون قرن النبي عليه السلام.

قال القرطبي عند شرحه للحديث: "وهذا الحديث يدل على أن أول هذه الأمة، أفضل ممن بعدهم، وإلى هذا ذهب معظم العلماء، وإن من

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/297).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ المناقب، باب فضائل أصحاب النبي عليه السلام (2/5) ح 3650، ومسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (4/1963) ح 2533.

صحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة في عمره. أفضل ممن يأتي بعده، وإن فضيلة الصحبة لا يعد لها عمل⁽¹⁾.

2 - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي. فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"⁽²⁾.

في هذا الحديث نهي صريح عن سب أصحاب رسول الله ﷺ. وفي هذا الفضل والثناء لهم والتكريم والتبجيل، تنوية لمكانتهم، وتشريف لمنزلتهم. قال القرطبي عند هذا الحديث، مقررًا عدالة الصحابة رضي الله عنهم، ومحذراً من الطعن فيهم: "معناه لم يدرك مد أحدهم، إذا تصدق به ولا نصف المد، فالنصيف هو النصف هنا، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، فحذار من الوقوع في أحد منهم. فمن نسب أحداً من الصحابة إلى كذب، فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن طاعن على رسول الله ﷺ. ومتى ألحق واحد منهم تكديباً فقد سب؛ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ، وألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه"⁽³⁾.

ثانياً: كما ورد عن الإمام القرطبي نقولاً في تقريرهم عدالة الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن الطعن فيهم، ومن تلك الأقوال ما يلي:

قال رحمه الله مقررًا عدالة الصحابة رضي الله عنهم: "وهكذا القول في الصحابة، اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل، فهم متفاضلون بتلك مع أن الكل شملتهم

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (4/171).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً" (8/5) ح 3673، ومسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (4/1967) ح 2540.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/297-298).

الصحة، والعدالة والثناء عليهم، وحسبك بقوله الحق -وذكر جملةً من الآيات القرآنية في الثناء عليهم - فعم وخص، ونفى عنهم الشين والنقص، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم آمين⁽¹⁾.

وقال القرطبي مدافعاً عنهم: "لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة، وهم عليهم السلام خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا الله بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا عن سبهم، وأن الله غفر لهم بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهى النبي لهم، وأخبر بالرضا عنهم. وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيرهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيم غنائهم في الدين رضي الله عنهم. وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقَت فيما بينهم فقال: ﴿تَاكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾. وسئل بعضهم عنها أيضاً فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه"⁽³⁾.

ويشير القرطبي -أيضاً - إلى ما كان عليه سلف الأمة من الحث على نشر فضائل الصحابة رضي الله عنهم وبث مناقبهم، وذكر مآثرهم، والكف عما سواه، فينقل عن العوام بن حوشب قوله: ((أدركت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم، فتحرشوا الناس عليهم))⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: دفاع الإمام القرطبي عن الصحابة عليهم السلام.

إن المطلع على بعض مؤلفات الإمام القرطبي المالكي يتضح له كما

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (264/3).

(2) سورة البقرة: 134.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (321/16).

(4) المصدر السابق (375/20).

هائلاً من الأقوال والعبارات، والتي تعد جهوداً من هذا الإمام في دفاعه عن الصحابة عليهم السلام، أسوق منها ما تيسر لي على النحو الآتي:

أولاً: دفاعه عن الصحابة عليهم السلام عموماً مستنداً بالنصوص الشرعية:

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا 1 وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (1).

قال أبو عبد الله القرطبي عند تفسيره للآية: "وقد قيل: أن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم روى عن أبيه: أن نفراً من أهل العراق جاؤوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر ثم عثمان رضي الله عنهم فأكثروا؛ فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا. فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا لا. فقال: قد تبراكم من هذين الفريقين! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله -وذكر الآية- قوموا، فعل الله بكم وفعل.

وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة عليهم السلام؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الشيء، ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم، أو واحداً منهم، أو اعتقد فيه شراً، إنه لا حق له في الشيء؛ روي ذلك عن مالك وغيره" (2).

- وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ 2 بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَذَرَهُ، فَأَسْتَغَاطَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (3).

(1) سورة الحشر: ١٠.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (18/31 - 33).

(3) سورة الفتح: 29.

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، أنه لا يسبهم شخص إلا لما وُجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاز بهم الكفار، فدلّت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب لهم.

قال القرطبي: "روى أبو عروة الزبيري: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية، ثم قال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أصابته هذه الآية، ثم قال - أي القرطبي - : "لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله فمن نقص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد ردّ على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، ثم ذكر طائفة من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح، ثم قال عقبها: "وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم، فحذار من الوقوع في أحدٍ منهم، كما فعل من طعن في الدين، فمن نسبه أو واحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن، طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومتى ألحق واحد منهم تكديباً فقد سب؛ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه" (1).

3 - ما رواه الشيخان في صحيحيهما، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه)) (2).

(1) الجامع لأحكام القرآن (16/296-298).

(2) تقدم تخريجه فيما مضى.

وفي هذا الحديث أبلغ النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم، والذي اتخذته الرافضة ديناً، ينسبونه لآل البيت ظلماً وزوراً.

ففيه نهى النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له صحبة متأخرة، أن يسب من كانت له صحبة متقدمة " لا متيازهم عنهم من الصحبة، بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم، مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة ؟ رضي الله عنهم أجمعين" ⁽¹⁾.

فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم، كما دلّ -أيضاً- على تزكية الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم، إذ أنه عليه السلام بين فضلهم على غيرهم ممن أتى بعدهم، وذكر أن مد طعام يقدمه أحدهم، أعظم عند الله وأكثر ثواباً من مثل جبل أحد يقدمه غيرهم، وقد استشهد بهذا الحديث جم غفير من العلماء على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم والوقية فيهم.

قال القرطبي عند هذا الحديث، محذراً من الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وسبهم: "معناه لم يدرك مد أحدهم، إذا تصدق به ولا نصف المد، فالنصيف هو النصف هنا، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، فحذار من الوقوع في أحد منهم، فمن نسب أحداً من الصحابة إلى كذب، فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتى ألحق واحد منهم تكديباً فقد سب؛ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم - ولا صغیر فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه" ⁽²⁾.

وقال -أيضاً-: "لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ

(1) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص 692.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/ 297 - 298).

مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم⁽¹⁾.

4 - كما قال الإمام القرطبي في معرض رده على الروافض في استدلالهم على تقديم علي على أبي بكر ﷺ في الإمامة بحديث: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»: «فاستدل بهذا الروافض والأمامية وسائر فرق الشيعة، على أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف علياً رضي الله عنه على جميع الأمة؛ حتى كفر الصحابة الأمامية - قبحهم الله -؛ لأنهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص على استخلاف علي واستخلفوا غيره باجتهاد منهم، ومنهم من كفر علياً إذ لم يقم بطلب حقه، وهؤلاء لا شك في كفرهم، وكفر من تبعهم على مقاتلتهم⁽²⁾».

فالتعن في الصحابة ﷺ طعن في الإسلام ومصدر الشريعة؛ لأنهم نقلتها، قال القرطبي عن ذلك: «فمن نقص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين⁽³⁾».

ثانياً: كما دافع الإمام القرطبي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم بأعيانهم؛ لإثبات عدالتهم:

وقد سلك الإمام القرطبي منهج الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم عموماً، ونافح عن بعضهم على وجه التحديد، خصوصاً من كان عرضةً منهم لأهل البدع والأهواء، ومن هؤلاء الذين دافع عنهم بأعيانهم:

- حاطب بن أبي بلتعة ﷺ:

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/321).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (9/323).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (16/297).

حاول البعض الطعن فيه ﷺ وفي عدالته بسبب قصته المشهورة في مكاتبته للمشركون بأمر مسير النبي ﷺ إلى مكة⁽¹⁾. وقد بين القرطبي منزلة حاطب ﷺ، ودافع عنه فيما قيل في حقه ﷺ وأظهر عذره في فعله ذلك.

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾⁽²⁾ يعني بالظاهر؛ لأن قلب حاطب كان سليماً؛ بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أما صاحبكم فقد صدق"، وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده"، إلى أن قال: "وهذا كله معاتبة لحاطب. وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق إيمانه، فإن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيبه. كما قال: أعاتب ذا المودة من صديق إذا ما رابني منه اجتناب إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب"⁽³⁾. وبه ختام هذا البحث. والله أعلم وأحكم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات، وعلى آله وصحبه، بعد أن من الله تعالى عليّ بإكمال هذا البحث، ولا أدعي فيه الكمال أو الإحاطة. فإن لي وقفة في هذه الخاتمة، أستجمع فيها أهم نتائج في الأمور التالية:

- 1 - أن الإمام القرطبي المالكي عالم جليل، له اليد الطولى في مختلف العلوم الإسلامية. وكان حريص على السنة. قال للبدعة وأهلها.

(1) قصة مكاتبة حاطب بن بلتعة ﷺ للمشركون متواترة. وقد وردت في غالب دوواين السنة. وأوردها علماء المغازي والسير وغيرهم. فأخرجها البخاري في صحيحه في عدة مواضع منها في كتاب الجهاد والسير. باب الجاسوس ح 3007. كما أخرجها مسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة. باب من فضائل أهل بدر ﷺ. وقصة حاطب بن أبي بلتعة ح 2494.

(2) سورة الممتحنة: ١.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (54، 52/18).

- 2 - أن الإمام القرطبي المالكي أولى جانب الصحابة ﷺ عناية كبيرة في مؤلفاته. يشيد بهم ويرفع من قدرهم. ويدافع عنهم.
- 3 - أن الإمام القرطبي المالكي له جهود واضحة في بيان مكانة الصحابة ﷺ العالية.
- 4 - قرر الإمام القرطبي المالكي وجوب عدالة الصحابة ﷺ من خلال النصوص الشرعية. وعباراته الدالة على ذلك.
- 5 - ظهور حب الإمام القرطبي المالكي العظيم للصحابة ﷺ من خلال دفاعه عنهم وثنائه عليهم ﷺ.
- 6 - وقد سار الإمام القرطبي المالكي على منهج أهل السنة في صحابة رسول الله ﷺ. فلم يغل فيهم ولم يجف عنهم. وله في ذلك عبارات رائقة. وحجج دامغة.
- 7 - أما بخصوص التوصيات. فإني أوصي بتتبع منهج الإمام القرطبي المالكي في كلامه عن الصحابة ﷺ والدفاع عنهم والاستفادة من تقعيداته وتأصيلاته في ذلك.

فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

- أحكام القرآن. أبو بكر بن العربي المعافري. تحقيق: محمد عبد القادر. مكتبة دار الباز. الطبعة الأولى. 1416هـ.
- أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني. نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة، ط 1398هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود. الناشر: دار الكتب العلمية. ط 1415هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى سنة 1412هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد عوض، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1415هـ.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت599هـ)، نشر دار الكتاب العربي، باعتناء إدارة إحياء التراث، طبع سنة 1967م.
- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة فؤاد - مصر.
- تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، طبعة أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة مصر، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، طبع سنة 1374هـ.
- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1/ 1406هـ.
- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن محمد فرحون، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1417هـ.
- ذب الإمام الشوكاني عن أصحاب النبي العدناني للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي الحسن علي بن أحمد الرّازحيّ، ط الأولى: 1427هـ مكتبة الرضوان - مصر.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من أعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي، طبع دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط سنة 1973.
- صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، ط الثالثة: 1407هـ، دار ابن كثير - بيروت.

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1425هـ.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/9 1413هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي الدمشقي (ت1089)، دار المسير، بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة 1399هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- شرح النووي على صحيح مسلم، المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360هـ)، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، نشر دار الوطن الرياض، الطبعة الثانية سنة 1420هـ.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: 578 هـ) عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار. الناشر: مكتبة الخانجي. الطبعة: الثانية، 1374 هـ.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط الأولى: 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ)، تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية المدينة المنورة.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الجوهري، دار صادر بيروت.
- معجم البلدان لشهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، نشر دار صادر بيروت لبنان، سنة 1397هـ.
- المستقصى من علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي

- (ت505هـ)، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، نشر شركة المدينة للطباعة والنشر.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن محمد بن فارس ابن زكريا، اعتناء: الدكتور محمد عوض، وفاطمة أصلان، ط الأولى: 1422هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقرئ التلمساني (ت1041هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، الطبعة الثانية سنة 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، اعتناء: رائد صبري، بيت الأفكار الدولية.
- الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط الأولى: 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.



بعض مظاهر عالمية اللغة العربية قديما وحديثا

Some Characteristics Of The Universality Of Arabic Language

محمد بن حجر

جامعة المديّة

mohamedbenhadjer@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-16

تاريخ الاستلام: 2019-09-27

الملخص -

إن عالمية اللغة العربية لها مظاهر كثيرة، منها ما هو في رسم حروفها، حيث كتبت لغات عديدة من أسرتها ومن خارج أسرتها بالخط العربي، ومنها ما هو في صرفها ونظام التقليلات فيها، وقد استغل ميزان صرفها أبو حيان في الإحاطة بألفاظ اللغة التركية ووزنها بها، واستغل نظام التقليلات نحاة اللغة العبرية في دراسة لغتهم، ومنها ما هو في جذور ألفاظها، حيث لا يزال دارسو اللغات السامية يرجعون إلى اللغة العربية في دراستها، ومنها ما هو في نحوها ونظريات نحوها التي منها نظرية العامل، حيث اقتبسها الأوروبيون من نحونا فيما سموه بنحو التبعية، ثم استغله تشومسكي واستعمله في نحوه التوليدي التحويلي.

ويمكن لهذا البحث أن يجلي كل هذه المظاهر والحيثيات ولو باقتضاب للدلالة على عالمية اللغة العربية قديما وحديثا، وهو ما يزيد في تشبثنا بلغتنا وأصالتها ودقة نظامها وعمقه، ويفيدنا أن اللغة العربية ما زالت قادرة على العطاء لما تملكه في ذاتها من إمكانيات عز وجودها أو وجود نظائرها في غيرها من اللغات.

الكلمات الدالة -

عالمية اللغة - رسم الحروف - أوزان الكلمات - نظرية العامل - نحو التبعية.

Abstract-

The Universality Of The Arabic Language Has Many Manifestations Such As Its Inscription As Many Languages, From Within Its Family And Out Of It, Used The Arabic Letter Script And Others Relate To Its Grammar And System Of Permutation. Abu Hayan Used Arabic Grammar To Examine Turkish Vocabulary And Its Grammar. Many Other Grammarians Also Made Use Of Its System Of Permutation To Study The Hebrew Language; Some Of These Properties Exist In The Roots Of Its Lexicon. Thus Scholars Of Semitic Languages Still Make References To Arabic. Some Relate To Its Grammar And Factor Theory As Many European Scholars Borrowed It To Become Nicknamed Dependency Grammar. Then It Was Used By Noam Chomsky In His Transformational Generative Grammar.

This Research Will Reveal All Aspects, Albeit Briefly, That Indicates The Universality Of The Arabic Language, Both In The Past And Now. This Pushes Us Further To Preserve Our Language, Its Originality, Accuracy And Depth Of Its System. Indeed, Arabic Is Still Rich Due To Its Inherent Potentials Which Are Rarely To Be Found In Other Languages.

Key Words-

Universality Of Arabic, Word Structures, Inscription, Factor Theory, Grammar Dependency.

1 مقدمة:

لا يشك أحد في أن اللغة العربية قد بلغت العالمية يوم كانت الحضارة العربية في أوج عطائها، بعدما تم لها من الفتوحات ما بلغت به الأراضي الأوروبية، حيث كانت لغة العلوم بمختلف فروعها، وكان الإقبال على تعلمها من غير أهلها على أشده، ولقد أحسنت المستشرقة الألمانية زيفريد هونكه في تصوير هذه الحقبة من حياة اللغة العربية حين قالت: "كان من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والسياسة والقانون، بل لغة للتجارة والمعاملات وجمهور الناس، ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب

أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة.

فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى أن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع إلى العربية للأقلية المسيحية في الأندلس التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية، وحتى بعد احتلال المسيحيين ثانية للأندلس فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين بعد تحررهم إلى اللغة العربية. وهكذا تحولت لغة قبلية في خلال مائة عام إلى لغة عالمية، ليست اللغة ثوبا نرتديه اليوم لنخلعه غداً، لقد وجدت العربية تجاوباً من الجماعات وامتزجت وطبعتهم بطباعها، فكانت تفكيرهم ومداركهم، وشكلت قيمهم وثقافتهم، وطبعت حياتهم المادية والعقلية

فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهاً واحداً مميزاً. حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية ولغتها بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها، حقا إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة"¹.

وعليه فقد نص كثير من الدارسين على أن اللغة تنمو وتتطور بنمو وتطور أهلها، وأنها بذاك تنتشر ويذيع استعمالها في الآفاق، وحال اللغة العربية قديماً يشهد على ذلك، كما يشهد عليه اليوم حال الإنكليزية.

ولكن مع ذلك فإن اللغة العربية رغم ضعف أهلها وانحدار حضارتهم فإن فيها من مقومات البقاء وعناصر القوة ما جعلها تزاحم كبرى اللغات العالمية، وعصية على كل محاولات التقزيم التي شنّها عليها ولا يزال أعداؤها الذين هم في الحقيقة أعداء الإسلام، ذلك لأن مقومات البقاء وعناصر القوة فيها هي التي أهلتها لتكون لغة القرآن ولسان الإسلام.

¹ - شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، 1413هـ، 1993م، بيروت، ص367 - 368.

وما قررته اللسانيات الغربية من أن الألسنة البشرية لا تفاضل بينها، وأنه انتهى زمن اعتبار اللغة العربية لغة فاضلة كما هو معتقد المسلمين، هو حق من زاوية نظر معينة، وهي أن اللغات متساوية من حيث الوظيفة الإخبارية فقط، ولكن وظائف اللغة كما بين ذلك ياكبسون كثيرة، ومنها الوظيفة الجمالية، ففي هذه الوظيفة تتفاضل اللغات، ولعل اللغة العربية من حيث هذه الوظيفة أجمل اللغات وأدقها وأبلغها.

وعودا على بدء أقول: إن اللغة العربية رغم تدني المستوى الحضاري لأهلها، وزهد بعض أبنائها فيها، وتقاعس نخبها عن خدمتها، ورغم كل المحاولات الاستعمارية والشعوبية لمسخها ونسخها، لا زالت لغة عالمية، ليس فقط لكثرة مستعمليها، ولكن لما فيها من مقومات البقاء وعناصر القوة كما قلنا.

وفيما يلي ذكر بعض هذه المقومات والعناصر التي هي مؤشرات واضحة ودلائل لاثقة على عالمية اللغة العربية قديما وحديثا، في معجم ألفاظها ونحوها وصرفها وبلاغتها وعروضها ورسم حروفها.

2. اللغة العربية هي اللغة السامية الأم:

لقد بحث كثير من الدارسين المحدثين والمعاصرين عربا وأروبيين في أمر اللغة السامية الأم، ورجح أكثرهم أن اللغة السامية الوحيدة التي لا تزال تحتفظ بخصائص اللغة الأم هي اللغة العربية، وذهب المحققون منهم إلى أن العربية هي السامية الأم، وأن موطن الساميات الأصلي هو شبه جزيرة العرب، وعليه فكان من الحق أن تسمى الساميات بالعروبيات.² "فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية، بعد ذلك التقدم المتطاوّل من أقدم العصور:

في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه، ولم يبلغ قط

مبلغ (القانون) الذي نعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء.

² -انظر في ذلك على سبيل المثال: (الخط العربي: أصوله نهضته انتشاره، عفيف البهنسي ص23) و(أشتات مجتمعات للعقاد، ص 23) و(مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، ص9) و(فقه اللغة، عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، ص92، وص 118) و(الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص81).

وفي اللغات السامية اشتقاق ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية.

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون، ولكن لغة من اللغات – سامية كانت أو آرية أو طورانية – لم تتحرر بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ولا مخرج ملتبس بين حرفين.

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقضان – فوق المنبت – جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بعدما وصل إليه، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها، في كل عضو من أعضائها³.

ومما يدل على هذه الحقيقة أن المستشرقين المعنيين بدراسة اللغات السامية (العبرية أو السريانية أو الآرامية) أو غيرها يعتمدون كثيرا على اللغة العربية في فهم ما خفي عليهم من ألفاظ أو ظواهر لغوية في أي لغة سامية غير العربية⁴.

3. تأثير اللغة العربية في لغات العالم:

إن تأثير لغة في أخرى وتأثرها بها واقع معروف منذ القدم، وبخاصة عند وجود احتكاك بين أهل اللغتين، بسبب حروب أو تجارة أو تبادل اقتصادي أو ثقافي، واللغة العربية ككل اللغات الكبرى أثرت وتأثرت، ولكن يبدو أن تأثيرها كان أكبر من تأثرها، وبخاصة على الشعوب الإسلامية، لارتباطها بالقرآن وهو الكتاب المقدس لدين الإسلام.

وتأثير اللغة العربية على الفارسية والتركية والهندوسية والأمازيغية وحتى الإسبانية كان أكبر من تأثيرها على أي لغة أخرى.

فأما الفارسية ففيها من ألفاظ العربية الكثير والكثير حتى قال فؤاد عبد المعطي الصياد عن كثرة الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية: "ونحن في الحقيقة إذا رحنا نبحت وندقق عن السيل الفيض من الألفاظ العربية التي

³ – أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 27.

⁴ – انظر: علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغة السامية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 132.

دخلت قديما وحديثا، فإننا نجد القاموس العربي قد دخل بأجمعه في ثنايا القاموس الفارسي".⁵

وقد جرت محاولات كثيرة قديما وحديثا لتصفية اللغة الفارسية من الألفاظ العربية فلم تحل بطائل، وقد قال المستشرق براون في هذا الصدد: "ولو أن أحدا أراد أن يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر، كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئا بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خلوا من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل يوناني أو لاتيني أو فرنسي".⁶

وقال: "والشاهنامة نفسها وقد ألفها الفردوسي منذ ألف سنة تقريبا وقصد متعمدا - كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها - أن يصوغها في أقدم العبارات والأساليب، لا يستطيع أحد أن يدعي أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتمحيص".⁷

بل "يرى البعض أن الشاهنامة تحتوي على ما يقرب من ثمانمائة كلمة عربية، وقد يقل هذا العدد أو يكثر لدى كل باحث من الباحثين، ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي وجود كثير من المفردات العربية في هذه المنظومة التي يصل عدد أبياتها إلى ستين ألف بيت".⁸

وأما التركية فكما قال أحد الباحثين: "توجد في اللغة التركية عدة آلاف من الكلمات العربية، ثم مئات من كلمات مركبة من (العربية والتركية) أو (التركية والعربية)، وتصل نسبة الكلمات العربية في اللغة التركية أكثر من 30%، وإني قد جمعت نحو ستة آلاف كلمة عربية خالصة، ومئات من الكلمات

⁵ - القواعد والنصوص الفارسية، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، ط2، 1970م، بيروت، لبنان، ص11.

⁶ - تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى السعدي، إدوارد جرانفيل براون، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، ص14.

⁷ نفس المرجع، ص15.

⁸ قاموس الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، محمد نور الدين عبد المنعم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ. 21/1 - 22.

المركبة (من العربية والتركية) وذكرتها في كتابي (قاموس الكلمات العربية في التركية العثمانية) عام 1407 هـ.⁹ وهذا على الرغم من محاولات الكماليين الأتراك تصفية لغتهم من الألفاظ العربية بعد التحول إلى الحرف اللاتيني في كتابة اللغة التركية، "ولولا ذلك التأثير الكبير للغة العربية في اللغة التركية لما بقيت تلك الألفاظ العربية الكثيرة، التي تعج بها قواميس اللغة التركية، مع ما رافقها من محاولات جادة في أوساط اللغويين الهادفة إلى العودة إلى الجذور اللغوية التركية الأصلية التي لم يستسغها المجتمع التركي".¹⁰

وأما اللغة الهندوسية أو الهندستانية فهي اللغة الأردية لسان كل مسلمي الهند وباكستان، ولا يشك أحد في عروبة الكثير من ألفاظ هذه اللغة، ولا تزال كتابتها برسم الخط العربي، مع اقتباس حروف الفارسية الأربعة التي لا توجد في العربية ومع بعض التعديلات اللازمة.

وقد ألف سمير عبد الحميد إبراهيم (معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية) فبين فيه كيف نشأت اللغة الأردية بتأثير من اللغة العربية بحكم إسلام من أسلم من الهنود، وقال: "وليعلم القارئ العربي أن هذه اللغة جاء عليها زمان - في مرحلة تطورها - لم تكن تتعدى حدودها جدران (قلعة معلى) أو القلعة الحمراء، في مدينة (شاهجان آباد) أي دهلي، ثم صارت لغة الناس من كشمير إلى رأس كماري، ومن كلكتا حتى كراتشي، ووصلت بشاور وأفغانستان، وعدن ومالديب وسري لنكا وسنغافورة ولندن وكندا وأمريكا والمملكة العربية السعودية وبقية دول مجلس التعاون الخليجي والبلدان العربية الأخرى وعدد كبير من بلاد إفريقيا وخاصة جنوب إفريقيا، حيث انطلق العامل مع الموظف والتاجر مع الواعظ والداعية، وكلهم يتكلمون الأردية رغم اختلاف مساقط رؤوسهم".¹¹

⁹ اهتمام الأتراك باللغة العربية وأثرها في اللغة التركية، عبد الله مبشر الطرازي، صحيفة المدينة، الأربعاء، 2011/05/04.

¹⁰ - معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، سهيل صابان حقي، ط1، 1426 هـ، 2005م. الرياض، المملكة العربية السعودية. ص15.

¹¹ - معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، سمير عبد الحميد إبراهيم، أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية. ص13.

وأما اللغة الأمازيغية فهي لغة البربر في شمال إفريقيا وبعض المواطنين من غيرها، ولئن كان الخلاف قد وقع بين الدارسين في أصلها، فإن المحققين منهم على أن أصلها عربي، وأن البربر الأمازيغ هم من جملة العرب الذين نزحوا من شبه جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا، ورغم أن الصراع الآن قائم بين أهلها في حروف رسمها، التيفيناغ أم الحرف اللاتيني أم الحرف العربي، فإن تراثا كبيرا للبربر قد كتب بالحرف العربي، وهو الحرف اللائق بهذه اللغة ذات اللهجات المتنوعة.

وقد حقق القول في عروبة الأمازيغ ولغتهم وخطهم الباحث المتخصص في علم اللغة المقارن سعيد بن عبد الله الدارودي في كتابه (مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان) واستدل على ذلك بدراسة ألفاظ الأمازيغية ومقارنتها بألفاظ اللغة العربية بمختلف لهجاتها وبخاصة لغة ظفار من سلطنة عمان.¹²

وكذلك فعل الباحث الجزائري عثمان سعدي وهو بربري من الشاوية في كتابه (معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية") فإنه قال: "والمعجم يؤكد هذه الحقائق، فتسعون في المائة من الكلمات الأمازيغية البربرية عربية عاربة أو مستعربة، ونحو البربرية متوافق مع نحو العربية".¹³

هذا وقد عقد الأب رفائيل نخلة اليسوعي الباب الثاني من كتابه (غرائب اللغة العربية) بعنوان (تأثير العربية دون سواها في نحو مائة من لغات العالم) فقال في التمهيد: "اليونانية واللاتينية أقدم جدا من العربية، وقد نبغ فيهما مئات من الناثرين والشعراء قبل انبلاج فجر الآداب العربية، مع ذلك لم تؤثرا على توالي الأجيال تأثيرا يذكر إلا في لغات أوربة، والتي انتقلت منها مع الفاتحين والمهاجرين إلى أقطار أميركة وأستراليا، أما الفرنسية والإنكليزية وهما أشد اللغات تأثيرا في ألسن الشعوب المتمدنة، فلم يتجاوز نفوذهما في العالم حدود تأثير اليونانية واللاتينية. بعكس ذلك نرى للعربية مع تناقص سطوع

¹² - انظر: حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، سعيد بن عبد الله الدارودي، منشورات فكر، ط1، 2012م. ص11.

¹³ - معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، عثمان سعدي، منشورات مجمع اللغة العربية الليبي، ط1، 2007م. ص ب.

شمس آدابها عدة عصور قبل القرن التاسع عشر تأثيرا واضحا غير يسير في نحو مائة من اللغات واللهجات الناطق بها أرقى الأقوام في أنحاء أوربة وأميركة وأستراليا، ونحو خمسين من شعوب آسية وإفريقية. إن هذا المجد المختص بلغة الضاد لمن العجب العجائب، فيثير قوى العقل لاكتشاف أسبابه".¹⁴ وأسبابه على رأيه سرعة انتشار الإسلام وكثرة فتوحات العرب وتأثير الثقافة العربية.

ثم ذكر في جداول مئات الكلمات التي دخلت اللغات الأوروبية، فذكر في فصل بعنوان (تأثير العربية في أكثر لغات أوربة) تأثيرها في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإنكليزية، وذكر تأثيرها في لغات البلاد البلقانية: الرومانية والقرواطية والبلغارية والألبانية واليونانية.

وقال: "أكثر هذه اللغات السبع والثلاثين¹⁵ اقتباسا للكلمات العربية هي الإيرانية والتركية والهندستانية وأشباهاها، فإن قاموس كل منها حافل بآلاف من ألفاظ لغتنا، بحيث لا يكاد يمكن العثور على جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي عدة عناصر عربية، في الأربع والثلاثين آية الأولى من إنجيل القديس يوحنا قد وجدنا من كلمات لغتنا 111 في الإيرانية، 104 في التركية، 80 في الهندستانية".¹⁶

4. النحو العربي وأثره في نحو اللغة العبرية وغيرها:

"لم يؤلف اليهود كتباً علمية في قواعد لغتهم إلا بعد أن تتلمذوا للعرب وبعد أن نشؤوا في مهد الثقافة الإسلامية نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها، فظهر في أواخر القرن التاسع سعديا (983 - 942م) وهو سعيد بن يوسف الفيومي، فيلسوف اليهود في القرن العاشر، وكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري، على غرار قواعد اللغة العربية، في كتابه (المجموعة) إجارون... وجاء من بعده من النحاة مناحيم بن سروق الذي ألف كراسة في قواعد العبرية، ودوناش بن لبراط، ويهودا بن داود حيوج المشهور عند العرب بأبي زكريا يحيى، ويونا بن جناح القرطبي المعروف بأبي الوليد

¹⁴ - غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، الطبعة الثانية المكمل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 119.

¹⁵ - وهي اللغات التي اتخذت الحرف العربي لكتابة لغتها كما سيأتي.

¹⁶ - غرائب اللغة العربية، ص 126.

(المتوفى عام 1040) وشلومو بن جبيرول (أبو أيوب سليمان يحيى) وأبراهام عزرا وغيرهم، وقد ألفوا كتبهم - من لغوية وغيرها - باللغة العربية، وسلك جميعهم مسلك النحاة العرب وخاصة سيبويه، ونظرة في كتابي (الأصول) و(اللمع) لابن جناح تطلعنا على مقدار ما للعرب من فضل على اليهود".¹⁷

ويكفي للتدليل على ذلك ما قاله ابن جناح في كتابه (اللمع) عند حديثه عن عدد حروف الكلم، فإنه قال: "الحرفان إذا اجتمعا لا يكونان إلا كلمتين، كما في [..] و[..] فإن التوليفة منهما تعطي: [..] و[..]، مع ثلاثة أحرف يمكن تكوين ست كلمات، حيث يكون بعضها مهملا، (ويعطي مثالا على ذلك باللغة العبرية) ومع أربعة أحرف يمكن أن نكون أربعة وعشرين كلمة، لكن حيث يكون أكثرها مهملا (ويعطي مثالا على ذلك بالعبرية)، وهذا التزايد يفسر كالتالي:

بما أن حرفين يشكلان كلمتين، فإننا بضرب الحرفين في 3 عدد حرف الكلمات الثلاثية، نحصل على ما يتكون من ست كلمات، وبالمثل فإننا بضرب الكلمات الست في 4 عدد حروف الكلمات الرباعية، نحصل على أربع وعشرين كلمة، وكذلك إن ضربنا الحروف الأربع والعشرين في 5 عدد حروف الكلمات الخماسية نحصل ما يتكون به مائة وعشرون كلمة".¹⁸

فابن جناح هنا يردد فكرة الخليل بن أحمد الفراهيدي التي ضبط بها مفردات اللغة العربية، والمعروفة بفكرة التقاليب، وهي فكرة رياضية مبنها على التوافق والتباديل، والتي بها استطاع الخليل أن يصنع أول معجم في تاريخ البشرية، بذلك الترتيب والاستقصاء والشواهد اللغوية. فلم يزد ابن جناح عليها شيئا سوى استعمالها واستغلالها في ضبط مفردات اللغة العبرية.

5. الميزان الصري في ضبط الكلمات التركيبية والعبرية:

لما بدأ علماء العربية بجمع اللغة واستقراءها ووضع قواعدها استعملوا قياس النظائر في تصنيف ألفاظها وتراكيبها، وهو القياس الذي أوصلهم إلى تجريد ميزان صري في تصنف به الألفاظ إلى أبواب، وذلك بمقابلة الحروف الأصول

¹⁷ - دروس اللغة العبرية، ربحي كمال، دار النهضة العربية، 1978م، بيروت. ص46.

¹⁸ - 36-34P. des parterres fleuries.

للكلمة بحروف (فعل)، ولعل عبد الله ابن أبي إسحق الحضرمي هو أول من فعل ذلك.

وقد أحصى سيبويه في كتابه ثلاثمائة وثمانية وزن أو بنية للكلم العربي، وتابعه على عمله خالفوه،¹⁹ فالثلاثي من الأسماء المجردة له عشرة أوزان، والرباعي له خمسة، والخماسي له أربعة، وأما المزيد من الأسماء فله أوزان كثيرة، ولل فعل المجرد أيضا أوزان سواء كان ثلاثيا أم رباعيا، ولزيد كل أوزان حصرها النحاة بالاستقراء والحمل، أي القياس. ومفهوم المثال بهذا التجريد وإن كان شيئا مألوفا عند دارسي اللغة العربية لأنهم اعتادوا عليه منذ سنوات الدراسة الابتدائية فهو مما لم تصل إليه اللسانيات الغربية، ولم يعرفه اللسانيون الغربيون إلا من اطلع على التراث النحوي العربي.¹⁹

وقد وضع عبد الرحمن الحاج صالح في بعض دراساته أن كثيرا من ألفاظ اللغات الهندو أوروبية كالإنجليزية تخضع في بنيتها للمثل الصرفية، وذلك بصدد رده على النزعة التقطيعية التي ابتليت بها اللسانيات الغربية، ظنا منها أن مثال الكلمة لا يليق إلا باللغات الاشتقاقية.

ولعل في العمل الرائد الذي قام به أبو حيان النحوي لوضع قواعد للغة التركيبية وضبط ألفاظها ما يشهد لقول الحاج صالح بالصحة العلمية والدقة المنهجية، فقد وضع أبو حيان النحوي في كتابه (الإدراك للسان الأتراك) نحوا للغة التركية (العثمانية) يضبط قواعدها فقال: "والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة غالبية من لسان الترك لغة وتصريفا ونحوا"،²⁰ وقال: "فما كان فيه من علم اللغة فمأخوذ عمن أثق به في باب النقل، ولي فيه الترتيب الغريب والتلخيص العجيب".²¹

¹⁹ - الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، محمد بن حجر، رسالة دكتوراه، إشراف، بن لعلام مخلوف. ص 466.

²⁰ - كتاب الإدراك للسان الأتراك، أبو حيان النحوي، معرف نظار تجليله سنك 242 نومرولي رخصتنامه سيله، مطبعة عامري، ده طبع أولنمشدرن 1309. ص 9.

²¹ - نفس المرجع. ص. 9.

وأما ما فيه من قواعد النحو والتصريف فهو من اجتهاده الخاص، ولذلك قال: "وما كان فيه من علم التصريف ومن علم النحو فهو مما لم أنسج فيه على منوال، بل استخرجته من القوة إلى الفعل بالتطلب والتسأل".²²

ولما بدأ أبو حيان بضبط الأسماء من اللغة التركية قال بعدما قسمها إلى أحادي وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي: "فالأحادي متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة، والحروف التي بعدها إشباع وليست أصلاً"²³، وذكر أمثلة ذلك، ثم قال: "والثنائي تقتضي القسمة العقلية اثني عشر قسماً وكلها مسموع"²⁴، يعني أن الميزان هو (فع)، والقسمة العقلية هي بضرب أحوال الفاء الثلاثة أي فتح الفاء أو ضمها أو كسرها، في أحوال العين الأربعة، أي فتح العين أو ضمها أو كسرها أو سكوتها.

وبعد أن ذكر أمثلتها من لغة الترك ذكر أن القسمة العقلية تقتضي فيما زاد على الثنائي أبنية كثيرة ولكن المسموع من الثلاثي: "ستة وعشرون بناء"²⁵، ومن الرباعي: "ثلاثة وثلاثون بناء"²⁶، ومن الخماسي: "ثلاثة وعشرون بناء"²⁷. وفي ضبط الأفعال قال أبو حيان بعد أن قسم الأفعال إلى أحادي وثنائي وثلاثي ورباعي: "فالأحادي متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة، والحروف فيها إشباع كما تقدم في أحادي الأسماء"²⁸، ثم قال: "والثنائي تقتضي القسمة العقلية اثني عشر قسماً والمسموع منها عشرة أبنية"²⁹ فذكرها، ثم بعد أن ذكر أن القسمة تقتضي في الثلاثي والرباعي أبنية كثيرة قال عن الثلاثي:

22 – نفس المرجع. ص. 9.

23 – نفس المرجع: ص. 126.

24 – نفس المرجع. ص. 126.

25 – نفس المرجع: ص. 127.

26 – نفس المرجع، ص. 127.

27 – نفس المرجع: ص. 128.

28 – نفس المرجع: ص. 129.

29 – نفس المرجع، ص. 129.

"والمسموع منها تسعة عشر بناء"³⁰ وعن الرباعي: "والمسموع منها خمسة عشر بناء"³¹.

وأما الخماسي فقال فيه: "وقد نطقوا بأفعال خماسية، وهي قليلة جداً"³²، ثم قال: "وهذه الأبنية إنما وزناها وقابلناها هذه الأمثلة لنحصرها، وينبغي البحث عن كل بناء منها حتى تعرف الحرف الأصلي منها من الزائد، فيقابل الأصلي بالأصلي، والزائد بالزائد، ولعلنا فيما يستقبل إن شاء الله تعالى نتعرف على ذلك"³³، وقد فعل ذلك فيما بعد فقال: "(هذا باب نذكر فيه حروف الزيادة وأماكنها)"³⁴.

فقد تنبه أبو حيان إلى أن كلمات اللغة التركية يمكن أن تحصر وتضبط بالميزان الصريفي العربي، رغم ما بين اللغة التركية واللغة العربية من فوارق، فاللغة العربية لغة اشتقاقية، من أرومة سامية، واللغة التركية لغة إلصاقية من أرومة طورانية.

هذا الذي فعله أبو حيان مع اللغة التركية فعل مثله ابن جناح القرطبي اليهودي مع اللغة العبرية، بل إن هذا الرجل – وغيره من علماء اللغة العبرية من اليهود – اقتبس من النحو العربي المصطلحات والقواعد في وضع نحو للغة العبرية، وذلك في كتابيه الأصول واللمع على الخصوص.

"فهذا الرجل وأنت تقرأ في كتبه تحس أنك تقرأ في كتب النحو العربي لولا تلك الكلمات العبرية التي هي موضوع دراسته، ففي كتابه الأصول مثلاً، تقرأ له وهو يتحدث عن الميزان الصريفي قوله:

"باب . اعلم، فتح الله لك كل مشكل، ويسر لك كل مقفل، أنه كثيراً ما تسمعي أقول فاء الفعل، وعين الفعل، ولا م الفعل، فاعلم أن مذهبي في ذلك أنني أقتطع لجميع الأفعال الماضية خفيفها وثقلها وجميع ما تصرف منها من فعل

30 – نفس المرجع، ص 129.

31 – نفس المرجع: ص 130.

32 – نفس المرجع، ص 130.

33 – نفس المرجع: ص 130.

34 – نفس المرجع. ص 141.

مستقبل واسم وغير ذلك مثالا من الفعل، أعني من لغة (فعل). فما كان من الأفعال على مثال: (شمر) و(بحر) و(أمر) و(هرج) و(يلد) أقول إن وزنه (فعل). وأوازي بالشين من (شمر) والباء من (بحر) والألف من (أمر) والهاء من (هرج) والياء من (يلد) فاء الفعل لموازنة فاء (فعل). وكذلك أوازي بالميم من (شمر) والحاء من (بحر) والميم من (أمر) والراء من (هرج) واللام من (يلد) عين (فعل) وأقول في كل واحد منها إنه عين الفعل لموازنة عين (فعل). وكذلك أيضا أوازي بالراء من (شمر) والراء من (بحر) والراء من (أمر) والجيم من (هرج) والذال من (يلد) لام (فعل).³⁵

وهكذا يواصل ابن جناح حديثه عن وزن الكلمات العبرية بالميزان الصري العربي، أي: باستعمال حروف (فعل) مع الأفعال المزيدة كما فعل بالأفعال الثلاثية حيث يقول: "وهكذا أصنع أيضا بكل لفظة أريد تلخيص ما تكون (فيه) حروف من حروف الزيادة مثل (...). وغيرهما، فإني أقتطع لها مثالا من الفعل وأوازي باللفظة ذلك المثال، وأقول: حرف كذا (هو) فاء هذه اللفظة، وحرف كذا عينها، وحرف كذا لامها، فأوازي الأصلي بالأصلي والزائد بالزائد"،³⁶ ويضرب على ذلك أمثلة بالألفاظ العبرية ثم يقول: "فهذا مما يجب (لك) أن تعرفه، فيه تقف على الحرف الأصلي من الزائد، وقد بينت هذا بأشد من هذا التبيين في كتاب اللمع، وإنما ذكرت ما ذكرت منه هنا على سبيل التذكير".³⁷

ثم إن ما فعله نحاة اليهود من وزن ألفاظ لغتهم أسماء وأفعالا بالميزان العربي هو قليل من كثير مما اقتبسوه من قواعد اللغة العربية، ولذلك فإن النحو العبري صورة من النحو العربي، والذي قرب لليهود الأخذ من معين نحو العربية اتفاق اللغتين العربية والعبرية في كثير من الخصائص، إذ هما من

³⁵ . كتاب الأصول . أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي . تحقيق: نوباو . أكسفورد . ط1 . دون تاريخ. ص65. والكلمات بين قوسين مكتوبة في الأصل بالحروف العبرية، وحوّلها أنا إلى الحروف العربية.

³⁶ . ن.م

³⁷ . ن.م

أرومة واحدة هي السامية، هذا إن لم نقل إن اللغة العربية هي اللغة السامية الأم، أو إن العبرية لهجة عربية عادية.³⁸

والذي نخلص إليه هو أن الميزان الصريفي المبني على التجريد واستعمال رموز (ف،ع،ل) مع ما يلزم أحيانا من زيادة حروف (سألتمونيه) أو التضعيف هو ميزان عربي أصيل في تراثنا النحوي، وقد وجد فيه اليهود حاجتهم لضبط ألفاظ لغتهم العبرية، واستطاع أبو حيان أن يضبط به ألفاظ اللغة التركية، وأشار الحاج صالح إلى أنه يمكن به أيضا ضبط ألفاظ اللغات الهندو أوروبية، لأن فيها الكثير من الألفاظ التي تخضع للمثل الصرفية، وأن ضبطها بذلك أفضل من تقطيعها الذي تعودته اللسانيات الغربية.

6. العامل النحوي في اللسانيات الغربية (النحو التوليدي التحويلي):

إن اشتهار نظرية النحو التوليدي التحويلي من بين سائر النظريات اللسانية الغربية الآن صار حقيقة ماثلة للعيان، وكان قد وقع اختلاف بين الدارسين العرب في تأثر صاحبه تشومسكي بالنحو العربي، لما رآه من أوجه شبه بينهما، ولكن لم يبق أي معنى للخلاف بعد أن اعترف تشومسكي نفسه بالاطلاع عليه وقراءة كتاب سيويه. ففي مراسلة له لباحثة عراقية راسلته تسأله عن بعض الجمل في العربية ما إن كانت مدمجة أم لا ؟ قال تشومسكي: "يسرني العلم عن دراستك، وبالمصادفة فإنني قد درست نحو سيويه قبل 45 عاما، وقد كنت الطالب الوحيد، وذلك أثناء دراستي لمقرر متقدم في اللغة العربية، في مدرسة للدراسات العليا، بجامعة بنسلفانيا، مع فرانز روزنثال، الذي انتقل إلى جامعة ييل".³⁹

ونكتفي هنا بالحديث عن أحد أوجه الشبه بين النحوين العربي والتوليدي وهو مفهوم العامل، فهو في نحو العربية عصبها الذي تفيض منه حياتها، وهو في النحو التحويلي يكاد يكون كذلك، حيث لا يكتفي التحويليون خلافا للوصفيين باعتماد وظائف الكلم الناشئة عن تضامها، وإنما يذهبون إلى وجود

³⁸ -انظر: العبرية لهجة عربية عادية، سلامة سليم سلامة يوسف، رسالة ماجستير بإشراف: يحي عبد الرؤوف جبر ود. غانم مزعل، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

³⁹ . الجمل الفرعية في اللغة العربية: بين تحليل سيويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. معصومة عبد الصاحب. كنوز المعرفة. (د.ت)، (د.ط)، ص14

كلم مؤثرة وأخرى متأثرة، أي أن في الجملة لا بد من وجود كلمة تحكم العلاقات بين الكلم، قال الراجحي: "والتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه إلى تصنيف (العناصر) النظامية وفقاً لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة، ينبغي على الدارس أن يعرفها ابتداءً، وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء".⁴⁰

والحق أن مفهوم العامل لم يظهر في النحو الأروبي إلا في القرن الثالث عشر بالمصطلح اللاتيني REGERE، ومعناه الأصلي هو التدبير والتحكم في الشيء، واستعمل بعضهم مصطلح *gubernare* مرادفاً له، واعتبر عندهم الفعل الحاكم في العلاقات بين الكلم، ونزل منزلة القائد الذي يسير (*regit*) جيشاً، فكذا هو الفعل الذي يسير الرفع في التركيب، وفي ذلك قال بطرس هلياس: "العمل معناه أن تتحكم كلمة في كلمة أخرى في داخل تركيب حتى يكتمل هذا التركيب".⁴¹

ولنا أن نقتصر على ذكر متن الأجرومية ومتن العوامل المائة لنقول: إن أرينيوس⁴² ترجم الكتابين ونشرهما في سنة 1617م مع ترجمة لاتينية وشروح، وألف في نحو العربية كتاباً تعليمياً باللغة اللاتينية بقي بعده قرنين عمدة لتعلم العربية في أوروبا، حتى ألف دي ساسي كتابه في نحو العربية.

ولا شك أن رسالة (العوامل المائة) أوضح في الحديث عن العامل والمعمول والعمل، بل هي ما ألفت إلا من أجل إيضاح ذلك، وقد طبع سنة 1814م كتاب هو ترجمة بالإنجليزية بعنوان (The Miut Amil and shurooh Miut Amil) أي: مائة عامل وشروح مائة عامل) مع شروح وتعليقات ونصوص، تأليف

⁴⁰ . النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1406هـ/1986م. ص148

⁴¹ انظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. 2/274

⁴² - مسشرق هولندي، واسمه بالهولندية Van Erpe (1584م. 1624م) وفي سنة 1617م "نشر إرينيوس النص العربي لكتاب (الأجرومية) لابن أجروم المغربي، وكتاب (المائة عامل) للجرجاني، مضبوطة بالشكل، مع ترجمة لاتينية وشروح، وكان إرينيوس قد ألف كتاباً في تعليم قواعد النحو العربي، نال به شهرة عريضة وبقي الكتاب مرجعاً للمستشرقين مدة قرنين، إلى أن ألف في ذلك سيلفستر دي ساسي كتابه في النحو العربي. (انظر: ترجمة "إرينيوس" في موسوعة المستشرقين. ص16)

المستشرق لوكت، وقد طبع في كلكتا الهندية، وفي بداية النص: (The hundred governing powers).

"ويجمل بنا أن نلقي نظرة على كتاب (التحفة السنية في علم العربية) الذي ألفه دي ساسي⁴³ بالفرنسية، والذي كان عمدة دارسي العربية عندهم بعد كتاب أرينيوس، نشر أول مرة سنة 1799م، وأعيد نشره سنة 1804م وسنة 1815م وسنة 1830م وسنة 1905م،⁴⁴ إذ عرض في الجزء الأول منه قواعد اللغة العربية بالطريقة التي اعتادها الغربيون، وعرضها في الجزء الثاني منه بطريقة العرب أنفسهم، وبمصطلحاتهم، وأشهد أنني أول ما اطلعت عليه دهشت من دقته وإحاطته بقواعدها، وبخاصة فيما يخص مفهوم العامل والعمل. كيف وقد أحاط بالعوامل المائة للجرجاني ترجمة وشرحا وتوضيحا، فتحدث عن معنى عناصر البنية العملية، وفصل القول في العوامل والمعمولات ومعنى العمل، بما لا تجده إلا في شروح (رسالة العوامل المائة).

وعلى سبيل المثال أقتطف منه فقرتين يشرح فيهما معنى العامل، ويعرب فيهما جملتين باللاتينية، مع إظهار إعجابه بطريقة الإعراب العربية كوسيلة تحليل، وللقارئ أن يحكم بعد ذلك إن كانوا قد استوعبوا الدرس النحوي العربي أم لا ؟

قال البارون سلفستر دي ساسي:

41 – toutes les fois qu'il y a dépendance entre deux parties du discours, l'une des deux est censée agir sur l'autre, la régir ou la gouverner, comme l'on s'exprime ordinairement.

Les grammairiens arabes appellent cette influence d'une partie du discours sur une autre, (عمل) action; ils nomment le mot qui exerce cette influence, et qui en régite un autre, (عامل) agissant, et celui qui éprouve cette même influence et qui est régi (معمول); c'est-à-dire, sur

⁴³ – مستشرق فرنسي (1758 – 1838م) ترجمته في (معجم أسماء المستشرقين ص 536) قال فيه نهاد الموسى: "كان على اطلاع واسع على الثقافة العربية عموما وعلى النحو العربي خصوصا، وكان متشعبا بمبادئ النحو الوصفي التعليلي، وهو المذهب الذي تناقله عدد من العلماء الغربيين عن النحاة العرب منذ القرن الثالث عشر مباشرة أو عن لغويي وفلاسفة السكولاستيك عن فلاسفة العرب". انظر: نظرية النحو العربي: ص 55 (56)، هامش: 30.

⁴⁴ . انظر: معجم أسماء المستشرقين ص 539.

lequel on agit, nous emploieront communément les mots antécédent et complément, pour exprimer ces deux idées.

42 – les grammairiens Arabes donnent un peu plus d'étendue à cette action qu'on ne le fait ordinairement parmi nous, Si, par exemple, ils avaient à analyser cette phrase, Petrus occidit Paulum, ils diraient que le verbe occidit gouverne son sujet Petrus au nominatif

Et son complément Paulum à l'accusatif; et cette manière de s'exprimer me paraît assez juste, puisque c'est, en effet, le verbe qui joue le principal rôle dans le discours (a).s'ils avaient à analyser cette phrase; scimus quia cum venerit (Deus), similes ei erimus, ils diraient que ces mots quia similes ei erimus sont virtuellement à l'accusatif, parce qu'ils sont le complément de scimus; ce qui n'empêcherait pas qu'ils analysent ensuite chacun des mots erimus, similes et ei, abstraction faite de la dépendance ou ils sont du mot scimus.⁴⁵

ولعل القارئ انتبه إلى أن دي ساسي يسم فكرة العمل بـ(التبعية)، والتبعية النحوية (Dependency Grammar) نمط من الدراسة اللغوية التي ظهرت في أوروبا، "وقد استغل على نطاق واسع في اللسانيات الحاسوبية في أكثر المؤسسات المعنية بهذا العلم، وقد بني على الفكرة بأن: جميع الألفاظ في الكلام الطبيعي إما أن يكون تابعا لغيره محمولا عليه لا وجود له إلا بوجوده، وإما أن يكون هو المتبوع، وقد يمكن أن يكون متبوعا بالنسبة لهذا وتابعا لغيره".⁴⁶

قال عبد الحاج صالح: "وهذه النظرية هي أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب، وخاصة مفهوم العمل، وليس بغريب إذا عرفنا أن هذا المفهوم قديم جدا عند الغربيين، (وتجاهله تماما اللسانيون البنيويون، إلا (هوكت)، ولم يظهر عند النحاة الأوروبيين إلا في العصر الوسيط،) وليس من التراث اليوناني اللاتيني) وكانوا يستعملون فعل (Régere) بمعنى (عمل)⁴⁷".⁴⁸

يبدو جيدا مما سبق أن مصطلح العامل ذو مفهوم علمي، وقد ولد من رحم اللغة العربية، واستطاع به النحاة العرب أن يبلوروا به نظرية النحو العربي،

⁴⁵ . التحفة السنية في علم العربية، GRAMMAIRE ARABE، سلفستر دي ساسي، المطبعة الإمبريالية، باريس. 15/2

⁴⁶ . بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 239/1

⁴⁷ . قال الأستاذ معلقا: ومن أقدم من تحدث عنه نذكر النحوي الفرنسي Pierre Hélie الذي

عاش في القرن الثاني عشر: انظر: Thurot. Notices. p230

⁴⁸ . بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 239/1

واستطاع به نحاة بعض اللغات الأجنبية كالإنجليزية (تشومسكي مثلا) على القول باقتباسه من تراثنا وهو الراجح كما بيناه أن يدرجوه ضمن مفاهيم النحو الكلي أو العالمي، الذي ما فتئت تطمح إليه اللسانيات الغربية الحديثة.

7. الخط العربي أو حروف العربية في كتابة اللغات:

من المعروف أن الحرف خطأ غير الحرف لفظا، ولذلك فقد تميز الحرف العربي خطأ بالاقتصاد، حيث أن حروف العربية في الخط ثلاثية كالباء والتاء والهاء، لها صورة واحدة تميز بينها النقاط عددا ووضعا، مثل الجيم والحاء والياء، وثنائية كالدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والطاء والظاء، والصاد والضاد، والعين والغين، والقاف والفاء، لا يفرق بين كل اثنين إلا النقط بنقطة واحدة أو عدمه، وبقية الحروف أفراد غير متشابهة وهي الكاف واللام والنون والهاء والواو والياء والهمزة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الحرف خطأ في العربية ينطق كما يكتب، وليس الأمر كما في الحرف اللاتيني، حيث نجد الحرف خطأ ينطق لفظا بنطوق مختلفة، ولا ضابط لذلك النطق غير انتحاء سمت كلام أهل تلك اللغة، فحرف C في الإنجليزية مثلا مرة ينطق كافا ك call ومرة ينطق (تش) ك(chair) ومرة ينطق (ش) ك(precious) ومرة ينطق سينا ك(cell) وقد لا ينطق البتة كما في (descent)... هذا زيادة على أن بعض الأصوات يرمز لها بحرفين خطأ كالتاء أو الذال فإنه يرمز لهما بth.

ثم إن من خصائص الحرف العربي خطأ أنه لا يمثل في الغالب إلا الصوامت، وقد ظن بعضهم أن هذا من عيوب الخط العربي، والحق أن هذه الخصوصية التي تبدو سلبية هي في الحقيقة من جملة الأسباب التي جعلت القرآن ينزل بالعربية، وسهلت كتابة اللغات غير العربية به.

والمعروف عند الدارسين العرب على الخصوص أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهي انعكاس للغات العرب، ولغات العرب عند المحققين ليست في الغالب لهجات، وإنما كيفيات في أداء بعض عناصر اللسان العربي، ولا يمكن لغير الخط العربي أن يستوعب كل تلك الكيفيات، ولذلك أخلى الصحابة الحرف العربي من النقط حتى يمكن له أن يستوعب كل تلك الكيفيات التي عرفت فيما بعد

بالقراءات، مثل {نشرها} أو {ننشرها} يمكن أن تكتب كتابة واحدة بغير نقط، وتقرأ قراءتين.

والمعروف أيضا أن الإسلام لما انتشر بين الشعوب غير العربية كالفرس والترك والهند مثلا استعملت هذه الشعوب الخط العربي في كتابة لغاتها، بدافع القطيعة مع تراثها الوثني، وبدافع الحب للدين الجديد وكتابه المعجز، وبدافع الإعجاب بالخط العربي الذي استوعب لغاتها ومثلها أحسن تمثيل. قال الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية) تحت فصل بعنوان (تأثير العربية في 37 لغة اتخذت حروفها):

"لقد تجاوزت فتوح العرب من عصور عديدة حدود العالم العربي... فتحوا الهند في القرن السابع، وإيران سنة 625، وبالوتستان في القرن الثامن، بعد ابتداء التاسع قد استولوا على تركستان ونشروا الإسلام في كل أنحاءها، أما أفغانستان فقد انتحل أهلها هذا الدين في النصف الأول من ذلك العصر. ثم نشره في جزيرة جاوة العظيمة تجار عرب وإيرانيون سنة 1200، فزاد انتشاره على توالي الأجيال، وكاد يصير الدين الوحيد فيها سنة 1510، أما الجزائر الفيليبية فإن العرب من أهم عناصر شعبها، مع الهنود والصينيين والأوروبيين، وقد أذاعوا الإسلام في قسم منها.

هكذا انتشر القرآن وامتد نفوذ العربية في كثير من بلاد آسية، بل في إفريقيا أيضا، حيث فتح العرب شطرا كبيرا مما نسميه الآن السودان والسودان الفرنسي، فنشروا دينهم بين سكانهما وأنشأوا دولا كبيرة...

أما التتر الذين انتحل الأتراك منهم الإسلام فقد فتحوا سنة 1226 أهم مدن روسية، وظلوا مستولين على قسم كبير من تلك البلاد إلى سنة 1380.

تلك العوامل الدينية والسياسية قد أفضت حتما إلى شدة تأثير العربية في كثير من البلاد الخارجة عن حدود العالم العربي، نجد فيها عشرات الألسن المكتوبة بحروف عربية، وقد دخل قاموس كلها تقريبا عدد كبير من الكلمات العربية".⁴⁹

ثم ذكر هذا اليسوعي في جدول سبعا وثلاثين منها مرتبا على حسب القارات وقال:

"شركة التوراة البريطانية والأجنبية التي مركزها في لندرة، طبعت الإنجيل في جميع تلك الألسن بالحروف العربية"⁵⁰.

وقال العقاد في كتابه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب) تحت عنوان (الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات): "إن الأمم التي تعتمد على الحروف العربية في كتابتها أكثر عددا من كل مجموعة عالمية تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجدية، ما عدا مجموعة واحدة، وهي مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها على الحروف اللاتينية.

ولكن أمر صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدي ألفاظها وأصواتها، وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة.

فالحروف اللاتينية تستخدم للكتابة في عائلة واحدة من العائلات اللغوية الكبرى، وهي العائلة "الهندية الجرمانية" ... وعلى كثرة اللغات والعائلات اللغوية التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة"⁵¹.

ثم إن هذا الذي قرره العقاد وأثبتته التاريخ من وظيفية الحرف العربي ينبئ عن حقيقة أخرى هي أهم ما في الموضوع، وهي تلك التي عبر عنها العقاد في مقاله السالف الذكر بقوله:

"وقد استطاعت هذه الأمم جميعا أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية، وليست بالعربية عنها، لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها. وليست زيادة شرطة على الكاف بأغرب من زيادة النقط على

⁵⁰ - نفس المرجع، ص. 124.

⁵¹ - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص. 29.

الحروف، مفردة أو مثناة، وفوق الحرف أو تحته، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة".⁵²

وذلك كالحروف الأربعة التي زادها الفرس على الأبجدية العربية وهي: پ ، چ ، ژ ، گ، والتي استعارها منهم الأتراك يوم كانوا يكتبون لغتهم بالحرف العربي، وكذلك الهنود المسلمون فيما يسمى باللغة الأردية.

الخاتمة:

بعد هذا الحديث عن بعض مظاهر عالمية اللغة العربية نخلص إلى القول بأن اللغة العربية مقومات قوتها في ألفاظها الحضارية، التي استوعبت تراث السابقين وزادت عليه بابتكارات أهلها واختراعاتهم، وفي أبنية كلمها الصرفية المجردة، التي لا نظير لها في لغات العالم، وفي نظرية التقاليب اللغوية التي أدت إلى صنع أول معجم في تاريخ البشرية، وفي منطقية تراكيبها التي يحكمها العامل، والتي اعتبرت به اللغة العربية لغة رياضية بحق وامتنياز، وفي خطها الذي احتوى لغات من عائلتها السامية ومن غير عائلتها، بل وفي كونها لغة القرآن العظيم ولسان الدين الإسلامي الحنيف.

المراجع:

- 1 - الأنطاكي محمد، الوجيز في فقه اللغة، دار الشروق، ط2، بيروت.
- 2 - براون إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.
- 3 - بن حجر محمد، الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، رسالة دكتوراه، إشراف. بن لعلام مخلوف، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر.
- 4 - البهنسي عفيف، الخط العربي: أصوله نهضته انتشاره، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.
- 5 - الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، 2007م، الجزائر.
- 6 - حقي سهيل صابان، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، ط1، 1426 هـ، 2005م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 7 - الدارودي سعيد بن عبد الله، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، منشورات فكر، طبعة 2012م، الرباط، المملكة المغربية.

8. الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، طبعة 1406هـ/1986م.
9. ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، دار النهضة العربية، 1978م، بيروت.
10. سعدي عثمان، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، منشورات مجمع اللغة العربية الليبي، ط1، 2007م.
11. سلامة سليم سلامة يوسف، العبرية لهجة عربية عادية، رسالة ماجستير بإشراف: يحي عبد الرؤوف جبر وغانم مزعل، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
12. الصياد فؤاد عبد المعطي، القواعد والنصوص الفارسية، دار النهضة العربية، ط2، 1970م، بيروت، لبنان.
13. عبد المنعم محمد نور الدين، قاموس الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.
14. العقاد عباس محمود، أشات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة.
15. علام عبد العزيز أحمد، عبد الله ربيع محمود، في فقه اللغة، مكتبة الرشد، ناشرون، ط1، 1425هـ، 1-2004م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
16. القرطبي أبو الوليد مروان بن جناح، الأصول، تحقيق: نوبار، أكسفورد، ط1، دون تاريخ.
17. معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية: بين تحليل سيبيويه ونظرية تشومسكي التوليديّة التحويلية، كنوز المعرفة، (د.ت.) (د.ط.).
18. موقع كتب عربية، معجم أسماء المستشرقين، د.ت.
19. النحوي أبو حيان، الإدراك للسان الأتراك، معرف نظار تجليله سنك 242 نومرولي رخصتنامه سيله، مطبعة عامري، ده طبع أولنمشدرن 1309.
20. هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، 1413هـ، 1993م، بيروت.
21. اليسوعي الأب رفائيل نخلة، غرائب اللغة العربية، الطبعة الثانية المكملّة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

مقال في مجلة:

22. الطرازي عبد الله مبشر، اهتمام الأتراك باللغة العربية وأثرها في اللغة التركية، صحيفة المدينة، الأربعاء، 2011/05/04.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 23 - le livre des parterres fleuris- le rabbin Moise Metzger - Paris 1889 -
- 24 - Silvestre de Sacy, Grammaire Arabe.



**برنامج إرشادي قائم على الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي لرفع
مستوى تقدير الذات وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى
التلاميذ المعيقين**

**A Counseling Program Based on Rational Behavioral
Guidance to Raise Self- esteem and Improve the level of
Academic Achievement of unsuccessful Pupils**

الزهرة الأسود

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

lassouedzohra2016@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-25

تاريخ الاستلام: 2019-04-25

ملخص -

يهدف البحث الحالي إلى بناء برنامج إرشادي قائم على الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي لرفع مستوى تقدير الذات وتحسين التحصيل الدراسي لدى التلاميذ معيقي السنة الرابعة متوسط، وقد قامت الباحثة ببناء البرنامج وفقا لنظرية Albert Ellis، واستنادا إلى عينة من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث.

وقد تمّ عرض البرنامج على عدد من الأساتذة والمختصين في مجال الإرشاد والتوجيه وأخذت آرائهم، وبعد ذلك اعتمدت الصيغة النهائية للبرنامج الإرشادي بما يتوافق مع العينة التي تمّ بناؤه عليها.

الكلمات المفتاحية -

الإرشاد، الإرشاد العقلاني، الانفعالي السلوكي، التحصيل الدراسي

Abstract-

The Current Research Aims At Building A Mentoring Program Based On Emotional And Behavioral Guidance To Raise The Level Of Self-Esteem And Improve The Pedagogical Achievement Of The Students Of Fourth Year In Middle Schools. The Researcher Built The Program According To The Theory Of Albert Ellis, As Well As A Sample Of Previous Studies Related To The Subject.

The Program Was Presented To A Number Of Teachers And Specialists In The Field Of Guidance And Their Views Have Been Taken Into Consideration, And Then The Final Version Of The Program Was Approved In Accordance With The Sample That Was Built On Them.

key words-

Counseling, rational counseling, emotional behavior, academic achievement

مقدمة:

يحتاج التلميذ المراهق إلى الإرشاد النفسي عندما تواجهه أية مشكلة نفسية، أسرية، علائقية وتؤدي إلى اضطرابه النفسي، فيلجأ إلى طلب المعونة من المرشد النفسي بالمدرسة لإرشاده ومساعدته على حل مشكلته.

ومن الحالات التي تتوافد عادة على المرشد النفسي بالمدرسة نجد أولئك الذين يواجهون صعوبات دراسية، وكذلك من تعرضوا لإعادة السنة الدراسية خصوصا إذا أخفقوا في الامتحانات الرسمية التي هي بمثابة الجسر الفاصل بين مرحلتين تعليميتين يتم من خلاله انتقال التلميذ إلى مستوى أعلى، ويتحوّل إلى مدرسة جديدة يلتقي فيها بزملاء جدد ومدرسين جدد أيضا، وعليه يكون حرمان ذلك التلميذ من تلك الفرصة يشكل لديه نوعا من العقوبة ورمزا للعدوان المؤسساتي كما عبّر عنه (Perrenoud, Philippe, 1996)، ويكون موقف التلميذ من إعادة السنة يشبه موقف الاستبعاد أو النبذ الذي يكون متبوعا بعقوبة أن يعيد التلميذ المعيد دراسة المنهاج من جديد كما عبّر عنه (Paul, Jean-Jaques, 1996). (أحميم، 2011، ب)

هذا؛ وتشير الدراسات إلى أن إعادة السنة تشكّل لدى التلميذ أفكارا ومعتقدات لاعقلانية تعيقه عن تحقيق أهدافه وينعكس ذلك سلبا على مستوى تقدير

الذات لديه، كما تؤثر على مستوى تحصيله الدراسي فتمنعه من النجاح مرة ثانية، فحسب (Williams, 1985) فإن معظم التلاميذ يدركون سلبا إعادة السنة ولا يجدون فيها أية فائدة، وهم يعتبرون إعادة السنة كفشل شخصي وليس سبيلا للنجاح وهذا الموقف السلبي يؤثر على أدائهم المدرسي، في حين يشير (Marcheterre, 1993) إلى أن هناك علاقة وثيقة بين تقدير الذات والإدراكات التي يضعها التلميذ عن مهاراته، فكل نقص في هذا المستوى قد يسبب انخفاضا في الأداء المدرسي، كما أن التلاميذ المعيّدين يظهرون تقدير ذات منخفض بالمقارنة مع أولئك الذين لم يعيدوا السنة، كما أنهم يرجعون فشلهم إلى عوامل خارجة عن سيطرتهم، ويشككون من قيمتهم وقدرتهم على تحقيق أهدافهم. (أحميم، 2011، 14-15)

ويعدّ تقدير الذات من المفاهيم الأساسية لنظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي، لذلك فإن إرشاد التلاميذ المعيّدين عن طريق مساعدتهم على تعديل أفكارهم اللاعقلانية واستبدالها بأفكار عقلانية يمكن أن يساهم في رفع مستوى تقدير الذات لديهم ويساعدهم على تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي.

وبما أن المرشد النفسي بالمدرسة لا يستطيع التكفل بجميع التلاميذ ذوي المشكلات المختلفة بسبب اتساع قطاعه وكثرة تعداد التلاميذ الذين ينتمون إليه، فإن برامج الإرشاد الجمعي قد تسهّل عليه المهمة قدر المستطاع في استفادة مجموعات من التلاميذ من الخدمة الإرشادية، وتلقي المساعدة الممكنة، وعليه فقد تم اقتراح هذا البرنامج الإرشادي الجمعي لفائدة التلاميذ الذين أخفقوا في شهادة التعليم المتوسط ويشعرون بمستوى متدنّي لتقدير ذاتهم، على اعتبار أن لدى بعض التلاميذ المقومات النفسية والشخصية التي تمكنهم من مواجهة الفعالة من خلال التدريب والإعداد النفسي الجيد.

ويهدف هذا البرنامج إلى إتاحة الفرصة لأفراد العينة لكشف أفكارهم الخاطئة عن إعادة السنة الدراسية (الإحساس بالفشل، الإحساس بالعجز، التسرّب..)، وتصحيحها باكتساب أفكار إيجابية ومجموعة من الأساليب المعرفية والانفعالية والسلوكية التي تساعد على تحسين نمط تفكيرهم ورفع مستوى تقدير الذات لديهم، وكذا تحسين نتائجهم الدراسية لضمان نجاحهم في شهادة التعليم المتوسط.

وقبل الخوض في عرض حيثيات البرنامج الإرشادي؛ من المفيد تقديم بعض الأدبيات ذات الصلة بموضوع البحث.

1 - مفهوم الإرشاد النفسي:

إن كلمة "إرشاد" جاءت من الفعل أرشد يرشد إرشاداً، يرشد مرشداً، والرشد هو الصلاح؛ وهو خلاف الغي والضلال؛ وهو إصابة الصواب، والفاعل راشد. (خليل، 1968، 3)

ويعرّف الإرشاد بأنه "علاقة يعمل خلالها شخص ما على مساعدة آخر من أجل فهم سلوكه وحل مشاكله التوافقية، وتشتمل هذه العملية على الإرشاد التعليمي والمهني والاجتماعي...". (Bernard et all, 1969, 12)

أما عن الإرشاد النفسي فيعرّفه "الزعبي" بأنه علاقة دينامية تفاعلية مهنية واعية بين المرشد والمسترشد تهدف إلى مساعدة الفرد المسترشد على أن يعرف نفسه ويفهم ذاته، وذلك من خلال نظرة كلية لجوانب شخصيته، ليتمكن من التعرف على مشكلاته بشكل موضوعي، وليتمكن من تحقيق أهدافه وتحقيق التوافق النفسي، مما يسهم في نموّه الشخصي المهني والتربوي والاجتماعي بشكل فعّال. (الحلبوسي وآخرون، 2002، 40)

كما يعرفه "طه حسين" (2014) بأنه عملية تشتمل على تفاعل بين المرشد والعمل في موقف، بهدف مساعدة العميل على تعديل سلوكه حتى يتمكن من إشباع حاجاته بطريقة إيجابية. (حسين، 2014، 14)

أي أن الإرشاد النفسي يمثل علاقة تفاعلية بين مرشد ومسترشد تهدف إلى مساعدة المسترشد على حل مشكلاته وتعديل سلوكياته، من أجل تنمية شخصيته من جميع النواحي بشكل إيجابي ومثمر.

وقد اتّسع استخدام الإرشاد النفسي حتى شمل أوجه حياة الفرد وجميع مراحلها النمائية، فهناك الإرشاد التربوي والمهني، والإرشاد الزواجي والأسري، والإرشاد الديني...

وبما أن البرنامج الإرشادي المقترح يستهدف فئة التلاميذ المتدربين فسيختصر البحث بالطرح حول موضوع الإرشاد التربوي؛ هذا الأخير يهدف إلى تقديم خدمات نفسية تربوية للتغلب على ما يعيق التحصيل الدراسي لدى

التلميذ، ومساعدته على إدارة وقته بفعالية، واستثمار قدراته بما يتوافق مع استعداداته وميوله وطموحاته.

وتشير (خضرة، 2014، 168-169) إلى خطوات تنفيذ الإرشاد التربوي منها:

- حصر الطلاب المعيدين لعام دراسي فأكثر.
- استقبال الطلاب المستجدين.
- متابعة الطلاب ضعاف التحصيل حسب نتائجهم في منتصف الفصل ونهاية الفصل.

- متابعة دراسة الحالات الفردية الخاصة.

- متابعة الطلاب متكرري الغياب لمعرفة أسباب ذلك، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة.

- إصدار النشرات التربوية التي تدعو إلى تنظيم الوقت وإلى أسلوب المذاكرة الجيد.

ويفضل استخدام نوعي الإرشاد التربوي في المدارس؛ هما:

أ. الإرشاد الفردي:

يتميز أسلوب الإرشاد الفردي بمشاركة المرشد بشكل شخصي في عملية الاتصال، وبذلك يدخل المرشد في علاقة مباشرة مع المسترشد مما يؤدي إلى إقامة حوار وتفاعل يسمح برفع الكفاءة الإرشادية، وتتوقف فرص إقامة حوار بناء على مقدار ما يسود هذه العلاقات من الثقة والاحترام، ومدى حرص المرشد على تطوير علاقات إيجابية مع المسترشدين وما يقوله أو يفعله المرشد. (أبو أسعد، 2015، 20)

ب. الإرشاد الجماعي:

وهو إرشاد جماعة من المسترشدين الذين يستحسن أن تتشابه مشكلاتهم واضطراباتهم معا في جماعات صغيرة، كما يحدث في جماعة إرشادية أو في فصل. (زهران، 2002، 321)

والإرشاد الجماعي هو أنسب الطرائق لتناول المشكلات التي تحلّ بفاعلية أكثر في المواقف الاجتماعية، فهو يستغل تأثير الجماعة وخبرة التفاعل في تعديل اتجاهات وسلوك أعضائها. (الدوسري، 1985، 265)

ومن بين حالات استخدام الإرشاد الجماعي؛ هناك حالات التمرکز حول الذات والانطواء والخجل وتدني مستوى تقدير الذات، وغيرها من المشكلات الانفعالية والسلوكية التي تحتاج حياة المراهق، مما تؤدي به إلى تدني مستوى تحصيله إن كان متمدرسا أو إلى انحرافه إن كان بلا عمل.

ولعل البرنامج الإرشادي الذي سيتم عرضه؛ هو بمثابة أداة عمل يستخدمها المرشد مع التلاميذ (المراهقين) الراسبين لرفع مستوى تقدير الذات لديهم من خلال تعديل أفكارهم اللاعقلانية، ومساعدتهم على التوافق نفسيا واجتماعيا مع زملائهم بالفصل الدراسي، وكذا مساعدتهم على تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي خلال سنة الإعادة.

ويتم تطبيق هذا البرنامج وفق أربع مراحل موضحة على النحو الآتي:

❖ المرحلة الأولى: يتم من خلالها التعارف وتبادل المعلومات بين المرشدة والتلاميذ المعيدین، وكذا توضيح البرنامج الإرشادي وأهدافه، وذلك من خلال جلسات البرنامج.

❖ المرحلة الثانية: تقديم خطة عمل تهدف إلى تحسين مستوى تقدير الذات لدى التلميذ المعيد؛ وتشمل: تعديل الأفكار اللاعقلانية، تقبل الرسوب والإعادة، تبني تقدير ذات إيجابي، الاندماج والتوافق مع الزملاء.

❖ المرحلة الثالثة: تقديم خطة عمل تهدف إلى تحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى التلميذ المعيد؛ وتشمل: التحسيس بأهمية المذاكرة، التدريب على بعض الطرق الناجعة للمذاكرة، التعرف على مفهوم الإنجاز، وإدراك أهمية اتخاذ القرار حول النجاح في شهادة التعليم المتوسط.

❖ المرحلة الرابعة: يتم من خلالها تقييم البرنامج الإرشادي، وكذا تهيئة التلاميذ المعيدین لإنهاء البرنامج.

وفي الأخير، يكتسب التلاميذ المعيدین أفكارا عقلانية بعد أن يستبدلوا اتجاهاتهم وأفكارهم غير العقلانية، ويتخلصوا من الانفعالات السلبية والسلوكات المهددة لذواتهم.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الإرشاد النفسي العقلاني الانفعالي السلوكي يستخدم آليات رئيسة لتحقيق أهدافه وهي: الأساليب المعرفية؛ وتتم من خلال الحوار والمناقشة، فضلا عن ذلك استخدام أسلوب التحليل المنطقي للأفكار غير

العقلانية، وكذلك الأساليب الانفعالية؛ كالتقبل غير المشروط، والنمذجة ولعب الأدوار، واستخدام الوسائل السلوكية الفعالة؛ كالتعزيز الإيجابي، والتغذية الراجعة، والتدريب، والتخيّل العقلاني الانفعالي، والقصة، والواجبات المنزلية.

2 - مفهوم البرنامج الإرشادي:

يعرفه "Shaw 1977": بأنه حلقة من العناصر المعبرة عن أنشطة مترابطة مع بعضها تبدأ بأهداف عامة وخاصة. ومجموعة عمليات تنتهي باستراتيجيات تقويمية لمعرفة مدى الوصول إلى الأهداف. (Shaw, 1977, 347)

وتعرفه الباحثة إجرائياً كما يلي: البرنامج الإرشادي هو مجموعة من الخطوات والإجراءات المعتمدة على فنيات الإرشاد النفسي. تتضمن عينة من المهارات الإرشادية تقدّم للتلاميذ معيدي السنة الرابعة متوسط، بهدف مساعدتهم على تنمية تقدير الذات لديهم خلال جلسات متتالية عددها (17) جلسة، حيث تتراوح مدة الجلسة الواحدة (بين 60 د - 120 د). وتطبق بواقع جلستين في الأسبوع، وقد استخدم هذا البرنامج مجموعة من الأساليب منها: المناقشة والحوار لعب الأدوار، التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، تدريبات وواجبات منزلية...

3 - أهمية البرنامج الإرشادي:

تنبثق أهمية البرنامج من الهدف الذي صمّم من أجله. وتتمثل أهميته فيما يلي:

- تنمية تقدير الذات لدى التلاميذ المعيين لما لها من أهمية في إثارة دافعيتهم للتعلم والإنجاز المدرسي.
- تقديم المساعدة الممكنة لهؤلاء التلاميذ من أجل تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي من خلال تنمية تقدير الذات لديهم.

4 - أهداف البرنامج الإرشادي:

- يسعى هذا البرنامج إلى تحقيق الأهداف الآتية:
- تعريف التلاميذ المعيين ببعض الأفكار اللاعقلانية.
- مساعدة التلاميذ المعيين على أن يستبدلوا أفكارهم اللاعقلانية بأفكار عقلانية.

- تعليم التلاميذ المعيدين الحديث الذاتي الإيجابي.
- مساعدة التلاميذ المعيدين على تقبلهم للرسوب وإعادة السنة الدراسية.
- مساعدة التلاميذ المعيدين على تبني تقدير ذات إيجابي.
- مساعدة التلاميذ على الاندماج مع زملائهم الجدد والتوافق معهم.
- تحسيس التلاميذ بأهمية المذاكرة وتدريبهم على بعض الطرق الناجعة للمذاكرة.

- مساعدة التلاميذ على إدراك أهمية اتخاذ القرار حول النجاح في شهادة التعليم المتوسط.

5 - أسس بناء البرنامج الإرشادي: يركز البرنامج الإرشادي على مجموعة من الأسس هي:

❖ يستمد البرنامج أصوله الفلسفية من نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي لـ "ألبرت أليس"، إلى جانب اعتماده على الأسس الفلسفية التي تحوي أخلاقيات الإرشاد النفسي.

❖ مراعاة حق التلاميذ في التعبير عن آرائهم وعدم السخرية منهم أو التقليل من شأنهم.

❖ مراعاة الفروق الفردية بين أفراد العينة التجريبية.

❖ مراعاة خصائص التلميذ المعرفية والعقلية والانفعالية لضمان مصداقية الاستجابة.

❖ مراعاة قدرة التلميذ على بناء علاقات اجتماعية ناجحة مع زملائه، وأن يكون محبوبا ومرغوبا فيه، ولكن ليس بالضرورة أن يكون جميع الناس يحبونه.

❖ تهيئة البيئة الإرشادية المناسبة لتطبيق البرنامج الإرشادي (المكان، الوسائل، الأدوات..).

6 - الإطار النظري للبرنامج الإرشادي:

يستند هذا البرنامج على نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي لـ "ألبرت أليس"؛ هذا الأخير يشير إلى أن الأفكار اللاعقلانية التي يحملها الفرد تؤدي إلى تدني تقدير الذات لديه.

وتؤكد هذه النظرية أن تقدير الذات واحترامها يتولد نتيجة إنجازات الفرد، فكلما زاد إنتاج الفرد وفعالية عمله زاد تقديره لذاته واحترامه لها، أما إذا استمد

الفرد تقدير ذاته من عمله الناجح فإنه سوف يعاني من قلة تقدير النفس عند الفضل. (الزيود، 2008)

ويقوم المرشد في نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي بمساعدة المسترشد على التخلص من الأفكار والاتجاهات اللاعقلانية واستبدالها بأفكار واتجاهات عقلانية ضمن خطوات رئيسية وهي:

1. يقوم المرشد بتشجيع المسترشد على القيام بالسلوك الملائم من خلال الاقتداء والمحاكاة والتكرار، إذ أن النجاح يعزى إلى تغييرات ذهنية وفكرية.
 2. على المرشد إعادة ترتيب إدراكات المسترشد وإعادة تنظيم تفكيره من أجل القضاء على السبب الأساسي لصعوباته.
 3. على المرشد أن يوضح للمسترشد قبل انتهاء العلاج الأفكار غير العقلانية الرئيسية والتي من المحتمل أن يفكر فيها، وأن يوضح له فلسفات الحياة الأكثر عقلانية التي يمكن إتباعها بدلا منها، حتى لا يقع المسترشد فريسة لأفكار غير عقلانية أخرى، وأكد "أليس" على المجموعات الإرشادية لفائدتها في تغيير الأفكار.
 4. يقوم المرشد بمساعدة المسترشد كي يتعلم من خبراته السابقة، ويتفاعل مع أفضل الطرق المعاصرة المميّزة، والخبرات الحديثة بدلا من التمسك بالدروس المتعلمة في الماضي والخضوع لها.
 5. يعمل المرشد على زيادة ثقة المسترشد بنفسه وقدراته. (شعبان وتيم، 1999، 75)
- 7 - مصادر بناء البرنامج الإرشادي:

- تمّ بناء هذا البرنامج من خلال بعض المصادر هي:
- أ. الاطلاع على بعض الدراسات السابقة التي اهتمت ببناء وتطبيق البرامج الإرشادية للإفادة منها في بناء البرنامج الحالي، فعلى سبيل المثال لا الحصر:
- فاعلية برنامج إرشادي جمعي في تنمية تقدير الذات لدى المعاقين بصريا في سلطنة عمان لسالة الحجري (2011).
 - فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية لدى طلبة الجامعة لنشوة أبو بكر دردير (2010).

ب. الأدبيات السيكلوجية التي اهتمت بالإرشاد النفسي، والتركيز على النظرية العقلانية الانفعالية السلوكية، والتي تم الاستناد إليها في بناء البرنامج.

8 - حدود البرنامج الإرشادي:

على ضوء الأهداف الإرشادية التي يسعى البرنامج إلى تحقيقها، يتم تنفيذ البرنامج ضمن الحدود التالية وهي: تحديد المدى الزمني للبرنامج؛ أي المدة التي يستغرقها البرنامج، وعدد الجلسات، والوقت الذي تستغرقه كل جلسة إرشادية، والمكان الذي يتم فيه تطبيق البرنامج، وعدد المشاركين من الأفراد في البرنامج. (حسين، 2014، 287)

والجدول الزمني الموالي يبين حدود البرنامج الإرشادي المقترحة للتطبيق:

مراحل البرنامج	الزمن	عنوان الجلسة	الهدف العام	تاريخ انعقادها
الجلسة الأولى	120د	التعارف والتعريف بالبرنامج الإرشادي	- التعارف بين المرشدة والتلاميذ لبناء العلاقة الإرشادية. - التعريف بالبرنامج الإرشادي وتوضيح أهدافه. - التطبيق القبلي لمقياس تقدير الذات.	
الجلسة (من الثانية إلى الخامسة)	120د لكل جلسة	الأفكار اللاعقلانية	- سرد بعض الأفكار اللاعقلانية. - مناقشة الأفكار اللاعقلانية. - استبدال الأفكار اللاعقلانية بأفكار عقلانية.	
الجلسة السادسة	120د	مفهوم الذات والأفكار اللاعقلانية المرتبطة به	- أن يوضح التلميذ فكرته عن مفهوم الذات، وأن يعدّ مظاهر تدني مفهوم الذات والأفكار اللاعقلانية المرتبطة به.	
الجلسة السابعة	120د	مفهوم الذات الإيجابي	- معرفة (كشف) طبيعة مفهوم الذات لدى التلاميذ،	

	ومحاولة تعديله نحو الإيجابية من خلال تعديل أفكارهم اللاعقلانية.			
الجلسة الثامنة	120د	تقبل الرسوب وإعادة السنة	- مساعدة التلاميذ على تقبلهم للرسوب وإعادة السنة الدراسية، ومواصلة العمل بفعالية لتحقيق النجاح.	
الجلسة التاسعة	120د	تقدير الذات	- أن يتعرف التلاميذ على مفهوم تقدير الذات.	
الجلسة العاشرة	120د	تقدير الذات	- مساعدة التلاميذ على تبني تقديرات إيجابية.	
الجلسة الحادية عشر	120د	الاندماج	- مساعدة التلاميذ على الاندماج مع زملائهم الجدد.	
الجلسة الثانية عشر	120د	التوافق مع جماعة الزملاء	- مساعدة التلاميذ على التوافق والانسجام مع الزملاء لزيادة تقديرهم لذاتهم.	
الجلسة الثالثة عشر	120د	المذاكرة	- تحسيس التلاميذ بأهمية المذاكرة اليومية وتدريبهم على بعض الطرق الناجعة.	
الجلسة الرابعة عشر	120د	المذاكرة	- تدريب التلاميذ على أساليب المذاكرة اليومية وكيفية تقييمها أسبوعيا.	
الجلسة الخامسة عشر	120د	الإنجاز	- مساعدة التلاميذ على تنمية الإنجاز في حياتهم الدراسية.	
الجلسة السادسة عشر	120د	اتخاذ القرار	- مساعدة التلاميذ على إدراك أهمية اتخاذ القرار حول النجاح في (ش، ت، م).	
الجلسة السابعة عشر	60د	الجلسة الختامية	- مناقشة ما تم تقديمه في الجلسات السابقة ومدى الاستفادة من البرنامج. - التطبيق البعدي لمقياس تقدير الذات.	

9 - الأساليب الإرشادية المستخدمة في البرنامج الإرشادي:

استخدم في هذا البرنامج مجموعة من الأساليب الإرشادية والمشتقة من النظرية العقلانية السلوكية. والتي يمكن أن تقدم بشكل جماعي. وهي موضحة في الجدول الموالي:

تعريفها	الأساليب الإرشادية المستخدمة	
- طرح مجموعة من الأفكار والآراء ومناقشتها بين المرشدة والتلاميذ لمعرفة أفكارهم الإيجابية والسلبية. وكذا تدريبهم على التعبير عن مشاعرهم بكل حرية وتلقائية.	- الحوار والمناقشة	المعرفية
- كشف الأفكار اللاعقلانية وما يرتبط بها من مفاهيم؛ مثل: لا بد، يجب، من المفروض... وإثبات عدم منطقية ولاعقلانية مثل هذه الأفكار، وتمييزها عن الأفكار العقلانية الأخرى.	- تحليل منطقي للأفكار	
- تعلم المرشدة التلاميذ التقبل غير المشروط للآخرين داخل وخارج البرنامج، كما يتعلموا أيضا التقبل غير المشروط لذواتهم.	- التقبل غير المشروط	الانفعالية
- وهي أن تروي المرشدة قصصا لنماذج من تلاميذ تحسنت نتائجهم خلال الفصل الأول وتجاوزوا مرحلة الإحباط التي كانوا فيها، وقصصا لنماذج من التلاميذ الذين نجحوا وتفوقوا بعد إعادتهم للسنة الدراسية.	- النمذجة	
- الثناء على التلاميذ عند إتقانهم السلوك المرغوب، وتشجيعهم على المشاركة في العملية الإرشادية.	- التعزيز الإيجابي	السلوكية
- تبليغ التلاميذ بالخطوات الناجحة في تأديتهم للمهارة. وكذا بالخطوات الخاطئة وكيفية تصحيحها. من أجل إحداث تغيير حقيقي في سلوك التلاميذ، والذي يدل على مدى استيعابهم لما دار في الجلسة الإرشادية.	- التغذية الراجعة	
- تطبيق ما تعلمه التلاميذ في المواقف المشابهة والتي تواجههم.	- التدريب (تمارين)	
- يتخيل التلاميذ الأحداث السيئة التي مرت عليهم سابقا وسببت لهم الاضطراب الانفعالي، وبعدها يتعلمون تغيير هذه المشاعر من اضطراب انفعالي إلى مشاعر إيجابية.	- التخيل العقلاني الانفعالي	

- وهي أن تروي المرشدة على التلاميذ بعض الأحداث لمواقف قد حدثت لأشخاص ما في حياتهم اليومية.	- القصة	
- يتم فيه تمثيل مواقف مختلفة بطريقة درامية. ويعدّ الهدف من لعب الأدوار هو تعبير التلميذ عن أفكاره واتجاهاته، من خلال قيامه بدور شخص آخر من أجل التخلص من الإحباطات الناشئة بداخله.	- لعب الأدوار	
- الواجب الذي يكلف به التلاميذ من طرف المرشدة ويكون في الغالب في نهاية الجلسة ويناقش في بداية الجلسة الموالية.	- الواجب المنزلي	

10 - مخطط الجلسة الإرشادية:

تتكوّن الجلسة الإرشادية الواحدة من الخطوات الآتية:

- عنوان الجلسة وتاريخها ومدتها.
- الأهداف المراد تحقيقها في الجلسة.
- الأساليب الإرشادية المستخدمة في الجلسة.
- الأدوات المستخدمة في الجلسة.
- إجراءات تنفيذ الجلسة.
- التقييم.
- الواجب المنزلي (إن وجد).

11 - إجراءات تنفيذ الجلسة الإرشادية:

- تحتوي كل جلسة من جلسات هذا البرنامج الإرشادي على ما يلي:
- بدء الجلسة الإرشادية بالترحيب بأعضاء المجموعة.
- مناقشة الواجب المنزلي (إن وجد).
- مناقشة الموضوع الرئيس للجلسة مع ممارسة الأنشطة المختلفة لتحقيق أهداف الجلسة.
- تقييم الجلسة.
- إنهاء الجلسة بإعطاء المجموعة الإرشادية الواجب المنزلي (إن وجد).

12 - وسائل تقييم الجلسة الإرشادية:

تمّ استخدام الوسائل التقييمية الآتية في معظم الجلسات:

أ. أسلوب إعادة تقييم الجلسة بعد تنفيذها: حيث تقوم المرشدة بالتقييم الذاتي للجلسات المنفذة، وتحليلها لمعرفة إيجابياتها وسلبياتها لتحسين أدائها في كل مرة.

ب. الملاحظة: تتضمن الملاحظة الذاتية من قبل المرشدة مدى استجابة المسترشدين خلال البرنامج الإرشادي.

13 - جلسات البرنامج الإرشادي:

♦ الجلسة الأولى: جلسة تمهيدية للتعارف بين المرشدة والتلاميذ المعيّدين

أ. أهداف الجلسة:

- أن يتعرف كل من المرشدة والتلاميذ المعيّدين على بعضهم البعض.

- تعريف عام بالبرنامج الإرشادي وتوضيح الهدف منه.

- تطبيق مقياس "تقدير الذات" على التلاميذ (المقياس القبلي).

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. الأدوات: مطوية إعلامية إرشادية - مقياس تقدير الذات.

د. إجراءات التنفيذ:

يجلس الجميع (المرشدة والتلاميذ) على شكل حرف (U)، ثم ترحب المرشدة بأفراد العينة وتبدأ بالتعريف بنفسها وطبيعة عملها. والدور الذي ستقوم به خلال الجلسات الإرشادية. ثم تترك المجال للتلاميذ للتعريف بأنفسهم وذكر بعض اهتماماتهم (هوايات، ميول،...). بحيث يكون كل تلميذ فكرة عامة عن زملائه في الجلسة، ويتمكن كل منهم من التحدث أمام زملائه بحرية وديمقراطية، مع التركيز على أهمية التقبّل غير المشروط، بحيث يتقبّل أفراد العينة بعضهم البعض، ثم تشكر المرشدة أفراد العينة على ذلك، بعدها توضّح لهم بعض قواعد العمل الجماعي والاتفاق مع التلاميذ عليه؛ كاحترام الآراء، المشاركة، السريّة، التعاون...

وفي الخطوة الموالية تقوم المرشدة بتوضيح الفكرة العامة حول البرنامج الإرشادي والأهداف المنتظرة. وعدد الجلسات المبرمجة. ومكان تنفيذ البرنامج

الإرشادي والمواعيد المحددة له... على أن تأخذ منهم موافقة شفوية للمشاركة في البرنامج الإرشادي، بعد تأكيدها لهم حاجتهم إلى هذا البرنامج الذي سيكسبهم جملة من الأفكار الإيجابية ومجموعة من الأساليب المعرفية والانفعالية والسلوكية التي تساعد على تحسين نمط تفكيرهم ورفع مستوى تقديرهم لذاتهم، وكذا تحسين نتائجهم الدراسية.

كما تقوم المرشدة بعدها بتوزيع مطوية إعلامية إرشادية حول الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي تحتوي على بعض المعلومات المعينة على تطبيق البرنامج الإرشادي؛ وهي: مفهوم الإرشاد النفسي، مفهوم الإرشاد الجماعي، مفهوم الإرشاد والعلاج العقلاني الانفعالي السلوكي، توضيح فكرة البرنامج القائمة على نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي السلوكي.

وتقوم المرشدة بقراءة المطوية وشرحها للتلاميذ بتبسيط واف لمعلوماتها قدر المستطاع من أجل فهمها واستيعابها من طرف التلاميذ، وكذا من أجل تأهيلهم للدخول في البرنامج الإرشادي.

وفي المرحلة الأخيرة من الجلسة تقدم لهم المرشدة مقياس "تقدير الذات" للإجابة عليه بكل صدق وموضوعية، وتنتهي الجلسة الأولى بشكرهم على موافقتهم للمشاركة في البرنامج وإجاباتهم على بنود المقياس. ثم تأكيدها لهم على موعد الجلسة المقبلة وموضوعها.

♦ **الجلسات من 02 إلى 05:** الأفكار اللاعقلانية (بعض الأفكار اللاعقلانية التي ذكرها "أليس")

أ. أهداف الجلسة:

- تعريف التلاميذ ببعض الأفكار اللاعقلانية.
- مناقشة التلاميذ وإقناعهم بلا منطقية هذه الأفكار.
- استبدال الأفكار اللاعقلانية بأخرى عقلانية.

ب. الأساليب الإرشادية:

- ♦ المعرفية: الحوار والمناقشة، تحليل منطقي للأفكار وتعديلها.
- ♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.
- ♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التخيّل العقلاني، التدريبات والنشاطات.

♦ الجلسة الثانية:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية، وتشكرهم على الحضور في الموعد المحدد، ثم تقوم بتعريف التلاميذ بالأفكار اللاعقلانية، وتعرض بعض أفكار "أليس" اللاعقلانية، وذلك من خلال العرض التالي:

- الفكرة الأولى: "مصادر سعادة الإنسان خارجية وليس له دخل فيها".

تعرض المرشدة هذه الفكرة على التلاميذ وتطلب منهم إبداء آرائهم حول صحة أو خطأ هذه الفكرة، ثم تتطرق بالشرح لمصادر السعادة عند الإنسان، وأنها نابعة من داخله ومن تفكيره، وتبقى طبيعة إدراكه لها هي التي تحدد نظرته إلى الحياة التي يعيشها إيجابية أو سلبية، وبالتالي يستطيع الإنسان تحقيق السعادة لنفسه حتى وإن كانت الظروف الخارجية محبطة.

مثال: شعر التلميذ (زيد) بالإحباط عندما وبَّخ الأستاذ زميله بسبب إجابته الخاطئة والخارجة عن الموضوع، ولكن عندما جاء دوره قدّم إجابة صحيحة شكره الأستاذ وأثنى عليه، فارتفعت معنوياته وشعر بالسعادة بدل الإحباط الذي سيطر عليه من خلال ردة فعل أستاذه تجاه زميله، ومن هنا نتوصل إلى الفكرة العقلانية التالية: "مصادر سعادة الإنسان داخلية وله دخل فيها".

تطلب المرشدة من أفراد العينة الإجابة على التدريب الموالي، وتناقش التلاميذ حول إجاباتهم على التدريب.

♦ تدريب رقم (1): حول الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية:

- 1 - النجاح حظ وليس اجتهاد وعمل.
 - 2 - لا أشعر بالسعادة ما دمت أشعر بأنني تلميذ معيد للسنة الدراسية.
 - 3 - أعتقد أنني تلميذ فاشل مقارنة بزملائي.
 - 4 - أشعر بالإحباط عندما أتذكر المقولة: " التكرار يعلم الحمار".
 - 5 - هناك من يولد سعيدا وهناك من يولد تعيسا.
 - 6 - التلميذ المعيد يشعر بأنه منبوذ من طرف زملائه.
- بعدها توضّح المرشدة لأفراد العينة كيفية تنفيذ أسلوب التخيل العقلائي من خلال هذا النشاط:

♦ نشاط رقم (1): تطلب المرشدة من أفراد العينة تحديد أحد المواقف أو الأحداث التي مرّت عليهم، وكانت تسيطر عليهم هذه الفكرة (الفكرة الأولى)،

ويقوم بذكرها أمام زملائه، ثم تطلب منهم أن يغمضوا أعينهم ويتخيلوا ذلك الموقف بأكثر واقعية؛ أي أن يتخيلوا ذلك الموقف تخيلاً حياً، ثم تطلب منهم أن يصفوا مشاعرهم الحقيقية حينها، بعد ذلك تطلب منهم تبديل مشاعرهم إلى مشاعر أقل ضغطاً، ثم يصف كل واحد شعوره البديل بصراحة وحرية أمام زملائه.

بعد متابعة حديث كل فرد من المجموعة تثني المرشدة على صراحة كل تلميذ في وصفه للموقف، وكيف أحسن تعديل أفكاره نحوه. وفي نهاية الجلسة تشكر المرشدة أفراد المجموعة، وتؤكد لهم موعد الجلسة المقبلة لمناقشة الفكرة الثانية.

♦ الجلسة الثالثة:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على حضورهم في الموعد المحدد، ثم تقوم بعرض الفكرة الثانية:

- الفكرة الثانية: "يجب أن أكون محبوباً من كل الناس".

تعرض المرشدة هذه الفكرة وتطلب من أفراد العينة إبداء رأيهم حول صحة أو خطأ هذه الفكرة، بعدها تقوم بالتوضيح للتلاميذ بأن هناك فروقاً فردية بين الناس واختلافات في الصفات والخصائص الشخصية التي تميز الفرد عن غيره، فهناك صفات يمتلكها الفرد قد تحببه لبعض الناس وتنفر البعض الآخر منه. مثال: صرامة الأستاذ؛ هناك بعض التلاميذ يحبونها كصفة لازمة للأستاذ لأنه بذلك يحافظ على نظام القسم وانضباط التلاميذ، وهناك من التلاميذ من ينفرون من هذه الصفة (الصرامة) لأنها تجعلهم يرهبون من الأستاذ ولا يشعرون بالارتياح داخل القسم.

وبعد مناقشة الفكرة وتوضيحها، نتوصل إلى الفكرة العقلانية التالية: "من الأفضل أن أتمتع بعلاقات طيبة مع كل الناس".

تطلب المرشدة من التلاميذ الإجابة على التدريب الموالي، وتناقش التلاميذ حول إجاباتهم على التدريب.

♦ تدريب رقم (2): إليك بعض الأفكار اللاعقلانية، حوّلها إلى أفكار عقلانية:

1 - يجب أن يحبني كل الناس.

2 - يجب أن أكون محبوباً من جميع زملائي.

3 - أشعر أن زملائي يكرهونني.

4 - من يكرهني يجب أن أكرهه.

بعدها توضّح المرشدة لأفراد المجموعة كيفية تنفيذ أسلوب التخيل العقلي من خلال هذا النشاط:

❖ نشاط رقم (2): تطلب المرشدة من التلاميذ تحديد أحد المواقف أو الأحداث التي مرّت عليهم وكانت تسيطر عليهم هذه الفكرة (الفكرة الثانية) ويقوم بذكرها أمام زملائه، ثم تطلب منهم أن يغمضوا أعينهم ويتخيّلوا ذلك الموقف بأكثر واقعية؛ أي أن يتخيّلوا ذلك الموقف تخيلاً حياً، ثم تطلب منهم أن يصفوا مشاعرهم الحقيقية حينها، بعد ذلك تطلب منهم تبديل مشاعرهم إلى مشاعر أقل ضغطاً، ثم يصف كل واحد شعوره البديل بصراحة وحرية أمام زملائه.

بعد متابعة حديث كل فرد من المجموعة تثني المرشدة على صراحة كل تلميذ في وصفه للموقف، وكيف أحسن تعديل أفكاره نحوه. وفي نهاية الجلسة تشكر المرشدة أفراد المجموعة، وتؤكد لهم موعد الجلسة المقبلة لمناقشة الفكرة الثالثة.

❖ الجلسة الرابعة:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على حضورهم في الموعد المحدد، ثم تقوم بعرض الفكرة الثالثة:

- الفكرة الثالثة: "يجب على الفرد أن يكون فعالاً منجزاً بشكل يتّصف بالكمال حتى تكون له قيمة".

تعرض المرشدة على أفراد العينة هذه الفكرة وتطلب منهم إبداء رأيهم حولها، ثم توضّح لهم أن قيمة الفرد في ذاته وليس في إنجازاته لأعماله، وتقييم الأعمال لا يعتبر تقييماً للفرد ذاته، فالذات في التقييم منفصلة عن العمل، ويكفي للفرد أن يتقن عمله على أكمل وجه، ويستطيع أن يحسّن أدائه في المرات القادمة ويستفيد من أخطائه السابقة، وعليه تقبل الفكرة العقلانية التالية: "من الأفضل للفرد أن يتقن عمله على أحسن وجه".

تطلب المرشدة من أفراد العينة الإجابة على التدريب الموالي، وتناقش التلاميذ حول إجاباتهم على التدريب.

❖ تدريب رقم(3): حوّل الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية:

- 1 - عندما أفضّل في إنجاز واجباتي الدراسية فإنني أحكم على نفسي بالعجز.
- 2 - من يقيّم عملي فهو يقيّم شخصيتي.
- 3 - يجب على الفرد أن ينجز عمله بشكل يتّصف بالكمال.
- 4 - ما زلت لم أحقق ذاتي ما دمت لم أحقق كل أهدافي.
- 5 - يجب أن أتفوّق على الآخرين وإلا لن أَرْضَى عن نفسي.

بعدها توضّح المرشدة لأفراد العينة كيفية تنفيذ أسلوب التخيل العقلاني من خلال هذا النشاط:

❖ نشاط رقم(3): تطلب المرشدة من التلاميذ تحديد أحد المواقف أو الأحداث التي مرّت عليهم وكانت تسيطر عليهم هذه الفكرة(الفكرة الثالثة) ويقوم بذكرها أمام زملائه، ثم تطلب منهم أن يغمضوا أعينهم ويتخيّلوا ذلك الموقف بأكثر واقعية؛ أي أن يتخيّلوا ذلك الموقف تخيلاً حياً، ثم تطلب منهم أن يصفوا مشاعرهم الحقيقية حينها، بعد ذلك تطلب منهم تبديل مشاعرهم إلى مشاعر أقل ضغطاً، ثم يصف كل واحد شعوره البديل بصراحة وحرية أمام زملائه.

بعد متابعة حديث كل فرد من المجموعة تثني المرشدة على صراحة كل تلميذ في وصفه للموقف، وكيف أحسن تعديل أفكاره نحوه. وفي نهاية الجلسة تشكر المرشدة أفراد المجموعة، وتؤكد لهم موعد الجلسة المقبلة لمناقشة الفكرة الرابعة.

❖ الجلسة الخامسة:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على حضورهم في الموعد المحدد، ثم تقوم بعرض الفكرة الرابعة:

- الفكرة الرابعة: "لا يمكن التخلص من الأحداث السلبية الماضية؛ وهي حتماً تؤثر على سلوك الفرد الحاضر".

تقوم المرشدة بعرض الفكرة على أفراد العينة وتطلب منهم إبداء رأيهم حولها، ثم توضّح لهم أنه من الأفضل ألا يفكر الفرد في الماضي، أو في الأحداث السلبية التي تعرّض لها سابقاً لأنها ستؤثر على سلوكه الحاضر وتعرّض صفو حياته، وتسبّب له الضيق والانزعاج كلما تذكّرها، وبالتالي يحاول الفرد قدر الإمكان

أن يجدّد حياته وأن يسعى إلى تطوير نفسه، وعلى هذا يتم قبول الفكرة العقلانية التالية: "من الأفضل أن أنظر إلى اليوم وإلى المستقبل وأن أنسى الماضي".

تطلب المرشدة من أفراد العينة الإجابة على التدريب الموالي، وتناقش التلاميذ حول إجاباتهم على التدريب.

❖ تدريب رقم (4): حول الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية:

1 - لا يمكنني أن أنسى رسوبي في امتحان شهادة التعليم المتوسط العام الماضي.

2 - يراودني شعور بأنني لن أنجح في حياتي بعد هذا الفشل.

3 - أعتقد أن فشلي في العام الماضي سيؤثر على مستقبلي الدراسي.

4 - أشعر بأن فشلي سيلاحقني طوال حياتي.

بعدها توضّح المرشدة لأفراد العينة كيفية تنفيذ أسلوب التخيل العقلاني من خلال هذا النشاط:

❖ نشاط رقم (4): تطلب المرشدة من التلاميذ تحديد أحد المواقف أو الأحداث التي مرّت عليهم وكانت تسيطر عليهم هذه الفكرة (الفكرة الرابعة) ويقوم بذكرها أمام زملائه، ثم تطلب منهم أن يغمضوا أعينهم ويتخيّلوا ذلك الموقف بأكثر واقعية؛ أي أن يتخيّلوا ذلك الموقف تخيلاً حياً، ثم تطلب منهم أن يصفوا مشاعرهم الحقيقية حينها، بعد ذلك تطلب منهم تبديل مشاعرهم إلى مشاعر أقل ضغطاً، ثم يصف كل واحد شعوره البديل بصراحة وحرية أمام زملائه.

بعد متابعة حديث كل فرد من المجموعة تثنى المرشدة على صراحة كل تلميذ في وصفه للموقف، وكيف أحسن تعديل أفكاره نحوه. وفي نهاية الجلسة تشكر المرشدة أفراد المجموعة، مؤكّدة لهم موعد الجلسة المقبلة.

❖ الجلسة السادسة: مفهوم الذات والأفكار اللاعقلانية المرتبطة به

أ. أهداف الجلسة:

- أن يوضّح التلميذ فكرته عن مفهوم الذات.

- أن يشارك التلميذ في تحديد مفهوم الذات.

- أن يعدّد مظاهر مفهوم الذات السلبي والأفكار اللاعقلانية المرتبطة به.

ب. الأساليب الإرشادية:

❖ المعرفية: الحوار والمناقشة، تحليل منطقي للأفكار وتعديلها.

❖ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

❖ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التدريب.

ج. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على الحضور في الموعد المحدد، ثم تستهل النقاش بالتساؤل عن مفهوم الذات بالنسبة لهم، وتطلب منهم أن يقدموا تصوراتهم عن مفهوم الذات، حينها تقوم المرشدة بتجميع الأفكار وإعطاء تصوّرها عن مفهوم الذات، بعد ذلك تقوم بإشراك التلاميذ في تحديد مظاهر مفهوم الذات السلبي والأفكار اللاعقلانية المرتبطة به.

كما تطلب المرشدة من أفراد العينة الإجابة على التدريب الموالي، وتناقش التلاميذ حول إجاباتهم على التدريب.

❖ تدريب رقم(5): حول الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية:

1 - السلبية.

2 - الانهزامية.

3 - الاتكالية.

4 - ضيق الأفق.

وفي نهاية الجلسة تشكر المرشدة أفراد العينة على حسن تعديل أفكارهم، وتؤكد لهم موعد الجلسة المقبلة.

❖ الجلسة السابعة: مفهوم الذات الإيجابي

أ. أهداف الجلسة:

- أن يتعرف التلاميذ على مفهوم الذات الإيجابي.

- تعليم التلاميذ أن يتحدثوا بإيجابية عن ذواتهم.

ب. الأساليب الإرشادية:

❖ المعرفية: الحوار والمناقشة.

❖ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

❖ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على التزامهم بالحضور في الموعد المحدد، وتقوم بتقديم ملخص حول الجلسة السابقة، ثم تبدأ النقاش بأن تعرف التلاميذ على مفهوم الذات الإيجابي وتبين لهم أهمية الذات الإيجابية. بعدها تترك المجال أمام كل تلميذ ليتحدث عن نفسه بإيجابية، وتذكيره بتجنب التلفظ بعبارات سلبية (لاعقلانية) واستبدالها بعبارات إيجابية (عقلانية)، مع تعزيز العبارات الإيجابية التي يعبر بها التلميذ عن ذاته، وتستخدم المرشدة من حين إلى آخر أساليب التعزيز لغرس الثقة بالنفس لدى التلميذ ومواصلة للحوار والحديث الإيجابي عن ذاته.

وفي الأخير تنهي الجلسة الإرشادية بشكر التلاميذ على حسن التفاعل والأداء، ومن ثم الاتفاق على موعد الجلسة القادمة وموضوعها.

♦ الجلسة الثامنة: تقبل الرسوب وإعادة السنة

أ. أهداف الجلسة:

- مساعدة التلاميذ (المجموعة الإرشادية) على تقبل الرسوب وإعادة السنة الدراسية.

- دعم التلاميذ نفسياً لمواصلة الاجتهاد والعمل بفاعلية لتحقيق النجاح.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. الأدوات: شريط فيديو.

د. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على الحضور في المكان والزمان المحدد. ثم تقوم بتقديم ملخص لما تمّ في الجلسة السابقة، كما تقوم المرشدة بسؤال أعضاء المجموعة الإرشادية: "لماذا تعدّ نظرة الفرد لذاته أمراً مهماً؟"، وتستمع إلى رأي كل تلميذ حول السؤال المطروح، ثم توضّح بدورها لهم أهمية تقييم الفرد لذاته وما ينعكس حوله من سلوكيات وإنجازات تعود بالإيجاب أو بالسلب على الفرد.

بعدها تقوم المرشدة بعرض شريط فيديو لفتاة تحدت الإعاقة من أجل مواصلة الدراسة، وتترك الأعضاء يتابعون الشريط لمدة 15 دقيقة. وبعد إنهاء العرض تطلب منهم وصف كيف ستكون ردّة فعلهم وأفكارهم لو وضعوا في موقف تلك الفتاة؟ وتترك كل عضو يتحدث عما لديه من أفكار، ومقارنة ردّة فعل العضو المتحدث مع آراء وأفكار الأعضاء الآخرين، مع استماع المرشدة وملاحظتها لسلوكهم وردّة فعلهم. بعدها تذكر الأفكار الالاعقلانية في هذه الجلسة والتي أثارها الأعضاء خلال الجلسة، ثم تطلب منهم استبدالها بأفكار عقلانية مناسبة.

وفي الأخير تنهي المرشدة الجلسة بعمل تلخيص شامل لما دار فيها. ومن ثم الاتفاق على موعد الجلسة القادمة وموضوعها.

♦ الجلسة التاسعة: تقدير الذات

أ. أهداف الجلسة:

- أن يتعرف التلاميذ على مفهوم تقدير الذات وتأثيره على إعادة السنة الدراسية.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، الواجب المنزلي.

ج. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بالأعضاء وتشكرهم على التزامهم بالحضور في الموعد، بعدها تقوم بطرح بعض الأسئلة على التلاميذ تستقصي من خلالها مدى إلمامهم بمفهوم تقدير الذات. ثم يتم الاتفاق على تعريف تقدير الذات بين المرشدة وأعضاء المجموعة الإرشادية، ثم تتناقش معهم حول الصفات التي لا بد أن تتوفر لدى الشخص الذي لديه تقدير ذات عال. مع تقديم تعزيز إيجابي كلما ذكر أحد الأعضاء صفة إيجابية صحيحة. ثم تؤكد على أهمية أن يتّصف كل عضو منهم ببعض الصفات الإيجابية المذكورة لتساعدتهم على زيادة تقديرهم لذاتهم، ثم تطلب منهم أن يقرن كل واحد اسمه بالصفة التي

يختارها ويرددها على مسامع زملائه، ثم يليه العضو الثاني والثالث وهكذا....
مثال: عمر إيجابي، محمد متعاون، سعاد اجتماعية....

أما عن الواجب المنزلي، فتطلب من التلاميذ تسجيل ملاحظاتهم حول
الجلسة كواجب منزلي إلى حين الجلسة القادمة.

♦ الجلسة العاشرة: تقدير الذات

أ. أهداف الجلسة:

- مراجعة ما تم الاتفاق عليه في الجلسة السابقة.

- مساعدة التلاميذ على تبني تقدير ذات إيجابي.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار المناقشة.

♦ الانفعالية: التقبل غير المشروط، النمذجة.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، الواجب المنزلي.

ج. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بالأعضاء وتشكرهم على حضورهم والتزامهم بالموعد، ثم
تستهل الجلسة بمراجعة ما تم في الجلسة السابقة، بعدها تفتح مجالاً للنقاش
حول الواجب المنزلي، وما هي انطباعاتهم وملاحظاتهم حول الجلسة السابقة،
وما هي الأفكار الإيجابية التي تبناها خلال الأيام التي مضت، مع تقديم المرشدة
التعزيز الإيجابي والتغذية الراجعة.

تذكر المرشدة بأهمية تقدير الذات الإيجابي، وتترك لهم المجال ليتحدث كل
واحد منهم عن نتائج تقدير الذات الإيجابي، ثم تقوم بعرض قصة لشخص
لديه ظروف سيئة، ولكنه اكتشف أن لديه موهبة فاستغلها إلى أن أصبح
شخصية مشهورة (قصة واقعية)، وذلك لغرض تعزيز تقدير الذات الإيجابي
لدى أعضاء المجموعة الإرشادية، ومن ثم استخدام النمذجة.

تنتهي المرشدة الجلسة بتلخيص ما دار فيها والاتفاق على موعد الجلسة
القادمة وموضوعها، والواجب المنزلي هو أن تطلب من التلاميذ تسجيل
ملاحظاتهم حول القصة كواجب منزلي إلى حين الجلسة القادمة.

♦ الجلسة الحادية عشر: الاندماج مع الآخرين

أ. أهداف الجلسة:

- أن يتعرف أعضاء المجموعة الإرشادية على مفهوم الاندماج مع الزملاء، وإبراز إيجابياته على التحصيل الدراسي.

- مساعدة التلاميذ المعيدين على الاندماج مع زملائهم الجدد.

ب. الأساليب الإرشادية:

❖ المعرفية: الحوار والمناقشة.

❖ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

❖ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، الواجب المنزلي.

ج. الأدوات: بطاقات.

د. إجراءات التنفيذ:

تقوم المرشدة باستقبال أعضاء المجموعة الإرشادية وشكرهم على الحضور في الموعد. ثم تراجع معهم ما تمّ طرحه في الجلسة الماضية، بعدها تناقش معهم الواجب المنزلي الذي تمّ تكليفهم به، مع تقديم تعزيز إيجابي وتغذية راجعة لما يقولونه لدعم ثقتهم بأنفسهم، ثم تتطرق لموضوع الجلسة الحالية؛ وهو مفهوم الاندماج مع الدراسة، مع الزملاء، مع الأسرة، مع المجتمع...، وما هو شعور كل واحد نحو الاندماج، أهو سلبي أم إيجابي، ولماذا؟ مع التطرق إلى إيجابيات الاندماج وآثاره على التحصيل الدراسي.

بعدها تقوم المرشدة بالإصغاء إلى تدخل كل عضو ومعرفة وجهة نظره حول الموضوع المطروح، وتحاول تشجيعهم على طرح أفكارهم بكل حرية وديمقراطية...، ثم تدعم مشاركاتهم بإثارة فكرة مهمة؛ وهي أن الاندماج الإيجابي والتفاعل مع الآخرين يساهم في رفع مستوى تقدير التلميذ لذاته ويساعده على تحسين مستواه الدراسي، بحيث يكتسب التلميذ ثقة كبيرة بنفسه تمكّنه من مواجهة الصعوبات الدراسية، كما تمكّنه من طلب المساعدة من الأستاذ وحتى الزملاء.

ولتوضيح الصورة أكثر حول الاندماج تصف المرشدة نماذج لتلاميذ يدرسون معهم قد أخفقوا خلال السنة الثالثة متوسط ثم انتقلوا إلى السنة الرابعة متوسط، وهم مندمجون بشكل طبيعي مع زملائهم، ثم تقوم المرشدة بتقديم بطاقات تتضمن عبارات إيجابية يكرّرها التلميذ في حديثه الذاتي باستمرار، من أجل رسوخ الأفكار الإيجابية في أذهانهم وبناء تقدير ذات إيجابي.

أما عن الواجب المنزلي، فتطلب المرشدة من كل عضو أن يراقب نفسه من خلال اندماجه مع زملائه والآخرين إلى حين الجلسة القادمة.

♦ الجلسة الثانية عشر: التوافق مع جماعة الزملاء

أ. أهداف الجلسة:

– مساعدة أعضاء المجموعة الإرشادية على التوافق مع زملائهم لزيادة

تقديرهم لذاتهم.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، لعب الأدوار.

ج. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بالحضور وتشكرهم على المواظبة والالتزام بالموعد. ثم تقوم بعرض ملخص لما تمّ في الجلسة السابقة. بعدها تفتح مجالا للنقاش حول الواجب المنزلي مع التركيز على المواقف الحقيقية التي تمّ اندماجهم فيها بشكل طبيعي. وما هو شعورهم بالتغيير الجديد على سلوكياتهم، وكيف قاموا بتعديل نظرتهم تجاه تلك المواقف، وتحاول المرشدة أن تذكر الأفكار اللاعقلانية وكيف استبدلت بأفكار عقلانية مع تقديم تعزيز إيجابي وتغذية راجعة، ثم تتطرق إلى موضوع الجلسة الحالية؛ وهو مفهوم التوافق مع جماعة الزملاء. ثم تطرح عليهم بعض الأسئلة للتفاعل والمشاركة في الموضوع وإبداء الرأي؛ مثل: ما مدى توافق كل عضو مع زملائه؟ وهل هناك اختلاف في العلاقة بينه وبين زملائه في العام الدراسي الماضي والعام الدراسي الحالي؟ وماهي الأسباب؟.

بعد الإصغاء للجميع بمختلف آرائهم. تحاول المرشدة أن تبدي شكرها على صراحتهم وتقديم آرائهم بكل حرية.. ثم تقوم بسرد مجمل الطرق المثلى لإحداث توافق إيجابي مع زملائهم، انطلاقا من تعديل أفكارهم اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية.

كما تطلب المرشدة خلال الجلسة من بعض الأعضاء تمثيل بعض الأدوار التي تجسّد مواقف التوافق الإيجابي مع زملاء مثل: (الانسجام، التعاون، المشاركة..) في الجلوس، المراجعة، اللعب...

وفي الأخير تقدّم المرشدة تشكراتها لتمثيل الأدوار الإيجابية، وتلخّص ما تمّ عرضه خلال الجلسة، مؤكّدة على موعد الجلسة القادمة وموضوعها.

♦ الجلسة الثالثة عشر: المذاكرة

أ. أهداف الجلسة:

- تحسيس التلاميذ بأهمية المذاكرة اليومية.

- تدريب التلاميذ على بعض الطرق الناجعة للمذاكرة.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، الواجب المنزلي.

ج. الأدوات: السبورة.

د. إجراءات التنفيذ:

تستقبل المرشدة أعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على الحضور في الموعد، ثم تقوم بعرض ملخص موجز لما تمّ تقديمه في الجلسة الماضية، بعد ذلك تشرع في تناول موضوع الجلسة الحالية؛ وهو المذاكرة اليومية (ماهيّتها، أنواعها، طرقها، أهميتها في زيادة التحصيل الدراسي والتحضير لامتحان شهادة التعليم المتوسط..)، ثم الإصغاء لكل عضو من أعضاء المجموعة الإرشادية حول طريقته في المذاكرة المنزلية، ومدى فعاليتها في تثبيت المعلومات ورسوخها في ذهن التلميذ.

بعدها تحاول المرشدة إعداد جدول مراجعة على السبورة بمشاركة التلاميذ (الأعضاء)، ويكون أسبوعي ويتوافق مع الجدول الزمني للمواد التي يدرسونها خلال الأسبوع. مع تخصيص فترات للراحة والترفيه. ويكون هناك تقييم للجدول كل نهاية الأسبوع ومدى مناسبتها لظروف التلميذ ووضعيته الدراسية؛ بمعنى إذا كان الجدول يحتاج إلى تقديم أو تأخير في توزيع المواد الدراسية. زمن المراجعة. تكثيف أو تخفيف للمواد....، وتنصح بأن يكون الجدول

مرنا بحيث يتم تعديله كلما شعر التلميذ بحاجة إلى التعديل، خصوصا في فترات الفروض والامتحانات، وحتى في العطل (نهاية الأسبوع، العطل الفصلية). وفي الأخير تطلب المرشدة من أعضاء المجموعة الإرشادية تطبيق برنامج المذاكرة المقترح انطلاقا من هذه الجلسة والالتزام به، وتسجيل ملاحظاتهم حول مدى انسجامه مع ظروفهم، وتقييمهم لمدى نجاعته في الالتزام به على طول السنة الدراسية... هذه الملاحظات تدرج كواجب منزلي يتم مناقشته في الجلسة القادمة.

♦ الجلسة الرابعة عشر: المذاكرة

أ. أهداف الجلسة:

- تدريب التلاميذ على كيفية تنويع أساليب المذاكرة اليومية.

- تدريب التلاميذ على كيفية تقييم المذاكرة أسبوعيا.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة، تمرين.

ج. الأدوات: السبورة، بطاقات جداول المراجعة.

د. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية من جديد، وتشكرهم على التزامهم بالحضور في الموعد المحدد، ثم تقوم بالتذكير لأهم ما تم تقديمه في الجلسة السابقة لتفتح مجال النقاش حول الواجب المنزلي الذي كلفتهم به، مع تقديم تعزيز إيجابي وتغذية راجعة مناسبة.

تدخل المرشدة في موضوع الجلسة الحالية؛ وهو أن تعرض أساليب المذاكرة اليومية (الفردية، نصف الجماعية) وكيفية التنويع فيها، وكذا التطرق إلى التنويع في طرقها (طريقة التسميع، حل التمارين...)، ثم عرض أمثلة حول كيفية التقييم الأسبوعي للمذاكرة من أجل تحقيق فعاليتها في دعم الرصيد المعرفي للتلميذ، وكذا تحسين تحصيله الدراسي.

وفي الأخير تطلب المرشدة من أعضاء المجموعة الإرشادية تعديل برامجهم للمذاكرة (بطاقات جداول المراجعة) كتمرين وفق ما استفادوا منه خلال

الجلسة الحالية، ويتم مناقشته مباشرة للتأكد من تدريبهم على كيفية برمجة حصص المذاكرة اليومية، وطريقة تقييمها بشكل أسبوعي.

♦ الجلسة الخامسة عشر: الإنجاز

أ. أهداف الجلسة:

- أن يتعرف التلاميذ على مفهوم الإنجاز.
- مساعدة التلاميذ على تنمية الإنجاز في حياتهم الدراسية.

ب. الأساليب الإرشادية:

- ♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.
- ♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط، النمذجة.
- ♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. إجراءات التنفيذ:

تستقبل المرشدة أعضاء المجموعة الإرشادية بترحيب وتشكرهم على الالتزام في الحضور ثم تقوم بعرض ملخص لما تمّ في الجلسة السابقة، وتطلب منهم وصف شعورهم (بالإنجاز) لما حققوه من تقدّم خلال الجلسات السابقة، مع تقديم تعزيز إيجابي وتغذية راجعة، ويكون هذا النقاش هو مقدمة لموضوع الجلسة الحالية. حيث تنطرق بعدها إلى مفهوم الإنجاز ومدى أهمية تحقيقه في حياة الفرد لتنمية تقدير الذات لديه.

كما تنطرق المرشدة إلى ذكر بعض النماذج من التلاميذ الذين نجحوا وتفوّقوا بعد إعادتهم للسنة الدراسية وحققوا إنجازا دراسيا معتبرا، وكيف تجاوزوا مرحلة الإحباط التي كانوا فيها، ثم تطلب منهم أن يصف كل واحد منهم الطريقة التي سبّغها لتحقيق الإنجاز المنتظر منه؛ وهو النجاح في شهادة التعليم المتوسط.

تتابع المرشدة حديثهم بإصغاء واهتمام كبيرين مع تقديم تعزيز إيجابي وتغذية راجعة مناسبة لكل عضو بما يعزّز ثقته بنفسه، وتشجعهم على تنفيذ تلك الطريقة المقترحة كمشروع دراسي يمكن تحقيقه في نهاية السنة الدراسية ليكون أهم إنجاز في حياتهم الدراسية الحاضرة.

وفي الأخير تقوم المرشدة بتقييم الجلسة شاكرة الجميع على طرح الأفكار الإيجابية.

♦ الجلسة السادسة عشر: اتخاذ القرار

أ. أهداف الجلسة:

- مساعدة أعضاء المجموعة الإرشادية على إدراك أهمية اتخاذ القرار حول النجاح في شهادة التعليم المتوسط.

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. الأدوات: أوراق بيضاء وأقلام.

د. إجراءات التنفيذ:

ترحب المرشدة بأعضاء المجموعة الإرشادية وتشكرهم على الحضور في الموعد، ثم تقوم بعرض ملخص لما تمّ في الجلسة السابقة، وتطلب منهم وصف مدى تأثير كل جلسة على تقديرهم لذاتهم، ثم تتطرق إلى موضوع الجلسة الحالية؛ وهو كيف يساهم تقدير الذات الإيجابي في اتخاذ قراراتنا وتحقيق إنجازاتنا؟ وكيف نتخذ قرارات صائبة في حياتنا؟ ثم توضح لهم الخطوات العملية لاتخاذ القرار وتتيح لهم إمكانية التدخل وطلب التوضيح لأي عنصر يكتنفه الغموض، أو يمكن التفصيل فيه بطرح أمثلة توضيحية مناسبة.

وفي الأخير تطلب منهم المرشدة أن يدوّن كل عضو قراره حول النجاح في شهادة التعليم المتوسط على ورقة بيضاء ويخط كبير وواضح. ويضعها في محفظته ويطلّع عليها كلما فتح المحفظة للمشروع في المذاكرة اليومية.

♦ الجلسة السابعة عشر: الجلسة الختامية

أ. أهداف الجلسة:

- تقييم البرنامج الإرشادي المطبق على أعضاء المجموعة الإرشادية.

- تطبيق مقياس "تقدير الذات" على التلاميذ (المقياس البعدي).

ب. الأساليب الإرشادية:

♦ المعرفية: الحوار والمناقشة.

♦ الانفعالية: التقبّل غير المشروط.

♦ السلوكية: التعزيز الإيجابي، التغذية الراجعة.

ج. الأدوات: مقياس تقدير الذات.**د. إجراءات التنفيذ:**

تستقبل المرشدة أعضاء المجموعة الإرشادية وترحب بهم وتشكرهم على الالتزام بالحضور في الموعد وتواصلهم الإيجابي طوال مدة تنفيذ البرنامج الإرشادي، وتذكرهم بملخص الجلسة السابقة، وتتعرّف بعده على مدى التزام المجموعة باتخاذ القرار وتطبيق الطريقة التي طلبت تنفيذها ابتداء من الجلسة السابقة، مع تقديم تغذية راجعة مناسبة وتعزيز إيجابي لدعم ثقتهم بأنفسهم وزيادة تقديرهم لذاتهم، ثم تطلب منهم وصف تقييمهم للبرنامج الإرشادي ومدى استفادتهم منه بصدق وموضوعية، وبعدها تطبق عليهم مقياس "تقدير الذات" بشكل جماعي خلال الجلسة، وبعد الانتهاء تقوم بشكرهم على حسن تعاونهم، وتقديم هدايا رمزية كتعزيز إيجابي على مشاركتهم واهتمامهم، منتظرة منهم تنفيذ قراراتهم بشأن النجاح في شهادة التعليم المتوسط.

14 - عرض البرنامج الإرشادي على الخبراء:

بعد أن تمّ تصميم البرنامج الإرشادي في صورته الأولية، تمّ عرضه على مجموعة من الأساتذة والمختصين في مجال الإرشاد والتوجيه لأخذ رأيهم حول:

- مدى تسلسل وترابط خطوات البرنامج الإرشادي.

- مدى مناسبة محتوى البرنامج للهدف الذي أعدّ لأجله.

- مدى مناسبة الإجراءات المستخدمة في البرنامج.

بعد الأخذ بملاحظات وآراء السادة الأساتذة والخبراء على مقترح محتوى جلسات البرنامج الإرشادي، تمّ تحديد عدد جلسات البرنامج بـ (17) جلسة بعد إضافة (05) جلسات لتدعم أهداف البرنامج، كما تمّ تمديد زمن أغلب الجلسات الإرشادية من 60 دقيقة إلى 120 دقيقة.

خاتمة:

يعدّ الإرشاد النفسي بالمدرسة خدمة ضرورية لتنمية الجوانب الإيجابية لدى التلاميذ على المستوى الشخصي والدراسي والاجتماعي، من خلال تقديم برامج إرشادية متنوعة تأخذ بعين الاعتبار خصائصهم النمائية ضمانا لنجاحها وتحقيق فعاليتها.

ومما يزيد من نجاح وفعالية البرامج الإرشادية؛ هو تعاون كلا من الأسرة وإدارة المدرسة مع المرشد النفسي في تقديم المساعدة للتلاميذ، باعتبار أن الإرشاد النفسي عملية تكاملية لكل جوانب الحياة النفسية والتعليمية للمستترشدين.

المراجع:

- 1 - أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (ب.ت). علم النفس الإرشادي. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 2 - أحميم، لوييزة (2011). علاقة إعادة السنة بكل من تقدير الذات، الدافعية للإنجاز والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الأولى متوسط. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر2: الجزائر.
- 3 - الحجري، سامة بنت راشد بن سالم (2011). فاعلية برنامج إرشادي جمعي في تنمية تقدير الذات لدى المعاقين بصريا في سلطنة عمان. رسالة ماجستير غير منشورة في التربية. جامعة نزوى: سلطنة عمان.
- 4 - حسين، طه عبد العظيم (2014). الإرشاد النفسي: النظرية - التطبيق - التكنولوجيا. (ط6). عمان: دار الفكر.
- 5 - الحلبوسي، سعدون سلمان نجم وآخرون (2002). التوجيه التربوي والإرشاد النفسي بين النظرية والتطبيق. مالطا: منشورات ELGA.
- 6 - خضرة، عواطف محمود (2014). التوجيه والإرشاد التربوي المعاصر. (ط1). عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع.
- 7 - خليل، رسمية علي (1968). الإرشاد النفسي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 8 - دردير، نشوة كرم عمار أبو بكر (2010). فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية لدى طلبة الجامعة. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة القاهرة: مصر.
- 9 - الدوسري، صالح جاسم (1985). الاتجاهات العلمية في تخطيط برامج التوجيه والإرشاد. مجلة رسالة الخليج العربي. السنة الخامسة. العدد 15. الرياض.
- 10 - زهران، حامد عبد السلام (2002). التوجيه والإرشاد النفسي. (ط3). القاهرة: عالم الكتب.
- 11 - الزيود، نادر فهمي (2008). نظريات الإرشاد والعلاج النفسي. (ط2). عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- 12 - شعبان، كاملة الفرخ وتيم، عبد الجابر (1999). مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي. (ط1). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

المراجع الأجنبية:

- 13- Bernard, Harold and Fullmer(1969). Principles of Guidance. International Textbook Co.
- 14- Shaw, m(1977). The Development of counseling program priorities. progress and professionalism. the personal and guidance journal. 55(6).



النظام اللغوي و مقتضى الحال و أثرهما في نجاح العملية الاتصالية التواصلية عند الجاحظ من خلا كتابه البيان والتبيين

The Linguistic System And The Appropriateness Of The Case
And Their Impact On The Success Of The Communicative
Process At Al-Jahiz Through His Book Al-Bayan And Al-Tabin

عامر بن شتوح

جامعة عمار ثليجي بالأغواط - الجزائر

ameural73@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-22

تاريخ الاستلام: 2019-04-24

الملخص -

يعتبر البحث في التراث العربي من القضايا الهامة خاصة إذا كان مع عالم بارز متميز أمثال الجاحظ الذي تشهد له أعماله ومؤلفاته بذلك التميز والمكنة والتمكن والذكاء المتقدم، فقد كان رجلا موسوعيا متعدد المعارف والعلوم، خاصة إذا تعلق الأمر بعلم البلاغة، فكان له دور بارز في الاهتمام بها وإعطائها مكانتها المتميزة، فما نهدف إليه في هذه الدراسة هو البحث في قضية وجدنا لها ملامح عند الجاحظ، إنها النظام اللغوي و مقتضى الحال و أثرهما في نجاح العملية الاتصالية التواصلية عند الجاحظ من خلا كتابه البيان والتبيين .

الكلمات المفتاحية-

مقتضى الحال - النظام اللغوي - التواصل - الاتصال - التراث - الجاحظ.

Summary-

The research concerning the Arab heritage is an important issue, especially if it is related to a distinguished and a prominent scholar such as Al-Jhaiz, whose works and writings are characterized by excellence, skill, mastery and sophisticated intelligence. He is considered to be a man of knowledge and science, specifically when it comes to rhetorics. As he has a crucial role in giving it interest and granting it a distinguished place. What we aim at in this study is to search a case that we found features related to Al-Jahiz, it is the linguistic system and the appropriateness of the case and their impact on the success of the communicative process at Al-Jahiz through his book Al-Bayan and Al-Tabin.

key words -

Appropriateness of the case -linguistic system – Communication - Connection- concerning- Al-Jahiz

- و لؤلؤج في خبايا هذا الموضوع طرحنا الإشكالية الآتية.
- هل أشار الجاحظ - فعلا - لهذه القضية؟ وإذا كان الأمر كذلك
- بأية منهجية و رؤية تناولها؟ وما الهدف من هذا الربط بين النظام اللغوي و
- ومقتضى الحال؟
- و للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اتبعنا الخطوات المنهجية الآتية:
- أولا: نبذة مختصرة عن حياة الجاحظ.
 - ثانيا - العلامة اللغوية و النظام اللغوي .
 - ثالثا - الجاحظ و عناصر العملية الاتصالية التواصلية .
 - رابعا - أثر النظام اللغوي و مقتضى الحال في نجاح العملية الاتصالية
- التواصلية عند الجاحظ .

أولا - نبذة مختصرة عن حياة الجاحظ :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني اللبني الشهير بالجاحظ¹ قيل إنه من كنانة وقيل إنه كناني بالولاء، فقد لقب بالجاحظ لجحوظ عينه ونتوئهما مما جعله دميما، كما أن تاريخ ولادته وتاريخ وفاته لا يخلوان من الاضطراب على أن المتفق عليه أنه ولد عام (159 هـ 775م)، ومات عام (255 هـ 868م) أي إنه عاش 96 سنة، وقد شكى هو نفسه كبر السن في قوله عندما ذكر مرضه "وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها".

عاش الجاحظ في العصر العباسي الأول (132هـ - 749م . 232هـ - 847/)، وهو عصر استوعب تراث العصر القديم، فقد ازدادت جذور التواصل في هذا العصر بين هذا التراث وبين الثقافة الإسلامية عن طريق التزاوج بين العرب وغيرهم من الشعوب والسفر والترجمة وكان لنصيب الفرس الحظ الأوفر من هذا التواصل من أي شعب آخر ومن شعوب الأمة الإسلامية ولقد ازداد نفوذ الفرس في هذا العصر وقوي تأثيرهم في مجالات مختلفة من الحياة السياسية والعلمية والأدبية.²

لقد كان الجاحظ موسوعة معرفية متنقلة، وكتبه بحق هي دائرة معارف تنهل منها الأجيال السابقة واللاحقة، كتب في شتى المعارف والعلوم كتب في علم الكلام والأدب والسياسة والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان و الصناعة والنساء والسلطان والجند والقضاة والولاة والمعلمين والخصوص والإمامة وغيرها من الموضوعات.

وكما يقال: "أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا أبو حنيفة في الفقه والخليل في أدبه والجاحظ في

تأليفه وأبو تمام في شعره".³

وكان ابن العميد يقول: "إن الناس عيال عليه في البلاغة والفصاحة واللسان والعارضة"

وكان يقول أيضا: "إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا"⁴

ثانيا - العلامة اللغوية والنظام اللغوي :

تعتبر العلامة اللغوية من أهم الأدوات الإجرائية التي يستعملها المتكلم من أجل إحداث عملية التبليغ والتخاطب أو ما يسمى بالأداء اللغوي ، وهناك من يسميه بالسلوك اللغوي، كون النظام اللغوي عبارة عن شبكة من العلاقات وهذه العلاقات تكون بين مجموعة من العلامات التي تنتظم وترتصف أفقيا أو عموديا في تجاور حينا و في تركيب حينا آخر تأسست مُنْضِدة متكاتفة⁵ حيث يكون هناك تفاعل وانسجام بين الوحدات اللسانية المكونة لتركيب العملية الإبلغية على أحسن وجه ،فهذه الصفة تعطينا شبكة تكون على ترتيب وتنظيم خاص تتصف به الظاهرة اللغوية ،مما يتيح للباحث اللساني الوصول على مقومات الانتظام الداخلي عبر اكتشاف القوانين المحددة لبنية اللغة ،والمحركة لوظيفتها في أن واحد⁶.

والمتتبع لمفهوم النظام اللغوي في الدراسات اللغوية يلاحظ أنه ظهرت عليه تطورات من فترة إلى أخرى حيث أشار إليه اللسانيون التاريخيون إشارة عابرة لم تكن مبنية على أسس نظرية ومنهجية مضبوطة إلى أن جاء دي سوسير فأحسن طرحه وتوضيحه وشرحه ،وبعده استفاد الباحثون و الدارسون في القضايا اللغوية بالطرح الذي جاء به دي سوسير فطوروا مفهوم النظام حتى غدا شاملا للغة والكلام بعد أن كان مقتصرا على اللغة فحسب .

حيث يرى دي سوسير أن اللغة هي مجموع العلاقات الترابطية التناسقية المستقرة في أدمغة المتكلمين باللغة الواحدة⁷ ،فدي سوسير يرى أن اللغة عبارة عن مخزون ذهني يوجد في أدمغة أبناء المجتمع الواحد على شكل علاقات ترابطية بين العلامات اللغوية يحكمها نظام أو نسق لغوي معين.

فقد أشار دي سوسير إلى أن اللغة بمجملها تخضع بشكل أو بآخر لنظام لغوي معين ،فالنظام يعتبر من أهم المفاهيم اللسانية التي أشار إليها الباحثون اللغويون ،ومما لاشك فيه أنه -النظام اللغوي - يمثل الإطار الشكلي والنظري الذي يمكن من خلاله وصف العلاقات القائمة بين العلامات اللغوية المفردة وتركيباتها التي ترد فيها⁸ إلا أن علماء اللغة لم تتوحد رؤاهم حول هذا المفهوم بل اختلفت الرؤى وتعددت في كثير من الأحيان.

و من بين الباحثين العرب عبد السلام المسدي الذي يرى أن اللغة : "جملة رموز متواترة بين أفراد المجموعة البشرية التي تتحول بفعل الرابط اللغوي إلى مجموعة فكرية حضارية ، وهذه الرموز سواء أكانت ملهمة إلهاما أو منبثقة انبثاقا ، فإنها تمثل ضربا من التسليم الضمني بين مستعمليها ، ثم إنها ترتبط فيما بينها بقوانين ، وبفضل هذه القوانين تنصهر الرموز الجزئية في شبكة من القواعد المجسمة لبناء اللغة الكلي"⁹.

ثالثا - الجاحظ وعناصر العملية الاتصالية التواصلية:

هناك نص في غاية الأهمية أشار فيه الجاحظ إلى عناصر العملية الكلامية في كتابه البيان والتبيين انطلاقا من تعريفه للغة كونها مخزونا ذهنيا خفيا محجوبا ، والذي يجلي تلك المعاني الخفية استعمال الناس لها يقول الجاحظ : "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة . لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه ، والمعاون له على أموره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . وإنما يُحي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها ، وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم ، وتجليها للعقل ، وتجعل الخفي ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا"¹⁰...

إن الجاحظ في نصه هذا يؤكد بعبارة واضحة صريحة بوجود نظرية اتصالية لغوية حيث قام فيها بتعريف الرسالة والمرسل إليه والمستقبل والشفرة ، فالرسالة هي "المعاني القائمة في صدور العباد" أما المرسل "فهم العباد" الذي أشار إليه الجاحظ بالفرد أو الإنسان في عزله ، ويطلب الاتصال ، أما المستقبل أو المتلقي فهو الإنسان الآخر في عزله "الذي لا يعرف ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه..." أما الشفرة فهي اللغة التي بها تحيا المعاني الخفية في صدر المرسل¹¹.

فاللغة من وجهة نظر الجاحظ أداة لها مكانتها في حياة الإنسان كونه اجتماعيا بطبعه ، وبالتالي فهو بحاجة ماسة للحديث والتحدث والتواصل مع

غيره من بني جلدته"... وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره" فالإنسان لا يستطيع أن يستعمل اللغة في شقها المنطوق إلا بوجود شريك لإحياء تلك المعاني الخفية في الصدور.

فهذه العناصر تعبر بصدق عن عناصر العملية الاتصالية التواصلية للغة باعتبارها أصواتا يستعملها الإنسان للتعبير عن أغراضه ومقاصده وحاجاته اليومية، وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن جني في الخصائص في باب القول على اللغة، وما هي "أما حدها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹² فاللغة عنده ظاهرة صوتية، وهي أداة للتعبير عن الحاجات والأغراض والمقاصد.

وهناك من يعرف اللغة بأنها نظام من العلامات الصوتية الاختيارية يتواصل بواسطتها الأفراد، كون اللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك أفراداه في اتباعه واتخاذها أساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم لأجل التفاهم مع بعضهم بعضا¹³ فأدوارد سابير يرى أن اللغة "طريقة أساسية مكتسبة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام معين من الرموز اختاره المجتمع وتعارفوا عليه"¹⁴ وهكذا يظهر لنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية وجدت للتخاطب والتواصل، فهي الجاحظ يشير إلى ذلك إذ يعتبرها إحدى أهم وسائل الاتصال فهو يرى أن ما هو مكنون في صدور الناس يظهر على السطح عن طريق الاستعمال... وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها "...و بالتالي الجاحظ يرى أيضا أن اللغة ظاهرة صوتية منطوقة.

إن عناصر العملية الاتصالية التي تكلم عنها الجاحظ تقترب في مجملها من رؤية رومان جاكسون¹⁵ الذي يرى أن التواصل لا يتحقق إلا بتوفر مجموعة من العوامل جاءت على النحو الآتي :

1- -إنسان مرسل destinateur

2- -إنسان ملتقط destinataire

3- -إقامة الاتصال بين المرسل و الملتقط la contexe

4- -لغة مشتركة يتكلمها المرسل و الملتقط معا code

5- -مرسلة لغوية message

6- محتوى لغوي ترمز إليه المرسلات contexte

ويمكننا أن نقدم عملية التواصل في الخطاطة الآتية :

المحتوى/السياق (الوظيفة المرجعية)

مرسل (وظيفة تعبيرية) مرسلات (الرسالة/الوظيفة الشعرية)
.....ملتقط (مستقبل/الوظيفة الندائية)

الاتصال (الوظيفة الانتباهية)

الشفرة (اللغة/الوظيفة اللفظية)

فالدكتور محمد محمد الحسيني العشري يرى أن عناصر السياق اللغوي المكونة للحدث اللغوي عند اللغويين العرب المحدثين¹⁶ تشتمل على ما يلي وهي في عمومها تقترب من العناصر السابقة عند الجاحظ :

- أولا: الوحدات الصوتية و الصرفية و الكلمات التي يتحقق بها التركيب و السبك.

- ثانيا: طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب .

- ثالثا: طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل، أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، و ظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثل في النبر و التنغيم و الفاصلة الصوتية (الوقف).

رابعا - أثر النظام اللغوي ومقتضى الحال¹⁷ في نجاح العملية الاتصالية التواصلية عند الجاحظ :

و من الأقوال التي استحسناها أبو عثمان (الجاحظ) وهو قول متميز جامع مانع لمفهوم البلاغة ، فأشارة إشارة واضحة إلى أن نجاح عملية التخاطب و التواصل و الاتصال بين الناس لا يكون من جهة المتكلم فقط بل أيضا يكون من جهة المتلقي: "يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إلهام الناطق، و لا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"¹⁸ انطلاق من القول السالف الذكر يمكننا نستشف أمرا هاما يرتبط ارتباطا مباشرا بنجاح العملية التخاطبية أشار إليهما الجاحظ ، ألا و هو بلاغة المتكلم و المتلقي فكلاهما شريك في عملية الفهم و الإلهام، فعلمية الفهم و اللفهام تتطلب منهما أن يشتركا في جملة من

الأمر على نحو: قوانين اللغة المستعملة ،و السياق الثقافي،والسياق العاطفي،إضافة إلى مقتضيات وظروف وملابسات الحدث اللغوي....

كما أدرك الجاحظ أن هذه اللغة التي يستعملها المتخاطبون،تحتاج إلى نظام لغوي داخلي يضبط هذه العلامات المكونة للكلام سواء كانت مفردة أو مركبة،فهو لَوَحٌ في أكثر من موضع إلى نظامية اللغة ،باعتبار أن لها نظاما داخليا يسير وفقه المتكلم مرتبطا بسياق مقامي معين .

يقول الجاحظ في الجزء الأول من البيان والتبيين "والصوت هو آلة اللفظ ،و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ،وبه يوجد التأليف ،ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ،ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف .."¹⁹ إنه يرى أن الدلالة اللفظية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت هناك علامات صوتية تكون على ترتيب و نظام معين ،فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحقق التلفظ إذا لم يظهر الصوت اللغوي،وذلك باعتبار اللغة البشرية الطبيعية ظاهرة نفسية وصوتية بامتياز.

وها هو نص آخر يتكلم فيه الجاحظ عن مفهوم النظام اللغوي و الدور الذي تلعبه الوحدات اللغوية في الدورة الاتصالية التواصلية عند تأليفها وتنظيمها،حيث إذا لم تقع اللفظة في موقعها الخاص بها اختل النظام ،وبالتالي لم يفهم المعنى المراد تبليغه للسامع يقول في ذلك: "...وتجد اللفظ لم تقع موقعها و لم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسوم لها ،و القافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ،ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها ،نافرة من موضعها ، فلا تكرها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها،فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور،لم يعبك بترك ذلك أحد..."²⁰

يمكن القول بأن الجاحظ كان عارفا بفكرة النظام اللغوي الذي تسير عليه اللغة انطلاقا من الوحدات اللغوية فأى إخلال بالنظام اللغوي يؤدي إلى تنافر و اضطراب بين الكلمات المستعملة ،بحيث أن النظام اللغوي هو الذي يفرض على الوحدة اللغوية مكانها اللائق بها ،أما إذا وضعت في غير مكانها نفرت من جاراتها " فلا تكرها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها " .

كما أن الجاحظ في نصه السابق يضع بعض القيود تسمح للشاعر أو الناثر بتنظيم الكلام وتأليفه ، و لبلوغ هذا عليهما أن يكونا على درجة عالية من الفصاحة (فصاحة المتكلم) وهي صفة راسخة ومتمكنة في نفس المتكلم تعطيه القدرة على التعبير ، وحسن تأليف الكلام ونظمه ، عما يجول في خاطره من الأغراض والمقاصد ، ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة ، كثير الإطلاع على كتب الأدب ، عارفا بأسرار أساليب العرب كما يكون حافظاً لعيون كلامهم من شعر جيد ونثر مختار عالماً بأحوال الشعراء والخطباء²¹.

وما يلفت الانتباه إلى أن أبي عثمان أكد على أن العلامة اللغوية إذا لم تقع في موضعها الصحيح في النظام اللغوي أحدثت تنافراً بين العناصر اللغوية داخل التركيب (الجملة) ، بالإضافة إلى استئصال اللسان لها ، حيث يجد مؤونة ومشقة عند النطق بها "لأنه إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ، وإذا كانت الكلمة (العلامة اللغوية) ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عن إنشاد ذلك الشعر مؤونة"²².

أما إذا كانت الوحدات اللغوية متفقة ، واقعة في موضعها إلى جنب أختها ، سهولة المخارج ليس بينها شيء من التنافر حتى تغدو الكلمة عبارة عن حرف واحد و البيت من الشعر بكامله عبارة عن كلمة واحدة "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكا واحداً ، فهو يجري - الشعر - على اللسان كما يجري الدهان ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة مُلساً ولينة المعاطف سهلة ، تراها مختلفة متباينة ، و متنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان و تكُدهُ ، و الأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسلة النظام خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"²³.

في النص شيء يدعو إلى التوقف ، وهو قول الجاحظ "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكا واحداً ... " فقد شبه الكلام المنظوم بالمعادن المسبوكة سبكا ثم إفراغها وتشكيلها وفق تجانس وحدات المادة المعدنية المسبوكة ، وحسب تشكيل الصانع لها طبعاً في

قالب أرادته لها ،أما في الكلام يعني دقة ربط أجزائه وفق ما يتطلبه التركيب اللغوي من نحو وإعراب ،فالسبب عنده يكون بين الحروف أولا ثم بين الكلمات ،ثم بين الجمل،هذا يؤدي إلى تألف وتجانس بين الوحدات اللغوية ،وبالتالي يسهل على اللسان النطق بذلك ،وهذا يحقق نوعا من الانسجام بين المتكلم و المتلقي "فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا،وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ،و منزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ،صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"²⁴ وبذلك نجد أن السبب يعني حسن الصياغة و إحكام النظم و جودة في الانتقاء و الاختيار للمفردات اللغوية مع ضرورة مراعاة قوانين وقواعد اللغة المستعملة.

والكلام حتى تتوفر فيه صفة النظام لابد أن يكون سلسا خفيفا على اللسان، فهو ليس مجرد رصف أو جمع لكلمات ،فعلى المخاطب أن يتدرب و يتمرن على ذلك جيدا حتى يستطيع تنظيم الكلام و تأليفه "والإنسان بالتعلم والتكلف ،بطول الاختلاف إلى العلماء ،ومدارسة كتب الحكماء ،يجود لفظه و يحسن أدبه ،وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم ،و في فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير..."²⁵.

هذا يعني أن هذه الوحدات اللغوية تتألف حسب مجموعة العلاقات من أجل تحقيق مجموعة من الوظائف على رأسها الاتصال و التواصل ،وفي هذا يقول أندري مارتيني(a.martinet)مشيرا إلى وظيفة اللغة "بأنها أداة اتصال و تواصل،يتم من خلالها تحليل التجربة الانسانية إلى وحدات صرفية تدعى المونيمات monèmes التي تخضع لمحتوى دلالي و لتعبير صوتي مميز،و هذا التعبير يلفظ بدوره بوحدات صوتية مختلفة متتابعة،تسمى الفونيمات phonemes التي لها عدد محدود في كل لغة،بحيث تختلف طبيعتها و علاقتها المشتركة من لغة إلى أخرى"²⁶وعليه تقيم العلامات اللغوية فيما بينها علاقات فتتعرف كل علامة أو وحدة لغوية على الوحدات الأخرى التي تشترك معها في تركيب ما ،وبناء على ذلك فإن أي وصف دقيق للغة يستلزم منا الاعتماد على بيان العلاقات بين هذه الوحدات اللغوية²⁷.

إذن إن النظام اللغوي يمكننا اعتباره مجموعة من الوحدات التي تقوم بينها مجموعة من العلاقات تربط بعضها ببعض، فإن أي تغيير لأحد هذه الناصر ينجر عنه تغيير في النظام كله²⁸.

كما أن النظام هو الصياغة النهائية للوحدات اللغوية التي تمنح المنظومة الكلامية قيمتها الدلالية، في إطار بما يسمى بعلاقات الاختلاف و التقابل بين وحداتها، وهذا يؤكد أن العلامة ليس لها قيمة (قيمة) إذا لم تكن مع بقية الوحدات أو العلامات التي تكون لنا نسقا أو نظاما بين هذه الوحدة والوحدات الأخرى المجاورة لها

يبدو أن الجاحظ كان على دراية بالدور الوظيفي الذي يلعبه النظام اللغوي اتجاه وحداته اللغوية، وهذا يظهر حينما يؤكد في أكثر من موضع من البيان والتبيين إلى أن اختيار الألفاظ وتركيباتها لابد أن يؤول في نهاية المطاف إلى نظم (texture) مسبوك ومؤتلف موافق لقواعد النظام وقواعد الإيجار التي تفرضها علاقات التأليف لأن الكلمات السابقة - في نفس التركيب اللغوي - تفرض ظروفها على اللاحقة فتقرر ما يناسبها و تبعد ما يتنافر معها²⁹.

هناك قضية أشار لها الجاحظ لها علاقة بالنظام اللغوي و إثره في نجاح الحدث اللغوي، إنها نظم القرآن الكريم³⁰، وكيف يفرق بين كلام البشر من شعرونثرو بين القرآن الكريم، كما أكد فيه أن القرآن إعجازه ينجلي لنا في نظمه وتأليفه يقول: "ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جمع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون و المنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان، وتأليفه من أكبر الحجج"³¹.

و الجاحظ من بين أولئك الأوائل القلائل الذين استخدموا كلمة نظم³² كمصطلح يدل على تأليف الكلام وصياغته، وقال بأن القرآن يستعمل اللفظ في المكان المناسب واللائق به ولا يضع لفظا مكان آخر وإن تقاربا في المعنى مع مراعاة سباب نزول الآيات القرآنية (مقتضى الحال) يقول: "و قد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها و غيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك

وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب و يذكرون الجوع في حال القدرة و السلامة. وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. و الجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال...³³

فالجاحظ في نصه السابق أكد على أمر له وظيفته الهامة في نجاح العملية الاتصالية التواصلية ألا و هي ضرورة استعمال اللفظ المناسب في مقتضى الحال³⁴ المناسب، ضاربا أمثلة توضيحية من القرآن الكريم باعتباره النص الأول من حيث البلاغة والفصاحة

فالصواب والخطأ اللذان يوصف بهما نظم و ترتيب الكلام يرجعان في حقيقة الأمر إلى توخي الناظم من معاني النحو فأصاب به موضعه أو عامله بخلاف هذه المعاملة، فأزاله عن موضعه واستعمله في غير ما ينبغي³⁵. باعتبار أن "اللغة تقتضي بالضرورة قوانين تسييرها وتحفظ انتظامها"³⁶، و تأليفها، و على المتخاطبين ان يحسنوا قوانين اللغة التي يستعملونها.

وقد ألفينا عددا من النصوص تثبت أن الجاحظ، قد كان من السباقين إلى اكتشاف الدور الكبير الذي يلعبه النحو وأبوابه في تنظيم الكلام و سبكه سواء كان موزونا أو منثورا يقول الجاحظ: "...ويقولون أصاب الهدف، إذا أصاب الحق في الجملة..."³⁷ فالجملة لا تبنى من فراغ بل تتطلب معرفة بالنحو وأبوابه ويقول في نص آخر ملمحا إلى وجوب التمييز بين المعاني النحوية: "...وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة، و إلى تمام الآلة و إحكام الصنعة، و إلى سهولة المخرج و جهازة المنطق، و تكميل الحروف و إقامة الوزن..."³⁸ ويقول في نص آخر: "و لأهل المدينة ألسن ذلقة، و ألفاظ حسنة، وعبارة جيدة، و اللحن في عوامهم فاش و على من لم ينظر في النحو منهم غالب"³⁹.

في النص السابق لوح الجاحظ إلى قضية جد هامة متمثلة في تلك العلاقة الموجودة بين اللغة ونظامها، فعلى مستعمل اللغة أن ينبته إلى هذه العلاقة الحذرة، و يحسن استعمال قوانين اللغة بمختلف مستوياتها، من أجل إنجاح العملية الاتصالية التواصلية.

كما أن الجاحظ أولى أهمية كبيرة لمقتضى الحال⁴⁰ باعتباره عاملا مؤثرا في بناء و فهم الخطاب، وبالتالي اختيار العلامات اللغوية مرهون بذلك المقام، فلكل مقام مقال، و من بين الباحثين الذين أشاروا إلى مفهوم المقام مالمينوفسكي الذي لم يكن يعلم وهو يصوغ مصطلحه الشهير: context of situation أنه مسبق إلى هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها.⁴¹ فالمعنى العام للكلام في بعض الأحيان لا يتضح بمجرد النظر إلى المقال (أو ما يسمى بالسياق اللغوي)، فالمقام يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى الرسالة - وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلا كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا أو نريد توصيله⁴²، لأن مقتضى الحال سابق للمقال و عليه الكلام يصاغ بمقتضاه⁴³، فالمتكلم لا يمكنه الخروج عن ظروف و ملاسبات هذا الحال.

حيث اهتم الجاحظ بجملة من الحثيات التي تصنع خطابا كلاميا، فتفطن لها ودعا إليها قائلا: "...فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، إما عند العامة إن كنت للعامة أردت. و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. و إنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال⁴⁴، وما يجب لكل مقام من المقال و كذلك اللفظ العامي و الخاصي. فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، و لطف مداخلك، و اقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، و تكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتف عن الدهماء، ولا تجفوا عن الأكفاء، فأنت البليغ التام".⁴⁵

نستخلص من كلام الجاحظ السابق أنه يدعو إلى ضرورة حسن اختيار الألفاظ مع ذكره لمواصفات معينة لذلك

اللفظ (رشيqa، عذبا، فخما، سهلا، مكشوقا، معروفا)، مع مراعاة الطبقة التي نوجه إليها الخطاب، وأن شرف ووضاعة المعنى لا يرتبط بالطبقة الخاصة أو العامة، وإنما مدار الشرف كل الشرف مرهون بتوخي معاني النحو والفائدة التي يحسن السكوت عنها مع مطابقة ومقتضى الحال الذي تجرى فيه العملية التخاطبية.

و في نص آخر أكد الجاحظ على أمر هام يرتبط بأحوال من مخاطبهم من حيث الميولات والتكوين الثقافي، كما يجب علينا أن نعرف أقدار المعاني من إطناب وإيجاز، فهذا بشر بن المعتمر موصيا المتكلم: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..."⁴⁶، ليس هذا فقط فالجاحظ لم يراع حال المخاطب فحسب بل تنبه إلى شيء آخر في غاية الأهمية، كونه راعى أيضا حال المتكلم، فهو يرى أنهما متساويان في إنجاح العملية الاتصالية التواصلية، ولهذا قال: "المفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن إلا المفهم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم، هكذا ظاهر هذه القضية..."⁴⁷. إذن نجاح العملية التخاطبية ليس مرهونا بصحة النظام اللغوي الذي نستعمله فحسب بل أيضا الناطق و السامع بتعبير الجاحظ شريكان في الفهم و الافهام أو في البيان و التبيين، مع التقيد بمقتضى الحال الذي قد يفرض علينا معان معينة تنسجم مع ما نصبو إليه للتعبير عن مكنوناتنا وحاجاتنا، لذلك قالوا "لكل مقام مقال" فالمقال و المقام نعتقد أنهما وجهان لعملة واحدة حيث يصعب فصل هذا عن ذلك، وأن المقام (مقتضى الحال) باعتباره المجريات والأحداث و الملابس التي تسهم في إنتاج الكلام (بشقيه سواء كان نصوصا منطوقة أو مكتوبة)، و عليه ففهم و نجاح العملية الاتصالية لها علاقة مباشرة بهذا المقام.

خاتمة:

انطلاقاً من تلك النصوص التي استشهدنا بها على قضية ركز عليها الجاحظ في سفره البيان والتبيين، ومحاولة استنطاقها (النصوص) لمعرفة أثر النظام اللغوي و مقتضى الحال في نجاح و فهم العملية الاتصالية التواصلية، فمن بين أهم النتائج التي توصلنا إليها، ما يلي:

- الجاحظ استخدم مفهوم النظم والنظام إشارة إلى قوانين وقواعد اللغة لما لهما من أهمية بالغة في بناء عماية التواصل .

- أكد الجاحظ على ضرورة أن يكون الناطق والسماع شريكين في النظام اللغوي المستعمل أثناء الحدث الكلامي .

- دعا الجاحظ إلى حسن الاختيار والانتقاء للألفاظ بمواصفات ترتبط بمقتضى الحال ،لها أثرها في نجاح العملية الكلامية، فعلى المتكلم الانتباه لذلك.

- التركيز على عناصر العملية الكلامية كونها آليات جد هامة في بناء وإنجاح العملية الاتصالية والتواصلية.

- دعا الجاحظ المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ،ويوازن بينها ،وبين أقدار المستمعين.

- يرى الجاحظ أن مقتضى الحال عامل له أثره في صحة المعاني و فهمها، فهو يرى ضرورة مطابقة مقتضى الحال لتلك الألفاظ.

- نبه الجاحظ إلى أن كلا من المخاطب والسماع أن يكونا على علم بأحوال بعضهما قبل إحداث عملية الاتصال أو التواصل.

- هوامش الدراسة:

- 1 - خير الدين الزركلي، الأعلام: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط9، ج5، ص74.
- 2 - ينظر: عبد الحكيم حسان، الأدب المقارن والتراث الإسلامي، مكتبة الأدب، القاهرة، 1998، ص23.
- 3 - عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، صص284.
- 4 - نفسه، 185.
- 5 - ينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 33 .
- 6 - ينظر: نفسه، ص 30.

- 7 - ينظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، النادي الأدبي الثقافي، 1987م، ص 30.
- 8 - ينظر: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا [مقال حول بعض المفاهيم والأبعاد تر: سيزا قاسم، ج 1، ص 38.
- 9 - اللسانيات وأسسها المعرفية، ص .
- 10 - البيان والتبيين، ج 1، ص 75.
- 11 - ينظر: المرايا المقفلة، ص 223 .
- 12 - بن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوقيفية، 1418هـ، ج 1، ص 44.
- 13 - ينظر : عطية سليمان أحمد، الجاحظ والدراسات اللغوية، مكتبة زهراء الشرق، 1994م، ص 31.
- 14 - إسماعيل مغولي [مقال] اللغة ودورها في عملية الاتصال - مجلة الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط، العدد 02، 2004م، ص 122.
- 15 - للاستطلاع على دورة التواصل ووظائف اللغة عند رومان جاكسون يمكن الرجوع إلى: علا بن العزمية و فاطمة الخلوفي، ديداكتيك التعدد اللغوي (مقاربة سيكوسوسيولسانية) منشورات عالم التربية، الدار البيضاء المغرب، 2016، ص 12 - 13 - 14. و من بين النصوص التي تشير إشارة واضحة إلى العناصر التي ذكرها محمد محمد الحسيني العشري، ما يلي: "فأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري - الشعر - على اللسان كما يجري الدهان، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة مُلساً ولينة المعاطف سهلة، و تراها مختلفة متباينة، و متنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان و تكُدُّ، و الأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسلة النظام خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد". البيان والتبيين، ج 1، ص 66.
- 16 - أمثال: تمام حسان، كمال بشر، محمود السعمران....
- 17 - للإطلاع على مفاهيم و إجراءات مقتضى الحال، ينظر: أطروحة دكتوراه موسومة بـ: سياق الحال في الفعل الكلامي (مقاربة تداولية)، إعداد الطالبة: سامية بن يامنة، جامعة، جامعة وهران، 2011 - 2012، ص 21 - 100.
- 18 - البيان والتبيين، ج 1، ص 87.
- 19 - البيان والتبيين، ج 1، ص 79.
- 20 - البيان والتبيين، ص 138 .
- 21 - ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 4، 2002م، ص 34 - 35.

- 22 - البيان والتبيين، ج1، ص 66 .
- 23- نفسه، ج1، ص 66 .
- 24 - البيان والتبيين، ج1، ص 83 .
- 25- نفسه، ج1، ص 86. هناك نصوص أخرى للجاحظ حاملة لنفس المعنى، مثلاً: ج1، ص 44 - ج3، ص 14.
- A.martinet.Elemens de linguistique générale ,Armand colin. Paris.1970
26p/20
- 27 - ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دائرة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص 44.
- 28 - ينظر: نفسه، ص 53.
- 29 - ينظر: الخطيئة والتكفير، ص 40 .
- 30 - فالجاحظ رفض فكرة أستاذه النظام الذي قال بأن البشر بإمكانهم الإتيان بكلام يضاهي القرآن لكن الله صرفهم عن ذلك، وسمى مذهبه هذا بالصرفة حيث تصدى لها، ينظر: صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص 122 - 123.
- 31 - البيان والتبيين، ج1، ص 383.
- 32 - النظم لغة: جاء بمعنى الجمع والضم والنظام والربط والتأليف، والذي يراد به ضم الكلمات المتخيرة على الوجه الذي يقتضيه المنطق وفي لسان العرب هو: التأليف نظمه ينظمه نظماً ونظاماً ونظمه فأنظمه ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمه ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرينة بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض فقد نظمته والنظم: المنظوم وصف بالمصدر والنظم ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما. (لسان العرب مادة نظم).
- 33 - البيان والتبيين، ج1، ص 20.
- 34 - تجدر الإشارة إلى أن هناك مفاهيم تقترب من مفهوم مقتضى الحال عند علماء البلاغة وغيرهم من علماء النحو والأصول، فوجدناها (المفاهيم) مستعملة و مبنوثة في دراسات الباحثين والدارسين المهتمين بمثل هكذا موضوعات، نذكر منها: المقام، الموقف، الموضع، سياق الحال، حيث صعب التفريق بينها في كثير من الدراسات والأبحاث والمؤلفات، حيث لم يستعمل الجاحظ مفهوم المقام فقط للتعبير عن الملابس والظروف التي تسهم في إنجاح العملية الاتصالية التواصلية بل استعمل أيضاً مفهوم (مقتضى الحال) ص 93، والموقف ص 116، والموضع ص 88 البيان والتبيين ج1. التي أراد بها المقام. إلا أن المقام هو الغالب في الاستعمال عنده.
- 35 - الدلائل، ص 65.
- 36 - اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 31.
- 37 - البيان والتبيين، ج1، ص 148 .

- 38 - نفسه، ج1، ص14 .
- 39 - البيان والتبيين، ج1، ص146 .
- 40 - إنه يتمثل في العناصر غير اللغوية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخطاب الكلامي بهدف تبليغ المعنى المراد إلى متلق يقول تمام حسان في ذلك: "هذا هو المقصود بفكرة المقام، فهو يضم المتكلم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة relevant في الماضي والحاضر ثم التراث والفولكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعات ... ينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها مبناها، نشر وتوزيع و طبع، عالم الكتب ، ط4، 2004م، ص352 .
- 41 - اللغة العربية معناها و مبناها ، ص 372 .
- 42 - نفسه، ص346
- 43 - محمد محمد الحسيني العشري، سياق الحال (دراسة نظرية تطبيقية) القسم في القرآن الكريم أنموذجاً، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر، ط1، 1014، ص22. وتجدر الإشارة إلى أن محمد محمد الحسيني العشري فرق بين مصطلحي مقتضى الحال و سياق الحال (الموقف) كون هذا الأخير يستعان بعناصره في فهم الكلام بعد إنتاجه ،و عليه يصبح المقال جزءاً من هذا السياق و ليس منفصلاً عنه، ينظر: نفسه، ص22.
- 44 - كلمة الحال هي من الجذر اللغوي (ح. و. ل) بمعنى: "كينة الإنسان و هو ما كان عليه من خير أو شر يذكر و يؤثّر، و الجمع أحوال و أحولة" ابن منظور ، لسان العرب، مادة (ح. و. ل). أما اصطلاحاً فقد عرفه التهانوي: "و الحال في اصطلاح أهل المعاني ، هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال...و على هذا فهو : علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم، حيث يجعلون الحذف و الذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال" كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص125.
- 45 - البيان والتبيين، ج1، ص136 .
- 46 - البيان والتبيين، ج1، ص 138 - 139
- 47 - نفسه، ص 11 - 12.
- قائمة المصادر والمراجع:
- 1 - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط4، 2002.
- 2 - الجاحظ (أبو عثمان) - البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، دت.
- 3 - الجرجاني عبد القاهر - دلائل الإعجاز، تح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط1، 1995.

- 4 - بن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوقيفية، 1418هـ، ج1.
- 5 - حمودة عبد العزيز - المرايا المقعرة، مطابع الوطن، الكويت، 2001.
- 6 - محمد محمد الحسيني العشري، سياق الحال (دراسة نظرية تطبيقية) القسم في القرآن الكريم أنموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، د.ط.
- 7 - ابن منظور (محمد بن مكرم) - لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1994
- 8 - عبد الحكيم حسان، الأدب المقارن والتراث الإسلامي، مكتبة الأدب، القاهرة، 1998.
- 9 - عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، النادي الأدبي الثقافي، 1987.
- 10 - عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 11 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر أوت 1986م، د.ط.
- 12 - علاء بن العزيمة و فاطمة الخولي، ديداكتيك التعدد اللغوي (مقارنة سيكوسوسيولسانية) منشورات عالم التربية، الدار البيضاء المغرب، 2016
- 13 - عطية سليمان أحمد، الجاحظ والدراسات اللغوية، مكتبة زهراء الشرق، 1994.
- 14 - صالح بالعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- 15 - التهانوي - كشاف اصطلاحات الفنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1977.
- 16 - تمام حسان، اللغة العربية معناها مبناها، نشر وتوزيع وطبع، عالم الكتب، ط4، 2004.
- 17 - خير الدين الزركلي، الأعلام: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط9، ج5
- 18 - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دائرة الأمل للطباعة والنشر و التوزيع، 2005.

أطروحات:

- 1 - أطروحة دكتوراه موسومة ب: سياق الحال في الفعل الكلامي (مقارنة تداولية)، إعداد الطالبة: سامية بن يامنة، جامعة، جامعة وهران، 2011 - 2012.

المقالات:

- 1 - إسماعيل مغولي [مقال] اللغة ودورها في عملية الاتصال - مجلة الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط، العدد 02، 2004.
- 2 - سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقة [مقال] حول بعض المفاهيم والأبعاد تر: سيزا قاسم، ج1.

ومراجع باللغة الأجنبية

linguistique générale, Armand colin. Paris. 1970 A.martinet. Elemensde



المنظور الشرعي والتكييف القانوني للجريمة الإرهابية.

دراسة مقارنة

The Islamic Legislation Perspective and the Legal Adaptation of the Terrorist Crime A Comparative Study

فلام مصطفى، محمد حديون

1 - السنة الثالثة دكتوراه ، تخصص شريعة وقانون، جامعة غرداية

2 - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية،

جامعة غرداية.

-أستاذ محاضر قسم أ/ جامعة غرداية

رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

mokakou2@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-07-09

ملخص -

تناول البحث المعنى العام للجرائم الإرهابية في منظور التشريع الجنائي الإسلامي من خلال تتبع لفظ الإرهاب ومشتقاته في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعند فقهاء التشريع الجنائي الاسلامي، وكذا تصنيف الجريمة الإرهابية ومقارنتها بالحربة والشروط المنصوص عليها في القرآن الكريم وفي الفقه الجنائي الاسلامي.

كما تناول المقال الجريمة الإرهابية سواء من حيث التصنيف والاشكال في القوانين والتشريعات الوضعية العربية والغربية ومقارنة هذه التشريعات، وكذا مختلف النصوص الجنائية المجرمة لل فعل الارهابي، ثم صور وأشكال الجريمة الإرهابية الحديثة مثل القتل والاغتيال والتفجيرات وخطف الطائرات.

ومن هنا فان الدراسة ركزت على مقارنة الجريمة الإرهابية في معناها وصورها ونصوصها في التشريع الجنائي الاسلامي خصوصا مفهوم الحربة وما يتطابق ويختلف منها مع الجريمة الإرهابية، وبين قانون العقوبات الجزائري خاصة والقوانين الوضعية المختلفة من جهة أخرى

الكلمات المفتاحية -

المنظور الشرعي - التكييف القانوني - الجريمة الإرهابية - المقارنة

Abstract-

The Study Dealt With The General Meaning Of The Terrorist Crimes In The Perspective Of Islamic Criminal Legislation By Following The Term Of Terrorism And Its Derivatives In The Holy Qur'an And The Sunnah Of The Islamic Propagation, As Well As The Classification Of Terrorist Crimes And Their Comparison With The Crimes And Conditions Stipulated In The Holy Qur'an And Islamic Criminal Jurisprudence.

The Article Also Dealt With Terrorist Crimes, Both In Terms Of Classification And In The Laws And Regulations Of The Arab And Western Situation, As Well As The Various Criminal Texts Criminalizing The Terrorist Act, As Well As Images And Forms Of Modern Terrorist Crimes Such As Murder, Assassination, Bombings And Hijacking.

Hence, The Study Focused On Comparing Terrorist Crimes In Terms Of Their Meaning, Images And Texts In Islamic Criminal Legislation, Especially The Concept Of Barbarism And What Is Identical With And Different From Terrorist Crimes, And The Algerian Penal Code, In Particular The Various Statutes,

Key Words-

Islamic Perspective - Legal Adaptation - Terrorist Crime - Comparative

مقدمة

لا شك أن تتعدد الجرائم وتختلف باختلاف الأفعال والوقائع المكونة لها، والتي تعتبر الركن المادي والفعلي للجريمة، وأن هذه الأفعال تحدد طبيعة العقوبة المقررة لكل جرم بحسب شدة وخطورة وجسامته الضرر الناتج عن العمل الإجرامي، فكلما كان الجرم الناجم عن هذا التصرف الإجرامي شديداً وذا أثر بالغ كان العقاب المقرر له أشد وأقسى من الأفعال أقل خطورة وأيسر أثراً.

كما أن الأثر المترتب عن هذا الفعل الإجرامي يحدد طبيعة الجرم وتصنيفه ويعطيه الوصف والتكييف القانوني، مما يوجب تحديد العقوبة بحسب هذا الوصف وهذا التكييف.

وتعتبر الجريمة الإرهابية من أشد الجرائم خطورة وأكثرها تهديداً للأمن وسلامة وطمأنينة المجتمع، والحفاظ على وحدته سواء في التشريع الجنائي الإسلامي أو مختلف القوانين الوضعية والتشريعات الجنائية، لما يترتب عنها من مساس بكيان الفرد وسلامته، وما تخله من رعب وخوف ودمار يصعب أو يستحيل جبره، الأمر الذي كان دافعا لتوقيع أقسى العقوبات على هذا الفعل الإجرامي سواء في التشريع الجنائي الإسلامي - حتى وإن اختلفت التسمية - أو في جل التشريعات والتفinitionات الجنائية الوضعية.

ومما سبق نجد أنفسنا أمام إشكالية مفادها: إلى أي مدى وافق الوصف الشرعي في التشريع الجنائي الإسلامي للجريمة الإرهابية التكييف القانوني لها في التشريعات الوضعية؟

وقد أجننا عن هذه الإشكالية من خلال تقسيم البحث إلى مطلبين، المطلب الأول تناولنا فيه الجريمة الإرهابية في التشريع الجنائي الإسلامي من حيث المفهوم والحكم الشرعي لها مقارنة بالحاربة، أما المطلب الثاني فخصص للجريمة الإرهابية في التشريع الجنائي الوضعي خاصة موقف المشرع الجزائري المتجسد في قانون العقوبات.

المطلب الأول: الجريمة الإرهابية في التشريع الجنائي الاسلامي.

الفرع الأول: مفهوم الجريمة الإرهابية.

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للإرهاب.

الإرهاب هو الازعاج الاخافة: وَرَهَبَ -يَرْهَبُ- رَهْبَةً -رَهَبًا -رُهْبًا - رَهْبًا -: خاف، أو مع تحرز¹.

وكلمة الإرهاب كلمة مشتقة أقرها مجمع اللغة العربية من الفعل "رَهَبَ" بمعنى أخاف، وكلمة إرهاب هي مصدر من الفعل "أَرَهَبَ".

وأرهبه بمعنى خوفه، وأرهب بمعنى ركب الرهب أي ما يستعمل في السفر من الابل، ويقال "رهبوت خير من رحموت" أي لا ترهب خير من ان ترحم. والإرهاب مصدر "أَرَهَبَ" أخاف، خَوْفًا، رَوْعًا، فهو الاخافة والترويع يستعمله بعض المعاصرين بمعنى التخويف والتفزع أو يستعمله البعض الآخر بمعنى الابتزاز والاخذ، وكلمة تهويل أولى بهذا المعنى.

وقد تستعمل بمعنى إلقاء الخوف الجماعي وخلق جو من الذعر والترهب: التعبد أي من العبادة، وتضمن الخضوع والخوف والإرهاب². ويطلق وصف الإرهابي على من يسلك سلوك العنف والإفزاز والإرهاب لتحقيق أهداف سياسية، وهو ذات المعنى الذي يقوله الزمخشري: "إن الإرهاب من فعل "رَهَبَ"، والاسم الرهبة، وفي المنجد أن الإرهابي من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته.

والحكم الإرهابي نوع من الحكم يقوم عل الإرهاب والعنف تعمد اليه الحكومات او جماعات مسلحة³

¹ - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، 1938م، ج1، ص92.

² -ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م، ج2، ص447.

³ - علي بن الحسين الازدي: المجد في اللغة العربية، تحقيق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1988م، ص272.

ولم تستخدم كلمة الإرهاب إلا بعد القرن الثامن عشر كاسلوب للحكم، ويتضح فيها مدى العلاقة بين الرهبة وممارسة الحكم والدلالة على الرعب الذي يحدث بصورة غير محتملة اجتماعيا وسياسيا وانسانيا¹. وسنتبع مدلول اللفظ في القرءان الكريم و السنة النبوية وعند الصحابة و الفقهاء، وأشكال وصور الإرهاب في المنظور الاسلامي.

أولا: اللفظ في القرءان الكريم:

وردت كلمة الرهبة في القرءان الكريم بمعان عدة منها الخوف من الله عز وجل ومنها الردع ومنه الادهاش وغيره.

- ففي قوله عز وجل: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾² فخافوني وأطيعوا أمري³.

أي إن كنتم تخافون فوات بعض المنافع ونزول بعض المضار بكم إذا خالفتكم الجماهير واتبعتكم الحق فالأولى ألا تخافوا ولا ترهبوا إلا من بيده أزمة المنافع كلها، وهو الله الذي أنعم عليكم بتلك النعمة الكبرى أو النعم كلها، وهو وحده القادر على سلبها، وعلى العقوبة على ترك الشكر عليها، فارهبوه وحده لا ترهبوا سواه⁴.

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾⁵، ومعنى من الرهب من أجل الرهب، وهو الخوف⁶، قال ابن زيد، في قوله: ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ قال: مما دخله من الفرق من الحيّة والخوف، وقال: ذلك الرهب، وقرأ قول الله:

¹ - أحمد سعيد الزقرد: تعويض الأضرار الناشئة عن جرائم الإرهاب، دار الجامعة الجديدة، دون طبعة، 2007م، ص16.

² - سورة البقرة، الآية 40.

³ - محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبها، الطبعة السادسة، 1964م، ص9.

⁴ - القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دون طبعة، 1990م، ج1، ص242.

⁵ - سورة القصص، الآية 33.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾¹ قال: خوفاً وطمعاً².

- وجاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾³ واسترهَبوهم: فالمنعنى: أن العوام خافوا من حركات تلك الحبال والعصي قال المبرد: استرهَبوهم أَرهَبوهم والسين زائدة. قال الزجاج: استدعوا رهبة الناس حتى رهَبهم الناس وذلك بأن بعثوا جماعة ينادون عند إلقاء ذلك: أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهَاب⁴.

"وَاسْتَرهَبُوهُمْ" أي أدخلوا الرهبة في قلوبهم إدخالاً شديداً بما فعلوه من السحر، واستفعل هنا بمعنى أفعَل أي أَرهَبوهم⁵.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾⁶، أي تخيفون وترعبون أَرهَبته ورهَبته سواء، والرَّهَب والرَّهَب واحد⁷.

- وفي قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁸: قال ابن عباس: يريد هم منكم من أجل أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله، وقال الفراء: هذا من صفة اليهود. يقول إنهم أهيَب في صدورهم من عذاب

¹ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ، ج4، ص197.

² - سورة الأنبياء، الآية 90

³ - الطبري: المرجع السابق، ج19، ص575.

⁴ - سورة الأعراف، الآية 116.

⁵ - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، ج14، ص335.

⁶ - القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون طبعة، 1412 هـ، 1992 م، ج4، ص248.

⁷ - سورة الأنفال، الآية 60.

⁸ - بن المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري: مجاز القرآن، تحقيق محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دون طبعة، 1381 هـ، ص249.

⁹ - سورة الحشر، الآية 13.

الله عندهم، وذلك أن أهل النضير كانوا ذوي بأس شديد، فخذف الله الرعب في قلوبهم من المسلمين □.

والمعنى: لأنتم أيها المؤمنون أشد تخويفا وترويعا في صدور هؤلاء من الله الذي يظهرون لكم أنهم يخافونه، ويرهبونه قوته، فهم يغلفون خوفهم منكم في الخوف منه على طريقتهم في النفاق^١.

والرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب أي أشد مرهوبية وذلك خطاب للمسلمين، والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فال مخاطبون مرهوبون غير خائفين، "في صدورهم" أي صدور المنافقين، من رهبة الله بمعنى مرهوبيته، قال في الكشف قوله "في صدورهم" دال على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله، فان قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه أشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهر ونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله^٢.

ومن مجمل ما سبق ذكره، فإن مشتقات كلمة الإرهاب في القرآن الكريم حملت معنى الخوف والفرع والخشية من الله تعالى، أو من أمور أخرى تثير الفرع والرهبة.

كما حملت معنى التسليم والاستسلام، أو معنى الردع والتخويف،

ثانيا: اللفظ في السنة النبوية وعند الصحابة و الفقهاء.

جاء في مصنف أبي شيبة عن غزوة مؤتة عن سلمان بن حرب، قال حدثنا الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، قال: قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري

¹ - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي النيسابوري: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، ج 21، ص 387.

² - مجموعة من العلماء: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 1393 هـ، 1973 م، ج 10، ص 1364.

³ - الخلو، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلو، المولى أبو الفداء: روح البيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، دون طبعة أو تاريخ، ج 9، ص 440.

، قال: وكانت الأنصار تفقهه، قال: حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش الأمراء وقال: "عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة"، فوثب جعفر، فقال: يا رسول الله، ما كنت أرهب أن تستعمل علي زيدا، فقال: "امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير"□.

— كما ورد في مسند الإمام أحمد لفظ "الإرهاب" في شرح حديث محمد بن مسلمة عن يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي بردة، قال: مررت بالربذة، فإذا فسطاط، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لمحمد بن مسلمة، فاستأذنت عليه، فدخلت عليه، فقلت: رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان، فلو خرجت إلى الناس فأمرت، ونهيت. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ستكون فتنة، وفرقة، واختلاف، فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحدا، فاضرب به عرضه، واكسر نبلك، واقطع، وترك، واجلس في بيتك" فقد كان ذلك وقال يزيد مرة: "فاضرب به حتى تقطعه، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة، أو يعافيك الله عز وجل"، فقد كان ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعلت ما أمرني به ثم استنزل سيفاً كان معلقاً بعمود الفسطاط، فاخترطه فإذا سيف من خشب، فقال: قد فعلت ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتخذت هذا أرهب به الناس، فقال: أرهب من الإرهاب، أي بمعنى الإخافة والإرعاب¹.

— وجاء في وصف تواضعه صلى الله عليه وسلم، وجلوسه واتكائه: "لا يرفع أحد من أصحابه صوته في مجلسه صلى الله عليه وسلم إلا بمجادلة معاند أو إرهاب عدو وما أشبه ذلك لكونه محرماً عليهم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

1 - بن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة 1، 1409هـ، ج7، ص412.

2 - بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة 1، 1421هـ، 2001م، ج25، ص414.

أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»¹ لأن مجاسه مجلس تذكّر بالله، وترغيب فيما عنده من الثواب، وترهيب ممت عنده من العقاب².

وعند الصحابة فقد جاء عن سعيد بن منصور، قال أبو شهاب عن ليث عن مجاهد، قال من القنوت الركوع والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل، كان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة، يهاب الرحمن سبحانه وتعالى، أن يمتد بصره، أو يعبث بشيء، أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا، إلا نسيًا³.

أما عند الفقهاء سواء القدامى أو المعاصرين، ولأنه لم يتم تعريف الإرهاب المقصود، الذي يُحدث عنه في الوقت المعاصر بتعريف جامع مانع يشمل المفردات المراد تعريفها، وإنما هو مصطلح عام وعائم يدخل تحته كل عمل يتم به التخويف والرعب والفرع سواء أكان مشروعاً كحركات التحرير ضد المعتدي الغاصب كما في فلسطين مع اليهود، أم غير مشروع كإخافة الناس الأمنين وإفزاعهم بالقتل والتدمير.

وقد جاء الكلام عن الإرهاب في بيان مكة المكرمة الذي أصدره مجمع الفقه الإسلامي التابع للرابطة في دورته السابعة عشرة المنعقدة من 19 إلى 23 شوال 1424 هـ، حيث قال: "إن الإرهاب مصطلح لم يتفق دولياً على تعريف له يضبط مضمونه ويحدد مدلوله، لذا فإن مجلس المجمع يدعو رجال الفقه والقانون والسياسة في العالم إلى الاتفاق على تعريف محدد للإرهاب تنزل عليه الأحكام والعقوبات، ليتحقق الأمن وتقام موازين العدالة، وتصان الحريات المشروعة للناس جميعاً".

1 - سورة الحجرات، الآية 2.

2 - اللّحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري: منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1426 هـ، 2005 م، ج2، ص400.

3 - الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني: التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققاً، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعيي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417 هـ، 1997 م، ج3، ص921.

ثم أورد المجلس بيانا لما يتضمنه الإرهاب جاء فيه: "الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق". وذكر صنوفا متعددة تندرج تحت مسمى الإرهاب، وذكر أن للإرهاب أسبابا لا بد من أخذها بعين الاعتبار عند المعالجة له، فليراجع من يرغب المزيد من البيان.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي للأعمال الإرهابية ومقارنتها بالحرابة

إن الأعمال الإرهابية التخريبية من تفجير للمنشآت والمساكن والجسور وغيرها وترويع الأمنين من المسلمين أو من أعطوا العهد والأمان كلها أعمال محرمة وتعد من بائر الذنوب، وقد رتب الشارع الحكيم عليها عقوبات رادعة كفيلة بمنعها ومجازاة فاعليها، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹

أما أعمال المقاومة التي يقوم بها المغلوبون والمعتدي على أرضهم وبلادهم كما في فلسطين فليست إرهابا ممنوعا، لأن الصهاينة هم المعتدون وإنما هي دفاع عن النفس والمال والعرض أقره الإسلام، وأيدته جميع الشرائع والقوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة، وهي من الإرهاب المشروع، وقد ورد في القرآن الكريم إطلاق الإرهاب على تخويف العدو بامتلاك وسائل الردع قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾².

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره لهذه الآية: والعلة إرهاب الأعداء والحكم يدور مع علته، وجاء في بيان مكة الذي أصدره مجمع الفقه الإسلامي التابع للرابطة في دورته السادسة عشرة التي عقدت في مكة المكرمة: "وينبئ المجلس إلى أن ما ورد في الآية من ذكر الإرهاب يعني إعداد العدة من قبل

¹ - سورة المائدة، الآية 33.

² - سورة الأنفال، الآية 60.

المسلمين ليخافهم عدوهم، ويمتنع عن الاعتداء عليهم وانتهاك حرمتهم، وذلك يختلف عن معنى الإرهاب الشائع في الوقت الحاضر، وجاء في الحديث الذي رواه سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد" □

فقد بين في الحديث أنه تكتب لهم الشهادة ما داموا يدافعون عن ذلك، وهذا يدل على مشروعية عملهم^١.

والجدير بالذكر أن الإمام ابن حزم ذهب الى اتجاه توسيع صور الحاربة^٢ إلى كل ما يمس أمن المجتمع الاسلامي واستقراره، إذ نجده يقول في وعرض حديثه ومناقشته لأقوال من خص الحاربة ببعض الصور دون غيرها: "إن الامحارب هو المكابر المخيف لأهل الطريق المفسد في سبيل الارض، سواء بسلاح أو بلا سلاح أصلاً، سواء ليلاً أو نهاراً في عصر أو في فلاة، أو في قصر الخليفة أو الجامع، سواء قدموا على أنفسهم إماماً أو لم يقدموا سوى الخليفة نفسه، فعل ذالك بجنده أو غيره منقطعين في الصحراء أو أهل قريية سكانا في دورهم أو أهل حصن كذلك، أو أهل مدينة عظيمة كذالك، واحد كان أو أكثر، كل من حارب المارواخاف السبيل بقتل نفس أو اخذ مال أو لجراحة أو لانتهاك فرج، فهو محارب عليه وعليهم - كثروا أو قلوا - في حكم المحاربين المنصوص في الآية، لان الله تعال لم يخص شيئاً من هذه الوجوه، إذ عهد الينا بحكم المحاربين (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) ^٣، ونحن نشهد بشهادة الله تعالى لو أراد ان يخص بعض هذه

1 - ابن ماجه، المرجع السابق، ج2، ص861.

2 - عبد الله بن محمد الطيَّار وآخرون: الفقه الميسر، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، ج13، ص87.

3 - الحاربة: قطع الطريق بمنع مرور، وأخذ مال المعصوم على وجه لا يمكن معه غوث، ولو منفرداً بقريية، ينظر: بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض، أبو البقاء، تاج الدين السلمي المالكي: الشامل في فقه الإمام مالك، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة 1، 1429هـ، 2008م، ج2، ص942.

4 - سورة طه، الآية 64.

الوجوه لما اغفل شيئاً من ذلك، ولا نسيه، ولا أعنتنا بتعمد ترك ذكره حتى بينه لنا غيره بالتكهن والظن الكاذب.

وبهذا التوسع في صور الحاربة متى توافر أساس التجريم فيها، هو الاخلال بالامن والاستقرار في المجتمع الاسلامي، اعتبر الفقهاء من قبيل الحاربة كل فعل يمثل سعيًا في الارض بالفساد، كما لو اعتاد مجرم على خنق الضعفاء او الكبار حيث تكون جريمته موجبة الحاربة اذا خنق اكثر من واحد في المدن، وكذلك قتل الاعونة، وهم الذين يسعون الى الحكام بالافساد، لانهم من المحاربين لله ورسوله [□].

وبهذا يحقق تطبيق حد الحاربة دوره المنوط به، وهو حماية أمن المجتمع الاسلامي بمواجهة كل خروج على هذا الامن، والا يتعين التوسعة على الحكام في أحكام السياسة الشرعية، وهي القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال، حيث تطبق العقوبة التعزيرية التي تصل إلى القتل عند بعض الفقهاء لأن الفساد قد كثر وانتشر.

ويؤكد ذلك قول الخليفة عمر ابن عبد العزيز: سيحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الضجور ^١.

ولما كان هدف الإرهاب إحداث أكبر قدر من الفزع والخوف والافساد، فإن جريمة الحاربة تقع تحت طائلة التجريم والعقاب المقررة حدا للحاربة لأنه يعد من قبيل السعي في الارض بالفساد، مما يتعين معه تطبيق حد الحاربة للضرب على أيدي هذه الجماعات الإرهابية المفسدة، حتى ولو لم ترتكب قتلا أو أخذًا للمال، متى كانت تتآمر على أمن المجتمع واستقراره، بتدبير القتل والعدوان على المال أو الأعراض بغية تكدير أمن المجتمع واستقراره، وبهذا المفهوم يدخل في جريمة الحاربة كذلك جنایات أمن الدولة من جهة الخارج وجنایات أمن

¹ - ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، مسألة رقم 2256، ج1، ص283.

² - بن خليل، أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي الحنفي: معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص177.

الدولة من الداخل، وسطو العصابات، وعصابات جلب المخدرات، وغير ذلك من الجنايات الخطيرة التي قرر لها القانون أشد العقوبات، لأنها تهز أمن المجتمع واستقراره.

كما تتسع لتشمل كل ما من شأنه أن يبتث الرعب في أوساط المجتمع وخلق جو من انعدام الاستقرار من خلال الاعتداء على الأشخاص أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو ما يمس ممتلكاتهم، وكذا الاعتداء على الأملاك العمومية أو الخاصة أو ما يتكفل بتقديم خدمات عامة أو المرافق العمومية ومن يتولى تسييرها وخدمتها.

وفي هذا الاتجاه أخذ المذهب المالكي في القتل والجرح غيلة¹ متى كانت نتيجة اتفاق جنائي، يقوم به تنظيم أو جماعة أو عصابة تستهدف الاغتيال، وكانت غايتها الإخلال بأمن المجتمع واستقراره مستخدمين في ذلك كل الوسائل المتاحة لتنفيذ مآربهم، عندئذ تكون هذه الجماعات معروفة للمجتمع بأعمالها المستمرة في القتل والنهب والتخريب والإتلاف، كما أنها تعلن عن نفسها في شكل منشورات تكتبها، فتحقق بالتالي المجاهرة المطلوبة للحراية، حتى ولو كان الجناة غير معروفين أشخاصا ومكانا.

فهذه الجماعات الإرهابية إذا ظهرت آثارها في الاغتيال والتخريب تدخل في مفهوم الحراية، كما يدخل فيها مجرد تأليفها أو إنشائها أو تأسيسها، متى أعلنت على هدفها غير المشروع بأي طريق كان، المتمثل في الإخلال بأمن المجتمع واستقراره، لأنه ليس من المعقول أن يقف المجتمع مكتوف الأيدي، حتى تتمكن

¹ - الغيلة: المرأة السمينية، وقتله غيلة: خدعه فذهب به إلى موضع فقتله، نقله الجوهري، وقد اغتيل. وقال أبو بكر: الغيلة في كلام العرب: إيصال الشر أو القتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر، وقال أبو العباس: قتله غيلة: إذا قتله من حيث لا يعلم، وقتك به: إذا قتله من حيث يراه، وهو غار غافل غير مستعد. وإبل أو بقر غيل، بضم تين: أي كثيرة، ينظر: الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، مصر، ج 30، ص 130.

هذه الجماعات منتحقيق أغراضها، بل يكفي الخطر المحدق بأمن المجتمع للإجهاز عليها وإحباط محاولة تحقيق أغراضها¹.

وبالتالي فإن الجماعات الإرهابية عند اقترافها للجريمة الإرهابية تدخل في مفهوم الحراية التي تشمل كل صور الإخلال بأمن المجتمع واستقراره.

المطلب الثاني: الجريمة الإرهابية في قانون العقوبات الجزائري

الفرع الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإرهاب.

أولاً: المفهوم اللغوي:

الإرهاب كلمة مشتقة من معنى الرعب والفرع والخوف، وإذا كانت الرهبة في اللغة العربية لفظ استخدم في المعتاد عند التعبير عن الخوف المشوب للاحترام، لاخوف الفرع الناجم عن تهديد قوى مادية أو حيوانية أو طبيعية، ولذلك يقال رجل "رَهْبُوت"، أي رجل له مهابه واحترامه².

والإرهابيون وصف يطلق على الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية³.

والإرهاب في العربية يقابلها بالفرنسية *Terrorisme* وبالانجليزية *Terrorism* بينما *Terreur* وحدها تعني الذعر أو الرعب في الفرنسية، مرادفها الاصطلاحي للإرهاب⁴.

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي.

يتفق العمل الإرهابي في معناه الاصطلاحي مع المعنى اللغوي، ومن الصعب وضع تعريف جامع مانع يجمع كافة الجريمة الإرهابية، لذلك فإن

¹ - أبو الوفا محمد أبو الوفا: التأصيل الشرعي والقانوني لمكافحة الجماعات الإرهابية فكرياً وتنظيماً وترويجاً، الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر 2007م، ص163.

² - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1972م، ص376.

³ - الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1926م، ص259.

⁴ - أحمد سعيد الزقرد: تعويض الأضرار الناشئة عن جرائم الإرهاب، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2007م، دون طبعة، ص16.

الاتجاه السائد في فقه القانون الدولي هو تجنب اعطاء تعريف لجريمة الإرهاب.¹

وسنورد بعض التعريفات الاصطلاحية للإرهاب:

يعرفه محمد فتحي عيد بأنه: عمل غير مشروع من أعمال العنف يهدف إلى بث الرعب والفرع داخل مجتمع ما أو شريحة منه بقصد تحقيق هدف سياسي.

ولا يعد إرهاباً الكفاح المسلح للشعوب الخاضعة للاحتلال الأجنبي من أجل تحرير أرضها المحتلة والحصول على حقها في تقرير مصيرها واستقلالها وفق الميثاق الأمم المتحدة وقراراتها التي تحرم إيذاء الأبرياء.²

يعرفه ماجد ياسين الحموي: الإرهاب حالة خوف أو رعب تصيب دولة أو مجموعة من الناس، نتيجة قيام الأفراد أو الدول في الحرب أو السلم بارتكاب أعمال إجرامية ذات بعد دولي بدافع سياسي.³

يرى الدكتور عبد العزيز محمد فرحان أن فكرة الإرهاب تركز على استعمال القوة غير المشروعة، ويرى بأنه كل اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة أو الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون بمصادره المختلفة.

وبذلك يمكن النظر إليه على أساس أنه جريمة أساسها مخالفة القانون، ومن هنا تقع تحت طائلة العقاب طبقاً لقوانين سائر الدول.

ويعد الفعل إرهاباً، وبالتالي جريمة سواء قام بها فرداً أو جماعة أو دولة، كما يشمل أيضاً أعمال التفقة العنصرية التي تباشرها بعض الدول.⁴

1 - محي الدين عوض: تعريف الإرهاب، ورقة مقدمة للندوة الخمسين لتشريعات مكافحة

الإرهاب في الوطن العربي بالخرطوم، السودان، ديسمبر 1998م.

2 - محمد فتحي عيد: الأساليب والوسائل التقني التي يستخدمها الإرهابيون وطرق

التصدي لها ومكافحتها، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2001م، ص 17.

3 - ماجد ياسين الحموي: الإرهاب الدولي من المنظور الشرعي والقانوني وتمييزه عن

المقاومة المشروعة، دار النيل، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008م، ص 218.

4 - عبد العزيز محمد سرحان: تعريف الإرهاب وتحديد مضمونه من واقع قواعد القانون

الدولي وقرارات المنظمات الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد 29، 1973م،

ص 173 - 174.

ولكن لا يعد الفعل إرهابيا، وبالتالي لا يعاقب عليه القانون إذا كان الباعث الدفاع عن الحقوق المقررة للأفراد وحقوق الإنسان أو الشعوب وحق تقرير المصير والحق في تحرير الأرض المحتلة ومقاومة الاحتلال، لأن هذه الأفعال تقابل حقوقا يقرها القانون الدولي للأفراد والدول، حيث يكون الأمر هنا متعلقا باستعمال مشروع للقوة طبقا للقانون.

يرى الأستاذ فتحي عبد الرحيم أن الإرهاب هو: كل أفعال العنف والتخريب الموجهة لأشخاص أو أموال مدنيين أبرياء، ومن يتمتعون بحماية قانونية، ويكون منشأها انتهاك السلام الاجتماعي للإنسانية بغرض نشر الرعب وإثارة الفوضى والاضطرابات في بنية المجتمع والمساس بوحدة الدولة وسلامتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية¹

ويرى الباحث أن تركيز بعض التعاريف على الطابع الدولي للإرهاب باعتباره عملا إجراميا مخالفا لأحكام القانون الدولي والاتفاقيات الدولية، ويهمل الإرهاب الداخلي الذي يرتكبه الأفراد أو الجماعات داخل إقليم دولة معينة ويقصد منه إحداث أكبر قدر من الفزع والخوف ويثير إحساسا بالتهديد وخلق حالة من الخطر العام والذي تعاني منه بعض الدول، وإغفال المبدأ الأساسي وهو صيانة الحريات الأساسية للإنسان وحقوقه مما يجعل من بعض التعاريف غير شاملة.

كما أن بعضها جعل من عنصر الرعب والخوف والفزع أمرا ثانويا في التعريف باعتبار أن مجرد القول بأن الفعل يكون عملا إرهابيا متى كان محدثا للرعب هو من قبيل تحصيل حاصل، فالحق أن غرض الجماعات الإرهابية يتمثل دائما في محاولة زعزعة ثقة الأفراد في أنفسهم وفي نظام الحكم القائم أو السلطة السياسية للدولة، وبالتالي ذلك من خلال عملياتها الإرهابية المتنوعة والتي يترتب عليها إحداث الرعب في نفوس الأفراد، الأمر الذي يمكننا القول معه أن ذروة سنام الإرهاب هو الإخافة والإفزع للتأثير على السلطة القائمة.

¹ - فتحي عبد الرحيم عبد الله: نحو مسؤولية مدنية أصيلة للدولة عن جرائم الإرهاب،

مقال منشور بالمؤتمر العلمي السنوي الثالث لجرائم الإرهاب، المنصورة، مصر، 1998م،

ثالثاً: الجريمة الإرهابية في التشريعات الجنائية الحديثة.

لخطورة العمل الإرهابي، فقد عنيت به جل التشريعات العقابية العربية، إلا أن البعض من هذه التشريعات أغفلت تعريف الجريمة الإرهابية وركزت على الأفعال والظواهر التي تعتبر عملاً إرهابياً.

فقد نص قانون العقوبات المصري الصادر سنة 1937م، والمعدل بالقانون رقم 97 لسنة 1992م في المواد 86 وما بعدها الواردة في القسم الأول من الباب الثاني الخاص بالجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل، وقد أطلقت عليه المذكرة الإيضاحية للقانون رقم 97 لسنة 1992م اسم "الجريمة الإرهابية".

وقبل أن يسرد هذا القانون الجرائم الموصوفة بالإرهاب أتى بمادة تعريفية للإرهاب في صدر هذا القسم هي المادة 86، الذي جعله في المواد التالية عنصراً من عناصر التجريم أو ظرفاً مشدداً لها أو وسيلة تنفيذها أو وسيلة لتحقيق غرض من ورائها.

وتنص المادة 86 من قانون العقوبات المصري والتي عرفت بالإرهاب: "يقصد بالإرهاب في تطبيق أحكام هذا القانون كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليها الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو المباني أو بالأماكن العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح".¹

أما المشرع السوري فقد عرف الأفعال الإرهابية في المادة 304 من القانون الجزائي لسنة 1949م والمعدلة بالقانون رقم 36 لسنة 1978م التي تنص على أنه: "يقصد بالأعمال الإرهابية جميع الأفعال التي ترمي إلى إيجاد حالة من الذعر، وترتكب بوسائل كالأدوات المتفجرة والأسلحة الحربية والمواد الملتهبة والمنتجات

¹ - قانون رقم 58 لسنة 1937 المتضمن قانون العقوبات المعدل.

السامة والمحرقه والعوامل الوبائية أو الجرثومية التي من شأنها أن تحدث خطرا عاما".

كما اعتبر القانون الجنائي السوري العمل الإرهابي جريمة مستقلة في المادة 305 منه، واعتبرها من قبيل الجنايات، كما عاقب على التآمر بقصد ارتكاب عمل أو أعمال إرهابية بعقوبة الجناية [□].

أما التعريف الفرنسي للإرهاب فهو: عمل مستهجن يتم ارتكابه على إقليم دولة معينة أو عدة دول ينطوي على خطر للحياة الإنسانية مما يشكل انتهاكا للقوانين الجنائية.

وجاء في التعريف الأمريكي للإرهاب في قانون عام 2000م الخاص بمكافحة الإرهاب بأنه: "أي فعل عنف أو فعل خطير على الحياة البشرية والبنية التحتية والممتلكات يؤدي إلى أضرار داخل الولايات المتحدة الأمريكية أو يرتكب باسم شخص أجنبي للضغط على السكان المدنيين أو التأثير على سياسة أو سلوك حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن طرق الإكراه".¹

ويرى الباحث أن المشرع السوري لم ينص على استخدام العنف أو القوة في تعريفه للأعمال الإرهابية لأن منها ما لا يقتضي ذلك، كاستخدام المواد السامة أو الجرثومية أو تسميم الهواء.

كما أنه جعل الوسائل والأفعال على سبيل المثال، وليس على سبيل الحصر كي تشمل كل وسيلة مبتكرة تالية للتشريع، كما أنه ركز على موضوع الإرعاب لأنه روح العمل الإرهابي.

أما التعريف الأمريكي فهو يركز بما لا ريب فيه على حماية المصالح في تعريف العمل الإرهابي، حيث شمل التعريف كل فعل إجرامي يؤثر على سلوك الحكومة الأمريكية وسياساتها الخارجية، وفي ذلك العديد من المغالطات، فالسياسات ليست بمنأى عن إخضاعها للقوانين والأعراف الدولية، بل تنساق وراء المصالح و النفوذ، وقد تكون هذه المصالح غير مشروعة أو على حساب مصالح

¹ - صدر بالمرسوم التشريعي رقم 148 لعام 1948م المتضمن القانون الجزائي السوري.

² - ياسين السيد: نظرة تكاملية لظاهرة الإرهاب، مقال منشور بجريدة الاهرام المصرية،

العدد 43242، بتاريخ 28 - 04 - 2005م، ص 03.

دول أخرى، الأمر الذي يحتم ردة فعل عكسية هي في نظر المشرع الأمريكي عمل إرهابي، وفي نظر مرتكبها إما دفاعا عن النفس أو عن المصالح الخاصة.

الفرع الثاني: صور وأشكال الجريمة الإرهابية.

1 - الإرهاب الدولي والإرهاب الداخلي.

الإرهاب الدولي والإرهاب الداخلي طبيعتهما واحدة، إلا أن الإرهاب الدولي يمثل خطورة على العلاقات الدولية أو يعرضها للخطر، وليس له مفهوم متفق عليه بين الدول للخلاف على ما يدخل فيه وما لا يدخل، وبالتالي ليس هناك قواعد ترجمه أو تقيده أو تنظمه بصفة عامة كالحروب والأفعال ضد قوانين وعادات الحرب.

وهو في صورته المجرمة جريمة دولية تقع تحت طائفة الجرائم ضد الإنسانية التي كان لا يعاقب عليها طبقا للاتحة نورنبورغ لسنة 1945 إلا إذا كانت مرتبطة بحالة حرب [□].

وما يميز الإرهاب الدولي عن الإرهاب الداخلي:

- اختلاف جنسيات المشاركين في الفعل الإرهابي.

- اختلاف جنسيات الضحايا عن جنسية مرتكب العمل الإرهابي.

- حدوث الفعل الإرهابي ضمن نطاق دولة ليست الدولة التي ينتمي إليها مرتكبوا الفعل الإرهابي.

- تلقي الجماعات الإرهابية دعما ماليا أو معنويا خارجيا.

- تباين مكان التخطيط والتحضير عن مكان التنفيذ.

أما الإرهاب الداخلي فمن شأنه الإخلال بالنظام العام الداخلي، أي الركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع ومقوماته من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والآداب العامة طبقا للنظام القانوني للمجتمع أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر.

¹ - محمد محي الدين عوض: واقع الازهاج واتجاهاته، مقال منشور بمجلة مكافحة الإرهاب بأكاديمية نايف للعلوم الأمنية، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2014م، ص 23.

ومع تعدد أنماط وتصنيفات الإرهاب، كان من الضروري ان تتعدد أساليبه وصوره وتختلف باختلاف الفئة التي تستخدمه.

حيث اتخذت الجماعات الإرهابية صورا عديدة ومتنوعة للوصول إلى تحقيق الهدف الذي تنشده بتنفيذ هذه العمليات، وهو الضغط بالقوة أو التفاوض لتحقيق اهداف تلك المنظمة الإرهابية.

وفي الماضي القريب كانت العمليات الإرهابية تتمثل في الإغتيالات السياسية وتخريب المنشآت المدنية والاقتصادية التي تؤثر على القرار السياسي، وذلك من خلال نشر حالة من الذعر و الرعب في الرأي العام، أما اليوم ومع التطور السريع والمذهل في تكنولوجيا السلاح في العالم وسهولة حصول الجماعات الإرهابية على أحدث ما وصل اليه العلم من أدوات التسلح بالإضافة إلى التطور الكبير الذي حدث في وسائل الاتصال والانفتاح، أصبح من اليسير على الجماعات الإرهابية أن تخطط وتقوم بتنفيذ أنواع جديدة من عملياتها التي تستهدف النيل من القرار السياسي بتوجيه ضرباتها.

وأهم مظاهر الظاهرة الإرهابية يمكن ان نجعلها في ما يلي:

2 - القتل والاغتيال:

كان قتل القادة وممثلي النظام من أقدم الأساليب التي اتبعتها الجماعات الإرهابية، أما الرعب بغير تمييز فقد أصبح مسألة واسعة الاستخدام في العصر الحديث فقط، مع اختراع المتفجرات المتزايدة من ناحية وظهور وسائل الاعلام الجماهيري من ناحية أخرى.

3 - الخطف والاحتجاز:

خطف الشخصيات السياسية أو الاجتماعية أو ذويهم أو التهديد بالحصول على فدية هو أسلوب قديم كذلك، إلا أن هذه الوسيلة لا زالت في التاريخ الحديث محورا مهما من محاور النشاط الإرهابي في نهاية الستينات من القرن الماضي، حيث اتخذت أسلوب الخطف والاحتجاز طابع الانتشار العريض، وشمل حتى الوزراء والسفراء.

ويشير هذا النوع من الإختطاف إلى سلب الفرد أو الضحية حريته باستخدام أسلوب أو أكثر من أساليب العنف والاحتفاظ به في مكان ما يخضع لسيطرة وحماية ورقابة المختطفين تحقيقاً لهدف معين[□].

وعادة ما تلجأ الجماعات الإرهابية الى هذا النوع من العمليات لتأمين دخل معين يكفي لتمويل نشاطاتها الإرهابية وتعزيز مكانها وتغطية تكاليف عملها الاجرامي.

4 - اختطاف الطائرات:

وذلك بالاستلاء على الطائرة أثناء تحليقها في الجو عن طريق اللجوء إلى التهديد باستخدام وسائل العنف، وإجبار طاقمها على تغيير وجهة مسارها، والتوجه نحو مكان آخر محايد أو صديق للإرهابيين، وذلك بقصد عقد صفقة والحصول على تنازلات مقابل الإفراج عى المختطفين والطائرة.

5 - التفجير:

يستند هذا الأسلوب الى إيقاع أكبر الخسائر في الهدف المخطط له، وذلك باستخدام أنواع متعددة من القنابل التفجيرية، حيث تعد مادة الديناميت من أكثر الوسائل شيوعاً في هذا المجال، كما يعد هذا الأسلوب من أكثر وسائل الإرهاب في العالم، حيث يحتل المراتب الأولى من حيث تعدد ضحاياه.

6 - الهجوم:

وهو باستخدام التكتيك العسكري المفاجئ والمخطط له تخطيطاً دقيقاً بهدف ترويع الخصم، وقد تستخدم الجامعات الإرهابية أسلحة كيماوية ونووية وجراثومية.

وعلى أية حال، فإن أساليب الإرهاب عديدة منها ما يكون موجه ضد وسائل النقل المدني والدولي بأنواعها المختلفة، ومنها ما يكون موجه ضد الأشخاص ويشمل الاعتداء على السلامة الجسدية بجميع أشكالها، أيضاً منها ما يكون موجه ضد الاموال مثل اشعال الحرائق والقاء القنابل في الممتلكات العامة

¹ - أحمد فلاح العموش: الظواهر الاجرامية، الإرهاب كنموذج، دراسة في الاشكالية والوقاية ، بحث مقدم لمؤتمر الوقاية من الجريمة في عصر العولمة، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، الامارات العربية المتحدة، 2001م، ص16.

والخاصة، وغيرها كثير...فكل هذه العمليات الإرهابية على جميع أشكالها تهدف الى اشاعة حالة من الرعب والفرع بين العامة والخاصة، وتهديد أمن واستقرار المجتمعات والإخلال بسلامة المرافق الحيوية وزعزعة العلاقات الودية التي ينبغي ان تسود المعاملات الدولية.

الفرع الثاني: الجرائم الموصوفة بأفعال إرهابية في قانون العقوبات الجزائري. أولاً: النصوص القانونية

لم يشذ التشريع الجزائري في إعطاء تصور ومفهوم للأفعال الإرهابية عن معظم التشريعات العربية، حيث أدرجه في قانون العقوبات، وهو القانون العام الذي يعطي الدولة الحق في العقاب وهو اخطر من الحقوق التي تملكها الدولة في مواجهة الافراد وهو ما تقتضيه الحياة في المجتمع وضرورة المحافظة على أمن المتعم من خلال حماية من التصرفات الضارة التي تهدد كيانه وبنائه. فقد جاء في المادة 87 مكرر¹ والمدرجة في القسم الرابع مكرر من الفصل الأول

¹ - عدلت بالقانون رقم 14 - 01 المؤرخ في 04 فبراير 2014. وأضيفت بالأمر رقم 95 - 11 المؤرخ في 25 فبراير 1995 وحررت كما ما يلي:

يعتبر فعلاً إرهابياً أو تخريبياً، في مفهوم هذا الأمر، كل فعل يستهدف أمن الدولة والوحدة الوطنية والسلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيرها العادي عن طريق أي عمل غرضه ما يأتي:

- بث الرعب في أوساط السكان وخلق جو انعدام الأمن من خلال الاعتداء المعنوي أو الجسدي على الأشخاص أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو المس بممتلكاتهم.
- عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطرق والتجمهر أو الاعتصام في الساحات العمومية،
- الاعتداء على رموز الأمة والجمهورية ونش أو تدنيس القبور،
- الاعتداء على وسائل المواصلات والنقل والممتلكات العمومية والخاصة والاستحواذ عليها أو احتلالها دون مسوغ قانوني،
- الاعتداء على المحيط أو إدخال مادة أو تسريبها في الجو أو في باطن الأرض أو إلقائها عليها أو في المياه بما فيها المياه الإقليمية من شأنها جعل صحة الإنسان أو الحيوان أو البيئة الطبيعية في خطر،

(الجنايات والجنگ ضد أمن الدولة) من الباب الأول (الجنايات والجنگ ضد الشيء العمومي) من الكتاب الثالث (الجنايات والجنگ وعقوبتهما) من الجزء الثاني (التجريم) حيث جاء في هذه المادة المذكورة أنفاً أنه : " يعتبر فعلاً إرهابياً أو تخريبياً في مفهوم هذا الأمر، كل فعل يستهدف أمن الدولة والوحدة الترابية واستقرار المؤسسات وسيورها العادي عن طريق أي عمل غرضه ما يأتي:

- بث الرعب في أوساط السكان وخلق جو انعدام الأمن من خلال الاعتداء المعنوي أو الجسدي على الأشخاص أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو المس بممتلكاتهم،

- عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطرق والتجمهر أو الاعتصام في الساحات العمومية،

- الاعتداء على رموز الأمة و والجمهورية والجمهورية أو تدنيس القبور -الاعتداء على وسائل المواصلات والنقل والملكيات العمومية والخاصة والاستحواذ عليها أو احتلالها دون مسوغ قانوني،

- الاعتداء على المحيط أو إدخال مادة أو تسريبها في الجو أو في باطن الأرض أو إلقائها عليها أو في المياه بما فيها المياه الإقليمية من شأنها جعل صحة الإنسان أو الحيوان أو البيئة الطبيعية في خطر،
- عرقلة عمل السلطات العمومية أو حرية ممارسة العبادة والحريات العامة وسير المؤسسات المساعدة للمرفق العام،

- عرقلة سير المؤسسات العمومية أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتهم أو عرقلة تطبيق القوانين والتنظيمات.

-عرقلة عمل السلطات العمومية أو حرية ممارسة العبادة والحريات العامة وسير المؤسسات المساعدة للمرفق العام،

-عرقلة سير المؤسسات العمومية أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتهم أو عرقلة تطبيق القوانين والتنظيمات.

- تحويل الطائرات أو السفن أو أي وسيلة أخرى من وسائل النقل،
- إتلاف منشآت الملاحة الجوية أو البحرية أو البرية،
- تخريب أو إتلاف وسائل الاتصال،
- احتجاز الرهائن،
- الاعتداءات باستعمال المتفجرات أو المواد البيولوجية أو الكيميائية أو النووية أو المشعة،

- تمويل إرهابي أو منظمة إرهابية.

غير أن الباحث يرى أن المتتبع لنص المادة سالفة الذكر يلحظ أنها جاءت تحت عنوان: "الجرائم الموصوفة بأفعال إرهابية أو تخريبية" فالجريمة -كما سبق ذكره - هي كل فعل أو امتناع يحظره القانون ويقرر عقوبة لمرتكبه، فإذا اكتملت هذه العناصر تشكلت الجريمة التي لا تحتاج الى وصف آخر سواء كان الوصف إرهابا أو تخريبا.

أما الجريمة الإرهابية فهي الاعمال غير المشروعة التي يرتكبها افراد او جماعات منظمة بهدف نشر الرعب وذلك باستعمال أو التهديد باستعمال وسائل قادرة على خلق حالة من الخطر العام أو إحداث ضرر جسيم لتحقيق غاية معينة.

وعليه فالمشرع وقع في تكرار لا فائدة منه، بل الادق هو: "الجريمة الإرهابية" عوض الجرائم الموصوفة بأفعال ارهابية.

ثم إن لفظ "تخريبية" لا ينطبق على الأفعال الإرهابية في كل الأحوال، فقد يكون الفعل تخريبيا وليس إرهابيا، لأن التخريب من الخراب وهو ضد العمران، وخرب فلان: أهلكه □.

ومادام الفعل الإرهابي يستهدف بث الرعب والفرع و الخوف، فإن الفعل التخريبي قد لا يكون له نفس القصد، كأن يخرب المشجعون ملعب كرة القدم، أو يقوم محتجون على شأن من شؤونهم بتخريب بعض المرافق، فكل هذه الافعال مستهجنة وتعتبر جرما، لكنها لا توصف بالإرهاب، لأن الجريمة الإرهابية تسعى

1 - أندوزي: تكملة المعاجم العربية، تحقيق محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام

العراقية، الطبعة الأولى، 2000م، ج4، ص36.

إلى تخويف الناس عن طريق وسائل العنف وتنشئ إحساسا بالتهديد وإثارة الفزع العام.

وقد حددت المادة الأفعال الإرهابية على سبيل الحصر، وهو في نظر الباحث أمر مهم لئلا تدرج أفعال أخرى ليست من الخطورة بمكان وتكيف على أنها جرائم إرهابية في حال فتح المجال لأفعال مماثلة لأننا أمام عقوبة الإعدام، وهي من أشد العقوبات، وأمام جرائم إرهابية وهي من أشد وأخطر الجرائم.

وتلت هذه المادة المادة 87 مكررا، لتنص على أن هذه العقوبات التي يتعرض لها مرتكب الأفعال المذكورة في المادة 87 مكرره:

الاعدام عندما تكون العقوبة المنصوص عليها في القانون السجن المؤبد.
كما جاء المرسوم التشريعي رقم 92 - 03 المؤرخ في 03 ربيع الثاني عام 1413هـ، الموافق 30 سبتمبر سنة 1992م، المتعلق بمكافحة التخريب والإرهاب[□] وعدد الأعمال التخريبية أو الإرهابية في مفهوم هذا المرسوم التشريعي: كل مخالفة تستهدف أمن الدولة والسلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيورها العادي عن طريق أي عمل غرضه ما يأتي:

بث الرعب في أوسا السكان وخلق جو انعدام الأمن من خلال الاعتداء على الأشخاص أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو المس بممتلكاتهم.
عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطريق والساحات العمومية.
الاعتداء على المحيط وعلى وسائل المواصلات والتنقل والملكيات العمومية والخاصة والاستحواذ عليها أو احتلالها دون مسوغ قانوني وتدنيس القبور أو الاعتداء على رموز الجمهورية.

عرقلة عمل السلطات العمومية أو حرية ممارسة العبادة والحريات العامة وسير المؤسسات المساعدة للمرفق العام.
عرقلة سير المؤسسات العمومية أو الاغتداء على حياة اعاونها أو ممتلكاتها أو عرقلة تطبيق القوانين و التنظيمات.

¹ - الصادر بالجريدة الرسمية، العدد 70، المؤرخة في 01/10/1992م، ص 03.

ثانيا: المقارنة بين النصوص.

من خلال النصوص القانونية سألفة الذكر وباعتماد المقارنة نلاحظ ما يلي:

-تحديد نوع الاعتداء الذي يشملته التجريم في قانون العقوبات، فقد يكون الإعتداء معنوياً وقد يكون جسدياً، عكس المرسوم التنفيذي الذي لم يفصل في ذلك

-إضافة فعل التجمهر والاعتصام في الساحات العمومية عند عرقلة حركة المرور، دون الاكتفاء بالغلق والاعاقة المرورية.

-تجريم الأفعال المذكورة في الفقرات الموالية، وهي الفقرة 5 -8 وما بعدها من المادة 87 مكرر.

كما ان الجزائر صادقت صادقت على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عن مجلس وزراء الداخلية العرب المنعقدة بالقاهرة في أبريل من سنة 1998م.

وقد عرفت الاتفاقية الإرهاب بأنه: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي وهدف الى القاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم أو إيذائهم أو تعريض حياتهم أو أمنهم أو حريتهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الاملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر. أما الجريمة الإرهابية فهي: كل جريمة أو شروع فيها ترتكب تنفيذاً لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة، أو على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها يعاقب عليها قانونها الداخلي.

كما تعد من الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، عدا ما استثنته منها تشريعات الدول المتعاقدة أو التي لم تصادق عليها □ واستثنت الاتفاقية حالات الكفاح المسلح بمختلف أشكاله، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير.

¹ -الموقع الرسمي لجامعة الدول العربية: <https://www.marefa.org> بتاريخ:

10/05/2019، الساعة: 10:34.

الخاتمة:

مما تقدم، يمكننا أن نخلص إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات وأهمهما:

- أن مشتقات لفظ الإرهاب في القرآن الكريم لم تختلف عن المشتقات الأخرى للفظ في السنة النبوية أو عند الصحابة، أ. عند فقهاء الشريعة الإسلامية.

- مصطلح الإرهاب لم يكن معروفا في التشريع الجنائي الإسلامي كمصطلح، إنما في معناه العام والمتعارف عليه اليوم فقد تجسد في الحراة في بعض صنوفها كونها عدوان يمارس على الفرد ويمس بدينه وكيانه المادي والمعنوي.

- أن التشريع الجنائي الإسلامي كان أول من فرق بين الجريمة الإرهابية وبين الدفاع المشروع عن النفس والمال والعرض، وهو ما يعرف اليوم بالفرق بين المقاومة والإرهاب، كما وسعت بعض المذاهب الفقهية مدلول الحراة ليشمل عمليات جماعات الخطف والنهب والسلب والاغتيال.

- مفهوم الإرهاب في التشريع الجنائي الوضعي يركز على الطابع السياسي للعمل الإرهابي، وهو ما لم يذهب له التشريع الإسلامي، كما حدد أساليب وأشكال معينة تتجسد من خلالها الأعمال الإرهابية مثل التفجير والتخريب والتقتيل

- معظم التشريعات الوضعية رتبت أشد العقوبات وأغلظ الجزاء على الجريمة الإرهابية، والتي تصل حد الإعدام.

قائمة المراجع والمصادر:

1. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، 1938م، ج 1.
2. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م، ج 2.
3. علي بن الحسين الأزدي: المجد في اللغة العربية، تحقيق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1988م.
4. أحمد سعيد الزقرد: تعويض الأضرار الناشئة عن جرائم الإرهاب، دار الجامعة الجديدة، دون طبعة، 2007م.
5. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، 1964 م.
6. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دون طبعة، 1990م، ج 1.
7. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ، ج 4.
8. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، ج 14.
9. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، 1964 م.
10. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دون طبعة، 1990م، ج 1.
11. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ، ج 4.
12. الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء: روح البيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، دون طبعة أو تاريخ، ج 9.
13. بن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة 1، 1409هـ، ج 7.

14. بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني :مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة 1، 1421 هـ، 2001 م، ج25.
15. اللّحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشّحاري: منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1426 هـ ، 2005 م، ج2.
16. الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني: التفسير من سنن سعيد بن منصور – محققا، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417 هـ، 1997 م، ج3.
17. - بن خليل، أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي الحنفي: معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
18. أبو الوفا محمد أبو الوفا: التأصيل الشرعي والقانوني لمكافحة الجماعات الإرهابية فkra وتنظيما وترويجا، الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر 2007م.
19. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1972م.
20. الرازي، محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1926م.
21. 1 -أحمد سعيد الزقرد: تعويض الأضرار الناشئة عن جرائم الإرهاب، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2007م، دون طبعة.
22. محي الدين عوض: تعريف الإرهاب، ورقة مقدمة للندوة الخمسين لتشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي بالخرطوم، السودان، ديسمبر 1998م.
23. ماجد ياسين الحموي: الإرهاب الدولي من المنظور الشرعي و القانوني وتمييزه عن المقاومة المشروعة، دار النيل، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، 2008م.
24. أندوزي: تكملة المعاجم العربية، تحقيق محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، الطبعة الأولى، 2000م، ج4.

المقالات العلمية:

1. أحمد فلاح العموش: **الظواهر الإجرامية، الإرهاب كنموذج، دراسة في الاشكالية والوقاية**، بحث مقدم لمؤتمر الوقاية من الجريمة في عصر العولمة، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، الامارات العربية المتحدة، 2001م،
2. فتحي عبد الرحيم عبد الله: **نحو مسؤولية مدنية أصيلة للدولة عن جرائم الإرهاب**، مقال منشور بالمؤتمر العلمي السنوي الثالث لجرائم الإرهاب، المنصورة، مصر، 1998م،
3. ياسين السيد: **نظرة تكاملية لظاهرة الإرهاب**، مقال منشور بجريدة الاهرام المصرية، العدد 43242، بتاريخ 28- 04- 2005م.
4. محمد محي الدين عوض: **واقع الالهاب واتجاهاته**، مقال منشور بمجلة مكافحة الإرهاب بأكاديمية نايف للعلوم الأمنية، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2014م.
5. عبد العزيز محمد سرحان: **تعريف الإرهاب وتحديد مضمونه من واقع قواعد القانون الدولي وقرارات المنظمات الدولية**، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد 29، 1973م.
6. محمد فتحي عيد: **الأساليب والوسائل التقني التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها**، جامعة نايف للعلوم الامنية، الرياض، السعودية، 2001م.

النصوص القانونية:

- 1 - الأمر رقم 66 - 156 المؤرخ في 8 يونيو 1966، المتضمن قانون العقوبات الجزائري.
- 2 - قانون رقم 58 لسنة 1937 المتضمن قانون العقوبات المصري المعدل.
- 3 - المرسوم التشريعي رقم 148 لعام 1948م المتضمن القانون الجزائي السوري.
- 4 - المرسوم التشريعي رقم 92 - 03 المؤرخ في 03 ربيع الثاني عام 1413هـ، الموافق 30 سبتمبر سنة 1992م، المتعلق بمكافحة التخريب والإرهاب.

المواقع الالكترونية:

1. الموقع الرسمي لجامعة الدول العربية: <https://www.marefa.org> بتاريخ: 2019/05/12، الساعة: 10:34.



المعاهدة التونسية البندقية سنة 1763م أول معاهدة للسلم بين تونس وجمهورية البندقية في العصر الحديث (دراسة وثيقة)

The Treaty of 1763 between Tunisia and the Republic of Venice

الشافعي درويش

أستاذ التاريخ الحديث، جامعة غرداية - الجزائر

chafaidrouiche@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-03-16

المخلص -

سعت جمهورية البندقية منذ بداية القرن الثامن عشر التقرب من الدول المغاربية، من أجل توقيع معاهدات سلام معها، وذلك بهدف حماية مصالحها التجارية في حوض البحر المتوسط، خاصة وأنها عجزت عن حمايتها بالقوة. ولم تستطع الجمهورية تحقيق هدفها في السلم إلا بعد مساعي حثيثة وجهود كبيرة، بذلتها طيلة نصف قرن من الزمن. وفي سنة 1763م وقعت البندقية أول معاهدة سلام لها مع إيالة تونس في عهد علي باي، والتي تعتبر المعاهدة الأولى للطرفين في العصور الحديثة.

الكلمات المفتاحية -

معاهدة - تونس - جمهورية البندقية - السلم - علي باي -
جرفازوني - 1763م.

Abstract-

Since The Beginning Of The 18th Century, The Republic Of Venice Has Sought To Get Closer To The Maghreb Countries In Order To Sign Peace Treaties With It In Order To Protect Its Commercial Interests In The Mediterranean Basin, Especially Since It Has Been Unable To Protect Them By Force. The Republic Has Achieved Its Goal In Peace Only After Vigorous Efforts And Efforts, In 1763, Venice Signed Its First Peace Treaty With The Tunisia Under The Reign Of Ali Bey, The First Treaty Of The Two Parties In Modern Times.

Key Words –

Treaty -Tunisia-Republic Of Venice – The Peace – Ali Bey - Geruasone - 1763.

مقدمة :

يعتبر موضوع العلاقات بين الإيالات العثمانية في غرب البحر المتوسط مع الدول الأوروبية المطلة على المتوسط ،من المواضيع المهمة والتي مازالت إلى يومنا تحظى بالدراسة من قبل الباحثين ،هذا بطبيعة الحال يعود إلى تنوع تلك العلاقات واختلافها من دولة إلى أخرى ،وتتميزها من طرف إلى آخر ،واختلاف طبيعة تلك العلاقات من العداء إلى السلم بحسب الظروف والعوامل التي تحكمها .

وفي هذا الإطار أردت أن أخوض في موضوع يندرج في المضمون ذاته ،لكنه أكثر خصوصية ودقة :ألا وهو موضوع :معاهدة السلم التونسية البندقية سنة 1763م .وقد اخترت هذا الموضوع بسبب عدة عوامل أراها موضوعية :فالموضوع يشكل جزئية مهمة ضمن موضوع علاقات تونس والبندقية خلال العصر الحديث ،إضافة أن المعاهدة تعتبر أول معاهدة سلم بين الطرفين خلال العصور الحديثة ،وبالتالي كانت بداية لتوجه الطرفين نحو السلم النهائي بينهما .

كنت قد عثرت على نسخة من بنود المعاهدة عند زيارتي للأرشيف الوطني التونسي، فأدرت أن أقدمها للقراء حتى يستفيد الطلبة من مضمونها. وهذه الوثيقة عبارة عن المعاهدة التونسية - البندقية المبرمة بين الباي التونسي علي باي والوزير البندقي قاتنانو جرفازوني في سنة 1763م، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والإيطالية، وهي تتكون من 23 بندا، وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 50 صفحة. وقد ركزت على بعض البنود وهي: 1، 3، 9، 16، 17، 20، 23، نظرا لأهميتها، بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس والبندقية. والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية، في الصندوق 247، الملف 647. ضمن وثائق الأرشيف الوطني التونسي.

والإشكال الذي يمكن طرحه في هذا المقال يدور حول عدة تساؤلات، تتمثل في: ماهي الظروف التي عقدت فيها معاهدة السلم بين تونس وجمهورية البندقية سنة 1763م؟ وماهي المضامين التي احتوتها بنود المعاهدة؟ وماهي انعكاساتها ونتائجها على علاقات الطرفين؟

1 - مساعي جمهورية البندقية لعقد معاهدة سلام مع تونس:

لقد عقد السلطان العثماني صلحا مع جمهورية البندقية في سنة 1707م، وأرسل فرمانا إلى أوجاقات الغرب، يعلمهم بهذا الصلح وبموجبه تعهد لهم بالسماح لسفن البندقية ورعاياها، وتجارها بالتحرك ضمن ممتلكات الدولة العثمانية، وبعدم مهاجمتها، وفي سنة 1717م عقدت الدولة العثمانية معاهدة صلح أخرى مع جمهورية البندقية، والتي نصت على حرية الملاحة للسفن البندقية في السواحل العثمانية، وطلبت الدولة العثمانية من الأوجاق المغاربية احترام ذلك، وقد كانت أوجاق الغرب في حالة خصام وحرب شديد مع البندقية، التي كانت تدرك ذلك جيدا⁽¹⁾.

وقد ظلت جمهورية البندقية إلى غاية العشرينات من القرن 18م، تتستر لحماية تجارتها ورعاية مصالحها، وراء المعاهدات المبرمة بينها وبين الدولة العثمانية، حيث أقرت تلك المعاهدات بسريان نصوصها على مختلف الولايات العثمانية. وفي سنة 1720م عازمت البندقية على عقد اتفاق مع كل من تونس والجزائر، على أن يتوسط الباب العالي في مساعيها، فأوفدت الدولة العثمانية مبعوثا إليهما، وكانت مهمته تتلخص في الطلب من الحكومتين إرسال

شخصيات مسؤولة بشأن التفاوض مع ممثل جمهورية البندقية لدى الباب العالي، لكن المفاوضات فشلت بسبب معارضة التجار البنادقة تحمل مصاريف المفاوضات⁽²⁾. ومن جهة أخرى كان التجار البنادقة لا يثقون في وعود المغاربة⁽³⁾.

وفي شهر ماي من سنة 1745م قدم إلى البندقية التاجر اليهودي التونسي مانويل دافيد مونتال David Montal، وقام بشراء بضائع متنوعة (حديد، وفولاذ، وخشب، قطع زجاجية)، بقيمة كلية قدرها 150000 دوقية، ونقلها إلى تونس على متن سفينة بندقية، وكان مانويل يحمل إذن المرور من باي تونس، وبفضل هذه السفينة التي تنتمي إلى أمة ليست للباي أية معاهدة سلام معها، استطاعت

أن تدخل إلى تونس بدون حساب خطر القراصنة التونسيين⁽⁴⁾.

وفي العام التالي أي في سنة 1746م عاد التاجر اليهودي التونسي مانويل مونتال إلى البندقية، من أجل شراء بضائع أخرى، وسلم رسالة إلى مجلس الخبراء الخمسة للتجارة، من الوزير الأول لباي تونس، يقترح على جمهورية البندقية خلاصة معاهدة سلم وتجارة مع إيالة تونس، مقابل دفع 50000 ريال، لكن مجلس الخبراء الخمسة للجمهورية أجاب الوزير التونسي، بأن مجلس الشيوخ هو الوحيد الذي له الحق في الحكم في هذا الأمر⁽⁵⁾. ذلك أن مجلس الحكماء الخمس قرر عقد معاهدات مع الدول المغاربية، بعد فشل السلطان العثماني في إجبارها على توقيع اتفاق مع الجمهورية. فقرر مجلس الحكماء التفاوض مباشرة مع كبار المسؤولين فيها. وكلف نيكولا روزاليم، الذي كان يشغل منصب قنصل للبندقية بأزمير، بالتوجه إلى الجزائر، ثم تونس، وطرابلس⁽⁶⁾. وستكون هذه بداية التوجه الفعلي للبندقية لتوقيع اتفاقية سلام مع تونس.

2 - معاهدة السلام التونسية البندقية لسنة 1763م :

وقد أبرمت إيالة تونس مع جمهورية البندقية معاهدة سلام في سنة 1763م، وذلك لحماية الملاحة والتجارة بينهما، ووقعت من طرف المفاوض قائتانو جرفازوني Gaetano Geruasone، الوزير المفوض لحكومة البندقية. وكان جرفازوني توجه في سنة 1762م في مهمة إلى الجزائر لتوقيع معاهدة سلام، وافق الداوي على إبرام معاهدة مع الجمهورية، ووعد بإرغام باي تونس على عقد معاهدة مع البندقية مقابل 25000 ريال. وفي شهر ماي من سنة 1763م عاد

جرفازوني مرة أخرى إلى المنطقة، بعد أن كلفه مجلس شيوخ البندقية لعقد معاهدات مع الإيالات المغاربية الثلاث، بدأ جرفازوني بالجزائر فأبرم معها معاهدة سلام، ثم توجه إلى تونس حيث تمكن من إبرام معاهدة سلام مع الباي في 1 سبتمبر من سنة 1763م، وقد تناولت المعاهدة قضايا الملاحة البحرية والتجارية في البحر المتوسط، وحقوق رعايا الطرفين، وعدم ممارسة القرصنة ضد بعضهما البعض، بالإضافة إلى التمثيل القنصلي للجمهورية بتونس وحقوق القنصل البندقي، والامتيازات التي منحت له البنندان 16 و 17، بالإضافة إلى معاملة أعداء الطرفين البندقي 9، وقضية المياه الإقليمية للطرفين البندقي 23⁽⁷⁾.

وطبقا لمشروع سنة 1751م، مع إلحاق بند سري من أهم ما جاء فيه: أن جمهورية البندقية ملزمة بدفع مرة واحدة للإيالة التونسية قيمته 20000 ريال، وبعض الهدايا. وقد ترك جرفازوني في تونس من أجل القيام بمصالح البندقية السيد جيوفاني قازو Giovanni Gazzo، طبيب الباي التونسي علي باي، والذي رسّم فيما بعد سفيرا للجمهورية في تونس⁽⁸⁾. لقد كانت جمهورية البندقية هي المستفيد الأول من المعاهدة فقد ضمنت حماية مصالحها التجارية، ومصالح رعاياها، عن طريق حصولها على تمثيل قنصلي في تونس، وكانت هذه المعاهدة الأولى بين إيالة تونس وجمهورية البندقية في القرن 18م، إن لم نقل خلال العصر الحديث.

3 - مضمون بعض بنود معاهدة 01 سبتمبر 1763م: الوثيقة عبارة عن المعاهدة التونسية - البندقية المبرمة بين الباي التونسي علي باي والوزير البندقي قانتانو جرفازوني في سنة 1763م، وهذه الوثيقة مكتوبة باللغتين العثمانية والإيطالية، وهي تتكون من 23 بندا، وبالتالي يصبح عدد صفحاتها حوالي 50 صفحة. وقد ركزت على بعض البنود وهي: 1، 3، 9، 16، 17، 20، 23، نظرا لأهميتها، بالنسبة لدراسة العلاقات بين تونس، والبندقية. والوثيقة مصنفة ضمن السلسلة التاريخية، في الصندوق 247، الملف 647. ضمن وثائق الأرشيف الوطني التونسي⁽⁹⁾:

البند 1 - إبرام معاهدة السلام بين سمو جمهورية البندقية وعلي باشا باي تونس، وأغا الانكشارية والديوان وتم توقيع المعاهدة من طرف الوزير المفوض من طرف الجمهورية قانتانو جرفازوني، وعلي باي عن إيالة تونس.

البند 3 - يتعلق بقضايا الملاحة البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، وعدم ممارسة القرصنة ضد سفن الطرفين ، وعدم الحاق الضرر بسفن الطرفين ، ورعاياهم ، وممتلكاتهم .

البند 9 - لا يسمح للجزائريين والطرابلسيين ، واهل سلا وغيرهم ، أن يجلبوا إلى تونس سفنا تعود إلى البندقية ، أو بضائعها وأمتعتها ، أو رعاياها ، ونفس الأمر ينطبق على تونس في موانئ الجمهورية .

البند 16 - إذا وقعت قضية بين احد رعايا جمهورية البندقية مع مسلم ، فإن القنصل البندقي يحضر المحاكمة ، أما إذا وقع الخلاف بين رعايا الجمهورية فان القنصل البندقي يبت في القضية .

البند 17 - بإمكان القنصل البندقي أن يحظى بالأمن والطمأنينة ، ولا يلحق أحد الضرر بشخصه أو أمتعته ، وبإمكانه أن يستخدم مترجما ، وله الحق في ممارسة دينه في داره الخاصة ، وبإستطاعته أن يحصل على ضرورياته الدينية .

البند 20 - عندما تصل سفينة حربية تابعة لجمهورية البندقية إلى تونس ، وبعد أن يبلغ القنصل البندقي الحكومة التونسية بخبر رسوها أمام الميناء ، فإنه احتراماً للجمهورية يطلق إحدى وعشرين طلقة مدفع ، ويرد الريان البندقي بعد ذلك بنفس العدد .

البند 23 - إن السفن الحربية أو القرصنية التونسية لا يمكنها الدخول إلى خليج البندقية لممارسة القرصنة ، ولا يستطيعون ممارسة القرصنة ، إلا على بعد ثلاثين ميلا من السواحل البندقية ، وفي المقابل فإن السفن المسلحة البندقية ، لا تقوم بالقرصنة إزاء الأصدقاء بتونس ، في حدود ثلاثين ميلا من مياهها .

4 - العلاقات التونسية البندقية ما بعد معاهدة 1763م :

وصلت إلى تونس في نهاية سنة 1764م بارجتان بندقيتان تحت إمرة الكونت بوروفيك Borowik من أجل تسليم وثائق المصادقة على معاهدة السلم ، التي أبرمت بين البندقية وتونس . تقدمت السفينتان البندقيتان نحو مرسى حلق الوادي ، وصادف ذلك وجود بارجة حربية فرنسية بقيادة السيد دو شابرت de Chabert ، وقد رغب الباي في معاملة المبعوث البندقي وقائد البحرية الفرنسية على قدم المساواة ، لكن تحت تأثير القنصل الفرنسي دو سيزيو ، لم يحي

المبعوث البندقي إلا بسبعة طلقات مدفع ، كما أنه قام بنزع الحذاء ، وقبل يد الباي عند مقابلته الرسمية للباي⁽¹⁰⁾ .

وحسب مصادر غربية أنه خلال الفترة 1764م - 1765م سلّح مجلس الشيوخ أسطولا ، وأرسله إلى شمال أفريقيا ، حاولت السفن البندقية قنبلة كل من تونس ، وطرابلس ، والجزائر ، لكن بدون جدوى ، لذلك بدأت المفاوضات بينها وبين الإيالات من أجل عقد السلام خلال هذه الفترة (1764 - 1765) ، لكن رغم ذلك فإن معاهدات السلام مع الدول المغاربية لم تقدم أية ثقة ، فمهما كانت شروطها إيجابية ، والتي تتعلق بالتجارة أو الملاحة البحرية ، إلا أنها كانت تخرق بدون أي حرج من طرف البلدان المغاربية ، في كل مرة عندما تكون الفرصة سانحة⁽¹¹⁾ .

وفي سنة 1766م قامت البندقية بحملة بحرية ضد طرابلس ، لكن تونس والجزائر لم تبد أية قلق منها ، لذلك قررت البندقية حماية تجارتها ، فأرسل مجلس الشيوخ الأميرال أنجلو إيمو Angélo Emo من أجل مهاجمة القراصنة وضربهم ، بسبب عدم احترامهم للسلم . فقبل موانئ بنزرت ، وسوسة ، وحلق الوادي ، ثم وسع جوالاته البحرية من مضيق جبل طارق إلى الوطن القبلي Cap Bon ، وألحق بدول شمال أفريقيا خسائر كبيرة ، واستمر هذا الوضع ثلاث سنوات متتالية . زال قلق التجار البنادقة ، بسبب تسليح الأسطول البحري ، ولكن بسبب التكاليف الباهظة ، لذلك أمر مجلس الشيوخ الأميرال أنجلو للعودة لاقتراح السلم ، والعودة لشروط القديمة للدولة العثمانية ، من أجل الحصول على السلم مع البلدان المغاربية ، بعد فشل أسلوب القوة⁽¹²⁾ . وبذلك عادت العلاقات سلمية بين الطرفين .

خاتمة :

ومما سبق يمكن استخلاص مجموعة من النتائج :

- سعت جمهورية البندقية منذ بداية القرن 18م إلى توقيع معاهدة سلام مع تونس ،وبذلت مجهودات كبيرة حتى نجحت في سنة 1763م .
- كانت أهداف البندقية واضحة وهي حماية مصالحها التجارية في تونس والحفاظ عليها .
- تحصلت جمهورية البندقية على امتيازات كبيرة بعد توقيعها لمعاهدة سنة 1763م .
- كانت معاهدة سنة 1763م بين تونس والبندقية الأولى من نوعها في الفترة الحديثة ،وستكون فاتحة لمرحلة من العلاقات السلمية .

Il presente io M^{te} Baria e R^e di Sinis facio Le qui Sotto dichiarazioni et esclusioni
Trattato stabilito con la Serma Republica di Venezia Amica, e. cio per l'istanza fatta
a Luonne Comata Ministro incaricato per gl'affari della stessa Serma Republica di Ven
cia.

e si dichiara che La Serma Repubblica di Venezia Unica non concederà Patenti o Privilegi
Nazioni Esterne e se per sorte le nre Partimenti Venesiani ritrovassero Privilegi o Patenti de
Nazioni diverse sarà fatta una nota buona o mala ma nonostante la nra Pace resterà sempre
buona e stabile. Inche la presente valera per escludere d'ist. Articolo primo d'el Trattato cio che
se saranno concedute Patenti o Privilegi Venetiani a Stranieri diverse la nra Pace sarà rotta
e tutte convenzioni saranno annullate. adunque il detto Punto resta escluso d'el Trattato e di nessun
valore.

[illegible]

*Jovane Gmado m
ma m m o*

الهوامش:

- (1) عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989 ، ص ص 458 ، 480 .
- (2) أبرمت جمهورية البندقية في سنة 1317م معاهدة تجارية مع الملك الحفصي زكريا أبي يحيى ، أكدت على حرية التجارة ، وأباحت للبنادقة حق امتلاك الحوانيت والمنازل ، ومخزن وحمام ، وإقامة كنيسة . ينظر : عائشة غطاس : المعاهدة الجزائرية البندقية ، في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1993 ، ص ص 94 - 108 .
- (3) محي الدين التبيني : المصادر الوثائقية لدراسة العلاقات بين إيالة تونس والمدن - الدويلات الإيطالية خلال الفترة الحديثة (1748 - 1861) رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : أ/بو بكر الصادق ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس الأولى 2004/2005 ، ص 308 .
- (4) A Sogerdoti: Venise et les Régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699-1760 , in la Revue Africaine , Alger 1957 , T101 , p p 273-296 .
- (5) Ibid .
- (6) محي الدين التبيني : المرجع السابق ، ص 310 .
- (7) المعاهدة التونسية - البندقية الموقعة بتاريخ 1 سبتمبر من سنة 1763م / 22 صفر من سنة 1177هـ ، والمعاهدة تم توقيعها من طرف علي باي والوزير المفوض لحكومة البندقية قانتالو جرفازوني ، بنود المعاهدة مكتوبة باللغتين التركية والإيطالية ، وهي تتكون من 23 بنداً مست قضايا الملاحة البحرية والتجارة بين الطرفين ، والمعاهدة مصنفة في السلسلة التاريخية بالأرشيف الوطني التونسي ، ضمن الصندوق 247 ، الملف 647 . ينظر الملحق الذي يمثل نسخ من بعض بنود المعاهدة للتوثيق فقط (البند 1 و 23) ، كنت قد نسخت بنود المعاهدة كاملة عند زيارتي للأرشيف الوطني التونسي ، لكن المقال لا يتسع لإدراجها كلها .
- (8) Alphonse Rousseau: Annales Tunisiennes ou aperçu sur la Régence de Tunis, édition Bouslama , Tunis 1980 , p 166 .
- (9) من إعداد الأستاذ الباحث الشافعي درويش .
- (10) Alphonse Rousseau: opcit , p 166 .
- (11) M.Léon Galibert: Histoire de la République de Venise , Furne et C . Libraires éditeur , Paris 1854 , p p 453-454 .
- (12) Ibid .
- (13) المعاهدة كاملة موجودة في الصندوق رقم : 247 ، الملف رقم : 647 ، بالسلسلة التاريخية في الأرشيف الوطني التونسي .



المختصرات الفقهية عند إياضية المغرب

كتاب النيل انموذجا

Jurisprudential Acronyms Of Maghreb Ibadi The Book Of Nile As A Model

باباواسماعيل زهير

أستاذ محاضر "ب"، جامعة غرداية

babaousmail.zahir@univ-ghardaaia.dz

zahirbab@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-08-10

الملخص -

اتسم التأليف الفقهي عند إياضية المغرب - بخاصة المتأخرين منهم - بالاختصار، رغبة منهم في الاقتصار على المسائل المهمة ليسهل على الطلبة حفظها واستحضارها. ومن أبرز هذه المختصرات الفقهية كتاب النيل وشفاء العليل لعبد العزيز الثميني الذي جمع فيه عصارة ما أنتجه علماء الإياضية المتقدمين، بأسلوب تميز بالدقة، وجزالة العبارة، حملت من جاء بعده على الاهتمام بالكتاب نظما وشرحا وترجمة، على غرار الشيخ امحمد اطفيش الذي شرحه في موسوعته الشهيرة بشرح كتاب النيل وشفاء العليل.

الكلمات المفتاحية -

المختصرات، الفقه، إياضية المغرب، كتاب النيل

Abstract –

The Jurisprudential Authorship Of The Ibadi Of The Maghreb- Especially The Later Ones - Is Characterized By A Desire To Limit Themselves To Important Issues That Are Easy For Students To Memorize And Invoke. One Of The Most Prominent Of These Acronyms Is The Book Of Ennile Wa Chifaa El Alil To Abdul Aziz Al-Thamini, In Which He Gathered All What Was Produced By The Early Ibadhi Scholars, In A Manner That Accurately Distinguishes It From The Latest Scholars . Similar To Sheikh Mhamed Tfayyesh, Who Explained It In His Famous Encyclopedia The Book Of Ennil Wa Chifaa El Alil.

Key Words -

Acronyms; Jurisprudence; Ibadi Of The Maghreb; The Book Of Ennile.

– مقدمة:

عرف الفقه الإسلامي عبر مختلف العصور بنتاجه الضخم الذي شمل جميع الأبواب الفقهية، وعند كل المذاهب الفقهية، وقد انتدب لهذه المهمة فقهاء أبدعوا في طرق التأليف ومناهجه، فكانت منهم المدونات، والجوامع، والمنظومات، والشروح، والحواشي، إضافة إلى المختصرات الفقهية، التي تعد من أهم هذه المناهج التي شغلت حيزا مهما من هذا النتاج.

وقد اتسم أسلوب التأليف عند فقهاء إباضية المغرب بالاختصار وجزالة العبارات، منذ القرون الأولى، ليتطور عند المتأخرين منهم، الذين رتبوا ما ألفه المتقدمون وجمعه في مختصرات تميزت بجزالة العبارة ودقتها، وبحسن الترتيب وسلاسة الأسلوب.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة التطرق إلى التعريف بهذه المختصرات ومناهجها بالتركيز على واحد من أشهر هذه المختصرات وأكملها، وهو كتاب النيل وشفاء العليل لمؤلفه الشيخ عبد العزيز الثميني.

أولا - تعريف الاختصار وتاريخ ظهور المختصرات الفقهية

1. تعريف الاختصار:

أ. لغة: الاختصار في اللغة: هو إيجاز الكلام، قال ابن منظور: «اختصار الكلام: إيجازه، والاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى، ... والاختصار: حذف الفضول من كل شيء»¹، قال ابن فارس: «والاختصار في الكلام: ترك فضوله واستيجاز معانيه، وكان بعض أهل اللغة يقول: الاختصار أخذ أوساط الكلام وترك شعبه»². ومنه قوله ﷺ: «أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمُهُ وَاخْتُصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا»³. فالاختصار عند أهل اللغة هو ترك الفضول من كل شيء وحذفه، وهو إما حسي كاختصار الطريق، ومعنوي كاختصار الكلام، وكلاهما يدل على معنى واحد.

ب. اصطلاحاً: إنَّ البحث عن معنى الاختصار عند الفقهاء يجرُّنا إلى تتبُّع معانيه عند شراح المختصرات الفقهية لمختلف المذاهب، والذين غالباً ما يتعرَّضون إلى بيان مفردة المختصر في مقدِّمات شروحهم؛ ومن ذلك ما أورده البهوتي (ت: 1051هـ) في شرح زاد المستقنع، عند شرحه لمفردة "مختصر"، حيث قال: «أي موجز؛ هو ما قلَّ لفظه وكثرت معانيه»⁴. وقال الحطَّاب الرعيني (ت: 954هـ) في مواهب الجليل: «والاختصار ضمُّ بعض الشيء إلى بعض للإيجاز، وهو إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة»⁵. كما بيَّن الخطيب الشربيني (ت: 977هـ) في شرح المنهاج معنى الاختصار بقوله: «والاختصار إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى»⁶.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، (مادة: خصر)، ج 4/ص 243.

² - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، (مادة: خصر)، ج 2/ص 189.

³ - رواه أبو يعلى عن عمر ﷺ، ورواه العسكري في الأمصال مرسلًا، والدليمي بلا سند عن ابن عباس. ينظر - الهيثمي: المقصد العلي، كتاب: العلم، باب: في علم سيدنا رسول الله ﷺ، رقم: 59، ج 1/ص 58، العجلوني: كشف الخفاء، ج 1/ص 21 - 22.

⁴ - البهوتي: الروض المربع، ص 4.

⁵ - الحطَّاب الرعيني: مواهب الجليل، ج 1/ص 24.

⁶ - الشربيني: مغني المحتاج، ج 1/ص 103.

وأما ابن قدامة (ت: 620 هـ) فيقول في بيانه لمعنى عبارة "اختصرت هذا الكتاب":
«يعني قريته، وقللت ألفاظه، وأوجزته».⁷

وفي شرحه لمعنى الاختصار في شرح النيل يقول الشيخ امحمد اطفيش (ت: 1332 هـ): «ويطلق الاختصار أيضا على تقليل اللفظ، ولو كان المعنى على قدر اللفظ فقط».⁸

ومن خلال النظر في التعريفات المتقدمة يتبين أنها تتفق على أن اختصار الكلام هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أي تقليل اللفظ وتكثير المعنى، واختصار الكتاب هو تقليل مسائله، وذلك بتقليل ألفاظه لكن مع تأدية المعنى.

2. نشأة ظاهرة الاختصار في الفقه الإسلامي:

اختلفت مناهج التأليف وأغراضه لدى الفقهاء عبر العصور، فإما أن يؤلف الفقيه تأليفا ذاتيا لم يسبق إليه، وإما أن يتعامل مع مؤلف سابق بالشرح، أو النظم، أو الترتيب، أو الاختصار. وقد شغل المنهج الأخير حيزا معتبرا من الكتب الفقهية، حيث اشتغل الفقهاء باختصار مؤلفات من سبقوهم، وتفننوا في ذلك، حتى كان الاختصار أحيانا ألغازا يصعب الوقوف على معانيها.

ولا يمكن الوقوف على فترة محددة لظهور الاختصار في الفقه الإسلامي، لكن تجمع المصادر على أن تفاقم ظاهرة الاختصار في الفقه الإسلامي، وتوسّعها ظهر مع غلق باب الاجتهاد المطلق في حدود القرن الرابع الهجري؛ وذلك لما تشكلت المذاهب، وتميزت أصولها، فانتدب أرباب كل مذهب إلى جمع أقوال أئمتهم فيما يسمّى بالمدونات، ثم انكبّ من جاء بعدهم على تلك المدونات يرتّبون ما جاء فيها من أقوال وآراء في نصوص موجزة، وعبارات مختصرة،⁹ فظهرت المختصرات كصورة جليّة لمرحلة تقلصت فيها دائرة الاجتهاد الذي أصبح مقيدا داخل المذاهب، خاصة لما شدد حكام المماليك على من خالف أصول المذاهب الأربعة.¹⁰

⁷ - ابن قدامة: المغني، ج 1/ص 5.

⁸ - اطفيش: شرح كتاب النيل، ج 1/ص 11.

⁹ - الحجوي: الفكر السامي، ج 2/ص 457.

¹⁰ - كرد علي: خطط الشام، ج 4/ص 49.

ثم ازداد انتشار المختصرات بشكل أكبر في القرن السابع الهجري، إذ لا تجد مؤلفا فقهيا من الأمهات، إلا وقد اختصر، وربما احتاج هذا الاختصار إلى اختصار آخر، وصلت بعضها إلى حدّ الألغاز والرموز التي يحتاج فهمها إلى فك شفراتها، فظهرت عليها الشروح والحواشي.¹¹

فمدونة الإمام مالك (ت: 179هـ) التي تقع في ثلاثة مجلدات، اختصرها ابن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ)، ثم جاء البراذعي ابن البراذعي (ت: 372هـ) فاختصر مختصر أبي زيد في كتاب سماه: "التهذيب"، ثم جاء ابن الحاجب (ت: 646هـ) فاختصر تهذيب البراذعي، ثم جاء بعده الإمام خليل (ت: 776هـ) فاختصر مختصر ابن الحاجب، فبلغ بذلك غاية في الاختصار؛ فاحتاج إلى شروح لفك شفرات عباراته التي كانت أقرب إلى الألغاز؛ فشرحه كل من الحطاب الرعيني (ت: 954هـ)، والخُرشي (ت: 1101هـ)، والزرقاني (ت: 1099هـ)، وغيرهم.¹²

وقد ظهر الاختصار في الفقه تماشيا مع التطور الذي شهده التأليف الفقهي، فلما كان اهتمام المتقدمين بجمع علم الفقه وتدوينه، عمد المتأخرون إلى تحرير هذا العلم وتهذيبه وترتيبه، وإعادة صياغته، وحذف ما لا طائل منه في عصرهم.¹³

ثانيا - دوافع الاختصار عند إباضية المغرب وأهم مختصراتهم الفقهية

1. دوافع سلوك إباضية المغرب منهج الاختصار:

نقل السامي (1332هـ) في مقدّمة كتابه المعارج عند بيانه لمنهج الفقهاء في التصنيف والتأليف كلام حاجي خليفة (ت: 1067هـ) في كشف الظنون، فأشار إلى أنّ كتب العلم تنحصر من جهة المعنى في قسمين، أحدهما: قواعد علوم؛ والتي ذكر أنّها «تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف: الأول: مختصرات تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة.

¹¹ - الحجوي: الفكر السامي، ج2/ص459.

¹² - قبول: الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، ص52.

¹³ - الشمراني: المدخل إلى علم المختصرات، ص95.

والثاني: مبسوطات تقابل المختصر، وهذه ينتفع بها للمطالعة.

والثالث: متوسطات، وهذه نفعها عام».¹⁴

وقد تباينت مناهج التأليف عند علماء الإباضية قديما وحديثا، خاصة بين المشاركة والمغاربة، فقد تميّز إباضية المشرق بالتأليف الموسوعي؛ لاحتواء مصنفاتهم على مختلف العلوم الشرعية، وبالمطولات؛ حيث بلغت أجزاء بعض منها ما يربو عن 92 مجلدا؛ كما هو شأن قاموس الشريعة الحاوي طرقها الفسيحة لجميل بن خميس السعدي (ق13هـ).

وبالمقابل فإنّ إباضية المغرب نهجوا مسلك الاختصار في أغلب مصنفاتهم، إذ لم تحفظ كتب السير والتاريخ ولا ما هو موجود بين أيدينا من هذه المصنفات عالما من علماء إباضية المغرب سلك منهج التأليف الموسوعي؛ ما خلا قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ) الذي شرح كتاب النيل في موسوعته الشهيرة بشرح كتاب النيل وشفاء العليل، والتي تضمّ سبعة عشر مجلدا.

ويعود جنوح إباضية المغرب إلى الاختصار إلى عدّة عوامل نذكر منها:

- ميل النفوس عموما إلى الاختصار، وهو طبع متأصل في الإنسان، فطبيعة البشر ترغب في الاختصار والاقتصار على الأهم، وتنفر من الإسهاب والإطالة في الكلام،¹⁵ يقول ابن الحاجب (ت: 646هـ) في مقدمة مختصر المنتهى: «لما رأيت قصور الهمم عن الإكثار، وميلها إلى الإيجاز والاختصار، صنّفت مختصرا في أصول الفقه».¹⁶

- الاتّصال التاريخي لإباضية المغرب بعلماء المذهب المالكي المنتشر في المغرب الإسلامي، خاصة الأندلسيين منهم والقيروانيين، والذين سلكوا منهج الاختصار في الكثير من مؤلفاتهم، على غرار رسالة ابن أبي زيد القيرواني

¹⁴ - السامي: معارج الأمال، ج1/ص89؛ وينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1/ص35.

¹⁵ - العمري: الاختصار في التفسير، ص42.

¹⁶ - ابن الحاجب: مختصر المنتهى، (مطبوع مع شرح العضد عليه)، ج1/ص23.

(ت: 386هـ)، والمختصر الفقهي لابن الحاجب (ت: 646هـ) ، ومختصر خليل (ت: 776هـ).¹⁷

- إنَّ الدافع للتأليف عند أغلب فقهاء إباضية المغرب هو توفير مادة علمية لطلبة العلم، فكانت أغلب هذه المؤلفات عبارة عن مقررات دراسية في فنٍّ من فنون التدريس؛ من نحو وبلاغة وفقه وعقيدة وأصول.¹⁸ لذا فقد فضّل العلماء المختصرات، حتى يسهل على الطلبة حفظ مادة الكتاب، واستحضار مسأله، فإنَّ المطولات يصعب حفظها أو يتعذر.¹⁹ يقول ابن قدامة (ت: 620 هـ): «وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلّمه وحفظه، فإنَّ الكلام يختصر ليحفظ ويطول ليفهم».²⁰

- حذف ما لا طائل منه، والذي من شأنه أن يُنسي المسائل المهمة، والقضايا الأصلية، إذ غالباً ما تتميز المطولات بالاستطراد والتكرار، وتشتمل على مواضيع ليست من صلب الموضوع المقصود بالتأليف فيه، مما يدفع بالمؤلف إلى اختصار الكتاب، وحذف ما لا طائل منه، قال البدر الشماخي (ت: 928هـ) في مقدمة مختصره: « وكان كتاب العدل المنسوب إلى الإمام الحافظ التقي أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني رحمه الله تعالى، أكمل ما صنّف أصحابنا فيه، لكنّه صعب المرام، لكثرة الكلام. استعنت الله في اختصاره».²¹

- تنقيح الكتاب الأصلي وإعادة ترتيب موضوعاته، بل وإضافة مواضيع وفوائد ممّا لم يتطرّق إليه صاحب الأصل، كما فعل البدر الشماخي (ت: 928هـ) في كتابه مختصر العدل والإنصاف؛ حيث أعاد ترتيب كتاب الوارجلاني إلى

¹⁷ - عبد الحي عبد المومن وآخرون: المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، ص12؛ قبول: الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، ص111، 135.

¹⁸ - ينظر - زهير باباواسماعيل: فتح الله شرح شرح مختصر العدل والإنصاف، دراسة وتحقيق، (القسم الدراسي)، ص62.

¹⁹ - الشمراني: المدخل إلى علم المختصرات، ص 103.

²⁰ - ابن قدامة: المغني، ج1/ص5.

²¹ - الشماخي: مختصر العدل والإنصاف، ص151.

عشرة أبواب، تناول فيها مواضيع لم ترد في الكتاب الأصلي. وهو ما فعله الثميني - أيضا - عند اختصاره لكتاب التاج من المنهاج؛ حيث قال في مقدمة الكتاب: «مسميًا له بـ التاج المنظوم من دُرر المنهاج المعلوم، مضيفا إليه من غيره بعض الفوائد، موشحًا له بغرر الفرائد...»²².

2. أهم المختصرات الفقهية عند فقهاء الإباضية المغرب:

بالنظر إلى السمة الغالبة عند إباضية المغرب فقد تعددت المختصرات عندهم خاصة المتأخرين منهم، منها ما هو تأليف ذاتي حمل اسم المختصر لقلّة أفاضله، وجزالة عباراته، ومنها ما كان اختصارا لكتاب سابق، أو مجموعة كتب. ومن بين أهم هذه المختصرات نذكر ما يأتي:

أ. مختصرات المتقدمين: اقتصرنا في هذا الموضع على إيراد ما كان اختصارا لكتاب سابق، أو ذكر لفظ المختصر في عنوانه من المؤلفات، وإلا فمعظم مؤلفات إباضية المغرب المتقدمين سلك فيها مؤلفوها منهج الاختصار، ومن أشهر هذه المؤلفات التي حملت في عنوانها اسم المختصر نذكر ما يأتي:

1 - كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه؛ لأبي زكرياء الجنائوني (ق5هـ)، وهو اختصار لأبواب في أصول الدين وفقه العبادات، قال الجنائوني: « فإنه رغب إليّ راغب من إخواني، ... وسألني تلخيص أبواب من أصول الدين والمسائل الشرعية»²³.

2 - مختصر في الفقه؛ لأحمد بن الحسين الطرابلسي (ت: في نهاية ق3هـ): ذكر البدر الشماخي (ت: 928هـ) في كتاب السير أنّ ابن الحسين الذي ينسب إلى الإباضية قد ترك كتابا مختصرا في الفقه، حيث قال: «...ورأيت له كتباً كثيرة أجّلّها وأحسنها المقالات وبعده المختصر في الفقه»²⁴. إلا أنّه لا أثر لهذا الكتاب ولا غيرها من كتب ابن الحسين.²⁵

²² - الثميني: التاج المنظوم، ج1/ص4.

²³ - الجنائوني: كتاب الوضع، ص15.

²⁴ - الشماخي: السير، ص262.

²⁵ - النامي: دراسات عن الإباضية، ص214.

- 3 - مختصر الفرائض؛ لأبي عمار عبد الكافي (ت قبل: 570هـ): نسب الدكتور عمرو النامي في كتابه دراسات عن الإباضية إلى أبي عمار كتابا مختصرا في الفرائض، والظاهر أنه من مفقوداته، حيث قال: «كذلك ألف كتابين آخرين مختصرين: "مختصر في الفرائض"؛ و"مختصر طبقات المشايخ"».²⁶
- 4 - فصل في اختصار مسائل من ترتيب المعلقات؛ لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: 471هـ): والكتاب لا يزال مخطوطا.²⁷
- ب. مختصر المناسك ومهذب المسالك، لإبراهيم المصعبي (حي في: 1195هـ)، والكتاب لا يزال مخطوطا.²⁸ وقد اختصر فيه كتاب المناسك لإسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ).
- ج - مختصرات عبد العزيز الثميني (ت: 1223هـ): يعدّ الثميني من أشهر علماء الإباضية الذين سلكوا منهج الاختصار في تأليفه، حيث أثرى المكتبة الإسلامية بنفيس الكتب التي حاول فيها اختصار كتاب أو جمع مادة مختصرة من مجموعة كتب، ومن بين أهم هذه المختصرات نذكر ما يأتي:
 - 1 - كتاب النيل وشفاء العليل، وهو الكتاب الذي سنخصصه بالدراسة.
 - 2 - التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، والكتاب مطبوع، وقد اختصر فيه كتاب أصول الأرضين لأبي العباس الفرسطائي (ت: 504هـ)، في فن العمارة وأحكامها، وهو الباب الذي خلا منه كتاب النيل.²⁹
 - 3 - الورد البسم في رياض الأحكام: ألفه الثميني بعد تأليفه لكتاب النيل وتكملته، فأراد أن يثلاثهما بكتاب الورد البسم لإتمام المقصود في باب الأحكام، وقد اختصر فيه ما جاء في كتاب الأحكام من ديوان الأشياخ، وأضاف إليه فوائد من غيره.³⁰

²⁶ - المرجع نفسه، 225.

²⁷ - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم: 472.

²⁸ - المرجع نفسه، ترجمة رقم: 35.

²⁹ - الثميني: التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، ص: ط.

³⁰ - الثميني: الورد البسم في رياض الأحكام، ص4، 7.

- 4 - التّاج المنظوم في درر المنهاج المعلوم: اختصر فيه الثميني كتاب: منهج الطالبين وبلاغ الرّغبين، لخميس بن سعيد الشّقصي (ت: حوالي 1660هـ)، وقد اختصره الثميني في سبعة مجلدات، تحتوي على 26 جزءاً.³¹
- 5 - المصباح المقتبس من كتاب أبي مسألة والألواح: وقد اختصر فيه الثميني كتابين في الفقه لأبي العباس أحمد بن محمد أبي بكر الفرستائي (ت: 504هـ)، وهما كتاب أبي مسألة، وكتاب الألواح.³²
- 6 - الأسرار النورانية على المنظومة الرائية: والمنظومة الرائية هي منظومة في الصلاة لأبي نصر فتح بن نوح الملوشتائي (النصف الأوّل ق: 7هـ)، وقد اختصر الثميني في كتابه شرحاً آخر تقدّمه على المنظومة الرائية في الصلاة لأبي حفص عمرو بن رمضان التلاتي (ت: 1187هـ).³³
- 7 - مختصر في أمور الزواج المقتبس من كتاب المنهاج: اختصر فيه الثميني باب الزواج من كتاب منهج الطالبين للشّقصي (ت: حوالي 1660هـ)، كما فعل في كتاب التاج، وهو الذي حمل البعض على تسميته بالتاج في حقوق الأزواج.³⁴
- 8 - عقد الجواهر المأخوذ من بحر القناطر: وهو كتاب في الفلسفة والأخلاق، اختصره الثميني من كتاب قناطر الخيرات لإسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ).³⁵
- د - مختصرات قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ): عرف قطب الأئمة بنتاجه العلمي الغزير، إذ ألف ما يربو عن 152 عنواناً، سلك فيها مختلف أغراض التأليف ومناهجه، وقد شغلت المختصرات حيزاً مهماً من مؤلفاته؛ ومن أهم هذه المختصرات نذكر:³⁶

31 - الثميني: التاج المنظوم، ج 1/ص 4 - 7.

32 - عمر إسماعيل: عبد العزيز الثميني حياته وآثاره، ص 71 - 72.

33 - الثميني: الأسرار النورانية على المنظومة الرائية، ص 3 - 4.

34 - عمر إسماعيل: عبد العزيز الثميني حياته وآثاره، ص 68.

35 - المرجع نفسه، ص 66.

36 - زهير باباواسماعيل: تخريج الفروع على الأصول، ص 147 - 150.

- 1 - كتاب مختصر عمارة الأرض: اختصر فيه قطب الأئمة بعض ما ورد في كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس الفرستائي (ت: 504هـ).
- 2 - كتاب الذهاب الخالص المنوّه بالعلم القائل، أو "جامع القواعد والحاشية"، والذي جمع فيه قطب الأئمة كتابي قواعد الإسلام لإسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ)، وحاشية أبي عبد الله محمد بن أبي ستة (ت: 1088هـ)، وسلك القطب في ذلك أسلوباً فريداً في الاختصار.
- 3 - كتاب الجامع الصغير لمعاني الوضع وحاشيته: أو كتاب جامع الوضع والحاشية، وهو كتاب مختصر جمع فيه قطب الأئمة بين كتابي الوضع لأبي الخير الجناوني (ق5هـ)، وحاشيته لأبي عبد الله بن أبي ستة (ت: 1088هـ).

ثالثاً - كتاب النيل انموج للمختصرات الفقهية لفقهاء إباحية المغرب

1. التعريف بصاحب النيل عبد العزيز الثميني:

هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني، الملقّب بـ"ضياء الدين"؛ لعلمه الواسع، ولأنه كان النور الذي أضاء مجتمعه الذي سيطر عليه ظلام الجهل.³⁷

ولد عبد العزيز الثميني في بلدة بني يزقن بغرداية الجزائر سنة: 1130هـ/1718م، كان شغوفاً بالعلم ولكنه لم تتح له الفرصة للتعلم إلا بعد أن تجاوز السابعة والعشرين من عمره، فقد اشتغل في بداية حياته بالتجارة والفلاحة، وبقدوم الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي (ت: 1202هـ)، إلى ميزاب لازمه في حلقاته إلى أن نبغ في مختلف العلوم،³⁸ فانتقلت إليه مشيخة العزابة سنة 1201هـ/1786م، ولازم العمل الاجتماعي والإصلاحي، والمهام الدينية رداً من الزمن، ثم اعتزل الناس ليشغل بالتدريس والفتوى والتأليف، «ولزم داره خمس عشرة سنة، لا يخرج منها إلا إذا حزب الأمة أمر».³⁹

³⁷ - دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، ج1/ص263؛ جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم: 555.

³⁸ - عمر إسماعيل: عبد العزيز الثميني حياته وآثاره، ص19.

³⁹ - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم: 555.

وقد تخرَّج على يدي الثميني عدد يصعب حصرهم من تلاميذ حملوا لواء العلم والإصلاح في مجتمعه من بعده، وأشهرهم: الحاج إبراهيم بن بيحمان، (ت: 1232هـ) والشيخ يوسف بن حمو بن عدون، (ت1252هـ)، والشيخ محمد أزيار (حي في: 1301هـ).⁴⁰

وقد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب في مختلف الفنون، من ذلك⁴¹:

- 1 - تعاضم الموجين، شرح مرج البحرين لأبي يعقوب الوارجلاني، في المنطق.
 - 2 - معالم الدين؛ في علم الكلام.
 - 3 - النور؛ مختصر شرح نونية أبي نصر، في العقيدة.
 - 4 - مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع بن حبيب، في الحديث.
 - 5 - رسالة في ميراث المولى، ورسالة أخرى في عدة المتوفى عنها زوجها قبل أن يدخل بها، وقد ألحق الثميني هاتين الرسالتين بكتابه الأسرار النورانية بخطه، وطبعت مع الكتاب في ثماني صفحات آخر الكتاب.⁴²
 - 6 - منظومات وقصائد شعرية في العديد من المجالات منها منظومة في بيان نزول القرآن، وأخرى في أهمية علم النحو، وأرجوزة في الفلك ومنازل البروج. كما له قصائد في مدح النبي ﷺ ورثاء بعض العلماء.⁴³
 - 7 - مراسلات عديدة خاصة مع أهل عمان، يرجع تاريخها إلى عام 1205هـ. بالإضافة إلى جملة المؤلفات الفقهية التي سلك فيها منهج الاختصار، والتي تقدم ذكرها في المطلب السابق.⁴⁴ حيث تعد المختصرات من أهم مؤلفاته.
- توفي الشيخ عبد العزيز الثميني في 11 رجب من سنة 1223هـ/1808م، عن عمر يزيد عن التسعين سنة، خلفا تراثا فكريا ضخما، ومكتبة ثرية، وهي الآن ببني يسجن باسم مكتبة الاستقامة.⁴⁵

⁴⁰ - عمر إسماعيل: الثميني حياته وآثاره، ص33.

⁴¹ - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم: 555.

⁴² - ينظر - الثميني: الأسرار النورانية، ص451- 459.

⁴³ - ينظر - عمر إسماعيل: الثميني حياته وآثاره، ص47.

⁴⁴ - ينظر: أهم المختصرات الفقهية عند فقهاء إباضية المغرب وما بعدها.

⁴⁵ - ينظر - عمر إسماعيل: الثميني حياته وآثاره، ص41.

2. دواعي الاختصار عند الثميني:

لم يكن الثميني يختصر الكتب للعامّة؛ بل سبّكها للخاصة من أهل العلم، حيث يقول في مقدمة كتابه التكميل: «..ولم أضعه لمبتدئ خال من القواعد والأصول، محروم من الموارد بعيد من الوصول...»⁴⁶. فقد أراد الثميني من مؤلفاته أن تكون أساساً للنهضة العلمية، واعتبرها مسلكاً ممهّداً للمجتهدين للإلمام بأهم القضايا في كل فن كتب فيه، ولصرف اهتمام العلماء إلى إحياء ما اندرس من العلوم التي حوتها تلك الأمّهات.⁴⁷ حيث يقول عن كتابه الورد البسام في المقدمة: «فإنّي ما رمته إلاّ عوناً لي ولن كان من المحتاجين مثلي، ورغبة في إحياء العلوم لاندراستها، لقلة الاهتمام بها وكثرة الهموم».⁴⁸

لذا فقد كان من أهم دوافع الثميني في اختصار الكتب هو تهذيبها وتجريدها من المسائل والقضايا التي لا طائل منها حتى يتسنى للقارئ الاستفادة من مكنونات هذه الكتب؛ خاصة في زمن ضعفت فيه همم المتعلمين عن الاستفادة ممّا حوته المطولات، قال الثميني في مقدمة التاج: «فوجدته كتاباً فائقاً، جامعاً لكثير من المهُمَّاتِ رائقاً، ولغليلاً الصدور شافياً، ولمؤنة الملمّات كافياً. ولكنّه لما فيه من التطويل والتكرار، قابل للتجريد والاختصار، صرفتُ عنان العناية نحو تحصيله، وشمرت عن ساق الجدّ في تلخيصه، واستنهضت الخيل والرجل إلى مقاصده، ووجهت ركاب النظر تلقاء مراصده...»⁴⁹.

كما سعى الثميني في مختصراته إلى إثراء الكتب التي كان يختصرها وتدعيمها ببعض الفوائد من غيرها، ليوثر للقارئ أكبر قدر من المعلومات، حيث قال في مقدمة التاج: «مسمّياً له بـ التاج المنظوم من دُرر المنهاج المعلوم، مضيفاً إليه من غيره بعض الفوائد، موشّحاً له بغرر الفرائد...»⁵⁰.

46 - الثميني: التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، ص4.

47 - ينظر -عمر إسماعيل: الثميني حياته وآثاره، ص50.

48 - الثميني: الورد البسام، ص8.

49 - الثميني: التاج المنظوم، ج1/ص3.

50 - المصدر نفسه، ج1/ص4.

3. القيمة العلمية لكتاب النيل:

لخصّ امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ) قيمة الكتاب بقوله: «...وكتابه هذا لم يوجد مثله في المذهب».⁵¹ وهذه القيمة العلمية للكتاب دفعت بمن جاء بعد الثميني إلى الاعتناء بالكتاب شرحاً ونظماً، ومن هؤلاء نذكر:

1 - امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ) الذي قام بشرح الكتاب في موسوعة تعدّ من أنفس ما ألف في الفقه الإباضي، وهو المعتمد في فقه الإباضية مشرقاً ومغرباً.⁵²

2 - أبو الفضل قاسم بن أبي الربيع سليمان بن محمد بن عمر الشماخي (ت: 1265هـ) الذي قام بشرح الكتاب أيضاً، وهو لا يزال مخطوطاً.⁵³

3 - صالح بن عمر لعلي (ت: 1347هـ) الذي وضع حاشية على بعض أجزائه، وهي لا تزال مخطوطة.⁵⁴

4 - محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ)، الذي نظم الكتاب في 3030 بيتاً سماها: "مسلك الذهب في الجوهر والدرر المهدّب".⁵⁵

5 - خلفان بن جميل السيّابي السمائي (ت: 1392هـ) الذي نظم كتاب النيل وشرحه لقطب الأئمة امحمد اطفيش في أرجوزة بلغت 32 ألف بيت، سماها "سلك الدرر الحاوي غرر الأثر".⁵⁶

ومما يدل على قيمة الكتاب ما قام به المستعمر الفرنسي؛ حيث ترجم بعض أجزائه إلى اللغة الفرنسية، بغية اعتمادها في المحاكم الفرنسية فيما تعلق بالأحكام الإباضية.⁵⁷

⁵¹ - القطب: شرح النيل، ج1/ص22.

⁵² - ينظر - السعدي: منهج الشيخ اطفيش في كتاب شرح النيل، ص170.

⁵³ - ينظر - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم: 738.

⁵⁴ - ينظر - الثميني: كتاب النيل وشفاء العليل، (مقدمة المصحح)، ج1/ص5؛ الحاج سعيد يوسف: تاريخ بني مزاب، ص243.

⁵⁵ - ينظر - امحمد اطفيش: شرح النيل: (المحقق) ج1/ص6؛ جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، رقم: 821.

⁵⁶ - ينظر - الراشدي: نشأة التدوين للفقه، كتاب ندوة الفقه الإسلامي، ص198.

وبهذا تبرز أهمية الكتاب خاصة عند علماء الإباضية؛ حيث يعدّ من الكتب الإباضية الفريدة التي حوت معظم الأبواب الفقهية المشهورة، بالإضافة إلى كونه خلاصة أهمّ ما نقل عن الإباضية المتقدمين.

4. أصل الكتاب وأهم مصادر مادته:

أشار الثميني في المقدمة إلى أنّ كتابه هو اختصار لجملة ما في كتب الإباضية، حيث قال: «..أجمع مختصرا في الفقه جامعاً مبيناً لما به الفتوى من مشهور المذهب».⁵⁸ إلا أنّه لم يفصح عن الكتب التي اختصر منها مادته، وقد ذكر الشيخ امحمد اطفيش - في مقدّمة شرحه - بعض الكتب التي اختصرها الثميني في النيل، والتي يتقدمها كتاب الإيضاح لأبي ساكن عامر الشماخي (ت: 792هـ)، مع حاشية أبي ستة (ت: 1088هـ) على الإيضاح، ونظراً لأهمية كتاب الإيضاح فقد كان معتمد الثميني الأول في اختصاره للنيل، إذ إنّ معظم أبواب الكتاب اختصرها من كتاب الإيضاح وحاشيته، وما لم يتناوله الشماخي في كتابه أو حاشيته، اختصره الثميني من كتب أخرى، والتي من أهمّها:

- كتابا الأحكام، والنكاح، لأبي زكرياء يحيى بن أبي الخير الجنائني (ق5هـ): اختصر منهما الثميني كتاب النكاح، وكتاب الأحكام.
- كتاب الديوان:⁵⁹ وقد اختصر الثميني من الديوان بعض أبواب كتاب البيوع؛ كالحمالة والحوالة، إضافة إلى كتابي الديات والنفقات.

⁵⁷ - منها: ترجمة أوشير (Aucher)، وترجمة زيس (Zeys) الذي قام بترجمة قسم الطلاق من كتاب النكاح، وقسم الخصومات من كتاب الأحكام وكتاب الفرائض، ينظر - الثميني: التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، (مقدمة المحقق)، ص: ح - ط؛ الحاج سعيد يوسف: تاريخ بني مزاب، ص108.

⁵⁸ - الثميني: النيل، 3/1 - 4.

⁵⁹ - إطلاق كلمة الديوان تنصرف إلى كتابين ألفا على طريقة التأليف الجماعي من طرف علماء إباضية المغرب؛ الأوّل هو ديوان الأشياخ؛ الذي ألفه عشرة من علماء القرن الرابع الهجري بجبل نفوسة، والثاني هو ديوان العزابة؛ الذي ألفه سبعة من علماء جربة في غار أمجماج، وقد ذكر محقق كتاب النيل أنّ الذي اعتمد عليه الثميني في كتابه هو ديوان الأشياخ، ينظر - الثميني: كتاب النيل، (تعليق المصحح)، ج3/ص1080 - 1081.

- كتابا السيرة في الدماء، وتبيين أفعال العباد، لأبي العباس الفرستائي (ت: 504هـ): اختصر الثميني من الأول كتاب الدماء من النيل، ومن الثاني الكتاب الأخير من النيل والمعنون بالأفعال المنجية من المهلكة.
- كتاب الفرائض لإسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ)، اختصر منه الثميني الكتاب الحادي والعشرين في الفرائض.

5. ترتيب الثميني لموضوعات الكتاب:

قسم الثميني كتابه إلى اثنين وعشرين كتابا، شملت جلّ المسائل الفقهية حسب تبويبها في كتب الفقه، بداية من أبواب العبادات وانتهاء بأبواب الدماء والديات والفرائض، ثم ختم مختصره بالكتاب الثاني والعشرين والأخير والذي عنوانه ب: "الأفعال المنجية من المهلكة" وهو باب في الرقائق والتصوّف.

ويُدرج تحت كلّ كتاب من هذه الكتب أبوابا، وفي كلّ باب يذكر فيها مجموعة من الفصول والتنبيهات والفوائد، لاستيعاب مسائل الفقه المتشعبة، ويذيل كلّ كتاب بخاتمة؛ يورد فيها بعض المسائل المستدركة. يقول الثميني: «وينحصر في اثنين وعشرين كتابا مختوما كل منها بخاتمة حسنة».⁶⁰

6. منهج الثميني في مختصره:

- ذكر الدكتور عمر إسماعيل أنّ الثميني انتهج في اختصار كتبه طريقتين وهما:⁶¹
- أنّه يجمع أكثر من كتاب في كتاب واحد، فيختصر مادة الكتاب من عدة كتب، بتبويب وترتيب مغاير، فيحذف أو يضيف ما يراه مناسبا حسب ما يقتضيه المقام، وهو الذي سلكه في اختصار كتاب النيل، وكتاب معالم الدين، وكتاب المصباح.
- أنّه قد يختصر كتابا من كتب علماء مذهبه، فيحذف منه ما لا طائل ولا نفع فيه، ويضيف إليه ما يراه مناسبا من المعلومات، وهذا المنهج سلكه في مختصرات عدة على غرار كتاب النور، وعقد الجواهر، والتاج المنظوم.

⁶⁰ - الثميني: النيل، ج1/ص6.

⁶¹ - ينظر - عمر إسماعيل: عبد العزيز الثميني حياته وآثاره، ص51.

وقد سلك الثميني في كتاب النيل المنهج الأول حيث اختصر مادة كتابه من عدة كتب، وكان يهدف من خلال مختصره هذا إلى تسهيل حفظه على الطلبة، حيث يقول في المقدمة: «ولم أتعرض فيه لعلّة كلّ حكم أو دليله ليسهل حفظه على متعاطيه، وروما لاختصاره»⁶² لذا فقد تميز كتاب النيل بمميزات تحقق هذا الغرض، ومن أهم ما تميّز به منهج الثميني في اختصار كتاب النّيل ما يأتي:

- الاختصار الشديد، فقد بالغ الثميني في اختصار كتابه، حيث عرض مادة كتابه بأسلوب موجز، يكثر فيه الحذف، حيث يقول في المقدمة عن مختصره: «لا مملا ولا مخلا مانعا فإنّ عبارة الخلف وإن قصر ذراعها أوضح من عبارة السلف وإن طال باعها»⁶³ غير أن تلك العبارات الموجزة عجزت عن استيفاء معاني الفقه وبيان مسائله المتشعبة، وقد أحسّ بذلك الثميني، فصنّف كتباً أخرى تكمل ما نقص من النّيل؛ فألف التّكميل لبعض ما أخلّ به كتاب النّيل؛ لخصّ فيه كتاب القسمة وأصول الأرضين، وألف بعده كتاب الورد البسام في رياض الأحكام الذي اختصر فيه باب الأحكام من ديوان الأشياخ.⁶⁴ كما احتاج الكتاب إلى من يشرح عباراته ويوضح ما استغلق منها، وهو ما فعله قطب الأئمة وغيره كما تقدم.

- قلة الاستدلال: إنّ منهج الاختصار الذي ارتضاه الثميني في كتابه حمله على نقل أقوال العلماء مجردة من أدلتها، وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب حيث قال: «ولم أتعرض فيه لعلّة كلّ حكم أو دليله».⁶⁵ فأنعدم الاستدلال في معظم الأبواب الفقهية إلاّ ما ذكره على سبيل الإشارة والتلميح، كقوله في مسألة تزويج الثيب: «والثيب تعرب عن نفسها في أحاديث»⁶⁶ أو أن يورد طرف الآية أو الحديث دون بيان وجه الاستدلال منها،

62 - الثميني: النيل وشفاء العليل، ج 1/ص 6.

63 - الثميني: النيل، ج 1/ص 4.

64 - ينظر - الثميني: التكميل لبعض ما أخلّ به كتاب النيل، ص: ب، 241.

65 - الثميني: النيل، ج 1/ص 6.

66 - المصدر نفسه، ج 2/ص 385.

كقوله في الاستدلال لمواقيت الحج: «والزمان أصله قوله تعالى: «الحجُّ أشهرٌ معلُوماتٌ» (البقرة 197)».⁶⁷

- عرض أقوال المذاهب الإسلامية عموماً: إنّ مسلك الاختصار لم يمنع الثميني من عرض جميع الأقوال في المسألة الفقهية وعدم الاختصار على علماء مذهبه، وكان ينقل القول من دون نسبته إلى صاحبه؛ وهو ما يقتضيه الاختصار، سالكا في ذلك منهج المقارنة. وهذا المنهج لم يكن بدعا عند الثميني، بل هو امتداد لمسلك درج عليه فقهاء الإباضية في كتبهم منذ القرون الأولى؛ ككتاب الجامع لابن بركة (ق: 4هـ)، وأجوبة ابن خلفون (ت: 600هـ)، والإيضاح لعامر الشماخي (ت: 792هـ)، وغيرها من المصادر الفقهية القديمة.⁶⁸

- ذكر القول الراجح عنده، وبيان ما عليه العمل والفتوى عند علماء الإباضية في كلّ مسألة يذكرها: سلك الثميني المنهج المقارن في مختصره، فكان يذكر جملة الأقوال الواردة في كلّ مسألة، ثمّ يحاول بيان الراجح لديه من تلك الأقوال، مع ذكر القول الذي عليه العمل عند الإباضية ولو كان مرجوحاً، موظفاً لذلك عبارة: «وعليه العمل»، أو: «والعمل على قول كذا»، أو: «وبه العمل». من ذلك قوله في باب الزكاة: «وعن الربيع وابن عبد العزيز أنه إن كان لرجل إحدى وأربعون بقرة فلا عليه حتى تبلغ ستين، وعن ابن عباد أنه إن حال عليها حول ففيها مسنة وربيع عشرها، والزائد إلى ستين بحسابه، والعمل على الأول وهو المشهور عندنا».⁶⁹

- بيان سبب الاختلاف في المسألة: سعى الثميني في مختصره إلى بيان أسباب الاختلاف عند نقله للخلاف في المسألة، مشيراً إلى ذلك بعبارة "ومثار ذلك"، أو "ومثاره"، وهذه الأسباب في الغالب ما يرجعها إلى الخلاف في قاعدة أصولية؛ من ذلك بيانه لسبب الخلاف فيمن تعمّد ترك صلاة حتى خرج وقتها، هل يصلي الحاضرة أولاً أم المتروكة؟ حيث قال بعد ذكره

⁶⁷ - المصدر نفسه، ج 1/ص 186.

⁶⁸ - زهير بابا واسماعيل: تخريج الفروع على الأصول، ص 211.

⁶⁹ - الثميني: النيل، ج 1/ص 153.

للخلاف: «ومثار ذلك، هل الأمر على الفور أو التراخي؟»⁷⁰. كما قد يرجعه إلى خلاف في قاعدة فقهية أو ضابط فقهي، وذلك كقوله في مسائل التيمم: «وكذا جامع بين صلاتين، هل يجزيه واحد أو لا؟ خلاف أيضا؛ مثاره هل مبيح أو رافع»⁷¹.

- خاتمة

سلك إباضية المغرب منهج الاختصار في كتبهم على العموم بخاصة المتأخرين منهم، خلافا لما درج عليه علماء المشرق الإباضي، ولعلّ لاتصالهم التاريخي بعلماء المذهبي المالكي الذين اشتهروا بالمختصرات دافعا لهم على انتهاج هذا المسلك من التأليف، بالإضافة إلى رغبتهم في الاختصار على المسائل المهمة ليسهل على الطلبة حفظ مادة الكتاب، واستحضار مسائله، في زمن قصرت فيه الهمم، وقلت العزائم.

ويعدّ عبد العزيز الثميني من هؤلاء العلماء الذي سلكوا منهج الاختصار في التأليف، فمعظم كتبه التي ألفها في الفقه هي مختصرات لكتب سابقة، والذي يعدّ كتاب النيل من أشهر هذه المختصرات، حيث استطاع أن يجمع الثميني فيه عصارة ما أنتجته الآلة الفقهية لإباضية المغرب، في أسلوب واضح وسلس، وعبارات تميّزت بالجزالة والدقة، مكتفيا في ذلك بما لا يخلّ المعنى، ولا يملّ منه القارئ، ليسهل عليه حفظه، ولا يتشّت ذهنه بما لا طائل منه، كما أظهر فيه شخصيته الاجتهادية من خلال ترجيحاته في كلّ مسألة، ومخالفته في كثير منها لما هو معمول به.

هذه السمة التي تميّز بها مختصر الثميني -على غرار أغلب المختصرات الفقهية لإباضية المغرب - حملت من جاء بعده على الاهتمام بالكتاب نظما وشرحا وترجمة، ومن أشهرها شرح كتاب النيل وشفاء العليل لقطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش، والذي يعتبر معتمد الفقه الإباضي في هذا العصر مشرقا ومغربا.

⁷⁰ - المصدر نفسه، ج 1/ص 105.

⁷¹ - المصدر نفسه، ج 1/ص 47.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - اطفيش، امحمد بن يوسف: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ط2؛ مكتبة الارشاد، جدة - دار الفتح، بيروت - دار التراث العربي، ليبيا، 1393هـ/1973م.
- 2 - الإيجي؛ عضد الدين عبد الرحمن: شرح مختصر المنتهى الأصولي، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2004م.
- 3 - البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس: الروض المربع شرح زاد المستقنع، (ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي)، دط: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة، د ت ن.
- الثميني، عبد العزيز بن إبراهيم:
- 4 - الأسرار النورانية على المنظومة الرائية، ط: حجرية؛ المطبعة البارونية - مصر، 1306هـ.
- 5 - التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، دط؛ محمد بن صالح الثميني - تونس، 1344هـ.
- 6 - التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم، ط1؛ ضبط النص: محمد باباعمي ومصطفى شريفي، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، د ت ن.
- 7 - الورد البسام في رياض الأحكام، تح: محمد بن صالح الثميني، دط؛ وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1405هـ/1985م.
- 8 - كتاب النيل وشفاء العليل، تصحيح وتعليق: بكلي عبد الرحمن بن عمر، ط2؛ المطبعة العربية - الجزائر، 1389هـ/1969م.
- 9 - الجنائني، أبو زكرياء يحيى ابن أبي الخير: كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، علق عليه: أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، ط1؛ مطبعة الفجالة الجديدة، د. ت. ن.
- 10 - الحجوي، محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الفاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط1؛ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1416هـ - 1995م.
- 11 - الخطاب الرعيني، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3؛ دار الفكر، 1412هـ/1992م.
- 12 - الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1؛ دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م.
- 13 - عبد الله بن حميد السامي: معارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال، تح: محمد محمود إسماعيل، ط1؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1403 - 1404هـ/1983 - 1984م.
- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد
- 14 - السير، ط: حجرية؛ المطبعة البارونية - القاهرة، مصر، 1301هـ.

- 15 - كتاب مختصر العدل والإنصاف، تح: فرقة بحث من طالبات كلية الإصلاح، جمعية الإصلاح - غرداية، الجزائر، 1440هـ/2018م.
- 16 - العجلوني، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس تح: عبد الحميد بن أحمد هندراوي، ط1: المكتبة العصرية، 1420هـ/2000م.
- 17 - الهيتمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تح: سيد كسروي حسن، دط: دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ن.
- 18 - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ "قسم المغرب"، ط1: جمعية التراث، غرداية، 1420هـ - 1999م.
- 19 - حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، د ت ن.
- 20 - محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1: المطبعة التعاونية، 1385هـ/1965م.
- زهير باباواسماعيل:
- 21 - تخريج الفروع على الأصول عند الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (1238 - 1332هـ/1821 - 1914م)، دراسة تأصيلية تطبيقية، دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر، 2018 - 2019م.
- 22 - فتح الله شرح شرح مختصر العدل والإنصاف، للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، باب المنطوق والمفهوم، دراسة وتحقيق، ماجستير في أصول الفقه، بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1427-1428هـ/2006-2007م.
- 23 - طالب بن علي السعدي: منهج الشيخ اطفيش في كتاب شرح النيل قسم العبادات نموذجا، ماجستير في الفقه وأصوله، جامعة مؤتة، بالأردن، 2006م.
- 24 - عبد الحي عبد المومن وآخرون: المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، النشأة والأسباب والأهداف، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، العدد 11، رجب 1436هـ/مايو 2015م.
- 25 - عبد الكريم قبول أبو سليمان: الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، من مطلع القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري، دار الفجر - الجزائر، د ت ن.
- 26 - عبد الله بن محمد الشمراني: المدخل إلى علم المختصرات، المختصرات الفقهية انموذجا، أول دراسة علمية منهجية لمن يريد الدخول إلى علم المختصرات، ط1: دار طيبة - المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2009م.
- 27 - علي بن سعيد بن محمد العمري: الاختصار في التفسير دراسة نظرية، ودراسة تطبيقية على مختصري ابن أبي زمنين لتفسير يحيى بن سلام، والبغوي لتفسير الثعلبي، ماجستير، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

- 28 - عمر إسماعيل: ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن الحاج إبراهيم الثميني حياته وآثاره، دط: مطبعة الواحات - غرداية، 1420هـ/1999م.
- 29 - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، ط1: دار الغرب الاسلامي، 2001م.
- 30 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دط: دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- 31 - ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي: المغني، دط: مكتبة القاهرة، 1388هـ/1968م.
- 32 - كُرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد: خطط الشام، ط3: مكتبة النوري - دمشق، 1403هـ/1983م.
- 33 - مبارك بن عبد الله الراشدي: نشأة التدوين للفقهاء واستمراره عبر العصور، كتاب ندوة الفقه الإسلامي، ط1: وزارة العدل والأوقاف الإسلامية - سلطنة عمان، 1410هـ/1990م.
- 34 - ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، ط3: دار صادر - بيروت، 1414هـ.
- 35 - يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط2: المطبعة العربية، غرداية - الجزائر، 1427هـ/2006م.



اللذة الفنية لدى ابن طباطبا من خلال كتابه عيار الشعر

The Artistic Pleasure For Iben Tabatba in His Book Caliber of Poetry

محمد بلمكي¹، بوعلام بوعامر²

1- جامعة غرداية الجزائر

belmekkimed28@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-27

تاريخ الاستلام: 2018-11-19

المخلص -

يهدف هذا البحث إلى إدراك ابن طباطبا العلوي (322هـ) للقيمة التأثيرية لأسلوب الشعري وما يحدثه في المتلقي من إثارة للذة واستفزاز للذهن والأحاسيس معا، ليمرر الإدراك الجمالي الذي يصاحب عملية التذوق عند المتلقي من خلال كيفيات وآليات مختلفة كالمجاز الشعري واللمحات الفنية. كما يتعرض إلى فكرة التعريض الخفي والإيحاءات غير المباشرة كالاستعارة والكناية والتي هي أشد تأثيرا في المتلقي لما تحدثه من لذة وممتعة عند إدراك سر جمالها.

الكلمات المفتاحية -

اللذة، المتلقي، الذوق العربي، الجمال.

Summary -

This Research Aimed To Realization Of Ibn Tabatiba Al Alaoui (322 Century) The Value Of Poetic Style And What It Does In The Receiver From Excitement And Provocation To Mind And Sensations Both, To Show The Beauty Realization That Accompanies The Tasting Process At Receiver Through The Different Mechanisms Like Poetic Metaphor, It Also Exposed The Hidden Exposure Idea And Indirect Suggestions Like Metaphor Metonymy Which Have A Most Effect At Receiver For What Have Pleasure When Realizing The Secret Of Her Beauty .

Key Words -

The Pleasure, Receiver ,Arabic Taste, Beauty .

مقدمة

إن قضية الجمال من القضايا التي طالما تناولها الفلاسفة والأدباء في بحوثهم ومؤلفاتهم منذ أرسطو وأفلاطون إلى يومنا هذا، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن الجمال هو ذلك الأسلوب الذي يعبر عن معان لا يمكن تلمسها إلا من خلال لغة الوجدان والمشاعر، تلك اللغة القائمة على التذوق والانفعال، المسببان للذة في مختلف صورها وأشكالها. إن الذوق الجمالي هو أساس نقد الشعر، وأول شرط من شروط نجاح القصيدة، وما الحديث عن اللذة والمتعة إلا حديثا عن جمالية هذا الأسلوب ووجه من وجوه تطعيم هذا الخطاب العادي بأساليب الإمتاع والتلذذ التي تعدل به نحو الأدبية والشعرية، والتي تضمن خلود النص.

إنه النص الذي يأخذ بلب المتلقي، ويكون أكثر إيغالا في دخيلته، فيبحث في نفسه متعة جمالية واستفزازا للقلب، حسب تعبير أسامة بن منقذ. وقراءة النص على هذا النحو تقتضي بالأساس قارئاً يمتلك آليات المقاربة الفنية والتذوقية، أو ما اصطلح عليه ((بالقراءة الجمالية))؛ وهي قراءة تصحبها متعة تتجلى في الكشف عن المفاجآت الممتعة التي تتخفى وراء الألفاظ التي تنسج النص وتصنعه، هذا الكشف حين يتحقق لقارئ ما تصبح المتعة لديه كبيرة، حيث كلما تكشف لديه معلم من معالم هذا النص المقروء، تضاعفت لديه هذه اللذة، ليصير في لحظة ما مشاركا لمؤلفه في إبداعه، و ابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ) يعتبر من أوائل نقّاد القرن الرابع الهجري بكتابه عيار الشعر، وهو الكتاب الذي حاول أن يكون فيه مُنظراً في فنّ الشعر وطرائق تلقيه وإبداعه وصناعته، أكثر من أن يكون ناقدا تطبيقياً لأحد الشعراء، مبتعدا عن الانغماس في قضايا النقد الأدبي المتداولة في عصره، رغم أنه كان يقول رأيه في معظم تلك القضايا، مثل قضية السرقات، واللفظ والمعنى، والطبع والصناعة، ولكن ما يُميّز هذه الآراء هو طابع

الجدّة والتدقيق، انطلاقاً من تأكيده ضرورة الانسجام بين مكونات النص، وهو ما أشار إليه ناقدنا بعملية النسخ المرادفة لعملية النظم، ليبلغ النص غايته الجمالية، معتمداً في ذلك على ذوقه المرفه وممارسته قول الشعر، وتتبع مواطن الجمال فيه، حتى عدّه الباحث عيسى العاكوب في كتابه الموسوم بـ التفكير النقدي عند العرب من النقاد الجماليين، عندما تحدث عن ملكة الحكم الجمالي.

لكن الشيء الملفت للانتباه عند ناقدنا، أن ملكة الحكم الجمالي عنده تنحاز عن المعتاد الذي يصف عمليات القراءة المتجهة من الملتقى إلى النص، إلى وصف عملية المتعة التي يمارسها النص على القارئ، والأثر الذي يحدثه فيه، إنها المتعة الجمالية المحضة الناشئة عن وقوع هذا العمل الفني على قارئه.

هذا التفاعل الحاصل بين القارئ والنص، هو ما يعرف في الدراسات الحديثة (بجمالية التجاوب).

وقد رمت في هذه الورقة البحثية الموسومة بـ . اللذة الفنية لدى ابن طباطبا من خلال كتابه عيار الشعر، الإجابة عن التساؤلات الآتية .

. كيف تناول ابن طباطبا اللذة الناتجة عن تذوق الشعر وتحقيق المتعة

للمتلقي؟

. ما مقدار الشعور بالقيمة الجمالية لهذا العمل الفني، وما مقدار تأثيره في

هذا المتلقي؟

- وعن هذه الإشكالية تتفرع أسئلة جزئية أخرى هي :

- ما مفهوم اللذة وما أنواعها ؟

- هل الذوق الجمالي يعتبر معياراً من المعايير النقدية في تراثنا النقدي؟.

- وهل اللذة الفنية تعتبر منهجاً قرائياً عند ابن طباطبا ؟ إن كانت

كذلك ما هي مسبباتها؟

- مفهوم اللذة.

إن اللذة كما وردت في لسان العرب: في مادة لذّ. اللذة نقيض الألم واحدة اللذآن لذّة ولذّ به يلدّ لذّا ولذاذة والتدّه والتدّ به واستلذّه عدّه ولذينا ولذذت الشئ بالكسر لذاذا ولذاذة واللذيد واللذوى كلّهُ الأكل والشرب بنعمة... ولذّ الشئ يلدّ اذا كان لذينا، وقال (رؤبة) لذّت أحاديثُ الغويّ المبدع أي استلذّ بها (1). (ابن منظور)

وعليه فالمعنى اللغوي لمصطلح اللذة يجمع بين اللذة الحسيّة المتمثلة في التلذذ بالطعام والشراب ولذّة النظر ونحوه، وهذا المعنى هو ما عبّر عنه القرآن الكريم عند حديثه عن جزاء أهل الجنة مقرّبا إليهم بعض الصور الغيبية ، باستخدام صور حسيّة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ (2)، وفي قوله تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (3)، وقوله تعالى كذلك: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَلَذَّةٌ لِّلْأَعْيُنِ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (4).

أما في المعاجم الحديثة فقد جاء في المعجم الأدبي .. (لذة Plaisir)

1- انفعال سارّ متأت عن إشباع ميل من الميول، واللذة مرتبطة بصاحبها ومتبدلة حسب حالاته، وهي أيضا لا تثبت بعد الامتلاء منها، وتتلاشى مع تلاشى التوتّر المتولد عن الحاجة اليها.

2- لا تنفصل اللذة عن الرغبة كما أنّ الألم لا ينفكّ عن النفور والكراهية ...،

3- تتأتى اللذة عن إشارة عصبية يولدها عامل مادي أو نفسي كالنّجاح في أحد الامتحانات أو التغلب على صعوبة، وقد خصّ فرويد اللذة بدور حيوي نفسي في غاية الأهمية. (5) (عبد النور جيور، 1984)

وجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، أن مذهب اللذة "مذهب أخلاقي يرى أنّ دوافع النشاط الإنساني تنحصر في التماس اللذة وتجنب الألم، فاللذة هي الخير الأسمى"⁽⁶⁾. (وهبة مجدي، 1964)

واللذة بمفهومها النفسي هي انفعال مفرح يجلب السعادة إلى نفس وروح المُلتذّ بها، وهذا يتوافق تماما مع ما ورد ذكره حول مبدأ اللذة؛ على أنها مذهب أخلاقي؛ وعليه فإن مصطلح اللذة مرتبط بالخير والكمال، والشعور بهذا الكمال هو جوهر اللذة.

2. أنواع اللذة:

جعل الدكتور سعد الدين كليب اللذة في ثلاثة أنواع وهي: "اللذة الحسية واللذة المعنوية العقلية، واللذة الروحانية"⁽⁷⁾. (سعد الدين كليب، 1996)

وقال ابن سينا: "اللذة هي إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك"⁽⁸⁾. (جميل صليبا، 1969)

والمقصود بالإدراك العلم، وبالنيل التكيّف، فإنّ الإدراك من غير تكيّف لا يولّد اللذة.

ونحن حسب اطلاعنا على بعض منطري فلسفة الجمال نجعلها في نوعين.

اللذة المادية واللذة المعنوية.

واللذة بشكل عام لا تقتصر على الجانب المادي فقط، بل إن لها جانبا روحيا نفسيا أيضا، وهو ما أكد عليه الباحث سعد الدين كليب في كتاب «مدخل إلى الفكر الجمالي عند العرب» حيث يقول: «ارتباط اللذة بالمحبة حيث يتم التوكيد. أنّ كل لذية محبوب بالضرورة وأنّ كل محبوب هو لذية بالضرورة أيضا"⁽⁹⁾. (سعد الدين كليب، 1996)

أ - اللذة المادية:

إن الحواس التي يتمتع بها الكائن الحي هي حواس جمالية، تناسب كل حاسة العضو الحاس والملتذ بها، وهذه اللذائذ الخمس: هي اللذة البصرية، اللذة السمعية، اللذة الشمية، اللذة الذوقية وأخيرا اللذة اللمسية، وهي كلها لذائذ

ذات بُعد جمالي، فليس ثمة حاسة جمالية وأخرى غير جمالية وهو ما أشار إليه علماء الجمال المعاصرون "وليس ثمة موضوع محسوس غير جمالي من حيث المبدأ، فالجمال موجود في المبصرات، والمسموعات، والمتذوقات والملموسات، وهذه المتذوقات ذات بُعد جمالي تتأثر به الحاسة الخاصة بكل موضوع من الموضوعات"⁽¹⁰⁾. (سعد الدين كليب، 1996)

أما اللذة المتعلقة بقضاء الشهوات والرغبات فهي تخلو تماماً من أية لذة جمالية لأنها لذة مركزة في عضو معين من أعضاء البدن على نحو لذة الطعام والشراب في اللسان.

ب - اللذة المعنوية واللذة الروحانية:

يقول سعد الدين كليب: "إن اللذة المعنوية العقلية الناجمة عن غلبة الطابع الديني، أو الأخلاقي، أو المعرفي الفلسفي هي لذة جمالية ولا يمكن أن تكون شيئاً آخر، ولعل غلبة أحد هذه الجوانب هو ما يجعل هذه اللذة جمالية"⁽¹¹⁾. (سعد الدين كليب، 1996)

- أما اللذة الروحانية والتي هي أرقى وأشرف اللذات جميعاً وأبقاها على الدوام لتعلقها بالروح الإلهية؛ "فالتنعم بهذه اللذة هو في طبيعته تنعم بالذات الإلهية من جهة، وبالعودة بالجواهر الروحاني في الإنسان من جهة أخرى، وهذا ما يسوغ ذلك السعي وذلك التغني الرائع الذي يطلقه كل من الفلاسفة والمتصوفة بهذه اللذة. التي هي لذة جمالية صرفة حيّة، ويستخدم الفارابي مصطلح الاغتراب للتعبير عنها"⁽¹²⁾. (الصديق حسين، 2002)

اللذة الروحانية إذن هي لذة بكمال الله، وجماله، وجلاله، وبهائه وهو ما جعلنا نؤكد أن هذه اللذة هي لذة جمالية ولا وجه آخر لها.

وعليه فاللذة الحقيقية "هي اللذة التي تتوفر فيها عناصر الحس وعناصر الذهن معا وعلى هذا فإن الجمال يعود الى عالمين في وقت واحد. عالم الحواس وعالم الذهن، وهذا ما يدل على حالة الاتحاد بين النفس والجسد"⁽¹³⁾. (عوض رياض، 1994)

- أما اللذة التي لها اتصال وثيق ببحثنا فهي تلك اللذة المتأتية عن عملية الإبداع الفني. أي اللذة الفنية والتي جاء في تعريفها ما يلي:

"إنَّ كلّ ما يبعث في الإنسان لذة يولّد فيها عددا من الأخيلا والمفهومات، فإذا كان فنّانا عبّر عنها بالتقنية التي يجيدها، لذلك ركّز عدد من المنظرين على هذه اللذة كينبوع من ينابيع النتاج والابتكار، والعمل الفني نفسه هو عملية مضيئة ترهق صاحبها حتى اذا ما تم عمله غرقت نفسه في بحر من اللذة الاكتفائية"⁽¹⁴⁾. (عبادة شكري محمد، 1986)

إن عملية الإبداع هي ممارسة تخيلية قادرة على تحقيق لذة جمالية في نفس المبدع والمتلقي في آن واحد وهذه اللذة تتسم بأنها لذة شاملة، تشمل الروح والجسد معا "فهي حسية لأنّ الحواس كالسمع والبصر هي التي تلتذ أولا بالموسيقى والشعر والتّصوير ثم تنتقل معانيها التخيلية إلى قوّة المتخيّلة التي تلتذ هي الأخرى بها ، لما لهذه المعاني من محاكاة للشّمائل والخصال المعنوية، ومن محاكاة للنفوس التي هي جواهر روحانية، أي المخيّل تلتذّ بما هو معنوي وروحاني في معاني الفنون"⁽¹⁵⁾ (الصادق حسين، 2002) وبهذا فإنّ السبب الرئيس في حدوث هذه اللذة يكمن في عملية المحاكاة والتخييل "إذا كان سبب الكمال الفني يكمن في التخييل والمحاكاة فان سبب اللذة الفنية يكمن فيهما ايضا"⁽¹⁶⁾ (سعد الدين كليب، 1996). فبالمحاكاة يتم وعي الواقع والعالم الانساني، وبالتخييل يتم تعميق هذا الوعي والمعرفة.

اللذة الجمالية والذوق العربي:

فطن العرب القدامى إلى الجمال معتمدين في ذلك على مقدرتهم الذاتية على تذوّق جيّد الأشياء، وفي الشّعور على الخصوص، والاحتفاء به ونعته بما جمل وحلا من الأوصاف والمصطلحات، ومن ثمة ظهرت عدّة مصطلحات وألفاظ ترتبط بجيّد الشعر، فقد جاء في العيار المعاني التالية: «الطبع، الذوق، العذوبة، الجزالة، الحلاوة، اللذة، الحسن، القبيح، المواقع، الهوى، الفهم الثاقب،

الارتياح، الاهتزاز، القبول، الأنس، النفس، الطرب، البلاغة، الفصاحة، اللطف، الملاءمة، الاستقبال، الألف، الابتهاج، الحيلة والإبداع ...»⁽¹⁷⁾ (ابن طباطبا، 1956)

-لقد أكد ابن طباطبا من خلال هذه المصطلحات، النقدية، والجمالية صراحة أن البعد الجمالي من أهم مستلزمات العمل الشعري وأبرز غاياته.

كما أكدت كتب البلاغة والنقد لزوم اتصال الكلام بعدة صفات منها التناسق، والانسجام وحسن النظم والتأليف، وانعدام التنافر ومناسبة المقال والمقام... وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العدل، وإثار الحسن واجتناب القبيح ووضع الأشياء مواضعها⁽¹⁸⁾. (ابن طباطبا، 1956)

ومنهم من يرى أن ملازمة الجمال للشعر أمر لا محيد عنه. فهذا ابن الأثير يقول "والمعول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم. إنما هو حسنه وطلاوته، فإذا ذهب ذلك عنه فليس بشيء"⁽¹⁹⁾ (ابن الأثير)

هذه المظاهر الجمالية نالت كامل اهتمام العرب، من نقاد وفلاسفة وشرّاح دواوين "فتقصّوا أسرارها، واستخرجوا قواعدها وجمعوها في فصول وأبواب تُعرف بين علومهم بعلم البلاغة؛ وهو علم واسع لا بد منه لمن أراد النطق الجميل بلسانهم والتعبير المؤثر بلغتهم وعلى طرائقهم الأصولية التقليدية"⁽²⁰⁾. (الخطيب القزويني، 1988)

لأن البلاغة تروم إيصال المعنى إلى قلب السامع في أحسن صورة من الألفاظ، "ثم إن المعنى يظل مكشوفاً عارياً ما لم يتم تنميق صورته بحسن التأليف وروعة اللفظ وبراعته"⁽²¹⁾.

كما برزت الوظيفة الجمالية في الكتابات العربية في القرنين الرابع والخامس الهجريين عن طريق الفلاسفة مثل الفارابي (ت339) وابن سينا (ت428) حيث ركّزا على أهمية اللذة بوصفها وظيفة أساسية للشعر فضلاً عن مهمة أخرى فيها متعة ولذة وهي الوظيفة الجمالية.

أما في النقد الحديث فيرى محمد القاسمي بعد دراسته النظرية الشعرية عند حازم "أن التعجيب من أهم الأسس الجمالية في العمل الفني عند حازم، بعد مبدأ التناسب، والشعر الكامل عنده هو الذي تلتقي فيه هاتين الخاصتين -التناسب والتعجيب- لتشكل في النهاية جوهر القول الشعري"⁽²²⁾. (محمد القاسمي، 2002)

كما تطرّق الباحث شكري المبخوت لعلاقة التعجيب بالبعد الجمالي للنص الشعري وفي الخطاب النقدي قائلاً "يدل مفهوم الإمتاع في نهاية الأمر على أن النص لا يُؤدّب فحسب، بل يؤدي وظيفة أخرى ملازمة للتأدّب، اصطلاحاً عليها بالوظيفة الجمالية فهو يلبي حاجة تتعدى الضروري الاجتماعي لتلامس مجال النفس التوّاقة إلى اختراق المألوف والمتشوّقة إلى الخفيّ المجهول"⁽²³⁾. (شكري المبخوت، 1993)

ولم يتردّد الدكتور حسين الواد في وصف تذوّق العرب للشعر، وحتى النثر وتلذّذهم بما يهز نفوسهم منه ويعلق بقلوبهم وتهتز معه أحاسيسهم بأنه مجرد (تجربة جمالية).

ومع الخطاب القرآني «المعجزة البيانية»، وما فيه من التأثير في النفوس، وردّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن)⁽²⁴⁾ (ابن نباتة المصري) وقد ذهب ابن الأنباري في شرحه لهذا الحديث قائلاً: "أراد عليه السلام القول من لم يتلذّد بالقرآن ويستحلّه ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب الغناء والتذاذهم به، ويسمى ذلك تغنياً"⁽²⁵⁾ (ابن نباتة المصري)

-اللذة الفنية عند ابن طباطبا.

يعد ابن طباطبا العلوي (322 هـ) من أوائل النقاد في ق 4 هـ بكتابه عيار الشعر، وهو الكتاب الذي حاول أن يكون فيه منظراً في فنّ الشعر وطرائق صناعته، أكثر من أن يكون ناقداً تطبيقياً لأحد الشعراء، مبتعداً عن الانغماس في قضايا النقد الأدبي؛ ولكن ما يميّزها هو الدقة والتجديد انطلاقاً من

تأكيد ضرورة الانسجام بين مكونات النص ليبلغ غايته الجمالية، و ما تجدر الإشارة إليه هو أن ابن طباطبا شاعر وناقد اختص بمنهجية اختلف فيها عن غيره فهو شاعر مطبوع يقول الشعر ويمارسه، وليس كغيره من علماء اللغة الذين لا يعنيه من الشعر غير صياغته اللغوية وقواعده النحوية، ولكنه كان يتلمس ويتبع مواطن الجمال الفني والذوق الحسن في الشعر، حتى عدّه الباحث (عيسى العاكوب، من بين النقاد الجماليين عندما يتحدث عن ملكة الحكم الجمالي)⁽²⁶⁾. (علي عيسى العاكوب، 1997)

وعلى الرغم من أن كتاب عيار الشعر يدور بدوره حول أركان العملية الإبداعية الثلاثة (الشاعر. انتاج الشعر، وتلقيه). "ولعلّ درجة المشاركة والتفاعل بين المبدع والنص، والمتلقي تتحدّد وفقا لاستعداد المتلقي من الناحية النفسية، والثقافية، بهذا فالقارئ يتلقى النص ويفهم دلالاته على قدر استعداده"⁽²⁷⁾. (شكري عياد، 1986)

وعليه فإنّ اللذة الفنيّة والمتعة الجمالية التي تبهر المتلقي وتجذبه إلى هذا العمل تتفاوت درجتها من قارئ إلى آخر حسب الثقافة التي يتمتع بها كل واحد⁽²⁸⁾. (رولان بارت، 1988)، ويقول عنها الدكتور سوييف بالثقافة الفنية التي يهتم بها نوع خاص من المتخصصين فيقول: "وأما عن الثقافة الفنية فإنها تمد المرء بما يمكن أن يسمى إطارا يساعد على تنظيم التلقي للعمل الفني، وبذلك تزيد قدرتنا على التذوق، وكلما ازدادت ثروتنا الفنية ازدادنا قدرة على تذوق الأعمال الفنية بكل ما في الكلمة من معنى دقيق"⁽²⁹⁾. (مصطفى السوييف، 1959)

تلك الثقافة التي تساعد القارئ على سرعة الاستجابة للنص والتفاعل معه، وإدراك نواحي الجمال فيه .

إنّ منهج التلقي عند ابن طباطبا ينحرف عن المعتاد الذي يصف عمليات القراءة المتّجهة من الملتقى إلى النص، إلى وصف عملية السطوة التي يمارسها النص على القارئ، والواقع الذي يحدثه فيه، "فمنهج القراءة عند ابن طباطبا هو (لذة النص) إنّّه المتعة الجمالية المحضة الحاصلة عن تأثير العمل الأدبي على

قارئه"30، وهو يجذبه إليه بمكوناته الجمالية. حيث يقاس مقدار هذا الجمال بالأثر الناتج عن ذلك الورود، ووقعه على القارئ " فعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب، فما قبله واصطفاه فهو واف، وما مجّه ونفاه فهو ناقص، والعلّة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبیح منه واهتزازة لما يقبله، وتكرهه لما ينفيه وأنّ كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها ورودا لطيفا، باعتدال لا جور فيه، وموافقة لا مضادة معها"⁽³¹⁾. (ابن طباطبا، 1956)

إنّ النصّ الجميل الذي يقبله القارئ، فيبعث في نفسه متعة جمالية "فيلتذ الفهم بحسن معانيه، كالتذاذ السمع بمونق لفظه"⁽³²⁾ (ابن طباطبا، 1956)، حيث يأخذ بلبّ الملتقى ويؤثر فيه، بالمعاني والألفاظ وهو الذي يستفزّ القلب فيتأثر ويلتذّ به، إنه النص الذي كلما قرأناه أثار فينا رغبة ولذة في الاستزادة، وحصلت لدينا متعة وإفادة وأحسّنا من خلاله إنّنا مشدودون إليه شداً إنّ النص الذي يمارس سطوته على السامع، فيؤدي الى التذاذ، أو النفور منه.

"فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من الكدر العي، مقوّمًا من ورود الخطأ واللحن. سالما من جور التأليف موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا، اتّسعت طرقة، ولطفت موالجه، فقبله الفهم وارتاح له وأنس به، وإذا ورد عليه على ضد هذه الصّفة، وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقة ونفاه واستوحش عند حسه به، وصدئ له وتأذى به كتأذى سائر الحواس بما يخالفها"⁽³³⁾. (ابن طباطبا، 1956)

إن تركيز ابن طباطبا على هذا المنهج، هو ما يجعله يتجاوز نقاد عصره في هذا الرأي، ليؤكد من خلاله أن لذة النص هي ذلك الحوار القائم بينه وبين متلقيه. والأثر العقلي الجمالي الناتج عن هذا التفاعل هو الذي يدعم في الوقت نفسه الحكم الجمالي عليه.

لقد استخدم ابن طباطبا مصطلح اللذة كوظيفة أساسية للشعر، ليعبر من خلالها عن الإدراك الجمالي الذي يصاحب عملية التذوق، "وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كقيمتها كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكالملمس اللذيذة الشهية الحس، فهي ثلاثمه اذا وردت عليه؛ أعني الأشعار الحسنة للفهم، فيلتذها ويقبلها"⁽³⁴⁾.
(رانية محمد شريف صالح العرضاوي ، 2011)

واللذة عند ابن طباطبا لذات منها الحسبة ومنها العقلية.

1- اللذة الحسية: "وهذه اللذة متصلة بالمجال الإدراكي للحواس، وهو ورود النص الشعري على الملتقى واستقباله له، وذلك بادراك صور المحسوسات الواردة في النص بوساطة القوى الحسية الإدراكية، وهو ما نسميه بالمتلقي الحسي"⁽³⁵⁾.
(رانية محمد شريف صالح العرضاوي ، 2011)

فورود كلمات الشعر على سمع المتلقي يعني وقوعها على قواه الحسية الإدراكية الباطنية عبر قنوات الإدراك الحسية الخارجية أو الظاهرية (الحواس الخمس) المتمثلة في المادة الشعرية المطروقة بما تتضمنه من تصوير حسي ينحصر في خمس صور هي:

1- الصورة البصرية؛

2- الصورة السمعية؛

3- الصورة الشمية؛

4- الصورة اللمسية؛

5- الصورة الذوقية،

إن اللذة الحسية متصلة بالمجال الادراكي للحواس، فتلقى في نفس السامع من نغور أو إقبال، وهو ما أشار اليه ابن طباطبا في قوله:

"إنَّ كلّ حاسة من حواس البدن انما تتصل بما يتصل بها ممّا طبعت عليه، إن كان ورودها عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه، و بموافقه لا مضادة معها فا لعين تألف المرأى الحسن وتتقذى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث، والضم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المرّ، والأذن

تتشوّق للصوت الخفيض الساكن، وتتأذى بالجهر الهائل، واليد تنعم باللمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف⁽³⁶⁾. (ابن طباطبا، 1956)

في هذا النص يتصور كيفية تلقي الشعر المبنية على ضرورة فهمه، فلا يتأثر المتلقي بشيء لا يفهمه، وقبول الفهم عنده لا يختلف عن التذاذ الحواس الأخرى، "وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحدّ كفيّتها كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكامللمس اللذيذة الشهية الحس، فهي تلائمها اذا وردت عليه؛ اعني الأشعار الحسنة للفهم فيلتذها ويقبلها"⁽³⁷⁾. (ابن طباطبا، 1956)

ولعل أجمل فهم لهذه المسألة عند ابن طباطبا هو ربطه بين المجاز الشعري واللمحات الفنية التي تجبر القارئ أو المتلقي على الانجذاب والتفاعل مع الشعر، وتستفز ذهنه وأحاسيسه معا.

1 - مسبيبات اللذة الفنية عند ابن طباطبا.

لقد ذكر ابن طباطبا أنّ التعريض الخفي والإيحاءات البعيدة غير المباشرة هي أشد تأثيراً في المتلقي، حيث تحدث لديه لذةً واستفزازاً حينما يبحث وينقب عن سرّ جمالها الخفي "... والتعريض الخفي الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه"⁽³⁸⁾. (محمود درابسة 1995). إن هذا الغموض الناتج عن التعريض والكنائية؛ ميزة أسلوبية جمالية في النص إذ بواسطتها يُعرف القارئ المثالي من القارئ المستهلك، وفي هذا يقول الباحث عبد السلام عبد العالي " فقد استحسن ابن طباطبا الغموض في موضعين اثنين من كتابه لا ثالث لهما أولاً: التعريض الذي يكون بخفائه أبلغ من التصريح الذي لا ستر دونه وأما الموضوع الثاني الذي استحسن فيه الغموض فليس يرجع الأمر فيه إلى الصياغة التعبيرية، بقدر ما يرجع الى المضمون الفكري والمرتبط بالعادات التي اندثرت، ولعل هذا الخفاء الناشئ من التعريض والكنائية، وبعض صور المجاز مع القرب من المشابه في بعضها الآخر من استعارة وتشبيه، قد يصنع

عملا فنيا ممتازا؛ فذكر هذه الأمور الخفية التي يزداد الشعر فيها غموضا جائزا ولا عيب فيه علي الشاعر ما دام يشير الى الأمور الغامضة التي تضمّنّها والتي يمكن أن تُعرف ويعرف بها فضل قارئها"⁽³⁹⁾. (عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، 1987،

فابن طباطبا مع الغموض الجمالي، وليس مع الحكايات المغلقة والإشارات البعيدة المنال، فهو يدعو القارئ المثالي الى التفتيش والتنقيب عن المعنى الخفي الغامض، ولكنه يشترط على صاحب النص ومبدعه أن يشير إليه وما على القارئ الا متابعة الإشارات محاولا استنطاقها وفكّ مغاليقها ورموزها للكشف عن هذا المعنى.

وظيفة الشعر وكفاية المتلقي:

يبدو أن الوظيفة الأساسية والرئيسية للشعر بوصفه فناً من الفنون الإنسانية الأخرى، مثل الموسيقى وضروب النثر الفني والرسم هو توصيل اللذة. فاللذة كما يقول رولان بارت: "تشكل قوة هائلة وطاقة متجددة في العمل الفني"⁽⁴⁰⁾. (رولان بارت، لذة النص، 1980)

لذا فان اللذة هي مهمة الشعر وغايته الأساسية اذا تمنحه خصوصيته كعمل فني جمالي؛ حيث يتوجّه الشاعر بعمله هذا الى المتلقي القارئ أو المستمع فينضّل له ويضطرب ويتأثر ولعل مقدار هذه اللذة والنشوة وقيمتها الجمالية تتفاوت عند المتلقين بحسب قدراتهم الثقافية والمعرفية "فكلما ازداد حجم الثقافة كلما كبرت اللذة وتنوعت"⁽⁴¹⁾. (رولان بارت، لذة النص، 1980)، ويواصل قائلا: "نص اللذة هو الذي يقنع، ويفعم، ويمنح الغبطة، هو الذي يأتي من الثقافة ولا ينفصل عنها، وهو الذي يرتبط بممارسة مريحة للقراءة" وما يستنتج من كلام بارت أنه يعوّل كثيرا على عنصر الثقافة ويعتبره عنصرا مهما ولا غبار عليه في مثل هذه النصوص، ولتحقيق هذه اللذة يضع ثلاثة شروط هي:

. أن يكون النص من الثقافة نفسها لكل من المبدع والمتلقي، ولا ينفصل عنها بأي حال من الأحوال.

. أن يربط هذا النص القارئ بنوع من الراحة أثناء عملية القراءة، فلا يرهقه بالفاظ أو مفاهيم تحجب عنه فهم مضمون النص.

. أن لا يميل إلى مخالفة الذائقة الثقافية التي ينتمي إليها كلا من القارئ والمبدع⁽⁴²⁾. (رولان بارت، لذة النص، 1980)

من هنا تبدو ملامح المستقبل للشعر واضحة من خلال علامات تظهر على محياه في صور تعبر عن الغضب أو الفرح نتيجة تسرب هذه المعاني والصور الى مخيلته ومشاعره فيعبر عن تلذذه ونشوته تجاه هذا العمل الفني "كالشعر موجه إلى الإنسان وإلى روحه ومخيلته ومشاعره من خلال الكلمة والصور والايقاع"⁽⁴³⁾. (المعطي عبد الجبار، 1980)

وبواسطة هذه الطرق والصور والإشارات تتحقق هذه اللذة وعليه "فوظيفة الشعر ومهمته بل وقيمه أيضا تكمن في قدرته على إتاحة مثل هذه اللذة الجمالية للمتلقي فالشعر يحقق اللذة لقارئه ومتلقيه ويبين في الوقت نفسه القيمة الشاملة لها"⁽⁴⁴⁾. (أوغان عمو، 1991)

وعليه فإن اللذة هي جوهر النص الأدبي ورسالته، وهي التي تفتح النص وتقدمه للقارئ والمتلقي، أو كما عبر عن ذلك رولان بارت "الحقيقة الوحيدة التي تضمن حقيقة النص الأدبي"⁽⁴⁵⁾. (رولان بارت، 1998)

كما التفت ابن طباطبا إلى ما يتسم به الشعر من قوة التأثير حتى كأنه السحراً أو أشد وقد عبر عن ذلك أحسن تعبير حين قال " فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولائم الفهم وكأنه أنفذ من نفث السحر وألقى ديبيا من الرقي وأشد إطرابا من الغناء . فسلّ السخائم، وحللّ العقد وسخّى الشّحّيح وشجّع الجبان وكأنّه كالخمر في لطف ديبية وهزة اثارته "⁽⁴⁶⁾. (ابن طباطبا، 1956)

كما ينبه على أن تحقيق الإمتاع لا يكفي وحده كي يتحقق المراد من الشعر بل لابد من أن يتوافر الى جانب الإمتاع صواب المعنى وعلى ذلك يكون حال الشعر كمثّل "الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه و لفظه من طيب ألقانه"⁽⁴⁷⁾. (ابن طباطبا، 1956)

يشرح ابن طباطبا في نصه هذا تصوّره لكيفية تلقي الشعر المبنية على ضرورة فهمه إذ لا يتفاعل الإنسان ويتأثر بشيء لا يفهمه، كما يدرك أن اللذة الناتجة عن سماع الشعر ليست لذّة عابرة كلذة الجسد إنما هي لذّة باقية، فالشعر كالحكمة "غذاء الروح"⁽⁴⁸⁾، (إحسان عباس، 1993) وهو يقارن بين ما يحدثه الاستمتاع بالملاذ الحسية وما يحدثه الشعر عند وروده على الفهم وأثره على النفس وهو التلذذ والامتع.

وذهب محمد زغلول سلام إلى أن فهم ابن طباطبا لتأثير الشعر في النفس يقرب من فهم أرسطو لدور المأساة في النفس؛ "إذ يرى إنها تطهر النفس عن طريق تخليصها من الأحاسيس والانفعالات الضارة"⁽⁴⁹⁾. (محمد زغلول سلام)

فالتطهير الذي ارتآه أرسطو للمأساة قريب من سلّ السخائم الذي ارتضاه ابن طبا طبا، ووقوفه عند تأثير الشعر في السامع، ووجوب أن يواجه الشاعر عمله إليه على نحو يستطيع أن يكون مؤثراً فيه، بل رأى أن من الواجب على "صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة مجتلبة لمحبة السامع له، والناظر إليه بعقله مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه"⁽⁵⁰⁾. (شريف راغب علاونة، 2003)

ولم يقف عند حدود أثر الشعر في النفس، وإنما تجاوز ذلك بجعل شعور النفس وإحساسها حكماً يلجأ إليه ويعوّل عليه في بيان قوة الأثر الأدبي، فالمعنى الذي لا يؤثر في نفس القارئ ولا يستطيع إثارتها يصفه ابن طباطبا بالمعنى البارد وقد مثل له بقصيدة الأعشى التي مطلعها :

"بانت سعاد وأمس حبلها انقطعاً واحتلت الغمر فالجدين فالضرعاً"
وعقب على القصيدة بقوله "والقصيدة ستة وسبعون بيتاً التكلف ظاهر فيها إلا في ستة أبيات"⁽⁵¹⁾.

خاتمة:

- وبناء على كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يلي :
- لقد استخدم ابن طباطبا (ت 322) مصطلح اللذة كوظيفة أساسية للشعر، ليبرز من خلالها الإدراك الجمالي الذي يصاحب عملية التذوق عند المتلقي.
 - يكشف ابن طباطبا بنظرة شمولية عن أثر الأسلوب الشعري في النفوس، وقدرته في حملها على فعل أو رد فعل من خلال ما يحققه من انسجام وملاءمة في النفس الإنسانية حتى تكون له قوة سحرية فيكون الشعر أشد إطباً من الغناء
 - لقد أدرك ابن طباطبا القيمة التأثيرية للأسلوب الشعري وما يحدثه في المتلقي من إثارة للذة، وإحداث للهزة في النفس، وإذا ما تم ذلك دفعه إلى تبني موقف يخالف طبيعته وما اعتاد عليه فيسخر الشحيح، ويشجع الجبان.
 - لقد ربط ابن طباطبا بين المجاز الشعري واللمحات الفنية التي ترغب المتلقي على التفاعل مع النص الشعري، فتستفز ذهنه وعواطفه، كما تعرض إلى فكرة التعريض الخفي والإيحاءات غير المباشرة كالاستعارة والكناية، والتي هي أشد تأثيراً في المتلقي، لما تحدث لديه من لذة وممتعة حينما يدرك سر جمالها .
 - إن منهج القراءة عن ابن طباطبا هو لذة النص بامتياز؛ إنه المتعة الجمالية المتأتية من ورود النص الشعري على متلقيه.
 - إن أهم ما يركز عليه ابن طباطبا في موضوعنا هذا، هو ذلك التفاعل الحاصل بين القارئ و النص الشعري، وهو ما يعرف في الدراسات الحديثة بجماليات التجاوب أو التجاوب الجمالي.

هوامش المقال:

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، تحقيق أحمد الجوفي وبدوي طبائنة، المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر، ط1، مكتبة نهضة مصر.
3. ابن طباطبا، محمد بن أحمد - عيار الشعر - تحقيق طه الجابري. ومحمد زغلول سلام. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1956.
4. ابن منظور، لسان العرب : مادة لَذَذَ.

5. ابن نباتة المصري، حديث في مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، ص15، نقلا عن الهامش (5) من الصفحة 298 من الكتاب المتنبي والتجربة الجمالية عن العرب.
6. احسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق ، ط1، 1993.
7. أوغان عمو، مدخل لدراسة النص و السلطة، افريقيا الشرقية، ط1، الدار البيضاء - 1991.
8. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، مختصر تلخيص، دار احياء العلوم، بيروت، ط1، 1988 ..
9. رانية محمد شريف صالح العرضاوي . مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم . عالم الكتب الحديث أريد ط1 الاردن 2011 .
10. رولان يارث ، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1988.
11. رولان يارث، لذة النص، ترجمة نوال صفا والحسين سيحان، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1980 .
12. شريف راغب علاونة. قضايا النقد الأدبي و البلاغة في كتاب عيار الشعر في ضوء النقد الحديث. دار المناهج للنشر والتوزيع. 2003 .
13. شكري المبحوث، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، بيت الحكمة قرطاج، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، 1993 .
14. شكري عياد . دائرة الابداع ، دار الياس العصرية . ط1 ، القاهرة . 1986.
15. المصديق حسين، فلسفه الجمال وسائل الفن عن ابي حيان التوحيدي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 2002.
16. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969.
17. عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن . ط1 . 1987 .
18. عبد النور جيور، المعجم الادبي، دار الملايين، بيروت، ط1 ، 1984.
19. علي عيسى العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، لبنان، 1997.
20. عيادة شكري محمد ، دائرة الإبداع، دار إلياس العصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1986.
21. كليب سعد الدين، البنية الجمالية في الفكر العربي الاسلامي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1996 .
22. محمد القاسمي، النظرية الشعرية عند حازم القرطاجني، مجلة جذور، ع10، س5، 2002.
23. محمود دراسية التلقي والابداع ، قراءات في النقد العربي القديم ' دار حرير للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010.

24. محمود زغلول سلام ، تاريخ النقد الادبي، دار المعارف ، ط1، القاهرة.
 25. مراد حسن فطوم ، التلقي في النقد العربي، في ق 4 هـ، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق، 2014.
 26. مصطفى ناصر، نظرية المعنى في النقد العربي، ط1، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.
 27. المعطي عبد الجبار، مواقف في النقد والادب ، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد ، 1980.
 28. وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة الادب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1964.
 29. ينظر في ذلك عوض رياض، مقدمات في فلسفه الفن، طرابلس، لبنان، ط1، 1994
- الهوامش:**

- 1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء 13، فصل اللام، حرف الذال، ص92.
- 2 سورة محمد، الآية 15
- 3 سورة الصافات، الآية 46
- 4 سورة الزخرف، الآية 71
- 5 عبد النور جبور، المعجم الادبي، دار الملايين، بيروت، ط1 ، 1984، ص ص 226، 227.
- 6 وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة الادب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1964، ص349.
- 7 ينظر كليب سعد الدين، البنية الجمالية في الفكر العربي الاسلامي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1996 ص236.
- 8 ينظر في ذلك صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969، ص ص 283، 284.
- 9 سعد الدين كليب، البنية الجمالية في الفكر العربي الاسلامي ، مرجع سابق، ص 217.
- 10 المرجع السابق، ص 227.
- 11 ينظر في ذلك كليب سعد الدين، البنية الجمالية، مرجع سابق. ص 231.
- 12 الصديق حسين، فلسفه الجمال وسائل الفن عن ابي حيان التوحيدي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 2002، ص 112
- 13 ينظر في ذلك عوض رياض، مقدمات في فلسفه الفن، طرابلس، لبنان، ط1، 1994، ص ص 249، 250.
- 14 عيادة شكري محمد ، دائرة الإبداع، دار إلياس العصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1986، ص 77.

- 15 الصديق ، حسين، مدخل الى الفكر الجمالي عند العرب. مرجع سابق ص 243.
- 16 سعد الدين كليب. التبنية الجمالية في الفكر والوعي الاسلامي. مرجع سابق، ص 216.
- 17 ابن طباطبا، محمد بن أحمد – عيار الشعر – تحقيق طه الجابري. ومحمد زغلول سلام. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1956، ص 5، 6، 7، 10، 13، 20، 21، 24، 123، 202، 207، 209، 126، 133، 136.
- 18 عيار الشعر: 10، 11.
- 19 ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، تحقيق أحمد الجوفي وبدوي طبائنة، المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر، ط1، مكتبة نهضة مصر، ص359.
- 20 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص، دار احياء العلوم، بيروت، ط1، 1988، ص317.
- 21 مصطفى ناصر، نظرية المعنى في النقد العربي، ط1، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص ص39، 40.
- 22 محمد القاسمي، النظرية الشعرية عند حازم القرطاجني، مجلة جذور، ع10، س5، 2002، ص177.
- 23 شكري المبحوث، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، بيت الحكمة قرطاج، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، 1993، ص40.
- 24 ابن نباتة المصري، حديث في مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، ص15، نقلا عن الهامش (5) من الصفحة 298 من الكتاب المتنبي والتجربة الجمالية عن العرب.
- 25 ابن نباتة المصري، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، مرجع سابق، ص 15، نقلا من المتنبي والتجربة الجمالية ص 298.
- 26 علي عيسى العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، لبنان، 1997، ص185، 186.
- 27 شكري عياد . دائرة الابداع ، دار الياس العصرية . ط1 ، القاهرة . 1986 ص 58.
- 28 رولان بارت ، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سحبان، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1988، ص53.
- مصطفى السوييف: الأسس النفسية للأبداع الفني (في الشعر خاصة ط2 دار المعارف، القاهرة 1959، ص44، 29.
- 30 مراد حسن فطوم ، التلقي في النقد العربي، في ق 4 هـ، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1 ، دمشق، 2014، ص.

- 31 ابن طباطبا، مرجع سابق ، ص 19 ، 20.
- 32 ابن طباطبا، مرجع سابق، ص . 21 ، 22.
- 33 ابن طباطبا، مرجع سابق، ص 23 ، 24.
- 34 ينظر رانية محمد شريف صالح العضاوي . مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم . عالم الكتب الحديث أريد ط1 اردن 2011 ص 366.
- 35 المرجع السابق . ص 376 . مرجع سابق.
- 36 ابن طباطبا، مرجع سابق ، ص 52 .
- 37 ابن طباطبا، مرجع سابق.
- 38 د - محمود دراسية التلقي والابداع ، قراءات في النقد العربي القديم³ دار حرير للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010 ص 95.
- 39 د - عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال ، نقد الشعر بين ابن قتيبة و ابن طباطبا ، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن . ط 1. 1987 ص 393 . 394.
- 40 رولان بيارث، لذة النص، ترجمة نوال صفا والحسين سيحان، دار توبقال للنشر، ط1 ، الدار البيضاء ، 1980 . ص 6
- 41 رولان بيارث ، مرجع سابق ، ص 53.
- ينظر: رولان بيارث، لذة النص، ترجمة خير البقاعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص 25. 42
- 43 المعطي عبد الجبار، مواقف في النقد والادب ، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد ، 1980 ص 160.
- 44 أوغان عمو، مدخل لدراسة النص السلطة، افريقيا الشرقية، ط1، الدار البيضاء - 1991 ، ص 109 - 110.
- 45 رولان بيارث ، مرجع سابق ، ص 54.
- 46 ابن طباطبا، مرجع سابق، ص 15.
- 47 ابن طباطبا، مرجع سابق ، ص 21.
- 48 احسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق ، ط1، 1993، ص 141.
- 49 محمود زغلول سلام ، تاريخ النقد الادبي، دار المعارف ، ط1، القاهرة، ص 149
- 50 شريف راغب علاونة. قضايا النقد الأدبي و البلاغة في كتاب عيار الشعر في ضوء النقد الحديث. دار المناهج للنشر والتوزيع. 2003 ، ص 113.
- 51 ابن طباطبا، مرجع سابق ، ص 76.



العولمة الواقع المفروض

Globalisation The Imposed Reality

طهاري حنان

جامعة الأغواط - قسم الحقوق

Taharihanane@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-07-08

ملخص -

أصبحت العولمة مصطلح العصر الحالي، و كثر الحديث عنها في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين، فتناولتها بالحديث و الأبحاث و الدراسة الأوساط الجامعية و الإعلامية و التيارات الفكرية والفلسفية و السياسية المختلفة، و حتى علماء البيئة والطبيعة، و كثيرا ما يرتبط مفهومها في أذهان الكثير من الناس بالتقدم و الانفتاح الإقتصادي و حصرها فيه، ولكن الأمر غير ذلك في الواقع حيث أنها تشمل كل ميادين الحياة الإقتصادية، السياسية، القانونية، الثقافية، الإجتماعية، البيئية وغيره و حول هذا سيكون موضوع المقال من حيث شرح المفاهيم الأساسية للعولمة بمختلف صورها و تبين نشأتها و تطوراتها وآلياتها و صولا لتحديد آثارها إيجابا و سلبا.

الكلمات الافتتاحية -

العولمة -الواقع المختار و الواقع المفروض.

Abstract -

Globalization Has Become The Term Of The Current Time. It Was A Subject Matter Of Research And Study In The Universities And The Media In Addition To The Different Intellectual, Philosophical And Political Streams And Even Nature And Environmental Scientists. Its Concept Is Widely Related To The Development And Economic Openness, However, It's Not Like That In Reality, As It Includes All Aspects Of Economic, Political, Cultural, Social And Environmental Life, And About This Topic, Our Essay Will Attempt To Explain The Fundamental Concepts Of Globalization And Its Foundation And Development Arriving At Determining Its Positive And Negative Effects.

Keyword-

Globalization, Selected Reality And Imposed Reality

مقدمة

بعد زوال الثنائية القطبية و انتشار ثقافة اقتصاد السوق، برز بشكل كبير تسويق مفهوم جديد هو العولمة، ورغم صعوبة إيجاد تعريف جامع لهذا المصطلح إلا أن العولمة من الوجهة الاقتصادية يمكن فهمها من خلال مظاهرها المتعددة كزيادة تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة، والثورة المعلوماتية الهائلة التي تخطت الحدود الجغرافية للدول و كزيادة تحرير تجارة السلع و الخدمات و رؤوس الأموال، و تنامي الاندماج الدولي لمختلف الأسواق و توسع نشاط الشركات المتعددة الجنسيات.

لكن موضوعنا لا يقف عند العولمة الاقتصادية كما سنوضح، فرغم تأكيد العديد من الدراسات أن علماء الإقتصاد هم أول من وضعوا المعاني الأولى للعولمة، على الرغم من اختلافاتهم في دقة معناها ، ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاما أو نسقا أو حالة ذات أبعاد متعددة -تتجاوز دائرة الإقتصاد، فتشمل إلى

جانب ذلك المبادلات و الاتصال و السياسة و الفكر و القانون و التربية و الاجتماع و الإيدولوجيا و البيئة و الطبيعة¹.

و سيكون طرحنا لإشكالية دراستنا لموضوع العولمة كما يلي:

من خلال تبين مفاهيم العولمة و تطوراتها و آلياتها المختلفة و وصولا لتحديد أثارها هل تعتبر العولمة اختيارا أم واقعا مفروضا؟

نجيب على الإشكالية وفقا للخطة التالية:

أولا: المفاهيم الأساسية حول العولمة.

ثانيا: مسببات العولمة و آلياتها المختلفة.

ثالثا: الآثار الايجابية و السلبية للعولمة.

أولا: المفاهيم الأساسية للعولمة.

مصطلحي "العالمية" و "العولمة" ورغم تقاربهما في اللفظ و اشتقاقهما من نفس الكلمة "العالم" لكنهما يبينان معنيين مختلفين، فالعالمية تعني بناء مجتمع إنساني موحد يقوم على قاعدة الندية بين كافة الأمم و الشعوب دون اعتبار للعرق أو الثقافة أو الطبقة أو القوة، و يتصل بالتنوع الثقافي و تقبل ثقافات الغير و تفهمها، و التوجه و الرغبة في مشاركة الآخر، و الانفتاح على مختلف التجارب الحضارية و التبادل الحربي منها لمنجزات العلوم و التكنولوجيا و الفنون، انطلاقا من قيم الديمقراطية و حقوق الإنسان و احترام القانون و حماية البيئة و تحسين ظروف المعيشة لكل البشر².

و للعولمة تعاريف تركز على اعتبارها مرحلة تاريخية و أنها تستمد تعريفها من المرحلة التي جاءت مباشرة بعد انتهاء الحرب الباردة و سقوط النظام الاشتراكي، و بروز الظاهرة المتمثلة في رأسمالية النظام الإقتصادي العالمي، أي نتاج للصراع و التنافس بين نظامين اقتصاديين انتهى بانتصار النظام الرأسمالي و الذي أصبحت النظام المهيمن على الإقتصاد العالمي.

¹ عبد القادر تومي، العولمة فلسفتها ، مظاهرها ، تأثيراتها، كنوز الحكمة، 2009، ص 17.

² محمد حافظ دياب، الترجمة و رهان العولمة ، على الموقع الالكتروني

<http://www.djazairress.com> تاريخ الاطلاع 2016/03/16.

و العولمة هي النقلة النوعية الحالية في تطور النظام الرأسمالي، كواقع اقتصادي تكنولوجي معلوماتي سياسي اقرب إلى المصلحة، هدفها غالبا الهيمنة على اقتصاد العالم و جعله سوقا واحدة مفتوحة لإنتاج الدول المتقدمة، وسيلتها الإنفتاح الإقتصادي و الشركات الكونية و الخصخصة و الفيض الحر للمعلومات و الإعلام. حيث ينتهي أصحاب هذا الطرح لمفهوم العولمة على أن هذه الأخيرة عبارة عن حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز و قيادتها و تحت سيطرة مركزها في ظل سيادة نظام اقتصادي عالمي للتبادل غير المتكافئ.

" لكي نفهم ما هو جديد بشأن العولمة لأبد أن نميز بدقة بين جانبين من التغير: البعد الكمي و البعد الكيفي، فمن الناحية الكمية تشير العولمة إلى زيادة في التجارة و حركات رأس المال و الاستثمارات و البشر عبر الحدود... فما هو الجديد إذن بشأن العولمة في نهاية القرن العشرين ؟ تكمن الإجابة عن هذا السؤال في التغيرات الكيفية في السياسة الدولية و بعبارة أخرى التغيرات في الطريقة التي يفكر بها الناس و الجماعات و تعرف بها نفسها، التغيرات في الطريقة التي تتصور بها الدول و الشركات و غيرها من الكيانات الفاعلة مصالحها و تسعى لتحقيقها" فهكذا عرفها "ريجر مور" ¹.

و هي أيضا الظاهرة التي استطاعت أن تعطي لكل الأنشطة الاقتصادية طابع و صفة الكوكبية بسرعة كبيرة و ذلك بالإعتماد على ثورة التكنولوجيا و المعلومات مع عملية تذويب و الإزالة للحدود التي تقف عائقا أمام حركة تنقل السلع و الخدمات و رؤوس الأموال و العمالة و التكنولوجيا و الثقافات و السكان بين دول العالم فنتج عنها نشوء قرية كونية جعلت العالم صغير الحجم، و هو تعبير عن نشوء سوق عالمية واحدة لا قيود فيها على العمليات التبادلية على جميع الأصعدة.

أما في اللغة العربية يمكن قياس كلمة "عولمة" على وزن "فوعلة" و "عولم" على وزن "فوعل" بمعنى "قولب" أي أعطى شيئا معينا ميزات جديدة وفق نموذج

¹ احمد محمود، الاقتصاد السياسي للعولمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 8-9.

محدد و مضبوط ، أو حول شيئاً من وضع إلى وضع آخر بناء على نمط جاهز و معد سابقاً و العولمة ترجمة لكلمة mondialisation الفرنسية بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، و الكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة globalization الإنجليزية المشتقة من كلمة Globe التي يعرفها القاموس "المورد" (انجليزي -عربي 1995) أنها الكرة الأرضية¹.

مع الإشارة أن كل من "boldwindavies" و "olivier reiser" يعتبران أول من استعمل فعل يعولم "to globalize" بمعنى النظر إلى الكون كله كوحدة واحدة أو ككل مترابط، حيث تنبأ بحدوث نوع من الاقتراب بين الثقافات والالتقاء بين الحضارات، وارتبطت العولمة بالمشروع السياسي الأمريكي في مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة ثم استعمله أيضا الباحث paulfabra في مقال نشر له في جريدة "le monde" في 29 - 30 أفريل 1964، و جاء في المعجم العالمي الجديد "ويبستر" "webster" أن العولمة "globalization" هي إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالمياً².

ظهرت العولمة في الولايات المتحدة الأمريكية بمعنى تعميم الشيء و توسيع دائرته ليشمل الكل، فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالماً واحداً موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة، و لذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبية³، و استعمل المصطلح في خطاب رسمي لأول مرة عام 1968 من طرف مارشال ماكلوهان في مؤلفه "الحرب و السلم في القرية العالمية" عندما تحدث عن تأثير التلفزيون في سير الحرب في الفيتنام بأن أجهزة الإعلام الحديثة تجعل من الكون قرية واحدة⁴.

ولم يستعمل المصطلح بعدها حتى عام 1983 من طرف "theodorelevitt" في مقاله المعنون "عولمة السوق" ، ثم جاء بعده " Jimmy

¹ العيد صالح، العولمة و السيادة الوطنية، دار الخلدونية، 2006، ص 58.

² صالح الرقب، أتعرف على العولمة، دار البحار للطباعة و النشر، ص 6.

³ ياسر عبد الجواد، مقاربتان عربيتان للعولمة، المستقبل العربي عدد 252 شباط 2000، ص 2.

⁴ عبد القادر تومي، مرجع سابق، ص 18.

Carter" ووظف هذا المصطلح انطلاقاً من امتلاك أمريكا لـ 75% من مجموع الاتصالات العالمية على أنها تملك نموذجاً كونياً للحدثات يحمل القيم الأمريكية التي يذيعونها دوماً في الحرية وحقوق الإنسان¹.

ثم توالى الكتابات في الموضوع خاصة بعد تبني ملتقى دافوس عام 1993 فكرة العولمة كمصطلح جديد في مجال التجارة و المال و مختلف التعاملات الاقتصادية.

أما بالنسبة لعلم الاجتماع فذهب إلى اعتبار أن العولمة كلمة جديدة تعبر عن تطورين هامين هما: التحديث(modernity)، والإعتماد المتبادل (Inter-dependance)، ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا المعلوماتية، بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة².

ولها هنا أيضاً عدة معاني أخرى وهي كالآتي:

- العولمة كتكثيف للتفاعلات الدولية.
- العولمة كتراجع للأثر الجغرافي واللاإقليمية.
- العولمة بمعنى انضغاط الزمان والمكان.
- العولمة بمعنى عملية التوحيد الكوني.
- العولمة بمعنى التحرير.
- العولمة بمعنى الاستعمار والهيمنة.

ثانياً: مسببات العولمة وآلياتها المختلفة.

نتناول فيما يلي وعلى الترتيب كل من مسببات العولمة وآلياتها:

1 - مسببات العولمة:

كثيرة هي العوامل الأساسية التي أدت لتعاظم العولمة كظاهرة كونية و من أهمها تحرير حركة رؤوس الأموال و عدم إمكانية مراقبة هذه الحركة على المستوى الدولي، كما يدخل في هذا إطار تحرير حركة الاستثمارات المباشرة،

¹ صالح الرقب، مرجع سابق، ص 3 .

حاتم حميد محسن، الموجز في العولمة، كيوان للطباعة و النشر، الطبعة الأولى 2008،

ص 12.²

إضافة إلى الانفتاح المتزايد للأسواق على التجارة و التبادل الدوليين في قطاع السلع و الخدمات الأمر الذي أدى تعزيز أهمية المنافسة الدولية، مع التأكيد على الدور الكبير الذي تلعبه التكنولوجيا في مجال الإعلام و الاتصال في النشاط الإقتصادي، إذ أن التكنولوجيا أدت إلى اختزال عاملي الزمان و المكان ما أدى لتنشيط حركة التجارة.

فهذه الأسباب و غيرها جعلت العولمة كمفهوم و كظاهرة تتخطى الكثير من الظواهر الأخرى و شغلت اهتمامات الكثير من الكتاب و الدارسين و حسب "فرانيسكو دي كاستري" فأهم العوامل التي ساعدت و أسهمت بشكل وافر لفرضها هو سبعة عوامل مركزية تتمثل في ما يلي :

- التبادلات المتزايدة للأسواق.
- انهيار الإمبراطورية السوفياتية و تعجيلها لنهاية مرحلة القطبية.
- الطرق الجديدة للإعلام.
- كونية مشاكل البيئة بسبب تآكل طبقة الأوزون و ارتفاع حرارة الأرض.
- التزايد الهائل لسكان العالم.
- الهجرات الكثيفة للسكان من البادية إلى المدينة و من دولة لأخرى و من قارة لباقي أجزاء الكون[□].
- و نشير هنا إلى أن هذه العوامل السابق ذكرها يمكن اعتبارها أنها عوامل انتشار هذه الظاهرة، بينما فيما يتعلق بالمسببات الحقيقية لظهورها و جذورها فإننا نتفق في ذلك مع ما جاء به الدكتور احمد سيد مصطفى قائلا²: تضافر على خلق و اتساع ظاهرة العولمة عدة عوامل و مسببات، يمكن إيجاز أهمها فيما يلي:
- ثورة تكنولوجيا المعلومات.

¹Di Castri Fransisco, Maintenir le cap entre la mondialisation et la diversité , Ecodec,1997.

² احمد سيد مصطفى تحديات العولمة و التخطيط الاستراتيجي دار الفكر العربي 1990 ص 4.

- التكتلات الإقليمية الدولية.
- اتفاقية الجات.
- التحالفات الإستراتيجية لشركات عملاقة.
- الشركات العالمية متعددة الجنسيات و عابرة القارة.
- معايير الجودة العالمية.
- تزايد حركة التجارة والاستثمارات الأجنبية.

2 - آليات العولمة:

إن الآليات والوسائل التي استخدمت في نطاق العولمة متعددة وكثيرة وعلى سبيل المثال لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوسائل التالية من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من وراء العولمة:

- استعمال شبكة الانترنت ربط العالم بوضوح أكثر وبتكاليف مادية أقل تكلفة بكثير من السابق و دون انقطاع على مدار الساعة، كذلك دون قدرة الدول على التدخل فيها أو القدرة على فرض الرقابة عليها، خاصة و أنها أداة معلوماتية تفوق التصور البشري التقليدي.
- إنشاء المنظمات و التكتلات الاقتصادية و التجارية مثل اتفاقية "الجات" (التي أعضاؤها 117 دولة)، و تكتل "النافتا" (المكون من كندا و أمريكا و المكسيك)، و السوق الأوروبية المشتركة و "إيباك" (المكون من دول النافتا و أستراليا و نيوزيلندا و اليابان و إندونيسيا و ماليزيا)، و منظمة التجارة العالمية و التي تضم الكثير من دول العالم، فأدى نشوء هذه التجمعات الاقتصادية إلى حدوث تغيير في هيكل الخريطة التجارية و في التعريف الجمركية بين الدول المنظمة لهذه التجمعات.

و من لقد شجع قيام هذه التحالفات الاقتصادية العديد من العوامل الاقتصادية و غير الاقتصادية كالتخصص الإقليمي في الإنتاج و تبادل المعلومات و التكنولوجيا و جذب الاستثمارات الخارجية التي تبحث عن الأسواق الكبيرة، أما بالنسبة للعوامل غير الاقتصادية فتتمثل بالأبعاد السياسية و العسكرية و الأمنية و التي تتعزز بوجود التجمعات الإقليمية.

— إنشاء منظمة الأمم المتحدة بمختلف أجهزتها و هيكلها السياسية و الإدارية و المالية و الثقافية كمنظمة اليونسكو و حقوق الإنسان و كالبانك الدولي.

— تقديم الدعم الإقتصادي و المعنوي للأنظمة المعادية للإسلام، و فرض سياسة الحصار و التجويع على الأنظمة المتمردة، و تقييد الحكومات في العالم الإسلامي بالإتفاقيات الظالمة كاتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية، في حين يسمح لليهود بامتلاكها [□].

— فتح المجال أمام الشركات الأمريكية و الشركات متعددة الجنسيات للقيام بالإستثمار غير المباشر و تطبيق سياسة خصخصة الشركات و المؤسسات الإقتصادية والخدمات الوطنية و الحكومية، مع اعتماد سياسة السوق المفتوح، إضافة إلى تنظيم المؤتمرات و الملتقيات الدراسية الإقتصادية لتضخيم ثقافة العولمة، فظهرت في أوائل التسعينات من هذا القرن توجهات لمعظم الدول لرسم سياسات مؤثرة في تدفق الاستثمارات الأجنبية إلى دولهم و ذلك ضمن استراتيجيات لجذب الاستثمار.

— التوسع في مسألة قبول الطلاب الأجانب في الجامعات والمعاهد الغربية و التشجيع على ذلك، فهم سيمثلون النخب عند عودتهم إلى بلدانهم بما يحملونه من طرق التفكير المقتسبة من أمريكا بسبب ما سيشغلونه في مجتمعاتهم مستقبلا من مواقع التأثير و النفوذ.

— استعمال و تشجيع التجارة حيث و تماشى مع هذا النمو المتسارع ظهور نزعة تحريرية على المستوى الدولي حيث عقد خلال تلك الفترة عدد من جولات المحادثات بهدف وضع اتفاقية عامة للتجارة و التعريفة الجمركية و التي اصطلح على تسميتها باسم ال(GATT) و المسماة حاليا بمنظمة التجارة العالمية (WTO) حيث نتج عنها زيادة الحرية التجارية بين الأسواق العالمية و زيادة إلى تدفق السلع و الخدمات إلى حيث يكون العائد اكبر.

¹ صالح الرقب، مرجع سابق، ص52.

ثالثا: الآثار الايجابية والسلبية للعملة.

أصبحت الأسواق المالية العالمية تنمو بشكل سريع ورؤوس الأموال استطاعت أن تحقيق مستوى عالي من حرية الانتقال، وتوسعت التجارة العالمية بشكل هام، وأصبحت قرارات الاستثمار والإنتاج تتخذ من قبل الشركات على أساس مستوى عالمي، إضافة إلى ذلك فقد ظهرت قوى اقتصادية جديدة وتضاءلت قوى أخرى كان لها حجمها في القرن الماضي وهذا كله حدث تأثرا بالعملة، فهذا الواقع الجديد يفرض علينا النظر بعمق في الآثار والنتائج السلبية منها و الإيجابية على حد السواء و كانت قصيرة أو طويلة الأمد للعملة و على جميع المستويات، بحيث لا يتم إغفال آثارها على مستوى الفرد أو على مستوى الاقتصاد المحلي أو على مستوى الاقتصاد الدولي و في جميع المجالات ليس الاقتصادية فقط، و عمليا تسعى كل دولة في هذا العالم إلى التوصل إلى التحكم في مدى تأثير هذه المتغيرات على اقتصادها و على مواطنيها و على ثقافتها و طرق معيشتها، و كون أن هذه الظاهرة تحمل في طياتها آثارا متنوعة ايجابية و سلبية فهي تفرض نفسها و تفرض علينا بالمقابل التنبه لها و التعرف عليها قبل حدوثها و ذلك للاستفادة منها إن كانت ايجابية، وتدارك الضرر الناتج عنها إن كانت سلبية .

1 - الآثار الإيجابية للعملة: نلخص أهمها فيما يلي □ :

— إن الإستثمارات الأجنبية المباشرة هي إحدى آليات العملة، فتعمل هذه الآلية على إدخال تدفقات نقدية توجه نحو الاستثمار في قطاعات إنتاجية و بالتالي توفير فرص عمل جديدة تسهم في حل مشكلة البطالة، كما أنها تسهم في إعداد و تدريب و توفير خبرات فنية ماهرة في المجالات التكنولوجية و الإدارية و التسويقية، و تساهم أيضا الاستثمارات الأجنبية المتجهة نحو الأسواق المالية للدول النامية في التقليل من حدة الفقر ، لأنها لا توفر تدفقات نقدية بالعملة

¹Safadi raed, global challenge and opportunity facing mena countries at the down of twenty first century, economic research forum, egypt, 1997.

الصعبة تساعد في دعم أسعار صرف العملة فحسب بل تقوم بزيادة الإنتاجية و التنافسية الكلية للدول النامية و تمكنها من استغلال الحجم الأمثل من خلال نظام الإنتاج الدولي، و تمكنها من الحصول على أسواق تصديرية جديدة، فالإحصائيات تدل على أن الاستثمارات الأجنبية المباشرة قد نمت بالقيمة المطلقة و كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي في أغلب الدول النامية .

– إن ازدياد و توسع النشاط التجاري الدولي عقد الاتفاقيات التجارية الدولية و الانضمام إلى المنظمات الاقتصادية الإقليمية و ظهور السياسات التجارية و الاستثمارية التحررية ساعد في زيادة حجم القطاع الإقتصادي التجاري، و الذي أدى بدوره إلى إيجاد فرص عمل جديدة في هذا القطاع، و تتوقع مفوضية الأمم المتحدة للتجارة أن زيادة النشاط التجاري بين الدول النامية سوف يعمل على توفير حوالي الملايين من فرص العمل في الدول النامية.

– تعمل العولمة على زيادة التنافس بين الشركات و خاصة في مجال الأسعار، و بما أن أجور العمال تشكل القدر الأكبر من التكاليف تحاول هذه الشركات الإستثمار في الدول التي تتميز بأجور عمالة منخفضة و نتيجة لذلك تزداد فرص التوظيف و الطلب على العمالة في تلك الدول و قد تؤدي في بعض الحالات إلى رفع مستويات الأجور، كما تتيح العولمة للشركات و المؤسسات و البنوك حرية الانتقال و التوسع في جميع أنحاء العالم مما يسهل للشركات استغلال حصص سوقية أوسع ، و الاستفادة من اقتصادات الحجم الأمثل، و تمكنها من الحصول على العمالة الرخيصة عن طريق الاستثمار في دول تمتلك ميزة انخفاض أجور العمالة ، الذي يحقق لهذه الشركات قدرة على تخفيض نفقاتها و الاستفادة من المنافسة السعرية.

و بالنسبة للمستثمر فإن العولمة تمكنه من استغلال مجال استثماري أوسع، و تتيح له فرص الاستثمار في أسواق رأس المال العالمية و الحصول على عائد اكبر للإدخار، و تنوع أفضل للمحفظة الإستثمارية[□].

renato, the high stakes of world trade, wall street journal, ¹Ruggiero april 28 ,1997.

- قد تتيح آليات العوالة للعنصر البشري الانتقال من مكان إلى آخر عن طريق الشركات متعددة الجنسيات التي تعمل على توظيف الكفاءات البشرية بهدف زيادة الإنتاجية و بغض النظر عن أصولهم و جنسياتهم ، والذي يؤدي بدوره إلى تطوير فعالية المصادر البشرية و إعادة توزيعها¹.
- بخصوص الأسعار النسبية فإن تخفيض الحواجز و التعريفة الجمركية و التخصص في الإنتاج يؤدي إلى تقليل الأسعار للسلع و الخدمات المستوردة و الذي يقلل من العبء على المستهلك، بالإضافة إلى أن المستهلك سوف يستفيد من تنوع الخيارات المطروحة من السلع و الخدمات ذات الأسعار المنخفضة نسبياً².
- تبرز أهمية العوالة في مساهمتها في التخفيف من حدة ظاهرة الفقر، و يختلف تأثير العوالة على الفقر باختلاف الدول النامية فبينما يتوقع أن تتأثر أغلبية الدول النامية إيجاباً بهذه الظاهرة، إلا أن بعض هذه الدول ستستفيد إيجاباً بشكل اكبر، و أيضاً فإن بعض الدول النامية ذات الخصائص غير المناسبة للعوالة سوف تتأثر سلباً.
- تسهم ظاهرة العوالة في زيادة النمو الاقتصادي على المستوى العالمي و بالتالي تمكن من زيادة الإنتاج و الاستهلاك لمعظم دول العالم بما فيها الدول النامية الفقيرة، فهي تتيح الفرصة على المدى البعيد للتخفيف من وطأة الفقر، و من جهة أخرى فإن السياسات التحريرية سوف تجعل من الممكن الحصول على السلع بالأسعار العالمية و التي هي فعلياً أرخص من الأسعار المحلية المفروضة تبعاً لبعض السياسات التي تفصل الإنتاج المحلي عن المنافسة العالمية و لهذا فإن توسع التجارة العالمية ضروري للتخفيف من وطأة هذه الظاهرة، إضافة إلى ذلك فإن زيادة المنافسة السعرية في أسواق السلع العالمية و دخول عدد كبير من الدول النامية إلى الأسواق التصديرية سيؤدي إلى حدوث منافسة على الحصص السوقية، و بما أن العمالة تشكل القسط الأكبر من التكلفة فستؤدي هذه

renato ,op.cit.¹Ruggiero.raed , op.cit.²Safadi

المنافسة إلى التحول نحو دول نسبة الفقر فيها أعلى و ذلك لأجل تشغيل عمالة ارخص تمكن من الاستفادة من المنافسة السعرية و بالنتيجة يقلل ذلك من الفقر المطلق في الدول النامية.

2 - الآثار السلبية للعولمة:

على الرغم من الايجابيات المتعددة التي تأتي بها ظاهرة العولمة حسب ما يبينه إلا أن لها أثارا سلبية يجب التنبه لها والعمل على مواجهتها وفيما يلي أهمها :

- من سلبيات العولمة أنها تعمل على تعميق الهوة بين الدول الغنية المتقدمة التي تحظى بالثروات المالية و البشرية و التكنولوجية ، و بين الدول النامية ذات الاقتصادات الضعيفة و التي لا تملك أكثر من تصدير مواردها الخام الأولية و الطاقة، مما يؤدي في الأمد الطويل إلى انتشار التخلف و تباطؤ النمو في الدول النامية، مع التحكم فيها أين تبقى أسواقا استهلاكية لتصريف فائض منتجات الدول المتقدمة، أي أن العولمة قد تؤدي إلى زيادة الاعتماد على الاقتصاديات الخارجية و النشاطات العالمية و لا تستطيع الدولة أداء مهامها بنفسها.

- من نتائج العولمة أنها قد تقوم بتهميش بعض الدول، فالدولة التي لا تستطيع بالتسارع في الاقتصاد العالمي و لا يمكنها تصحيح مشاكلها الهيكلية في اقتصادها من بطء نمو تجارتها الخارجية و ضعف جاذبيتها للإستثمارات الأجنبية و انخفاض مستويات الاستثمار المحلي تصبح دولة مهمشة.

- كثيرا ما تؤدي العولمة إلى انخفاض الأجور وفقدان الوظائف وإضعاف سيطرة الدولة، حيث تحاول هذه الشركات الاستثمار في الدول التي تتميز بأجور منخفضة ليكون الربح هو الأساس لها، كذلك يتوقع أن ينخفض التوظيف و الوظائف للعمالة الماهرة بشكل خاص بسبب استخدام تكنولوجيا متطورة تتميز باعتمادها الكثيف على رأس المال، و أيضا لزيادة القوة التفاوضية للشركات متعددة الجنسيات و التي تمكنها من التحكم بالأجور و التخلي عن العمالة وقت الكساد و تشغيلها وقت الرواج.

- للعولمة تأثير سلبي على سيطرة و سياسة الدولة فتشجيع السياسات التحريرية في مجال التجارة الخارجية و حرية انتقال رؤوس الأموال و العمل على تحفيز عمل الاستثمارات الأجنبية و تسهيل دخولها في الأسواق المالية هذه العوامل كلها أضعفت من سيطرة الدولة على أدواتها المالية و النقدية و التي أصبح يتحكم بها التذبذب في الأسواق العالمية و الذي صار يميز الأسواق المالية العالمية في العقد الأخير من هذا القرن، و الذي شهد انخفاضا في قيم الأصول المالية العالمية و تذبذبا في أسعار صرف كثير من العملات و لفترات طويلة و حدوث أزمات حادة في الأسواق المالية العالمية ، بالإضافة إلى انهيار مؤسسات مالية ضخمة في الدول الصناعية و الدول شبه الصناعية و الذي خلق جوا من عدم الثقة و المخاطرة.

- للشركات متعددة الجنسيات في ظل العولمة قدرة كبيرة على السيطرة على اقتصاديات الدول التي تعمل بها و خصوصا الدول النامية و التي تعتمد اقتصاداتها على استثمارات هذه الشركات، حيث تكبر الشركات المتعددة الجنسيات نتيجة لتوسع أعمالها و استغلالها للميزات الدولية من التخصص في الإنتاج و اقتصادات الحجم الأمثل و رخص العمالة و حرية الانتقال .

- تؤثر العولمة بشكل سلبي على البيئة فالعلاقة ظاهرة جليا بين زيادة النشاط الاقتصادي و منه زيادة الإنتاج من جهة و التجارة و العولمة من جهة أخرى مما يؤثر و ينعكس على الموارد الطبيعية و منتجات الطاقة المختلفة، و يؤدي إلى تلويث البيئة بمختلف أجزائها من ماء و هواء و تربة .

- تشجع العولمة المستثمرين المحليين و الأجانب على الاستثمار في المجالات التي تعطي إيراد مالي سريع و تتميز بأنها استثمارات غير منتجة نسبيا و لكنها آمنة، بدلا من التوجه إلى الاستثمارات المنتجة التي تحتاج إلى فترة زمنية طويلة لإعطاء المردود المالي لكن هذا التوجه قد لا يخدم سوى المصالح الخاصة بهؤلاء المستثمرين.

خاتمة .

شكلت العولمة منظومة كبيرة و شاملة ظهرت بالتوازي مع التحولات الجذرية التي شهدتها الإنسانية في القرن الماضي فكان من أبرز نتائجها المظاهر الاقتصادية بتثبيت النظام الرأسمالي كنظام كوني تلغى فيه كل الحواجز والقيود أمام تدفق السلع والأموال والمعلومات.

لكن العولمة الاقتصادية أدت في الوقت نفسه لطمس معالم السوق الداخلية و ضرب الخريطة الاقتصادية المحلية.

كما أثرت ظاهرة العولمة على صانعي القرار في شتى أنحاء العالم وذلك لدخول بدايات القرن الحادي والعشرين في اقتصاد عالمي مواجه للتغيرات الكبيرة الحاصلة العولمة أصبحت واقعا أكثر منها اختيارا، واقع يبدأ مع بداية حياتنا اليومية، فنستيقظ صباحا على جهاز راديو ياباني، و نتناول القهوة الواردة من أمريكا الجنوبية مثلا، و نركب سيارتنا المصنوعة بألمانيا أين العديد من أجزائها تأتي من أنحاء مختلفة من العالم، ثم غالبا ما نستعمل جهاز الحاسوب المنتج بمناطق مختلفة من العالم، و منه نجد العولمة في حياتنا اليومية دون توقف واقعا مفروضا لا واقعا مختارا

المراجع.

- 1 احمد محمود، الاقتصاد السياسي للعولمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- 2 حاتم حميد محسن، الموجز في العولمة، كيوان للطباعة و النشر، الطبعة الأولى 2008.
- 3 صالح الرقب، أتعرف على العولمة، دار البحار للطباعة و النشر.
- 4 عبد القادر تومي، العولمة فلسفتها، مظاهرها، تأثيراتها، كنوز الحكمة، 2009.
- 5 العيد صالح، العولمة و السيادة الوطنية، دار الخلدونية، 2006.
- 6 محمد حافظ دياب، الترجمة و رهان العولمة، على الموقع الالكتروني <http://www.djazairress.com> تاريخ الاطلاع 2016/03/16.
- 7 ياسر عبد الجواد، مقاربتان عربيتان للعولمة، المستقبل العربي عدد 252 شباط 2000.
- 8 احمد سيد مصطفى تحديات العولمة و التخطيط الاستراتيجي دار الفكر العربي 1990 .
- 9 Di Castri Fransisco, Maintenir le cap entre la mondialisation et la diversité , Ecodec, 1997.
- 10 Ruggiero renato , the high stakes of world trade , wall street journal , april 28 , 1997.
- 11 Safadi raed global challenge and opportunity facing mena countries at the down of twenty first century, economic research forum ,egypt , 1997.



**العمليات التفاعلية العلائقية الصفية لتحقيق التربية البيئية من
أجل التنمية المستدامة – دراسة ميدانية على عينة من أساتذة التعليم
المتوسط بمدينة بسكرة – الجزائر –**

**Class Interactive Interactive Processes To Achieve
Environmental Education For Sustainable Development.
A Field Study On A Sample Of Teachers Of Middle
Education In The City Of Biskra Algeria**

فتيحة طویل

جامعة محمد خيضر بسكرة.

touilfatiha.07@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-21

تاريخ الارسال: 2019-05-13

ملخص –

جاءت هذه الدراسة لاختبار أحد مستويات التحليل عند بارسونز، والتي تشير إلى العمليات التفاعلية العلائقية بين جميع الفاعلين التربويين داخل الصف لتحقيق التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، أو ما أطلق عليه بارسونز النسق الاجتماعي، حيث يعمل نسق التوجيهات القيمية للتنمية المستدامة، ومنطلقات الحاجة للتربية البيئية كوسيط لتفاعل التلميذ والأستاذ داخل الصف بواسطة ميكانيزمات التنشئة الصفية، والتي تعمل وفق علامات ورموز وخبرات وتجارب واتخاذ قرارات، على تنظيم نسق توقعاتهم نحو التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، وفق ما تطرحه التفاعلية الرمزية، والظاهراتية، والاختيار العقلاني التي يتم استدماجها لمعالجة مختلف التغيرات في وظائف النسق الاجتماعي، لتحقيق التكامل والتوازن في التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، وسط مؤسسات التعليم المتوسط.

كلمات دالة -

العمليات التفاعلية العلائقية؛ النسق الاجتماعي؛ التربية البيئية؛ التنمية المستدامة؛ الدور.

Abstract-

The Interacting Relational Processes In The Class To Satisfy The Environmental Education For Sustainable Development This Study Tries To Testify One Of The The Levels Of Analysis In ‘‘ Parsons , ‘‘ Which Refers To The Interacting Relational Processes Between All The Educational Actors In The Class , To Satisfy The Environmental Education For Sustainable Development Or What ‘‘ Parsons ‘‘ Called Social Form Which Works According To The Needs Of Environmental Education As An Intermediate Of The Interaction Between The Teacher And Pupil In The Class Throught Mechanisms Of Rearing In Class Which Work Throught Signs , Symbols , Experiments ,Experiences, And Taking Decisions For Organizing The Form Of Their Expectations Toward Environmental Education For Sustainable Development According To What Symbolic Interaction Pose With The Phenomenalism And Rational Choice In Which They Are Internalized To Cure The Different Changes In The Functions Of Social Form In Order To Satisfy The Complementarity And Balance In Environmental Education For Sustainable Development In Middle Schools.

Key Words-

The Interacting Relational Processes; Social System; The Environmental Education; The Sustainable Development; Role.

مقدمة:

تتنوع الأنشطة والعمليات التي يستخدمها الأستاذ؛ في توصيل محتوى التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة للتلميذ، بغية تحقيق أفضل مخرجات تعليمية ممكنة تمتلك الوعي والاتجاهات، والمهارات البيئية اللازمة، لفهم وتقدير العلاقة بين التلميذ والبيئة، وتساعدهم فرادى وجماعات للعمل على حل المشكلات البيئية، والحفاظ على الموارد البيئية، وحسن استغلالها لأجيال الحاضر والمستقبل. بواسطة عمل منظم ومرتبطة الأجزاء، يقوم به الأستاذ داخل الصفوف الدراسية، بعد أن يقدر جميع المواقف التي يتفاعل بها مع تلاميذه،

لتحقيق فهم أكثر عمقا وأكثر شمولاً للسلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية، بل وتعالج الحياة اليومية برمتها داخل الصف، الذي نشأ بين مختلف العقول والمعاني، والتعمق في دراسة السلوك الإنساني في العلاقات المتبادلة بين التلاميذ والأساتذ، من خلال تركيز البحث عن الكيفية التي يستطيع بها التلاميذ والأساتذة التحكم في مواقفهم، في إطار التأويل والتفسير الممكن لهذه العمليات التفاعلية العلائقية بين جميع الفاعلين التربويين داخل الصف، لتحقيق التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، أو ما أطلق عليه بارسونز النسق الاجتماعي.

وذلك على اعتبار أن العملية التفاعلية العلائقية هي: علاقة حاسمة بين الفاعلين في الفصل الدراسي أي بين التلاميذ والمدرس وهي علاقة منتظمة في العملية التفاعلية ككل، وبناء على ذلك فإن مشاركة الفاعل في علاقة تفاعلية نمطية هي الوحدة الأكثر أهمية في النسق الاجتماعي...، الذي يعكس عملية تفاعلية علائقية تحت ظروف معينة، لأنه داخل الفصل يمكن التفاوض عن الحقيقة، حيث يدرك التلاميذ حقيقة أنهم ماهرين أو أغبياء أو كسالى، أو في ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسين بعضهم مع بعض، كما يمكن أن يحصلوا في النهاية على النجاح أو الفشل، وعليه يصبح من الضروري كما يؤكد عليه أصحاب منظور التفاعلية الرمزية، أن يقوم بدراسة الكيفية التي تتم بها هذه العملية، والطرق التي يتفاعل بها المدرسون والطلاب مع المواقف التعليمية، بعدما يقومون باشتقاقهم ذات المعنى، أي طريقتهم الخاصة في فهم بعضهم البعض من خلال توقعات الدور، فالمدرس يحاول أن يفرض تحديده للموقف بعبارة أنا المسؤول هنا ؟ ويبقى على التلاميذ داخل الفصل أن يكتشفوا ما يريده المدرس، وما يجب أن يصدره¹.

هذا الأستاذ الذي يتطلب منه امتلاك القدرات والكفاءات التعليمية، والمزج بين مختلف الأساليب والطرق التعليمية، والاستفادة من الإمكانيات والوسائل البيداغوجية أثناء قيامه بالعملية التعليمية، التي يجعلها الأستاذ تستجيب لحاجات المتعلم وتجب عن تساؤلاته، وتسعى إلى إحداث تغيير نوعي في فكر التلميذ وسلوكه، مما يهيئه للتفاعل مع المواقف المستجدة في حياة التلميذ². ومثل هذه النجاعة التي من المفروض أن يتعامل بها الأستاذ؛ غير أن الواقع

الممارس؛ يبرز أداء متواضعا وبسيطا لأستاذ التعليم المتوسط في مجال التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، كما سيبينه تحليل أسئلة المقابلة التي قدمت لعينة قصدية من أساتذة التربية المدنية والجغرافيا من التعليم المتوسط في ثلاث مؤسسات بمدينة بسكرة هي: مؤسسة لبصايرة فاطمة و مؤسسة محمد الطاهر قدوريو مؤسسة حليمي رشيد ، حيث تمحورت أسئلة المقابلة حول العمليات التفاعلية العلائقية الصفية لتلميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط، المطبقة في مجال التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة.

أولا - مفاهيم الدراسة:

1 - النسق الاجتماعي Social system:

يشير مفهوم النسق الاجتماعي إلى: " بناء العلاقات بين الفاعلين كما هي منتظمة في العملية التفاعلية، وبناء على ذلك فإن مشاركة الفاعل في علاقة تفاعلية نمطية هي الوحدة الأكثر أهمية في النسق الاجتماعي...، الذي يعكس عملية تفاعلية علائقية تحت ظروف معينة"³

في حين يعرف رث والاس والسون وولف النسق الاجتماعي بأنه: " يتألف من جمع من الفاعلين الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم في موقف يتضمن على الأقل جانبا فيزيقيا أو بيئيا، وفاعلين مدفوعين بموجب الميل إلى تحقيق أقصى حد ممكن من الإشباع، والذين تخلل علاقتهم بموقفهم وتعريفهم له رموز مشتركة مبنية ثقافيا"⁴

ولذا فالنسق الاجتماعي في هذه الدراسة هو: عملية تفاعلية علائقية تحت ظروف معينة، تتألف من جميع الفاعلين التربويين الذين يتفاعلون مع بعضهم داخل الصف، بمؤسسات التعليم المتوسط، مدفوعين بموجب الميل إلى تحقيق أقصى حد ممكن من الإشباع، كمشاركين يتخلل علاقتهم بموقفهم وتعريفهم له؛ رموزا ومفاهيم مشتركة ومنظمة توجههم نحو ما هو متوقع من أدوارهم.

2 - مفهوم التربية البيئية Environmental Education:

- حسب تعريف اليونسكو 1990 فإن التربية البيئية هي: "منهج تربوي لتكوين الوعي البيئي؛ من خلال تزويد الفرد بالمعارف والمهارات، والقيم

والاتجاهات التي تنظم سلوكه، وتمكنه من التفاعل مع بيئته الاجتماعية والطبيعية فيما بينهم؛ في حمايتها وحل مشكلاتها".

- في حين تعرف المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم (1976) التربية البيئية بأنها: "عملية تكوين المهارات والاتجاهات والقيم اللازمة؛ لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي، وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة، وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان، والحفاظ على حياته الكريمة ورفع مستوى معيشته"⁵ وبناء على ما تم تقديمه، يمكن القول بأنه ليس هناك تعريف موحد للتربية البيئية، بل تعاريف تختلف من مجتمع لآخر حسب طبيعة المشكلات؛ التي تتطلب التركيز عليها في برامج التعليم لكل بلد.

ومن هنا يمكن الخروج بالتعريف الإجرائي للتربية البيئية باعتبارها: جهدا تعليميا منظما؛ يسعى لإعداد تلميذ التعليم المتوسط وتكوينه، من خلال توضيح المفاهيم وتعميق المبادئ، والقيم والاتجاهات، وتنمية مهاراته لتوجيه سلوكه، للتفاعل الناجح مع البيئة الطبيعية، والاجتماعية والاقتصادية، حتى يكون واعيا بمشاكلها وقادرا على اتخاذ القرارات لحمايتها، وحل مشاكلها واستغلال مواردها، من أجل تحسين نوعية الحياة، وتلبية حاجاته وحاجات أسرته ومجتمعه للأجيال من بعده.

3 - مفهوم التنمية المستدامة Sustainable development :

-تعرف التنمية المستدامة بأنها: "أساليب علمية مخططة لتحقيق التوازن البيئي بين أنشطة الإنسان وجهوده، والبيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، من خلال استراتيجية واضحة وحسن إدارة وتنظيم وتنمية استخدام الإنسان لموارد البيئة المتاحة، والتي يمكن إتاحتها لتحسين فرص الحياة للإنسان في المجتمع حاضرا ومستقبلا"⁶

- كما تعرف التنمية المستدامة على أنها: "ربط الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية بشؤون البيئة؛ كجانب أساسي في التنمية المستدامة، وخلق هذه الروابط؛ يتطلب طريقة عميقة وطموحا في التفكير في التربية، وهذه الطريقة تتوجه نحو التحليل الناقد عندما نركز على الإبداع والتجربة،

وباختصار أنها تتطلب نظاما أخلاقيا مرتبطا بقيمة الهوية الثقافية، وحوار متعدد الثقافات"⁷

وبهذا نصل إلى المفهوم الإجرائي للتنمية المستدامة في هذه الدراسة والذي يشير إلى أنها: فعل يحسن نوعية الحياة للمجتمع الجزائري، من خلال تطوير القدرات البشرية لتلميذ التعليم المتوسط بالمعرفة والتربية البيئية للحد من الفقر والتصحر والتلوث الطبيعي والاجتماعي... وترشيد الاستهلاك والإنتاج في إطار قدرة تحمل الأنظمة الإيكولوجية واستمرارها للأجيال المقبلة.

4 - مفهوم الدور Role:

يأخذ مفهوم الدور عدة معاني؛ حسب استعمالات كل تخصص من تخصصات العلوم الاجتماعية، ويأخذ أهمية أساسية في التحليل السوسيولوجي باعتباره: "توجيه أو تفهم عضو الجماعة بالجزء الذي يلعبه في التنظيم، وهذا الدور يتكون من نسق التوقعات؛ ويسمى الدور المتوقع، كما يتكون من أنماط سلوكية واضحة يسلكها الشخص شاغل المركز، عندما يتفاعل مع مركز آخر؛ ويسمى الدور الممارس"⁸

وهنا يظهر الدور كـ " وحدات اجتماعية تساهم في بناء المؤسسات الاجتماعية، كالمدرسة التي تضم مجموعة من أدوار تمارس من قبل التلاميذ والمعلمين داخلها"⁹

ومن هنا يمكن الخروج بتعريف إجرائي لمفهوم الدور، الذي يشير في هذه الدراسة بأنه: مجموعة الوظائف المتعددة؛ التي تظهر في مختلف النتائج والآثار المترتبة على النشاط الاجتماعي، الذي تقوم به الأهداف المعرفية كمنطلقات الحاجة للخصائص العقلية للتلميذ في مفاهيم التربية البيئية؛ المتضمنة في كتب التربية المدنية، والتي ينبثق منها توقع سلوك تلميذ السنة الرابعة؛ نحو التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، وسط مؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة.

ثانيا - الإجراءات المنهجية للدراسة:

1 - منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة الحالية علي المنهج الوصفي، وذلك في إطار النظرية الوظيفية، كدراسة شاملة لموضوع البحث، الذي ينطلق من دور

العمليات التفاعلية العلائقية الصفية في تحقيق التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة في مؤسسات التعليم المتوسط، أي من واقع وخصوصيات معينة، نبحث فيها عن هذه التربية البيئية ومجمل استراتيجياتها المطبقة في ميدان مؤسسات التعليم المتوسط، بمقابلة مع عينة من أساتذة التعليم المتوسط، للوقوف على العمليات التفاعلية العلائقية الصفية كإحدى الوسائل البيداغوجية؛ لتعليم التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، في مؤسسات التعليم المتوسط.

2 - عينة الدراسة:

تم اختيار عينة قصدية أو عرضية من أساتذة التعليم المتوسط الذين يدرسون مادة الجغرافيا والتربية المدنية بمؤسسات التعليم المتوسط مجال الدراسة، حيث بلغ عددهم ثمانين أساتذة في ثلاث مؤسسات من مرحلة التعليم المتوسط بمدينة بسكرة مجال هذه الدراسة الميدانية وهي: مؤسسة لبصايرة فاطمة، ومؤسسة محمد الطاهر قدوري، ومؤسسة حليمي رشيد، وقد اختيرت هذه المؤسسات من التعليم المتوسط، لاعتبارها من المؤسسات النموذجية التي تتوفر على مساحات خضراء واسعة يمكن للتلميذ مزاولة مختلف الأنشطة البيئية وسط هذه المؤسسات.

ثالثا - تحليل بيانات المقابلة حول العمليات التفاعلية العلائقية الصفية:

1 - شرح معلومات البيئة التي تبرزها مادة الكتاب أم يزود الأستاذ بمعلومات بيئية أخرى أكثر كفاءة علمية وواقعية:

أجاب معظم عينة الدراسة؛ التي أجريت معهم المقابلة، والتي بينت أن تفاعل أستاذ التعليم المتوسط مع المعلومات البيئية، التي تحتويها مادة التربية المدنية ومادة الجغرافيا، تقتصر على شرح المعلومات الظاهرة دون التعمق في المعلومات الضمنية، أو إضافة معلومات بيئية أخرى أكثر كفاءة علمية وواقعية، إلا في حالات نادرة يوجه الأستاذ فيها التلميذ إلى بعض المصادر البيئية، كبديل يعطيه الأستاذ للتلميذ لتنمية معلوماته البيئية، والسؤال الذي يطرح نفسه هل تلميذ السنة الرابعة المقبل على شهادة التعليم المتوسط، سيكون مهتما بمطالعة معلومات بيئية ؟، ما لم يدعم هذا التوجه بتحفيظات تدعم رصيده في

التفوق، خاصة وسط مجتمع يمتاز معظم سكانه باللامبالاة؛ التي يمارسونها في سلوكياتهم اليومية إزاء البيئة؛ حتى على مستوى المثقفين والمتعلمين، هذه السلوكيات التي يتعلمها التلميذ بالتقليد والملاحظة اليومية في الشارع والأسرة، حسب منطلقات نظرية التعلم الاجتماعي؛ التي ترى أن السلوك الاجتماعي يتم اكتسابه من خلال ملاحظة الآخرين وهم يظهرون استجابات مختلفة، يتم اكتسابها من خلال مشاهدة النماذج؛ وما تظهره من سلوكيات تجاه البيئة المحيطة بها.

2 - العوامل التي تعيق وظيفة الأستاذ في تزويد التلميذ بمعلومات بيئية أخرى:

ضمن هذا المحتوى يقتصر الأستاذ على شرح المعلومات البيئية الموجودة في الكتاب، دون إضافة معلومات بيئية أخرى أكثر كفاءة علمية وواقعية. الأمر الذي يعيق تنمية فكر التلاميذ وبناء ذاتهم، حيث أصبحت المعرفة مجرد وسيلة وليست غاية على حد تعبير ميرتون. ويرجع السبب في ذلك لعدة عوامل يقول الأستاذ: أنها تعيق وظيفته في الاهتمام أكثر فأكثر بمواضيع البيئة، أهمها كثافة البرنامج وارتباطاتهم بوقت محدد، ومشكل الاكتظاظ في الأقسام، والمراقبة الدائمة من قبل المفتش الذي تقتصر مهامه في تتبع التزامات الأساتذة بالتعليمات الرسمية، وخطواتهم في تغطية المقررات الدراسية.

ولعل أهم عامل يضاف إلى العوامل السابقة، أن معظم هؤلاء الأساتذة ليس لديهم التأهيل الكافي، الذي يسمح لهم باستيعاب التطور الحاصل في المناهج وأهداف التربية البيئية، التي وضعتها اتفاقية الوزيرين ضمن الحقائق البيئية، التي تم توزيعها على العديد من المؤسسات التعليمية، ولم يتم الاطلاع عليها من قبل معظم الأساتذة، لأن هذه الحقائق موجودة في خزانة في قاعة الإعلام الآلي، لا يدخلها إلا مستشار التربية وأستاذ المادة، كما أكد على ذلك بعض رؤساء ومنشطي النوادي البيئية في مؤسسات التعليم المتوسط مجال هذه الدراسة، وذلك يعود لأن الفئات التي تمارس العمل التربوي (تخطيطاً) وتنفيذاً وتسييراً وتقويماً، غير ملمة بالتربية البيئية من أجل التنمية المستدامة. وهنا تكمن مشكلة التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة في مؤسسات التعليم المتوسط، هذا ما تم استنتاجه من الدراسة الاستطلاعية في مؤسسات التعليم

المتوسط مجال هذه الدراسة، حيث أكد لنا أحد المسؤولين أن التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، كانت مجرد أغنية تغنى بها المسؤولون الكبار في ميدان المؤتمرات العالمية والمنظمات الدولية.

3 - الطرق التي يعتمد عليها الأستاذ في إيصال المعلومات البيئية للتلميذ:

يمزج أستاذ التعليم المتوسط بين الطرق القديمة للتدريس، والطرق الحديثة التي أدرجت لتدريس التربية البيئية، كما يطرحها بالتفصيل صلاح الدين شروخ¹⁰، بهدف إيصال المعلومات البيئية الموجودة في محتوى الكتب، حيث يعتمد أستاذ التعليم المتوسط بالدرجة الأولى، على طريقة المناقشة في معالجة قضية مختارة من محتوى الكتاب، ثم عرض مضمون القضية بشكل منظم يمكن من فهم تنوع مكونات البيئة، وإدراك العلاقة المتبادلة بينها على مستوى التفاعل الصفي، عن طريق الحديث الموجه من المعلم للمتعلمين، وعن طريق الإجابات التي سيؤديها التلاميذ في الصف، أو عن طريق الأسئلة والاستفسارات التي يوجهها الطلبة إلى زملائهم أو إلى معلمهم، ضمن عمليات تفاعلية تسمح بإشاعة جو من المشاركة الفاعلة والحرية والحوار الدائم، واحترام الرأي والرأي الآخر... الشيء الذي يجعل عملية التعليم والتعلم أكثر متعة، وأبعد أثر في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة منها¹¹.

هذه الطريقة التي ترتبط بطريقة إتاحة الفرص للمشاركة في الأنشطة البيئية، لكن ممارسة هذه الطريقة يكون على المستوى النظري والحوار والنقاش لا غير، بدليل إجابة الأساتذة بعدم قيامهم ببرمجة زيارات ميدانية تساعد على نشر الوعي البيئي، والمحافظة على الموارد البيئية عند التلميذ، والاكتفاء بتوجيه التلاميذ للانخراط في الأنشطة التي تحافظ على البيئة، دون تشجيعهم على رفع تقاريرهم إلى من يهمه الأمر في المجتمع المحلي، أو تنمية فكرهم وبناء ذاتهم، حيث أصبحت المعرفة عندهم مجرد وسيلة لا غاية، رغم أن التربية البيئية تعتبر من المعلومات الحديثة، التي تم إدراجها في سنوات إصلاح مناهج التعليم المتوسط.

إلى جانب هذه الطريقة؛ يدمج معها في بعض الأحيان، طريقة حل المشكلات أو كما اصطلح علي تسميتها بالاستراتيجيات، لأن هذه الطريقة تعمل على

تشغيل أكبر قدر ممكن من العمليات العقلية عند التلاميذ، كالملاحظة والقياس والتحليل وتحديد الشكل ووضع الفرضيات والتجريب، والاستنتاج والتنبؤ والتخطيط للحلول، واتخاذ القرارات، وعلى اعتبارها طريقة موجودة ضمن المناهج الدراسية، يتم الاعتماد عليها وفق مقاربة التدريس بالكفاءات، التي أدرجها إصلاح التعليم المتوسط، ولكن هذا الاعتماد على هذه الطريقة لا يتم تطبيقه في كثير من الأحيان، لأن الوقت وحجم الصف وكثافته؛ لا يسمح للأستاذ بالاعتماد على هذه الطريقة في تدريس مواضيع التربية البيئية، المرتبطة بالمعلومات الواضحة فقط في كتاب التربية المدنية وكتاب الجغرافيا، حيث يقوم الأستاذ باختيار موضوع أو قضية عن البيئة، ويطلب من تلاميذه البحث فيها وتقديمها في شكل بحث مطبوع أو مشروع مقدم، يجدها التلميذ جاهزة عند مننديات الإنترنت، الذي يعمل صاحبها على تحضير مثل هذه المواضيع، وسحبها إلى التلاميذ وبيعها لهم دون أي جهد أو عناء يبذله التلميذ، إلا إعطاؤها إلى أستاذ المادة، الذي يأخذ هذه البحوث وينقط عليها التلميذ؛ وإن توفر له الوقت قد يناقشها مع التلاميذ على شكل مشروع مقدم أو مشكلة تم حلها.

لكن الغريب في الأمر والتناقض الواضح، أن هذه الطريقة التي تعتبر أحد العمليات الأساسية، التي تساعد المتعلم على إدراك المشكلات البيئية وتحديدها، والاستماع مع الفهم وجمع وتنظيم وتحليل واقتراح المعلومات، وتنمية المهارات اللازمة للقيام بوضع خطة عمل، ومهارات التفكير الناقد والتعبير الاجتماعي والاتصال التشخيصي¹²، هذه الطريقة التي يستعملها أستاذ التعليم المتوسط كطريقة حديثة لتدريس التربية البيئية، ثم وضعها في مرحلة التعليم الابتدائي، وليست في مرحلة التعليم المتوسط، كما تم طرحه في دليل المربي في التربية البيئية¹³.

كما يعتمد عدد قليل من الأساتذة على طريقة المشروعات، ولكن ليست كما جاءت في دليل المربي للتعليم المتوسط، فهذه الطريقة التي يعتمد عليها أستاذ التعليم المتوسط مع تلاميذه، لا فرق بينها وبين طريقة حل المشكلات على مستوى الممارسة داخل الصف، كما مر معنا في الطرح السابق. ودائما يشكل الوقت وكثافة البرنامج وحجم الصف، عائق وظيفي بالنسبة للأستاذ في

الاستعمال الحقيقي لهذه الطرق، فحقاً من لا يملك مشاريع لا يملك مستقبلاً؛ كما يقول إندري دي بيرتي Andre de perretti، فالفرد الذي لا يستطيع أن يخطط هو فرد قيدت حريته، لعجزه عن القيام بالأنشطة الهادفة؛ التي يقوم بها المتعلم، والتي تعمل على التناسق بين الانفعالات والواقع، الذي يجلبه لتحقيق أهداف معيشته ليكسب معارف ومهارات واتجاهات وقيماً، إلى جانب أنه يتعلم كيف يخطط، وكيف يفكر فيما قد يعترضه من مشكلات ومشاريع في الواقع¹⁴، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا هذه المفارقة بين الواقع التنفيذي والنظري المخطط له في دليل المربي؟، وكأن الذي خطط يخطط لواقع غير الواقع الاجتماعي الجزائري، الذي تعاني صفوفه الدراسية من الاكتظاظ، وقلة الوسائل والإمكانيات التي تستعمل لتطبيق مثل هذه الطرق، خاصة في مدن الجنوب التي تعاني التهميش والإقصاء، ضمن الاستراتيجيات التنظيمية لتسيير عملية التنمية في البلاد، التي كانت دائماً تفتقر لطابع الشمولية بانحصارها في المناطق الشمالية.

في حين لا يعتمد أستاذ التعليم المتوسط على طريقة التكوين البيئي، التي تم شرحها في دليل المربي من التعليم الإكمالي، وهي تعتمد على التكوين الذي يتلقاه من البيئة المحيطة بنا، حيث توجد تفاعلات لا حصر لها بين الإنسان والبيئة التي تحدد نوع العلاقة بينهما، ويتم ذلك من خلال الملاحظة وتفسير الظواهر البيئية، بالاعتماد على قواعد معرفية مشتركة في الوصف والتقويم، وفق مبدأ التناوب بين الطرائق الموضوعية والذاتية، وطرائق فكرية وتحليلية وما بين المعارف وفسح اللعب، متخذة بذلك شكل موضوعي وعقلاني وجماعي؛ ضمن وتيرة التناوب التربوي¹⁵.

كما يجهل أستاذ التعليم المتوسط الطريقة النسقية وطريقة العصف الذهني، كإحدى الطرق الحديثة في توليد وإنتاج أفكار وآراء إبداعية، من قبل الأفراد والمجموعات لحل مشكلة ما، وذلك من خلال وضع الذهن في حالة من الإثارة والجاهزية للتفكير في كل الاتجاهات، لتوليد أكثر قدر من الأفكار حول المشكلة أو الموضوع المطروح، بحيث يتاح للفرد نوعاً من الحرية؛ يسمح بظهور كل الآراء والأفكار¹⁶. وغيرها من الطرق التي تستعمل في تدريس التربية البيئية، ويجهلها أستاذ التعليم المتوسط ولا يستعملها في توصيل معلوماته حول

البيئة، مكتف بطرق لا يعرف أو لا يهتم بتكييفها مع الظواهر المختلفة للبيئة، لأنها تفتقد للمرونة لعدم تعاملها مع مختلف مظاهر البيئة، وبالتالي لا تساهم في تكوين إدراك واتجاهات ومهارات بيئية؛ تحدد العلاقة بين التلميذ والبيئة¹⁷.

4 - مختلف الوسائل التعليمية التي يستخدمها الأستاذ في إيصال المعلومات البيئية للتلميذ:

لتنفيذ طرق التدريس؛ يستعمل أستاذ التعليم المتوسط وسائل تعليمية جاهزة، ووسائل تعليمية سمعية كالشرح الشفوي، ووسائل تعليمية بصرية كالسبورة، وفي بعض الأحيان أجهزة العرض والعروض العلمية كالخرائط والمجسمات والصور، التي تستخدم كوسائل تعليمية سمعية بصرية كنوع من الوسائل التعليمية، بالإضافة إلى الكتاب المدرسي، الذي يعد من أقدم الوسائل والتقنيات التعليمية، ومن أكثرها شيوعاً وفائدة¹⁸، رغم التجاوزات التي تحتويها من مفاهيم غير بيئية تم توضيحها في تحليل هذه المقابلة، كما يستعمل القليل من الأساتذة في بعض الأحيان وسائل تعليمية من البيئة، وسائل تعليمية من إعداد التلميذ في حالات نادرة جداً حينما يطلب منه ذلك لا غير، الأمر الذي يعيق تفاعل التلميذ ومشاركته الصفية، وبالتالي تقل مكتسباته وخبراته البيئية، وتبقى معلومات لا تتعدى مستوى التذكر والتعرف، ضمن تصنيف بلوم المعدل للمهارات المعرفية¹⁹.

وهذا ما يؤكد حاجة المنظمة العربية، إلى ما يقارب 81% من الإطارات المؤهلة للقيام بالأنشطة التربوية البيئية، وحاجياتها إلى 73% أيضاً لإعداد الوسائل التربوية في مجال البيئة، كما أقرت بذلك منظمة اليونسكو²⁰. هذه الحاجة التي تفرض على أستاذ التعليم المتوسط، أن يعرف المادة التعليمية وطريقة انتقائها وعرضها، وما يتعلق بمعرفة طبيعة المتعلم والأساليب التي يرغب في التعلم عليها، وأن يجمع بين القدرة على العمل والرغبة فيه، والاقتناع بأهمية التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، ويكون واعياً بالدور المنوط به شاعراً بقيمة نفسه ومكانته في المجتمع²¹.

5 - خصائص التلميذ التي ينبغي تنميتها وتقويمها في مجال التربية البيئية والتنمية المستدامة:

لكي تستطيع التربية البيئية أن تحقق الأهداف المرجوة منها والموجهة نحو التلميذ، يبقى أن تقدم لهم المعلومات المناسبة، وتكسبهم الاتجاهات والمهارات اللازمة، لفهم العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان ببيئته والعمل على حل مشكلاتها، شاملة بذلك جميع خصائص التلميذ وأبعاد شخصيته المعرفية والمهارية والوجدانية، التي ينبغي على الأستاذ أن ينميها ويقومها في التلميذ، وذلك تأسيساً لحق المتعلم في أن يفهم باعتباره كياناً إنسانياً واحداً، تستهدف التربية بصفة عامة والتربية البيئية بصفة خاصة، نموه الجسدي والوجداني والاجتماعي والمعرفي في تكامل وانسجام²². وذلك على اعتبار أنها جهداً تعليمي منظم؛ يسعى لإعداد تلميذ التعليم المتوسط وتكوينه، من خلال توضيح المفاهيم وتعميق المبادئ، والقيم والاتجاهات، وتنمية مهاراته لتوجيه سلوكه، للتفاعل الناجح مع البيئة الطبيعية، والاجتماعية والاقتصادية، حتى يكون واعياً ومشاكلها وقادراً على اتخاذ القرارات لحمايتها، وحل مشاكلها واستغلال مواردها، من أجل تحسين نوعية الحياة، وتلبية حاجاته وحاجات أسرته ومجتمعه وللأجيال من بعده، أي تحقيق التنمية المستدامة في الحاضر والمستقبل.

حيث بينت المقابلة أن أغلب أساتذة التعليم المتوسط، يقومون بتصحيح بعض المعتقدات الخاطئة على البيئة لدى التلميذ، لكن بطريقة موجزة دون تفصيل، وهذه المعلومات تقتصر على كثير من الأحيان على ما ورد في المحتوى الظاهر للكتاب من معلومات حول البيئة، كما لا يوجد تطبيق فعلي لطرق التدريس الخاصة بالتربية البيئية كحل المشكلات والمشروعات والتكوين البيئي... هذه الطرق التي لا يستخدمها أستاذ التعليم المتوسط، كما تنص عليه مفاهيم هذه الطرائق، كما تمت الإجابة عليه من قبل عينة الدراسة على السؤال الثالث في هذه المقابلة، وما يؤكد أيضاً تحليل السؤال الرابع حول الوسائل التعليمية أو بواسطة ماذا يتعلم المتعلم مجموعة من المعلومات البيئية، أي ما هي الوسائل التي يتعلم بها التلميذ؟ والتي بينت المقابلة أنها وسائل بسيطة لا تعمل على الإثراء المعرفي للمتعلم، لأنه تبين أن هناك وسائل حديثة غير الوسائل التي يستعملها أستاذ التعليم المتوسط، والتي يمكن أن تساهم في

تقليل الجهد واختصار الوقت وتزويد من مستوى إثارة انتباه المتعلم وثبتت معلوماته نتيجة إشراكه لجميع حواسه، مما يزيد من تسريع وتعميق التعلم وطرائق اكتسابها في القرن القادم²³ الأمر الذي تقوم به أنشطة النوادي البيئية كبدايل وظيفية خارج الصف للأنشطة الصفية؛ التي تعاني معوقات وظيفية في تأدية وظائفها، مع منشطي النوادي الخضراء البيداغوجية في مؤسسات التعليم المتوسط مجال هذه الدراسة.

أما بالنسبة لاكتساب بعض المهارات البيئية لدى التلاميذ، يسعى بعض الأساتذة فقط، لجعل التلاميذ يمارسون بأنفسهم بعض المهارات الموجودة في محتوى الكتاب، من كتابة تقارير أو رسم أو جمع معلومات حول البيئة وعرضها إذا ما توفر الوقت أمام الأستاذ، وهذا ما أكدته تحليل السؤال الثالث عند استعمال طريقة حل المشكلات في هذه المقابلة، دون تمكين التلميذ في أغلب الأحيان من ممارسة الكفاءات والمهارات المرتبطة بالأنشطة البحث الشخصي، ومن تنمية قدرات واتجاهات فردية، كقدرة اتخاذ القرارات والروح النقدية والتواصل مع الآخرين وروح المشاركة، والقدرة على تقييم وتطبيق المبادئ النظرية على الواقع وحل المشكلات.

الأمر الذي يمثل نتيجة تربوية تحصل بوساطته، وتجعل التلميذ يكتسب مواقف سلوكية تجاه العمل البيئي، ويستوعب الأساس العلمي الذي يقوم عليه، والفائدة الحضارية منه، كما يجعله يكتسب مجموعة من المفاهيم والخبرات ذات الصلة بعالم الشغل ووظائف الأدوات التقنية، والظواهر التكنولوجية التي تفيد الإنسان في حل بعض مشكلاته اليومية، وتجعله بصفة خاصة قادرا على تمثيل المفاهيم والقوانين العلمية النظرية، ومجالات توظيفها في حياته. إذن ما الفائدة التي يجنيها المتعلم من تعلم علم لا يستطيع تمثيله في فكره وسلوكه ونشاطه²⁴ وما يؤكد على ذلك إجابة الأساتذة حول السؤال السابع بعدم برمجة زيارات ميدانية تساعد التلميذ على اكتساب الوعي البيئي والمحافظة على الموارد البيئية، دون تشجيع التلاميذ على رفع تقارير إلى من يهمه الأمر في المجتمع المحلي، والعزوف عن إحضار مسؤولين ومتخصصين في مجال البيئة، ماعدا ذلك التشجيع الذي يحث التلميذ على الانخراط في أنشطة النوادي الخضراء المدرسية، ومناقشة أعمالهم حول البيئة فيما بينهم،

وعرضها خارج الصف وداخله إذا توفر لهم الوقت، وتوجههم لبعض المصادر والأماكن التي تنمي اتجاهاتهم ومعارفهم للبيئة، وهي في عمومها لا تخرج عن إرشادات وتوجيهات مباشرة وغير مباشرة، ينمي الأستاذ الجوانب الانفعالية الخاصة بالبيئة والتنمية المستدامة لدى التلاميذ.

حيث أجاب معظم الأساتذة بأنهم يقومون بترشيد وتوجيه التلميذ، إلى اكتساب وتعلم السلوكيات البيئية الصالحة، كلما دعت إلى ذلك الضرورة، وإذا كانت هذه الضرورة تقتضي ما هو متوفر في محتوى الكتب فقط، كما أجابت عينة الدراسة على السؤال الأول، لكن هذه الضرورة التي تحكم الأساتذة تعود إلى التقاليد والأخلاق الإسلامية، التي يعمل بمقتضاها بعض الأساتذة في توجيه التلميذ لاكتساب سلوكيات حميدة حول البيئة لتحقيق التنمية المستدامة. لأنه من المعروف أن الخصائص الوجدانية، ترتبط بالجوانب المعرفية والمهارية لأنها تسهم في إثرائها، فكلما زادت معارف ومهارات التلميذ في المجال البيئي، كان احتمال تذوقه ومشاعره تجاه هذا المجال أكثر إيجابية²⁵،

6 - توجه التلاميذ للقيام ببعض الأنشطة لحماية البيئة داخل الصف وخارجه:

ومما سبق يتضح تباين اهتمام الأستاذ بالجوانب المعرفية و المهارية والوجدانية للتلميذ، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الأستاذ بما هو موجود وواضح في محتوى الكتاب، ويستعمل طريقة المناقشة دون التجريب على كيفية استعمال أهم طرق تدريس التربية البيئية، كطريقة المشروعات وحل المشكلات والتكوين البيئي وغيرها، واستعمال وسائل بسيطة لا ترقى لاستعمال الوسائل المجردة، التي تعمل على إثراء المعارف البيئية أكثر فأكثر، دون محاولة جادة لتفعيل ومشاركة التلميذ في مشاريع تعمل على الحفاظ على البيئة، وعدم برمجة زيارات ميدانية تساعد التلميذ على اكتساب الوعي البيئي، والمحافظة على الموارد البيئية في الحاضر والمستقبل.

وهذا على الرغم من التوصية التي قدمها وزير تهيئة الإقليم والبيئة، في مقدمة دليل منشط النادي المدرسي للأستاذ، الذي تقع عليه مسؤولية نقل التصورات الفكرية والقيم البيئية، وغرس المواطنة الإيكولوجية وترقية السلوكيات الفردية والجماعية، ونشر وتعميم الثقافة البيئية في الأوساط

الاجتماعية، للوصول إلى التنمية المستدامة بمفهومها الواسع والشاسع²⁶ ، باعتبارها فعل يحسن نوعية الحياة للمجتمع ، من خلال تطوير القدرات البشرية بالمعرفة والتربية البيئية للحد من الفقر والتصحر والتلوث الطبيعي والاجتماعي... و ترشيد الاستهلاك والإنتاج في إطار قدرة تحمل الأنظمة الإيكولوجية واستمرارها للأجيال المقبلة.

7 - التزام الأستاذ بالسلوك البيئي الصحيح كنظافة الصف وعدم التدخين داخل الصف وخارجه:

لقد أدت نتائج تحليل إجابات الأسئلة السابقة، إلى خلل وظيفي في الأنشطة والوظائف التي يقوم بها الأساتذة داخل الصف، والتي لا تساعد التلاميذ على اكتساب وعي واتجاهات بيئية، تساعد في الحاضر والمستقبل على تحقيق التنمية المستدامة، والتي انعكست في أدائهم لوظائفهم التعليمية التي تميزت بخلل وظيفي يعيق تنشئة التلميذ على التربية البيئية والتنمية المستدامة، وهذا على الرغم مما قد يتعلمه التلميذ من سلوكيات الأساتذة الذين أقروا بأنهم يحترمون مدة التدريس ويهتمون بنظافة وتهوية الفصل، ولا يدخلون أمام التلاميذ باعتبارهم قدوة ونموذج يقتدي به التلاميذ ضمن سلوكياتهم اليومية، كما تفره نظرية التعلم الاجتماعي عند باندورا.

فهل البديل الوظيفي الذي وضعته الدولة في مؤسسات التعليم المتوسط، في شكل نوادي بيئية يصلح للخلل والمعوقات التي تحدث داخل الأنشطة الصفية ومحتوى الكتب؟ ويعمل على رفع مستوى وعي التلميذ، وتكسبه معارف ومهارات وقيم واتجاهات بيئية، تعمل على تحقيق التنمية المستدامة في مستقبل التلميذ، وهذا يتطلب دراسة أخرى حول الأنشطة اللاصفية التي يقوم بها منشطو النوادي الخضراء لتحقيق التنمية المستدامة. من خلال تبنيهم إستراتيجية التربية البيئية وارتباطهم بوقت محدد، رغم أن هذا العامل ليس كل شيء في العملية التعليمية كما يقول عبد القادر فضيل، لأن الأمر الأكثر أهمية هو نوع هذه المعارف وطرائق تقديمها²⁷، وهذا ما يؤكد قول أحد الأساتذة في مؤسسات التعليم المتوسط مجال هذه الدراسة بقوله: لو أراد الأستاذ بحق إيصال التربية البيئية للتلاميذ، بإمكانه تخصيص فترة 15 إلى 10 دقائق من كل حصة، وهي فترة كافية لتلقين التلاميذ المعارف البيئية الضرورية؛ التي يحتاجونها في

حياتهم اليومية. ومن هنا نقول إنه على التعليم المتوسط في مجال التربية البيئية، أن يمكن جميع التلاميذ من إكسابهم رصيد كافي وضروري من التكوين البيئي، الذي يهيئهم للمحافظة على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.

خاتمة:

يبرز تحليل المقابلة أداء متواضع لأستاذ التعليم المتوسط في مجال التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، حيث يقتصر الأستاذ على شرح المعلومات البيئية الموجودة في الكتاب، دون إضافة معلومات بيئية أخرى أكثر كفاءة علمية وواقعية، إلا في حالات نادرة يوجه الأستاذ فيها التلميذ إلى بعض المصادر البيئية، كبديل يعطيه الأستاذ للتلميذ لتنمية معلوماته البيئية، إلى جانب تباين اهتمام الأستاذ بالجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية للتلميذ، ووجود خلل وظيفي لبعض الطرق الحديثة التي يستعملها أستاذ التعليم المتوسط لتدريس التربية البيئية، وهي في الأصل تنتمي لمرحلة التعليم الابتدائي، كما تم طرحه في دليل المربي في التربية البيئية، كما لا يوجد تطبيق فعلي لطرق التدريس الخاصة بالتربية البيئية، كحل المشكلات و المشروعات و التكوين البيئي...، و التركيز على طرق التدريس القديمة كطريقة المناقشة.

إلى جانب أن هناك مفارقة بين النظري المخطط له، و الواقع التنفيذي الذي تعاني صفوفه الدراسية من الاكتظاظ، وقلة الوسائل والإمكانيات التي تستعمل في مؤسسات التعليم المتوسط، كما يتم استعمال وسائل بسيطة لا ترقى لاستعمال الوسائل المجردة، التي تعمل على إثراء المعارف البيئية أكثر فأكثر، و خلل وظيفي في الأنشطة والوظائف التي يقوم بها الأستاذ داخل الصف، والتي لا تساعد التلميذ على اكتساب وعي واتجاهات بيئية تساعد في الحاضر والمستقبل على تحقيق التنمية المستدامة، ونقص في تكوين الأستاذ التعليم المتوسط داخل الصف الدراسي في مجال التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة.

المراجع:

- ¹ حمدي علي أحمد، مقدمة في علم الاجتماع التربوية، دار المعرفة الجامعية، الأزهرية الأسكندرية، 1997، ص 278-183.
- ² عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات، تقديم عبد الحميد مهري، (ط.1)، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، 2009، ص 144.
- ³ محمد عبد الكريم الحوراني، القوة وإنتاج المعنى في الفعل الاجتماعي، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2006، ص 145-146.
- ⁴ وراث والاس وألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، (محمد عبد الكريم الحوراني، مترجم)، (ط.1)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 66.
- ⁵ إياد عاشور الطائي ومحسن عيد علي، التربية البيئية، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، 2010، ص 38-39.
- ⁶ طلعت مصطفى السروجي، التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2009، ص 212.
- ⁷ محمد السيد جميل، دور مدرسة التعليم الأساسي في تحقيق مبادئ التنمية المستدامة، (ج1)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جمعية الدعوة والإسلام العالمية، تونس، 2008، ص 71.
- ⁸ شايب ذراع مدني، الضمير العالمي مشكلات التلوث البيئي قضايا وحلول، (ط.3)، إصدارات دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2011، ص 15.
- ⁹ -الخليل معن عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2000، ص 364.
- ¹⁰ صلاح الدين شروخ، التربية البيئية الشاملة -البيداغوجيا والأندراغوجيا، دارالعلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، 2008، ص 61.
- ¹¹ نصر الدين جابر، دروس في علم النفس البيداغوجي، سلسلة كتب مخبر المسألة التربوية (ج1)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، ص 67-68.

- ¹² صبري الدمرداش، التربية البيئية النموذج والتحقيق والتقويم، دار العرفة، القاهرة، 1988، ص 99.
- ¹³ وزارة التربية الوطنية ووزارة تهيئة الإقليم والبيئة، أدلة المربي في التربية البيئية، (عبد الرحمان كابويا، مترجم)، ط3، برنامج الأمم المتحدة للتنمية، (مشروع 006/94)، 2007، ص 21.
- ¹⁴ وليد رفيق العياصرة، التربية البيئية واستراتيجيات تدريسها، (ط.1)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 410.
- ¹⁵ صلاح الدين شروخ، مرجع سابق، ص 100.
- ¹⁶ وليد رفيق العياصرة، مرجع سابق، ص 373.
- ¹⁷ Dabesse et Arviset, *L'environnement à l'école*, presse universitaire de France collection, S.V.P ,1978,p423.
- ¹⁸ نصر الدين جابر، مرجع سابق، ص 75.
- ¹⁹ . صلاح الدين محمود علام، القياس والتقويم التربوي في العملية التدريسية، (ط.1)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2007، ص 67.
- ²⁰ منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، التربية البيئية على ضوء مؤتمر تبليسي 1977. اليونسكو مسيرة التربية، 1983، ص 137.
- ²¹ عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص 161.
- ²² أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، (فايز الصباغ، مترجم)، (ط.4)، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت لبنان، 2005، ص 551.
- ²³ . نصر الدين جابر، مرجع سابق، ص 75 – 87.
- ²⁴ عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص 144.
- ²⁵ صلاح الدين محمود علام، مرجع سابق، ص 171.
- ²⁶ وزارة التربية الوطنية ووزارة تهيئة الإقليم والبيئة، دليل منشط النادي الأخضر المدرسي، (عبد الرحمان كابويا، مترجم)، (ط.2)، برنامج الأمم المتحدة للتنمية (مشروع 006/94)، 2004، ص 27.
- ²⁷ عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص 138.



الضغط المدرسي وعلاقته بالدافعية للتعلم

دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي

بثانوية بوجمعة قرمة غرداية

School pressure and its relation to motivation to learn
Field study on a sample of students of the second year
secondary In the high school of Boudjemaa Qarma Ghardaia

عمر حجاج

جامعة غرداية

hadjadj.omar@univ-ghardaia.dz

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-10-11

الملخص -

هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الضغط المدرسي و الدافعية للتعلم و اقتصرت الدراسة على عينة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة، بمدينة غرداية، حيث تكونت عينة الدراسة من 71 تلميذ وتلميذة، تمّ اختيارهم بطريقة عمدية، واستخدمنا الأساليب الإحصائية التالية: برنامج الإحصائي (SPSS 19.0)، معامل الارتباط بيرسون، معادلة دلالة الفروقات ما بين معاملات الارتباط لمتغير الجنس، وتوصلنا إلى النتائج التالية:

- لا توجد علاقة بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوية بثانوية قرمة بوجمعة .

- مستوى الضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوية بثانوية قرمة بوجمعة مرتفع.

- مستوى الدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوية بثانوية قرمة بوجمعة مرتفع.

- تختلف العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة باختلاف الجنس.

الكلمات المفتاحية -

الضغط المدرسي - الدافعية للتعلم - تلاميذ الثانية ثانوي.

Summary-

The Study Aimed At Uncovering The Relationship Between The Pressure Of School And The Motivation To Learn. The Study Was Shortened To A Sample Of Students From The Second Year Of Secondary School Boudjemaa Qarma, Ghardaia. The Study Sample Consisted Of 71 Students And Students Who Were Chosen In A Deliberate Intentional Manner. 19.0) Spss, Correlation Coefficient Pearson, The Equation Of The Difference Between The Correlation Coefficients Of The Sex Variable Where The Results Reached The Following:

-There Is No Relationship Between The Pressure Of School And Motivation To Learn For Students In The Second Year Secondary High School In Boudjemaa Qarma.

-The Level Of School Pressure Among Second-Year Secondary Students At The High School In Boudjemaa Qarma Is High.

-The Level Of Motivation For Learning Among Second Year Secondary Students At The High School In Boudjemaa Qarma Is High.

-The Relationship Between School Pressure And Motivation Among Second Year Secondary School Students Differs Sex In Boudjemaa Qarma.

Keywords-

School Pressure - Motivation To Learn - Second Secondary Students.

مقدمة:

تلعب المؤسسات التربوية دورا فعالا في حياة الفرد فهي تعتبر بمثابة الركيزة الأساسية في حياته وتنشئته الاجتماعية، وبمأن التلميذ جزء من هذه العملية التعليمية، فإنه يمر في مشواره الدراسي عبر مراحل تعليمية إلزامية منها الطور الابتدائي، والمتوسط، والثانوي حيث يعد التعليم الثانوي المرحلة الأخيرة من التعليم، و يليه التعليم العالي، و يعتبر التعليم الثانوي فترة تعليم المراهقة، وبطبيعة الحال فإن هذه المرحلة لها خصائص تختلف عن المراحل الأخرى من حيث المناهج الدراسية، والأساليب التعليمية.... إلخ وأن من أهم المشكلات التي

قد تواجه التلميذ خلال مساره الدراسي، خصوصا خلال المراحل الانتقالية، ويجد التلميذ صعوبة في التأقلم معها نذكر أهم مشكل ألا وهو الضغوط الدراسية التي يعيشها التلاميذ داخل هذه المؤسسات التربوية، ومما لها من أثر على حياته سواء الجانب الأكاديمي والاجتماعي، والنفسي وهذا يظهر في ردود أفعالهم، ومما لاشك فيه أن كثرة الضغوط المدرسية والعوامل المسببة لها كعامل غير مساعد لتلميذ على تخطي هذه المرحلة والمواجهة ومنه يكون التلميذ غير راض عن دراسته وقد يتخلى عنها وغير مطمئن على مستقبله و بذلك تنخفض دافعيته ويقل إقباله على اكتساب المعارف، وبذل المزيد من الجهد أما إذا عرف كيف يتماشى ويواجه هذه الفترة الحساسة فقد يزيد اهتمامه بدراسته، وتكون نظرتة إيجابية للمستقبل، ويكون له إقبال على التعلم الذي ينتظره، ومنه فعملية التعليم في الوسط المدرسي تواجهها العديد من الصعوبات كونها أولا لا تراعي العوامل، والأسباب المؤدية لهذه الضغوط، ولم تراعى فيها قدرات التلميذ واستحقاقه، وإمكانياته التي تسمح له بالاستمرار في الدراسة، ومحاولة تغيير نظرة التلاميذ وإن كل هذا من شأنه له التأثير الكبير على دافعية تعلم التلاميذ.

الجانب النظري

1 - مشكلة الدراسة:

شهدت المنظومة التربوية في الآونة الأخيرة، تغييرا على مستواها التربوي، والاجتماعي، وسعيها لمواكبة العصر الحالي الذي يتميز بالتقدم العلمي، والتكنولوجي حيث سعت هذه المنظومة إلى تغيير الأهداف التربوية، والمقررات المدرسية، والمناهج، والإدارة، وإعادة تدريب المعلمين، والمديرين، وكانت من بين إسهاماتها إعطاء الأولوية للمدرسة في استثمار العقل البشري، وهذا من خلال ما يكتسبه هذا المتعلم في المدرسة من خبرات تربوية، واجتماعية، وثقافية، وعلمية... إلخ التي تساهم في تكوين فردا مستقل ذاتيا ومندمج مع مجتمعه، وتعد المدرسة من بين أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل على تربية وتكوين المتعلم من جميع الجوانب العقلية، والاجتماعية، والأخلاقية ساعية لإكسابهم أداءات ومعارف من خلال المناهج، كما تسعى المدرسة كذلك وفي

مختلف المراحل التعليمية إلى تحقيق وإكساب التلاميذ علاقات تواصلية ودية مترابطة بين أفراد المحيط المدرسي وأي خلل في هذه المعادلة قد يسبب لدى المعلم، والإدارة، والمتعلم خصوصاً باعتباره محور العملية التعليمية إلى إلحاق أضراراً، ومشكلات قد تكون لها عواقب سواء على الصعيد النفسي أو الأكاديمي أو الاجتماعي.

فقد أثبتت معظم الدراسات أن المدرسة أصبحت مصدراً للضغط، والتوتر فبعدما كان دور المدرسة مقتصرًا على تربية الأبناء التربوية اللائقة التي تمكنه من مساهمة المجتمعات المتطورة أصبحت الآن تشكل مصدر توتر وضيق للتلاميذ، وذلك إثر عجزها عن تلبية مطالبهم وحاجياتهم فهي تمهد الطريق بأن يسلك سلوكيات منحرفة في المواقف الضاغطة التي يتعرض لها المراهقون، وتتسبب في حدوث انفعالات سلبية تؤثر بوجه عام على حياتهم، وتجعلهم يجدون صعوبة في الاستمتاع بالأشياء الإيجابية في الحياة، ويترتب على ذلك ظهور الكثير من المشكلات الدراسية مثل نقص التركيز، وضعف الذاكرة، وفقدان التركيز داخل القسم، وانخفاض نتائجهم في المواد الدراسية، ويتدنى مستواهم الدراسي وهذا ما تؤكد دراسة الثبتي (1988) التي تهدف إلى معرفة مدى ارتباط المشاكل الدراسية التي تواجه تلاميذ المرحلة الثانوية على تحصيلهم الدراسي حيث توصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة ارتباطية إيجابية دالة إحصائياً بين العبء الدراسي الذي يعيشه التلميذ في الثانوية والمتوسطة. (علي بن نوح، 2009، ص51)

ومن هذا فقد أثبتت بعض الدراسات أن الضغوطات النفسية المدركة لدى التلاميذ تنشأ من التغيرات السريعة التي عرفتتها المنظومة التربوية، والتي تشمل المقررات الدراسية الكثيرة، ونظام الامتحانات، والتقويم التربوي الجديد، وطبيعة العلاقات بين التلاميذ بعضهم البعض من جهة، وبين معلمهم، والإداريين من جهة أخرى وزيادة المسؤوليات الملقاة على عاتق التلاميذ سواء داخل المدرسة أو خارجها. (لطفى عبد الباسط، 2009، ص 02)

وانطلاقاً من هذا يعتبر الضغط المدرسي نتاج الضغط النفسي الذي يتعرض له المتعلم في المدرسة، فقد شغل موضوع الضغط المدرسي اهتمام

وانشغال المختصين في هذا المجال التربوي حيث يتعرض هذا المتعلم إلى تغييرات مختلفة وعديدة على الصعيد النفسي، والجسدي والأكاديمي، خاصة منها في مرحلة الثانوية لارتباطها بأهم مرحلة انتقالية التي يمر بها المتعلم وهي مرحلة المراهقة والتي تعتبر مرحلة يتم فيها تغيرات النمو الانفعالية، والجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والأكاديمية وما لها من تأثير عليه.

وتعتبر الضغوط الدراسية ظاهرة سيكولوجية متعددة الأبعاد وتنتج عن مختلف العلاقات النفسية، والاجتماعية، وظروف البيئة التي يتفاعل معها التلاميذ، ويدركها على أنها مصدر للتوتر، والقلق النفسي.

ونظرا لتراكم هذه الضغوط المدرسية، وما لها من تأثير على حياة المتعلم سواء بالسلب أو الإيجاب قد ينعكس ذلك في استثارة دافعية التلاميذ، والتغيير في طبيعة التعلم مما يجعل التلميذ في حالة صراع، وتشتت وأن عملية التعلم لا تحدث ما لم تتوفر للمتعلم شروط وعوامل تدفعه، وتوجهه نحو التعلم، وتثير دافعيته لتحقيق أهدافه الأكاديمية حيث عرفها أحمد محمد عبد الخالق: هي حالة من الإثارة أو التنبيه داخل الكائن الحي العضوي تؤدي إلى سلوك باحث عن هدف، وتنتج هذه الحالة عن حاجة ما، وتعمل على تحريك السلوك، وتنشيطه، وتوجيهه. (أحمد عبد الخالق، 2006، ص 361)

ومن بين الدراسات التي تناولت موضوع الضغوط المدرسية والدافعية منها: فقد أشارت دراسة كلثوم العايب، (2015)، دور المحددات الشخصية والمعرفية في إدارة الضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط وتوصلت إلى وجود فروق في درجات الضغط المدرسي باختلاف مستويات الدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط.

■ وجود اختلاف بين تلاميذ ذوي التحكم الداخلي، وتلاميذ ذوي التحكم الخارجي فيما يخص درجات الضغط المدرسي.

كما توصلت دراسة لكروم خميسي، (2014)، حول الضغط النفسي وعلاقته بالعنف المدرسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي بولاية الأغواط حيث هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن وجود علاقة من عدمها بين الضغوط النفسية والعنف المدرسي لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي، وقد جاءت نتائج

الدراسة أن هناك علاقة إرتباطية موجبة وذات دلالة إحصائية بين متغير الضغوط النفسية ومتغير العنف المدرسي لدى أفراد عينة البحث. كما أثبتت النتائج كذلك أن هناك فروق في الضغوط النفسية دال إحصائيا تبعا للجنس لصالح الإناث. وكانت دراسة سوزان (2012) بعنوان جودة أداء المعلمات وعلاقته بالدافعية للتعلم من وجهة نظر التلاميذ لدى عينة من تلاميذ الصف الثالثة الثانوي بمدينة الطارف.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف، والكشف عن طبيعة العلاقة القائمة بين جودة أداء المعلمات والدافعية للتعلم من وجهة نظر الطالبات، واقتصرت الدراسة على عينة من طالبات المستوى الثالثة ثانوي بقسمي تخصص العلمي، والأدبي، بحيث تكونت عينة الدراسة من (400) طالبة، اختيروا بطريقة طبقية، ولتحقيق أغراض الدراسة طبقت الباحثة مقياس الدافعية للتعلم، ومقياس جودة أداء المعلمة، ويعد معالجة البيانات إحصائيا أسفرت نتائج إلى:

■ توجد علاقة طردية دالة إحصائيا بين الدرجة الكلية لكل من جودة أداء المعلمات والدافعية للتعلم لدى عينة البحث.

■ توجد علاقة طردية تربط أبعاد الدافعية للتعلم بمعايير جودة أداء المعلمة.

■ توجد فروق دالة إحصائيا في متوسط الدرجة الكلية لجودة أداء المعلمات، ومتوسط درجات بعض المعايير تبعا للتقدير العام ولصالح الطالبات ذات التقدير الجيد.

■ لا توجد فروق دالة إحصائيا في متوسط درجات الأبعاد ومتوسط الدرجة الكلية لدافعية التعلم تبعا للتخصص والتقدير.

كما جاءت كذلك دراسة جيهان راشد العمران (1994) تحت عنوان الدافعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي وبعض متغيرات ديمغرافية لدى عينة من الطلبة في الابتدائية والمتوسطة بدولة البحرين، بحيث هدفت هذه الدراسة لمعرفة العلاقة بين دافعية للإنجاز والتحصيل ومعرفة أثر فروق بين الذين

ينتمون إلى مناطق مختلفة في الدافعية وفروق بين الذكور والإناث في مستوى الدافعية.

أنجزت هذه الدراسة على عينة مكونة من 377 طالب و طالبة تم اختيارهم عشوائيا من 8 مدراس لذكور والإناث بدولة البحرين، واستخدمت في هذه الدراسة مقياس دافعية للإنجاز وتوصلت النتائج إلى ما يلي:

- وجود فروق بين الذكور والإناث في الدافعية للإنجاز لصالح الإناث.
- وجود أثر لا اختلاف المناطق الجغرافية على الدافعية للإنجاز .

على ضوء ما سبق نحاول أن نكشف عن إذا ما كان الاستقرار النفسي معيار أساسي يحدد دافعية التلميذ لتعلم، فهناك تلاميذ رغم الضغوط التي تواجههم خصوصا في المجال التربوي إلا أن دافعية التعلم لديهم مرتفعة في حين نجد آخرون دافعيتهم لتعلم منخفضة، كما نجد أيضا فئة أخرى مخالفة لما سبق فرغم أنهم حصلوا على ما يرغبون فيه إلا أن دافعية التعلم لديهم منخفضة وانطلاقا من ذلك نحاول أن نطرح التساؤلات التالية:

2 - تساؤلات الدراسة:

- 1 -هل يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهاوة غرداية؟
- 2 - ما مستوى الضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهاوة غرداية؟
- 3 -ما مستوى الدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهاوة غرداية ؟
- 4 - هل تختلف العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم باختلاف الجنس؟

3 - فرضيات الدراسة:

- 1 -يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهاوة غرداية.
- 2 -نتوقع مستوى منخفض للضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهاوة غرداية.

3 - يتميز تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهرارة غرداية بمستوى متوسط من الدافعية.

4 - تختلف العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم باختلاف الجنس.

4 - أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها من المواضيع الهامة التي سلط الضوء عليها، وجانب من الجوانب المهمة في حياة التلميذ المدرسية، وعلاقتها بمؤثرات البيئة المدرسية وما مدى تأثير الضغط المدرسي على سلوك المتعلم والآثار النفسية والتعليمية ودورها في إيجاد مناخ ملائم ومناسب والمساهمة في رفع الدافعية للتعلم لديهم.

5 - أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية باختلاف الجنس
- معرفة مستوى الضغط والدافعية للتعلم لدى تلاميذ مستوى السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة غرداية.

- تطبيق ما توصلنا إليه من معلومات في الجانب النظري والنزول به إلى الميدان وفق منهج علمي منظم والتدريب على تقنيات البحث العلمي.

6 - حدود الدراسة:

6-1 الحدود البشرية: طبقت هذه الدراسة على تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة بوجمعة ببوهرارة غرداية.

6-2 الحدود المكانية: تمت الدراسة الميدانية في ثانوية قرمة بوجمعة ببوهرارة ولاية غرداية.

6-3 الحدود الزمانية: بدأت الدراسة من بداية شهر مارس إلى غاية شهر أفريل من السنة الدراسية 2018/2019.

7 - التعاريف الإجرائية:

7-1 الضغط المدرسي:

هو حالة نفسية من عدم التوازن التي يشعر بها التلميذ بالضيق، والتوتر نتيجة تراكم بعض العوامل المسببة داخل البيئة المدرسية وتتمثل في الدرجة

التي يتحصل عليها أفراد عينة الدراسة الحالية من خلال تطبيق مقياس الضغط المدرسي.

7 -2 الدافعية للتعلم:

هي الرغبة التي تعبر عن الحالة الداخلية والخارجية للمتعلم والتي تحرك سلوكه نحو تحقيق هدف أو غرض معين وتتمثل في الدرجة التي يتحصل عليها أفراد عينة الدراسة الحالية من خلال تطبيق مقياس الدافعية للتعلم.

الجانب التطبيقي

1 -منهج البحث:

يعتبر المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث، والتي تساعد في اكتشاف الحقائق التي كنا نجهلها عن موضوع البحث.

ونظراً لطبيعة الدراسة فقد تم اعتماد المنهج الوصفي الارتباطي الذي يلائم طبيعة البحث الحالي، الذي يصف الظاهرة محل الدراسة، كما هي في الواقع، وذلك بجمع الحقائق والبيانات، ومن ثم تصنيفها وتحليلها للوصول إلى نتائج وتعميمات فيما يخص موضوع البحث. ولما كان الهدف من دراستنا هو وصف ظاهرة واقعية تمثل في العلاقة بين الضغط المدرسي، والدافعية للتعلم.

فالمنهج الوصفي هو " مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج وتعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث". (سليمان شحاتة، 2006 ، ص337)

2 - المجتمع:

يتمثل مجتمع الدراسة، وميدانه في تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهاو غرداية، ويتضمن المجتمع من مختلف التخصصات ، وبلغ عدد أفراد المجتمع إلى 74 تلميذ وتلميذة ويشمل كل تلاميذ السنة الثانية ثانوي، ويمتاز مجتمع الدراسة بالمواصفات التالية:

- 2- 1 تمثيله: يشمل كل أفراد المجتمع الأصلي حسب الحدود المصرح بها، مما يساعد على تعميم أكبر للنتائج التي سيسفر عنها هذا البحث.
- 2- 2 حدوده: تلاميذ السنة الثانية ثانوي المتواجدون بثانوية قرمة المتواجدة ببوهران غرداية، خلال السنة الدراسية: 2018 - 2019.
- 2- 3 حجمه: يقدر حجم مجتمع البحث الحالي بـ (74) تلميذ وتلميذة لسنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهران غرداية.
- 2- 4 الجنس: (34) ذكر أي بنسبة: (45.95%) و(40) أنثى أي بنسبة: (54.05%) وهذا ما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (1): يوضح توزيع أفراد مجتمع الدراسة

الجنس	العدد	نسبة المئوية
ذكور	34	45.95%
إناث	40	54.05%
المجموع	74	100%

3 - العينة:

3-1 العينة الأساسية:

أختيرت عينة الدراسة من ثانوية حي بوهران غرداية لسنة الثانية الثانوي بطريقة قصدية، والتي تستخدم في حالة معرفة الباحث للمعالم الاحصائية للمجتمع وخصائصه لأن العينة القصدية تتكون من مفردات تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا جيدا. وهنا الباحث يقوم باختيار مناطق معينة تتميز بتمثيلها لخصائص المجتمع ومزايه وذلك يعطيه نتائج أقرب ماتكون الى الناتج الذي قد يحصل عليها عند مسح المجتمع بأكمله. (كامل المغربي، 2000، ص147)

الجدول رقم (02): يوضح مواصفات العينة الأساسية.

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	24	58.54
إناث	17	41.46
المجموع	41	100%

3-2 العينة الاستطلاعية:

تعتبر الدراسة الاستطلاعية خطوة هامة من الخطوات البحث العلمي لما يتحقق من خلالها من معرفة لصلاحية أدوات، وتعميق المعرفة بموضوع قيد الدراسة، والتأكد من شمولية بنود الأدوات في تغطية أهداف التي سبق وإن انطلقت منها ، بحيث تكونت العينة الاستطلاعية من ذكور وإناث مستوى ثانية ثانوي من ثانوية قرمة ببوهاوة غرداية وقد بلغ عددها 30 تلميذ منهم (14) ذكور (16) وإناث.

الجدول رقم (03): يوضح مواصفات العينة الاستطلاعية.

الثنائية	عدد الذكور	عدد الإناث	المجموع
ثانوية قرمة	14	16	30

4- الأدوات المستعملة:

يحتاج الباحث في دراسته إلى أدوات جمع البيانات لكي يقوم بهذا الاجراء وبالتالي فإن أدوات البحث تمثلت في المقاييس التالية:

4-1- مقياس الضغط المدرسي:

-وصفه :

المقياس من إعداد "لطفي عبد الباسط ابراهيم"، (2009)، وهو عبارة عن مجموعة من العبارات التي يرى فيها بأنها مصدرا للضغوط الدراسية للتلاميذ حيث يتكون المقياس من 55 بندا موزعين على تسعة أبعاد وهي:

جدول رقم (04): يوضح توزيع الأبعاد وأرقام بنود مقياس الضغط المدرسي.

الأبعاد	العبارات
1 - طبيعة العلاقة بين التلميذ وزملاء	1- 10- 19- 27- 32
2 - طبيعة العلاقة بين التلميذ والمدرس	2- 11- 20- 28- 33- 34- 42- 48
3 - التلميذ والمقررات الدراسية	3- 12- 21- 35- 43- 49
4 - التلميذ وأساليب التقويم	4- 5- 13- 22- 50
5 - التلميذ وبيئة الصف	5- 14- 23- 36- 44- 51- 52- 55
6 - التلميذ وبيئة المدرسة	6- 15- 37- 40- 45- 53
7 - التلميذ والجو الأسري	7- 16- 24- 29- 38- 41- 46- 54
8 - التلميذ والتفكير في المستقبل	8- 17- 25- 30- 47
9 - التلميذ والتأييد الاجتماعي	

حيث يتضمن المقياس على (55) عبارة موزعة على تسعة أبعاد متضمن عبارات موجبة وأخرى سالبة تشير درجة مرتفعة إلى ضغوط دراسية عالية، يأخذ درجة (1) في خانة "موافق إلى حد ما" ودرجة (2) في الخانة "موافق بصفة عامة" ودرجة (3) في خانة "موافق تماماً وذلك بالنسبة للعبارات الإيجابية في حين تأخذ العبارات السلبية عكس نمط الإجابة في العبارات الإيجابية.

4 -2 مقياس الدافعية للتعلم:

♦ وصفه: يتكون مقياس الدافعية من (46) بنداً، من إعداد أحمد دوقه، 2011

♦ تعليمات الأداة:

تم الاعتماد في هذه الأداة على الفقرات المرفقة بالتعليمات يطلب من التلاميذ قراءة كل فقرة بتمعن وأمام كل فقرة بدائل للإجابة وعلى كل تلميذ وتلميذة الإجابة باختيار البديل الذي يراه مناسب من البدائل وهم على النحو التالي (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة).

♦ طريقة التصحيح:

طريقة التصحيح هذه الأداة بإعطاء وزن لكل بديل من البدائل وتتراوح الدرجة من (5) إلى (1) فإذا كان البند موجب تكون أوزان البدائل كالتالي (1.2.3.4.5).

أما إذا كان البند سالب تكون أوزان البدائل على نحو التالي: (1.2.3.4.5).

5 - الخصائص السيكومترية للأدوات المستخدمة:

5-1 الدراسة السيكومترية لمقياس الضغط المدرسي: حسب الدراسة الحالية لتأكد من صلاحية الأداة علينا حساب صدق وثبات الأداة:

أولا صدق مقياس الضغط المدرسي :

ويعني أن يقيس الاختبار ما وضع من أجله. (إخلاص عبد الحفيظ، 2000، ص173)

بالنسبة لصدق المقياس حسب الدراسة التالية فقد اعتمدنا في قياس الصدق على:

♦الصدق التمييزي:

وهو قدرة الاستبيان على التمييز بين طريفي الخاصية التي يقيسها، بحيث يقوم الباحث بعد تطبيق الاستبيان على مجموعة من المفحوصين بترتيب درجات المفحوصين على الاستبيان تنازليا أو تصاعديا في توزيع، ثم يحسب 33% من المفحوصين من طريفي التوزيع، فينتج مجموعتان متطرفتان، فيقارن بينهما بصفتهم مجموعتين متناقضتين تقعان على طريفي الخاصية من حيث درجاتهما عليها، إحداهما يطلق عليها مجموعة عليا من حيث ارتفاع درجاتها في الخاصية، والثانية يطلق عليها مجموعة دنيا من حيث انخفاض درجاتها في الخاصية ثم يستعمل اختبار (ت) لحساب دلالة الفرق بين المتوسطين الحسابيين للمجموعتين. (بشير معمري، 2007، ص 15)

فكانت النتائج على النحو التالي:

الجدول رقم (06): يوضح نتائج حساب صدق المقارنة الطرفية لمقياس

الضغط المدرسي.

الدرجة العالمية	م	ع	ن	(ت) المحسوبة	(ت) الجدولة	د. ح	م. د
الدرجات العليا	500114	0.0801	10	38411	2.52	18	دالة عند 0.01
الدرجات الدنيا	500108	0.2691	10				

م: المتوسط الحسابي. ع: الانحراف المعياري. ن: الأفراد. د.ح: درجة الحرية.

م.د: مستوى الدلالة.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن قيمة "ت" المحسوبة تقدر بـ (11.384) وعند مقارنتها بقيمة "ت" الجدولة كانت مساوية لـ (2.52)، وهذا عند مستوى (0.01)، ومنه فإن "ت" المحسوبة أكبر من الجدولة وعليه فهي دالة، وبذلك فإن الاختبار صادق ويقيس ما وضع لقياسه بينما يوضح الجدول التالي حساب الصدق التمييزي لبنود المقياس.

ثانيا الثبات :

ويعني الثبات مدى إعطاء الاختبار نفس الدرجات أو القيم لنفس الفرد أو الأفراد إذا ما تكررت عملية القياس". (عباس عوض، 2006، ص5)

♦ طريقة التجزئة النصفية:

لحساب ثبات المقياس في الدراسة الحالية، قمنا بحساب معامل الثبات واستخدمنا طريقة التجزئة النصفية لدرجات المقياس، تم ذلك بتقسيم الدرجات إلى نصفين يتكون النصف الأول من البنود التي تحمل الأرقام الفردية، بينما يتكون النصف الثاني من البنود التي تحمل الأرقام الزوجية، وكانت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (07): يوضح حساب معامل ثبات مقياس الضغط المدرسي.

التقنية الإحصائية	(ر) المحسوبة	(ر) المجدولة	د.ح	م.د
مقياس الضغط المدرس	.4380	0.361	28	دالة عند 0.05

نلاحظ من خلال الجدول السابق يتضح لنا أن قيمة (ر) المحسوبة بلغت (0.438) وهو معامل مرتفع إذا قورن بـ (ر) المجدولة المساوية لـ (0.361)، عند مستوى (0.05)، ومنه فإن المقياس ثابت ونستطيع إعادة تطبيقه والاعتماد عليه.

الجدول (08): يوضح حساب الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ لمقياس

الضغط المدرسي.

التقنية الإحصائية	معامل الثبات ألفا كرونباخ	(ر) المجدولة	د.ح	م.د
مقياس الضغط المدرسي	.6840	0.463	28	دالة عند 0.01

ر: معامل الارتباط. د.ح: درجة الحرية. م.د: مستوى الدلالة

نلاحظ من خلال الجدول رقم (08) أن قيمة (ر) المحسوبة بلغت (0.684)، وهو معامل دال ومرتفع إذا ما قورن بـ (ر) المجدولة المساوية لـ (0.463) عند مستوى الدلالة (0.01)، ومنه فإن معامل الثبات ذو دلالة إحصائية، وصالح لإعادة تطبيقه.

5- 2 الدراسة السيكومترية لمقياس الدافعية للتعلم:

أولاً: الصدق: فقد استعمل صدق المقارنة الطرفية (الفئة العليا، الفئة الدنيا) للتأكد من صدق التمييزي للمقياس، يتضح من خلال الجدول رقم (10) أن قيمة (ر) وعند مقارنتها بقيمة "ت" المجدولة كانت مساوية 3689. "ت" المحسوبة

تقدر بـ (2.52)، وهذا عند مستوى الدلالة بـ (0.01)، ومنه فإن "ت" المحسوبة أكبر من الجدولة وعليه فهي دالة، وبذلك فإن الاختبار صادق ويقيس ما وضع لقياسه.

الجدول رقم (09): يوضح نتائج حساب الصديق المقارنة الطرفية لمقياس الدافعية للتعلم.

التقنية الإحصائية المقياس	م	ع	ن	(ت) المحسوبة	(ت) المجدولة	د.ح	م.د
الدرجات العليا	100190	6077	10	3689	2.52	18	دالة عند 0.01
الدرجات الدنيا	300158	5727	10				

م: المتوسط الحسابي. ع: الانحراف المعياري. ن: الأفراد. د.ح: درجة الحرية.

م.د: مستوى الدلالة.

ثانيا: الثبات:

❖ طريقة التجزئة النصفية:

لحساب ثبات المقياس في الدراسة التالية، قمنا بحساب معامل الثبات على (30 تلميذا)، استخدم طريقة التجزئة النصفية لدرجات المقياس، تم ذلك بتقسيم الدرجات إلى نصفين يتكون النصف الأول من البنود التي تحمل الأرقام الفردية، بينما يتكون النصف الثاني من البنود التي تحمل الأرقام الزوجية، بعد ذلك تم حساب معامل الارتباط بين النصفين، استخدم خلاله معامل الارتباط بيرسون وكانت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (10): يوضح حساب معامل ثبات مقياس الدافعية للتعلم.

التقنية الإحصائية	(ر) المحسوبة	(ر) المجدولة	د.ح	م.د
مقياس الدافعية للتعلم	6780	0.361	28	دالة عند 0.01

ر: معامل الارتباط. د.ح: درجة الحرية. م.د: مستوى الدلالة

من خلال الجدول السابق يتضح لنا أن قيمة (ر) المحسوبة بلغت (0.678) وهو معامل مرتفع إذا ما قورن بـ (ر) الجدولة المساوية لـ (0.361)، عند مستوى

الدلالة (0.01)، وهذا يعني أن معامل الثبات ذو دلالة إحصائية، ومنه فإن المقياس ثابت ونستطيع إعادة تطبيقه والاعتماد عليه في دراستنا الحالية.

الجدول رقم (11) يوضح حساب الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ لمقياس الدافعية للتعلم

التقنية الإحصائية	معامل الثبات ألفا كرونباخ	(ر) المجدولة	د. ح	م. د
مقياس الدافعية للتعلم	.7760	0.463	28	دالة عند 0.01

ر: معامل الارتباط. د. ح: درجة الحرية. م. د: مستوى الدلالة

نلاحظ من خلال الجدول رقم (11) أن قيمة (ر) المحسوبة بلغت (0.776)، وهو معامل دال ومرتفع إذا ما قورن بـ (ر) المجدولة المساوية لـ (0.463) عند مستوى الدلالة (0.01)، ومنه فإن معامل الثبات ذو دلالة إحصائية، وصالح لإعادة تطبيقه.

6 - إجراءات تطبيق الدراسة الميدانية:

من خلال ماترقتنا إليه سابقا وبعد ان تأكدنا من صلاحية أدوات الدراسة والثقة فيها في جمع ما يهدف إليه من معلومات واطمأن عليها، شرعنا في الإجراءات الميدانية للدراسة الأساسية من خلال تطبيقها على عينة الدراسة التي حددناها، والتي تم اختيارها، وبعد الحصول على الموافقة من قبل الجهات المعنية لإجراء توزيع الأدوات على أفراد الدراسة والمتمثلة في تلاميذ سنة ثانية ثانوي بثانوية قرمة بوهراوة غرداية بطريقة العينة القصدية حيث اتبعنا الإجراءات التالية:

أ - تم الاستعانة في توزيع أدوات البحث بمستشار التوجيه والإرشاد المدرسي التابع للثانوية حيث قدمت له التوجيهات اللازمة في كيفية التطبيق.

ب - بعد ذلك تم توزيع أدوات الدراسة على الأفراد الذين بلغو بـ (74) تلميذ وتلميذة) وتم التوزيع في أوقات مختلفة أثناء السنة الدراسية: 2018 - 2019 كما تم الاتفاق على وقت استرجاعها، لكن نظراً لبعد المسافة وكذا مناسبتها مع أوقات الامتحانات، جعل جمع الأدوات يتم في أوقات متباينة، وأثناء

الإسترجاع إذ أن بعض الاستثمارات لم يتم استرجاعها وكذلك عدم الإجابة عليها مما استدعى علينا إلغاء ثلاثة منها.

7 - الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

لتسهيل عملية الدراسة الميدانية يتوقف ذلك على مدى استخدام التقنيات والأساليب الإحصائية مهما كان نوع الدراسة، وطبيعة دراستنا تقتضي ذلك، إذ أن الهدف منها هو التوصل إلى مؤشرات كمية تساعدنا على تحليل وتفسير فرضيات الدراسة، ولمعالجة ذلك فقد تمت الاستعانة بالبرنامج الإحصائي: SPSS 19.0.

بحيث تمت الاستعانة به من خلال التقنيات الإحصائية التي استعملت في الدراسة السيكمترية وكذا الدراسة الأساسية للتأكد من مدى صحة فرضيات الدراسة، ويمكننا أن نتعرف على هذه التقنيات التالية:

1 - اختبار كاي 2 للدلالة الإحصائية Chi square Test. يعتبر اختبار

(كا²) من أهم اختبارات الدلالة وأكثرها شيوعاً، نظراً لسهولة إجرائه وفوائده في تقدير الفروق بين العينات أو في مدى تطابقها. (حجاج عمر، 2014، ص234)

2 - معامل الارتباط بيرسون (Pearson Corrélation) (Coefficient).

ويعرف معامل ارتباط بيرسون على أساس قوة العلاقة بين متغيرين ليس بالضرورة أن تكون العلاقة بين متغير مستقل ومتغير معتمد والشرط الأساسي أن تكون المتغيرات تتوزع توزيعاً طبيعياً والصفة الرياضية لمعرفة معامل ارتباط بيرسون، وبحسب بالصيغة التالية:

$$r_{xy} = \frac{\sum x_i y_i - n \bar{x} \bar{y}}{(n-1) s_x s_y} = \frac{n \sum x_i y_i - \sum x_i \sum y_i}{\sqrt{n \sum x_i^2 - (\sum x_i)^2} \sqrt{n \sum y_i^2 - (\sum y_i)^2}}.$$

(المرجع السابق، ص235)

3 - معادلة دلالة الفروق بين معاملات الارتباط:

$$\text{معادلة دلالة الفرق بين معاملات الارتباط} = \frac{r_1 - r_2}{\sqrt{\frac{1}{n-2} + \frac{1}{n-2}}}$$

ز1: المقابل اللوغارتمي لمعادل الارتباط في المجموعة الأولى.

ز2: المقابل اللوغارتمي لمعادل الارتباط في المجموعة الثانية.

ن1: العدد في المجموعة الأولى.

ن2: العدد في المجموعة الثانية.

الدلالة للإحصائية لمعادلة الفروق بين معاملات الارتباط

إذا كانت القيمة الناتجة تقع:

- بين 1.96 و 2.58 كان الفرق دالا عند 0.05.
 - من 2.58 فما فوق كان الفرق دالا عند 0.01.
 - أقل من 1.96 كان الفرق غير دال أي يقبل الفرض الصفري.
- (محمود السيد أبو النيل، 1987، ص246)

8 - عرض، ومناقشة نتائج الدراسة حسب الفرضيات:

8-1 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

حيث جاءت الفرضية الأولى على النحو التالي: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الضغط المدرسي، والدافعية للتعلم لدى تلاميذ مستوى السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهران غرداية.

والجدول التالي يوضح نتائج هذه الفرضية:

جدول رقم (12): يوضح العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم.

التقنية الإحصائية المتغيرات	عدد الأفراد	(ر) المحسوبة	(ر) المجدولة	مستوى الدلالة
مستوى الضغط المدرسي	41	0.198	0.288	غير دالة
مستوى الدافعية للتعلم				

نلاحظ من خلال الجدول السابق بأنه لا توجد علاقة بين الضغط المدرسي، والدافعية حيث قدرت قيمة "ر" المحسوبة ب (0.198)، و"ر" المجدولة ب (0.288) مما يدل على عدم وجود علاقة، بما أن "ر" المحسوبة أصغر من "ر" المجدولة، ومنه نستنتج، أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الضغط المدرسي، والدافعية للتعلم حسب العينة المدروسة لدى تلاميذ مستوى السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة غرداية، وعليه فإننا نقبل بالفرض البديل.

✓ مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

من خلال النتائج المتوصل إليها في الدراسة الميدانية، يتضح لنا عدم وجود علاقة ارتباطية بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم لدى تلاميذ سنة الثانية ثانوي، أي أنه ليس بالضرورة كلما زاد الضغط المدرسي لدى التلاميذ إنخفضت معه دافعتهم للتعلم يمكننا أن نشير أن الضغط المدرسي ليس بالضرورة أن يؤثر في الدافعية للتعلم، فقد يرجع ذلك في رغبة التلميذ في حد ذاته أو قد يكون السبب وراء الضغوط المدرسية، تحصيل حاصل عن الظروف الخارجية أي العوامل المحيطة بالتلميذ منها المعاملة الوالدية، أي نوع العلاقة التي تربط التلميذ بأسرته أو التفكير في المستقبل ومرحلة المراهقة واستقلالية التلميذ....إلخ .

فقد أشار في ذلك "نعيم الرفاعي" أنه تتجمع لدى التلميذ عوامل عديدة تدفعه إلى التفكير في المستقبل وتعود بعض هذه العوامل إلى الرغبة في الخروج على الأسرة، والإستقلال عنها، وكذا شعوره بنمو قدراته في جميع النواحي . (نعيم الرفاعي، 1982، ص 418)

فالتفكير في المستقبل عامل يسبب القلق لدى الفرد ويساعد في ذلك خبرات الماضي المؤلمة، وضغوط الحياة العصرية، وطموح الإنسان وسعيه المستمر إلى تحقيق ذاته. (حنان العناني، 2000، ص 120)

وأن هناك عوامل فردية ترتبط بالتلميذ ذاته، وبطبيعته البيولوجية، كمثال فترة بداية المراهقة كالإنتقال من مرحلة إلى مرحلة مما تعطي تغيرات جانبية (فيزيولوجية، انفعالية)، وهذا يؤدي إلى مشاكل سلوكية كما تشير

بعض الدراسات إلى أن البناء النفسي الإنفعالي وخصائص الشخصية لديه ومن هذه الخصائص الاندفاعية. (طه عبد العظيم، 2007، ص 265)

ومن العوامل الخارجية المؤثرة وبشكل كبير وهذا يتجسد من خلال ما نعيشه اليوم، نذكر الظروف السياسية التي هي من أهم ما مرت به الجزائر في الآونة الأخيرة من مظاهرات وإضرابات متتالية والتي تعتبر من أهم المسببات في وجود ضغوط مدرسية كخروج التلميذ والمشاركة في المظاهرات والإضرابات والتأثر بها كذلك تأثير التكنولوجيا، والأنترنت، الهواتف الذكية، الألعاب الإلكترونية الإعلام، وتأثيره السلبي وجماعة الأقران.

كما نضيف كذلك هناك الدور الكبير للبيئة المدرسية وما تحويه من تأثير كبير في وجود ضغوط مدرسية وتتمثل في تسلط الإدارة علاقة التلميذ بالإدارة والطاقي الإداري، والأساتذة في حد ذاتهم والمناهج، والمقررات، والبرنامج المكثف، ونظام سير الامتحانات، والحجم الساعي، واكتظاظ الأقسام والعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والتلميذ، تعرض التلميذ إلى الانتقادات، النظرة السلبية للمدرسة فهناك تلاميذ يعتقدون أن ليس لديهم مكان داخل المدرسة، مما يخلق لديهم قلق وتوتر وتعب نفسي وهذا يؤثر على أدائهم وإنجازهم.

كذلك تأثير طبيعة المنطقة التي يتواجد فيها التلاميذ فيها عدد محدود من السكان وبشكل منظم وغير فوضوي مما يساعد الوالدين على التحكم السلس في المعاملة وهنا تكون الحماية الزائدة، والتسلط من طرفهم، ومنه زيادة الضغط عليهم.

وتتفق مع دراسة جيهان راشد العمران 1994، حول وجود أثر لاختلاف المناطق الجغرافية على الدافعية للإنجاز، ومن خلال هذه العوامل يتضح لنا صورة شاملة حول الضغوط، والأسباب المختلفة للدافعية للتعلم أي أنه غير محصور فقط على المحيط المدرسي بل يتعدى ذلك، وأن ليس ارتباطه فقط بالضغط المدرسي.

8 - 2 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على أنه: نتوقع مستوى منخفض للضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهران غرداية.

الجدول رقم (13): يوضح مستوى الضغط المدرسي.

الأفراد	مستوى الضغط المدرسي						التقنية الإحصائية	
	مستوى مرتفع		مستوى متوسط		مستوى منخفض		كا ² المجدولة	كا ² المحسوبة
	ن	%	ن	%	ن	%		
تلاميذ السنة الثانية ثانوي	40	97.56	01	02.44	00	00	6.64	3008
							دالة عند 0.01	

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن قيمة (كا²) لدلالة الفروق بين التكرارات، بلغت (8.300) وعند مقارنتها بقيمة (كا²) المجدولة المساوية لـ (6.64) كانت دالة عند مستوى (0.01)، ودرجة هذه الفروق كانت لصالح تلاميذ ذوي المستوى المرتفع حيث بلغت النسبة المئوية إلى (97.56%) وهذا عكس ما افترضناه وعليه نقبل الفرض البديل.

✓ مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

من خلال النتائج المتوصل إليها في الدراسة الميدانية إلى عدم وجود مستوى منخفض من الضغوط المدرسية لدى التلاميذ السنة الثاني ثانوي بثانوية قرمة بغرداية.

ومنه نستطيع القول أن هذا راجع إلى أن التلاميذ يوجد لديهم مستوى عالي ومرتفع من الضغوط حيث بلغ (97.56%) وهي نسبة مرتفعة من ضغوط نظرا للظروف التي يعيشونها داخل المؤسسة التربوية أو خارجها، وكذلك وجود بعض الإنشغالات التي تواجههم داخل الأسرة مثل الالتزامات، أو الواجبات المنزلية هذا ما يزيد من شدة الضغوط النفسية لديهم، زيادة إلى ذلك ضغوطات المدرسية، وتتمثل في كثرة دروس، وكثافة المناهج، ونظام سير الامتحانات، واكتظاظ الأقسام كما يلعب الزملاء تأثيرا عليهم، في رفع نسبة الضغوط، وكذلك ضغط الأولياء على أبنائهم في قضاء فترات طويلة في المراجعة، وحل التمارين قد يزيد من ضغطهم كذلك تكليفهم بأمور البيت. حيث يرى هارون توفيق الرشيد على مستوى التربية فتوجد الضغوطات، والتي تتمثل في ضغط

المناهج والامتحانات والعقوبات والقواعد والواجبات المنزلية وما يتوقعه الأهل من التلاميذ والفشل الدراسي وتكون الضغوط الدراسية هي مجموعة الصعوبات المباشرة وغير مباشرة التي يواجهها التلميذ في المناخ المدرسي والشعور بالعبء من جراء المدرسة بصفة عامة. (هارون توفيق ، 1999، ص615)

وفي نفس السياق يضيف طه عبد العظيم إلى أن كلما كان الجو النفسي الذي يشهده أبوان أفراد الأسرة متوترا أو مشحونا بالخلافات بين الوالدين انعكست آثاره بصورة سلبية على الأبناء ، وبالتالي فإن ما يشهده الأهل من توتر، وصراع يقلل من درجة التماسك، والترابط داخل الأسرة، ويجعل الأبناء يعانون كثيرا من الضغوط ويكونون عرضة للتشرد والانحراف.

وعليه يمكن القول أنه بقدر ما يسود الأسرة جو نفسيا مستقرا وسويا بقدر ما يساهم ذلك في التوافق النفسي للأبناء والاستقرار النفسي، وتكيفهم مع متطلبات بيئتهم الاجتماعية أو المدرسية، بحيث نجد الأسرة الكبيرة الممتدة التي تضم أعضاء آخرين غير الوالدين كالجد والعم والعمة والخالة وأبناءهم، فيتسع نطاق التفاعل الاجتماعي الذي يتعرض له التلميذ أثناء نشأته في هذه الأسرة كما يلعب حجم الأسرة، ونوع المسكن دورا كبيرا في زيادة الضغوط حيث نجد الأسرة النووية الصغيرة التي تضم الوالدين والأولاد فقط، وعليه فحجم الأسرة هو الآخر يؤثر على التلميذ، حيث كلما زاد عدد أفرادها انعكس سلبا عليها، إذ عادة ما تتسم هاته الأسر بإهمال الأبناء لصعوبة الاهتمام بأمورهم، أي انصراف الأسرة بانشغالات أخرى. ومنه نقول أن الضغط المدرسي يتأثر بدوره بعدة عوامل منها، والعوامل الأسرية، والعوامل المدرسية، أيضا والعوامل الذاتية ووسائل الإعلام والتكنولوجيا والظروف الاجتماعية.... إلخ، وغيرها من العوامل التي تناولناها في الجانب النظري قد تسبب لديهم بعض الضغوط.

8- 3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة: حيث جاءت الفرضية الثالثة على النحو التالي يتميز تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهران غرداية بمستوى متوسط من الدافعية.

الجدول رقم (14): يوضح مستوى الدافعية للتعلم.

التقنية الإحصائية			مستوى الدافعية للتعلم						الأفراد
مستوى الدلالة	كا ² المجدولة	كا ² المحسوبة	مستوى منخفض		مستوى متوسط		مستوى مرتفع		
			ن	%	ن	%	ن	%	
دالة عند 0.01	11.34	18.571	00	00	00	00	41	100	تلاميذ السنة الثانية ثانوي

نلاحظ من خلال الجدول (ك2) لدلالة الفروق ، بلغت (18.571) وعند مقارنتها بقيمة (ك2) المجدولة المساوية لـ (11.34) كانت دالة عند مستوى (0.01)، ودرجة هذه الفروق كانت لصالح تلاميذ ذوي المستوى المرتفع حيث بلغت (100%) وهذا عكس ما افترضناه وعليه نقبل الفرض البديل.

✓ مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

من خلال النتائج المتوصل إليها نلاحظ أن التلاميذ السنة الثانية بثانوية قرمة لديهم دافعية كبيرة وهذا يتجسد في رغبتهم في الخروج من الضغوطات المدرسية والصراعات، ونفسر ذلك بكون أن التلميذ المجتهد والنجيب والطموح، غالبا ما يرسم لنفسه أهدافا لبلوغ مشروعه ومستقبله، ما يجعله دائم المثابرة والكفاح والتحدّي والتفاؤل قادرا على مواجهة الصعاب ومختلف المواقف الضاغطة التي قد تقف عزيمة لنجاحه الدراسي. كما أثبتت دراسة "Forner" (1989) التي أجريت على تلاميذ المرحلة الثانوية أن المستويات المرتفعة من الدافعية للتعلم تسهل النجاح في شهادة البكالوريا وترتبط بتحقيق المشاريع المدرسية والمهنية، ذلك أنها عندما يضع التلميذ النجاح صوب عينيه فإنه يتجاوز كل الصعوبات والعراقيل أو مختلف المواقف الضاغطة. (يوسف قطامي، 2007، ص123)

ومنه نستطيع القول أن ارتفاع دافعية التلاميذ للتعلم تتجسد من خلال المشاركة الدائمة في القسم والحرص على إنجاز الواجبات المنزلية في وقتها واللجوء إلى الدروس الإضافية وطلب المساعدة من قبل أفراد الأسرة، وكذلك

وضع طريقة جيدة وبرنامج منظم للمراجعة، كل ذلك من شأنه أن يقف بالمرصاد أمام مختلف الضغوط المدرسية التي تعترض التلميذ خلال مساره الدراسي خاصة إذا كان يعرف ينظم وقته وبرنامج دراسي يومي.

وكذلك نضيف أن خوف التلاميذ في الفشل والرسوب وخصوصا وأنهم في مستوى الثانية ثانوي ولديهم طموح كبير في الانتقال إلى السنة الثالثة ثانوي والتي تعتبر لديهم بمثابة بوابة المستقبل، وحسب رأي أن مستوى الضغط المدرسي بإمكانه أن يلعب دورا ايجابيا في عملية التعلم، من خلال إثارة الدافعية للتعلم لدى التلاميذ، وهذا ما أثبتته دراسة نوال سنة 1998 التي أجريت على عينة من التلاميذ المقبلين على امتحان البكالوريا أن هناك فروق بين التلاميذ الذين يخافون من الرسوب والتلاميذ الذين لا يخافون من الرسوب فيما يخص الدافعية للتعلم، وقد جاء هذا الفرق لصالح التلاميذ الذين يخافون من الرسوب، بمعنى أن دافعتهم أعلى من دافعية التلاميذ الذين يخافون، هذا ما يثبت أن الخوف من الفشل قد يكون دافعا للإنجاز والتعلم. (نوال السيد، 2009، ص82)

يتضح لنا إذن أن خوف التلميذ من الفشل وضغط الأولياء وجملة الأسباب التي تناولنها في الاطار النظري سواء العوامل الاقتصادية وتمثل في تدني دخل الأسرة والاجتماعية والإضرابات المتكررة والأحداث السياسية، من شأنه أن يرفع من مستوى دافعتهم للتعلم، ويتجلى ذلك من خلال التحضير الجيد للامتحان وتنظيم أوقات المراجعة، والمثابرة والحرص على عدم ترك الدروس تتراكم للحفظ، وبذل الجهد اللازم لتحقيق النجاح.

8 - عرض ومناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

حيث جاءت الفرضية الرابعة على النحو التالي تختلف العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية باختلاف الجنس.

الجدول رقم (14): يوضح الفروق بين الضغط المدرسي و الدافعية لتعلم باختلاف الجنس.

الأساليب الإحصائية المتغيرات	ر	ز	ن	الفروق	مستوى الدلالة
الإناث	0.936=1 _ر	1.70=1 _ز	24	3.469	دالة عند 0.01
الذكور	0.471=2 _ر	0.51=2 _ز	17		

نلاحظ من خلال الجدول الموضح أعلاه أن العلاقة بين الضغط المدرسي والدافعية لتعلم تختلف باختلاف الجنس، حيث أن الفروق بين الجنسين بلغت (3.469) ودالة عند (0.01) وكان هذا الفرق لصالح الإناث حيث بلغ ب(0.936) وكان الفرق واضح.

✓ مناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

ومنه نقبل الفرضية التي مفادها بأن تختلف علاقة الضغط المدرسي والدافعية لتعلم لدى تلاميذ الثانية ثانوي بثانوية قرمة ببوهرارة باختلاف الجنس، وكان الفرق لصالح الإناث حيث بلغ (0.936) على عكس الذكور حيث بلغ (0.471) وهذا الاختلاف واضح، ومنه يمكن أن نشير إلى أن اختلاف الجنس يؤثر على مستوى الضغط ودافعية للتعلم مما يدل على وجود فروق بين الذكور والإناث، وهذا ما تتفق معه دراستنا الحالية مع دراسة جيهان راشد العمران حيث كانت النتائج لصالح الإناث وجود أثر لاختلاف المناطق الجغرافية على الدافعية للإنجاز، وكان الفرق لصالح الإناث وكذلك ما أكدته وجهة نظر طه عبد العظيم حسين في كون أن المراهقات أكثر تعرضاً للضغوط مقارنة بالمراهقين، في كون المراهقات لديهن استعداد أكثر للحساسية الاجتماعية والاستجابة للمواقف المزعجة، والمؤلة في حياتهن مقارنة بالمراهقين، كما تلعب التنشئة الاجتماعية دوراً مهماً في خلق الفارق، وذلك منذ مرحلة الطفولة ببذل

الوالدان جهودا لتربية الطفل على التنافس، والإنجاز، عكس تنشئة الإناث التي تعتمد على الخضوع. (طه عبد العظيم، 2007، ص51)

كما اتفقت كذلك دراستنا مع، دراسة لكروم خميستي أن هناك فروق في الضغوط النفسية دالة إحصائيا تبعا للجنس لصالح الإناث.

مما يبين أن تلاميذ السنة الثانية ثانوي يعانون من ضغوط نفسية مدرسية عديدة خاصة الإناث منها ضغوطات الأولياء والتي تتمثل في ضغط عليهن في إلقاء جميع الاعباء المنزلية على عاتقهن كذلك الضغوط الدراسية مثل الدراسة حتى في أوقات الراحة والعطل والإلحاح على ضرورة تحصيل نتائج جيدة والفوز وهذا ما يولد لديهن ضغوطات قد تعيقهن في مسارهن الدراسي وكذلك الضغوطات التي يواجهها الإناث داخل المحيط المدرسي من كثافة المنهاج بحيث يعتبرها الإناث تتحدى قدراتهم وطاقاتهم هذا ما يشكل لديهم عدم التوازن بين قدراتهم وإمكانياتهم في عدم المشاركة في الأنشطة المدرسية ويرفع ضغطهم أكثر، كما يلعب الزملاء دورا كبيرا في الزيادة من شدة الضغوط النفسية عند بعضهم وتكون مزعجة ومحبطة في بعض الأحيان مما يؤثر على إحساسهن بعدم الثقة بالنفس، ويؤدي إلى نقص في التفاعل معهم كما أن كثرة الوجبات المنزلية والاختبارات الفصلية قد تكون مصدرا للضغوط التي تواجه الإناث، فتكون مصدر للخوف والتهديد، ويرجع كذلك في وجود فروق بين الذكور والإناث في كون الإناث لديهم أكبر طموح نحو المستقبل وكذلك طموح للانتقال للسنة الثالثة والتي تعتبر لديهن مصدرا للضغط فهو يعتبر بمثابة هدف وبوابة المستقبل لديهن، في حين نجد الذكور لديهم القدرة على التخلي عن الدراسة، وكذلك المجتمع الذي نعيش فيه مجتمع ذكوري يعطي الأولوية للذكر في كل شيء عكس الأنثى والذي سيكون سببا في زيادة الضغوطات النفسية المدرسية.

فالدافعية للتعلم تختلف من فرد لآخر وهذا باختلاف الجنس وهذا وفق المواقف التعليمية المختلفة التي يمرون بها فالدافع للتعلم لدى الذكور لا يستثار بنفس الطريقة مثل الإناث لأن الإناث لديهن ميل ورغبة أكثر لتحقيق هدف معين وهذا راجع إلى نمط التنشئة الاجتماعية للإناث بعكس الذكور التي

تصبح اهتماماتهم مختلفة بالنسبة للإناث ومنه نستنتج من خلال دراستنا المتوصل إليها أن الإناث أكثر ميلا من الذكور فيما يتعلق بالدافعية للتعلم وهذا من خلال الرغبة والإصرار لدى الإناث للانتقال للسنة الثالثة ثانوي.

استنتاج عام:

انطلاقا مما سبق عرضه لموضوع الضغط المدرسي ودافعية للتعلم، ونظرا لأهميته الكبيرة على حياة التلميذ يتضح لنا ومن خلال اعتمادنا على الأساليب الإحصائية المستخدمة، تم التأكد من الهدف الرئيسي لدراسة ألا وهو التحقق من صحة الفرضيات أم نفيها، وذلك بعد إجراءنا للجانب الميداني الذي طبقنا فيه الأداتين لمقياس الضغط المدرسي ودافعية للتعلم على عينة مكونة من 71 تلميذ، وتلميذة وقد تم التوصل إلى ما يلي:

1- لا يوجد علاقة بين الضغط المدرسي والدافعية للتعلم لدى عينة الدراسة حيث بلغ معامل ارتباط 0.28 وهو ارتباط غير دال وهذا يعني أنه ليس بالضرورة كلما زاد الضغط المدرسي كلما زادت دافعية للتعلم لدى أفراد العينة، ومنه ننفي الفرضية الأولى.

2 - أن مستوى الضغط المدرسي لدى تلاميذ السنة الثانية بثانوية قرمة بغرداية مرتفع ومنه ننفي الفرضية الثانية.

3 - أن مستوى الدافعية للتعلم لتلاميذ السنة الثانية بثانوية قرمة بغرداية مرتفع ومنه ننفي الفرضية الثالثة.

4 - تختلف العلاقة بين الضغط الدراسي والدافعية للتعلم باختلاف الجنس وهذا يعني أن الفرق كان لصالح الإناث.

اقتراحات الدراسة:

- من خلال ما توصلنا إليه نتائج الدراسة المتحصل عليها نقترح ما يلي:
- تنظيم وقت التلميذ الابن واستغلال ساعات الفراغ، والتخفيف من الضغوط النفسية ومساعدة الابن في اختيار الأصدقاء.
- مساندة ودعم الأسرة لأبنائها لتخطي الظروف الصعبة التي يواجهونها وتنمية شخصية الابن المراهق.

- العمل على تنمية التواصل المستمر للأسرة تجاه المدرسة من خلال مجالس أولياء الأمور.
- تهيئة المناخ المناسب للتلميذ لتحقيق أهداف المؤسسة التربوية.
- التعرف على أسباب نقص اهتمام وحماس التلاميذ للتعلم حتى يمكنهم التخفيف منها وخفضها.
- ضرورة استخدام الأساتذة لأساليب التعزيز المناسبة.
- ضرورة تبسيط المناهج المدرسية بما يتناسب وقدرات واستعدادات التلاميذ.
- تفعيل الندوات التربوية للأساتذة حول القضايا المستجدة في الساحة التربوية حتى يكونوا أكثر قدرة على التعامل مع التلاميذ.
- تفعيل الحقيقي لدور مستشار التوجيه في جميع مراحل التعليم، وتعزيزهم بالدورات التكوينية، لمساعدة التلاميذ على تخطي مشكلاتهم الخاصة بالتكيف الانفعالي أو الاجتماعي أو التربوي.
- الحرص على إنجاز المزيد من الدراسات للتعرف على خصائص التلاميذ النفسية والاجتماعية، وربطها بأساليب التعامل مع الضغوط .

قائمة المراجع:

- 1 - عوض، عباس، (2006)، القياس النفسي بين النظرية والتطبيق، ب ط، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية
- 2 - لطفي، عبد الباسط إبراهيم (2009)، مقياس ضغوط الدراسة، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية.
- 3 - عبد الخالق، أحمد، (2006)، علم النفس العام، دط، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 4 - روعي، مصطفى عليان (1999)، مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع .
- 5 - شحاتة، سليمان، (2006)، مناهج البحث بين النظرية والتطبيق، دط، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

- 6 - كامل، محمد المغربي، (2000)، أساليب البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية، ط1، الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع
- 7 - عبد الحفيظ إخلاص، باهي مصطفى حسين، (2000)، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، دط، مركز الكتاب للنشر.
- 8 - معمريّة بشير، (2007)، القياس النفسي وتصميم أدواته، ط2، الجزائر: منشورات الحبر.
- 9 - عوض عباس، (2006)، القياس النفسي بين النظرية والتطبيق، دط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 10 - حجاج، عمر، (2014)، اتجاهات مدرسي المواد الاجتماعية نحو التقويم في ظل المقاربات بالكفاءات وعلاقتها بالدافعية للتدريس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر.
- 11 - أبو النيل، محمود السيد ، (1987)، الإحصاء النفسي و الاجتماعي والتربوي، دط، بيروت: دار النهضة العربية.
- 12 - العناني، حنان، (2000)، الطفل والأسرة والمجتمع، ط1، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- 13 - طه، عبد العظيم حسين (2007)، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، ط1، الاسكندرية: دارالجامعة الجديدة.
- 14 - نعيم الرفاعي (1982)، الصحة النفسية، دار العلمية للنشر والتوزيع، دمشق، ط5
- 15 - توفيق، هارون الرشدي (1999)، الضغوط النفسية، طبيعتها، ونظرياتها، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية للنشر.
- 16 - قطامي، يوسف ، (2007)، برنامج تهيئة البيئة التربوية للمعلم البيئة الأمانة، ط1، دار ديمينو للنشر والتوزيع.
- 17 - السيد، نوال، (2009)، الضغط النفسي وتأثيره على الدافعية للإنجاز لدى التلاميذ المقبلين على امتحان البكالوريا، مذكرة ماجستير، قسم علم النفس وعلوم التربية جامعة الجزائر.



السّمات الأسلوبية للصّوت في إطار اللفظ في خطب محمد البشير

الإبراهيمي

The Stylistic Features of sound Articulation in the Speeches of Mohamed El Bachir El Ebrahimi'

نسيم حرّار

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ الجزائر.

nassim1986bba@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-26

تاريخ الاستلام: 2018-02-28.

الملخص:

عرّفت الخطابة عند الإبراهيمي إدراك الخطيب العميق لأهمية اللغة العربية لأنها عنوان الهوية، ووعاء الفكر، وأداة التواصل، ولسان الدين الحنيف بقرآنه وسنته، وتراثه وحضارته، كما أنّه عاش على حلم رؤية وطنه متحرراً، يرتقي إلى أسمى الدرجات من بين الأمم الأخرى وذلك من خلال مواقفه المناهضة ضدّ المستعمر، وكذلك عنايته الكبيرة بالأسلوب، فقد كان أمة وحده في نضاعة الأسلوب وشرف البيان، فكان بليغ زمانه.

الكلمات المفتاح -

الخطابة، الإبراهيمي، الصّوت

Summary-

The Speech At Ibrahimi Was An Awareness Of The Importance Of The Arabic Language Because It Is The Title Of Identity, The Vessel Of Thought, The Instrument Of Communication, The Tongue Of The True Religion With Its Qur'an And Its Sunnah, Its Heritage And Its Civilization. It Also Lived On The Dream Of Seeing Its Homeland Free, The Anti-Colonialist, As Well As His Great Care In Style, Was A Nation Alone In The Style And The Honor Of The Statement, Was Eloquent Time.

Keywords -

The Public Speaking ؛

Al ibrahimi ؛ The voice

تقديم:

أحاول في هذا المقال تقصي الخطابة عند البشير الإبراهيمي، وتقصي أهم خصائصها من حيث البناء الصوتي أولاً والدلالي ثانياً، وأثر هذين الجانبين في نفسية المتلقي؛ فركزت على دراسة السمات الأسلوبية للصوت في إطار اللفظ في خطب محمد البشير الإبراهيمي وفقاً لما سيلبي ذكره.

1 - التكرار:

يعدّ التكرار من أهم السمات الأسلوبية في اللغة الأدبية «ويرى جورج مولينييه Molinié george أنّ الوسيلة الوحيدة التي لا خلاف حولها لاكتشاف واقعة لغوية وتحديددها في البرغماتية الأدبية ويمكن لإعادة الواقعة اللغوية - لتضعيفها البسيط - أن يأخذ شكل تكرار الدال مع مدلول واحد أو تكرار الدال

مع مدلول يحقق من جديد في كلّ مرّة، أو تكرار مدلول مع دلالات مختلفة»¹، كذلك يُعدّ التكرار من الظواهر الأسلوبية الفاعلة والفعالة داخل النصّ بأنواعه، حيث يُضفي عليه تناعماً موسيقياً خاصاً، إضافة إلى تقوية المعاني وتأكيدهما، والتأثير في نفوس المتلقين، كما «تتحقق عبر التكرار جملة من الوظائف أهمها إثارة انتباه المتلقين وتكثيف الإيقاع الموسيقي في الخطابة وتوكيد الظاهرة المكررة والتعبير عن مدى أهميتها بالنسبة للمتلقين»².

ولا بدّ أن أشير بداية أنّ البلاغيين القدامى لم يعتنوا عناية كافية بهذه الظاهرة، فقد كان أسلوب التكرار ثانوياً في اللغة آنذاك، فلم تقم حاجة إلى التوسّع في تقويم عناصره وتفصيل دلالاته³.

وقد نبّه ابن رشيق إلى مواطن جمال التكرار ومواطن قبحه فقال: « أكثر التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه»⁴. ويقرّ القدماء عموماً بأنّ التكرار سنة من سنن العرب في كلامها وقد عزاه ابن فارس إلى «إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»⁵.

إنّ التكرار في بعض الأحيان قد يثير الملل أو الرتابة في نفس القارئ أو السامع على حدّ سواء ويُحطّ من قيمة صاحب الأثر كمبدع، إلّا أنّنا مُلزمون بالبحث في سرّ اللجوء إلى هذه الظاهرة الأسلوبية دون سواها عند كل مبدع كما أنّنا من ناحية أخرى نحاول اقتراح التأويلات المناسبة، وإيجاد الإحياءات القريبة والبعيدة التي ترمي إليها التراكيب المكررة، إذن فالتكرار يلعب دوراً كبيراً في

¹ - محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002، ص 183.

² - نور الدين السد، المكونات الشعرية في بائية مالك بن الرّيب، مجلة اللغة والآداب، عدد 14، د ت، ص 38.

³ - نازك الملايكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14، 2007، ص 275.

⁴ - ابن رشيق، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 2، 2006، ص 360.

⁵ - ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، علق عليه أحمد حسن يسج، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 158.

تأكيد بعض المعاني والإلحاح عليها لتأكيد رؤية محدّدة في النهاية، كما يمكن للتكرار أيضا أن يضيف الدلالة السّاحرة التي تنتقد أوضاعا بعينها أو أشخاصا أو مواقف أو أحداثا أو سياسات وهكذا...

وقد اعتنى المحدثون بظاهرة التكرار وميّزوا أنواعا ثلاثة منه:

أ - التكرار البياني: وهو أبسط الأصناف جميعا وهو الأصل، وغرضه التأكيد على الكلمة أو العبارة المكررة.

ب - تكرار التقسيم: وهو تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من الخطبة.

ج - التكرار اللّاشعوري: يأتي في سياق شعوريّ كثيف يبلغ أحيانا درجة المأساة.

«وإذا كان المحدثون تبوؤوا ظاهرة التكرار منزلة رفيعة في صناعة الإيقاع، إلّا أنهم لا يسلّمون بجمالها فبعض التكرارات متكلّفة، سامجة، تافهة»¹.

1 - استصحاب الدّال والمدلول:

أ - التكرار الكلمي:

هو وسيلة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة في إحداث نتيجة معيّنة في العمل النثري، إذ هو في داخله يعمل نزعة طقوسية توحى بغموض المعنى الذي يثيره الدّهن والتكرار هو مجموعة الحروف والكلمات اللّغوية الفعلية وهو يعدّ أشبه بمفهوم الكلام في المصطلح اللّغوي الحديث و«تكرار الكلمات يبني من الأصوات بحيث يستطيع الأديب بها خلق جوّ موسيقي خاصّ يشيع دلالة معيّنة وهو أسلوب قديم لكنّه أصبح على يد السّارد اليوم تقنية صوتية بارزة»².

وما يلاحظ في خطبة الإبراهيمي "الإسلام في الجزائر" أنّه عمد إلى تكرار كلمات معيّنة تتلاءم وطبيعة موضوع الخطبة فنجدّه كرّر كلمة الإسلام ثلاثة وثلاثون مرة وفي هذا دلالة على اهتمامه بالإسلام وعمد إلى تكرار هذه اللفظة من أجل ترك أثر في نفسيّة المتلقّي، فهو يريد شدّ انتباهه وتوجيه

¹ - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 286 - 290.

² - مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ص 30 - 38.

تركيزه، وهذا ما يجعل ذهن المتلقي يقضاً للمعنى المقصود والمشار إليه في غالب الخطاب، ويصبح معنى لفظه الإسلام حاضراً كمحور تدور حوله معاني هذا الخطاب.

كما يلاحظ أيضاً من جهة أخرى في خطبة "موالاة المستعمر خروج عن الاسلام"¹ أن الإبراهيمي عمد إلى تكرار لفظه «الحرب» أربع مرات في فقرة، في قوله «وأنما هي حرب... وفي الحرب ميدان الصّراع»² وفي هذا دلالة أو تنبيه لما يفعله المستعمر المستبدّ الغاشم ضدّ الشعب الضعيف الأعزل، فهو يريد أن يوصل رسالة إلى ذهن المتلقي عن حقيقة الاستعمار وما يفعله وكذا تجسيد صورته المتوحّشة ولفظة أتمثله في خطبة "الشّاب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"³ تكرّرت في بداية كلّ فقرة، فهنا نرى أن الإبراهيمي يأمل ويرجو من خلال تكراره للفظه أتمثله خلق صورة عند المتلقي لشخصيّة الشّاب الجزائريّ كما يريد بها بوصف هذا الأخير ببعض الصّفات ونذكر من قوله مثلاً: «أتمثله محمديّ الشّمائل غير صحّاب ولا عيّاب...»⁴، فالخطيب يريد أن يحظى بما يراه في مخيلته عن الشّاب الجزائريّ كما تمثله له خواطره، فهو متلهّف لأن يرى الصّفات التي يتمنّاها تتجسّد في أبناء وشباب أمّته، ومن جهة أخرى فإنّ دلالة تكرار لفظه أتمثله أيضاً هو أنّه متفائل بالشّباب الجزائريّ وبأنّ الصّفات التي أعطاه إياه ليست بالأمر المستحيل ولا بالشيء العسير، لذا نراه وكأنّه يؤكّد بكيانه عند كلّ تكرار للفظه «أتمثله».

ب - تكرار المادّة الاشتقاقية:

وهو نوع من التّكرار اللفظي ويُقصد به جذر الكلمة الأساسيّة ونلمح في خطاب الإبراهيمي هذا النوع من التّكرار، ففي خطبة "الإسلام في الجزائر"⁵ نرى بأنّ الإبراهيمي تعمد استعمال ألفاظ وتكرارها لكن بألفاظ أخرى مشتقة

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 71 - 75.

2 - المرجع نفسه، ج5، ص 70.

3 - المرجع نفسه، ص 509 - 517.

4 - المرجع نفسه، ج3، ص 511.

5 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 71 - 75.

من اللفظة الأصلية ففي الفقرة «...ثوب الباطل أبطل...للجماعات الفاضلة»¹، نلاحظ أن الخطيب كرّر المادة المشتقة «بطل» ثلاث مرّات وقد أظهر هذا التكرار صوت «الباء» و«الطاء» و«اللام» في كلّ لفظة، فهو هنا لم يرد استعمال أو تكرار المادة المشتقة «بطل» رغم تمسّكه بها، بل كان يريد أن يكون بعيدا عن التكرار المملّ الذي يفسد متعة المتلقّي، مما جعله يستعمل مشتقاتها (باطل - بطل - بطلت).

وكذلك هناك دلالة أخرى في استعمال مشتقات لفظة بطل، وهي أن الاستعمار حاول تغيير بعض السمّات في الجزائر عامّة والشعب خاصّة فلم يجد إلّا هذه الوسيلة ليصف لنا حالة المستعمر فتعمّد في كل مرة استعمال لفظة مشتقة ليبين لنا أن الاستعمار استعمل مختلف الوسائل مع الشعب الجزائري، فكلما نوع في اللفظة زاد من تأكيدها وقوّة معانيها.

نرى أن الخطيب أيضا في خطبة "شرعة الحرب في الإسلام"² تعمّد استعمال المادة المشتقة وتكرارها حيث تكرّرت المادة المشتقة دم أربع مرّات في فقرة واحدة يقول «من لوازم الحرب سفك الدماء...ولا إجحاف ولا ظلم»³، فنلاحظ هنا أنّه كرّر لفظة الدّم بشكل كثير لأنّه يرى بأنّ الدماء هي شيء ثمين في الحرب فعتمد إلى تكرار لفظة الدّم لكن مع تبديلها بمشتقاتها (الدماء - دمه - دماؤهم) فهو تجنّب تكرار لفظة الدّم في كل مرّة ونوع في أسلوب كلامه واختار مواضع التّغيير في اللفظة لتشكّل خطابا منسجما من حيث اللغة ومن حيث البناء الموسيقي، وتكرار لفظة الدّم بمشتقاتها دليل على أن الإبراهيمي يرى في الحرب دما أكثر من رؤيته للحرب قتال فهو يبرز ويوضّح لفظة الدّم وكان خطابه يدور حول هذه اللفظة، لما لها من أهميّة كبيرة خاصّة وأنّ الإسلام قد أثبت وأكّد ذلك.

1 - المرجع نفسه، ص 74.

2 - المرجع نفسه، ص 92 - 94.

3 - المرجع نفسه، ص 92.

ج - تكرار الجملة:

في بعض الأحيان قد لا يكتفي السارد أو الأديب بتكرار حروف أو كلمة، مما يجعله يُكرّر جملة محدّدة لأنّه قد يرى في تكرار جملة قوّة أكبر للمعنى وربما يجعل المتلقّي يركّز أكثر في الموضوع المطروح لأنّ تكرار الجملة يُلفت الانتباه في أغلب الأحيان، خاصّة في الخطاب، ونلمح تكرار الجملة في خطبة البشير الإبراهيمي "الشّاب الجزائريّ كما تمثّله لي الخواطر"¹، حيث عمد إلى تكرار جملة «يا أبناء الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا» عدّة مرّات وهو بهذا يوجّه نداء «يا أبناء الجزائر» وهذا قصد التّخصيص إذ أنّ هذا الخطاب موجّه لطائفة معيّنة هم أبناء الجزائر لا غير، كما أنّه يدلّ على علاقتهم بوطنهم الوطيدة وهي علاقة نبوّة، كما نلمح أيضا بأنّه يُلوّح إلى شيء وهو تحريض شباب الجزائر على تغيير واقعهم المزري واستبداله بواقع أفضل يضمن مستقبلا مزدهرا وسعيدا، حيث يكون هؤلاء الشّباب الدّور الفاعل في هذا الواقع.

وتُعتبر جملة «يا شباب الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا» جملة إنشائية تتضمّن النداء وغرض الإبراهيمي من استعمال النداء وتكراره له في كلّ مرّة هو شحذ همم شباب الجزائر ولفت انتباههم، وتحريك مشاعرهم وتوجيه أفكارهم وذلك بتذكيرهم بماضي أجدادهم السّعيد ليبنوا على أنقاضه حاضرهم ومستقبلهم، ويريد أيضا أن يرفع هؤلاء الشّباب راية وطنهم عاليّا لتبقى الجزائر خالدة كما كانت قبلا.

وكذلك نلاحظ تكرار جملة السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته عند كل بداية ونهاية أي خطبة من خطبه ويعمد إلى استعمال أو تكرار هذه الجملة في كلّ مرّة لأنّها طبيعة نشأت أو غُرس في روح ونفسيّة الإبراهيمي ولأنّه من قواعد الخطبة البداية بالسّلام والنّهاية فهو يتقيّد بتعاليم الدّين الإسلامي وقواعد الخطبة، وكذلك أيضا يبيّن تكرار هذه الجملة في كلّ مرّة على التّواضع واحترام الغير فقد كان إنسانا متديّنا متمسّكا بأحكام وقواعد دينه، مؤدّيّا لها ساعيا لنشرها وغرسها في مجتمعه، أملا أن يرى ثمرة نتاج بلده.

¹ - المرجع نفسه، ص 509 - 517.

1 - 2 تكرار الصيغة الصرفية:

عرّف علماء العربية الصرف بأنّه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعراباً ولا بناءً، «والتصريف هو تحويل الكلمة من بنية إلى أخرى بالزيادة والحذف وتغيير الحركات والإبدال والإعلال»¹، وغايته توليد صيغ تعني اللغة وتقدّم لها مفردات لا تحصى كالفعل في أزمنته الثلاثة، وهذا من شأنه أن يمدّ اللغة بالنماء ويسرّ لها القدرة على التغيّر في مختلف مراحلها التاريخية.

وسأهتمّ في هذا الجزء من هذا المقال بدراسة بعض الصيغ الصرفية في خطب الإبراهيمي حيث تظهر لنا الكلمة في تغيّرات معنوية، وتفاعل مستمرّ، ونموّ متواصل فيبرز بروزاً جمالياً، ذلك لكشف أسرار اللغة وتحديد نظامها المتبينّ في فترة من فتراتنا التاريخية.

أ - تكرار الصيغة أفعّل:

ومن دلالتها الشهيرة التعدية والسلب والكثرة والتعريض وغيرها وقد عمد الإبراهيمي إلى استعمال هذه الصيغة في خطبته "الشّاب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"²، عدّة مرّات فقد ورد مثلاً أمدح، أخضر أوجس، أشرح... فهذه الأفعال أصبحت متعدية بدخول هذه القطع عليها، ولكل لفظة منها دلالاتها الخاصة فصيغة أمدح قد دلّت على مدح الرّمح فقد ورد في خطابه «وكالرّمح أمدح ما يوصف به أن يُقال ذابل»³، فهنا نلاحظ أنّه عمد إلى استعمال هذه الصيغة ليس من أجل أن يُبين ضعف الرّمح بل هو يريد أن يُوصل رسالة إلى المتلقّي بأنّ الرّمح دائماً قويّ ومهما ضعف الرّمح فإنّه دائماً يبقى ذلك الشيء الثّمين الذي كان قوياً ذات يوم وأنّ أقلّ شيء يوصف به هو الذابل وتكرار هذه الصيغة يزيد من الجرس الموسيقي مما يلفت انتباه المتلقّي.

1 - فخر الدين قبّابة، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، كلية الأدب، 1978، ص 13.

2 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 509 - 517.

3 - المرجع نفسه، ص 516.

ب - تكرار الصيغة فَعَلَ:

وقياسها في المضارع يفعل مثل يُخَاطَب وقد وردت هذه الصيغة في خطاب (البشير الإبراهيمي كثيرا ونلمح هذا في خطبته "عبرة من ذكرى بدر"¹ فقد ذكر « شهداء، تخرج، يعرفه، تجد، أتنهما، ينطف، بناها، بناه، بين، شاء، شلت، فعل، يعج، وجدت، نفع، وجدت، نفع، أوتي، ليست، وعد، وجد... » وقد وردت بمعان مختلفة بين سياقات النفي والنصح والتوجيه، وإثارة المشاعر داخل المتلقين فالإبراهيمي يريد أن يوصل جملة من العبر تضمنتها هذه الصيغة، إذن فهي رسالة نبيلة من شخص يحترق قلبه لأجل إيصال شيء مفيد إلى آذان المستمع، وحلمه الوحيد هو أن يكون قادرا على إفادتهم من جهة ويأخذوا بدورهم عبرا من جهة أخرى.

ج - تكرار الصيغة فاعل:

ويدل هذا البناء على اسم الفاعل الذي هو صفة الفاعل ويكون على وزن فاعل قياسا واسم الفاعل يكون فيه « المعنى القائم بالموصوف متجددا بتجدد الأزمنة »²، وهذا يعني استمرار تلك الصفات، وصيغة فاعل تعطي موسيقى رتيبة وثابتة خصوصا إذا استمرت متصلة في الكلام.

وقد تطرق الإبراهيمي إلى استعمال هذا النوع من الصيغ الصرفية ونجد هذا في خطبته "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"³ فكان استعماله لها في مواضع كثيرة « واسع، يافع، ناهض ثابت، دافق، واضح... » فهنا حاول وصف الشباب بمختلف الصفات مما جعله يستعمل الصيغة الصرفية فاعل فهي تدل أكثر مما يدلّه الفعل فهذه الصيغة إلى حد بعيد قد يكون فيها نوع من المبالغة.

2 - استصحاب الدال دون المدلول:

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص83 - 85.

² - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، 2003، ج 1. ص 131.

³ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص509 - 517.

يتعلق هذا النوع من التكرار بالمضمون « ويبنى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى»[□]، تكون على مستوى المفردة أو الجملة، ويشمل الترادف وشبه الترادف والعبارة المتوازية فالترادف وشبه الترادف يكونان بين مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو في جملتين متابعتين، أما العبارة الموازية فتكون بين الجمل المتوالية.

ويؤدي هذا النوع من التكرار وظيفة إقناعية تأثيرية لدى الملتقي عن طريق اتساع المعاني المكررة بما يماثلها من ترادفات وعبارات لها دلالات مشتركة ومعان جزئية خاصة، تلتقي في معنى عام في ذهن هذا الملتقي الذي يتمكن من الإحاطة بالموضوع واستيعابه واستحضاره كلما لزمه ذلك.

أ - التجنيس :

من إرهاصات التكرار الصوتي توليد ما يسمى بالجناس اللفظي الذي يعد من الفعاليات المؤثرة في الأداء النثري على المستوى الصوتي والدلالي، ويعد هذا الأخير من مقومات الإثارة الفنية وهو من أهم أبواب البديع في البلاغة العربية.

الجناس لغة: مصدر جَانَسَ الشيء إذا شاكله واتحد معه في الجنس... ويقال له التجنيس مصدر جنس لأنه فعلٌ مصدره التفعيل، ويقال له التجانس أيضاً، وهو تفاعل الجنس وتجانس الشيء إذا دخلا في جنس وسمي هذا النوع جناساً لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة¹.

الجناس في اصطلاح البلاغيين:

عرّفه الخطيب القزويني بقوله «وأما اللفظي منه أي من علم البديع فمنه الجنس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ»²، وعرّفه علي الجازم بقوله «هو تشابه اللفظتان في النطق واختلافهما في المعنى»[□].

¹ - محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، عدد 66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف 2002، ص 66.

² - صلاح الدين الصريفي، جنان الجنس في علم البديع، سمير حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ص 23 - 24 - 25.

³ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المطبعة النموذجية، مكتبة الإسكندرية، د ط، 1989، ص 77.

وينقسم الجنس إلى قسمين :

الجنس التام :

عرّف أحد المحدثين الجنس التام فقال «أنّه توازن وتماثل كامل في الشّكل والصّورة الخارجيّة، يعتمد التّكرار والإعادة لحدّي الجنس»^١، وشرط الجنس التام أن تتفق حروف اللفظتين في عددها وترتيبها ونوعها وضبطها وهذا القسم أفضل أنواع الجنس؛ وليس توظيف هذا النّوع من الجنس في بنية الخطاب عبثاً أو ملء فراغ، وإنّما لاستعماله مقاصد وغايات يرمي المنشئ من خلالها إحداث نغم موسيقيّ ترتاح له النفوس.

لم يرد الجنس التام في الخطب التي درسناها سوى مرة واحدة في خطبة "الشّاب الجزائريّ كما تمثّله لي الخواطر" ت، حيث يقول: كأنّه ذو سكن، في السّكن، فنلاحظ أنّه الجنس التام الوحيد الذي استعمله الإبراهيمي في خطبته والجناس بين كلمتي سكن الأولى وسكن الثّانية تشتركان في كلّ شيء ما عدا المعنى؛ حيث الأولى تعني الهدوء والسّكينة والاستقرار، في حين الثّانية تعني قبيلة قحطانيّة، والجناس هنا مرتبط بالمعنى ولا دخل للصّنع فيه، فاستعمال هاتين الكلمتين معا من أجل تقريب المعنى لا طلباً للنّغمة الموسيقيّة، إلّا أنّنا نرى أنّهما تحقّقا معا، وبذلك حدث التّحام بين الصّوت والدّلالة.

يمكن القول بأنّ الجنس التام نادر التّوظيف في خطبة الإبراهيمي ومع ذلك قام بوظيفة حيويّة في إحداث الإيقاع.

الجنس الناقص:

هو «الجناس الذي يحدث بين لفظه خلاف في أحد الشّروط الأربعة الواجب توافرها في الجنس التام وفي أنواع الحروف، عددها، ضبطها، وترتيبها»^٢.

1 - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف المصرية السعودية، القاهرة، ط2، 2004، ص265.

2 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء، عمان، ط1، 2002، ص572.

3 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص509 - 517.

4 - المراغي أحمد حسن، علم البديع، ص114.

وقد عمد الإبراهيمي إلى هذا النوع من الجناس بشكل كبير ومن أمثلة الجناس الناقص الواردة في الخطبة "نفحات من ذكرى فتح مكة" □ ما سنبينه في الجدول التالي:

الشكل 1: يمثّل بعضاً لأنواع الجناس الناقص الوارد في خطبة نفحات من ذكرى فتح مكة.

الجناس الناقص	نوعه	أثره الصوتي في الدلالة
مناهل – مجاهل	اختلاف في حرف واحد	إحداث تناغم
مسيكية – ملكية	زيادة حرف واحد	موسيقي وإضفاء
عنبرية – برية	زيادة حرفين	جمالية ورنّة في تركيب النص
ريحان – ألحان	اختلاف في حرف	
عافية – شافية	اختلاف في حرف	
محجل – معجل	اختلاف في حرف	

المصدر: إعداد نسيم حرار.

لقد اعتمد الإبراهيمي خلق هذا النوع من البديع في خطبته لأنّه يساهم بشكل كبير في تحقيق التأثير السّمعّي لدى الملتقي ويجذب اهتمامه لسماع الخطبة فقد تعمّد إلى استعمال هذا النوع من البديع لأنّه يجعل من الملتقي أو السّامع يطلب المزيد لإشباع فضوله المعرفي، فهو يتطلع إلى المزيد دائماً فمثلاً عنبرية – برية جناس ناقص لأنّ هناك اختلافاً بين الكلمتين من حيث عدد الحروف وهما حريّة العين والنّون.

3 - الطّباق والمقابلة:

يعدّ علماء البلاغة الطّباق والمقابلة في المحسّنات البديعية يقول القزويني في سياق حديثه عن المحسّنات البديعية «أمّا المعنويّ، فمنه المطابقة وتسمّى الطّباق

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 86 - 88.

والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في جملة[□] ، وعرف الطّباّق «هو الجمع بين الضدين أو الشيء وضده في الكلام»^١.
 أمّا قدامة فقد سمّى الطّباّق «التّكافؤ»^٢، وتكون المطابقة إما بلفظين من نوع واحد أي يكون اللفظان اسمين أو فعلين أو حرفين، أو تكون المطابقة لفظتين من نوعين أي بين اسم وفعل «وهناك ثلاثة أنواع من الطّباّق مطابقة السلب - مطابقة الإيجاب - إبهام التّضاد»^٣.

أمّا المقابلة فقد عرفها القزويني بقوله «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة، ثم بما يقابلها أو يقابلها على التّرتيب»^٤ وهي نوعين: المقابلة اللّغويّة والمقابلة السياقيّة، وفي الأولى تكون العلاقة بين المتقابلين اختيارية وتتمثل في استعمال لفظين اثنين متضادين بحكم الوضع اللّغوي[□] أمّا الثّانية فتكون علاقة المتقابلين فيها توزيعيّة، فتقابل الشّقين في هذا النّوع ليس مرجعه إلى الوضع اللّغوي، وإنّما إلى أسلوب السّارد وحده^٥.

وقد اجتهد البلاغيّون في التّمييز بين الطّباّق والمقابلة وهم متفقون على أنّ المقابلة بين الأضداد، فإذا تجاوز الطّباّق ضدين كان مقابلة[□]، ونحن في دراستنا هذه لن نهتم كثيرا بتلك التّقسيمات، بل إنّ ما يهمّنا أكثر هو دور التّقابل في التّشكيل الصّوتي للخطاب، وإسهامه في تحقيق التّفاعل بين اللفظ والدّلالة.

1 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 176.

2 - المراغي أحمد حسن، علم البديع، ص 67.

3 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 147.

4 - المراغي أحمد حسن، علم البديع، ص 67 - 68.

5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 322.

6 - محمد الهادي طرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، دار النشر، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 1996، ص 96.

7 - المرجع نفسه، ص 102.

8 - ابن رشيق، العمدة، ص 304.

ونبدأ دراستنا بالطَّباق في خطبة الإبراهيمي "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام"¹، نلاحظ أنه تطرَّق إلى استعمال هذا النوع من البديع ومن أمثلة الطَّباق في الخطبة الجدول التالي:

الشكل 2: يمثل بعضاً لأنواع الطَّباق الوارد في خطبة موالاة المستعمر خروج عن الإسلام.

الطَّباق	نوعه	أثره الصَوْتِيّ في الدلالة
يبيح - - - - -	سلب	إضفاء جرس
- - - لا يبيع	إيجاب	موسيقى من خلال
- - - - - انتزاع	إيجاب	انسجام الألفاظ
- إعطاء	إيجاب	وتجاورها وتناغمها لمزيد
- يحالف	إيجاب	من إيضاح الدلالات والمعاني.
- يخالف	إيجاب	
- السّلم - - - - -	إيجاب	
- - - الحرب	إيجاب	
- الضّعيف - - - - -		
القويّ		
- حليفه - - - - -		
- - - عدوّه		
- - - - - جوامع		
- - - - - فوارق		
- - - - - أفراد		
- - - جماعات		

المصدر: إعداد نسيم حرار.

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص68 - 70.

من خلال دراسة الخطبة نلاحظ أنَّ الطَّباق قد ورد بشكل كبير وهذا ما استلزمته طبيعة الخطبة وقد اعتمد الإبراهيمي استعمال الطَّباق بنوعيه لأنَّه يرى أنَّه من أهم الوسائل اللغويَّة التي تنقل الإحساس بالمعنى والفكرة والموقف نقلاً صادقاً عن طريق التَّنائيات المتضادَّة، ولأنَّ المفردات يمكن أن تُفهم بأضدادها فاستعمال الطَّباق يُقرب المعنى ويوضِّحه أكثر لدى المتلقي وكذلك يلعب دوراً مهماً وأساسياً في تقويض انفعالات السَّارد أو الأديب وكذلك أحاسيسه نحو موضوعه، هذا بالإضافة إلى إضفاء وإكساب جماليَّة على النَّص.

وفيما يتعلق بالمقابلة في خطبة الإبراهيمي "موالاة المستعمر خروج عن الاسلام" ¹، نذكر «فالإسلام دين الحرية والتَّحرير والاستعمار دين العبوديَّة والاستعباد» ²، تظهر المقابلة في هذه الجملة واضحة جليَّة فاستعمل كلمتين في المقطع الأوَّل من الجملة واستعمل أضداد الكلمتين في المقطع الثَّاني منها مثلاً: (الحرية - العبوديَّة، التَّحرير - الاستعباد)، فوظف طباقين وأتى بهما في جملة واحدة فأصبحت مقابلة وغرض الإبراهيمي من هذا أن يقلَّ الشَّطر الأوَّل بصورة والشَّطر الثَّاني بنقيضها كذلك الغرض الآخر هو من أجل زيادة تكرار الأصوات ذاتها (الحرية - التَّحرير، العبوديَّة - الاستعباد) فكلَّ ثنائيَّة من الثَّنائيتين تتشابه حروفها فيما بينها مما جعلنا نلتمس تكراراً في الأصوات أضفى جرساً موسيقياً يزيد من جمال وقوَّة المعنى .

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص86 - 88.

2 - المرجع نفسه، ص68.

خاتمة:

لقد كان التكرار بجميع أنواعه ظاهرة أسلوبية لافتة في خطب (الإبراهيمي)؛ إذ وظفه للتعبير عن مشاعره، وقد ترجم التكرار حالة الأديب النفسية المتألّمة والمضطربة، فتوظيفه للتكرار تنفّس لآلامه وأوجاعه.

- تعدد الصيغ الصرفية، والتنوع في استعمالاتها ودلالاتها، لما لها من أثر في الكشف عن جماليات النص؛ لأنّ توظيف اللفظة المختارة في مقامها الملائم يساهم في أداء المعنى، كما يحدث قوّة في الجرس وإيحاء في المعنى، وتنوع الأبنية ودلالاتها دليل على تفوّق الأديب من ناحية اللغة فهو متميز بتميّز الصيغ، وفريد بتفرد الدلالات، وهكذا تشكلت عند الأديب لغة ثرية خاصّة، فتوظيفه لصيغة المبالغة، واسم الفاعل، واسم المفعول أشاع في خطابه نوعاً من الموسيقى المتوازية.

- التجنيس مظهر من مظاهر التكرار الجلية، وهو وسيلة من وسائل التوصيل المتميّزة، فهو إحدى صور خطاب (الإبراهيمي).

- ورد كلّ من الطّباق والمقابلة بشكل مُلفت في الخطب؛ لكون الطّباق والمقابلة من أهم وسائل اللغة لنقل الإحساس بالمعنى نقلاً صادقاً عن طريق الثنائيات المتضادة التي تلعب دوراً أساسياً في تقويض انفعالات المبدع إلى جانب إضفاء الجمالية الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - ابن رشيق، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط2، 2006.
- 2 - ابن فارس، صاحب في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، علق عليه أحمد حسن يسج، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 3 - أحمد حسن المراغي، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، د ت.
- 4 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1997.
- 5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المطبعة النموذجية، مكتبة الإسكندرية، د ط، 1989.
- 6 - صلاح الدين الصريفي، جنان الجناس في علم البديع، سمير حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.
- 7 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء، عمان، ط1، 2002.
- 8 - فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، كلية الأدب، 1978.
- 9 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- 10 - محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، عدد 66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف 2002.
- 11 - محمد الهادي طرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، دار النشر، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 1996.
- 12 - محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002.
- 13 - مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ط1، 1995.
- 14 - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، ج 1، 2003.
- 15 - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف المصرية السعودية، القاهرة، ط2، 2004.
- 16 - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14، 2007.
- 17 - نور الدين السد، المكونات الشعرية في بائية مالك بن الربيع، مجلة اللغة والآداب، عدد 14، د ت.



السّخرية باعتبارها موجّها للحكي في "المنام الكبير"

لرّكن الدين الوهراني

Irony as a guide to Narration in "The Big Dream" by

Roken Eddne El Ouhrani

وهيبة جراح¹، سليم سعدلي²

1 - جامعة ميله.

2 - جامعة برج بوعريّج.

wahibadjerrah6@gmail.com¹

تاريخ القبول: 2019-05-23

تاريخ الاستلام: 2018-04-02

ملخص -

السّخرية هي الوجه الأكثر فاعلية في نقد الظلم والقهر والقمع في شتى صورهِ، وإبراز وجه المفارقة والتناقض فيما يجب أن يكون، وما هو سائد فعلاً على مستوى الواقع، وقد حفلت نصوص "الوهراني" بهذا البعد الإنساني والروحي للفكاهة في كثير من الأعمال التي استلهمت الروح المشرقية (العربية) في التعبير عن تأزّمت الواقع وتناقضاته ومفارقات الحياة في شتى صورها. وأما الوهراني، فتطال إبداعاته السردية جميعها نزعة المفارقة السّاخرة، وتجسيد روح المثاقفة في بعدها الكاشف عن نزعة نقد الواقع المأزوم، إذ يحاول مثلاً في منامه الكبير أن يعبر عن مفاهيم حالة الإنسان والطبيعة والحياة، بكل ما تحمله من مفارقات وغرائبية، ومداخلات هزلية، بما لها من طابع التأمل والرؤى الفلسفية الكاشفة وهو يستخدمها كثيراً في معظم إبداعاته ليدين بها الواقع، من خلال شخصيات نمطية وغير نمطية، يستخدمها لتجسيد هذا الواقع والتعبير عنه، ويعري من خلاله منطق الخاس، ثم ينطلق في سخرية لاذعة يحيل فيها الموقف

إلى درجة عالية من الفكاهة والسخرية المرة، على الوضع والمنطق والأحوال. كما أنه يلجأ أحياناً إلى السخرية السوداء التي تضحكننا، وفي نفس الوقت تبكيننا، أو تطل من داخلها رؤوس مأساوية طاحنة، أشبه بمرجل يغلي بقوة، وسرعان ما يخرج منه بخار السخرية المرة قويا قبل أن ينفجر المرجل في وجوه من تسببوا في هذا الغليان. يتحدث المقال عن السخرية باعتبارها موجهاً للحكي، وذلك بمحاولة استكشاف مكونات النسق الحكائي كالاستهلال وعلاقته بالمتن، بتبيان الاستهلال وخصوصيته مع الإشارة إلى العلاقة بين الفاتحة والمتن والخاتمة، مركزين على الآليات التي تخص النص، باعتباره نصاً يملك خصوصيته في السرد.

المفاتيح -

السخرية وفعل توجيه الحكي - مكونات النسق الحكائي - علاقة الاستهلال بالمتن - خصوصية الإشارة بين الفاتحة والخاتمة.... الخ.

Abstract-

Irony Is The Most Effective Face Criticism Of Injustice And Oppression And Repression In Various Image And Highlight Paradoxically And Contradiction In What Must Be, And What Is Actually On The Level Of Reality, The Texts Have Been "The Wahrani" This Human Dimension And Spiritual Humor In Many Works Inspired By Levantine Spirit (Arabic) In Expressing Tasmat Reality And Contradictions And Paradoxes Of Life In Various Forms. And Either The Wahrani, Affecting All His Satirical Narrative Irony Tendency, And Embody The Spirit Of The Joust In The Then Embattled Reality Critique Tendency Detector, For Example, In Trying To "Pajamas" To Express The Concepts Of The Human Condition And Nature And Life, In Every Sense Of Irony Weghraebih, Comic Interventions, The Nature Of Meditation And Philosophical Visions Floodlights And Is Often Used In Most Of His Creations To Actually Owed, Stereotyped Characters And Through Atypical, Using It To Reflect That Reality And Express, Through

Which Private Area Divests Then Scurrying In Sarcasm And Biting Transmitting Position To A High Degree Of Humour Ironie Situation, Time And Logic. He Sometimes Resorts To Sarcasm Black That Makes Us Laugh, And At The Same Time "It Tears From Us, Or From Inside The Heads Heavy Dramatic, Like A Seething Caldron, And Soon Come Out Of It Strong Time Ridiculous Steam Before It Explodes Into The Faces Of Boiler Caused This Boiling.

The Article Speaks Of Irony As Directed Llhaki, Try Exploring The Narrative Theme Components Like Inception And Its Relationship To The Body, To Indicate Initialization And Privacy With Reference To The Relationship Between The Light And The Matn And Conclusion, Focusing On Mechanisms Involving Text, As A Text Has Privacy In The Narrative.

Keys-

Ridiculous Do Direct Storytelling -The Narrative Pattern Components- Commence Relationship Board -Privacy Of The Signal Between The Light And The Finale.

مكونات النسق الحكائي:

1- 1 - الاستهلال :

ومن النقاد الذين استقطبتهم هذه القضية النقدية "الرندي" الذي تنبه إلى مطالع القصائد إدراكاً للقيم الفنية والجمالية معبراً عن ذلك بقوله: "اعلم أن الاستهلال مطلع الكلام وعنوان النظام ومحل من القصيدة محل الوجه من الإنسان، والذي يحسنه مع اللفظ الرائق والمعنى الفائق أن يفتتح بالجميل الابتدائية والفعالية والاستفهام، ونحو ذلك ماله صدار في الكلام وإن كان ذلك يجري مجرى المثل، فتلك العناية في الجودة"¹.

وفي المقابل يعني الاستهلال [الابتداء] "المفتاح" الذي يدخل منه القارئ/ المحلل للنص. يمثل الفضاء السردي الممهّد الذي يشكل مجموع المساحة الموصلة إلى بؤرة النص وكما أنه يعد الإشارة الثانية بعد العنوان التي يرسلها المرسل (المبدع)

إلى المرسل إليه (القارئ)؛ ذلك أن " الفاتحة النصية تمثل لحظة بدء الاتصال بين قطبي الإبلاغ: المرسل والمرسل إليه"².

يعتبر عنصر المشهد الاستهلاكي قبل المنام هو الحكاية الإطار، له تأثيره الذي يتوزع على مدارين: الأول نفسي، استقبالي، على اعتبار القص الأدبي رسالة (مروياً) صادرة عن مرسل (راو) قاصدة مستقبلاً (مروياً له)، وهذه هي أركان الرسالة الأدبية، " فمن منظور الاتصال يتحتم النظر إلى أدبية القص أو شعريته من خلال أركان الرسالة وبين كل من المرسل والمستقبل سياق مشترك تقع الرسالة على مسافة منه، المسافة تشغل آليات تحويلية من السياق إلى الرسالة فيما يخص المرسل إبداعياً، ومن الرسالة إلى النص، عبر السياق فيما يخص المستقبل تأويلياً"³.

من خلال هذا تبرز أهمية الاستهلال ودوره في الجذب، والاستقطاب اللذين يمارسهما تأثيراً في ذات المتلقي ووعيه وإدراكه وذوقه. "إذا كان الوهراني قد التزم بالاستهلال السردى المتسم بالقصر في مقاماته ورسائله، فإنه في "المنام الكبير" لم يتخل عن هذه العادة السردية التي لزمها لتقديم مادته الحكائية، إذ يمهّد للقارئ بهذا الاستهلال - كمستوى أول من المستويات السردية - للولوج إلى المنام الكبير"⁴.

والاستهلال كما سبق الحديث عنه، هو أول ما يبدأ به العمل السردى في بعض الأجناس الأدبية، "هذا النوع هو أحد أركان البلاغة، وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من هذا الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً وإن كان هناءً فهناءً وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به، ولما هذا النوع؟"⁵. يأتي عنصر الاستهلال عنصراً من عناصر الخطاب السردى السّاحر الذي حاول الوهراني التفنن فيه، فهو يعلم مسبقاً أن استراتيجيّة الاستهلال من العلامات الأولى التي ينبني عليها كل نص أدبي فكما أن النهاية لها أهمية تستأثر باللحظة الحاسمة التي ينفك فيها الصراع

بين البنية الشكلية من جانب وبنية الموضوع التي تنعكس خواص السياق الاجتماعي فيه من جانب آخر⁶. وبما تحمله الخاتمة من عناصر إثارة تخيلية للمتلقي، وتحصيل متعة الاكتشاف وانفراج الأزمة وتحصيل الغاية. هذا فضلاً عن النهايات المفتوحة، وهي تنفتح أفقاً متجدداً للاحتتمالات وظيفته " جلب انتباه القارئ و السامع أو المشاهد وشده إلى الموضوع فبضياغ انتباهه تضيع الغاية"⁷ من القص.

فالوهراني يعتمد هذه الاستراتيجية الاستهلاكية لجلب انتباه "الحافظ العلمي" [شيخه] واستفرازه بشتى معاني السخرية، لذلك نجده يرحب برسالة شيخه، ويثني عليها ثناءً كبيراً فالطريقة الاستهلاكية التي اختارها هي الأنسب لاستدراج الحافظ العلمي وجعله أنموذجاً للسخرية التي جعلها الوهراني محوراً هاماً لبناء النسق الحكائي في المنام الكبير مثلما يحدد الاستهلال توجه المؤلف في مؤلفه، أو يلخص نظريته إلى الفعل الكتابي الحر الذي يعمل على تعرية الواقع بأسلوب ساخر. وقد يجيب عن أسئلة ضمنية⁸، وكثيرة هي إشارات القدامى البلاغيين، والنقاد العرب إلى الاهتمام بالابتداءات⁹ والطوابع. وكان أكثر اشتغالهم على قوة التأثير النفسي التي تنهض بها الابتداءات الجيدة، ولهذا عدها أسامة بن منقذ دلائل البيان حيث قال: "أحسنوا الابتداءات فإنها دلائل البيان"¹⁰. ومتى توجه النظر إلى "المنام الكبير" على أنه وحدة نسيجية مترابطة تتناسب فيها العلاقات العضوية لتكون كلاً موحداً يشد بعضه بعضاً ويؤوّل بعضه إلى بعض، أمكن أن ندرك القيمة التي ينهض بها الاستهلال في الإيذان والتلميح وتشكيل السخرية.

بناءً على ذلك بدت ضرورة اشتغال الاستهلال من ناحية بنيته الداخلية على جملة مظاهر ومقومات؛ يقف في مقدمتها الترميم والتحكم وقابلية إثارة الاستفزاز والتداعي والنّص ليس جملاً متراففة يقولها راو أو متكلم، وإنما هو نسيج يرتبط بالبداية الاستهلاكية بخيوط ممتدة مشدود إليها¹¹، من هنا، كان

الاستهلال مسباراً مهماً لتشخيص براعة الوهراني في إنجاز استهلال ساخر قوي الوشيجة بمفاصل النص من خلال بنيته السردية التي يقف منها فعل التفرع الحكائي مشكلاً في أجزائه تكملة للمشهد الاستهلاكي فمن خلال التحرك الحر، والمتمكن داخل هذه الانبثاق أمكن إنجاز تشكيلات أسلوبية متطورة تشكل بمجملها فنية الخطاب الأدبي بأكمله¹².

ويوفر الاستهلال فضاءً متاحاً لتشكيل الشفرة التأويلية التي يعدها "بارت" العنصر الخالق للأسئلة داخل النص والموجد للحلول أيضاً¹³. فإذا ما كان الاستهلال متقناً ذكياً موحياً أمكن أن يقود إلى شفرة سرد القصة التي تثير الحكاية بموجبها الأسئلة، وتخلق التشويق والغموض قبل حلها، فمن يتقن الابتداء يحسن المعالجة والاختتام، فبهذا يخلق الاستهلال عنصراً استقبالياً عالي الكفاءة وهو "إطار لا غنى عنه ينظم عملية السرد والتلقي معاً"¹⁴ ويتشارك المؤلف والمتلقي في خلق النص، وتلك مزية العمل الأصيل؛ الذي يصل بالنص المبدع عبر "مستويات السيميولوجيا والإشارات... والأيقونات ثم الرموز"¹⁵ التي تتنوع فيها الدلالة وتتكشف، وتصبح العلاقة بين الدال والمدلول افتراضية تأويلية مفتوحة.

يستهل الكاتب رسالة "المنام الكبير" بكلام استهلاكي يظهر أوّله في شكل أبيات شعرية تصف فرحة "الخادم" لحظة وصول الكتاب من شيخه¹⁶، والقارئ لتلك الأبيات الشعرية التي كان الوصف فيها محركاً للسرد، يكشف عن سبب الاصطلاح على هذا الاستهلال بأنه (مشهد استهلاكي)؛ يعتمد الكاتب في هذا المشهد إلى تبين الحالة التي آل إليها الخادم (الوهراني) "فالعناصر المتغيرة في المشهد ركزت على حالة الخادم"¹⁷، إلا أنها خلت من الأحداث والحركة لأن "الوصف اتخذ من الشخصية شبه مشهد قائم وقع عليه تغير"¹⁸. إذ يقول: عن الكتاب على أنه وجد "بين جوانج الخادم من نار الشوق أجيجاً"¹⁹، والمتتبع لبقية المشهد، يجد بأن الخادم يركز على الحالة التي وصل إليها (معناة - تشرد، حقد

الشيخ العليمي عليه، الإنتقام الوارد في جواب الشيخ)، "حيث يجعل القارئ يتطلع لمعرفة روايه فهل يكشف عنه في أول جملة في استهلاله؟"²⁰.

يقول في إحدى الجمل: "وصل كتاب لمولاي الشيخ الأجل الإمام الحافظ، الفاضل الأديب الخطيب المصقع الأمين، جمال الدين، ركن الإسلام شمس الحافظ تاج الخطباء فخر الكتاب زين الأئمة. أطل الله بقاءه وجعل خادمه من كل سوء وقاه. فكان ألد من النار في عين المقرور، وأعذب من الماء البارد في صدر المحرور، لوتناوله فكان في قلبه أحلى من الدراهم، وأنفع لجراح البعد من المراهم"²¹. لم تكن هذه الفرحة التي نلتمسها في المشهد الاستهلاكي، إلا استدراجاً للحافظ والسخرية منه، وسرعان ما تتحول تلك الفرحة إلى ذم واحتقار نستشفه من خلال هذا المقطع "فوجده صفراً من الأنباء خالياً من غرائب أخبار البلد عارياً من طرائف الأحوال قد استفتحه بطلب الثأر من مزاح الخادم معه في كتابه الكريم المقدم إليه من ثلاث سنين في مخاطبته بمجرد الاسم وحذف جميع الألقاب"²².

يستند السارد في مقطعه الأول إلى "تقنيتين يستدل بهما لمعرفة الراوي في المشهد الاستهلاكي فالأولى هي ياء المتكلم (مولاي)، والثانية هي هاء الغائب (تناوله)، إذ يوهم المؤلف القارئ عن وجود شخص متكلم، وآخر غائب هو الخادم المنفصل عنه؛ فأى الضميرين يكشف عن شخصية الراوي؟. تناوب الضميران في الكشف عن راوي الاستهلال حيث يظهر ضمير المتكلم في المشهد الاستهلاكي في أول الأبيات"²³، إذ يقول:²⁴

أيا نضحة أهدت إلي تحية	ينم عليها العرف من أم سالم
مشت في أراك* الواديين فنبهت	به كل نشوان المعاطف ناعم
ألا إنما أحكي بدمعي ولوعتي	بكاء الغواصي وانتحاب الحمائم

كما يظهر في قوله: "وصل كتاب مولاي الإمام الحافظ، الفاضل الأديب الخطيب المصقع الأمين، جمال الدين ركن الإسلام شمس الحافظ تاج

الخطباء، أطال الله بقاءه وجعل خادمه من كل سوء وقاه ...". ومن خلال هذا الضمير نستشف "أن الراوي هو الكاتب نفسه وهو فرد فهو الذي سيقوم بسرد ما حدث للخادم، حيث يحيل توظيف ضمير المتكلم إلى إعلان عن حضور الراوي ضمن المستوى الأول من السرد والتعبير عن نفسه للولوج إلى أعماقها وبالتالي هو القائم على سرد الأحداث لاستقباله الكتاب من مولاه فالحضور يكشف عن المرجعية الجوانية أو ما يصطلح عليه تودوروف ب: *homodiégétique* ** فهو حاضر في سرده كشخصية من الشخصيات"²⁵، بمعنى أنه يثير في الذهن واقعاً ما وأحداثاً قد تكون وقعت²⁶. إلا أن الكاتب العارف لخبائا السرد يعمل على توظيف تقنية من تقنيات السرد العربي التي تكاد تظمحل في السرد العربي القديم فهو يلجأ إلى تغيير " لعبته السردية، فينتقل إلى السرد بضمير الغائب، ومنه يظهر التناوب بين الضميرين، والانتقال من ضمير إلى ضمير يصطلح عليه بلاغياً "بالالتفات"²⁷، وهذا النوع وما يليه - هو " انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر وقد يكون انتقال خاص بالصرف، وكذلك الانتقال من خطاب إلى عينه ومن عينه إلى خطاب وهذا خاص بالضمائر التي هي أبواب النحو، ويرتبط هذا كله بالدلالة، ويتحدد الالتفات الكاتب عندما يوصل الحديث بخطاب النفس، مستخدماً ياء النفس أو ياء المتكلم، ثم تجد الكاتب ينقل الحديث بواسطة الضمير..."²⁸.

يظهر الالتفات السارد، وهو يتحدث عن نفسه بضمير الغائب إذ يكتفي نفسه "بالخادم" تواضعاً لشيخه "الحافظ العليمي"، ومحاولة لاستعطافه، وإثارة شفقتة بكلام استهلاكي يحكي الوهراني معاناته وتشده، كقوله: "فرماه الدهر بالحظ المنقوص وطرحه إلى أرباض مدينة قوص، يتلقى في حر السعير، ولا يشبع من خبز الشعير إدامه البصل والصير وفراشه الأرض والحصير..."²⁹. يوهم الكاتب "بحديثه أنه يتحدث عن شخص براني خارج عن الحكى غير أن سياق

السرد يظهره أنه هو الراوي نفسه، وتتم المطابقة بين الضميرين مستحوذاً ضمير الغائب عن مساحة نصية أكبر سردياً من المتكلم، مستخدماً تقنيات متعددة في سرده موظفاً فيها ضمير المتكلم، وذلك التوظيف يظهر في هذا المونولوج³⁰، يحدث الخادم فيه نفسه قائلاً: "...فقال في نفسه: أترى الذي خلقتني وبراني يعيدني إلى جنة الزيداني أترأه يجمع شملي في كفر عامر..."³¹. وللالتفات وظيفة امتاعية لعلاقته "بمتلقي الخطاب الذي يتمثل في هذه الحالة في الوسيط والقارئ حيث يكون الالتفات في علاقته بمتلقي الخطاب أو اللغة لأنه يكون إنقاداً للمستمع عن الغفلة وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر فإنَّ المستمع ربّما ملّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر نشيطاً له في الاستمتاع واستمالة له في الإصغاء إلى ما يقوله"³². وقد استند الراوي في صياغته للمشهد الاستهلاكي إلى صيغة "الماضي التي يسترجع فيها أحداثاً وقعت للخادم مع شيخه، ممّا خلق لدى القارئ أفق الانتظار"³³، لكون القارئ "كالعصا التي تشق وتستخدم لاكتشاف المعاني الكامنة المرموزة في النص التي تساعد النص على التواصل مع القارئ بمعنى أنها تغريه بالمشاركة في كل من توليد مغزى العمل الفني وفهمه"³⁴؛ من هنا نفهم غاية هذا الاستهلال التي يروم من خلالها الراوي إلى تنبيه القارئ، وجعله يتقرب ما سيأتي من أحداث، ووقائع تلي هذا المستوى الأول من السرد.

إلا أنَّ الوهراني لا يعطي نتائج للمشهد الاستهلاكي تبرز الهدف الأسمى من المنام وإنما يتخذ منها وسيلة لاستدراج الحافظ العلمي، ومباغتته برحلة غيبية يجعلها الوهراني ناشئة من التعب والحقد الذي تطفن إليه الوهراني في رسالة الحافظ العليمي مصرحاً بذلك: "ولقد فكر الخادم ليلة وصول كتابه إليه في سوء رأيه فيه، وشدة حقه عليه وبقي طول ليلته متعجباً من مطالبته له بالأوتار الهزلية بعد الزمان الطويل، وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل، ثم غلبته عينه فرأى فيما يرى النائم..."³⁵.

وتعتبر هذه الخطوة التي قام بها الوهراني لإنهاء الحكاية الإطار بمثابة خاتمة ينهي بها المشهد الاستهلالي، فطريقة التشكيل الحكائي الساخر عند السارد تعد من أرقى التقنيات السردية والمتأمل للحكاية الإطار يجد بأن الوهراني يلجأ إلى إيراد ثلاثة أبيات من الشعر يعلن بها بداية المشهد الاستهلالي وهو الشيء نفسه الذي يلجأ إليه في وضعه لخاتمة المشهد الاستهلالي. وهو يعتمد إلى إنهاء المشهد الاستهلالي بثلاثة أبيات شعرية، إذ يقول في خاتمة المشهد الاستهلالي معبراً بذلك بضمير الغائب: "وتنفس عن صدر مصدور وأنشد":

الأليت شعري هل أراني ساعة أجزر ذيلي في ذيول سنير*

وهل أرذ الماء الذي عند دمر** أصيلاً وحولي ناصر بن منير
فأله يطوي بساط البعد عن كذب حتى يرى الشمل منهم وهو مأهول

ثم أقبل على تعريض كفيه، ولطم خديه، وبكى حتى وقع مغشياً عليه، بأشد من شوق الخادم إلى لقاءه وتطلعه إلى ما يريد من تلقائه، ولأي هذا الموضع انتهى فشر الكتاب وهذيان الشعراء ويريد الخادم أن يطلق يده وقلمه، ويسابق بها لسانه وفمه، فإنه قد لحقه من الضجر والكلال ما يلحق الجحش الصغير إذا حمل أحمال البغال القروح، فتناول حينئذ كتابه الكريم الوارد، وكرر نظره في أثناءه، ليجاب عن فصوله المتضمنة فيه فوجده صفراً من الأنباء خالياً من أخبار البلد، قد استفتحه سيدنا بطلب الثار من مزاح الخادم معه في كتابه الكريم المقدم إليه من ثلاث سنين في مخاطبته بمجرد الاسم وحذف جميع الألقاب وعجب الخادم من تمكن ذلك الحقد من قلبه، ثم غلبته عينه فرأى فيما يرى النائم³⁶.

إنَّ السارد يحرص على صنع خاتمة للمشهد الاستهلاكي تكون تمهيداً للدخول في الحكاية الداخلية للمنام الكبير. إنَّ القارئ للمقطع المرفق أعلاه يجد أن الوهراني يعلن عن الإجابة التي ستكون ضمن رؤية متخيلة " تتحرك في ميقات النوم وتتشكل في أسلوب سردي ساخر يعتمد استرجاع الحدث الذي جرى في وقت المنام"³⁷.

لقد كشف الاستهلال الذي يورده الكاتب "عن تدرج في موقعية الراوي، وهذا مرتبط بالتناوب السرد في استخدام تقنيتي المتكلم ثم الغائب"³⁸. وتكمن بلاغة السخرية في كفية تنوع مستويات الحكاية التي تكون فيها " الضمائر ذا قيمة متباينة، إذ أنه في الوقت الذي يؤكد حقيقة ما بضمير المتكلم يقوم بقلبها مستعينا بصوت آخر"³⁹، يكون أساسه ضمير الغائب، كما أنَّ " الراوي يدشن من خلاله للكشف عن الراوي الرسمي وذلك بدخول في ثاني مستويات السرد، وهو الأساس المتضمن للمنام بوصفه الحكاية الداخلية"⁴⁰. وبهذا تصبح الفاتحة النصية في النثر العربي جسراً تعبر عليه القراءة من الفضاء الممهد للنص، الذي يشكل مجموع المساحة الموصلة إلى بؤرة النص. تظهر أهمية السخرية باعتبارها موجهاً للحكي في الاستهلال، كونها تقع في موقع استراتيجي يمهد للخطاب الساخر بالظهور، فتبدأ بالثناء، ثمَّ تعتمد إلى الاستفزاز، ثمَّ تختتم في نهاية الاستهلال بالتودد، الذي يجعل منه الكتاب وسيلة لتخطي العقبات الأولى للخطاب الساخر. تكون الغاية من الثناء في المشهد الاستهلاكي، وسيلة يتبعها الكاتب من أجل عدم التصريح بالمستوى الباطني للسخرية، والاكتفاء بالمستوى الظاهري الذي يخفي خلفه الغاية من هذا الاستهلال.

إنَّ السخط الذي أراد الوهراني ممارسته على شيخه، كان خفيف الظل في المشهد الاستهلاكي، فهو يعتمد إلى هذا من أجل كسب العليمي في السطور الأولى من المنام وهذه المراوغة تبقى من سمات السخرية عند الكاتب. لا تنحصر وظيفة الحكاية الأم في تأطير السرد فحسب، على أهميته في لمَّ شمل الصورة

الكلية للحكي. فللحكاية الأم أبعاد لا تقل أهمية عن ذلك، فهي القسم الأول الذي لا يتم إنجازها إلا بإنجاز التفريع الحكائي للمتون المفردة، مما يعني أن تحققها لا يتم إلا بتحقيق الحكايات المتفرعة "المضمنة"؛ ولكنها هي من يعطي المتون الفرعية سياقها العام لتساعدها في بناء الصورة الكلية، مع حق الاحتفاظ بخصوصيتها. وتشكل بذلك الحكاية الأم الشرعية السردية للحكايات المتفرعة؛ فلولاها لما كان هناك سرد بدءاً، فهي التي تشكل ظاهرة القص "بينما تقدم القصص المؤطرة النتائج المترتبة على هذا التكوين"⁴¹. فالسرد يبدأ بالتشكل منها وهي الغاية منه وما سيأتي تنويع وبناء لها. فهي جوهر الحكي، والحكايات المتفرعة شرح وتفسير وتأكيذ وتسويد لفراغات الأسئلة في النص الأصلي - الحكاية الأم.

غير أنه إذا كانت الوظيفة السردية في "الحكاية الإطار" لا تتجه إلى ذاتها تحديداً وإنما تسعى إلى إيجاد صيغة تحفيزية للسرد التفريعي، تجمع بين تنويعات أسلوبية ساخرة بالغة التشكيل، فإنه مع ذلك يبقى بإمكاننا الوقوف أمام البنية البلاغية للحكاية الإطار وتفاصيل المشاهد الحكائية في المتون السردية المضمنة، بما يوحي بانبثاق أولي لخصائص التكوين السردية في الأصل (الإطار)، تجد لها امتداداً ظاهراً أو خفياً في مستويي الأسلوب الحكائي عبر تشكلاته المختلفة في الحكايات الفرعية. وجعل المشاهد المتنامية في حلقات المتن ترجيحاً لصدى بعيد يصدره المبدأ الجوهرية للسرد في حكاية "المنام الكبير"، ... حيث تقوم القصة الإطارية بتقديم نموذج تكوين ظاهرة القص، بينما تقدم كذلك النتائج التي ستحتويها الحكاية الداخلية"⁴²، فلو أسقطنا القصة الإطارية من هذا الأثر الأدبي، لكانت النتيجة على المستوى التنظيمي مجموعة قصص غير مترابطة.

وانطلاقاً من أهمية بناء الصورة الكلية للنص، لهيمنة الصورة وظيفياً، لا تتجه الحكاية الإطار "إلى ذاتها تحديداً وإنما تقصد إلى إيجاد صيغة تحفيزية

للسرد والتأليف الموسوعي"⁴³. فهي تبدأ السرد ولا تنهيه إلا بعد اكتمال الصورة الكلية بالفعل القصصي الذي تنجزه الحكايات المضمّنة التي تتنازل لتبني في الفضاءات البيضاء التي تركتها الحكاية الأم فتوضحها وتفسرها وتشرحها وتعللها. وهو ما يمنح القصة الإطار القدرة على احتواء حكايات كثيرة فيها ويجعلها تتقبل في سياقها " كل ما هو غريب من الأحداث والوقائع... بوساطة راوٍ جديد يحمل على كاهله حكايته الخاصة أو حكاية رويت له... مما يقود إلى تفريخ مزيد من الحكايات داخل الحكاية الإطار"⁴⁴ التي فسحت المجال للحوار وثنائية الراوي والمروي له في الفضاء الواحد يضاف إلى ذلك خاصية الوظائف الحكائية التي تحتاج إلى تفسير وتعليل وتوضيح وإقناع.

1- 2 - الحكاية الداخلية: (التفريع الحكائي):

إنّ التناول الهيكلي " للمنام الكبير" يكشف عن انتمائه إلى مجموع الحكايات التي تدخل في إطار "التفريع الحكائي"⁴⁵، بذلك نكون أمام نص له صورة كلية متكونة من مجموع الحكايات وصور فرعية متكونة من كل حكاية مفردة، في الوقت نفسه. وقد تختلف هذه الحكايات الفرعية عن الحكاية الإطار من حيث النمط - مثل الحكايات العجيبة وحكايات الشطّار والحكايات الخرافية - ولكنها تساند الحكاية الإطار من خلال الوظيفة المتوخاة منها إن كانت تعليلية أو تفسيرية...، وبذا يكون التفرع الحكائي " تحقق مصغر لصيغة الحكاية الإطار بقدر ما يكون امتداداً لتغذيتها السردية"⁴⁶ ليفسح من خلالها المجال للتعدي الدلالي وتوالد الأفكار والمضامين عبر الأصول والفروع.

وعليه، يمكن تعريف التفرع الحكائي بأنّه خطة سردية واعية تربط بين الحكاية الإطار والحكايات المضمّنة، وفيما بين القصص المتوالدة من بعضها دلاليًا وبنويًا ووظيفيًا لإنجاز صورة كلية وصور فرعية مفردة، في الوقت ذاته. ذلك السرد " المركب من قسمين بارزين ولكنهما مترابطين، أولهما حكاية أو مجموعة الحكايات التي ترويها شخصية واحدة أو أكثر وثنائيهما تلك المتون

وقد رويت ضمن حكاية أقل طولاً وإثارة، مما يجعلها تؤطر تلك المتون كما يحيط الإطار بالصورة"⁴⁷.

إذا كان المشهد الاستهلاكي يحتوي الحكاية الإطار، فإن بداية المنام في قول السارد: (فأريتُ فيما يرى النائم) هو الحكاية الداخلية المتولدة عنها، وتظهر تقنية هذا "التفريع الحكائي" عبر المنام. ويمثل تفرع الحكاية الواحدة أو توالدها إلى حكايات عديدة متباينة الصيغ والأنواع والأنماط خاصة جوهريّة تشد انتباه القارئ من الوهلة الأولى"⁴⁸. على أنّه في سياق التناول الحكائي للحكاية الداخلية الذي يتوخى الكشف "عن الأنساق القارة للوظائف والآليات المتوالدة، فإنّ ملاحظات تودوروف T.todorov حول ما أسماه بالأدب الإسنادي Littérature prédicative وحديثه عن علاقات التضمن، والترابط في السرد، تبقى أكثر المحاولات دلالة في هذا الصدد"⁴⁹، وحين يخلص تودوروف إلى ضرب من الاستنتاج النقدي يعتبر أنّ: "الخصوصية الجوهرية لكل قصة تكمن في إرساء بديهة التضمن، ذلك أن القصة المتضمنة إنما هي قصة لقصة، فحين تحكي قصة قصة أخرى فإنّ الأولى تبلغ مضمونها الخفي، وتفكر في الوقت ذاته بنفسها في هذه الصورة"⁵⁰.

إنّ مثل هذا الاستنتاج يظل قابلاً لأن يستثمر في أي تحليل يتعلق بظاهرة "التفريع الحكائي"، ويلزم عن هذا الاعتبار أنّ "التفرع الحكائي" انبثاق لصيغة الحكاية الإطار بقدر ما يكون امتداداً لتقنياتها السردية. غير أنّه إذا كانت حكاية "المنام الكبير" تتخذ من التفريع آلية في إفنائها من حكاية إلى أخرى كما سيُبين التحليل، فإنّ "تفرع الحكاية الواحدة إلى حكايتين أو أكثر يتخذ أوجهاً عديدة متباينة، ويطغى عليه النمو التلقائي الذي يشبه في كثير من الحالات عملية تداعي الصور الذهنية"⁵¹، فيصعب بذلك ضبط قواعد هذا التفرع بدقة ووضوح.

ينبجس من تتابع "الحكي السّاخر" في بنيته الأساسية نصاً آخر يحمل حكايات أخرى تنبثق عن الحكاية الأم، وغالباً ما تتولى الشخصيات الجديدة التي تظهر في السّياق السّردى تقديم هذه الحكايات الفرعية كما يقرّر تودوروف، وهذه الحكايات الفرعية غالباً ما تحمل الخطاب نفسه لأنّها تصاغ أساساً لخدمة الحكاية الأصلية، ويكون هدف السّارد هنا التنويع باستخدام الأساليب البلاغية التي تشكل من الحكاية الأولى منبثق لحكايات أخرى، فهو يلجأ إلى تقنيات بلاغية تفوق التّقنيات السردية الحديثة التي يكاد القارئ العربي يمل منها؛ إنّ المتأمل في التّوزيع الحكائي الذي كان مصدره حكاية واحدة، يجد أنّ السّارد لم يصل إلى هذا التوزيع إلّا بالالتفات البلاغي الذي لا يلجأ إليه إلّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها. ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً⁵²، إلّا أنّ السّارد أحياناً يتجاوز هذا الهدف؛ أعني التّنويع بقصد ترويح القارئ، إلى أهداف أخرى منها نقل دلالات تساعد البنية الدلالية الأصلية للحكاية.

في المثال التالي من "المنام" استخدم الراوي تقنية التوالد، حيث تولى سارد آخر رواية حكاية أخرى - إذن هي الحيلة البلاغية لتوالد المشاهد الحكائية وتفرعها، في متن "المنام الكبير" لتبيان الحوافز، والمثيرات السّردية السّاخرة، التي تبينها الحكاية الإطار.

".... وحانت مني التفاتة فأرى أبا المجد بن أبي الحكم عابراً وفي يده ورقة مذهبة حمراء وهو رايع بها يهرول فسلمنا عليه وسألناه عن حاله، فقال: لولا ملازمة الصلاة بين المقصورتين لكنت من الهالكين، فقلنا له: إلى أين تريد؟ فقال: أرد الرقعة إلى صاحبها فقلنا: وأي شيء في الرقعة على صاحبها، فقال: هذه رقعة المؤيد بن العميد بعثها إلى رضوان خازن الجنة يطلب منه تطعيم كمثري عنابي وorman كابلي لأنهما لا يوجدان إلّا في الجنة....." وهنا تبدأ هذه الشخصية سرد حكاية أخرى وفي الوقت نفسه يغادر أو يختفي السارد الأصلي "وقد لقيني أبو

الحسن بن منير فخطف الرقعة من يدي وقراها وقال: هذه رقعة رجل دهان عارف بجل الأصباغ وإنزال الذهب لكنه جاهل بصناعة الكتابة..."، وهذا الأخير يستمر ليتولى أيضاً زمام الروي ويقصي الراوي الثاني ليروي حكاية أخرى "هذا طلائع بن رزيك⁵³ مع سخافة عقله وسكره من خمر الولاية قال يوماً في مجلسه لما عرض عليه الشيزري قصائد الشعراء ورقاع المكديين من أهل الشام وفي جملتها رقعة لابن العميد فيها سطر مكتوب بالأخضر اليانع، وسطر بالأصفر الفاقع، وسطر بالأبيض الناصع وسطر بالذهب الأحمر القاني مطرز الجوانب بالذهب الإبريز: من صاحب هذه الرقعة يا زكي؟ فقال: رجل من رؤساء دمشق ومقدميهم أحذق الناس بالترويق في الأوراق والتصحيف للألفاظ، ومعرفة أصناف الفواكه والثمار فقال له ابن رزيك: ما أدري ما تقول غير أنك سلبت هذا المذكور فضل الفضلاء، ونسبته إلى الفلاحة والروعة والجنون، ومع هذا هي رقعة رجل مهين،...⁵⁴.

في النص السابق تولدت نصوص أخرى من النص الأصلي، وما ساعد على التوليد هو ظهور شخصية أخرى. والراوي الأول الوهراني قابل أبا المجد بن أبي الحكم الذي بدوره روى له حكايته مع أبي الحسن بن منير، ثم روى هذا الأخير حكاية أخرى وقعت في مجلس طلائع بن رزيك .

كذلك نجد تقنيات يستثمرها السارد كالتمثيل* الذي يلجأ إليه في قوله "هذه رقعة رجل دهان عارف بجل الأصباغ وإنزال الذهب، لكنه جاهل بصناعة الكتابة"؛ بهذا التصوير يمتلك القارئ معلومة عن شخصية المؤيد بن العميد لكونها جاهلة في صناعة أحكام الكلام. يعتمد الوهراني إلى هذا التمثيل ليسخر من هذه الشخصية التي تبحث عن التوبة مقابل رقعة خطية.

إن الدلالة العميقة للنص الأول في هذا السياق تتلخص في نقمة الوهراني وسخريته من اهتمام الأدباء بالمظهر الخارجي للكتابة، والزخارف المتكلفة التي يمارسونها في نصوصهم حتى تعدى ذلك إلى الاهتمام بنوع الحبر

والورق مما لا طائل من ورائه وهذه الدلالة تنساق في النصوص التي تولدت فيما بعد.

إنّ التفريع السردّي يظهر رواة آخرين يتولون مهمة السرد بدلا من الراوي الأساسي لذلك تنشأ بالضرورة صيغ أخرى للقول، ورغم أنّ الراوي الأساسي هو من يقوم أساسا بصياغة خطاب الشخصيات الأخرى، لكنّه مطالب في الوقت نفسه بإقناع القارئ بأنّه ينقل فعلاً عن تلك الشخصية، لذلك يتوجب عليه أن يغير الخطاب وفقا لطبيعة الشخصية التي ينقل عنها فمثلاً عند تحليل خطاب طلائع بن رزيك، وهو أحد الولاة نجد الراوي يورد خطابا يتناسب أسلوبه وألفاظه مع المكانة الاجتماعية لهذه الشخصية، فهو يقول بلهجة الأمر " من صاحب هذه الرقعة يا زكي؟ " ويستخدم ضمير الجمع الذي يفيد التعظيم " ألا ترى أن الناس توصلوا إلينا بالفضل والبلاغة " ⁵⁵. كما أنّ النّوادر السردية - يفيد إذا كان يخدم البنية الدلالية العميقة للنص - الراوي في تأكيد تلك البنية من خلال سوقها عبر الشخصيات المشاركة في العمل الأدبي، إنّ ذلك يؤكد المعنى، ويجعله أكثر قوة وتأثيراً لدى المتلقي.

إنّ ما يجعل القارئ مطمئناً إلى أقوال الشخصيات أنّها صادرة عنهم فعلاً هو انسحاب الراوي الأساسي، وانزواؤه في الظل، " حينها تكون السخرية لون من ألوان الجماعة وبالتالي تكون الذاتية بعيدة كل البعد عن الكاتب " ⁵⁶، ويحدث ذلك حينما يتخلى الراوي الأساسي عن دور السارد العارف بكل شيء حين يقدم مثلاً للقارئ تفاصيل متعلقة بانفعالاته الشخصية وتحركاتها، وحين يفعل ذلك، فإنّه يوهم القارئ بأنه يعلم جميع التفاصيل والجزئيات عن الشخصية حتى الداخلية منها، ممّا يشكك القارئ في مدى صدقية ما ينقله عنها؛ لأنّه لا يترك مجالاً للشخصية أن تكون حاضرة بتلقائيتها، أمّا حين لا يتدخل في هذه التفاصيل، ويدع الشخصية تعرف عن نفسها من خلال خطابها، وتكون هي مالكة

الحق في التعريف بنفسها للقارئ، فتصبح أكثر مصداقية للمتلقي، ولا يفصل هناك فاصل بينهما .

خاتمة المنام الكبير:

يبدو أن الرندي استقطبه -الابتداء - فانبهر بحسن المطالع، ولم يلتفت إلى الانتهاء وأماً ابن سينا، فقد حاول الربط بين الابتداء والانتهاء انطلاقاً من أنه " إذا كان الابتداء له دلالة الإفضاء إلى ما بعده فإن للخاتمة دلالة تتضمن ما قبلها، أي أنها ضرورية كحد ملموس للنص فهي جمع ما ثبت وتذكره دفعة واحدة على سبيل الوديع للقول"⁵⁷.

في هذا القول نلمس ميزة الخاتمة، وهي تتمثل في أنها تتضمن النص بأكمله - (جمع ما ثبت وتذكره دفعة واحدة على سبيل التوديع) - رغم أنها جزء منه. ومن جهة فإنها تمثل لحظة الانفصال بين المرسل (المبدع) والمرسل إليه (القارئ). ويشير هذا الانفصال إلى اعتبار الخاتمة قفل النص؛ لأنه يعلن عن اختتامه وإغلاقه. إلا أن هذا الانفصال مؤقت ونسبي؛ لأنه إشارة إلى انتهاء البناء التركيبي اللغوي للنص الذي يتسم ببروز أسلوبه ولكن على المستوى الدلالي غير منته. هي تتضمن المعنى المفتوح؛ لأن النص الأدبي كائن لساني حي مستمر الوجود بفعل القراءة التي تنقله من حالة السكون والكمون التي يكون وجوده فيها بالقوة مع المبدع، إلى حالة الحركة فيكون وجوده بالفعل مع القارئ.

نص "المنام الكبير" - عبارة عن رسالة، ولذلك وضع المؤلف لكل شكل في هذا النص خاتمة (الحكاية والمنام والرسالة)، وقد استطاع المؤلف ببراعة أن ينهي الحكاية بخاتمة ممتزجة مع نهاية النوم، أما خاتمة الرسالة فقد جاءت منفصلة كجزء خارجي عن الحكاية / الحلم.

" فبينما نحن في أطيب عيش وأهنا، وإذا بضجة عظيمة قد أقبلت، وزعقات متتابعة وأصحابنا يهريون فقلنا: ما لكم؟ فقليل: علي عليه السلام قد أخذ الطرقات على الشاميين وجاءنا سرعان الخيل فيها محمد بن الحنفية يرزاً في

أوائلها كالليث الهصور فلما انتهى إلينا صاح بنا صيحة عظيمة هائلة، أخرجتني من جميع ما كنت فيه، فوقعت من على سريرى، فانتبعت من نومي خائفاً مذعوراً ولذة ذلك الماء في فمي، وطنين الصيحة في أذني ورعب الوقعة في قلبي إلى يوم ينفخ فيه الصور".

كيف يرى سيدنا هذا النفس الطويل الذي أثاره التعجب والانتقام؟ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً⁵⁸.

يمكن تقسيم خاتمة النص كالتالي:⁵⁹

1 - (نهاية الحكاية) " فلما انتهى إلينا صاح صيحة عظيمة هائلة أخرجتني من جميع ما كنت فيه. 2 - (نهاية النوم) " فوقعت من على سريرى فانتبعت من نومي". 3 - (نهاية الرسالة) " كيف يرى سيدنا هذا النفس الطويل. (وهو سؤال لشيخه الحافظ العليمي). وإذا أردنا التعليق على نهاية المحكي في نص المنام نجدها " تتسم بالسرعة والتكثيف وذات علاقة بالحركة الزمنية الواسعة، رغم أنها تتمثل في توقف نهائي للزمن"⁶⁰.

نستشف في المقطع الأخير من الخاتمة أن الحدث يتكشف جداً مع تسريع حركة الزمن بفعل الأفعال المضارعة التي تتلاحق دون أن يكون هناك أي فاصل زمني أو استراحة كما يوضحه المثال الآتي:

" ضجة عظيمة قد أقبلت

يهرب أصحابنا

علي يأخذ الطرقات على الشاميين

جاءنا سرعان الخيل

يصيح محمد بن الحنفية صيحة عظيم".

ثم بعد هذا التسريع المكثف للأحداث مع جعل الخاتمة مجهولة، يهبط كستار فعل الانتهاء من الحكاية (أخرجتني من جميع ما كنت فيه) لينتهي

الراوي أيضا النوم (فوقعت من سريري فانتبهت) ثم بعد أن ينقل للقارئ ما شعر به من جراء هذا المنام الغريب ينهي الرسالة التي بعثها لصديقه الحافظ .
يبرع الوهراني في وضع خاتمة للحكاية لا تعطي نهاية محددة لها، أي أن نص الحكاية يظل مفتوحا لا ينتهي، ويمكن إضافة الكثير من الأحداث الأخرى لبنية الحكاية وهذا يساعد على جعل مخيلة القارئ، تشتغل لوضع أحداث تصلح لاستمرار الحكاية أو إنهاؤها ومن جهة أخرى، فإن الكاتب بهذه التقنية يمكنه أن يزيد من مبنى النص أو يجعل له جزءاً ثانياً أو ثالثاً كما تشي هذه النهاية المفتوحة بوجود إشكاليات أخرى في ذهن الكاتب كان يريد معالجتها ونقلها للقارئ إلا أنه لم يفعل ذلك لظرف ما .

المناسبة بين الاستهلال ومتن "المنام الكبير":

المقصود بالمناسبة هنا ليس مناسبات الكتابة - كتابة المنام الكبير - أي الأحداث الملازمة لكتابتها؛ بل المقصود بالمناسبة في هذا السياق مناسبة ترتيب وحدات المنام الكبير (الاستهلال - المتن - الخاتمة) بهذه الصورة التي تبدو غامضة من ناحية "التماسك".

إن البحث في المناسبة بين الاستهلال والمتن والخاتمة، يحتاج إلى كثرة قراءة النص وإعمال الفكر وإمعان النظر حتى يمكن ملاحظة المناسبة بين المشاهد الحكائية (وحدات المنام). وتتجلى هذه الغاية في قولهم "إن ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"⁶¹. هذا الاتساق والانسجام في القرآن الكريم مرده إلى إعجاز القرآن الكريم. والدارس للتراث البلاغي النقدي والبلاغي عند العرب يلاحظ تردد مصطلح المناسبة فيه كثيراً، ويظهر في عدة صور كالتناسب بين الفواصل (الخطاب الثري) وبين الصدر والعجز (الخطاب الشعري) وتشابه الأطراف، وحسن التخلص إلى غير ذلك. ويعني علم المناسبة عند البلاغيين كما عرفه السجلماسي "ليس ينبغي أن يظن بنا أن نريد حاسم المناسبة الذي

ترادف به التكرير المعنوي، أن يكرر المتكلم المعنى الواحد بالعدد في القول مرتين فصاعداً لأن ذلك ليس من القول معسولاً خلوا من البديع وعطلاً عرياً من البيان فقط مرذولاً غثاً مستكرهاً رثاً⁶². فالسجل ماسي ينفي أن تكون المناسبة تعني التكرير؛ إلا أن المناسبة أشمل منه فهي تشمل الجانب اللفظي والجانب المعنوي؛ أي التماثل السطحي والدلالي للنص.

لقد حصر المفسرون وعلماء القرآن وظيفة المناسبة في "جعل أجزاء الكلام بعضها أخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"⁶³. في هذا التعريف إشارة إلى مصطلح التماسك النصي من خلال فكرة جعل عناصر الكلام ويقصد "بها النص متماسكة شكلياً ودلاليًا، وهذا الأخير يضيف على النص الانسجام، لأن التماسك من عناصر الانسجام"⁶⁴. وكما أنها تعد "من أهم الأسباب التي تبين إدراك القدامى للتحليل النصي بصورة تقترب من التحليل المعاصر"⁶⁵، وهذا ما سنوضحه من خلال التعرض لاستراتيجية المناسبة في المنام الكبير.

تناول المناسبة على مستوى "المنام الكبير" سيتم عبر مستويين:

أ - المناسبة بين الاستهلال والمتن.

ب - المناسبة بين الاستهلال والخاتمة.

إن المناسبة على مستوى "المنام الكبير"، أول ما تبدأ به هي الفاتحة ثم المتن والخاتمة بالترتيب، ولكل من هذه الأقسام المكونة "للمنام الكبير" مناسبة تؤدي وظيفتها إماماً مع موضوع المنام أو بين أولها وآخرها أو بين مضمونها إلى غير ذلك من علاقات المناسبة التي تقوم بدورها بوظيفة التماسك النصي⁶⁶.

- الفاتحة:

تعدُّ الفاتحة منطقة استراتيجية لتحقيق التواصل بين طرفي الرسالة المتكلم/ الكاتب والمخاطب/ القارئ، والتأثير على المخاطب بأسره، فإنَّ تأثيرها يسري على نص "المنام الكبير" بحيث تجعل أجزاء النص السردى اللاحقة منتظمة المبنى ومتسقة المعنى بما قبلها مما يضمن استمرار التواصل حتى النهاية⁶⁷، والنص "ذو بوابة ومجال ووسطاً قد يطول وقد يقصر ونهاية وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها وفصلها عن غيرها ولكنها لا يمكن أن تفهم معزولة عنها فكل مكون من مكوناتها يمثل معلماً أو نقطة تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثاً وتعدد بها الذوات إذ كانت ذاتاً الخ وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة وبالقياس عليها تجري ترتيب عالم الخطاب وبناء النص بالاستتباع"⁶⁸. وهذا الاستتباع المحقق عبر نص "المنام الكبير" الذي يتفرع بدوره إلى نصوص أخرى يؤكد العلاقة الوثيقة بين المناسبة والتماسك النصي وانسجامه.

ويبدو هذا جلياً عند "ركن الدين الوهراني"، إذ نجده يولي اهتماماً كبيراً بفاتحة "المنام". ويوحى هذا الاهتمام بأهمية الفاتحة بل أهمية الجملة الأولى، ففي الغالب يركز السارد كل جهوده في هذه الجملة، إذ يكون ما بعدها غالباً تفسيراً لها، وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص السردى فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما⁶⁹.

يتميز المنام بتفرده في الفاتحة فقد استفتحها المتكلم/السارد، قائلاً:

أيا نضحة أهدت إلي تحيةً ينمُّ عليها العرف من أم سالم
مشت في أراك الواديين فنبهت به كل نشوان المعاطف ناعم
الأ إنما أحكي بدمعي ولوعتي بكاء الغواذي وانتحاب الحمائم

في هذه الأبيات، وبالاخصيص البيت الثالث نلتمس براعة الاستهلال المطلوبة؛ لأنَّ نص الفاتحة يتضمن قضايا معرفية يريد المتكلم أن يحكيها (بدموعه ولوعته).

وهي تتمثل في قضايا اجتماعية يريد السارد تبليغها بطريقة ساخرة، ومن جهة تشويق المخاطب (السامع) سماع الخبر الذي سيخبر عنه السارد، خاصة بعدما صارحه بأن الحكيم سيكون بكل الجوارح وبذلك يتحدد الفهم المعرفي للنص.

يمكن تصنيف هذا النص حسب المنظور الفكري اللغوي العربي بوجه عام، الذي يقسم الكلام إلى خبر وإنشاء حسب ما ورد في الجمل، فهي الموجه الأساسي للنص ويتمثل الموجه النصي للنص في حرف [أ] التي تعرب أداة استفتاح (أداة استهلال) والحرف [أيا] التي تعرب حرف نداء التي تفيد المخاطب، وكذلك في فعل (فنبهت - مشت) وهو فعل ماضي مثبت يشير إلى الإخبار ومنه تكون الفاتحة النصية خبرية*.

تعد الأفعال المذكورة، وحرف الاستهلال والنداء في الفاتحة النواة الأساسية في النص "وتقوم شبكة من الوسائل اللغوية بالربط بين هذه النواة وبين الجمل الأخرى. فالنص يتكون من ثلاث جمل متتالية قائمة على الترتاب وفعلها في صيغة الماضي"⁷⁰. وكذلك الإشارة إلى ضمير المتكلم [أنا] الذي يحيل إلى السارد، وهو الوهراني الذي يخاطب شيخه - وهو هنا يدل على التنبيه إلى المصير المرتقب "للمحافظ العليمي".

ويواصل استهلاله بذكر [واصل كتاب مولاي]، [وجعل خادمه]، والغاية من هذا الالتفات من الغائب إلى الماضي هو التذكير لعلم المتكلم بحال الشيخ الذي يتستر وراء مظاهره الخداعة هذا الالتفات يزيد التفريع الذي سيحصل في النص وهو إشارة إلى أحداث مرتقبة.

يمكن اعتبار الفاتحة في بعض المواضع إنشائية لتضمنها عبارة ((إنما أحكي)) التي تتضمن فعل القول، وهي جملة خبرية تتضمن الأسلوب الإنشائي لاحتوائها على فعل أحكي المتضمن معنى التمني، والتمني من الأساليب الطلبية.

وكذلك يمكن اعتبار الفاتحة إنشائية في جزئها الأخير لتضمنها الاستفهام في قول السارد (كيف يرى سيدنا خادمه وهو مقبل على تلطيم خديه؟)، والاستفهام أيضاً من الأساليب الإنشائية التي تفيد الطلب، وهذا الإنشاء لعلم السارد برده فعل شيخه.

- المتن:

يتلو الفاتحة مباشرة، وهو يتكون من مشاهد سردية يتكرر في رؤوسها المركب الاسمي [يا هذا] الذي يتكون من أداة النداء [يا] والمنادى اسم إشارة هذا، والمنادي وهو المتكلم/ السارد يتضافر في هذا المركب الاسمي النداء والتعجب (يا هذا أما ترى السماوات، يا أهل نعمان، يا هذا وأين أجده؟، أما ترعوي؟ كيف ذلك؟..) والغرض من هذا التنبيه، ومنه فإن المتن إنشائي طلبية*.

تتحول شفرة النص بتحول المرسل للنص، أي أن المرسل الأول لنص الفاتحة هو الشيخ العليمي والمتلقي هو الوهراني؛ يتلقى هذا النص الذي لم يصرح به إلا في قوله: [وصل كتاب مولاي... قد استفتحه بطلب الثار من مزاح الخادم له (الخادم هو الوهراني)]، والمتلقي هنا الوهراني ثم يتحول هو بدوره إلى مرسل لنص الفاتحة من خلال تضمن الاستهلال فعل (أحكي، مشت فنبهت) وحرف (الأ، أيا)؛ أي للاستدلال، لأن الخطاب المنامي الذي أنتجه ركن الدين الوهراني يقوم على استراتيجية هادفة تنهض على الإقناع باستدلالات خاصة تتمثل في السخرية من مصير الحافظ العليمي، بواسطة الاستخفاف.

وهكذا تصبح الفاتحة الخبرية تتضمن الطلب؛ لأن فعل [أحكي] الذي يستهل به الكاتب منامه من الأفعال الإنجازية التي تفيد الطلب والمناسبة بين الفاتحة والمتن تتمثل في وجود الرابط المتمثل في الجامع الأساسي بينهما وهو ذات المتكلم إذ يمثل الحقيقة الفزيائية القارة التي يصدر عنها النص⁷¹.

يتكون هذا المتن من مشاهد سردية يتكرر في رؤوسها المركب الاسمي [يا هذا] وهو يمثل مؤثراً يتم بواسطة تعالق مقاطع المتن، وتأكيد "عناية بالأمر،

وارادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير"⁷². وبالتالي فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق ومن ثمة فهي تسهم في اتساق النصوص⁷³. ومن خلال التحليل تظهر لنا أهمية المناسبة بين الفاتحة والتمثّل بوجود علاقة شكلية ودلالية بينهما فالشكلية تتمثل في عامل الإحالة الرئيس المتمثل في استمرار لوجود ضمير المتكلم وهو المرسل للنص. والدلالية تتمثل في وجود ترابط دلالي بين الفاتحة والتمثّل⁷⁴ وذلك من خلال التناسب الحاصل بين المخاطب في الفاتحة والتمثّل وصل كتاب مولاي استفتحته بطلب الثأر من الخادم (...)، (الفاتحة)، (كيف يرى سيدنا هذا الهذيان؟)، (التمثّل).

المخاطب في التمثّل يحيل إلى المخاطب في الفاتحة المتمثل في الشيخ العلمي وتشارك صفة الشيخ في الاستهلال في كون السارد ذكر أنّه يريد الثأر منه، كذلك صفته في التمثّل في قول الوهراني: أما كلمته حتى لكماني لكمة موجعة.

ويعد تكرار الملفوظ [يا هذا] في رؤوس المقاطع النصية عاملاً لغوياً من عوامل تجسيد الاستمرارية* في النص؛ استمرارية نفس المتحدث عنه، وقد استثمر المتكلم/السارد هذا التكرار في الانتقال من موقف لآخر، وهي كلها تتمحور حول موضوع النهي والكشف عن الأعمال الزائفة، (العبادة التي لم تسمن ولم تغن الحافظ في الجنة)، تكرار الأساليب (الأمر - النهي - الاستفهام - النداء - صيغ المدح - صيغ الذم) التي تعد من الأساليب الإنشائية الطلبية، وتعدد المشاهد السردية إشارة إلى تعدد صور المصير التي رصدتها المتكلم في كل مشهد، وتقوم على مبدأ الترهيب الممزوج بالسخرية والتحقير اللاذع.

يبدأ المتكلم (السارد) عادة مشاهده بالترهيب الذي يخفف من بطش شيخه الذي لم يسلم منه حتى في اليوم الآخر، ويختم المشهد الأخير بالتودد والاعتراف بأنّ ما كان عبارة عن هذيان كان سبب حدوثه لحظة اللاوعي.

وتكمن أهمية تكرار الملفوظ (يا هذا) في بنائه نص المتن بإنشاء التناسب بين المقاطع النصية للمتن، فهي "تمثل الوند اللساني الذي تتفرع منه الدلالات ذلك أنه كل مرة يشعر القارئ باستنفاد الدلالة والانتقال إلى دلالة أخرى، فهو ينشط ذاكرة المستمع والقارئ"⁷⁵. ومن جهة فإنه يحقق التماسك النصي بين المقاطع طلباً لدوام موضوع الحكي الساخر.

وبهذا تصبح المناسبة بين الفاتحة والمتن تتمثل في إيصال "رسالة المنام الكبير" إلى الحافظ العليمي التي تحمل في طياتها كل معاني الهول والتحجير والاستخفاف الذي صوره السارد في نومه، راجياً من الشيخ أن يهذب من أخلاقه، تكون المناسبة بين الفاتحة والمتن في تبليغ رسالة اجتماعية تحمل نقداً تهكمياً للأوضاع السائدة في عصر الوهراني.

ب - المناسبة بين الفاتحة والخاتمة:

الخاتمة عبارة عن مفاجأة يباغت بها السارد قارئه، فبينما كان في صدد عرض المشاهد وكان القارئ ينتظر مشاهد أخرى أكثر غرابة، يأتي السارد بعبارة تتضمن ضمير الجمع في قوله: (فبينما نحن في أطيب وهناء... وإذا بضجة عظيمة)، لينتقل إلى ضمير المتكلم في قوله: (وأخرجتني من جميع ما كنت فيه...)، يمكن تحليل هذا النص (الخاتمة) بالاعتماد على المستويين: "المستوى الشكلي والمستوى الدلالي"⁷⁶. وعلى العموم الخطاب الساخر يقوم على ثنائية شبه ضدية على مستويين لمكون الجمل: العميق/السطحي فعلى المستوى الأول ثمة ثنائية: كقوله: في الفاتحة (فرماني الدهر بالحظ المنقوص) وقوله في الخاتمة: (فبينما نحن في أطيب عيش وهناء)، وكذلك قوله: في الفاتحة: (ثم غلبته عينه بعد ذلك) وقوله في الخاتمة: (فأخرجتني مما كنت فيه). ونجد أيضاً السارد يستعين بثنائية التحجير والتودد كقوله: في الفاتحة: (يا خنزير...) وقوله: في الخاتمة: (كيف يرى سيدنا...).

وفي هذا الخطاب (الخاتمة) استعاض المتكلم كما رأينا صيغة المفرد (أنا) بصيغة الجمع (نحن) ويبدو لي هذا أنه اقتداء بالقرآن الكريم كما في قوله في سورة الفاتحة "إياك نعبد وإياك نستعين" الفاتحة: 5، ورد بصيغة الجمع بدل صيغة الأفراد "لأن"، في الجمع يقصد تغليب الفرد، وهذا يعني أن واحد من الجماعة، فلما كان موجود في الفرد فعوضه بالجمع⁷⁷ والبعض الآخر يرى في صيغة الجمع في التودد " الاعتراف بالقصور والعجز"⁷⁸ وكأنه يقول أنا الضعيف والدليل يا شخي وأنت القوي، وهذا من المبادئ التي يتكأ عليها السارد أو ما يسمى في السخرية بالمراوغة.

والملاحظ أيضاً في الخاتمة جملاً فعلية ممتدة بواسطة الرابط الواو (في عيش وأهناه) (قد أخرجتني وأقبلت)، وقد أداة توكيد تفيد مع الماضي التحقيق، (وزعقات مذموراً ولذة الماء... وطنين الصيحة)، (وأرهبنى...ورعب الوقعة)، ويغلب عليها عنصر الفعل الذي تكرر كما يظهر عدة مرات، ويشير هذا " التكرار إلى الحركة والتجديد وكما أن صيغة الفعل هنا الماضي تتضمن المستقبل"⁷⁹؛ لأن التودد الذي يتضمن الدعاء المتمثل في قول السارد (كيف يرى سيدنا هذا الهذيان وصلى الله على نبيينا وعلى آله وصحبه أجمعين؟) يفيد الطلب تضرعاً وطمعاً في صداقة الشيخ الذي يبدو لي حسب المصادر التي عدنا إليها بأنه تاجر دمشقي، وحسب ما قاله الوهراني (ما مررت بأمرير ولا تاجر إلا وأخليت جيبه...وجعلت من الأدب رضاعتي...)، يظهر أنه يتودد لشيخه التاجر ربما لنيل كرمه وسخائه وإذا أردنا الجمع بين الجمل الواردة في الفاتحة والخاتمة أمكننا تتابع الأضداد " وذلك لغاية الإيجاز والتأكيد على الدلالة"⁸⁰، ويتمثل ذلك:

(لو مات قبل أخذه بثأره لمزق الأكفان ونبش المقابر)، (وما كلمته إلا ولكمني لكمة) يتناقض مع قول السارد (فبينما نحن في عيشة وسلام)، (كيف يرى سيدنا هذا الهذيان؟) التي تدل على أن السارد سالم من شيخه، (الإمام العادل والأمين)، (إمام اللاطة والقوادين)...الخ.

المستشف من هذه الجمل أنها تتكون من ثنائية ضدية تقوم على علاقة تضاد، وتمثل العنصر المنتج للنص، والمناسبة بين الفاتحة والخاتمة، "وبواسطتها ينمو تحرك الأضداد، فالتضاد الدلالي قد لا يعني التضاد على مستوى الحقيق⁸¹؛ لأنَّ بنية كهذه تترجم تلك الأحوال التي وقعت في الحلم، التي يقوم ببنائها السارد من أجل تعزيز الخطاب السّاخر.

وكذلك سؤاله في الخاتمة في قوله: (كيف يرى سيدنا؟) هذه الالتفاتة تشير إلى إحياء اللفظة في شكل قوة ابتدائية تعطي دفعا إضافيا للنص، ومن ثم انتقالا بالنص من نمط تشكيلي إلى نمط تشكيلي آخر؛ وربما هذا ما قصده الوهراني من سؤاله، فكأنه يريد جواباً من شيخه رغم وضعه للخاتمة.

ومن خلال التحليل يتبين لنا أنَّ الخاتمة النصية تقوم على ثنائية التّودد التي تتناقض مع التّحقير الذي تابعه القارئ، وتمثل المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في تلك العلاقة التلازمية التي عرفتنا ببداية الحكى ونهايته، وجعلتنا نرد على النقد الذين نظروا إلى هذا النص على أنه كتابة على الهامش، حررها "أديب ماجن". ما عسانا أن نقول، فالنص نابع من أديب وفقهه امتطى حصان اللغة العربية، وإن كان المزاح هو مسلكه، فهذا لا يعني بأن كتابته أيضاً ستكون من غير رؤية وتآني. والحق أن قراءة "الصفدي" الرافضة لهذا الأدب الذي أسسه الوهراني لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء معيار ديني يحد من حرية الكاتب ويمنعه من تناول موضوعات عابثة أو ماجنة.

لا شك أنَّ الاستهلال والتفريع الحكائي والخاتمة ينطويان على وظائف عدة أذكر منها الوظيفة التداولية التي تتمثل في تنبيه ذهن القارئ، وذلك من خلال حكايات جانبية وأساليب لغوية منبهة كالاستفهام والنداء وما تحسن به من المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يثير ما يؤثر فيها انفعالاً ويشرب لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك⁸². والشئ نفسه في الخاتمة أو المقطع في دلالة عليها لأنّه

آخر ما يبقى في النفس"⁸³ وهي كذكرى توديع النص لدلالته على ما سبق وانتهاء النص إليه " وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام وخاتمته"⁸⁴.

ومن خلال التعرض إلى الوظيفة التداولية للاستهلال، فإنه يمكن القول أنه إذا كانت الفاتحة هي أول جملة تقذف بالقارئ في خبايا النص من خلال استراتيجية اغرائية تمكن من المحافظة على عملية الإبلاغ بإحداث عامل الرغبة، فإن الخاتمة هي ما يبقى في ذهن القارئ لحظة انفصاله؛ وهي إما أن توسع أفق انتظاره أو أن تحرق انتظاره وتوقعه، وإما أن تخيب أمله لأنها لم ترق.

ونخلص إلى أن السرد في حكايته الأولى (الافتتاحية) ارتبط بجنس أدبي، وهو السخرية هذا النوع من التواصل الذي استرجع فيه الوهراني أخبار شيخه، وكتابه الذي تلقاه منه.

ويوحي لنا هذا الاستهلال بأهمية مخاطبة الآخر في تشكل النوع القصصي الساخر في تراثنا الأدبي، ويعتبر هذا الاستهلال الشكل المتاح في ذلك العصر، والقادر على استيعاب الخطابات ذات الطابع الغير المباشر، ومنها استمدت السخرية عند الكاتب مشروعيتها.

تحيلنا مشاهد "المنام الكبير" الدقيقة والمتعلقة بنمط الكتابة النثرية عند الكاتب، إلى أن عملية تدوين المنام عامة تتوجه بعد استرجاع، ووعي يعمد إلى الاختيار والانتقاء والتحويل والتعديل. ومعنى هذا أن المعاني الجوهرية للخطاب الساخر لا تكون بشكلها الخام في أي شكل من أشكال الخطاب في المنام، وهناك في هذه الحالة مقدار من الخطاب مضمن في السرد فاندراج عناصر خطابية تفرعية في الحكي، تجعل العناصر في النص مشدودة في الغالب إلى مرجعية المتكلم والمخاطب والخلفية التي استمد النص حضورها منها، والتحويل الذي يخضع له النص الساخر باقتضاء عناصر

السخرية (الاستخفاف - الفكاهة - التهكم)، يجعلنا نتحدث عن النص الغائب غير المعلن والمضمّن بلاشك ضمن النصوص الجانبية للمنام.

وتجلت حرية الكاتب في الحكاية الداخلية في اختياره لنسق أو نظام المشاهد التي لا تكاد تخلو من السخرية، لتدعيم بنية "النمام"، واعتماده على نموذج "الحكايات الجانبية" التي تباغت القارئ، كمنموذج مناسب لتأكيد وتعزيز الافهام وانشاء نص سردي ساخر يحمل في ثناياه خصوصية تميزه عن غيره، وهذا ما ينفي صفة الاستعجال (التسرع - كتابة هامشية) عن الكتابة التي أراد الوهراني من خلالها تمرير رسالة اجتماعية، تعكس لنا عن طريق السخرية والاستخفاف مرآة ذلك العصر، لأنّ الأثر ليس مرتجلاً بل سابق التصميم، لأنّه نتج عن ضرورة ليست حرة، فلم ينجز أبداً إنتاجاً مطلقاً، بل أنتج عن ممارسة وتفكير محكم يعطي للحكي في جميع أطرافه فكرة التحرر من الأنماط التقليدية.

ونخلص أيضاً إلى أنّ النثر (السرد الساخر) يرتبط بشكل نسقي مع الفاتحة، والمتن والخاتمة، ويعتبر هذا إحدى المكونات الحكائية للتداولية التي تبحث في الشروط المناسبة لأنواع الخطاب، أي مناسبة الخطاب الساخر للوحدات النصية (التماسك النصي)، التي تبين من خلال التحليل أنها مترابطة في ما بينها، ويتضح ذلك من خلال البنيات اللغوية التي ترصدناها في النص لنسلم بتماسك وحدات الحكي في النمام الكبير.

الهامش:

- ¹ - الرندي، الواي في نظم القوافي، ص 103 - 107، مخطوط، نقلاً: عن رشيد يحيوي، شعرية النوع الأدبي في النقد العربي القديم، ط 1، إفريقيا الشرق، 1994، ص 110.
- ² - أندري دي لنجو، في إنشائية الفواتح والخواتم، تر: سعاد بن إدريس نبيغ، مجلة الروافد، ع 10، ديسمبر 1999 ص 37.
- ^{*} - والمقصود "بالحكاية الإطار" في "المنام الكبير" تلك الصيغة السردية التأطيرية التي عرفت بالمشهد الاستهلاكي - الإفتتحاية التي تتصدر سرود المتن الحكائي، مشكلة مساحات الافتتاح والاختتام، وهي تمثل الحافز السردى الأصيل لسيرورة التأليف الحكائي المتواتر في السرود الفرعية، بحيث يشكل طريقة متعالية لعملية الخلق الكشف اللامتناهي ورؤية بلاغية مركزة لإطلاق الحكى والمعارف وتعالق الأحداث، مما جعلها على خلاف باقي الحكايات المضمنة في المتن، تروى بإسناد الخطاب إلى مجهول. ينظر: شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، التشكلات النوعية لصور الليالي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 100.
- ³ - ينظر: محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 111.
- ⁴ - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة ورقلة، قسم اللغة والأدب، 2007 - 2008، ص 123.
- ⁵ - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، جزء المبادئ والافتتاحات، قدمه وعلق عليه أحمد الحوي في - بدوي طبانة، ط 2 دار نهضة، مصر للطباعة والنشر، ج 3، دت، ص 96.
- ⁶ - ينظر صلاح فضل، نظرية البنائية، ط 3، دار الشؤون الثقافية، 1987، 443.
- ⁷ - ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ط 1، دار الشؤون، 1993، ص 22.
- ⁸ - ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ط 1، جسر للنشر والتوزيع - الجزائر 2009، ص 136.
- ⁹ - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط 5، القاهرة، 1985، ج 1، ص 125.
- ¹⁰ - أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تح: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، 1960، ص 285.
- ¹¹ - ينظر: ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات، ص 31.
- ¹² - ينظر: م، ن، ص ن.
- ¹³ - ينظر: هوكز، البنيوية وعلم الإشارة، تر: مجيد الماشطة، ط 1، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص 106 - 107.
- ¹⁴ - عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 196.
- ¹⁵ - محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال، ص 40.

- 16 - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 124.
- 17 - م، ن، ص ن.
- 18 - نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردى، في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003 ص 40.
- 19 - منامات الوهراني، ومقاماته ورسائله، تح: إبراهيم شعلان ومحمد نغش ومراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص 17.
- 20 - - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 124.
- 21 - منامات، م، س، ص 17.
- 22 - م، ن، ص 21 - 22.
- 23 - مناع مريم، م، س، ص ن.
- 24 - منامات، م، س، ص 22.
- * - أراك : شجر ذو شوك، ينظر: أحمد عيسى، معجم أسماء النبات، القاهرة، 1926، ص 161.
- ** - يسميه البعض "جواني الحكى"، وهو الاستباق الذي يتناول حدثاً واقعاً ضمن زمن السرد الأولي وضمن موضوع الحكاية. وهو نوعان: تكميلي ومكرر. 1 - الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية التكميلي *complétive* وهو الذي يسرد، مسبقاً نقصاً سيحصل في السرد الأولي. إنه تعويض عن حذف لا حق فوجوده يكمل السرد. 2 - الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية المكرر *répétitive* أو الإخطار *annonce* وهو الذي يكرر مسبقاً، وإلى حد ما مقطعاً سردياً لا حقاً. ويأتي هذا الاستباق عموماً بصورة إشارات قصيرة تنبه إلى حدث سيتناوله السرد لاحقاً بالتفصيل. فيما يسميه رولان بارث "جدل ظفائر الحكاية". فهي تولد في نفس القارئ شعوراً بالانتظار. ينظر: لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية، فرنسي - انكليزي - عربي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان 2002، ص 17.
- 25 - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 124 - 125.
- 26 - ينظر: تزفيطان تودوروف، طرائق تحليل السرد الأدبي، سلسلة ملفات، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، ط1 منشورات اتحاد كتاب المغرب - الرباط، 1992، ص 41.
- 27 - مناع مريم، م، س، ص 125.
- 28 - واتيكي كميلة، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى، بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة" مقاربة تداولية"، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، تماريس، المحمدية، 2004، ص 85.
- 29 - منامات، ص 19.
- 30 - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 125.
- منامات، ص 18. 31 -

- 32 - واتيكى كميلى، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، ص 86.
- 33 - مناع مريم، م، س، ص ن.
- 34 - فولفجانج إيسر، فعل القراءة، نظرية في الاستجابة الجمالية، تر: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة 1984، ص 30 - 36.
- 35 - منامات، م، س، ص 23.
- * - سنير: جبل بين حمص وبلعبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير. ينظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 199، ج 5، ص 155.
- ** - دمر: دير، مشرفة على غوطة دمشق لها ذكر في حديث الإسكندرية، وغيره، وهي من جهة الشمال في طريق بلعبك، م، ن، ج 4، ص 72.
- 36 - منامات، 21 - 22.
- 37 - ناهضة ستار، بنية السرد الصوفي، المكونات، الوظائف، والتقنيات، دراسة، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق 2003، ص 69.
- 38 - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 125.
- 39 - عبد الفتاح عوض، في الأدب الأسباني، السخرية في روايات بايسيير، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دار روتابرينت، للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص 42.
- 40 - مناع مريم، بنية السرد في منامات ومقامات الوهراني، ص 125.
- 41 - فريال غزول جبوري، البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، مجلة فصول، المجلد 12، العدد 4، 1994، ص 103.
- 42 - شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، التشكلات النوعية لصور الليالي، ص 103.
- 43 - م، ن، ص ن.
- 44 - حميد لحميداني، بنية النص السردى، ص 97.
- 45 - في استعراض موجز ومكثف لطبيعة كتاب كليلة ودمنة يلاحظ محمد رجب النجار وجود بنيتين في البناء الهيكلي للكتاب يسميها: البنية الكبرى، ويقصد الحكاية الإطار، والبنية الصغرى ويقصد الحكاية المضمنة: ينظر: النثر العربي من الشفاهية إلى الكتابة، ط1، دار الكتاب الجامعي، 1996، ص 259.
- 46 - شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، التشكلات النوعية لصور الليالي، ص 110.
- 47 - عبد الله إبراهيم، عن السردية العربية، ص 93.
- 48 - شرف الدين ماجدولين، بيان شهرزاد، التشكلات النوعية لصور الليالي، ص 108.
- 49 - م، ن، ص 108 - 109.

- 50 - تودوروف تزفيتان، مفهوم الأدب، تر: محمد منذر العياشي، دارالذاكرة، حمص، 1991، ص 142، نقلاً عن شرف الدين ماجدولين، م، س، ص 108.
- 51 - م، ن، ص 109.
- 52 - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 180.
- 53 - طلائع بن رزيك (495 - 556 هـ) أبو الغارات، قدم مصر فقيراً فترقى في الخدم، حتى ولي منية من أعمال صعيد مصر، وسنحت له فرصة فدخل القاهرة فولي وزارة الخليفة الفائز سنة 549، قتلته عمه العاضد بعد أن استولى على أمور الدولة وأموالها، (سير أعلام النبلاء للذهبي، ص 288 - موقع الوراق الإلكتروني).
- 54 - منامات، ص 34.
- * - وأعلم أن مما " اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، وإذا كان ذمّاً كان مسه أوجع وميسمه ألدع ووقعه أشد وحده أحد". عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد رشيد رضا ط1، دار الكتب الجديدة، بيروت د ت ص 93.
- 55 - منامات، م، س، ص 32.
- 56 - شوقي ضيف، في الشعر والفكاهة في مصر، سلسلة اقرأ، ط3، دار المعارف، مصر، 1985، ص 10.
- 57 - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سناء، الخطابة من كتاب الشفا، تح: محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية القاهرة 1954، ص 237.
- 58 - منامات، ص 60.
- 59 - ينظر: يوسف بن إبراهيم الكندي، آليات السرد في منامات الوهراني، ص 60.
- 60 - حاتم الصكر، الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - 1999م ص 67.
- * - ملاحظة: سيقوم الباحث بالتحليل مباشرة ودون تكرار المقاطع السردية للمنام التي سبق وأن تطرقنا إليها.
- 61 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، نشر بعنوان: أسرار ترتيب القرآن تح: عبد القادر أحمد عطا، سلسلة نواذر التراث دار الاعتصام - مصر، 1978، ص 40.
- 62 - محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علاء الفايز، مكتبة المعارف، الرباط - المغرب، 1980، ص 517.
- 63 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت 1988، ج 1، ص 36.

- 64 - بوكري نصبة، الاتساق والانسجام، في شعر إبراهيم ناجي "قصيدة ساعة التذكار"، أنموذجاً، جامعة محمد خيضر بسكرة، رسالة ماجستير، مخطوطة، 2005 - 2006، ص 37.
- 65 - فهمية لحلوحي، استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي، دراسة تحليلية سيميائية، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة 2002 - 2003، ص 96.
- 66 - ينظر: م، ن، ص 97.
- 67 - ينظر: م، ن، ص 98.
- 68 - الأزهر الزنادي، نسيج النص، (بحث في ما يكون له الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 124.
- 69 - ينظر: فهمية لحلوحي، استراتيجية الخطاب، ص 98.
- * - الخبر: قول يحتمل الصدق والكذب والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع والغرض منه إعلام المخاطب بالحكم الذي تتضمنه الجملة الخبرية. ينظر: م، ن، ص 99.
- 70 - م، ن، ص ن.
- * - الطلب وهو "أن لا ارتباب على أن الطلب من غير تصور إجمالاً أو تفصيلاً لا يصلح أنه يستدعي مطلوباً لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوباً أن لا يكون حاصلًا وقت الطلب والطلب نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه مكان الحصول، وقولنا لا يستدعي أن لا يمكن، ونوع يستدعي فيه، مكان الحصول، المطلوب بالنظر أن لا واسطة بين الثبوت والانتقاء يستلزم انحصاره في قسمين حصول ثبوت متصور، وحصول انتقاء متصور". أبو يعقوب يوسف أبي بكر بن علي، مفتاح العلوم السكاكي، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1937، ص 145.
- 71 - فهمية لحلوحي، استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي، دراسة تحليلية سيميائية، ص 102.
- 72 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها: تح: محمد أحمد حاد المولى على محمد البخاري محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل المولى على محمد البخاري - محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل بيروت، دار الفكر، ج 1، ص 332.
- 73 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1991، ص 19.
- 74 - فهمية لحلوحي، م، س، ص 103.
- * - الاستمرارية: وهي قائمة على افتراض الأقوال المختلفة في النص والسياقات المحيطة بهم يربط كل منها الآخر وكل قول يساعد في الوصول إلى بعض الأقوال الأخرى. ينظر: م، ن، ص 103.

- 75 - فهمية لحلوحى، استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدى، دراسة تحليلية سيميائية، ص 104.
- 76 - م، ن، ص 105.
- 77 - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسى البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار الفكر، بيروت، 1983، ص 88.
- 78 - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار البيضاء، قسنطينة، قصر الكتاب - البليدة، الجزائر، دت، ج 1، ص 27.
- 79 - فهمية لحلوحى، استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدى، دراسة تحليلية سيميائية، ص 106.
- 80 - واتيكي كملية، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، ص 86.
- 81 - ينظر: فهمية لحلوحى، م، س، ص 107.
- * - قديماً "قال: الصفدي في كتابه " الوافي بالوفيات" [...] الوهراني أديب ماجن... كتابته مجرد هذيان تكتفه العشوائية"... وحديثاً قلنا عنه: وترتفع لهجة الصفدي في حق مواقف الوهراني عندما يبالغ هذا الأخير في المحاكمة والعدا، مبالغة ينفذ معها صبر أيوب وإما أنه لم يفهمها (نصوص الوهراني) على حقيقتها فتعرض إلى القول فيما لم يحط به علما وذلك من فعل الجهال... ولكن لا بد للجواد من كبوة!، نظراً لأن أحد أهداف البحث هو ترشيد التاريخ وتعريبه من الأباطيل، ورفع الصفة الجافة المتحفظة عنه وجعله قريباً ومألوفاً، وإزالة خوف القارئ المتهيب من قراءة نصوص الوهراني وتشجيعه على الوصول "مباشرة" إلى حقيقة هذه المصادر التاريخية الإسلامية التي تهددنا الرجعية بها وتستعملها ضدنا كموانع تشريعية تحرمنا من قراءة كنوز التراث العربي، وأعتقد أن القارئ، هو مثلي، ضائع دوماً عندما يحاول فهم التاريخ. فلما رأيت هذا العرق من الحماسة نابضاً على هؤلاء الأغبياء انتدبتُ لتحرير هذا البحث عسى أن يكون في ذلك نوعاً من التدريب للقارئ غير المختص على الخطاب الساخر للوهراني وحثنا له على متابعة الرحلة معنا داخل أروقة النص الغني، الذي يخاطب أطرافاً متنازعة مازالت امتداداتها حاضرة بيننا. فهو إذن نص يخاطبنا نحن اليوم، كما خاطب معاصريه .
- 82 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 310.
- 83 - الحسن بن عبد الله بن سهل أبو الهلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، 1971، ص 228.
- 84 - م، ن، ص 265.



الديمقراطية الإدارية والمجتمع المدني في الجزائر administrative democracy and civil society in Algeria

حبشي لزرق، رحموني محمد

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون - تيارت

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أحمد دراية - أدرار

¹habechi_08@yahoo.fr

²ramouni4@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-07-23

المخلص -

من الحقائق الثابتة أن وجود تنظيمات المجتمع المدني في أية دولة كانت قد تجاوز مفهوم التصور أو المفترض، وذلك حتى في ظل الأنظمة السياسية القديمة نسبيا، والمعتبرة في جزء من هياكلها ومكوناتها مناهضة لمفهوم المجتمع المدني من جمعيات وغيرها. تأسيسا من وراء ذلك إلى استنادها على ما هو متعارف عليه من مضامين الحكم المطلق، وعدم الاعتراف بالممارسات الديمقراطية من خلال مكونات المجتمع المدني. ومن ثم، فإن هذا الأخير قد تجاوز في تطوره، بل وحتى تطور أساليبه خاصية التبعية للسلطة ومساندتها المطلقة من دون أي تقييم لسياساتها، إلى المساهمة الفعلية والفعالة في عملية اتخاذ القرار السياسي، ومن ثم القرار الإداري، وبنوع من الموضوعية إلى أبعد الحدود، وهو ما نتج اشتراك منظمات المجتمع المدني في التسيير الإداري داخل الدولة.

الكلمات المفتاحية -

المجتمع المدني، الديمقراطية، الديمقراطية الإدارية، التسيير الإداري، القرار السياسي.

Abstract –

One Of The Constant Facts Is That The Existence Of Civil Society Organizations In Any Country Has Exceeded The Concept Of Perception Or Presumption, Even Under The Relatively Old Political Systems, Which Are Considered Part Of Their Structures And Components Against The Concept Of Civil Society Associations And Alike. The Reason Behind That Is Based On What Is Agreed Upon The Content Of Absolute Ruling, And The Lack Of Recognition Of Democratic Practices Through The Components Of Civil Society. Thus, The Latter Has Gone Beyond Its Development, And Even Develop Its Methods Of Dependence To Power And Absolute Support Without An Assessment Of Its Policy, To The Actual And Effective Participation In The Political Decision-Making Process, And Then The Administrative Decision, And With A Kind Of Objectivity To The Extreme, Which Resulted In The Participation Of Civil Society, Organizations In Administrative Management Within The State.

Key Words -

Civil Society, Democratic, Political Decision, Administrative Management, Administrative Democratic.

مقدمة:

مهما تعددت المفاهيم وتنوعت في اختلافها لتحديد المجتمع المدني ومكوناته فإنها تتلاقى في مفهوم يعد القاسم المشترك بينها، يتلخص في بديهية معينة هي إشراك المواطن داخل المجتمع في عملية صنع القرار وهو ما يقتضي وضع سياسة معينة موضع التطبيق أياً كان مجالها أو نطاقها. لأن عملية الإشراف تلك قد تتخذ منحى تمثيل المواطن في شكل جمعيات لكل منها ميدانها، وقد تكون المشاركة بنوع من التدخل شبه المباشر من خلال ما تسفر عنه الاستشارات والمشاورات بين مراكز صنع القرار ومنظمات المجتمع المدني، خصوصاً إذا تعلق الأمر بمسائل على قدر من الأهمية.

وكواحدة من بين تلك المسائل يبرز مفهوم ما يسمى " بالديمقراطية الإدارية " والتي تتصف بوصف يبعدها ويميزها عن الديمقراطية المتعارف عليها بمفهوم " حكم الشعب لنفسه وبأنفسه "، دون أن يشكل ذلك الابتعاد انفصالا تاماً ومطلقاً بينهما، وذلك بحكم أن الديمقراطية الإدارية تنطوي حتماً ومن دون أي شك تحت مسمى الديمقراطية على وجه العموم. ولعل ذلك ما يؤثر

إلى حد كبير في استقرار النظام الاجتماعي داخل الدولة، عن طريق ضمان وحماية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بدرجة كبيرة وذات أولوية خاصة. وبمنطق القراءة الاستنتاجية للعلاقة والتكامل بين المفاهيم المتعددة، وذات الصلة بكل من مفهوم المجتمع المدني، ومفهوم الديمقراطية الإدارية، فإن أساسيات التكامل بين هذين المفهومين أصبحت تعتبر من بين البديهيات في تنظيم الحياة العامة للمواطن ومدخلاتها بالنظر للاشتراك بين عديد الهيئات والمؤسسات ذات الاختصاص بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وعلى رأسها السلطة التشريعية بالدرجة الأولى.

والقول بما سبق، هو تأكيد على الارتباط والعلاقة المؤكدة ذات التأثير المتبادل بين سلطة التشريع في الدولة، بمختلف مكونات البرلمان من سلطة ومعارضة برلمانية من جهة أولى، وكذا منظمات المجتمع المدني المختلفة الأطياف والمظاهر من جهة ثانية، وذلك ما يسفر في جزئية معينة لذلك التأثير المتبادل على النحو السابق، إلى بروز فكرة الديمقراطية بمسماها الإداري، ومتأثرة بانعكاسات تلك العلاقة السابقة عليها خصوصا من حيث وضع مختلف السياسات المقررة تشريعيًا موضع التنفيذ بواسطة الإدارة العامة في الدولة مهما كان مستواها مركزية كانت أو محلية إقليمية.

حينها يفرض التساؤل نفسه حول عمليات وجوانب وآثار العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية سواء بالشكل المباشر، أو غير المباشر، لاسيما وأن التأثير المتبادل بين المفهومين له من التطبيقات القانونية ضمن مختلف النصوص على تفاوت قوتها ومرتبته في إطار سلم التدرج القانوني في الدولة.

فيا ترى هل تكفي عملية التكامل بين أساسيات المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية بالشكل الواضح والمباشر لها؟ أم أن لتلك العملية تطبيقات مختلفة أخرى تندرج في إطار الشكل غير المباشر لعلاقة المجتمع المدني وتكامله مع فكرة الديمقراطية الإدارية؟ ذلك ما سيتم بحثه من خلال هذين المبحثين.

إن بحث هذه الإشكالية استوجب الاستنتاج والتحليل وهو الأمر الذي يفرض الاستعانة بكل من المنهج التحليلي والاستنتاجي مدعما بوصف في بعض الأحيان وذلك للمقاربة بين بعض المفاهيم، ومكتملا بالمنهج القانوني بالنظر إلى أن عملية التحليل ستشمل النصوص القانونية ذات العلاقة بالموضوع مباشرة أو بصفة غير مباشرة.

المبحث الأول: التأثير والتأثر المباشر بين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية:

بداية يشير مفهوم المجتمع المدني إلى مختلف التنظيمات والهيئات التطوعية التي تنشأ بمقتضى الإرادة الحرة لأعضائها بقصد حماية مصالحهم والدفاع عنها، كالأحزاب السياسية والتنظيمات الثقافية والاتحادات المهنية (النقابات) وجماعات المصالح، والمنظمات غير الحكومية¹. في هذا المقام تحديدا يتراءى مضمون التساؤل المطروح المتمحور أساسا، وفقا للمفهوم السابق للمجتمع المدني حول حقيقة التكامل بين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية (المطلب الأول). ومن ثم الوقوف على بعض الدلائل لذلك (المطلب الثاني).

المطلب الأول: حقيقة التكامل بين روابط المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية:

بنوع من التحليل يتبين أن مفهوم المجتمع المدني من جهة، ووظائف هذا الأخير من جهة ثانية، ترتبط أساسا بمدى رسوخ أسس الديمقراطية باعتبار هذه الأخيرة هي المناخ الملائم الذي يوفر الممارسات الأصلية لمنظمات المجتمع المدني، وتأثيراته الإيجابية المنتظرة إذا ما روعيت تلك الأسس².

إن ذلك هو لمتعارف عليه في الأنظمة الدستورية الحالية من حيث مكوناتها، إذ لا تقتصر في ذلك على الجهات الرسمية ومراكز صنع القرار في الدولة؛ بل إن دعائم تلك الأنظمة وشرعيتها من وجهة نظر المحكومين تفترض - بل وتفرض - تدخل هيئات التشاور، خاصة مع العلم أن القرار السياسي يأخذ شكله التطبيقي من خلال جملة القواعد القانونية التي تحكم المجتمع، والذي يكون قد ساهم في اقتراحها مسبقا.

وعليه فإن فعالية منظمات المجتمع المدني تنطوي على أهداف أوسع من مجرد المعارضة. فهي المشاركة بمعناها الشامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، والتي تسمح للمجتمع المدني بمراقبة البنى الاجتماعية بما فيها مؤسسات الدولة ذاتها، وبالتالي فإن وظيفة المجتمع المدني هي وظيفية تسييرية شاملة للمجتمع كله³، فهو بالنتيجة لما سبق تعبير عن المشاركة الجماعية الاختيارية المنظمة في المجال العام بين أفراد الدولة⁴.

حينئذ يمكن القول بأن التفاعل بين منظمات ومكونات المجتمع المدني من جانب، والمؤسسات الرسمية في الدولة بمختلف مراتبها ومستوياتها من جانب آخر، يعد حقيقة وواقعا مهما اختلفت درجة ذلك التفاعل، سواء زادت في الأنظمة السياسية المكرسة والقائمة على المبادئ الديمقراطية، أو قلت في الدول الأقل ديمقراطية من سابقتها.

ومن ثم فإنه وبالأساس على ما وصفه الأستاذ الشافعي بوراس للعلاقة بين المواطن والإدارة بأنه: "من النادر أن يتجنب الفرد الإدارة، والتي أصبحت له كظله، يلتقي بها دائما وباستمرار بإرادته، أو بغير إرادة منه، أو اختيار"⁵، تبرز معالم العلاقة التكاملية بين مكونات المجتمع المدني وبين تسيير وتنظيم العملية الإدارية في الدولة.

والقول بذلك التكامل بين المفهومين، خصوصا من خلال مشاركة المواطن في إطار ما يمثل مواطنته على كل الأصعدة، يعني وبمفهوم المخالفة أن ما تبتغيه عمليات وأهداف التنمية ينبغي بالأساس على أن برامج تلك التنمية المفروضة على المجتمع مدون مشاركة المواطنين عادة ما تؤول إلى الفشل؛ لأن إشراك المنتفعين أو المستهدفين من هذه البرامج يمثل فعلا حجر الأساس في نجاحها، والسبب هو أن الأهداف الاقتصادية المتنوعة للمشاركة الشعبية - على سبيل المثال - ترتبط برفع كفاءة وفعالية برامج التنمية، وذلك عن طريق تضافر الجهود الشعبية والحكومية لتحقيق تطلعات المجتمع بجميع أطرافه أو على الأقل الغالبية منه.

إن في ذلك كله عديد الدلالات والإشارات الواضحة التي توحى بتدخل المواطن في تسيير الشؤون العامة وهو ما يعتبر نهجا ديمقراطيا في الكثير من

جوانبه، بل ويزداد البيان أكثر وضوحا حينما تتعلق عملية التسيير تلك بالشأن الإداري في الدولة، وهو ما يشكل ديمقراطية إدارية في مفهوم وجيز لها هي مساهمة المواطنين في صنع القرارات الناتجة عن وضع السياسات العامة موضع التنفيذ، وتلك هي المهام الأساسية للسلطة التنفيذية وفق ما نص عليه الدستور.⁶

إن ذلك يستنتج منه نتيجة واحدة بالقياس على أسس تدخل المجتمع المدني في تسيير الشؤون العامة للمجتمع. فإقامة الحكم على أساس ما ترضيه الإرادة الشعبية هو التوصل إلى ديمقراطية الحكم، وهو ما يمكن وصفه إلى حد كبير بصفة المواطنة التي تعد امتيازاً يكسب ويعطي لصاحبه حق العضوية في أي جمعية ما، أو المشاركة في أي نشاط معين⁷، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإن الحد من تعسف السلطة يشمل الحد من تعسف مؤسسات وآليات هذه السلطة، وأهمها الإدارة العامة، وهو ما ينتج عنه بالتحديد ديمقراطية الإدارة العامة، وتلك هي الآثار والانعكاسات الإيجابية لدسترة المجتمع المدني⁸، سواء من حيث مكوناته، أو من حيث أهدافه وآفاقه.

المطلب الثاني: بعض القراءات القانونية للتكامل بين مضامين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية:

بالرجوع الى بعض القراءات القانونية لما سبق بيانه، فإن الدستور الجزائري الحالي باعتباره أعلى قمة للنظام القانوني في الدولة قد أشار إلى ذلك في عديد المواضع منه. فعلى سبيل المثال دون الحصر أو التحديد، نص في المادة 17 منه على أنه: " يمثل المجلس المنتخب قاعدة اللامركزية، ومكان مشاركة المواطن في تسيير الشؤون العمومية ".

وإن كان هذا النص يتعلق بالمستوى المحلي الإقليمي في الدولة، إلا أنه ذا تعبير واضح في إشارته إلى الديمقراطية الإدارية في التسيير على المستوى المحلي، والتي تقتضي - بطبيعة الحال - تدخل مواطني الجماعة الإقليمية، وفق أي شكل كان، مما يبرز معه الطرف الثاني في تكامل العلاقة وهي منظمات المجتمع المدني على اختلافها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ما ورد ضمن نص المادة 15 من الدستور الجزائري الحالي لا يقل دلالة في تعبيره عن الديمقراطية الإدارية المحلية وأساسيات علاقتها بالتسيير المحلي عن طريق تدخل منظمات المجتمع المدني. فجاء في النص على أنه: "تقوم الدولة على مبادئ التنظيم الديمقراطي والفصل بين السلطات والعدالة الاجتماعية".

المجلس المنتخب هو الذي يعبر فيه الشعب عن إرادته، ويراقب عمل السلطات العمومية.

تشجع الدولة الديمقراطية التشاركية على مستوى الجماعات المحلية ". علما أن ديباجة الدستور في حد ذاته قد تضمنت في العديد من المواضع منها الإشارة إلى المفاهيم السابقة لتكريس الدور الحقيقي لمنظمات المجتمع المدني، سواء تعلقت تلك المفاهيم بالديمقراطية، أو خصت فكرة الرقابة الشعبية، أو حتى مفهوم العدالة الاجتماعية.

ويقرب من ذلك كثيرا نص المادة 178 من الدستور في دلالته، إذ ينص على أنه: "تضطلع المجالس المنتخبة بوظيفة الرقابة في مدلولها الشعبي ". فهذا النص لا يقتصر في تحديده لنطاق الرقابة الشعبية سواء بطريقة مباشرة، أو عن طريق ممثليه المنتخبين، على المستوى الإقليمي فقط، بل حتى على المستوى الوطني وهو ما يقوم به البرلمان من خلال رقابته على أعمال الحكومة.

تلك إذن عديد النصوص الدستورية التي تقود إلى نتيجة معينة مفادها دستورية المجتمع المدني. إن مظاهر دستورية هذا المفهوم للمجتمع المدني لم تقتصر فقط على الإشارة الدقيقة والصريحة من طرف المؤسس الدستوري إلى ضرورة الملحة للممارسات الديمقراطية في تسيير الشؤون العامة، بل إن هذه المسألة وجدت عديد الدلالات غير المباشرة.

فتاريخيا بدء البحث عن مؤسسات يسمح بتوسيع إمكانات مشاركة المجتمع في تسيير الشؤون العامة، ومنذ عقود زمنية مضت كان الأمر متوقفا على مسألة في غاية الأهمية، تتلخص في أنه لا بديل عن التنظيمات المختلفة للمجتمع المدني تعمل إلى جانب مؤسسات الدولة، وإن إقامة الحكم على أسس

دستورية ترتضيها الإرادة الشعبية، ويلتزم بها الحاكم ضرورة لا مناص منها لتأطير وتنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية للحد من تعسف السلطة⁹.

وإذا كان النص الدستوري يقف عند حد المبادئ العامة والنص عليها فإن من يتولى تفصيلها سيكون بتدخل من طرف المشرع. وعليه فإنه وتطبيقا للنصوص الدستورية السالفة الذكر، فإن النصوص التشريعية المتعلقة بالإدارة المحلية في الجزائر¹⁰ قد تضمنت تفصيلات ما سبق من نصوص دستورية مما يتحقق معه الوجود الملموس للمجتمع المدني.

فالمادة 02 من قانون البلدية الجزائري¹¹ بقولها: "... ومكان لممارسة المواطنة، وتشكل إطار مشاركة المواطن في تسيير الشؤون العمومية"، قد حملت تعبيراً صريحاً عن الديمقراطية الإدارية، لاسيما وأن فكرة المواطنة تعتبر فكرة دستورية أكثر منها إدارية. ومن ثم فإن المشرع الجزائري بتبنيها ضمن قانون البلدية الجديد في بداية نصوصه يسعى في غالب الظن إلى التكريس الدستوري لها على المستوى الإقليمي.

وفي مظهر آخر من مظاهر الديمقراطية الإدارية على المستوى المحلي، فإن العديد من المصطلحات "التسيير الجوّاري"، "إعلام المواطنين بشؤونهم"، "إمكانية تقديم عرض من طرف رئيس المجلس الشعبي البلدي عن النشاط السنوي أمام المواطنين"، "الإطار الملائم للمبادرات المحلية"، كلها مفاهيم يستفاد منها تدخل المواطن في عملية التسيير للشأن العام على المستوى المحلي.

ويعود مفهوم المجتمع المدني من خلال بيان أدواره المختلفة ضمن قانون البلدية الجزائري نفسه ليظهر مقتربا جدا من التكريس التشريعي للديمقراطية الإدارية على ذلك المستوى، وفق ما نص عليه المادة 13 من قانون البلدية بالقول أنه: "يمكن رئيس المجلس الشعبي البلدي، كلما اقتضت ذلك شؤون البلدية أن يستعين بصفة استشارية، بكل شخصية محلية وكل خبير و/أو كل ممثل جمعية محلية معتمدة قانونا الذين من شأنهم تقديم أي مساهمة مفيدة لأشغال المجلس أو لجانه بحكم مؤهلاتهم أو طبيعة نشاطاتهم"¹².

ويقترّب نص المادة 83 من قانون الولاية الجزائري¹³ من ذلك بالنظر إلى المضمون الذي نص على أنه: "يطور المجلس الشعبي الولائي أعمال التعاون والتواصل بين المتعاملين الاقتصاديين ومؤسسات التكوين والبحث العلمي والإدارات المحلية من أجل ترقية الإبداع في القطاعات الاقتصادية، ويعمل على ترقية التشاور مع المتعاملين الاقتصاديين قصد ضمان محيط ملائم للاستثمار".

من ذلك المنطلق، فإن تدخل ممثلي الجمعيات بطلب من رئيس المجلس الشعبي البلدي، وكذا التشاور والتعاون والتواصل بين مؤسسات الدولة على مستوى الولاية، وبين المتعاملين الاقتصاديين هو أحد أبرز وأهم مظاهر التكامل بين فكرة الديمقراطية المحلية من جهة، ومنظمات المجتمع المدني من جهة أخرى.

وطبقا لما يعرف عن مبدأ التدرج القانوني من حيث تطبيقاته في الدولة، يكون للتنظيم وهو في مرتبة أدنى من التشريع، دور لا يقل أهمية عن التشريع في بيان معالم تلك العلاقة وأساسيات تكاملها بين مفهومي الديمقراطية الإدارية والمجتمع المدني. إذ أنه وفي مثال دقيق وواضح، عبر المرسوم الرئاسي المتعلق بالمرصد الوطني للمرفق العام¹⁴ عن ذلك وبصراحة تفوق ما سبق من استنتاجات وقراءات لنصوص تشريعية. إذ نصت المادة 4/04 منه على أنه: "... العمل على دفع وتشجيع مشاركة مستعملي المرفق وكذا المجتمع المدني في تحسين خدمات المرفق العام ...".

فالقراءة البسيطة والظاهرية لهذا النص لا تحتاج لأي تفسير أو استقراء للمفاهيم، بالنظر لدلالاتها الصريحة إلى التفاعل بين مستعملي المرفق العام من خلال ما يتلقونه من خدمات متنوعة، وبين مشاركة المجتمع المدني في عملية تحقيق المصلحة العامة عبر تأدية تلك الخدمات.

المبحث الثاني: التفاعل غير المباشر بين كل من المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية:

لعل تضمين بعض النصوص القانونية في الجزائر، والمنظمة للعلاقة بين الإدارة والمواطن¹⁵ هو أمر يشير إلى نوع من الديمقراطية الإدارية في التسيير للشأن العام. ففي هذا الإطار تحديدا، يستنتج الالتزام من طرف السلطة

التنفيذية بأحكام الدستور إلى حد بعيد ضمن أحكام هذا المرسوم. وعليه يعد ذلك بمثابة القراءة القانونية للعلاقة غير المباشرة بين كل من المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية (المطلب الأول)، والتي سيكون لها حتما من التداعيات والانعكاسات الإيجابية على التسيير الإداري عموما داخل الدولة (المطلب الثاني).

المطلب الأول: مظاهر التفاعل غير المباشر بين بعض مكونات المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية:

بالعودة بداية إلى الدستور، فإن نص المادة 39 يحمل مظهرا غير مباشر في تحديد العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية، إذ جاء فيه: "الدفاع الفردي أو عن طريق الجمعية عن الحقوق الأساسية للإنسان وعن الحريات الفردية والجماعية، مضموناً". لذا فإن معالم العلاقة بين المفهومين السابقين. وبالاستناد إلى مفهوم المجتمع المدني أولا، وما يصبو إليه بمنظوماته ثانيا تصبح واضحة.

فبنص المؤسس الدستوري على الدفاع عن حقوق الإنسان، فردية كانت أم جماعية، وعن طريق الجمعية يكون ذلك بمثابة التقرير والتأسيس لما يعرف بدسترة المجتمع المدني. بل إن الأمر يتضح أكثر إذا ما تعلق ذلك الدفاع وعلى المنوال السابق بالحريات الجماعية، وحينها يكون الاتصال بين المفهومين أقرب من الدفاع عن الحقوق الفردية.

وفي نفس الصدد تضيف كل من المادة 48، وكذا المادة 54 تدعيما لعمليات الاستنتاج السابقة بين الدور المهم لمنظمات المجتمع المدني، والتسيير للشأن العام داخل الدولة. فإذا كانت المادة 48 من الدستور تنص على أنه: "حريات التعبير، وإنشاء الجمعيات، والاجتماع، مضمونة للمواطن"، فإن ذلك يتضمن جانبا معينا في معالم تلك العلاقة، ربما يفترق إلى الوضوح في إبرازها.

غير أن ما ورد ضمن نص المادة 54 من الدستور يعتبر أكثر دلالة من سابقه. إذ نص المؤسس الدستوري الجزائري على أن: "حق إنشاء الجمعيات مضمون. تشجع الدولة ازدهار الحركة الجمعوية.

يحدد القانون العضوي شروط وكيفيات إنشاء الجمعيات".

بتمتع شديد لمضمون هذا النص، لاسيما الفقرتين الثانية والثالثة منه، يستنتج من ذلك أمرين اثنين. الأول، وهو الإقرار الصريح، وإلى أبعد الحدود من طرف المؤسس الدستوري بمفهوم المجتمع المدني وخصوصا من حيث مكوناته. والوضع هاهنا لا يحتاج إلى بيان من أن ازدهار الحركة الجمعوية هي أبرز وأهم مظاهر وصور مشاركة هذه الجمعيات ومساهماتها في تسيير الشأن العام، أيا كانت طريقة ذلك سواء بالاستشارة أو عن طريق ما تتقدم به من مقترحات.

وإذا كان هذا النص لا يربط بين الفكرتين (المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية)، إلا أن العلاقة بين هذين الاصطلاحين تبدو بشكل غير مباشر، ويعود في حد ذاته إلى الغاية من وراء عملية التشجيع من طرف الدولة لازدهار الحركة الجمعوية، فأى غاية من وراء ذلك تصبو إليها الدولة، إن لم تكن حتمية إشراك تلك الجمعيات في تسيير الشؤون العامة؟

أما الأمر الثاني، فهو مسألة إنشاء وتنظيم الجمعيات بموجب قانون عضوي، وذلك بعدما كان تنظيمها بموجب قانون عادي¹⁶. في هذا الوضع بالذات يمكن القول - من وجهة نظر معينة - أن أهمية وجود الجمعيات داخل المجتمع مهما كان نشاطها، فإن التنظيم القانوني والمتميز لها قد رافق تلك الأهمية الاجتماعية.

ويرجع ذلك أساسا لأهم الاعتبار المتمثلة في اقتران ممارسة الحريات العامة بوجود تنظيم تشريعي لها من خلال تدخل من المشرع بسنه للنصوص المتعلقة بها. وعليه فإن الاستناد إلى المعيار الشكلي يجعل القانون العضوي هو الأداة القانونية المناسبة لكيفية إنشاء وتنظيم الجمعيات.

ويستند ذلك على أن ضرورة المطالبة بتنظيم ممارسة الحريات العامة للمواطنين بموجب قوانين عضوية¹⁷ والتي لها من الخصوصية والتميز عن القوانين العادية يجعل منها فعلا مادة دستورية لا يجوز اقتحامها من قبل المشرع من خلال مجرد مصادقته عليها بموجب أغلبية عادية¹⁸، لاسيما وأنها في حد ذاتها تختلف وتتفاوت من حيث التدخل التشريعي بشأنها.

وعلى ذلك الأساس، يكون تأثر حرية إنشاء الجمعيات حتماً بذلك التفاوت في الأدوات القانونية. كما أن ذلك التأثير - الإيجابي - لتلك الحرية إنما يستنتج مما تتمتع به القوانين العضوية من مرتبة وسمو مقارنة بالقوانين العادية.

إن كل ذلك يعني شيئاً محدداً مفاده وجوب أن تكون كل إحالة من الدستور إلى المشرع بقانون ووفقاً للمعيار الموضوعي في تعريف القوانين الأساسية، والمواضيع التي يختص بها بأداة القانون العضوي. على أن يحرص المؤسس الدستوري على إدراجه في صلب الدستور له قيمة الدستور وبمفهوم المخالفة فإن خلوه منها يجرده من تلك القيمة.

ونتيجة لذلك فإن اتصال أي تنظيم تشريعي، كما قرر الدستور يجب صدوره بقانون، أو وفقاً للقانون، أو في الحدود التي يبينها القانون، وعندئذ يكون مكماً للدستور من جهة ثانية¹⁹، وبالتالي اعتباره قانوناً أساسياً، حيث يمكنه بذلك إضافة اختصاصات أخرى، إلى مجال اختصاصه، طالما أن المقصود بذلك هو تكملة النص الدستوري.

على أن لا تكون هذه الاختصاصات، ثابتة بالنص الدستوري، من جهة أولى، وأن لا يمتد هذا التفسير إلى المساس بروح الدستور، أو تعديله تقييداً بمبدأ التدرج²⁰. وهناك تبدو واضحة عملية التكامل بين دسترة المجتمع المدني، وسمو النظام القانوني لأهم صور ممارسة نشاطه وتحقيق أهدافه والقصد من ذلك الجمعيات.

وفي موضع آخر من الدستور، وإن كان يختلف في مضمونه عما سبق، إلا أنه يقترب ويتحد مع سابقه من حيث الغاية والهدف من وراء وجود منظمات المجتمع المدني، والأمراً هنا يتعلق بنص المادة 70 من الدستور التي تنص على أن: "الحق النقابي معترف به لجميع المواطنين".

ومن ثم يضاف هذا الحق الذي يشكل صورة أو مظهر آخر من مظاهر منظمات المجتمع المدني، وهي النقابات، إلى النشاط الجمعوي على المنوال السابق، وحينها يمكن القول بتعدد آليات تدخل المجتمع المدني ومساهمتها في

الحياة العامة للدولة والمجتمع على حد سواء، بتعدد مواضع النص الدستوري على تلك الآليات وهو ما يجعلها في مصاف المسائل الدستورية.

وبناء على تلك الأسس الدستورية السابقة، توالى مواضع دسترة وتكريس دور المجتمع المدني في صنع السياسات العامة، ولو بشكل غير مباشر دائما. يظهر ذلك واضحا ضمن نص المادة 194 من الدستور الجزائري والمتعلقة بتشكيل الهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات²¹، والتي تنص على أنه: "تحدث هيئة عليا مستقلة لمراقبة الانتخابات.

ترأس الهيئة شخصية وطنية يعينها رئيس الجمهورية، بعد استشارة الأحزاب السياسية.... تتشكل الهيئة العليا بشكل متساو من : - قضاة يقترحهم المجلس الأعلى للقضاء، ويعينهم رئيس الجمهورية.

- وكفاءات مستقلة يتم اختيارها من ضمن المجتمع المدني، يعينها رئيس الجمهورية....".

فيتضح من خلال هذا النص الدستوري أنه يشتمل على مظهران يعبران تعبيرا صريحا عن دور المجتمع المدني في صنع السياسة العامة للدولة²²، خصوصا وأن الأمر يتعلق بمراقبة إحدى أهم الآليات لممارسة النيابة عن الشعب في تقريره وكذا إقراره لمختلف جوانب التسيير العام لمختلف شؤون المجتمع برمته.

وعلى سبيل المقارنة بين بعض الدساتير ، فإن الدستور المغربي²³ تضمن نصا صريحا لما سبقوتحديدا ضمن نص الفصل 12 منه بقوله:"تؤسس جمعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية وتمارس أنشطتها بحرية، في نطاق احترام الدستور والقانون ... تساهم الجمعيات المهتمة بقضايا الشأن العام والمنظمات غير الحكومية في إطار الديمقراطية التشاركية في إعداد قرارات ومشاريع لدى المؤسسات المنتخبة والسلطات العمومية، وكذا في تفعيلها وتقييمها، وعلى هذه السلطات والمؤسسات تنظيم هذه المشاركة²⁴، طبقا لشروط وكيفية يحددها القانون...".

ولا ينطبق الاستقراء لصور تكامل العلاقة بين المجتمع المدني وديمقراطية الإدارة في الدولة على ما سبق من استنتاجات بناء على نصوص

دستورية فقط، بل شمل تكامل تلك العلاقة، ووجد تطبيقاً له حتى في ظل النصوص التنظيمية المتعلقة بهذا الشأن.

إذ يظهر ذلك بشكل واضح تماماً في ما نصت عليه كل من المادتين 02 و03 من المرسوم 88 - 131 حيث نصت المادة الثانية على أنه: "يقع على المؤسسات والهيئات والإدارات العمومية وأعوانها واجب حماية حريات المواطن وحقوقها التي اعترف بها له الدستور والتشريع المعمول به"²⁵.

وفي نفس الإطار تضيف المادة 03 من المرسوم 88 - 131 بالقول أن: "يجب على الإدارة أن تحوّل إن أبسط الأمور التي يمكن ملاحظتها من الوهلة الأولى على هذا النص هو إيجابيته إلى أبعد الحدود على حقوق وحريات المواطن، لاسيما في علاقته بالإدارة العامة في الدولة، والتي هي علاقة حتمية وبديهية، لا يمكن عدم تصورها إطلاقاً في ظل الاحتكاك الدائم للمواطن بمختلف الإدارات العمومية في الدولة، والقائمة على تلبية حاجياته ومصالحه المتنوعة.

بل الأكثر من ذلك هو توضيحه لمعالم وتفصيل تلك العلاقة سواء من حيث مضمونها، إذ تتطلب كل مقتضيات المعاملة اللطيفة من طرف أعوان الإدارة للمواطنين، أو من حيث الشكل انطلاقاً مما يفهم من تتابع لنصوص المواد المتعلقة بذلك، بدءاً من المادة الأولى إلى غاية المادة السابعة من أحكام المرسوم 88 - 131 المنظم للعلاقات بين الإدارة والمواطن.

وفي كل تلك الممارسات، وعلى ذلك النحو لا يمكن على الإطلاق تصور اختفاء الأدوار المختلفة للمجتمع المدني، مهما كان شكل ومظهر الممارسة لتلك الأدوار، وذلك تحقيقاً للمصلحة العامة بوجه عام.

المطلب الثاني: تقييم العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية الإدارية في الدولة:

إن الحقيقة المتعارف عليها هي أن المصلحة العامة تمثل غاية العمل الإداري ومناطه، ذلك أن مشروعية تصرفات الإدارة إنما تتوقف على مدى تحقق هذه الفكرة. فسلامة العمل الإداري تدور وجوداً وعدماً مع ما يحققه من مصلحة عامة، هذه الأخيرة والتي هي في حد ذاتها متعددة الجوانب ومختلفة الصور

والمظاهر. فعلى سبيل الذكر والمثال لا للحصر والتحديد، يكمن في أهم تلك المظاهر هي القضاء على الممارسات البيروقراطية ومواطن الفساد داخل الإدارة²⁶. كل ذلك بهدف الى الوصول إلى تسيير إداري راشد، وليس مجرد انتهاز إجراءات إدارية معينة تأخذ شكل ضبط للعمل الإداري، بل لابد من التوصل إلى إطار مرجعي تطويرا للعمل والسلوك داخل الإدارة تغذيه في ذلك روح المواطنة الصادقة تكريسا للدستور من باب أولى.

ومن ذلك المنطلق، تثار وتبرز مسألة الأخلاق، كمقاربة للتقرير والتسيير، والتي هي تأكيد على تفادي واجتناب كل السلوكات غير القانونية والمشيئة من ناحية، وضرورة مكافأة وتشجيع السلوك الملتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية، وروح المسؤولية من ناحية أخرى.

وبالرجوع إلى علاقة الإدارة بالمواطن وفق ما سبق من مفاهيم، فإن كل ذلك يقود إلى نتيجة معينة مفادها أنه من حق المواطن أن يتعرف على كيفية استثمار الإدارة في الدولة للسلطة، والتصرف في الموارد التي تحت مسؤولياتها، مما يفرض على هذه الأخيرة تسهيل الوصول إلى المعلومات الرسمية قصد تشجيع الشفافية، والاعتراف بالدور الذي تقوم به وسائل الإعلام المستقلة.

إن ذلك من شأنه بيان وتوضيح المضمون الحقيقي للتنمية، والذي هو بث وتقوية الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية والمجتمعية لتنمية المجتمع عامة، مع تدعيم الشعور بالممارسة الفعلية لهذه المسؤولية شريطة أن تكون التنمية متكاملة تغطي بشمول واتساق كافة مجالات الحياة، وينخرط في جهودها كافة المواطنين، والمنظمات الحكومية والشعبية²⁷.

وعندئذ يمكن القول أن تأثر الجانب السياسي والاجتماعي للدولة بأكملها بكل ذلك سيبدو واضحا تماما، خاصة وأنعدام الثقة يكون حتى في العملية الانتخابية التي انتهت نتائجها إلى عدم تمثيل إرادة الناخبين، وحينها لم تقم الانتخابات بأداء دورها الحقيقي²⁸. والنتيجة حينها أن عدم ثقة الفرد في رجال السياسة، والشك السياسي، والشك في المجتمع خاصة قياداته يدفعان إلى السلبية السياسية²⁹ كما أن ثقافة الانسحاب لدى الفرد، وانعدام ثقته

بالآخرين، وخوفه من السلطة تدفعه إلى تجنب تلك المشاركة من أساسها، والعزوف حتى على مجرد القيام ببعض التصرفات المؤدية لها³⁰.

وبمنطق المخالفة لكل ما سبق من جهة، والوقوف على حقيقة الإقرار بالدور المهم للمجتمع المدني بمختلف أطيافه من جهة ثانية، فإنابتعاد الفرد عن السلبية و اللامبالاة يعتمد على فعالية النسق السياسي، وما يسوده من أفكار وتوازن كخطوة أولى.

وبشكل خاص تحديدا ما يتعلق بالحريات، الديمقراطية مسألة الشرعية وتدعيم منظمات المجتمع المدني، وضمان حيادها حتى لا تكون أداة في يد الإدارة والأمن، وعلى توفير وضمان الظروف الملائمة للحياة الكريمة، وذلك مبني طبعاً على مدى التطور والتقدم والاستقرار الذي تشهده مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى الثقافية.

والقول بما سبق في هذا الخصوص، وفي أبسط مثال لذلك بتغيب - إن صح القول - دور منظمات المجتمع المدني في التسيير العمومي لمختلف الشؤون لاسيما منها الشؤون الإدارية، مما يعني أن ظاهرة الفساد مثلاً، وفي عديد مسبباتها تعود إلى ضعف التنظيمات المختلفة للمجتمع المدني، وكذا تفضيل المصالح الخاصة على المصالح العامة³¹.

لذلك كله فإن نمط العلاقة بين الدولة ككل والمجتمع المدني، يتطلب لترقيته والنهوض بمستواه المثالي والنموذجي تقويض أسس الفساد الإداري ومظاهره. وبالمقابل ضرورة العمل على إشاعة أساسيات الحكم الصالح ومتطلباته، والتي من بين أهمها توسع نطاق الديمقراطية، وما تتطلبه دعائم الرقابة والمساءلة من جانب المجالس المنتخبة، والأجهزة الرقابية ومنظمات المجتمع المدني، وذلك لتحقيق أكبر قدر من الشفافية في مختلف آليات العمل الإداري في الدولة³².

إن تلك الرقابة تضاف إلى رقابة من نوع آخر - قد تسبقها في غالب الأحيان من حيث الممارسة العملية - وهي الرقابة الإدارية، والتي تعني في عمومها كشف أسباب الانحراف في الجهاز التنفيذي وتنوير الإدارة العليا إلى

مواطن الخطأ والزلل، وجوانب القصور أو الإهمال، ومن ثم العمل على تصحيح مسار عملية التنفيذ، وفق معالجة وإزالة بؤر القصور ومصادر تلك الانحرافات³³. ولن يكون وفق هذا الوضع من حيث اتحاد أو تتابع مظاهر الرقابة على أعمال الإدارة العامة، أي احتمال للشك في مصداقية وشفافية ما تتخذه تلك الإدارة من أعمال في سبيل تحقيق المصلحة العامة للمواطن والذي سوف يكون في موضع ارتياح واطمئنان قد يكون شبه تام، اتجاه تلك الأعمال الصادرة عن الإدارة خصوصا باشتراك مكونات المجتمع المدني في إقرارها أو تنفيذها.

خاتمة:

إن الحديث عن مكونات المجتمع المدني داخل الدولة يستند بوجه عام على أساسين: من حيث ضرورته وحقيقته، من جانب آثاره وانعكاساته. بمعنى أدق، أنه لا يمكن على الإطلاق، وفي ظل التطورات المستمرة بين الحين والآخر داخل الدول، لاسيما من الناحية السياسية والدستورية إنكار الوجود الفعلي لمظاهر المجتمع المدني، مهما كانت سلطة الدولة اتجاه هذا الأخير من حيث تأطيره، وذلك ما فرضته حقيقة تطورات الممارسات الديمقراطية على مختلف الأصعدة. وما دام الأمر كذلك، ووفق نفس المنطق، فإن مشاركة منظمات المجتمع المدني، والتي كانت سببا في وجودها أصلا تظهر من حيث ما ترتبه تلك المشاركة من آثار وتداعيات، أدنى ما يكون منها واضحا يتمثل في نوع من المساهمة الاجتماعية عموما في تأطير وتنظيم الحياة العامة للمجتمع. غير أن صورة التأثير الواضح لمنظمات المجتمع المدني، ومن ثم الارتقاء بذلك من مجرد المساهمة إلى مرتبة حقيقة التأثير الفعلي، تبدو واضحة تماما من خلال ما حظي به المجتمع المدني من تنظيم قانوني بالغ الأهمية وعلى مستوى مختلف النصوص القانونية ضمن تدرجها سموا ومرتبة، بل يكفي كل ذلك دليلا التكريس الدستوري لبعض مضامينه، وحقيقة مساهماته في وضع ديمقراطية التسيير الإداري موضع التطبيق.

الهوامش -

- 1 - ينظر حول هذا التعريف الأستاذ الدكتور، سعد الدين إبراهيم، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي - الديمقراطية - الكتاب الأول، القاهرة، مركز دراسات التنمية والسياسة الدولية، ديسمبر 1991.
- 2 - الأستاذ الدكتور، ناجي عبد النور، المدخل إلى علم السياسة، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، الطبعة 2007، ص 171.
- 3 - الأستاذ الدكتور، بومدين طاشمة، دراسات في التنمية السياسية في بلدان الجنوب (قضايا وإشكاليات)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، طبعة 2011، ص 132.
- 4 - ينظر تفصيل أكثر الأستاذ الدكتور، ثامر كامل محمد، المجتمع المدني والتنمية السياسية (دراسة في الإصلاح والتحديث في العام العربي)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثالثة 2014، ص 13 وما يليها.
- 5 - الأستاذ الدكتور، محمد بوراس الشافعي، الوسيط في القانون الإداري، دار النصر، الزقازيق، مصر، الجزء الأول، 2003 ص 08.
- 6 - تنص المادة 2/143 من الدستور الجزائري الحالي الصادر بموجب القانون رقم 16 - 01 المؤرخ في 06 مارس 2016 يتضمن التعديل الدستوري، ج.رج.ج عدد 14 الصادرة بتاريخ 07 مارس 2016، على أنه: "... يندرج تطبيق القوانين في المجال التنظيمي الذي يعود للوزير الأول".
- وفي السياق ذاته تضيف المادة 99 - 2 على أنه: "يمارس الوزير الأول، زيادة على السلطات التي تخولها إياه صراحة أحكام أخرى في الدستور، الصلاحيات الآتية: يسهر على تنفيذ القوانين والتنظيمات يسهر على حسن سير الإدارة العمومية".
- 7 - ينظر في هذا المعنى الأستاذ الدكتور، عمار عوابدي، مبدأ تدرج فكرة السلطة الرئاسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1984، ص 19.
- 8 - من بين عديد الإشارات غير المباشرة للمجتمع المدني في الدستور هي ما تضمنته ديباجة هذا الأخير إذ جاء فيها: "... إن الشعب الجزائري ناضل ويناضل دوما في سبيل الحرية والديمقراطية، وهو متمسك بسيادته واستقلاله الوطنيين، ويعتزم أن يبني بهذا الدستور مؤسسات، أساسها مشاركة كل جزائري وجزائرية في تسيير الشؤون العمومية، والقدرة على تحقيق العدالة الاجتماعية، والمساواة وضمان الحرية لكل فرد، في إطار دولة ديمقراطية وجمهورية يكفل الدستور الفصل بين السلطات واستقلال العدالة والحماية القانونية، ورقابة عمل السلطات العمومية في مجتمع تسوده الشرعية، ويتحقق فيه تفتح الإنسان بكل أبعاده ...".

- ⁹ - ينظر تفصيل أكثر الدكتور، ثامر كامل محمد، المجتمع المدني والتنمية السياسية (دراسة في الإصلاح والتحديث في العام العربي) المرجع السابق، 79 وما بعدها.
- ¹⁰ - إن الإشارة إلى قوانين الإدارة المحلية في الجزائر - على سبيل المثال - في هذا الموضوع بالذات هو بيان وبصفة واضحة للدور المنوط والمنصوص عليه صراحة لمنظمات المجتمع المدني، وبصريح النصوص القانونية. وعليه فإن الأمر لا يعني إهمال الإشارة إلى دور منظمات المجتمع المدني على المستوى المركزي، بل إن كل ما في الأمر هو تفاوت لوضوح تلك الأدوار، سواء من حيث أهمية المسألة، أو من حيث ضرورة تبني مختلف الآراء والتوجهات والاقتراحات مهما كان مصدرها.
- ¹¹ - القانون رقم 11 - 10 المؤرخ في 22 جوان 2011 يتعلق بالبلدية، ج.ج.ج. عدد 37 الصادرة بتاريخ 03 جويلية 2011.
- ¹² - في نفس السياق كذلك تنص المادة 2/119 من قانون البلدية على أنه: "... تشجع وتنظم بصفة خاصة كل جمعية سكان تهدف إلى حماية وصيانة وترميم المباني أو الأحياء". فالوضع إذن لا يقتصر على مجال محدد يعد بمثابة نطاق ممارسة منظمات المجتمع المدني لأدواره المهمة كالجانب الاقتصادي فقط، بل يشمل مختلف الجوانب الأخرى كالجانب الاجتماعي الذي لا يقل أهمية عن بقية الجوانب.
- ¹³ - القانون رقم 12 - 07 المؤرخ في 21 فبراير 2012 يتعلق بالولاية، ج.ج.ج. عدد 12 الصادرة بتاريخ 29 فبراير 2012.
- ¹⁴ - المرسوم الرئاسي رقم 16 - 03 المؤرخ في 07 جانفي 2016 المتضمن إنشاء المرصد الوطني للمرفق العام، ج.ج.ج. عدد 02 الصادرة بتاريخ 13 جانفي 2016.
- ¹⁵ - المرسوم رقم 88 - 131 المؤرخ في 04 جويلية 1988 ينظم العلاقات بين الإدارة والمواطن. ج.ج.ج. عدد 27 الصادرة بتاريخ 06 جويلية 1988.
- ¹⁶ - وذلك قبل التعديل الدستوري الأخير لسنة 2016، باعتبار أن نص المادة 43 قبل هذا التعديل كانت تنص على أنه: "... يحدد القانون شروط وكيفيات إنشاء الجمعيات".
- ¹⁷ - مع أن البعض يستثني أداة التشريع بأوامر. ذلك أنه وحسب ذات الاتجاه فإن عدم شمول التشريع بأوامر سببه يعود لما تضمنته المادة 141 من الدستور بخصوص القوانين العضوية، وهذا سوف يكون له - بالتأكيد - من التأثير الإيجابي على الحريات، مما يجعلها في مأمن من تدخل سلطة التنفيذ بشأنها. ينظر في ذلك الدكتور، نصر الدين بن طيفور، السلطات الاستثنائية لرئيس الجمهورية الجزائري والضمانات الدستورية للحقوق والحريات العامة، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، 2003 ص 107، 108.

- 18 - إن القانون العضوي يعد بهذا المفهوم قانونا ذو طبيعة خاصة، تستمد من وظيفته التي يقوم بها، وهي وضع التنظيمات الدستورية موضع التطبيق، كما تستمد من الإجراءات الخاصة والتي لا بد من إتباعها في إصداره، إلى جانب إجراءات إصدار القوانين العادية. ومن ثم فهو يشغل مكانة خاصة في سلم تدرج القواعد القانونية. ينظر في ذلك، دعاء الصاوي يوسف، القوانين الأساسية وعلاقتها بالسلطة والحريات، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، القاهرة 2008، ص 45.
- 19 - ينظر في ذلك، الأستاذ الدكتور شاكر راضي شاكر، اختصاص القاضي الدستوري بالتفسير الملزم، دراسة تأصيلية تحليلية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2005، ص 208.
- 20 - الأستاذ الدكتور، عبد الحفيظ الشبمي، القضاء الدستوري وحماية الحريات الأساسية في القانون المصري والفرنسي، دار النهضة العربية القاهرة 2001، ص 430.
- 21 - جدير بالإشارة في هذا الموضوع أن التعديل الدستوري الأخير في الجزائر لسنة 2016 هو الذي استحدث هذه الهيئة لمراقبة الانتخابات بعدما غاب النص عليها ضمن التعديلات السابقة.
- 22 - الأمر هناك يتعلق بكل من الأحزاب السياسية والتي تعد من خلال نشاطها كمظهر أول إحدى أبرز تشكيلات المجتمع المدني في دور العالم، بالنظر للدور الهام الذي تلعبه على مستوى الساحة السياسية، وبشكل خاص أثناء المواعيد الانتخابية ومختلف الاستحقاقات لاسيما في الأنظمة الديمقراطية.
- أما **المظهر الثاني**، والواضح تماما من خلال النص الدستوري، هو مشاركة المجتمع المدني، ممثلا في إحدى شخصياته البارزة ضمن تلك الهيئة في مراقبة الانتخابات، بعد تعيينه من طرف أعلى سلطة في الدولة، ألا وهو رئيس الجمهورية، وذلك ما يجعله في مركز ممتاز - إن صح القول - اتجاه ما يمكن أن يعيق مشاركته ومساهمته على النمط السابق.
- 23 - التعديل الدستوري لسنة 2011. ظهير شريف رقم 91.11.1 صادر في 27 من شعبان 1432 الموافق ل 29 يوليو 2011 بتنفيذ نص الدستور. الجريدة الرسمية عدد 5964 الصادرة بتاريخ 28 شعبان 1432 الموافق ل 30 يوليو 2011.
- 24 - تأكيداً على تلك الصور والمظاهر الديمقراطية لعملية المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمصلحة العامة للمواطن، وتفاعل جميع الفاعلين في ذلك، تضيف الفقرة 04 من الفصل 12 من الدستور المغربي بأن: "... يجب أن يكون تنظيم الجمعيات والمنظمات غير الحكومية وتسييرها مطابقاً للمبادئ الديمقراطية".

- 25 - وإن كان نص المادة 04 من المرسوم قد ألزم السلطات الإدارية في عملها باحترام كل من القوانين والتنظيمات. ومن ثم، يمكن القول أن تلك التنظيمات ستكون حتما مطابقة للمقتضيات التي تضمنها القانون من دون أية مخالفة لها تحت عنوان احترام النصوص الدستورية بالدرجة الأولى، وذلك على اعتبار النص التنظيمي يكون في هذه الحالة بمثابة القانون الذي يتضمن قواعد عامة ومجردة.
- 26 - عرف الفساد الإداري على أنه: "السلوك المنحرف عن الواجبات الرسمية محابة لاعتبارات خاصة كالأطماع المالية، والمكاسب الاجتماعية وارتكاب مخالفات للقوانين والتنظيمات المعمول بها لاعتبارات شخصية". حول هذا التعريف ينظر الدكتور، محمود محمد معابرة، الفساد الإداري وعلاجه في الشريعة الإسلامية (دراسة مقارنة بالقانون الإداري)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن الطبعة الأولى 2011 ص 94.
- 27 - الدكتور، سعد طه علام، التنمية ... والمجتمع، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006، ص 33.
- 28 - ينظر في ذلك الدكتور، العربي صديقي، إعادة التفكير في الديمقراطية العربية، انتخابات بدون ديمقراطية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى، 2010، ص 115.
- 29 - الدكتور، شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، 2001، ص 178.
- 30 - الدكتور، خالد عبد العزيز شريدة، الديمقراطية و التربية في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى 2001 ص 124.
- 31 - حول هذه الفكرة ينظر الدكتور، محمود محمد معابرة، الفساد الإداري وعلاجه في الشريعة الإسلامية (دراسة مقارنة بالقانون الإداري) المرجع السابق، ص 115.
- 32 - الدكتور، ثامر كامل محمد، المجتمع المدني والتنمية السياسية (دراسة في الإصلاح والتحديث في العام العربي)، المرجع السابق، ص 94، 95.
- 33 - ينظر في هذا المعنى الأستاذ الدكتور، محمد عبد الحميد أو زيد، مبادئ الإدارة العامة (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية 1988، ص 258.



الحوافز وأثرها على رضا الموظفين الإداريين

دراسة ميدانية بجامعة غرداية

Incentives and their impact on the satisfaction of administrative staff

Field study at Ghardaia University

حياة عيشاوي¹، حميد قرليفة²

1- جامعة غرداية

2- جامعة غرداية

¹hayathayat1241@gmail.com

²monciegaloul@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-09-07

ملخص -

نهدف من خلال ورقة بحثنا هذه إلى إبراز دور وأهمية الحوافز باعتبارها أحد أهم العناصر في مختلف المؤسسات المعاصرة والمتطورة في وقتنا الراهن ، كما أنها تختلف وتتنوع من مزايا مادية والأخرى معنوية ، إضافة إلى أن لها تأثير مباشر على الجانب النفسي والاجتماعي للعامل إما بالرضا عن المؤسسة التي ينتمي إليها وعن محتوى المهام التي يريد إنجازها أو عدم الرضا عن هذا كله ، فينعكس ذلك على مستوى الأداء الوظيفي ، وبالتالي نجده يؤثر وبشكل كبير على كفاءة وفعالية المؤسسة إما بالفضل أو الوصول إلى النجاح والتطور أمام المؤسسات الأخرى رغم وجود تغيرات سريعة يشهدها العالم وكذا المنافسة الشديدة الموجودة بين المؤسسات.

الكلمات الدالة -

الحوافز¹، الحوافز المادية²، الحوافز المعنوية³، الرضا الوظيفي⁴، الموظفين الإداريين⁵.

Abstract-

The Aim Of This Research Paper Is To Highlight The Role And Importance Of Incentives As One Of The Most Important Elements In The Various Contemporary And Advanced Institutions In Our Time. It Also Differs From Material And Moral Advantages, And Has A Direct Impact On The Psychological And Social Aspect Of The Worker. To The Content Of The Tasks That He Wants To Accomplish Or Dissatisfaction With All Of This, This Is Reflected In The Level Of Functionality, And Therefore We Find Significantly Affect The Efficiency And Effectiveness Of The Institution Either Failure Or Access To Success And Development In Front Of Other Institutions, Despite The Rapid Changes In The World As Well As Intense Competition Among Institutions.

Key Words-

Incentives, Material Incentives, Moral Incentives, Job Satisfaction, Administrative Staff.

1. - مقدمة

يعتبر العنصر البشري أحد أهم موارد المؤسسة وأثمنها والذي يحقق لها انفرادها وتميزها عن غيرها من المؤسسات الأخرى في بيئة تتسم بالمنافسة الشديدة والتغير السريع، وهذا ما دفع بأي مؤسسة إلى إعادة النظر في هذا المورد والاهتمام به لأنه يعد مصدر أساسي في نجاحها وتطورها أو فشلها أمام المؤسسات الأخرى ولكي تحافظ المؤسسة على بقائها واستمرار عملها لابد عليها من اختيار توليفة من الحوافز بنوعيتها مادية والأخرى معنوية تتناسب مع ما يمتلكه العمال من قدرات ومهارات فنية وما يبذلونه من جهود أثناء إنجاز المهام المكلفين بها من قبل الجهاز الإداري، وهذا ما يشعرون بالارتياح والرضا عن المؤسسة ويزيد من اقتناعهم بها، وعن طريق الحوافز تستطيع المؤسسة الاحتفاظ بعمالها وضمان بقاءهم فيها، مما يكسبها مكانة ذات أهمية وقيمة أمام المؤسسات الأخرى.

2. - الإشكالية

يحظى موضوع الحوافز باهتمام وانشغال معظم الباحثين والعلماء في مختلف التخصصات كعلم الاجتماع وعلم النفس والسلوك التنظيمي وتجسد هذا في أبحاثهم العلمية الهادفة كدراسة "فريدريك تايلور" الذي اهتم بالجانب المادي للعامل و"التون مايو" الذي اهتم به معنويا، وأيضا ظهر جدل كبير حول

هذا الموضوع ما يدل على أهمية مفهوم الحوافز في بيئة العمل الداخلية للمؤسسة، فهي تعمل على تحديد وتوجيه تصرفات وسلوكيات الأفراد العاملين في مكان العمل، وفي نفس الوقت نجدها عبارة عن مزيج من المزايا المادية والأخرى معنوية ولها تأثير كبير على ما يؤديه العمال من وظائف، وفي نفس الوقت نجد لكل مؤسسة منظومة من الحوافز خاصة بها تختلف عن المؤسسات الأخرى تساعدها على تحقيق أهدافها المحددة والمراد الوصول إليها وطبعاً هذا لا يتحقق إلا إذا تمكنت من تلبية وإشباع حاجات العمال سواء كانت مادية أو معنوية بما يشعرهم بالارتياح والاطمئنان في جانبهم النفسي والاجتماعي، وهذا ما يدفعهم إلى ممارسة الوظائف بشكل يرضي إدارة المؤسسة، كما تساهم الحوافز في تطوير كل ما يمتلكه العمال من قدرات وكفاءات مهنية تعمل على رفع من مستوى الأداء الوظيفي ما يجعل المؤسسة تحافظ على بقائها واستمرارها أمام المؤسسات الأخرى، ونظراً لما تؤديه الحوافز من أدوار وتأثيرات على المؤسسة والفرد العامل فإننا سنحاول في دراستنا هذه التطرق لهذا الموضوع من زاوية تأثير الحوافز بنوعيتها المادية والمعنوية على الرضا الوظيفي لدى العامل من خلال طرحنا للإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن للحوافز أن تؤثر على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية؟

وبناء على هذا التساؤل تحددت الأسئلة الفرعية التالية:

- 1 - هل للحوافز المادية تأثير على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية؟
 - 2 - هل للحوافز المعنوية تأثير على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية؟
- انطلاقاً من التساؤلات المطروحة سابقاً تضمنت دراستنا الفرضيات التالية:
- 1 - الحوافز المادية لها تأثير على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية.
 - 2 - للحوافز المعنوية أثر على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية.
 3. - تحديد المفاهيم

1.3 - مفهوم الحوافز

والحوافز في معجم المصطلحات في العلوم الاجتماعية بأنها "الأسباب الحقيقية للسلوك الإنساني التي توجه سلوك الناس وتحدد اتجاهاتهم، وتختلف

الحوافز شدة أو ضعفاً أو شمولاً أو حصراً، وجوداً أو عدماً باختلاف السن والمكانة الاجتماعية." □

2.3 . - الحوافز المادية

هي تلك الحوافز التي تشبع حاجات العامل المادية مثل (الحاجة إلى الأكل، الملبس، السكن...)، وتشمل الأجر والمكافآت المادية بر.

3.3 . - الحوافز المعنوية

وهي التي لا تعتمد على المال للتحفيز، إنما تركز على معايير أساسها الاحترام والتقدير للعنصر البشري تر.

4.3 . - الرضا الوظيفي

كما يعرفه "فروم"، "Vroom"، بأنه "توجه عاطفي من جانب الأفراد نحو العمل التي يشغلونها باستمرار ير.

ويعرف أيضاً على أنه "حالة سرور أو مشاعر إيجابية تنتج عن تقييم العامل لوظيفته أو خبراته الوظيفية ويتحدد الرضا وفقاً للتفاعل بين العناصر المكونة لبيئة العمل "سم.

3 . - أهداف الدراسة

1 - نهدف من خلال هذه الدراسة إلى محاولة إبراز العلاقة الموجودة بين الحوافز بنوعها المادية والمعنوية.

2 - محاولة التعرف على أهم الحوافز الممنوحة داخل المؤسسة والتي لها تأثير كبير على الجانب النفسي والاجتماعي للعامل داخل المؤسسة.

4 . - الإطار النظري للدراسة

1.4 . - أهمية الحوافز

1 - أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، للنشر والتوزيع، لبنان، 1981م، ص1.

2 - علي السلمي، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، ط1، دار غريب للنشر والتوزيع، مصر، 1985م، ص302.

3 - عبد العزيز خوجة، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي للعامل، ط2، دار المحمدية العامة للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون ذكر السنة، 12.

4-BrikendAziri ,Job satisfaction :Aliterature Review, Management ResearchAnd ,Vol.NO4 , 2011,P77.

5 - أحمد يوسف دودوين، إدارة الأعمال، اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 160.

يعتبر التحفيز شيئاً لا غنى عنه في المؤسسات، فهي ذات أهمية كبرى وتأثير فعال في تيسير عملية تقديم الخدمات، فإذا ما استخدمت بطريقة عقلانية يؤدي إلى جودة ونوعية الخدمات المقدمة وإشباع حاجات العمال المختلفة، ويمكن تلخيص هذه الأهمية في:

- 1 - يحقق نظام الحوافز الفعال الزيادة في العوائد المحققة للمؤسسة من خلال رفع الكفاءة في نوعية الخدمات للأفراد العاملين، فالاختيار الصحيح والدقيق للحافز المادي والمعنوي يؤدي إلى دفع العاملين بدل الجهد في الأداء.
- 2 - تحسين الوضع المادي والاجتماعي والنفسي للفرد وتحقيق عملية ربط المصالح الذاتية للفرد مع مصالح المؤسسة. □

3 - إن عملية التحفيز التي تقوم بها المؤسسة تدفع العاملين نحو القيام بسلوكيات إما أن تكون إيجابية أو سلبية حول ما يمارسونه من وظائف داخل مكان العمل بر

2.4 . - أنواع أنظمة الحوافز

نجد أن المؤسسة تستخدم حوافز مختلفة حسب طبيعتها وأهميتها

أ - حوافز على مستوى الفاعلين

تعمل المؤسسة على توفير تحفيزات فردية لرفع مستوى أداء الفاعلين وتحسينه، ويظهر هذا النوع من التحفيز في المؤسسات البيروقراطية التي تعتمد على السلطة المركزية، بحيث يكون كل قسم منفصل عن الأقسام الأخرى في أداء المهام والوظائف، ومن بين هذه الحوافز المستخدمة نجد ما يلي:

1 - الحوافز المادية: المتمثلة في:

- الترقية بالاختيار.

- المكافأة التشجيعية.

1 - عمر وصفي عقيلي، إدارة الموارد الأفراد، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، 1981م، ص288.

2-Muhammed NADIM, EffctsofMotivational on teachers Jobsatiseaction :Astudy on public sectordegreecolleges , Journal of commerc , V4, No4, P27.

- المكافآت عن التميز في الأداء، بحيث تمنح للفاعل الذي يبادر إلى إنقاذ الآلة من التخطيم، وتفادي الأخطاء وحدوث الكوارث في المؤسسة □.

2 - الحوافز المعنوية: وتتمثل فيما يلي

الاعتراف بقيمة ما ينجزه العامل، وإشباع حاجاته كالتقدير والاحترام أمام الآخرين . بر

ب - الحوافز على مستوى المؤسسة

- زيادة الإنتاجية: حيث يؤدي تحفيز الفاعلين إلى زيادة إنتاجية المؤسسة، كما يمكنها تحقيق أهدافها³.

- تحسين سمعة المؤسسة وتمثيلها بشكل جيد أمام المجتمع

- تعمل عملية التحفيز على خلق سلوك عمل مقبول في المؤسسة، واستقرار قيم العمل التي تشكل ما يعرف بالثقافة التنظيمية⁴.

3.4 . - الرضا الوظيفي

يعتبر موضوع الرضا الوظيفي من أهم المواضيع التي انشغل بها الباحثين في علم الاجتماع وعلم الإدارة وعلم النفس، وهذا لكونه مرتبط بالجوانب النفسية والاجتماعية للعامل خاصة أثناء تواجده في بيئة العمل، وبالتالي فهو عبارة عن حالة الإشباع التي يحققها العامل أو التنظيم اتجاه الأهداف التي كان يرجو تحقيقها من خلال العمل، وتختلف هذه الأهداف وأولوياتها من عامل لآخر والتي منها الأهداف المادية والمعنوية كالاحترام وتقدير الذات وتقدير الجهود والعلاقات والترقية ونجاح المشروع.

أ - أهمية الرضا الوظيفي

- إن ارتفاع درجة الرضا الوظيفي يؤدي إلى ارتفاع درجة الطموح لدى العاملين في المؤسسة.

1 - محمد بالراح، الرضا عن العمل، مخبر تطبيقات علوم النفس وعلوم التربية، الجزائر، 2001م، ص181.

2 - عبد الحميد عبد الفتاح مغربي، الاتجاهات الحديثة في دراسات وممارسات الإدارة الموارد البشرية، مكتبة العصر للنشر والتوزيع، مصر، 2009م، ص364.

3 - محمد قاسم القريوتي، السلوك التنظيمي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000م، ص75.

4 - أحمد ماهر، إدارة الموارد البشرية، ط2، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009م، ص349.

5 - ناصر قاسمي، دليل مصطلحات علم اجتماع التنظيم وعمل، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2011م، ص70.

- إن ارتفاع مستوى الرضا الوظيفي يؤدي إلى انخفاض نسبة غياب العاملين في المؤسسات، إضافة إلى إن العمال الأكثر رضا عن عملهم يكونون أقل عرضة لحوادث العمل.¹

ب - العوامل المؤثرة في الرضا الوظيفي

هناك عوامل عديدة لها تأثير كبير على رضا العمال داخل المؤسسة أثناء ممارستهم للمهام والتي نذكر منها ما يلي:

-العوامل الضردية: تتعلق بالتعليم والشخصية والعمر والقدرات التي يملكها الأفراد العاملين.

-العوامل الثقافية: وترتبط هذه العوامل بالمحيط الاجتماعي ومدى قدرة العامل على التكيف مع بيئة العمل.

-العوامل الدافعية الداخلية والخارجية: والتي تتمثل في ظروف العمل ونوع العمل والروح المعنوية والخدمات العمالية والعوامل الاقتصادية².

5. - الإجراءات المنهجية للدراسة

1.5 . - المنهج المتبع

لقد تم اعتمادنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لدراسة المشكلة المتعلقة بالموضوع المراد البحث فيه والمتمثل في القيم التنظيمية وأثرها على رضا الموظفين الإداريين بجامعة غرداية، وهذا راجع إلى أن المنهج الوصفي يهدف إلى معرفة الظاهرة الاجتماعية الموجودة في الواقع، وذلك بوصفها وصفا دقيقا ويمكن التعبير عنها كيفيا وكميا من أجل فهم مضمونها وتقصي الحقائق التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

2.5 . - مجتمع الدراسة وحجم العينة

يتكون مجتمع البحث من 329 موظف إداري بجامعة غرداية، وبتطبيق العينة الحصصية تم توزيع 142 استمارة وتم استرجاع 132 استمارة وعليه أصبحت عينة البحث تتكون من 132 عامل إداري.

1 - نورة محمد البليهد، مستوى الرضا الوظيفي لدى الموظفين الإداريات، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد 4، العدد 10، السعودية، 2014م، ص 151.

2 - محمد الرابع، الرضا عن العمل، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 93.

3.5 . - أدوات جمع البيانات

باعتمادنا على المنهج الوصفي أثناء إعداد هذا البحث تطلب منا استخدام تقنية أو أداة الاستمارة والتي تعتبر أحد أدوات المنهجية المناسبة من أجل الحصول على معلومات دقيقة وهامة، ولقد اشتملت استمارة الدراسة الموجهة لعينة الموظفين الإداريين على المحاور التالية:

- البيانات الأولية أو الشخصية لمعرفة خصائص العينة المدروسة وتحتوي على الجنس والمستوى التعليمي والمنصب الحالي.

- المحور الأول: بيانات خاصة بالحوافز المادية.

- المحور الثاني: بيانات خاصة بالحوافز المعنوية.

- المحور الثالث: بيانات خاصة بالرضا الوظيفي.

أ - تحليل البيانات المتعلقة بالفرضية الأولى: الحوافز المادية لها تأثير على رضا الموظفين الإداريين.

جدول رقم (01): يوضح طبيعة الأجر المتحصل عليه ومدى شعور العامل

بالرضا الوظيفي عن المؤسسة عن محتوى المهام.

الشعور بالرضا		دائما		أبدا		أحيانا		المجموع	
		التركرار	%	التركرار	%	التركرار	%	التركرار	%
الأجر المتحصل		21	61.1%	5	14.7%	8	23.5%	34	100%
دائما		18	32.7%	17	30.9%	20	36.4%	55	100%
أبدا		19	44.2%	11	25.6%	13	30.2%	43	100%
أحيانا		58	43.9%	33	25%	41	31.1%	132	100%
المجموع									

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة 43.9% من مجموع المبحوثين يشعرون بالرضا الوظيفي عن هذه المؤسسة وعن الوظائف التي يؤديونها، وتدعمها في ذلك نسبة 61.8% من العمال الذين صرحوا بأن الأجر الذي يتحصلون عليه يلبي احتياجاتهم اليومية، مقابل نسبة 44.2% من العمال الذين صرحوا بأن الأجر الذي يتحصلون عليه في بعض الأحيان يلبي احتياجاتهم اليومية.

وهذا مقارنة بنسبة 25% من مجموع المبحوثين لا يشعرون بالرضا عن المؤسسة التي ينتمون إليها ولا عن الوظائف التي يمارسونها فيها، وتدعمها في ذلك نسبة 30.9% من العمال الذين صرحوا بأن الأجر الذي يتحصلون عليه لا

يلبي احتياجاتهم اليومية، مقابل نسبة 25.6% من العمال الذين صرحوا بأن الأجر الذي يتحصلون عليه في بعض الأحيان يلبي احتياجاتهم اليومية. يتبين لنا من خلال معطيات الجدول أن معظم المبحوثين أو العاملين يشعرون بالرضا الوظيفي اتجاه المؤسسة وعن طبيعة والوظائف التي يمارسونها، وهذا راجع إلى الأجر الذي يتحصلون عليه عند تأديتهم للمهام المكلفين بها والذي يعتبر أحد مؤشرات الحوافز المادية التي تعد وسيلة من وسائل إشباع حاجات ورغبات العامل الضرورية والأساسية كما أشار إليها "أبراهم ماسلو" في سلم الحاجات والمتمثلة في (الغذاء والسكن واللباس والأكل والعلاج...)، والتي تندرج ضمن الحاجات الدنيا أو الحاجات الفيزيولوجية التي يسعى إلى تحقيقها وهنا الأجر يلعب دور فعال ومهم في حياة العامل فمن خلاله يتمكن من الحصول على حاجاته المادية فيشعر بالارتياح والاطمئنان في مكان العمل.

جدول رقم (02): يوضح مدى مساهمة أنظمة منح العلاوات في شعور العمال بالرضا الوظيفي عن المؤسسة وعن المهام.

الشعور بالرضا	دائما		أبدا		أحيانا		المجموع	
	تكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
أنظمة منح مناسبة	28	45.9%	14	23%	19	31.1%	61	100%
غير مناسبة	30	24.3%	19	26.8%	22	31%	71	100%
المجموع	58	43.9%	33	25%	41	31.1%	132	100%

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة 43.9% من مجموع المبحوثين يشعرون بالرضا الوظيفي اتجاه المؤسسة التي يعملون فيها وعن طبيعة المهام التي يؤديونها، وتدعمها في ذلك نسبة 45.9% من العمال الذين صرحوا بأن أنظمة الحوافز التي تضعها المؤسسة مناسبة، مقابل نسبة 42.3% من العمال الذين صرحوا بأن أنظمة الحوافز التي تضعها المؤسسة غير مناسبة.

وهذا مقارنة بنسبة 25% من مجموع المبحوثين لا يشعرون بالرضا الوظيفي اتجاه المؤسسة التي يعملون فيها وعن طبيعة المهام التي يؤديونها،

وتدعمها في ذلك نسبة 26.8% من العمال الذين صرحوا بأن أنظمة الحوافز التي تضعها المؤسسة غير مناسبة، مقابل نسبة 23% من العمال الذين صرحوا بأن أنظمة الحوافز التي تضعها المؤسسة مناسبة.

يتضح لنا من خلال معطيات الجدول أن معظم المبحوثين لديهم شعور بالرضا الوظيفي اتجاه المؤسسة التي يعملون فيها ومحتوى الوظائف التي يمارسونها، وهذا راجع إلى أنظمة الحوافز التي تضعها المؤسسة، فعلى هذه الأخيرة من أن تختار لنفسها توليفة مثالية لأنواع الحوافز وفق البرامج والسياسات التي تقوم بإعدادها كما تلجأ إلى مراجعتها ومراقبتها في كل مرة حتى لا تكون هناك مشاكل أو فوضى في حالة ما إذا شعر العمال بالانقص أو عدم الحصول عليها لأن العامل وقبل دخوله عالم الشغل والتوجه للمؤسسات التي يريد العمل فيها يتوقع الحصول على مزايا باختلاف أنواعها سواء كانت مادية أو معنوية من طرف الإدارة، وتعتبر الحوافز بمثابة دوافع لدى العامل فهي تحرك مشاعره النفسية والاجتماعية، كما تعمل على توجيه سلوكاته وتصرفاته على حسب الامتيازات التي يتحصل عليها، فإذا كانت هذه الحوافز تشبع حاجاته المادية والمعنوية فإنه يشعر بالرضا الوظيفي عن هذه المؤسسة وعن مهامه التي يمارسها.

جدول رقم (03): يوضح مدى مساهمة المكافآت التي تقدمها المؤسسة

وعلاقتها بسعي العامل للإبداع والتفاني في العمل

المجموع		أحيانا		أبدا		دائما		الإبداع والتفاني في العمل المكافآت المقدمة الأداء المتميز تحسين مستوى المؤسسة الأقدمية المجموع
التركار	%	التركار	%	التركار	%	التركار	%	
25	%28	7	%20	5	%25	13		
49	%14.3	7	%30.6	15	%55.1	27		
58	%25.9	15	%32.8	19	%41.4	24		
132	%22	29	%29.5	39	%48.5	64		

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة 48.5% من مجموع المبحوثين يسعون إلى الإبداع والتفاني في العمل، وتدعمها في ذلك نسبة 55% من العمال الذين صرحوا بأنهم يتلقوا مكافآت على أساس

تحسين مستوى المؤسسة، مقابل نسبة 52% من العمال الذين صرحوا بأنهم يتلقوا مكافآت على أساس الأداء المتميز.

وهذا مقارنة بنسبة 22% من مجموع المبحوثين في بعض الأحيان يسعون إلى الإبداع والتفاني في العمل داخل المؤسسة، وتدعمها في ذلك نسبة 28% من العمال الذين صرحوا بأنهم يتلقوا مكافآت على أساس الأداء المتميز، مقابل نسبة 25.9% من العمال الذين صرحوا بأنهم يتلقوا المكافآت على أساس الأقدمية. يتضح لنا أن أغلب المبحوثين الذين يتواجدون داخل المؤسسة يميلون إلى عنصر الإبداع والتفاني في العمل لأنهم يتلقون مكافآت نتيجة الأعمال التي يقومون بها فتؤدي بدورها إلى تحسين مستوى المؤسسة إن المكافآت التي تقدمها الإدارة لعمالها تتمثل في حصول العامل على ترقية في المنصب أو تقديم أوقات فراغ ليرتاح فيها العامل أو الزيادة في الأجر فكل هذه تعتبر شيء مهم بالنسبة إليه فيشعره بالرضا الوظيفي لكل ما يقوم به في بيئة العمل الداخلية للمؤسسة، كما تستخدمها هذه الأخيرة كوسيلة لتحفيز العمال على بذل الجهود أثناء إنجازهم للوظائف المكلفين بها إضافة إلى أنها تساعد العامل في تلبية كافة احتياجاته الأساسية أو الثانوية التي لم يستطع تحقيقها نظرا للأجر الذي يأخذه ، فتصبح سلوكا متمعلنة ورشيدة موجهة نحوى أهداف المسطر لها من طرف إدارة المؤسسة.

الاستنتاج الجزئي للفرضية الأولى

هناك بعض العمال يجتهدون في أداء وظائفهم الملقاة إليهم موظفين كل ما يمتلكونه من مهارات وخبرات فنية من أجل تقديم أداء وظيفي جيد يتميز بالكفاءة والفعالية، ما يدفع بالمؤسسة إلى النجاح والتطور فتكون لها القدرة على الدخول لعالم المنافسة الشديدة مع المؤسسات الأخرى ومواجهة البيئة الخارجية التي تعمل فيها المؤسسة.

إن أغلب العمال يشعرون بالرضا الوظيفي عن مؤسساتهم وعن الوظائف التي يمارسونها لأنهم يرون أن رئيس المؤسسة يضع في برامجهم وسياسته أنظمة منح العلاوات مناسبة تتلاءم مع الأعمال الملقاة إليهم ومع ما يبذلونه من جهود، مما يشعروهم بالارتياح ورغبة استمرار العمل في هذه المؤسسة وعدم التفكير في

مغادرتها على عكس الرؤساء الآخرين الذين لا يميلون إلى وضع أنظمة منح
علاوات غير عادلة على العمال مما يجعلهم يفكرون تغيير مؤسستهم

ب - تحليل البيانات المتعلقة بالفرضية الثانية: الحوافز المعنوية لها
تأثير على رضا الموظفين الإداريين.

جدول رقم (04): يوضح مدى اعتراف واهتمام رئيس المؤسسة بالعامل
وعلاقته في شعوره بالرضا الوظيفي عن المؤسسة والوظيفة.

المجموع		أحيانا		أبدا		دائما		الشعور بالرضا الاعتراف والاهتمام
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	تكرار	
%100	75	%29.3	22	%21.3	16	%49.3	37	نعم
%100	57	%33.3	19	%29.3	17	%36.8	21	لا
%100	132	%31.3	41	%25	33	%43.9	58	المجموع

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة
43.9% من مجموع المبحوثين يشعرون بالرضا الوظيفي عن المؤسسة التي يعملون
فيها وطبيعة الأعمال التي يمارسونها، وتدعمها في ذلك نسبة 49.3% من العمال
الذين صرحوا بأنهم يحظون بالاهتمام والاعتراف للجهود المبذولة من طرف
الإدارة، مقابل نسبة 36.8% من العمال الذين صرحوا بأنهم لا يحظون بالاهتمام
والاعتراف لمجهوداتهم من طرف إدارة المؤسسة.

وهذا مقارنة بنسبة 25% من مجموع المبحوثين لا تتناسب مشاعر الرضا عن
المؤسسة التي يعملون فيها وعن طبيعة المهام التي يؤدونها، وتدعمها في ذلك
نسبة 29.8% من العمال الذين صرحوا بأنهم لم يحظوا باهتمام واعتراف من
طرف الإدارة لما يقومون به من جهود، مقابل نسبة 21.3% من العمال الذين
صرحوا بأنهم يحظون بالاهتمام والاعتراف من طرف إدارة المؤسسة نظرا
لمجهوداتهم المبذولة.

يتبين لنا من خلال نتائج الجدول أن معظم المبحوثين لديهم شعور بالرضا
الوظيفي اتجاه المؤسسة التي يعملون فيها وعن محتوى الوظائف التي
يمارسونها، وهذا راجع إلى أنهم يحظون بالاهتمام والاعتراف من طرف الإدارة
نظرا لما يبذلونه من جهود أثناء إنجازهم للمهام الوظيفية، وإشعار العامل
بالاهتمام والاعتراف يعتبر أحد العوامل الدافعة للعمل والاجتهاد فيه مثل ما

أشار إليها "هيرزبيرغ" في نظريته "ذات العاملين" حيث رأى أن العمال بحاجة شديدة إلى إحساسهم بأهمية وجودهم داخل المؤسسة التي يعملون فيها وأن لهم قيمة وأهمية لكل ما يقومون به من أعمال ، مما يجعله يحظى بمكانة في مجال عمله ، من إبداء الآراء واقتراح الحلول المناسبة نظرا لما تواجهه المؤسسة من مشاكل تنظيمية داخل بيئتها أو خارجها فعند مشاركة العامل في الأمور وتشجيعه عليها يجعله يشعر بالارتياح والاطمئنان في المؤسسة التي يتواجد فيها .

جدول رقم (05): يوضح مدى تلقي العامل الثقة والقبول من الإدارة وعلاقتها في شعوره بالأمان الوظيفي داخل المؤسسة.

شعور العامل بالأمان الوظيفي		نعم		لا		نوعا ما		المجموع	
تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	التكرار	%
37	43%	21	24.4%	28	32.6%	86	100%		
14	30%	19	41.3%	13	28.3%	46	100%		
51	38.6%	40	30.3%	41	31.1%	132	100%		

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة 38.6 % من مجموع المبحوثين يشعرون بالأمان الوظيفي في المؤسسة التي يعملون فيها، وتدعمها في ذلك نسبة 43% من العمال الذين صرحوا بأنهم يحظون بالثقة والقبول من طرف الإدارة، مقابل نسبة 30% من العمال الذين صرحوا بأنهم لا يحظون بالثقة والقبول من طرف إدارة المؤسسة.

وهذا مقارنة بنسبة 30% من مجموع المبحوثين لا يشعرون بالأمان الوظيفي في المؤسسة التي يعملون فيها، وتدعمها في ذلك نسبة 41.3% من العمال الذين صرحوا بأنهم لم يحظوا بالثقة والقبول من طرف الإدارة، مقابل نسبة 24.4% من العمال الذين صرحوا بأنهم يحظون بالثقة والقبول من طرف إدارة المؤسسة التي يعملون فيها.

يتضح لنا من خلال نتائج معطيات الجدول أن أغلب المبحوثين يشعرون بالأمان والوظيفي داخل المؤسسة التي يعملون فيها، وهذا راجع إلى أن العمال يحظون بالثقة والقبول من طرف رئيس المؤسسة وتعد هذه المؤشرات من الحوافز المعنوية التي يسعى إلى تحقيقها بناء على ما يتصوره ويتوقعه في ذهنه نتيجة

لما يقوم به من أعمال وظيفية، فعند استلام العامل لوظيفته وبدء بإنجازها متتبعا في ذلك لكافة اللوائح والأوامر التنظيمية التي تلقى إليه دون اعتراض أو تجاوز فيها تجعله يحصل على كل ما يتوقعه من حوافز ومزايا يريد الوصول إليها ما يجعله يشعر بالرضا الوظيفي في هذه المؤسسة التي يعمل فيها ، وهذا ما يجعل الإدارة تسمح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرارات وحرية التصرف في مكان العمل وإبداء الآراء حول كل ما يتعلق بأمور المؤسسة ، وعليه يقدمون أفضل الخدمات تتميز بالدقة و الإتقان ، فينعكس ذلك على رفع من كفاءة وفعالية المؤسسة

جدول رقم(06): يوضح مدى مشاركة العامل في اتخاذ القرار وعلاقتها

بالإبداع والتفاني في العمل.

المجموع		أحيانا		أبدا		دائما		سعي العامل إلى الإبداع والتفاني في العمل المشاركة في اتخاذ القرار
التركرار	%	التركرار	%	التركرار	%	التركرار	%	
38	%13.2	5	%28.9	11	%57.9	22		دائما
47	%29.8	14	%23.4	11	%46.8	22		أبدا
47	%21.3	10	%36.2	17	%42.6	20		أحيانا
132	%22	29	%29.5	39	%48.5	64		المجموع

نلاحظ من خلال نتائج الجدول أعلاه وحسب الاتجاه السائد أن نسبة 48.5 % من مجموع المبحوثين يسعون إلى الإبداع والتفاني في العمل داخل المؤسسة، وتدعمها في ذلك نسبة 57.9% من العمال الذين صرحوا بأن الإدارة تسمح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرار في مكان العمل، مقابل نسبة 46.8% من العمال الذين صرحوا بأن الإدارة لا تسمح لهم باتخاذ القرار في مكان العمل. وهذا مقارنة بنسبة 22% من مجموع المبحوثين في بعض الأحيان تسمح لهم الإدارة باتخاذ القرار داخل المؤسسة، وتدعمها في ذلك نسبة 29.8% من العمال الذين صرحوا بأن الإدارة لا تسمح لهم باتخاذ القرار في مكان العمل، مقابل نسبة 21.3% من العمال الذين صرحوا بأن الإدارة في بعض الأحيان تسمح لهم باتخاذ القرار في مكان العمل.

يتضح لنا من خلال معطيات الجدول الإحصائي أن معظم المبحوثين يحبون الإبداع والتفاني في الأعمال ، وهذا راجع إلى أن الإدارة تسمح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرار داخل المؤسسة وهنا نجد الجهاز الإداري يلعب دورا مهما خاصة إذا كان يسير وفق القيادة أو السلطة الديمقراطية التي تعتمد على النظام التشاركي الموجود بين الإدارة والعمال مثل ما تعمل بعض المؤسسات الحديثة والمتطورة بحيث لا تقوم بتهميش عمالها، بل تهتم بهم من كل الجوانب المادية والنفسية والاجتماعية والصحية وأولها تقوم بوضع برامج وسياسات تحدد فيها الأجور لعمالها وتكون مناسبة مع المهام الموكلة إليهم ومع ما يمتلكونه من خبرات ومهارات فنية حتى يشعروا بالرضا الوظيفي والطمأنينة خاصة إذا قام بعض العمال بمقارنة ما تحصلون عليه من أجور مع أجور زملائهم في مؤسسات أخرى ، وفي هذه الحالة يرى العامل بأن الإدارة أو مؤسسته تقوم على مبدأ العدالة ، وهذا ما أشار إليه "ليستايأدمز" فعلى المؤسسة أن تكون حريصة ولا تهمل هذا الجانب لأنه مهم بالنسبة للعمال وتحدد سلوكياتهم إما أن تكون إيجابية أو سلبية ، وفي نفس الوقت يتوجه رئيس المؤسسة إلى مراعاة الجانب المعنوي للعمال والمتمثل في الجانب النفسي والاجتماعي ، لأنه مرتبط بالحالة النفسية والمزاجية للعامل وله تأثير شديد على أدائه الوظيفي إما مرتفع أو منخفض ومن ثم على كفاءة وفعالية المؤسسة.

الاستنتاج الجزئي للفرضية الثانية

إن الاحترام والتقدير الذي يشعر به العمال داخل المؤسسة يلعب دورا مهما وأساسيا في جانبهم النفسي والاجتماعي حيث يشعرهم بالراحة والطمأنينة لانضمامهم لهذه المؤسسة وبدأ العمل فيها وكذا اعتراف رئيس المؤسسة بالجهودات التي يبذلها العمال أثناء ممارستهم للوظائف يجعلهم يشعرون بالرضا الوظيفي عن المؤسسة التي يعملون فيها وعن محتوى المهام المكلفين بها وتكون لهم القدرة على الإبداع والتفنى في أدائها.

إن معظم العمال المتواجدين في المؤسسة يشعرون بالأمان الوظيفي وهذا راجع إلى أنهم يحظون بالثقة والقبول من طرف إدارة المؤسسة، مما يدفع بهم إلى بذل المزيد الجهود أثناء ممارستهم للوظائف مع التوظيف الجيد لكل ما يمتلكونه من خبرات ومهارات فنية لتحسين أدائهم الوظيفي، مما ينعكس ذلك

على الرفع من كفاءة وفعالية المؤسسة فينعكس عليها بالنجاح والتطور أمام المؤسسات الأخرى، ولكي تصل إلى ما تريده من تقدم وتطور عليها وضع برامج وسياسات تسعى فيها لتنمية وتطوير مواردها البشرية عن طريق الاهتمام بها.

الاستنتاج العام

وبناء على ما جاء في عرض وتحليل الجداول الخاصة بالفرضيتين الأولى والثانية نجد أن الحوافز المتوفرة بمختلف أنواعها تجعل العمال يشعرون بالرضا الوظيفي أثناء إنجازهم للمهام المكلفين داخل المؤسسة التي ينتمون إليها ، فمن خلال دراستنا توصلنا إلى أن الحوافز المادية التي تسعى المؤسسة إلى توفيرها لها تأثير على رضا الموظفين الإداريين أثناء تواجدهم في بيئة العمل الداخلية للمؤسسة، وقد التمسنا هذا من خلال الأبعاد الدالة على ذلك مثل المكافآت والعلاوات والأجور ، ولقد أظهرت نتائج الجداول المتعلقة بالفرضية الأولى أن المكافآت المادية لها دور فعال في حياة الأفراد بوصفهم فاعلين في المؤسسة من أجل إشباع حاجاتهم الأساسية والضرورية، كما أنها تمنح على أساس الجهود المبذولة في العمل وعلى حسب ما يقدمونه من خدمات ،وعليه تلجأ إدارة المؤسسة إلى استخدام هذه الوسيلة للحفاظ على عمالها وجعلهم أكثر استقرارا فيها.

أما المتغير الثاني للحوافز والمتمثل في الحوافز المعنوية التي تلجأ إليها المؤسسة وتمنحها للعمال نتيجة ما يمارسونه من وظائف، كما أن للمزايا المعنوية أثر كبير على الجانب النفسي والاجتماعي لدى العامل إما بالإيجاب أو السلب، فإحساس هذا الفرد بالثقة والقبول من طرف رئيس المؤسسة يجعله يشعر بان له مكانة ودور مهم داخل مكان العمل، مما يفسح المجال أمامه بالمشاركة في اتخاذ القرار واقتراح الحلول وإبداء الآراء المتعلقة بجوانب العمل وهنا يشعر العامل بالاحترام والتقدير من طرف زملائه فيزيد من انسجامه واندماجه بهذه المؤسسة.

6. - خاتمة:

وفي الأخير يمكننا أن نجمل القول بأن أنظمة الحوافز تلعب دورا فعالا داخل المؤسسات، فهي تعد المحرك الأساسي لدافعية العاملين اتجاه وظائفهم المكلفين بها ، فهي تعد من الأمور الهامة التي تؤثر على سلوك العاملين بوصفهم فاعلين في بيئة العمل الداخلية للمؤسسة، فحصول العامل على مزايا مادية ومعنوية

ملائمة ومناسبة يدفعه إلى تعديل تصرفاته و سلوكياته أثناء ممارسته للمهام من خلال عمليات التدريب والتكوين ليتمكن من أداء الأعمال في الوقت المحدد ، وكذا تصحيح الأخطاء وتجنب الحوادث المهنية التي يتعرض لها معظم العمال ، كما أن الحوافز تجعل العمال يكتسبون معارف وخبرات فنية ، مما يؤدي ذلك إلى الرفع من كفاءة وفعالية المؤسسة ، فينعكس عليها بالتطور والنجاح أمام المؤسسات الأخرى.

ومن أهم نتائج الدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى مايلي:

- الحوافز المتوفرة بمختلف أنواعها تجعل العمال يشعرون بالرضا الوظيفي أثناء إنجازهم للمهام المكلفين داخل المؤسسة التي ينتمون إليها.
- الحوافز المادية التي تسعى المؤسسة إلى توفيرها لها تأثير على رضا الموظفين الإداريين أثناء تواجدهم في بيئة العمل الداخلية للمؤسسة، وقد التمسنا هذا من خلال الأبعاد الدالة على ذلك مثل المكافآت والعلاوات والأجور.
- المكافآت المادية لها دور فعال في حياة الأفراد بوصفهم فاعلين في المؤسسة من أجل إشباع حاجاتهم الأساسية والضرورية، كما أنها تمنح على أساس الجهود المبذولة في العمل وعلى حسب ما يقدمونه من خدمات ،وعليه تلجأ إدارة المؤسسة إلى استخدام هذه الوسيلة للحفاظ على عمالها وجعلهم أكثر استقرارا فيها.
- الحوافز المعنوية التي تلجأ إليها المؤسسة وتمنحها للعمال نتيجة ما يمارسونه من وظائف، كما أن للمزايا المعنوية أثر كبير على الجانب النفسي والاجتماعي لدى العامل إما بالإيجاب أو السلب، فإحساس هذا الفرد بالثقة والقبول من طرف رئيس المؤسسة يجعله يشعر بان له مكانة ودور مهم داخل مكان العمل.
- الحوافز المعنوية تفسح المجال أمام العامل بالمشاركة في اتخاذ القرار واقتراح الحلول وإبداء الآراء المتعلقة بجوانب العمل وهنا يشعر العامل بالاحترام والتقدير من طرف زملائه فيزيد من انسجامه واندماجه بهذه المؤسسة.

المراجع

الكتب:

- 1 - أحمد زكي بدوي (1981)، معجم المصطلحات في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، للنشر والتوزيع، لبنان.
- 2 - أحمد يوسف دودوين (2012)، إدارة الأعمال، اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن.
- 3 - أحمد ماهر (2009)، إدارة الموارد البشرية، ط2، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- 4 - ناصر قاسمي (2011)، دليل مصطلحات علم اجتماع التنظيم وعمل، ديوان المطبوعات، الجزائر.
- 5 - محمد الرابع (2011)، الرضا عن العمل، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 6 - علي السلمي (1985م)، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، ط1، دار غريب للنشر والتوزيع، مصر.
- 7 - عبد العزيز خواجة (بدون ذكر السنة)، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي للعمل، ط2، دار المحمدية العامة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 8 - محمد قاسم القريوتي (2000)، السلوك التنظيمي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- 9 - عمر وصفي عقيلي (1981)، إدارة الموارد الأفراد، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع.
- 10 - محمد الرابع (2001)، الرضا عن العمل، مخبر تطبيقات علوم النفس وعلوم التربية، الجزائر.
- 11 - عبد الحميد عبد الفتاح مغربي (2009)، الاتجاهات الحديثة في دراسات وممارسات الإدارة الموارد البشرية، مكتبة العصر للنشر والتوزيع، مصر.

مقال في مجلة:

- نورة محمد البليهد (2014)، مستوى الرضا الوظيفي لدى الموظفين الإداريات، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، السعودية المجلد 4، العدد 10.

المرجع باللغة الأجنبية:

- 12 - BrikendAziri (2011), Job satisfaction :AliteratureReview, Management Research And ,Vol.NO4.
- 13 - MuhammedNADIM, Effctsof Motivational on teaghers Job satiseaction :Astudy on public sectordegreecolleges , Journal of commerc , V4, No4.



الحماية القانونية لأسرى الحرب و دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حمايته

The Legal Protection of War Prisoners and the Role of the International Committee of Red Cross in Protecting them

زرياني عبدالله²⁻¹

1- كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة غرداية

2- جامعة الجيلالي الياابس – سيدي بلعباس

zaidanabdou47@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-08-05

ملخص -

يعتبر القانون الدولي الإنساني حامي حقوق الفرد خلال النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، ويعتبر الأسير الحلقة الأضعف في النزاع المسلح إذ يلزم بتجريد من سلاحه لذا منح المجتمع الدولي الحماية القانونية الواجبة من خلال الاتفاقيات الدولية من اتفاقية لاهاي عام 1907، واتفاقيات جنيف لعام 1929 وجنيف الثالثة لعام 1949 الخاصة بحماية الأسرى وكذا البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977، وأهم الحقوق المكفولة للأسير من خلال فترة الأسر، وما قامت به اللجنة الدولية من أجل حماية ومساعدة الأسرى في التواصل والحد من المفقودين وذلك باستحداثها لمركز المعلومات الخاصة بالأسرى، وكذا إعادة شمل الأسر والعمل الرقابي والوقائي التي تقوم به من أجل الأسير.

الكلمات المفتاحية -

❖ الأسير ❖ الحماية القانونية للأسير ❖ اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.

❖ اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلل الأحمر.

Abstract-

International Humanitarian Law Is The Guardian Of The Rights Of The Individual During International And Non-International Armed Conflicts. The Prisoner Is Considered The Weakest Link In The Armed Conflict And Requires The Disarming Of The Weapon. The International Community Has Therefore Given Due Legal Protection Through The International Conventions Of The Hague Convention Of 1907 And The Geneva Conventions Of 1929 And Geneva 1949, The First Additional Protocol Of 1977, The Most Important Rights Guaranteed To The Prisoner Through The Period Of Captivity, And The ICRC's Efforts To Protect And Assist The Prisoners In Communicating And Limiting Missing Persons By Developing The Family Information Center As Well As Family Reunification And The Monitoring And Preventive Work It Does For The Captive

Key Words-

* Prisoners * Legal Protection Of The Prisoner * The Third Geneva Convention Of 1949 * International Committee Of The Red Cross And Red Crescent.

المقدمة:

يعد القانون الدولي الإنساني الحامي لحقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة سواء كانت دولية أو غير دولية والمتمثل خاصة في اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 المتعلقة بحماية ضحايا الحرب، وكذا البروتوكولين الإضافيين لعام 1977 والبروتوكول الإضافي لعام 2005.

كما يرى الفقيه جان بكتيه أن مصطلح القانون الدولي الإنساني يأتي من خلال جانبيين أحدهم واسع والآخر ضيق، ويقصد بالمعنى الواسع للقانون الدولي الإنساني أنه "قانون يهدف إلى قواعد منظمة للعمليات الحربية وتخفيف الأضرار الناجمة عنها إلى أقصى حد نتيجة الضرورات العسكرية، وهو ينقسم إلى فرعين هما قانون لاهاي أو قانون الحرب وقانون الحرب وقانون جنيف أو القانون الإنساني".

أما في المعنى الضيق فيعرف القانون الدولي الإنساني على أنه "عبارة عن قوانين أو لوائح جنيف التي تهتم بحماية العسكريين من غير المقاتلين أو من خارج العمليات العسكرية مثل الجرحى والمرضى وأسرى الحرب، والتي تهتم كذلك بالمدنيين وإبقائهم خارج حدود العمليات العسكرية"¹. ولا شك أن النزاعات المسلحة ظاهرة ملازمة للإنسانية، وموضوع الأسر هو نتيجة حتمية لها، إذ أن استخدام الأسير هو وسيلة للحد من قدرة الخصم وإضعاف قوته لأن الأسير يعتبر وسيلة للحد من قدرة الخصم وإضعاف قوته، وأن مسألة حمايته ليست بالجديدة، ولكن بالنظر لاتساع نطاق النزاعات المسلحة وظهور أشكال جديدة من الحروب ورفض الحماية لبعض المقاتلين من قبل أطراف النزاع ونتيجة للمعاملة اللاإنسانية التي يتعرض لها الأشخاص الذين يتم القبض عليهم جعل موضوع الحماية في ضوء القانون الدولي الإنساني بفرض نفسه، وإن هذه الوضعية عرفت منذ القديم وذلك في أول حروب شهدتها الإنسانية.²

مما جعل المجتمع الدولي يفكر ويضع ترسانة من القوانين للحد من معاملة أسرى معاملة غير إنسانية، ومن أهم القواعد التي تكفل الحماية لأسرى الحرب نجد الاتفاقية الأولى لاتفاقية جنيف لعام 1929 ثم نقحت في نص اتفاقية جنيف للعام 1949 وذلك على إثر الدروس المستفادة من الحرب العالمية الثانية، وكذا نص البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.³ فمن خلال هذا التقديم الموجز يمكننا طرح الإشكالية المتعلقة بالمقال: إلى أي مدى وفق المجتمع الدولي في حماية الأسير من ويلات الحرب؟ وما هو الدور الأساسي للجنة الدولية للصليب الأحمر في ذلك؟

فمن خلال طرح الإشكالية يمكننا الإجابة عليها من خلال الخطة الآتية:

المقدمة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لأسرى الحرب.

المطلب الأول: تعريف الأسير.

المطلب الثاني: نطاق أسرى الحرب.

المبحث الثاني: الحماية المقررة للأسير ودور اللجنة للصليب الأحمر في ذلك.

المطلب الأول: الحقوق المقررة للأسير.

المطلب الثاني: عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حماية أسرى الحرب.

الخاتمة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لأسرى الحرب:

ما قامت حرب أو أي نزاع مسلح دون أن يترك آثار وخيمة على البشرية جمعاء وعلى أطراف النزاع خاصة من ضحايا وتشريد وكذا وقوع طرف في يد الطرف الثاني وما يسمى بالأسير، فقد تطرقت له عدة اتفاقيات خاصة بوضع الأسير خاصة اتفاقية جنيف لعام 1949 التي وضحت المركز القانوني للأسير، وهذا ما نود أن نتعرف عليه من خلال مبحثنا هذا وهو الإطار المفاهيمي للأسير والذي قد قسمناه بدورنا إلى مطلبين: المطلب الأول: نتطرق فيه إلى تعريف الأسير، وكذا المطلب الثاني الذي نتطرق فيه إلى نطاق الأسير والمقصود منه إلى التعرف إلى الأشخاص الذين يكونون في وضع أسير والأشخاص الذين لا يكونون في وضع الأسير.

المطلب الأول: تعريف الأسير:

1 -التعريف اللغوي للأسير:

اسم مشتق من الفعل "أسر" بمعنى الشد بالإسار، والاسار ما شد به والجمع أسر والاسار هو القيد ومنه سمي الأسير، وكانوا يشدونه بالقيد فسمي كل أقيد أسير وإن لم يشد به فيقال أسرت الرجل أسرا فهو أسير ومأسور.

2 -التعريف الاصطلاحي للأسير:

أما مصطلح الأسير فقد وردت بشأنه تعريفات عدة نلحظ فيها تركيزها على جوانب معينة فيه تتمثل في تحديد النطاق الشخصي للأسير، فمن جانب

الفقه فقد عرف الأسير بأنه "كل شخص يستطيع الطرف الآخر التمكن منه سواء كان هذا التمكن خارج ساحة القتال أو داخلها".⁴

وبتتبع استعمالات الفقهاء لهذا اللفظ يتبين أنهم يطلقونه على كل من يظفر بهم من المقاتلين ومن في حكمهم، ويؤخذون أثناء الحرب أو في نهايتها أو من غير حرب فعلية ما دام العداء قائما والحرب محتملة.⁵

وكما عرفه الأستاذ عمر سعد الله في موسوعته القانون الدولي الإنساني ويعني مصطلح أسير الحرب (prisonnier de guerre) وبالإنجليزية (prisoner of war) مقاتل في جيش أو ميليشيا منظمة عسكرية وقع في أيدي عدوه، وبعبارة أخرى هو فرد من أفراد القوات المسلحة لأحد الأطراف في نزاع دولي مسلح، أو فرد يتمتع بوضع قانوني مكافئ ومنهم مراسلو الحرب ومتعهدو التموين وأفراد أطقم الطائرات المدنية والسكان المدنيون الذين يحملون السلاح من تلقاء أنفسهم من أجل مقاومة القوات الغازية، أما في حالة الشك فأي شخص يشارك في العمليات العدائية يفترض فيه أنه أسير حرب.

كما يعني هذا المصطلح كل شخص يعتقل في نزاع مسلح دولي فقط، ويظل محتفظا بصفة الأسير حتى يقوم الدليل على ما يثبت نزع هذه الصفة عنه، وفق محاكمة عادلة تضمن للطرف الآخر أبسط حقوق الدفاع.

كما يعرف في العادة "بأنهم أفراد القوات المسلحة التابعة لأحد أطراف النزاع الذين يقعون في قبضة العدو".⁶

ومن خلال التعريفات الفقهية يستنتج أن أسير الحرب هو ذاك الشخص الذي توقف عن الاشتراك في العمليات القتالية وألقى سلاحه والتزم بتعليمات الطرف الأسر سواء أتم ذلك بإرادته الحرة وذلك بإلقاء سلاحه باختياره أم لسبب خارج عن إرادته أي رغما عنه، كما لو تمت إصابته أو جرحه أثناء العمليات العسكرية، فهذا الشخص في مثل هذه الحالة يتحول من شخص

مقاتل إلى شخص غير مقاتل يتوجب توفير الرعاية والحماية له وفقا لقواعد القانون الدولي الإنساني.⁷

3 - تمييز أسرى الحرب وما يشابهه من مفاهيم:

قد يتشابه مفهوم أسرى الحرب مع بعض المفاهيم المقاربة لها ومنها المعتقل والسجين، فمن ناحية قد يشتهر مفهوم أسرى الحرب والمعتقل في أن كلاهما مقيد للحرية، لكن في واقع الأمر نظام الاعتقال يختلف في جوانب عدة من نظام الأسير، فالاعتقال يسري على المدنيين وقد يكون قسرا ورغمما عن إرادة الشخص، ومن ناحية أخرى إن أحكام الاعتقال وإن كانت تتشابه إلى حد كبير للأحكام التي يخضع لها أسرى الحرب كالشروط الواجب توافرها في مكان الاعتقال وتلك الخاصة بالغذاء والملبس والنواحي الصحية والرعاية الطبية وما إلى ذلك، وما تقتضيه ضرورات احترام كرامة الإنسان تحت الظروف وأحوال كافة فإن نظام الاعتقال يتميز بكونه أقل صرامة من الأحكام التي يخضع لها أسرى الحرب باعتبار أن الأشخاص المعتقلين يتمتعون بحماية نصوص لا توجد في نظام أسرى الحرب منها مثلا النصوص المتعلقة بإدارة الممتلكات الشخصية للمعتقلين.

كما أن هناك فارق هام بين نظام الاعتقال ونظام أسرى الحرب بالشروط الخاصة بعمل كل منهم حيث أنه في الوقت الذي يجبر فيه أسرى الحرب على العمل باستثناء الضباط منهم فإن المعتقلين المدنيين لا يمكن إجبارهم على العمل.

فإن اصطلاح المعتقل يعني حجز وتقييد حرية المدني وهو أي شخص لا ينتمي إلى فئة المقاتلين الذين يرد تحديدهم بأقصى قدر ممكن من الدقة، فتحديد المقاتلين بدقة يجعل ما دونهم مدنيين، ومن ناحية أخرى نجد بأن مفهوم أسرى الحرب يختلف عن السجناء، فالأخير يعني كل شخص تصدر المحكمة بحقه عقوبة كنتيجة لارتكابه جنابة أو جنحة أي عقوبة سالبة لحرية الشخص الذي يرتكب أفعال مجرمة بمقتضى القانون الداخلي في حين أن

أسرى الحرب سبب احتجازهم ليس ارتكاب لأفعال محظورة وإنما منع العدو من مواصلة القتال ليس إلا⁸.

المطلب الثاني: نطاق أسرى الحرب:

الفرع الأول: الأشخاص الذين يعتبرون أسرى حرب:

1 -المقاتلون حسب لائحة لاهاي:

تقتضي لائحة لاهاي (1899 - 1907) أن أسرى الحرب هم الأفراد المنتمون إلى إحدى الفئات التالية الذين يقعون تحت سلطة العدو:

1. أفراد القوات المسلحة لطرف في نزاع وكذلك أعضاء الميليشيات وفرق المتطوعين المنتمين إلى هذه القوات المسلحة.

2. أفراد الميليشيات الأخرى، وأعضاء فرق المتطوعين الآخرين بمن فيهم أعضاء حركات المقاومة المنظمة المنتمية لطرف في النزاع والعاملين في داخل أو خارج أراضيهم، حتى ولو كانت هذه الأراضي محتلة بشرط أن تكون هذه الميليشيات، أو فرق المتطوعين بما فيها حركات المقاومة المنظمة مستوفية الشروط الآتية:

أ - أن تكون تحت قيادة شخص مسؤول عن مرؤوسيه.

ب - أن يكون لها علامة مميزة معينة يمكن تمييزها عن بعد.

ج - أن تحمل أسلحتها بشكل ظاهر.

د - أن تقوم بعملياتها وفقاً لقوانين وتقاليد الحرب⁹.

كما تنص المادة الثانية من اتفاقية لاهاي على "أن سكان الأراضي غير الخاضعة للاحتلال الذين يحملون السلاح تلقائياً لمقاومة القوات الغازية عند اقترابها دون أن يسنح الوقت لتنظيم أنفسهم وفقاً للمادة الأولى، يعتبرون من بين المحاربين إذا كانوا يحملون أسلحتهم علناً وإذا راعوا قوانين وأعراف الحرب¹⁰.

وتنص المادة الثالثة على أن القوات المسلحة يجوز أن تضم مقاتلين وغير مقاتلين، وفي حالة وقوع أيهم في أيدي الأعداء يصبح لهم الحق في المعاملة بوصفهم أسرى حرب".¹¹

2 - أسرى الحرب حسب قانون جنيف:

1 - اتفاقية جنيف الثانية لعام 1929:

في تموز 1929 اجتمع ممثلو 47 دولة في جنيف بدعوة من الحكومة السويسرية من أجل إدخال تحسينات على القانون السابق، حيث تمكن المؤتمر من صياغة اتفاقية تتعلق بمعاملة أسرى الحرب، وكانت تتألف من 49 مادة، وما يؤخذ على الاتفاقية أنها أبقت على القاعدة المشار إليها في اتفاقية لاهاي¹²، إلا أنه يوجد مغزى آخر لاتفاقية 1929 وهو التوصل إلى اتفاق حول الوضع القانوني لأسرى الحرب ومعاملتهم، حيث تضمنت المواد من 4 إلى 20 تسوية المشاكل التي تكتشف من اتفاقية لاهاي سنة 1907.

وقد تم من خلال هذه الاتفاقية زيادة عدد الفئات الذين يستحقون عند اعتقالهم وضع أسرى ويستفيدون من أحكام الاتفاقية بحيث تشمل الأفراد الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا بالفعل من بين أفرادها مثل الملاحين المدنيين على طائرة عسكرية أو متعهدي الإمداد والتموين أو عمال وحدات العمل.

وفيما يتعلق بعمليات إعادة الأسرى إلى بلادهم، فقد تضمنت الاتفاقية الإشارة إلى أنه من المتوقع أن تحتوي اتفاقيات الهدنة على فقرات تتعلق بهذا الشأن، وأنه على أية حال يتعين إعادة الأسرى في أقرب وقت ممكن بعد إقرار السلام. وتشير الاتفاقية أيضا إلى أن الحصص الغذائية التي تصرف للأسرى يجب أن تكون مماثلة لما يصرف من المجندين في الدول الأسيرة، هذا وقد تضمنت الاتفاقية حظر القيام بالإجراءات الانتقامية ضد أسرى الحرب.

وقد كان من أهم التجديدات التي أدخلت على اتفاقية جنيف سنة 1929 بشأن معاملة أسرى الحرب إقامة مراقبة فعالة ومنظمة للتحقيق من تطبيقها، ولقد أسندت هذه المهمة للدولة الحامية أي إلى الدولة المحايدة.¹³

3 -أسرى الحرب وفق اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949:

حيث تنص المادة (4) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 المتعلقة بالأسرى: أسرى الحرب بالمعنى المقصود في هذه الاتفاقية هم الأشخاص الذين ينتمون إلى إحدى الفئات التالية ويقعون في قبضة العدو:

1-أفراد القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع والمليشيات أو الوحدات المتطوعة التي تشكل جزءا من هذه القوات المسلحة.

2أفراد الميليشيات الأخرى والوحدات المتطوعة الأخرى بمن فيهم أعضاء حركات المقاومة المنظمة الذين ينتمون إلى أحد أطراف النزاع ويعملون داخل أو خارج إقليمهم، حتى ولو كان هذا الإقليم محتل على أن تتوفر الشروط الآتية في هذه الميليشيات أو الوحدات التطوعية بما فيها حركات المقاومة المنظمة المذكورة:

1. أن يقودها شخص مسؤول عن مرؤوسيه.

-أن تكون لها شارة مميزة محددة يمكن تمييزها عن بعد.

2. أن تحمل الأسلحة جهرا.

-أن تلتزم في عملياتها بقوانين الحرب وعاداتها.

أفراد القوات المسلحة النظامية الذين يعلنون ولائهم لحكومة أو سلطة لا تعترف بها الدولة الحائزة.

1الأشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا في الواقع جزءا منها، كالأشخاص المدنيين الموجودين ضمن أطقم الطائرات الحربية والمراسلين الحربيين ومتعهدي التموين وأفراد وحدات العمال أو الخدمات المختصة بالترفيه عن العسكريين، شريطة أن يكون لديهم تصريح من القوات المسلحة التي يرافقونها.

2 أفراد الأطقم الملاحية، بمن فيهم القادة والملاحون ومساعدوهم في السفن التجارية وأطقم الطائرات المدنية التابعة لأطراف النزاع الذين لا ينتفعون بمعاملة أفضل بمقتضى أي أحكام أخرى من القانون الدولي.

3 سكان الأراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح من تلقاء أنفسهم عند اقتراب العدو لمقاومة القوات الغازية دون أن يتوفر لهم الوقت لتشكيل وحدات مسلحة نظامية شريطة أن يحملوا السلاح جهرا وأن يراعوا قوانين الحرب وعاداتها.¹⁴

ويعامل الأشخاص المذكورين في ما يلي بالمثل كأسرى حرب بمقتضى هذه الاتفاقية:

1/ الأشخاص الذين يتبعون أو كانوا تابعين للقوات المسلحة للبلد المحتل إذا رأت دولة الاحتلال ضرورة اعتقالهم بسبب هذا الانتماء حتى لو قد تركتهم أحرار في بادئ الأمر أثناء سير الأعمال الحربية خارج الأراضي التي تحتلها، وعلى الأخص في حالة قيام هؤلاء الأشخاص بمحاولة فاشلة للانضمام إلى القوات المسلحة التي يتبعونها والمشاركة في القتال، أو في حالة عدم امتثالهم لإلزام يوجه إليهم بقصد الاعتقال.

1/ الأشخاص الذين ينتمون إلى إحدى الفئات المبينة في هذه المادة الذين تستقبلهم دولة محايدة أو غير محاربة في إقليمها وتلتزم باعتقالهم بمقتضى القانون الدولي، مع مراعاة أية معاملة أكثر ملاءمة قد ترى هذه الدول من المناسب منحها لهم.¹⁵

لا تؤثر هذه المادة بأي حال في وضع أفراد الخدمات الطبية والدينية كما هو محدد في المادة 73 من الاتفاقية.¹⁶

ويتضح مما تقدم أن اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 بشأن أسرى الحرب قد توسعت في ذكر الفئات التي يصدق على أفرادها وصف أسرى حرب، وهو أمر

يمكن تفسيره بالرغبة في توفير أكبر قدر ممكن من الحماية للأفراد في ظل حالة النزاع المسلح وكذا الخاضعين لاحتلال دولة معادية.¹⁷

كما يعتبر الامتياز الجوهري الذي قدم للحركات المقاومة هو أن تعامل سلطة الاحتلال رجال المقاومة المعتقلين في الأراضي المحتلة كأسرى حرب.

ورغم شمولية المادة الرابعة من الاتفاقية الثالثة ومحاولة النص على جميع الحالات، فإن حروب التحرير الوطنية ظلت خارج إطار القواعد الدولية الموضوعة أساساً لتحكم العلاقات بين الدول إلا إذا استتبنا نظرية الاعتراف بصفة محارب، وبعدها المادة الثالثة مشترك لاتفاقيات جنيف لعام 1949، ومن هنا انبثقت فكرة صياغة أحكام وقواعد جديدة تلائم واقع حروب التحرير وكان من نتاج ذلك ما أقره البروتوكول الأول لعام 1977.¹⁸

4 - الأسرى حسب البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977:

لقد جاء إقرار هذا البروتوكول المهم ليسد بعض الثغرات التي وجدت في اتفاقيات جنيف 1949، الحقيقة أنه بإقرار البروتوكول تم التوسع بتعريف مفهوم أسير الحرب بالمقارنة مع التعريف الوارد في اتفاقية جنيف الثالثة، حيث نص البروتوكول الإضافي الأول في فقرته الرابعة على أنه يسري أو ينطبق على المنازعات المسلحة التي تناضل بها الشعوب ضد التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي، وضد الأنظمة العنصرية، وذلك في ممارستها لحق الشعوب في تقرير المصير، كما كرسه ميثاق الأمم المتحدة والإعلان المتعلق بمبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول طبقاً لميثاق الأمم المتحدة.¹⁹

على أي حال وأخذ في الاعتبار بأنه في الصراعات المسلحة هناك أوضاع تكون طبيعية الاعتداءات والمعارك العسكرية مما يمكن المقاتل من أن يميز نفسه ومع ذلك فسوف يظل محتفظاً بوضعه كمقاتل شريطة أن يحمل السلاح علناً في مثل هذه المواقف:

- 1 - أثناء أي اشتباك عسكري.
 - 2 - طوال ذلك الوقت الذي يبقى خلاله مرثيا للخصم على مدى البصر أثناء انشغاله بتوزيع القوات في مواقعها استعدادا للمقاتل فيبررشن هجوم عليه أن يشارك فيه.²⁰
- الفرع الثاني: الأشخاص الذين لا يعتبرون أسرى حرب:
- أولا: المرتزق:
- يعرف المرتزق على أنه: ذلك المجدد للاشتراك الفعلي في الأعمال العدائية لحساب دولة ليس من رعاياها ولا متوطنا فيها، بقصد الحصول على مغنم مادي يتجاوز بإفراط ما يحصل عليه المماثلون له من مقاتلي جيش الدولة التي استعانت به.²¹
- وكما عرفت المادة 47 من البروتوكول الإضافي الأول المرتزق بـ:
- 1 - لا يحق للمرتزق التمتع بوضع المقاتل أو أسير حرب.
 - 2 - المرتزق هو أي شخص.
- أ - يجري تجنيده خصيصا، محليا أو في الخارج ليقاقل في نزاع مسلح.
- ب - يشارك فعلا ومباشرة في الأعمال العدائية.
- ج - يحفزه أساسا إلى الاشتراك في الأعمال العدائية الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبدل له فعلا من قبل طرف في النزاع أو نيابة عنه وعد بتعويض مادي يتجاوز بإفراط ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم.
- د - وليس من رعايا طرف في النزاع ولا متوطنا بإقليم يسيطر عليه أحد أطراف النزاع.
- ه - ليس عضوا في القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع.
- و - وليس موفدا في مهمة رسمية من قبل دولة ليست طرفا في النزاع بوصفه عضوا في قواتها المسلحة.²²

حيث أنه يتضح من نص المادة 47 من البروتوكول الإضافي الأول أن يتعين توافر جميع هذه الشروط في الشخص المجند للقتال في صفوف دولة طرف في نزاع مسلح حتى يمكن إضفاء صفة المرتزق للتغلب على العدو، ورغم التشدد الذي فرضه القانون الدولي الإنساني إلا أن هذه الظاهرة لا تزال تعرفها الحروب المعاصرة، وخير مثال لها مشاركة بعض الإسرائيليين في صفوف الجيش الصربي في القتال الذي دار في إقليم كوسوفا.²³

ثانياً: الجواسيس:

حيث يعني مصطلح الجاسوس (espion) شخص يقوم بجمع معلومات أو محاولة جمعها في إقليم يسيطر عليه طرف خصم، وذلك من خلال القيام بعمل من أعمال الزيف أو تعمد التخفي، ويعني أيضاً شخص يعمل في الخفاء أو تحت شعار كاذب ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة محاربة بهدف إيصالها للعدو.²⁴

كما ينبغي التمييز بين نوعين من الجواسيس:

النوع الأول: هم العسكريون غير المتنكرين الذين يدخلون منطقة العدو بملابسهم العسكرية وأوسمتهم وشاراتهم وذلك بهدف جمع المعلومات عن العدو كجنود الاستطلاع أو الرصد فهؤلاء يعدون أسرى عند القبض عليهم.

النوع الثاني: فهم الأشخاص الذين يقومون أو يحاولون القيام بجمع المعلومات تحت ستار كاذب أو في الخفاء بصورة متكررة فإن مثل هؤلاء الجواسيس إذا ما وقعوا في قبضة الدولة الحائزة فإنهم لا يعدون في عدد أسرى الحرب، وجاز لها أن تفرض عليهم العقاب المناسب شريطة أن يحاكموا في محكمة عسكرية مختصة، وقد وضع هذا الشرط في المادة 30 من اتفاقية لاهاي منعا لارتكاب الأخطاء.²⁵

كما جاء نص المادة 46 في فقرتها الأولى فيما يتعلق بالتجسس إذ تنص: إذا وقع أي فرد من القوات المسلحة لطرف في النزاع في قبضة الخصم أثناء مقارفته للتجسس فلا يكون له الحق في التمتع بوضع أسير حرب ويجوز أن يعامل كجاسوس.²⁶

المبحث الثاني: الحماية المقررة للأسير ودور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في ذلك:

أولت الاتفاقيات الدولية أهمية بالغة وخاصة لحماية الأسير خاصة اتفاقية جنيف لعام 1949 وكذا البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 حيث قدمت للأسير حماية قانونية هامة، وجب احترامها من قبل الدولة الحائزة وذلك بحماية الأسير احل الأولى من الأسر وبعد الأسر، وكما يبرز دور المنظمات غير الحكومية في وقاية ورقابة الدول الحائزة ومد يد العون للمحتجزين وما يصون كرامتهم من المنظمات الرائدة في مجال العمل الإنساني منظمة الصليب الأحمر والهلال الأحمر التي تعتبر حارسة للقانون الدولي الإنساني.

وهذا ما نلاحظه في هذا المبحث بحيث قسمناه إلى مطلبين: المطلب الأول: حقوق الأسير المكفولة، والمطلب الثاني: دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في حمايته.

المطلب الأول: الحقوق المكفولة للأسير:

1 - الحماية المقررة عند ابتداء الأسر:

وحيث يجرم قتل الأسرى بمجرد أن يلقوا السلاح ويستسلموا للعدو، ويتعين على الدولة الأسيرة أن تزود الأسير بوثائق تحقيق شخصية، ولا يجوز تجريده من شارات لرتبته ونياشينه وجنسيته وكذلك الأشياء التي لها قيمة شخصية أو تذكارية.

وعلى الدولة الأسيرة أن ترحل الأسرى في أسرع وقت ممكن إلى معسكرات تقع في مناطق تكون بعيدة بعدا كافيا عن منطقة القتال لحماية الأسرى من خطر

العمليات العسكرية، ويراعى في نقلهم أن يتم بطريقة إنسانية والحيلولة دون تعرضهم للخطر.²⁷

استجواب الأسير:

بالرجوع إلى نص المادة 17 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 نجد أن الأسير ملزم بذكر اسمه بالكامل ورتبته العسكرية وتاريخ ميلاده ورقمه بالجيش أو الفرقة أو رقمه الشخصي أو المسلسل وإذ لم يستطع فبمعلومات مماثلة، فإذا لم يقدم الأسير هذه المعلومات فإنه يتعرض لحرمانه من بعض حقوقه، وعلى الدولة الحائزة أن تعطي للأسير بطاقة هوية مزودة بكل المعلومات الشخصية للأسير، كما لا يمكن أن يمارس ضد الأسير أي إكراه سواء بدني أو معنوي للإدلاء بتصريحات أو معلومات أيا كان نوعها.

كما يسلم الأسرى العاجزين بسبب حالتهم البدنية أو العقلية إلى قسم الخدمات الطبية لتحديد هويتهم ويجب استجواب الأسرى باللغة التي يفهمونها.²⁸

الحماية المقررة للأسرى أثناء الأسر:

1 - الحق في المعاملة الإنسانية:

يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات، ويحظر أن تقترب الدولة الحائزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدها، ويعد انتهاكا جسيما لهذه الاتفاقية، وعلى الأخص لا يجوز تعريض أي أسير للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير وعلى الدولة الحائزة أن تحمي الأسير من جميع أعمال العنف والتهديد وضد السباب وفضول الجماهير وتحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.²⁹

كما نصت المادة 11 من البرتوكول الإضافي الأول لعام 1977 على وجوب المعاملة الإنسانية وذلك في فقرتها الأولى "يجب ألا يمس أي عمل أو إحجام لا مبرر

لهما بالصحة والسلامة البدنية والعقلية للأشخاص الذين هم في قبضة الخصم، أو يتم احتجازهم أو اعتقالهم أو حرمانهم بأية صورة أخرى من حرياتهم نتيجة لأحد الأوضاع المشار إليها في المادة الأولى من هذا البروتوكول".³⁰

2 - الحق في احترام الشخصية والشرف:

وذلك ما أوجبه المادة 14 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 وذلك بنصها لأسرى الحرب حق احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن ويجب أن يلقين معاملة لا تقل ملائمة عن المعاملة التي يلقيها الرجال، ويحتفظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر، ولا يجوز للدولة الحائزة تقييد ممارسة الحقوق البتي تكفلها هذه الأهلية سواء في إقليمها أو خارجه إلا بالقدر الذي يقتضيه الأسر.³¹

3 - الحق في الرعاية الطبية والصحية:

تتكفل الدولة الحائزة بإعاشتهم دون مقابل وتقوم بتقديم الرعاية الصحية التي تتطلبها حالتهم الصحية مجاناً.³²

كما تلزم الدولة الحائزة باتخاذ كافة التدابير الصحية الضرورية لتأمين نظافة المعسكرات وملاءمتها للصحة والوقاية من الأوبئة، ويجب أن تتوفر لأسرى الحرب نهاراً وليلاً مرافق صحية تستوفى فيها الشروط الصحية وتراعى فيها النظافة الدائمة وتخصص مرافق منفصلة للنساء في أي معسكرات توجد فيها أسيرات حرب، ومن ناحية أخرى وإلى جانب الحمامات والمرشات التي يجب أن تزود بها المعسكرات، وكما يزود أسرى الحرب بكميات كافية من الماء والصابون لنظافة أجسامهم وغسل ملابسهم، وكما يوفر لهم ما يلزم لهذا الغرض من تجهيزات وتسهيلات ووقت.³³

كما يجب على الدولة الحاجزة توفير في كل معسكر عيادة طبية مناسبة يحصل فيها الأسرى على ما قد يحتاجون من رعاية وأن توفر لهم الغذاء المناسب وأن تقوم بإنشاء أماكن لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية.³⁴

كما تجرى فحوص طبية لأسرى الحرب مرة واحدة على الأقل، كما يشمل الفحص مراجعة وتسجيل وزن كل أسير والغرض من ذلك هو مراقبة الحالة العامة لصحة الأسرى وتغذيتهم ونظافتهم، وكشف الأمراض المعدية لاسيما التدرن والملاريا والأمراض التناسلية.³⁵

4 - الحق في ممارسة الشعائر الدينية:

يجب على الدولة الأسيرة أن تترك لأسرى الحرب الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية، بشرط عدم الخروج عن النظام الذي تضعه السلطات العسكرية، وعليها أن توفر أماكن مناسبة لإقامة الشعائر الدينية، وعلى الدولة الحاجزة السماح لرجال الدين الذين تم احتجازهم بمساعدة الأسرى لإقامة الشعائر الدينية بين الأسرى الذين من نفس عقيدتهم، ويتعين توزيعهم على مختلف المعسكرات التي يوجد فيها أسرى حرب من نفس قواتهم وعقيدتهم ولغتهم.³⁶

5 - الحق في ممارسة الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية:

وكما جاءت به المادة (38) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 وذلك بنصها وحثها على الدولة الحاجزة أن تشجع الأسرى على ممارسة الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية، وتتخذ التدابير الكفيلة بضمان ممارستها بتوفير الأماكن الملائمة والأدوات اللازمة لهم، وأن توفر لهم فرص القيام بالتمارين الرياضية وكذا تخصيص فضاءات كافية لهذا الغرض في جميع المعسكرات.³⁷

6 -الحق في المأوى والغذاء والملبس:

1 -الحق في الإيواء:

ويجب على الدولة الحاضرة أن توفر في مأوى أسرى الحرب ظروف ملائمة مماثلة لما يوفر لقوات الدولة الحاضرة المقيمة في المنطقة دائماً وأن تراعي عادات وتقاليد الأسرى، ويجب ألا تكون ضارة بصحتهم بأي حال، ويجب أن تكون الأماكن المخصصة للاستعمال الفردي أو الجماعي لأسرى الحرب محمية تماماً من الرطوبة ومدفأة ومضاءة بقدر كاف، وتتخذ جميع الاحتياطات لمنع أخطار الحريق، وكما تقام مهاجع منفصلة بالنسبة للأسيرات.³⁸

2 -الحق في الغذاء:

يجب أن تكون وجبات الطعام الأساسية اليومية كافية من حيث كميتها ونوعيتها وتنوعها لتكفل المحافظة على صحة الأسرى في حالة جيدة ولا تعرضهم لنقص الوزن، كما يجب تزويدهم بكميات كافية من مياه الشرب ويسمح لهم باستعمال التبغ.

وبقدر الإمكان، يشترك الأسرى في إعداد طعامهم ويمكن استخدام لهذا الغرض في المطابخ ويجب أن تجهز لهم أماكن مناسبة لتناول الطعام ويحظر اتخاذ أي تدابير تأديبية جماعية تمس الغذاء.³⁹

3 -الحق في الملابس:

تفرض اتفاقية جنيف الثالثة على الدولة الحاضرة تزويد الأسرى بقدر كاف من الملابس، والملابس الداخلية والجوارب الملائمة لمناخ المنطقة التي يحتجزون فيها. ويجب أن تسمح لهم بارتداء ملابسهم العسكرية وعلامات رتبهم ونياشينهم، ولا يجوز تجريد أسرى الحرب من شارات رتبهم ونياشينهم وجنسيتهم، ويحق لهم الاحتفاظ بردائهم العسكري ومعلقاتهم الشخصية ما عدا الأسلحة والخيول والمستندات الحربية، وتحفظ في عهد الدولة الحاضرة حتى انتهاء الحرب.⁴⁰

7 - حق الأسرى بالاتصال الخارجي:

حيث يسمح لأسرى الحرب بإرسال الرسائل واستلام الرسائل والبطاقات، كما يسمح للدولة الحاجزة بتحديد هذه المراسلات فإنه يتعين عليها السماح على الأقل بإرسال رسالتين وأربع بطاقات كل شهر.⁴¹

كما يسمح لأسرى الحرب بأن يتلقوا بالبريد أو بأي طريقة أخرى طرود فردية أو جماعية تحتوي على الأخص مواد غذائية أو ملابس أو أدوية أو لوازم لتلبية احتياجاتهم الدينية أو الدراسة والترفيهية والمستلزمات الدينية.⁴²

8 - حق الأسرى في المحاكمة العادلة:

تسمح الدولة الحاجزة بمعاونة الأسرى لبعضهم البعض وباختيار محام للأسير للدفاع عنه والاستعانة بخدمات مترجم مؤهل ليتمكن الأسير من فهم لغة المحامي، وعلى الدولة الحاجزة أن تخبر الأسير بهذه الحقوق قبل بدء المحاكمة بمدة كافية، وفي حالة عدم اختيار الأسير لمحامي دفاع تقوم اللجنة الحامية بهذه المهمة وتوفر له محاميا للدفاع عنه، وتعطى للمحامي الذي يتولى الدفاع عن الأسير مدة لا تقل عن أسبوعين من تاريخ بدء المحاكمة، وتمنحه التسهيلات اللازمة لإعداد دفاعه عن الأسير المتهم ويحق للمحامي أن يزور المتهم وأن يتحدث معه بحرية دون وجود رقيب، كما يحق له أن يتحدث مع جميع الشهود التبرئة بمن فيهم أسرى الحرب، ويستفيد المحامي من هذه التسهيلات حتى انتهاء المدة المحددة للاستئناف.⁴³

الفرع الثالث: الحماية المقررة للأسرى بعد انتهاء الأسر:

حيث تنتهي حالة الأسر بإحدى الحالات التي تطرأ أثناء الأسر، وتشمل الوفاة أو الهروب الناجح، أو عودة الأسرى إلى أوطانهم أو إيوائهم في بلد محايد بسبب ظروفهم الصحية، ويمكن أيضا أن ينتهي الأسر بإعادة الأسرى إلى أوطانهم بعد انتهاء العمليات العسكرية إلا أن هذا ليس بالأمر السهل، لأن ذلك يبقى رهن إدارة الدولة الحاجزة بالوفاء بالتزامها اتجاه القانون الدولي الإنساني.

والمادة 118 من الاتفاقية تنص على أنه يفرج عن أسرى الحرب ويعادون إلى أوطانهم دون إبطاء بعد انتهاء الأعمال العدائية الفعلية، مع تطبيق الشروط المتعلقة في النقل التي وردت في المواد (46، 47، 48) كما ترد لهم الأشياء ذات قيمة التي صادرتها الدولة الحائزة عن الاعتقال، وفي حالة انتهاء الحرب ورفض الدولة الحائزة الإفراج عن الأسر لديها، فإن هذا الرفض يعتبر مخالفة جسيمة لأحكام اتفاقية جنيف الثالثة، ويعتبر جريمة من جرائم الحرب وفقاً لأحكام ميثاق المحكمة الجنائية الدولية والبروتوكول الأول.

وبموجب المادتين (109 و110) من الاتفاقية يلقي على عاتق الدولة الحائزة الالتزام بإعادة:

- 1 - أسرى الحرب المصابين بأمراض خطيرة إلى أوطانهم بغض النظر عن العدد والرتب وذلك بعد أن ينالوا قسطاً كافياً من الرعاية الطبية يمكنهم السفر.
- 2 - أسرى الحرب الذين تكون صحتهم العقلية والبدنية مهددة بشكل خطير إذا استمر أسرهم.

- 3 - الجرحى والمرضى الذين ينتظرون شفاؤهم خلال عام من تاريخ الإصابة.⁴⁴ حقوق الأسير أثناء الوفاة:

يجب أن تبين في شهادات الوفاة أو قوائم أسماء المتوفين معلومات عن الهوية ومكان الوفاة وتاريخها وسبب الوفاة ومكان الدفن وتاريخه وكذلك جميع المعلومات اللازمة لتمييز المقابر.

ويجب أن يسبق الدفن أو الحرق فحص طبي للجثة قصد إثبات حالة الوفاة والتمكين من وضع تقرير وإثبات هوية المتوفى عند اللزوم، ويجب على الدولة الحائزة أن تتأكد من أن أسرى الحرب الذين توفوا في الأسر قد دفنوا بالاحترام الواجب، وإذا أمكن طبقاً لشعائر دينهم وأن مقابرهم تحترم وتُصان.⁴⁵ حقوق الأسير في حالة هروبه:

لقد نصت المادة 91 من اتفاقية جنيف الثالثة على الحالات التي يعد فيها الهروب ناجحاً حيث أنه من مدلول المادة أنها تعتبر الهروب وسيلة لانتهاء الأسر، وسواء

كان الهروب ناجحاً أم فاشلاً فقد اعترفت للأسرى مجموعة من الحقوق نذكر منها:

- 1 - لا يتعرض أسرى الحرب الذين ينجحون في الهروب بمفهوم هذه المادة ويقعون في الأسر مرة أخرى لأية عقوبة بسبب هروبهم السابق حتى ولو عاودوا المحاولة.
 - 2 - لا يتعرض أسرى الحرب الذين ساعدوا أسرى آخرين على الهروب أو محاولة الهروب لأية عقوبة تأديبية.
- ومما سبق يستنتج أن الهرب أصبح في مصاف حقوق الأسير وليس مجرد وضعية يكون عليها.⁴⁶
- المطلب الثاني: دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في حماية الأسرى:

- 1 - التعريف باللجنة الدولية للصليب الأحمر:
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر هي منظمة إنسانية محايدة وغير متحيزة ومستقلة، وتتمثل مهمة اللجنة الدولية في مساعدة الأشخاص المتضررين من النزاعات المسلحة وأعمال العنف الأخرى، ويقصد بأعمال العنف الأخرى أي العنف الذي لا يصل إلى الحد القانوني ليعرف بنزاع مسلح لكن تمارسه مجموعة كبيرة ويخلف تداعيات إنسانية.
- وأُسندت هذه المهمة إلى اللجنة الدولية من قبل الدول من خلال اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 وبروتوكولاتها الإضافية لعام 1977 وعام 2005 والنظام الأساسي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.⁴⁷
- وقد استطاعت اللجنة الدولية أن تكتسب مركزاً قانونياً دولياً من بين جميع كيانات المجتمع الدولي، فقد اشتركت منذ نشأتها في عدة مؤتمرات حكومية، وإبرام عدة اتفاقيات بالإضافة إلى مظاهر المعاملة التي تتلقاها اللجنة الدولية من الدول فضلاً عن وضع المراقب الدائم الذي تتمتع به اللجنة الدولية لدى الأمم المتحدة، وكذا اتفاقيات المقر المبرمة بين اللجنة الدولية والعديد من الدول لأجل حصانات وامتيازات لا يتمتع بها الموظفون الدوليون التابعون

للمنظمات الحكومية كالحصانة في مواجهة القضاء الجنائي والمدني بالنسبة لكل ما يصدر من أقوال وأفعال تتصل بوظيفتهم.⁴⁸

كما يرمي عمل اللجنة الدولية إلى حماية أرواح الأشخاص المتضررين من أعمال العنف وكراماتهم، وتعتمد اللجنة الدولية لتحقيق ذلك زمجا شاملا ومتكاملا يشمل ثلاث مجالات عمل مختلفة في الحماية والمساعدة والوقاية لكنها مرتبطة ترابطا وثيقا.

المساعدة: تساعد اللجنة الدولية الأشخاص المتضررين من النزاعات المسلحة من خلال توفير الماء والمأوى وتعزيز الأمن الاقتصادي وتحسين الرعاية الصحية، بما في ذلك جراحة الحرب وتوفير الرعاية للمحتجزين، وتأمين التصرف السليم بجثث القتلى وتحديد هويتهم، ومساعدة ضحايا الألغام الأرضية والذخائر غير المتفجرة.

الحماية: تسعى اللجنة الدولية جاهدة إلى حماية المدنيين المتضررين من النزاعات المسلحة وأشكال العنف الأخرى وصحتهم وكرامتهم بمن فيهم المحتجزين، وتقوم بذلك عبر تشجيع السلطات الحكومية والمجموعات الأخرى على تحمل المسؤوليات التي تقع على عاتقها بموجب القانون الدولي الإنساني والقواعد الأخرى التي تحمي الأشخاص المتضررين من النزاعات المسلحة.

الوقاية: تعمل اللجنة الدولية على المستويات العالمية والإقليمية والمحلية على تعزيز الامتثال للقانون الدولي الإنساني والمبادئ الإنسانية والتوعية بالمسائل الحاسمة التي تؤثر على مشاغل إنسانية.⁴⁹

2 - الأساس القانوني لحق اللجنة الدولية في زيارة أسرى الحرب:

حيث أن للجنة الدولية الحق في زيارة نوعين من المحتجزين، هما: أسرى الحرب والمحتجزون المدنيون، فقد منحت الفقرتان الأولى والثانية من المادة 126 من اتفاقية جنيف الثالثة لمدنوبي الدول الحماية الحق في زيارة الأماكن التي يتواجد بها أسرى الحرب سواء كانت أماكن احتجاز أو نقل أو عمل، ولهم كامل الحرية في اختيار الأماكن التي يرغبون في زيارتها، ولهؤلاء المندوبون

أن يتحدثوا مع الأسرى بدون رقيب، وثم جاءت الفقرة الأخيرة من ذات المادة ومنحت مندوبي اللجنة الدولية ذات الامتيازات التي يتمتع بها مندوبو الدول الحامية في شأن زيارة أسرى الحرب شريطة موافقة الدول التي يقع تحت سلطتها الأسرى على تعيين هؤلاء المندوبين.

ويمنح نص المادة 143 من اتفاقية جنيف الرابعة لمندوبي الدول الحامية واللجنة الدولية ذات الامتيازات التي يمنحها لهم نص المادة 126 ولكن في شأن زيارة المحتجزين المنسيين.⁵⁰

ويعتبر الهدف من زيارة الأسرى هو:

1 - منع وإنهاء حالات الاختفاء القهري والاعدام بلا محاكمة والتعذيب والإساءة.

2 - إعادة الروابط الأسرية متى انقطعت.

3 - تحسين ظروف الأسر عند الضرورة.⁵¹

3 - عمل اللجنة الميداني:

نظرا لتواجد مندوبي اللجنة الدولية للصليب الأحمر الميداني وعلى مسرح المعارك التي تخوضها الأطراف المتنازعة، فإن من واجب هؤلاء المندوبين لفت أنظار السلطات إلى ما يروونه مخالفا للقانون الدولي الإنساني، سواء تعلقت هذه المخالفات بأعمال محظورة أو الامتناع عن القيام بأعمال يوجبها نفس القانون، وللقيام بهذه المهمة على أحسن وجه يقوم مندوبو اللجنة الدولية للصليب الأحمر بمعاينة المعسكرات الخاصة بالأسرى ويقابلون على انفراد من يختارون من الأسرى المحتجزين دون رقابة من ممثلي الدولة الحاجزة.⁵²

ويتحقق مندوبو اللجنة الدولية أيضا من مدى تطبيق الدولة الحاجزة لاتفاقية جنيف الثالثة والبروتوكول الإضافي الأول، ومن أسرى الحرب المعتقلين يعاملون المعاملة الإنسانية التي تليق بوضعه وأنهم يقيمون في أماكن ملائمة تتوفر على شروط النظافة والصحة التي تقتضيها حالة الأسر.⁵³

وبعد كل زيارة تقوم اللجنة الدولية بإرسال تقارير سرية إلى كل من الدول الحائزة والدولة التي يتبعها الأسرى توضح فيها الحقائق التي توصلت إليها واقتراحاتها في هذا الشأن، كذلك تلعب المعلومات التي يجمعها مندوبو اللجنة الدولية أثناء هذه الزيارات دورا كبيرا نحو تحقيق أمرين: الأول هو مساعدة الوكالة المركزية للبحث عن المفقودين في أداء مهامهم بتحديث قوائم المحتجزين، وجمع المعلومات عن المفقودين وإعادة الاتصال بين المحتجزين وعائلاتهم، والأمر الثاني هو معرفة الأماكن التي تحتاج إلى إمدادات إغاثة ومتابعة توزيعها بطريقة سليمة.⁵⁴

فمن بين أعمال اللجنة الدولية للصليب الأحمر وعن رؤية أحد معتقلي غوانتانامو سامي الحاج لأعمال اللجنة الدولية معه تبين وقوعه في الأسر في سجن غوانتانامو حيث سرد أن أول الحكاية هي ورقة بيضاء قدمها له المحقق الأمريكي في باغرام في كانون الثاني/يناير عام 2002 فقد طلب منه كتابة رسالة لأسرته وتدوين عنوانها حيث في الوهلة الأولى لم يتعامل مع الموضوع بثقة إلى في المرة الثانية عند لقائه باللجنة في سجن قندهار حيث طلب مندوبو اللجنة أن يسردوا لهم كيفية الاعتقال حيث استلم أول رسالة من أسرته في أيلول/سبتمبر 2002 رسالة من الهلال الأحمر القطري مع صورة لابنه وبعدها أصبح تداول الرسائل مع أسرته وازدادت ثقته بها مع إفاد أول مندوب عربي من المغرب العربي وقد زاد من ثقته أنه حافظ لكتاب الله، وبعد ذلك أحضرت اللجنة أخصائيين وأطباء على العناية الطبية وتعزز ذلك مع استقدام قانونيين أجابوا على تساؤلات وكذا توفير مكتبة تضم أكثر من 10 آلاف مؤلف من أمهات الكتب الإسلامية إلى أفضل الروايات.

كما عززت اللجنة بعد ذلك بالتواصل الإيجابي مع المعتقلين عبر تطوير وسائل الاتصال بين عائلاتهم شملت الانترنت والهاتف.⁵⁵ كما تقوم اللجنة الدولية لضمان المعاملة الإنسانية وظروف الاحتجاز اللائقة لجميع المحرومين من حريتهم، بغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى احتجازهم، كما تسعى اللجنة إلى التخفيف من معاناة عائلاتهم، خاصة من خلال إعادة الاتصال بين المحتجزين وأقاربهم كما تسعى اللجنة إلى منع التعذيب وغيره من أشكال سوء المعاملة ومنع حالات الاختفاء القسري وتحسين حالات الاحتجاز.

وتعمل اللجنة الدولية كوسيط محايد لدعم إطلاق سراح الأشخاص المحرومين من حريتهم، وكمثال على عمل اللجنة عملت اللجنة على تنظيم إطلاق سراح المحتجزين في عدة نقاط في جنوب السودان، وبعد موافقة الأطراف على إطلاق سراح ومشاركة اللجنة الدولية في العملية يزور مندوبو اللجنة الدولية الأشخاص المزمع إطلاق سراحهم للتأكد من موافقتهم على العملية، وفي بعض الحالات تستطيع اللجنة الدولية توفير الخدمات اللوجستية اللازمة لإطلاق سراحهم ونقلهم فضلاً عن إجراء فحص طبي للتأكد من أن الظروف الصحية للمحتجزين تسمح بنقلهم وفقاً للخطة وتحديد ما إذا كانوا بحاجة إلى المساعدة الصحية. 56.

كما سهلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر نقل محتجزا سعوديا في 29 يناير 2019 من صنعاء إلى الرياض وفي اليوم التالي 30 يناير 2019 أعادت اللجنة الدولية سبعة محتجزين يمينيين من الرياض إلى صنعاء على متن طائرتها، وفي يناير وصلت اللجنة الدولية أنشطتها للاستجابة للاحتياجات الكبيرة في البلد من خلال تنفيذ نطاق واسع من الأنشطة كأعمال الإغاثة ودعم مرافق الرعاية الصحية ومؤسسات المياه وعلاوة على ذلك استكملت اللجنة الدولية التحضيرات للعملية المرتقبة لتبادل المحتجزين على ذمة النزاع الدائر في اليمن. 57.

الخاتمة:

في الأخير بعد التطرق إلى الحماية المقررة للأسير وذلك من خلال التطرق إلى مفهوم الأسير والفرق بينه وبين المعتقل والتعرض التاريخي لتطور مفهوم الأسير ودور المجتمع الدولي وحماية إلى هذه الفئة خاصة من اتفاقية لاهي لعام 1907 و ثم تنقيحها من قبل اتفاقية جنيف لعام 1929 إلى أن أرسى القانون الدولي الإنساني اتفاقية خاصة بالأسرى وهي اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 التي أعطت كل ما يتعلق بالأسير من خلال تعريف الأسير وصفه وصفا مضبوطا، وتميز بين الأسير وغيره وكذا إجمال الحقوق المكفولة للأسير من بداية الأسر إلى نهايته، وكما طورت باستحداث البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 الذي أضاف بدوره نوع من الحماية للأسير، كما منحت اتفاقيات جنيف لعام 1949 الدور للجنة الدولية للصليب الأحمر كمنظمة إنسانية

محايدة تقوم مقام الدولة الحامية في حماية الأسرى ومد يد العون للأسرى والمشاركة كذلك في عمليات الإفراج وكوسيط محايد في كثير من مناطق النزاع، وكذا دورها الرقابي والوقائي الذي كثيرا ما يثمر ثماره في العمل الإنساني والحد من الانتهاكات الجسيمة التي تقع على المحتجزين الأسرى وكذا الاختفاء القسري.

ومن خلال الدراسة يمكننا استنتاج بعض النتائج وهي:

- اختلاف الفقه في تعريف الأسير وعدم وضع تعريف شامل.
- تطور المركز القانوني للأسير من خلال الاتفاقيات الدولية.
- وجود ترسانة من القوانين التي تحمي الأسير.
- الدور البارز للجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في الحد من الانتهاكات الإنسانية على الأسرى، وجودها الميداني في كل مناطق النزاع أسهم بحد كبير في إعادة شمل العائلات.
- إقامة اللجنة لمركز المعلومات الخاص بالأسرى ساهم في إحصاء وتدقيق ونقص عدد المفقودين ورجوع كثير من المفقودين.

توصيات:

- يجب وضع آلية دولية حكومية خاصة بحماية الأسرى.
- عدم محاكمة الأسير على الأرض الحاضرة وتكون المحاكمة في أرض محايدة مع تمتعه بكل حقوقه.
- إلغاء شرط موافقة دولة الاحتجاز لدخول هيئة إنسانية.
- السرية بالنسبة للجنة الدولية للصليب الأحمر الذي هو مبدأ من مبادئها حيث يجب كشف الانتهاكات الإنسانية التي تقع على الأسرى.
- زيادة تشديد القوانين بالنسبة للجرائم الماسة بالشرف بالنسبة للأسرى رجالا ونساء وخاصة الجانب النسوي.

الهوامش:

- 1 - عبد الرحمن علي إبراهيم غثيم : الحماية القانونية لأسرى الحرب وفقا لأحكام القانون الدولي الإنساني، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2018، الطبعة الأولى، ص20.
- 2 - أحمد سي علي: حماية الأشخاص والأموال في القانون الدولي الإنساني، دار الأكاديمية للطبع والنشر، الطبعة الأولى، 2010، ص8.
- 3 - اللجنة الدولية للصليب الأحمر : أسرى الحرب والمحتجزون والقانون الدولي الإنساني، مقال منشور في 2010/04/15 على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
- 4 - عمار مراد غركان : المركز القانوني لأسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني، مجلة الكوفة للعلوم القانونية، العدد 25، ص221.
- 5 - محمد نصر محمد: القانون الدولي الإنساني، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، الطبعة الأولى، 2013، ص84.
- 6 - عمر سعد الله : موسوعة القانون الدولي الإنساني، المجلد 1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص150.
- 7 - مخلد أرخيص الطراونة: الوسيط في القانون الدولي الإنساني، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016، ص194.
- 8 - محمد فهاد الشلالدة : القانون الدولي الإنساني، منشأة المعارف للتوزيع بالاسكندرية، بدون طبعة، 2005، ص49.
- 9 - المادة (2) من اتفاقية لاهاي 1907.
- 10 - المادة (3) من اتفاقية لاهاي 1907.
- 11 - محمد فهاد الشلالدة : القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص100.
- 12 - عصام عبد الفتاح مطر: القانون الدولي الإنساني، مصادره - مبادئه - أهم القواعد، دار الجامعة الجديدة، بدون طبعة، 2011، ص132 - 133.
- 13 - الفقرة (أ) من المادة (4) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.
- 14 - الفقرة (ب) من المادة (4) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.
- 15 - الفقرة (ج) من المادة (4) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.
- 16 - وسام نعمت إبراهيم السعدي: القانون الدولي الإنساني وجهود المجتمع الدولي في تطويره، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، 2014، ص371.
- 17 - محمد فهاد الشلالدة : القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص105.
- 18 - مخلد أرخيص الطراونة : الوسيط في القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص205.
- 19 - محمد فهد الشلالدة: القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص108.

- 20 - محمد ريش : الحماية الجنائية لأسرى الحرب في ظل القانون الدولي الإنساني، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2008 - 2009، ص 68.
- 21 - المادة 47 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.
- 22 - محمد ريش : الحماية الجنائية لأسرى الحرب في ظل القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 69.
- 23 - عمر سعد الله: موسوعة القانون الدولي المعاصر، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص 5.
- 24 - عمر علي محمد سوادي: مبادئ القانون الدولي الإنساني، المركز العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017، ص 106.
- 25 - الفقرة 4/1 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.
- 26 - عبد الغني عبد الحميد محمود : حماية ضحايا النزاعات المسلحة والقانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، دار الكتب القومية، بدون طبعة، سنة 2000، ص 31
- 27 - المادة 17 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 28 - المادة 13 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 29 - المادة 11 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.
- 30 - المادة 14 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 31 - المادة 15 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 32 - المادة 29 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 33 - المادة 30 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 34 - المادة 31 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 35 - عبد الرحمن علي إبراهيم غنيم : الحماية القانونية لأسرى الحرب وفقا لأحكام القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 51 - 52.
- 36 - المادة 38 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 37 - المادة 25 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 38 - محمد فهد الشلالدة : القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 129.
- 39 - ماهر سليم مغاري: الوضع القانوني للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، رسالة ماجستير، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا، جامعة الأقصى غزة، فلسطين، 2017، ص 53.
- 40 - المادة 71 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 41 - المادة 72 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949.
- 42 - ماهر سليم مغاري : الوضع القانوني للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 54.
- 43 - المرجع نفسه، ص 58 - 59.

- 44-عبد الرحمن أبو النصر، أسامة سعيد سعد : مكانة أسرى الحرب والمعتقلين في القانون الدولي الإنساني -دراسة تطبيقية للفلسطينيين في سجون الاحتلال -، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد 22، العدد الأول، يناير 2014، ص 499.
- 45 -أحمد سي علي : حماية الأشخاص والأموال في القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 41 - 42.
- 46 -اللجنة الدولية للصليب الأحمر: تعرف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، نيسان/أبريل 2016، ص 6.
- 47-الراعي العيد، قلفاط شكري : دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حماية الأطفال أثناء النزاعات المسلحة، مجلة آفاق للعلوم، جامعة زيان عاشور، المجلد الرابع، العدد 14، جانفي 2019، ص 245.
- 48-اللجنة الدولية للصليب الأحمر: تعرف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، نيسان/أبريل 2016، ص 7.
- 49-شريف عتلم : دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إنماء وتطوير قواعد القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016، ص 128.
- 50 -أحمد سي علي: دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار الأكاديمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص 159.
- 51 -زيش محمد : الحماية الجنائية لأسرى الحرب في ظل القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 451.
- 52 -أحمد سي علي: دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار الأكاديمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص 159.
- 53 -ريش محمد : الحماية الجنائية لأسرى الحرب في ظل القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 451.
- 54 -شريف عتلم : دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إنماء وتطوير قواعد القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق ص 136.
- 55 -International review of the red cross human torondebate : lam, poliegaction, volume 94, number888, winter 2012, p129.
- 56 -اللجنة الدولية للصليب الأحمر : جنوب السودان: الحديث عن أسرى الحرب، مقال منشور في 11 فبراير 2019 على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر: www.Icrc.org.
- 57 -اللجنة الدولية للصليب الأحمر : اليمن: لمحة موجزة عن أنشطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر يناير 2019، مقال منشور في 2 مايو 2019 على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر: www.Icrc.org.



الجهود الدولية لمكافحة الإجرام السيبراني International efforts to combat cyber crime

مراد مشوش

طالب دكتوراه سنة رابعة - جامعة غرداية

maachouchmourad@ahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-06-22

ملخص -

إن التعاون الدولي في مجال مكافحة الجريمة السبرانية يأخذ مظهران، الأول يتعلق بضرورة التعاون في إنفاذ القانون لملاحقة ومتابعة ومعاقة المجرمين بعد ارتكاب الجريمة والتي تعبر اختصاصات قضائية متعددة ذات نظم قانونية مختلفة، ويتمثل في التعاون القضائي. ، أما المظهر الثاني من مظاهر التعاون الدولي في مجال مكافحة الإجرام السبراني فهو التعاون الفني إذ لا يقتصر هذا التعاون الدولي على المساعدة القضائية المتبادلة فحسب، وإنما يشمل كذلك المساعدة التقنية وتبادل الخبرات بين الدول.

الكلمات المفتاحية-

الإجرام السبراني - الإنترنت - الأمم المتحدة - تسليم المجرمين -
الجرائم المتصلة بالحاسب

Abstract –

International Cooperation In Combating Cybercrime Has Two Aspects. The First Concerns The Need To Cooperate In Law Enforcement To Prosecute, And Punish Criminals After Committing The Crime, Which Cross Jurisdictions With Different Legal Systems, Namely, Judicial Cooperation. . The Second Aspect Of International Cooperation In Combating Cybercrime Is Technical Cooperation. International Cooperation Is Not Limited To Mutual Judicial Assistance, But Also Involves Technical Assistance And The Exchange Of Experience Between States.

Keywords-

Cybercrime - INTERPOL - United Nations – Extradition - Illegal Access

1. مقدمة

يتسم الإجرام السبراني بالنظر لطبيعتها بطابع دولي ، لكن اختلاف التشريعات في تأسيس اختصاصها الجنائي نتيجة تعدد الأسس التي يقوم عليها هذا الاختصاص قد يؤدي إلى تنازع الاختصاص بين الدول، فقد يحدث أن ترتكب الجريمة المعلوماتية في دول معينة، ويكون المجرم المعلوماتي مرتكب هذه الجريمة أجنبياً، فتخضع هذه الجريمة للاختصاص الجنائي للدولة الأولى استناداً إلى مبدأ الاقليمية ، وتخضع كذلك لاختصاص الدول الثانية على أساس مبدأ الاختصاص الشخصي في جانبه الايجابي¹ .

وقد تكون الجريمة المرتكبة على اقليم الدولة من الجرائم التي تهدد أمن و سلامة دولة أخرى، فتخضع للاختصاص الجنائي الاقليمي من جهة، و تخضع لاختصاص الدولة المجني عليها استناداً إلى مبدأ الاختصاص العيني من جهة أخرى، كما تثور فكرة تنازع الاختصاص القضائي في حالة تأسيس الاختصاص على مبدأ الاقليمية ، كما لو قام الجاني ببث معلومات غير مشروعة على اقليم دولة معينة و تم الاطلاع عليها في دولة أخرى، فوفقاً لمبدأ الاقليمية فإن الاختصاص الجنائي و القضائي يثبت لكل دولة من الدول التي مستها الجريمة،

سواء تلك التي وقع فيها الفعل الإجرامي (فعل البث) أو تلك التي حدثت نتيجة الفعل فيها (تلقي المعلومات غير المشروعة)، الأمر الذي يؤدي إلى الاطاحة بمبدأ عدم جواز محاكمة الشخص عن الفعل الواحد أكثر من مرة، و لذلك لا بد أن يكون هناك تعاون دولي يتفق مع طبيعة الإجرام السبراني الذي يتميز بطابع خاص يقتضي أن تكون هناك ردود فعل سريعة لأن هذا التنسيق الفعال و العاجل يساعد على الحد من الأضرار الناجمة عن هذه الجرائم و كذلك تجنب المجرم المعلوماتي الافلات من العقاب و مثال ذلك ما قام به " أونيل دو غوزمان" الذي استخدم فيروس "أحبك I love you" ² سنة 2000 الذي انتشر في كل أنحاء العالم عن طريق البريد الالكتروني حيث قدرت الخسارة ب 7 مليارات دولار³.

و عليه و مما سبق نطرح الإشكالية التالية:

فيما تتمثل الجهود الدولية في مجال مكافحة الإجرام السبراني؟
و عليه، يهدف هذا المقال إلى تقديم أهم الجهود الدولية و الاقليمية في مواجهة الجرائم المعلوماتية و مدى انعكاسها على التعاون الدولي المشترك.
كما أن هذا المقال بشكل مجمل تقديم صورة عامة لأبرز التحديات المصاحبة لهذه التكنولوجيا، وفق منهجية تطمح إلى تقديم نظرة للظاهرة الإجرامية، لهذا سأعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، و ذلك بوصف الجريمة و خصائصها و أنواعها و التحليلي بذكر الجهود الدولية و الإقليمية لمكافحة هذه النوعية من الجرائم و تحليل الأساليب المتبعة من طرف المشرع الجزائري لذلك.

2. على المستوى الدولي:

إذا كان التعاون الدولي هو الآلية الفعال لمكافحة الإجرام السبراني، فإن هذا التعاون يقتضي التخفيف من غلو الفوارق بين الأنظمة العقابية الداخلية لأن التباعد بين هذه الانظمة يجعل المجرم المعلوماتي يبحث عن الأنظمة الأكثر تسامحاً، و لذلك أبرمت العديد من الاتفاقيات الدولية في مجال التعاون الدولي من أجل مكافحة الإجرام السبراني و تظهر معالم هذا التقارب في قبول حالات تفويض الاختصاص في اتخاذ اجراءات التحقيق و جمع

الأدلة و تسليم و الاعتراف بالأحكام الجنائية، بحيث أن هذا القانون الدولي لا ينال من سيادة الدولة، بل بالعكس عدم التعاون يزيد من التباعد بين الأنظمة العقابية مما يساعد على تزايد هذه النوعية من الجرائم.

وعليه يجد التعاون الدولي في مجال مكافحة الجريمة السبرانية بصفة عامة تبريره في بعض الاعتبارات منها⁴ :

-أنه يعتبر خطوة على طريق تدويل القانون الجنائي، ذلك أن ثمة قواعد موضوعية و اجرائية تهيمن على أذهان العديد من مشرعي هذه الحقبة ومن شأن تشابه هذه القواعد أن يخلق نوعاً من التقارب بين التشريعات الحالية.

-أنه يعتبر من قبيل التدابير المانعة من ارتكاب هذه النوعية من الجرائم، لان المجرم المعلوماتي سوف يجد نفسه محاطاً بسياسات مانعة من الافلات من المسؤولية الجنائية عن الجريمة التي ارتكبها ، أو من العقوبة التي حكم عليه بها. فإذا ارتكب جريمته في دولة ما و تمكن من الهروب إلى دولة أخرى فإنه سوف يكون عرضة للقبض عليه أو ترحيله إلى البلد الأول ، و من شأن كل ذلك أن يجعل المجرم المعلوماتي يعزف عن سلوك سبيل الجريمة.

1.2 جهود الأمم المتحدة في مجال مكافحة الإجرام السبراني

بذلت الأمم المتحدة جهوداً كبيرة في سبيل العمل على مكافحة الإجرام السبراني، وذلك لما تسببه هذه الجرائم من أضرار بالغة و خسائر فادحة بالإنسانية جمعاء، و إيماناً منها بأن منع هذه الجرائم و مكافحتها يتطلبان استجابة دولية في ضوء الطابع و الأبعاد الدولية لإساءة استخدام الكمبيوتر و الجرائم المتعلقة به⁵.

توصلت منظمة الأمم المتحدة في مؤتمرها الثامن المنعقد بهافانا 1990 حول منع الجريمة و معاملة المجرمين United Nations Congress on the Revention of Crime and the Treatement of the Offender إلى إصدار قانون خاص بالجرائم المتعلقة بالحاسوب، و أشار القرار إلى أن الأجرام الدولي لمواجهة الجرائم المستحدثة يتطلب من الدول الأعضاء اتخاذ عدة إجراءات⁶ تتلخص فيما يلي :

-تحديث القوانين و أغراضها الجنائية بما في ذلك التدابير المتخذة من أجل ضمان تطبيق القوانين الجنائية الراهنة من تحقيق و قبول الأدلة على نحو ملائم و إدخال التعديلات إذا دعت الضرورة لذلك.

-اتخاذ تدابير أمن و الوقاية مع مراعاة خصوصية الأفراد و احترام حقوق الإنسان.

-رفع الوعي لدى الجماهير و القضاة و الأجهزة العاملة على مكافحة هذا النوع من الجرائم.

-التعاون مع المنظمات المهتمة بهذا الموضوع ، و وضع و تدريس الآداب المتخذة في استخدام الحاسوب في المناهج التعليمية.

-حماية مصالح الدولة و حقوق ضحايا جرائم الحاسوب.

لكن تزايد الجريمة السبرانية و ما تثيره من مشاكل أدى بمنظمة الأمم المتحدة إلى عقد الاتفاقية الخاصة بمكافحة إساءة استعمال التكنولوجيا لأغراض إجرامية ديسمبر سنة 2000 ، رقم 55/63 الجلسة العامة، أين أكدت على الحاجة إلى تعزيز التنسيق و التعاون بين الدول في مكافحة إساءة استعمال تكنولوجيا المعلومات لأغراض إجرامية ، بالإضافة الذي يمكن أن تقوم به المنظمة و المنظمات الإقليمية الأخرى.

عقدت كذلك الأمم المتحدة المؤتمر الثاني عشر لمنع الجريمة و العدالة الجنائية بالبرازيل أيام 12 إلى 19 أفريل 2010، حيث ناقشت فيه الدول الأعضاء ببعض التعمق مختلف التطورات الأخير في استخدام التكنولوجيا من طرف المجرمين و السلطات المختصة في مكافحة الجريمة، حيث تبقى منظمة الأمم المتحدة الإطار الأمثل لمكافحة الإجرام السبراني حيث وضعت مجموعة من القواعد الموضوعية و إجرائية⁷ لمواجهة هذه النوعية من الجرائم.

1.1.2 القواعد الموضوعية:

تتضمن هذه القواعد النص على قائمة الحد الأدنى للأفعال المتعين تجريمها و اعتبارها من قبيل الإجرام السبراني و تحديثها دورياً و المتضمنة :

-جريمة الاحتيال أو الغش المرتبط بالكمبيوتر : و يشمل ذلك الادخال و الاتلاف و المحو لمعطيات الكمبيوتر أو برامجه أو القيام بأية أفعال تؤثر بمجرى

المعالجة الآلية للبيانات و تؤدي إلى الحاق الخسارة أو فقدان الحياة أو ضياع ملكية شخص وذلك بقصد جني الفاعل منافع اقتصادية له أو للغير.

-جريمة التزوير التي تطال برامج الكمبيوتر أو التزوير المعلوماتي : و يشمل ذلك ادخال أو الاتلاف أو المحو أو تحويل المعطيات أو البرامج أو أية أفعال تؤثر على المجري العادي لمعالجة البيانات ترتكب باستخدام الكمبيوتر و تعد فيما لو ارتكبت بغير هذه الطرق من قبيل أفعال التزوير المنصوص عليها في القانون الوطني.

-جريمة تخريب و اتلاف الكمبيوتر: و يشمل ذلك ادخال أو الاتلاف أو التخريب أو أي فعل آخر بقصد تعطيل وظيفة من وظائف الكمبيوتر أو نظام الاتصالات و الشبكات.

-جريمة الدخول غير المصرح به : و هو التوصل أو الولوج دون تصريح إلى نظام أو مجموعة نظم عن طريق انتهاك إجراءات الأمن.

-جريمة الاعتراض غير المصرح به : و هو الاعتراض عن طريق وسائل فنية للاتصال توجه لنظام كمبيوتر أو عدة نظم او شبكة اتصالات.

2.1.2 القواعد الإجرائية:

تتضمن بعض الأسس الواجب مراعاتها⁸ :

-وجوب تحديد السلطات التي تقوم بإجراء التفتيش و الضبط في بيئة تكنولوجيا المعلومات، و خاصة ضبط الأشياء المتعلقة بها و تفتيش الحاسب.

-وجوب أن يكون هناك قدر كبير من التعاون الفعال بين الأطراف لكي تكون المعلومات متاحة في صورة يمكن استخدامها للأغراض القضائية في حل هذه الجرائم

-السماح للسلطات العامة باعتراض الاتصالات داخل البيئة المعلوماتية مه استخدام الأدلة التي يمكن ان يتحصل عليها.

-ادخال بعض التعديلات التشريعية في حالة الضرورة ما يتماشى مع طبيعة الإجرام السبراني داخل القانون الوطني و كذلك القواعد القائمة في مجال الإثبات الالكتروني من حيث مصداقية الأدلة و ما يمكن أن تثيره من مشاكل عند تطبيقها.

-يجب أن يوضع في الاعتبار كل المسائل المرتبطة ببيئة تكنولوجيا المعلومات، مثل ضياع فرصة اقتصادية، التجسس، انتهاك حرمة الحياة الخاصة، مخاطر الخسارة الاقتصادية، كلفة إعادة بناء قواعد البيانات كما كانت و إعادتها إلى الوضع السابق قبل اجراء أي تفتيش أو تحقيق.

2.2 جهود المنظمات الدولية في مجال مكافحة الإجرام السبراني

قد اتخذت مبادرات من قبل العديد من المنظمات كالاتحاد الدولي للاتصالات (ITU)، الإنتربول/يوروبول، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، مؤسسة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (ICANN) والمنظمة الدولية لتوحيد المقاييس (ISO)، واللجنة الكهروتقنية الدولية (IEC) وفرق عمل هندسة الإنترنت و FIRST منتدى الاستجابة للأحداث ومجموعات الأمن لآسيا والمحيط الهادئ، ومنظمة التعاون الاقتصادي للمحيط الهادئ وآسيا (APEC) ومنظمة الدول الأميركية (OAS) ورابطة دول جنوب شرق آسيا (ASEAN) وجامعة الدول العربية، والاتحاد الأفريقي.

1.2.2 منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)

تهدف هذه المنظمة إلى تحقيق أعلى مستويات النمو الاقتصادي و تنافس التطور الاقتصادي مع التنمية الاجتماعية، بدأت هذه المنظمة الاهتمام بالجريمة السبرانية منذ عام 1978، حيث وضعت مجموعة من الأدلة و قواعد إرشادية تتصل بتقنية المعلومات، و يعد الدليل المتعلق بحماية الخصوصية و قواعد نقل البيانات من أول الأدلة التي تم تبنيها من قبل مجلس المنظمة في عام 1980 مع التوصية للأعضاء بالالتزام بها.⁹

فأصدرت سنة 1983 تقريراً بعنوان الجرائم المرتبطة بالحاسوب و تحليل السياسة القانونية الجنائية، حيث استعرض التقرير السياسة الجنائية القائمة و المقترحات الخاصة في عدد من الدول الأعضاء، وتضمن التقرير الحد الأدنى من لأفعال سوء استخدام الحاسوب و التي على الدول تجريمها و تشمل هذه الأفعال¹⁰ :

-الاستخدام أو الدخول إلى نظام و مصادر الحاسب على نحو غير مصرح به

-الإفشاء غير مصرح به للمعلومات المعالجة آلياً و النسخ و الإتلاف أو التخریب ما يحتويه من بيانات و برامج و الإعاقة غير المشروعة للوصول لمصادر الحاسب من منع أو تعطيل استخدام الحاسب أو برامجه أو البيانات المخزنة داخله.

و في عام 1992 و وضعت المنظمة توصيات و إرشادات خاصة بأنظمة المعلومات و أوصت بضرورة أن تعطي التشريعات الجنائية للدول الأعضاء مبادئ عامة¹¹ تتمثل في :

- حدود التجميع: يتعين فرض قيود على تجميع البيانات.
- نوعية البيانات: حيث تنص على أن تتعلق البيانات بالغاية و الغرض الذي سوف تستخدم من أجله.
- تعيين الغرض: بحيث يكون الغرض الذي تستخدم فيه البيانات الشخصية محصورة و محددة سلفاً.
- حدود الاستخدام: يقتضي الالتزام بعدم إفشاء البيانات الشخصية و نشرها لغير المصرح لهم بذلك.
- الوقاية الأمنية : ضرورة اتخاذ تدابير و إجراءات أمنية ملائمة و حازمة في إحاطة البيانات.
- الانفتاح: أن تكون السياسة العامة للتطوير و الخطط و التطبيقات معلنة فيما يتعلق بالبيانات ذات الطبيعة الشخصية.
- المشاركة الفردية: حق الأشخاص المعنية في الوصول و التعرف على البيانات التي تخصهم فضلاً عن رقابة مدى صحتها.
- المساءلة و المحاسبة : التي تقتضي محاسبة الأشخاص و الجهات المرخص لهم الوصول و الاطلاع على البيانات و التعامل معها في حالة تجاوز أي من الإجراءات التي تكفل حماية البيانات ذات الصلة الخاصة.

2.2.2. الأنتربول

وضعت منظمة الإنتربول¹² نظاماً خاصاً للتعاون، وهو النظام الوطني الخاص بالنقطة المرجعية المركزية¹³ NCRP و يوجد في كل دولة من الدول الأعضاء في الإنتربول مكتب مركزي وطني يُعد نقطة الاتصال مع الإدارات الأجنبية التي

تجري تحقيقات خارج حدودها وتضم شبكة من المحققين العاملين في الوحدات الوطنية المعنية بجرائم لتيسير الاتصالات الميدانية بين البلدان الأعضاء وتسريعها قدر الإمكان ومن مهامها هذا النظام إنماء الاستراتيجيات والتقنيات والمعلومات بشأن أحدث الأساليب الجرمية في مجال جرائم تكنولوجيا المعلومات وهناك فرق عاملة إقليمية لإفريقيا والأمريكيتين وآسيا وجنوب المحيط الهادئ و أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا¹⁴.

كما قامت منظمة الإنتربول بوضع برنامجاً خاصاً لمكافحة الإجرام المعلوماتي يركز على التدريب والعمليات ويعمل على مواكبة التهديدات الناشئة بمبادرات ويهدف هذا البرنامج¹⁵ :

- توفير دورات تدريبية لوضع معايير مهنية والتقييد بها.
- تعزيز تبادل المعلومات بين البلدان الأعضاء عن طريق الأفرقة العاملة والمؤتمرات الإقليمية.
- تنسيق العمليات الدولية ودعمها
- إعداد قائمة عالمية بأسماء ضباط الاتصال ووضعها بتصرف المحققين في مجال الإجرام السيبري على مدار الساعة
- مساعدة البلدان الأعضاء على التحقيق في الهجمات أو الجرائم السبرانية عن طريق توفير خدمات في مجال التحقيق وقواعد البيانات
- إقامة شراكات استراتيجية مع المنظمات الدولية الأخرى وهيئات القطاع الخاص.
- تحديد التهديدات الناشئة وتبادل معلومات الاستخبار في هذا المجال مع البلدان الأعضاء.

- توفير بوابة آمنة على الويب لنشر معلومات ووثائق عملية.

3. على المستوى الإقليمي (اتفاقية بودابست):

تعد الاتفاقية الأوروبية بمثابة دعوة موجهة إلى دول العالم للتفاعل مع الجرائم المستحدثة و التي جاءت نتيجة محاولات عديدة منذ ثمانيات القرن العشرين حتى ظهرت بشكلها، فبتاريخ 20 أفريل 2000 تقدمت اللجنة الأوروبية لمشكلات الجريمة ولجنة الخبراء في حقل جرائم التقنية، بمشروع اتفاقية جرائم

الكمبيوتر وخضعت مواد الاتفاقية المقترحة للمناقشة وتبادل الآراء خلال الفترة من اصدار مشروعها الأول وحتى إعداد مسودتها النهائية التي أقرت لاحقاً في بودابست 2001 وتعرف باتفاقية بودابست (اتفاقية الجرائم الالكترونية - سايبير كرايم) وكان قد طرح مشروع الاتفاقية للعامة ووزع على مختلف الجهات وأطلق ضمن مواقع عديدة أوروبية وأمريكية على شبكة الأنترنت لجهة التباحث وإبداء الرأي، وتعكس الاتفاقية الجهد الواسع والمميز للاتحاد الأوروبي ولجان الخبراء فيهما المنسبة على مسائل جرائم الكمبيوتر وأغراضها منذ أكثر من عشرة أعوام¹⁶.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى إبرام الاتفاقية هو الحاجة على اتخاذ تدابير تشريعية لمكافحة الجريمة السبرانية و مخاطرها المدمرة على الدول خاصة في ظل شيوع شبكات المعلومات و في ظل التوسع و النماء الكبير لأنظمة الحوسبة المفتوحة و نقل و تدفق المعلومات، إضافة إلى التشديد على أهمية مكافحة كافة الأنشطة التي تستهدف أمن المعلومات و نظم الكمبيوتر.¹⁷

هذه التدابير التشريعية و التنظيمية لضمان ملاحقة مرتكبي هذه الجرائم وكشفها وتوفير قواعد ملائمة للتحري و التحقيق والضبط والتفتيش والمحكمة مع التركيز على أهمية التعاون المحلي والاقليمي والدولي مع وجوب اقامة التوازن بين متطلبات تنفيذ القانون وبين وجوب احترام الحقوق الاساسية والسيادة، ولأن هذه الاتفاقية جاءت حصيلة جهود دولية و اقليمية فقد أكدت المقدمة أيضا على أهمية ما أنجز من جهود في حقل الإجرام السبراني من قبل الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والاتحاد الأوروبي ومجموعة الدول الصناعية وبالنتيجة فأن مشروع الاتفاقية قد ركزت على عناصر أساسية ثلاثة¹⁸:

- أهمية التدابير التشريعية الموضوعية) نصوص التجريم.
- أهمية التدابير التشريعية الاجرائية) النصوص الاجرائية.
- أهمية تدابير التعاون الدولي والاقليمي في مجال مكافحة الجرائم.

إن هذه الاتفاقية تقدم ولأول مرة إطاراً لتحديد قائمة جرائم الكمبيوتر وأنماطها وطوائفها، إذ حتى الآن وبالرغم من الجهود التشريعية والتدابير

الاقليمية والدولية على مدى السنوات الثلاثين الماضية لم تتوفر رؤية شاملة او اطار واضح يحدد قائمة الجرائم أو بين أساس التقسيم ، ولهذا فان أهم ما يسجل لهذه الاتفاقية – بعيد عن الاتفاق والخلاف على الأساس الذي اعتمدته – أنها تطرح اطاراً للتقسيم والتحديد بشأن القواعد الموضوعية لجرائم الكمبيوتر والأنترنت، وبالرجوع الى المعيار التي اعتمدته ، نجده بالأساس يقوم على فكرة دور الكمبيوتر بالجريمة¹⁹.

تتكون الاتفاقية من مقدمة وأربعة فصول، فبعد أن استعرضت المقدمة أهداف الاتفاقية و منطلقاتها و مرجعياتها السابقة وما تقوم عليه من جهود ارشادية وتوجيهية وتدابير اقليمية ودولية، جاء الفصل الأول لتغطية المصطلحات الأساسية (مادة 1)، تضمن الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان الإجراءات المتعين اتخاذها على المستوى الوطني ، ثلاثة أقسام : الأول، ويضم المواد من 2-13 ويعالج النصوص الموضوعية لجرائم الكمبيوتر، والقسم الثاني ويضم المواد من 14-21 وتعلق بالقواعد الإجرائية والقسم الثالث ويضم المادة 22 وتعلق بالاختصاص .

أما الفصل الثالث من الاتفاقية والذي جاء تحت عنوان التعاون الدولي، فقط تضمن قسمين، الأول تحت عنوان المبادئ العامة ويضم المواد من 23 -28 والقسم الثاني ويتعلق بالنصوص الخاصة ويضم المواد من 29 -35، أما الفصل الخامس فيتضمن الاحكام الختامية ويضم المواد من 36 - 48 .

أكدت مقدمة الاتفاقية على الحاجة إلى اتخاذ تدابير تشريعية لمكافحة جرائم الكمبيوتر و الأنشطة التي تستهدف العناصر الثلاثة لأمن المعلومات ونظم الكمبيوتر وهي السرية confidentiality وسلامة المحتوى integrity وتوفر المعلومات والنظم availability ، كما أن المقدمة نجدها تلخص أهداف الاتفاقية بما يلي²⁰ : -

-السعي لتحقيق وحدة التدابير التشريعية بين الدول الأوروبية والدول المنضمة للاتفاقية من غير الدول الأوروبية .

-التأكيد على أهمية التعاون الاقليمي والدولي في ميدان مكافحة جرائم الكمبيوتر والأنترنت وإيجاد مرجعية ودليل إرشادي للتدابير التشريعية الوطنية في ميدان مكافحة جرائم الكمبيوتر والأنترنت .

-ضرورة فعالية خطط العمل لمكافحة الأنشطة التي تستهدف سرية وسلامة وتوفر المعلومات وأنظمة الكمبيوتر وشبكات الكمبيوتر وأنشطة إساءة استخدام الكمبيوتر والشبكات ، بما في ذلك تحديد الإطار الموضوعي لهذه الأنشطة والإطار الإجرائي المتصل بالتحقيق والتحري والمقاضاة في ميدان جرائم الكمبيوتر على المستوى الوطني والدولي .

يضم الفصل الأول مادة واحدة (المادة 1) وهي التعريفات *définitions*

وربما تكون هذه المادة من أهم المواد في ميدان اتفاقيات تقنية المعلومات²¹ بسبب الخلاف الكبير بشأن تعريف اصطلاحات الكمبيوتر تبعا لزاوية الرؤيا وهدف استخدام التعريف، إلى جانب التباين بشأن المعايير والمقاييس التقنية وربما تكون لهذه المادة أهمية استثنائية لجهة توحيد التعريفات بعدما ظهر التناقض والتباين في تشريعات جرائم الكمبيوتر التي جرى سنها في أوروبا وأمريكا وأستراليا وعدد من دول شرق آسيا، كما عرفت نظام الكمبيوتر *computer system* وعرفت هذه المادة معطيات الكمبيوتر *computer data* تعريفاً واسعاً يشمل الحقائق والمعلومات والمفاهيم بشكل مناسب لعمليات المعالجة في نظام الكمبيوتر.

أما الفصل الثاني من الاتفاقية والمعنون (المعايير المتعين اتباعها على المستوى الوطني – *measures to be taken at the national level*) تضمن أقساما ثلاث، الأول حول التدابير الموضوعية أي القانون الجنائي الموضوعي، والتي تعنى بالسلوكيات التي يجب اعتبارها جريمة جنائية، والثاني حول التدابير الإجرائية، ويتناول التدابير التي تتخذ لإجراء تحقيقات أكثر فعالية فيما يتعلق بجرائم الكمبيوتر، ويجب التأكيد على أن هذه التدابير الإجرائية يمكن استخدامها مع أية جرائم جنائية يشترك فيها نظام للكمبيوتر، والثالث حول الاختصاص، وبهذا الفصل تكون الاتفاقية قد قدمت الإطار

القانوني للتدابير التشريعية الموضوعية والاجرائية المتعين اتخاذها لمواجهة جرائم الكمبيوتر والانترنت²²، وهذا ما سيتناوله البحث بشيء من التفصيل.

الفصل الثالث تم تخصيصه للتعاون الدولي و الحث على الأطراف أن تتعاون مع بعضها البعض، في تطبيق الأصول الدولية في المواد الجنائية، والمبادئ المتعلقة بالمساعدات القانونية المتبادلة، والمعلومات المقدمة طوعية، والمساعدة القانونية المتبادلة في حال عدم وجود وثائق دولية معمول بها، والسرية ووضع حد للاستخدام.

أما الفصل الرابع الأحكام الختامية و يهتم هذا الفصل على وجه الخصوص بالدول غير الأوروبية كما ينص على سبل انضمام الدول غير الأعضاء إلى الاتفاقية.

1.3 القانون الجنائي الموضوعي

يعد موضوع القسم الأول من هذه الاتفاقية (المواد من 2 إلى 13) دليلاً ارشادياً لتحسن أو اصلاح و سائل منع و قمع الإجرام المعلوماتي Améliorer les moyens de prévenir et de réprimer la criminalité informatique، بتحديد أدنى القواعد العامة التي تسمح باتخاذ بعض التصرفات القانونية اتجاه هذه الجرائم و يسهل مكافحتها على المستوى الوطني و الدولي، و يحدد قائمة تسمح بتجريم بعض الأفعال و التصرفات غير المشروعة التي ترتكب على بيئة معلوماتية، بعبارة أخرى حصر الإجرام السبراني بتحديد الحد الأدنى في بعض الأفعال غير المشروعة التي تعد من قبيل الجريمة السبرانية.

فإذا كانت هذه الاتفاقية تنطبق على التصرفات التي توصف على أنها جرائم مرتكبة عن طريق تكنولوجيا المعلومات، فإن المذكرة التفسيرية حرصت على ايضاح أن الاتفاقية تستخدم تكنولوجيا محايدة Neutre أي التكنولوجيا الأنية و المستقبلية، كما ركزت المذكرة التفسيرية على ضرورة ارتكاب الجرائم المحصاة دون حق وذلك عندما نصت (يشترط في تجريم الأفعال في هذه الاتفاقية أن يكون القيام بالفعل دون حق (Sans droit)، كما أن كل الجرائم المدرجة يجب ان تكون مرتكبة بطريقة عمدية²³ Facon Intentionnelle

1.1.3 الأفعال غير المشروعة

تناولت المواد من 2 إلى 10 الجرائم الواردة في هذه الاتفاقية

- جرائم ضد سرية وسلامة و توافر البيانات و النظم المعلوماتية:

Infraction contre la confidentialité, L'intégrité et la systèmes informatique disponibilité des données et

من الجرائم التي تناولها هذا العنوان هو حماية سرية و سلامة و اتاحة أو تهئية

البيانات و نظم الحاسب للعمل أو التشغيل، وبالتالي يخرج من نطاق التجريم

الأنشطة المشروعة و العادية و المرتبطة بتصميم الشبكات و كذلك الممارسات

الاستثمارية أو التجارية المشروعة و العادية، وقد تناولتها²⁴ المواد من 2 إلى 6

-الولوج غير القانوني (المادة2): Accès Illégal و الذي يعد الجريمة

الرئيسية التي تهدد سرية و أمن و سلامة المعلومات و توفرها و على ذلك فإن

مجرد التدخل غير المصرح به بمعنى القرصنة* Le piratage ، أو الدخول غير

المشروع في النظام يعتبر تصرفاً غير مشروع

-الاعتراض غير القانوني (المادة3): تهدف هذه المادة لحماية الحق في

احترام نقل البيانات و أن هذه الجريمة تمثل انتهاكاً للحق في احترام الاتصالات

مثل التصنت و التسجيل التقليدي للمحادثات و المراسلات بين بين الأشخاص.

-الاعتراض على سلامة البيانات (المادة4): الغرض من هذه المادة هو أن

تكون بيانات و برامج الحاسب مكفولة بحماية مماثلة لتلك التي تتمتع بها

الأشياء المادية ضد الأضرار التي تحدث عمداً من ائتلاف الأجهزة المادية و المنطقية

المكونة للحاسب و محو البيانات و البرامج.²⁵

-الاعتداء على سلامة النظام (المادة5): تهدف هذه المادة إلى تجريم عرقلة

الاستخدام الشرعي لنظام المعلومات، أو التأثير على سيرها العادي و التي تمنع أو

تبطئ بشكل ملموس سير عمل النظام.

-إساءة استخدام أجهزة الحاسب (المادة6): تشير هذه المادة أن الأعمال غير

المشروعة التي تندرج تحت النوع أ من الجرائم المذكورة أعلاه تكون في الغالب

عند حيازة و سائل الدخول كحصول المجرم على معدات التشويش أو أجهزة

تحاليل الشبكات التي هي في الأصل تستعمل للتحقيق من إمكانية عمل الشبكات

أو أجهزة مراقبة أمن الشبكات كما قد يكون جهاز الكمبيوتر نفسه أداة المزود بالإنترنت أداة لاختراق بعض المواقع أو الحسابات الالكترونية²⁶، كما تشمل الإنتاج المتعمد أو بيع أو شراء أو استيراد أو توزيع الأجهزة و الأدوات بهدف ارتكاب أي فعل المنصوص عليه في المواد 2 إلى 5 من هذه الاتفاقية.²⁷

- الجرائم المتصلة بالحاسب: Infractions Informatiques و هي المادتين 7 و 8 والتي تتعلق بجرائم عادية يمكن في الغالب ان ترتكب عن طريق الحاسب الآلي:

-التزوير المعلوماتي (المادة 7): الغرض من هذه المادة في إنشاء جريمة موازية لجريمة تزوير المستندات الورقية كما تهدف إلى استكمال أوجه النقص²⁸ التي تعترى قانون العقوبات بالنسبة للتزوير التقليدي، و التزوير المعلوماتي يتكون من خلق Créer أو تعديل Modifier.

-الغش المعلوماتي (المادة 8): مع حدوث ثورة تكنولوجياية تضاعفت إمكانية ارتكاب جرائم اقتصادية كالغش و بالأخص النصب ببطاقات الائتمان و المعاملات البنكية أو الودائع التي أصبحت هدفاً للنصب من خلال التلاعبات بمدخلات النظام بمعنى ادخال على النظام ببيانات غير صحيحة.

-الجرائم المتصلة بالمضمون: Infraction se rapportant au contenu هذه الجرائم المرتبطة بالمحتوى و التي تربط بإنتاج أو نشر غير المشروع للمواد الإباحية الطفولية غير النظم المعلوماتية.

-الجرائم المتصلة بالمواد الاباحية (المادة 9): تسعى هذه المادة إلى تدعيم الإجراءات التي تحمي الأطفال خاصة من الاستغلال الجنسي من خلال تحديث قانون العقوبات تشمل على استخدام الحاسب الآلي في اطار ارتكاب الجرائم الجنسية ضد الأطفال كما تجرم مختلف جوانب الإنتاج و الحيازة و النشر للمواد الإباحية الطفولية.

-الجرائم المتصلة بالاعتداءات الواقعة على الملكية الفكرية و الحقوق المجاورة: Infractions liées aux atteintes à la propriété intellectuelle et aux droits connexes و هي الأفعال التي تعتبر عن انتهاكات واقعة على الملكية الفكرية و خاصة المؤلف من خلال المادة 10 من

متخصصي النظام المعلوماتي و خصوصاً شبكة الانترنت و الأفعال²⁹ هي : إن إعادة إنتاج و بث الأعمال المحمية عبر الأنترنت دون موافقة حائز الحق هو أمر غير شرعي و هذه الأعمال المحمية تشمل الأعمال الأدبية و التصويرية و الموسيقية و السمعية البصرية.

2.1.3 تقرير العقوبات

أشارت المادة 13 من هذه الاتفاقية على ضرورة خضوع المنصوص عليها في المواد من 2 إلى 10 لعقوبات جزائية و بالنظر للالتزامات التي تفرضها هذه المواد فإنه يجب على الاطراف المتعاقدة استخلاص النتائج الخطيرة المترتبة على ارتكاب تلك الجرائم و إقرار عقوبات جزائية فعالة، مناسبة و رادعة تتضمن عقوبات سالبة للحرية.

و في حالة الاشخاص الاعتباريين أن يخضعوا أيضاً لعقوبات فعالة و مناسبة و رادعة و التي يمكن أن تكون جزائية، مدنية أو ادارية، كما تركت نفس المادة المجال مفتوحاً لإمكانية فرض عقوبات أخرى أو إجراءات تتناسب مع خطورة الجرائم المرتكبة مثل قرار الحظر أو المصادرة.

2.3 قانون الإجراءات

إن المواد في القسم الراهن نصت بعض الإجراءات التي يجب اتخاذها على الصعيد الوطني، و التي تخدم التحريات الجنائية التي ترتكب عن طريق المنظومة المعلوماتية، و جمع الأدلة ذات الطابع الالكتروني.

فتكمن أحد أصحاب المشاكل في مجال مكافحة الإجرام السبراني في صعوبة تحديد هوية مرتكب الجريمة و مداها و تأثيرها و المشكلة الأخرى تكمن في ضياع البيانات الالكترونية التي يمكن نقلها أو تعديلها أو محوها في ثواني معدودة³⁰، فمثلاً يستطيع الشخص الذي يتحكم في البيانات أن يستخدم المنظومة المعلوماتية بمحوها مدمراً بذلك جميع الأدلة التي يقوم عليها التحقيق الجنائي، لذا تعتبر في أغلب الأحيان السرعة و السرية من المكونات الأساسية لنجاح التحريات.

نُقر الاتفاقية إجراءات تقليدية مع المناخ التكنولوجي الحديث مثل التفتيش و المصادرة و بالتوازي وضعت إجراءات جديدة³¹، كالحفظ السريع

للبيانات خلال مدة زمنية محدودة وذلك بهدف إتاحة الفرصة للحصول أو جمع البيانات التي تخدم التحريات أو الإجراءات الجنائية التي يجب القيام بها، والتي بموجبها يجري الإعداد و الاتفاق على نظم حماية تسمح بالسيطرة على هذا المناخ التكنولوجي الجديد وتطوير سلطات إجرائية جديدة.

كما تشير هذا القسم إلى مجال تطبيق بنود هذه الاتفاقية من خلال المادة 14، حيث تلزم كل دولة طرف في الاتفاقية بإقرار الإجراءات التشريعية بما يسمح القانون الداخلي بها لخدمة التحريات و الإجراءات الجنائية الخاصة على :

-الجرائم الجنائية المنصوص عليها في القسم الأول من الاتفاقية.

-جميع الجرائم الجنائية الأخرى التي ترتكب عن طريق المنظومة المعلوماتية.

-جمع الأدلة الالكترونية³² لكل جريمة من أجل التحريات أو إجراءات جنائية معينة³³.

و تشير الاتفاقية بوضوح إلى أنه يجب ان تقر الأطراف بان القانون الداخلي يتضمن معلومات رقمية أو الكترونية قد تستخدم كأدلة³⁴ أما القضاء وذلك في إطار الجنائي أياً كان طبيعة الجريمة المطلوب متابعتها.

1.2.3 الحفظ السريع للمعطيات المخزنة

إن الإجراءات التي تتضمنها المادة 16 و 17 تطبق على جميع البيانات المخزنة (بيانات خط السير أو بيانات المضمون³⁵) و التي تم جمعها و حفظها عن طريق أصحابها، أي أنها لا تطبق إلا عندما تكون بيانات المعلوماتية، موجودة آنفاً و في طور التخزين.

و المقصود بحفظ البيانات³⁶ هو الاحتفاظ السابق بالمعلومات و تخزينها مع حمايتها من كل ما يمكن أن يفسدها أو يتلف نوعيتها أو حالتها الراهنة، فالحفظ هو عملية ضمان لسلامتها و جعلها بأمن³⁷، كما تشير المادة 14 من هذه الاتفاقية أنه يجب العمل بجميع الصلاحيات و الإجراءات و ذلك لخدمة التحريات و الإجراءات الجنائية، فالاحتفاظ بالبيانات يعد صلاحية و إجراء

قانوني جديد تماماً على القانون الداخلي³⁸، فالأمر يتعلق بوسيلة جديدة لإجراء التحريات الهامة لمكافحة الإجرام السبراني وذلك للأسباب التالية:

- نظراً لقابلية البيانات المعلوماتية للتلاشي فإنه من السهل التلاعب بها و تعديلها، وكذلك من السهل فقدان العناصر التي تعد دليلاً على وقوع جريمة ولا سيما إذا كانت الممارسة المتبعة في المعالجة والتخزين تفتقد الدقة.

- إن جزء كبير من الإجرام المعلوماتي غالباً ما يرتكب من خلال انتقال الاتصال عن طريق المنظومة المعلوماتية، ومن الممكن أن تتضمن تلك الاتصالات محتوى غير مشروع.

2.2.3. تفتيش و مصادرة البيانات المعلوماتية:

تهدف المادة 19 من هذه الاتفاقية إلى تحديث و تجانس التشريعات الداخلية الخاصة بالتفتيش و مصادرة البيانات المعلوماتية المخزنة للحصول على ادلة مرتبطة بتحريات و إجراءات جنائية معينة، و تنص جميع التشريعات الداخلية الخاصة بالإجراءات الجنائية على صلاحيات التفتيش و المصادرة للعناصر المادية.³⁹

غير أنه فيما يتعلق بالبحث عن البيانات المعلوماتية، يتحتم وجود أحكام إجرائية إضافية حتى تضمن الحصول على البيانات المطلوبة بنفس فاعلية التفتيش و مصادرة الدعائم للمعلومات المادية و يرجع ذلك أن تتم قراءة المعطيات عن طريق جهاز معلوماتي و لكن لا يمكن مصادرتها و نقلها بنفس طريقة المستند الورقي، كما يمكن نقل الأجهزة الداعمة التي يتم عليها حفظ البيانات (قرص صلب، ديسك... إلخ)، بالإضافة لكون المنظومة المعلوماتية متصلة فيما بينها، فيكون من السهل الوصول إلى المعلومات المطلوبة من خلال هذه المنظومة في حالة عدم تخزين هذه المعلومات على جهاز الكمبيوتر موضوع أمر التفتيش، حيث تكون مخزنة في حافظة معلومات متصلة بصورة مباشرة بجهاز كمبيوتر آخر و عن بصورة غير مباشرة بواسطة نظام اتصالات كالأنترنت⁴⁰، عندما ألزمت الفقرة الأولى و الثانية من نفس المادة الأطراف أن تخول لسلطاتها المختصة بمكافحة الجريمة المعلوماتية الحق في فحص و

الدخول على المعطيات سواء الموجودة في نظم معلومات أو جزء من هذه المنظومة مثل الأسطوانة ... إلخ⁴¹.

كما تناولت الفقرة الثالثة السماح للسلطات المختصة بمصادرة البيانات أو الحصول عليها بطريقة مشابهة لها عن طريق نسخها بأي طريقة تقنية و التي لا تعرضها للإتلاف أو فقدانها أو جزء منها. إذا أخذنا بعين الاعتبار البعد الدولي لجرائم الإنترنت، يمكننا أن نستنتج أنه لا يمكن لدولة بمفردها أن تحقق النجاح في هذه المعركة، بل لا يتحقق ذلك إلا عن طريق التعاون على المستوى الدولي و الاقليمي. ولكننا نعلم أن التعاون يعتمد على الأنظمة القانونية للدول والتوفيق بين التشريعات الوطنية المختلفة ، كما يجب على كل البلدان أن تضع إطارا قانونيا مناسباً، سواء على المستوى الوطني أو الدولي، بحيث يكون قادرا على توفير الأدوات التشريعية وأدوات التحقيق اللازمة لمكافحة جرائم الإنترنت مع الوضع في الاعتبار مدى تعقيدها.

4. خاتمة

يتضح جلياً خطورة هذا النوع من الجرائم ، حيث أن القوانين التقليدية المطبقة لم تعد مجدية نظراً لاختلاف الكبير بين الجرائم التقليدية و جرائم المعلوماتية التي يعود بالأساس إلى الطبيعة اللامادية لها و التي هي من أهم الصعوبات التي تعتري سبل مكافحتها ويفعل ما أثاره التطبيق القضائي لنصوص القوانين الجنائية على جرائم الحاسوب من مشكلات ، ولضمان عدم افلات الجناة من العدالة لعدم كفاية القوانين أو عجزها عن الانطباق على هذه الجرائم المستحدثة ، وصوناً لمبدأ الشرعية الذي يقضي بأن لا جريمة ولا عقوبة بغير نص قانوني ، لهذه الأسباب ، ولواجهة الخطر المحدق والخسائر الفادحة التي تسببها جرائم الحاسوب اتخذت المواجهة التشريعية لجرائم المعلوماتية عدة مستويات :

أما المستوى الأول فهو المستوى الوطني ، فلقد سارعت دول العالم المتقدم التدابير اللازمة لمواجهة هذه النوعية من الجرائم، فبض هذه الدول حرصت على أن تُضمّن تشريعاتها بخصوص هذه الجرائم إما عن طريق نصوص مستقلة و مثال ذلك قانونو اساءة استخدام الحاسب في المملكة المتحدة الصادر في 29 جوان 1990 ، و إما عن طريق تحديث قوانينها و إدماجها في قانون العقوبات ومن أبرز هذه النوعية فرنسا من خلال قانون العقوبات الجديد الصادر سنة 1992 و الذي أضاف فصلاً ثالثاً للباب الثاني من القسم الثالث تحت عنوان " انتهاكات نظم المعالجة الآلية للبيانات Des atteintes aux systèmes de traitement autorisé de données " و يتكون هذا الفصل من المواد 1/321 إلى 7/323.⁴²

و من بين المحطات التالية من محطات التجريم المعلوماتي في فرنسا فكانت عام 2004⁴³ عندما أضاف المشرع الفرنسي بموجبه جريمة أخرى هي جريمة التعامل في الوسائل التي تصلح أن ترتكب بها جريمة الدخول أو البقاء غير المصرح بها أو جريمة التلاعب بالمعطيات أو جريمة إعاقة وإفساد أنظمة المعالجة الآلية للمعطيات.

و ثانيها على المستوى الاقليمي ، فلقد حرص المجلس الاوروبي على التصدي للاستخدام غير المشروع للكمبيوتر و شبكات المعلوماتية وفي عام 1989 نشر المجلس الأوروبي دراسة تضمنت توصيات تفعيل دور القانون لمواجهة الأفعال غير المشروعة عبر الحاسب وهي التوصية التي لحقتها دراسة أخرى في عام 1995 حول الإجراءات الجنائية في مجال الجرائم المعلوماتية، وعلى أساس المبادئ التي تضمنتها التوصيات قام المجلس الأوروبي في عام 1997 بتشكيل لجنة خبراء الجريمة عبر العالم الافتراضي وذلك بقصد إعداد اتفاقية في هذا الإطار و تجلى ذلك في اتفاقية بودابست⁴⁴ Convention on cyber crime و الموقعة في 23 نوفمبر 2001 و التي سنعكف على دراستها في المطلب الثاني من هذه الدراسة. وثالثها على المستوى الدولي و تتمثل في جهود الامم المتحدة التي تبتذلها في هذا المضمار.

الهوامش

- ¹. جميل عبد الباقي الصغير ، الجوانب الاجرائية للجرائم المتعلقة بالانترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، ص 73.
- ². هي دودة حاسوب ضربت العديد من أجهزة الكمبيوتر في عام 2000، عندما تم إرسالها كمرفق برسالة بريد إلكتروني مع النص "I LOVE YOU" في عنوان الرسالة الدودة وصلت في صناديق البريد في 4 مايو 2000، مع هذا العنوان البسيط "I LOVE YOU" ومرفق "LOVE-LETTER-FOR-YOU.txt.vbs". عند فتح المرفق ترسل الدودة نسخة من نفسها للجميع في قائمة العناوين، متكررة في زي للمستخدم. كما أنها تحدث العديد من التغييرات الضارة لنظام المستخدم. ويكيبيديا، فيروس أحبك 2014/05/14، فيروس أحبك <http://ar.wikipedia.org/wiki/>
- ³. راسل تاينر، أهمية التعاون الدولي في منع جرائم الإنترنت، الندوة الإقليمية حول الجرائم المتصلة بالكمبيوتر، 19 06 2007، المغرب، ص 112
- ⁴. د. جميل عبد الباقي الصغير ، المرجع السابق ، ص 74
- ⁵. عواطف محمد عثمان عبد الحليم ، جرائم المعلوماتية ، مجلة العدل ، العدد الرابع والعشرون ، ص 69 .
- ⁶. نعيم سعيداني ، المرجع السابق ، ص 93
- ⁷. عبد الله عبد الكريم عبد الله ، جرائم المعلوماتية و الإنترنت دراسة مقارنة ، الطبعة الأولى ، منشورات الحلبي الحقوقية ، 2007 ، ص 111
- ⁸. المرجع نفسه ، ص 114
- ⁹. يوسف صغير ، الجريمة المرتكبة عبر الإنترنت ، مذكرة ماجستير حقوق ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2013 ، ص 96
- ¹⁰. غازي عبد الرحمن هيان الرشيد، الحماية القانونية من جرائم المعلوماتية (الانترنت) ، مذكرة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، لبنان، 2004، ص 92
- ¹¹. د. علي جبار الحسنوي ، جرائم الحاسوب و الإنترنت ، دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2009 ، ص 154
- ¹². الأنتربول بالإنجليزية Interpol هي اختصار لكلمة الشرطة الدولية بالإنجليزية International Police والاسم الكامل لها هو منظمة الشرطة الجنائية الدولية بالإنجليزية International Criminal Police Organization وهي أكبر منظمة شرطة دولية أنشئت في عام 1923 مكونة من قوات الشرطة لـ 190 دولة ، ومقرها الرئيسي في مدينة ليون بفرنسا، ويكيبيديا، منظمة الشرطة الجنائية الدولية، 2014/05/14 ، <http://ar.wikipedia.org/Interpol> ،

- ¹³ . جان فرنسوا هنروت، أهمية التعاون الدولي بين عناصر الشرطة، الندوة الإقليمية حول الجرائم المتصلة بالكمبيوتر، 19 - 20 جوان 2007، المملكة المغربية، ص 100.
- ¹⁴ . الأنتربول، الإجرام السبراني، 14/05/2014، مجالات -الإجرام/الإجرام - السيبري/الإجرام -السيبري <http://www.interpol.int/ar>.
- ¹⁵ . الإنتربول، المرجع نفسه، ص 1.
- ¹⁶ . يونس عرب، قراءة في الاتجاهات التشريعية للجرائم الالكترونية مع بيان موقف الدول العربية وتجربة سلطنة عمان، تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية، 2 - 4 ابريل 2006، مسقط، ص 15.
- ¹⁷ . عبد الله عبد الكريم عبد الله، المرجع السابق، ص 126.
- ¹⁸ . د. يونس عرب، المرجع السابق، ص 16.
- ¹⁹ . عماد مجدي عبد الملك، جرائم الكمبيوتر والأنترنترنت، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2011، ص 175.
- ²⁰ . المجلس الأوروبي، المذكرة التفسيرية لاتفاقية بودابست 2001 النسخة المترجمة بالعربية، 2014/05/12.
- ²¹ . هلاي عبد اللاه أحمد، جرائم المعلوماتية وأساليب المواجهة وفقاً لاتفاقية بودابست، ط 1، دار النهضة، القاهرة، 2007، ص 30.
- ²² . طارق ابراهيم الدسوقي عطية، الأمن المعلوماتي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص 297.
- ²³ . المرجع نفسه، ص 302.
- ²⁴ . هلاي عبد اللاه أحمد، المرجع السابق، ص 68.
- ²⁵ * فالقرصنة الإلكترونية أو المعلوماتية هي عملية اختراق لأنظمة الحاسوب.
- ²⁶ . طارق ابراهيم الدسوقي عطية، المرجع السابق، ص 319.
- ²⁷ . عبد الله عبد الكريم عبد الله، المرجع السابق، ص 133.
- ²⁸ . طارق ابراهيم الدسوقي عطية، المرجع السابق، ص 323.
- ²⁹ . المجلس الأوروبي، المرجع السابق، ص 66.
- ³⁰ . طارق ابراهيم الدسوقي عطية، المرجع السابق، ص 496.
- ³¹ . المجلس الأوروبي، المرجع السابق، ص 68.

- ³². الدليل الإلكتروني هو كل البيانات التي يمكن إعدادها أو تخزينها في شكل رقمي بحيث تمكن الحاسب من إنجاز مهمة ما، عائشة بن قارة مصطفى، حجية الدليل الإلكتروني في مجال الإثبات، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2010، ص53
- ³³. علماً أن القانون المدني الجزائري قد انتبه إلى مسألة حجية الدليل الرقمي و التوقيعات الالكترونية و قبولها من طرف القاضي في مادتيه 1/223 و 327 من قانون 10/05 المتعلق بالمنافسة، محمد فولان، الحماية القانونية لتكنولوجيات الإعلام، مجلة المحكمة العليا، الجزائر، العدد 01، 2010، ص 41
- ³⁴. المجلس الأوروبي، المرجع السابق، ص69
- ³⁵. فبالنسبة للنوع الأول فقد عرفها المشرع بموجب المادة 02 من قانون 04/09 المتعلق بقانون الوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات العلوم و الاتصال، بأنها أي معطيات متعلقة بالاتصال عن طريق منظومة معلوماتية تنتجها هذه الأخيرة باعتبارها جزءاً في حلقة اتصالات توضح مصدر الاتصال، والوجهة المرسل إليها والطريق الذي يسلكه ووقت وتاريخ وحجم ومدة الاتصال ونوع الخدمة أما النوع الثاني والمتعلقة بالمحتوى فلم يأت على تعريفها، وإن كانت تتعلق بمضمون الاتصال أو الرسالة أو المعلومات المنقولة عن طريق الاتصال.
- ³⁶. الفرق بين حفظ البيانات و توثيق البيانات فالتعبيرين لهما معنى متقارب و لكنه يختلف في مجال المعلوماتية فالتوثيق عبارة عن عملية تخزين للبيانات و الاحتفاظ بها لفترة زمنية معينة، د طارق ابراهيم الدسوقي عطية، المرجع السابق، ص 501
- ³⁷. المجلس الأوروبي، المرجع السابق، ص71
- ³⁸. طارق ابراهيم الدسوقي عطية، المرجع السابق، ص 504
- ³⁹. و مثال ذلك ما جاء في القسم الثالث "في الانتقال و التفتيش و القبض " من الكتاب الأول من قانون 06 - 22 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006 المعدل و المتمم للأمر 55 - 165 المؤرخ في 08 يونيو 1965 المتضمن قانون الإجراءات الجزائية، الجريدة الرسمية، العدد 84، الجزائر، 24 ديسمبر 2006
- ⁴⁰. نبيل صقر، المرجع السابق، ص 160
- ⁴¹. المجلس الأوروبي، المرجع السابق، ص95
- ⁴². Clément ENDRELIN , Les moyens juridiques de lutte contre la cybercriminalité , Diplôme universitaire sécurité intérieur/extérieur dans l'Union Européen , 2011, p76
- ⁴³. القانون رقم 575 لسنة 2004 في 21/06/2004 المتعلق بالثقة في الاقتصاد الرقمي
- ⁴⁴. نعيم سعيداني ، المرجع نفسه ، ص 85



الترجيح بالمقاصد عند ابن رشد الحفيد من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد

Weighting the purposes when Ibn Rushd grandson
through his book the beginning of the hardworking and the
end of the thrifty

أحمد خويلدي

- معهد العلوم الاسلامية - جامعة - الوادي - الجزائر

benabdallah1@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-25

تاريخ الاستلام: 2019-10-23

ملخص -

نظرا لأهمية المقاصد الشرعية في استنباط الأحكام الشرعية والترجيح بينها، كانت حاجة الفقيه إليها ملحة، وتظهر هذه الحاجة عند تعارض الأدلة الشرعية بحيث يتساوى الدليلان ويتعذر الجمع فعند ذلك نعتمد على مقاصد الشريعة في الترجيح، من أجل ذلك ارتأيت تناول هذا الموضوع الترجيح المقاصدي عند ابن رشد الحفيد من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبين عمليا كيف يوظف ويفعل هذا العالم الجليل المقاصد في الترجيح بين الأحكام، فجاء البحث في ثلاثة مطالب أولها: تعريف مصطلحات العنوان، الترجيح بالمقاصد، الثاني تطرقت فيه إلى النظر المقاصدي عند ابن رشد في النقاط: 1 - أحكام الشرع بين التعبد والتعليل 2 - الألفاظ التي لها صلة بالمقاصد عند ابن رشد 3 - تكييف الأحكام مع مقاصدها لبيان تفعيله للمقاصد، والثالث: بيان ترجيحاته المقاصدية بأمثلة، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية -

الترجيح، المقاصد، ابن رشد الحفيد

Summary -

Due To The Importance Of Legitimate Purposes In The Development Of Legal Provisions And Weighting Between Them, The Need For The Jurist Was Urgent, And This Need Appears When The Conflict Of Legitimate Evidence So That The Evidence Is Equal And Can Not Be Combined, Then We Rely On The Purposes Of The Shariah In The Weighting, For That I Felt Dealt With This Subject Weighting Intentions When Ibn Rushd The Grandson Through His Book The Beginning Of Hardworking And The End Of Almqnad To Show Practically How To Employ And Do This World Galilee Intentions In Weighting Between The Provisions The Research Came In Three Demands: First, The Definition Of The Terms Of The Title, Weighting The Purposes, And The Second Dealt With The Consideration Of The Purposes Of Ibn Rushd Points: 1 - Provisions Of The Law Between Worship And Reasoning 2 - The Words Related To The Purposes Of Ibn Rushd 3 - Adapt The Provisions To The Purposes Of A Statement Activation Of The Purposes, And The

Third-

A Statement Of Weightings Makassed Examples, And Then A Conclusion Included The Most Important Results.

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام برسالة الإسلام العظيمة التي تميّزت بميِّزاتٍ أهلتها لأن تكون وحدها الرّسالة الخالدة فلا يوجد حكم فيها أو تشريع إلا ويحتوي على حكم عظيمة ومقاصد جلييلة يمكن للإنسان المسلم أن يستنبط بعضها منها ويمكن أن تغيب عليه أخرى ، وهذا الأمر جار على جميع الأحكام دون استثناء .

إن النظر في المقاصد والمآلات من أهم ما يجب أن يراعيه المجتهد في عملية استنباط الأحكام الشرعية، قال الشاطبي رحمه الله: "إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها"¹ والباحث في المقاصد الشرعية يجد أن للمالكية إسهاما كبيرا في هذا المجال، نظرا لما يتمتع به هذا المذهب من أصول أطلت المالكية في الاحتجاج لها وتطبيقها كالاستصلاح وسد الذريعة، وكانوا فيها أصرح وأوضح من غيرهم من المذاهب الفقهية؛ ولهذا فقد حظي كثير من أعلام المالكية بدراسات في هذا العصر الذي يشهد انتعاشا في الدراسات المقاصدية، فنشروا تراثهم، ودرسوا آثارهم، كالشاطبي والقرافي وابن عاشور...، فزاد الدرس المقاصدي بهذا ثراء ونماء. وقد لاحظت عند مطالعتي لكتاب بداية المجتهد لابن رشد الحفيد المالكي، أن له أثارا مقاصدية متفرقة لم تحظ بالاهتمام اللائق لهذا الإمام الذي لا يختلف في أن له مكانة عالية في المذهب المالكي في مجال الفقه والأصول، وأنه لم تفرد له دراسة تبين نظريته المقاصدية من جميع جوانبها، من هنا جاءت الحاجة لدراسة هذا الجانب المقاصدي عند القاضي ابن رشد

إشكالية البحث: يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل كان لابن رشد تصور متكامل لمقاصد الشريعة، أم أن ما هو مبثوث في كتابه ما هي إلا أفكار ونظرات مشتتة لا ينتظمها إطار شامل؟ - ما هو موقف ابن رشد من تعليل أفعال الله جل وعلا وأحكامه؟ - ما هي العناصر التي تشكل الفكر المقاصدي لابن رشد، وهل تتعلق بالمقاصد العامة أو الخاصة أو بالمقاصد الجزئية، أم بهم جميعا؟ - ما هو أثر المقاصد في فكره الأصولي والفقهية؟ - ما هي السمات العامة للفكر المقاصدي عند ابن رشد، وما الذي يميزه عن فكر غيره من العلماء؟.

واجب عن هذه التساؤلات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

¹ - الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، 4/ 105 - 106

المطلب الثاني : مظاهر النظر المقاصدي عند ابن رشد، في المجال الفقهي التشريعي:

1 - أحكام الشرع بين التعبد والتعليل 2 - الألفاظ التي لها صلة بالمقاصد عند ابن رشد

3 - تكييف الأحكام مع مقاصدها

المطلب الثالث: الترجيح بناء على المقاصد

الخاتمة

المطلب الأول : التعريف بمصطلحات عنوان البحث .الترجيح بالمقاصد

1 تعريف الترجيح لغة واصطلاحاً:

أولاً : الترجيح لغة: رجح الشيء رجوحاً ورجحاناً ورجاحة ثقل، ويقال: رجحه غيره، ويقال: رجحت إحدى الكفتين الأخرى مالت بالموزون، وفي مجلسه ثقل فيه فلم يخف وعقله أو رأيه اكتمل، والشيء بيده رفعه لينظر ما ثقله، وفلاناً زاد عليه في الرزانة، يقال: راجحه فرجحه، وقول راجح ورأي مرجوح².

ثانياً : الترجيح اصطلاحاً: تقوية أحد الطرفين المتعارضين أو المتقابلين، بوجه معتبر شرعاً، وذلك بإظهار مزية في تقدمه على مزاحمه أو معارضه³.

2 تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف المقاصد لغة : جمع مقْصِدٍ، والمَقْصِدُ: مأخوذ من الفعل (قصد) يقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً وَمَقْصِداً⁴. فالقَصْدُ والمَقْصِدُ بمعنى واحد. إذا علم ذلك فقد ذكر علماء اللغة أن القَصْدَ يأتي في اللغة لمعان⁵ منها: المعنى الأول:

² لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج2، ص445. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج1، ص329.

³ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ج1، ص170.

⁴ - انظر: معجم مقاييس اللغة: 95/5، والمعجم الوسيط: 738/2،

⁵ - انظر: كتاب العين: 54/5، وتهذيب اللغة: 358/8 وما بعدها. والصحاح، 524/2 وما بعدها. ومعجم مقاييس اللغة، 95/5. ولسان العرب، 353/3 وما بعدها. وتاج العروس، 35/9 وما بعدها. والمعجم الوسيط، 737/2.

الاعتماد، والأم، وإتيان الشيء، والتوجه، تقول: قصد، وقصد له، وقصد إليه إذا أمه، ومنه أيضاً: أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه.

ومن هذا المعنى ما جاء في صحيح مسلم (فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله...) ⁶

المعنى الثاني: استقامة الطريق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ^(١)

﴿النحل: ٩﴾ قال ابن جرير: "والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه..." له.

المعنى الثالث: العدل، والتوسط وعدم الإفراط. وقول جابر بن سمرة: (كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً) أي وسطاً بين الطويلة والقصيرة.

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً :

اهتم المتأخرون بالتعريف الحدي للمقاصد بهدف الوصول إلى معناه الحقيقي إلا أن معظم هذه التعريفات لم تسلم من انتقاد لعدم التزام أصحابها بشروط التعريف الحدي، ولكثرة هذه التعريفات وتشابهاً ساقطصر على البعض فقط باعتبارها تفي بالغرض.

1/ تعريف العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور؛ قسم الشيخ الطاهر بن عاشور المقاصد الشرعية إلى قسمين، ثم عرف كل قسم منها على حدة
القسم الأول : المقاصد العامة للتشريع : فقد عرفها بقوله : "مقاصد التشريع العامة؛ هي المعاني و الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع

⁶ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . ح ر: 160، 56/1.

⁷ - تفسير ابن جرير: 83/8.

⁸ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح ر: 866 ، 416/1.

أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة.⁹

القسم الثاني : المقاصد الخاصة للتشريع : عرفها بقوله: " هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة".¹⁰

2/ تعريف الشيخ علال الفاسي لمقاصد الشريعة بقوله: " المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها".¹¹

3 - تعريف الأستاذ أحمد الريسوني: عرفها بقوله: " هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها؛ لمصلحة العباد "¹²

4 - تعريف الأستاذ نور الدين الخادمي: عرف المقاصد بقوله: " هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمتربة عليها سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير العبودية لله ومصلحة الإنسان في الدارين".¹³

5 - تعريف الأستاذ نذير حمادو وهو التعريف المختار حيث قال في إحدى المحاضرات في المقاصد أن تعريف المقاصد هي: " المعاني التي راعاها الشارع الحكيم في التشريع والتي تحقق العبودية لله والمصلحة للإنسان "

3 - تعريف الترجيح بالمقاصد اصطلاحا: "هو تقديم أحد الدليلين المتعارضين لقوة مصلحته"¹⁴

المطلب الثاني : مظاهر النظر المقاصدي عند ابن رشد، في المجال الفقهي التشريعي:

- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 51 .⁹

- مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، ص 146 .¹⁰

- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها علال الفاسي، ص 7 .¹¹

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 7 .¹²

- الاجتهاد المقاصدي، الخادمي، 1 / 52 - 53 .¹³

¹⁴ - الترجيح بالمقاصد ضوابطه وأثره الفقهي، محمد عاشوري، ص 48

1 - أحكام الشرع بين التعبد والتعليل

الأحكام الشرعية عند الفقهاء تدور بين أمرين إما بالتعبدية، أو بالمعللة. فيقولون مرة هذا حكم تعبدية، أي غير معقول المعنى. ومرة هذا الحكم معلل المعنى، وهم يقصدون أن لها علة وغرض معين، مصرح به في النص الشرعي نفسه، أو يدركه الفقيه بالتأمل والاستنباط، فيكون الحكم معللاً بما يجب له من مصالح وفوائد، وبما يدفعه من مفسدات وأضرار. فإذا لم يظهر له وجه من هذا أو ذلك، قيل: إنه تعبدية غير معقول المعنى. أي لم تصل عقولنا إلى إدراك حكمته وفائدته والمراد به.

وابن رشد لم يخرج عن هذا التأرجح وعن تنويع الأحكام الشرعية إلى ما هو تعبدية وما هو معلل. ولو أنه في غالب الأحيان يقوم بذلك على سبيل الحكاية والنقل لأقوال الفقهاء واختياراتهم الفقهية. إلا أن ما يتميز به ويحمد له هو كثرة توقفه وتنبيهه على هذا التفريق وما ينبني عليه من الاجتهاد والترجيحات الفقهية، وأنه لم يقصر تعليل الأحكام وبيان معقوليتها على ما سوى العبادات من معاملات وعادات ومناكحات وجنابات، على أساس أن العبادات في عمومها غير معللة، وأن «مبنى العبادات على الإحتكامات»¹⁵ على حد تعبير الإمام الغزالي، بل أمضى نظره التعليلي في أحكام العبادات لينبه على حكماتها والغرض من شرعها، وليبين ما قد ترتب على القول بهذا التعليل أو عدم القول به.

ومن أمثلة ذلك اختلاف الفقهاء في وجوب النية في الوضوء، قال: " وسبب اختلافهم: تردد الوضوء بين أن يكون عبادة محضة: أعني غير معقول المعنى، وإنما يقصد بها القرية فقط، كالصلاة وغيرها، وبين أن يكون عبادة معقولة المعنى كغسل النجاسة. فإن الفقهاء لا يختلفون. أن العبادة المحضة مفتقرة إلى النية. والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية. والوضوء فيه شبه من العبادتين. ولذلك وقع الخلاف فيه، وذلك أنه يجمع عبادة ونظافة، والفقيه أن

¹⁵ - شفاء الغليل، ص 204.

ينظر بأيهما هو أقوى شبها فيلحق به"16 . وهذا النص لابن رشد يبين لنا أن العبادات منها ما هو معلل معقول المعنى، ومنها ما هو تعبد محض، ومنها ما هو متردد بينهما، لكونه جمع بين المصلحة الظاهرة والتعبد الخفي المصلحة، فهو جامع بين المصلحة المعللة والمصلحة التعبدية، كالوضوء الذي جمع بين العبادة والنظافة. ومن هذا القبيل أيضا ما جاء به الأمر النبوي، في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في الإناء، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده"17. فمن الفقهاء من جعله أمرا تعبديا، ومنهم من حمله على السنية، ومنهم من رأى أنه مندوب. وكل هذا على أساس أنه جزء من عبادة الوضوء أو مقدمة من مقدماتها. ولكن النظر التعليلي لابن رشد اتجه إتجاها آخر في فهم هذا الأمر النبوي وإدراك مقصوده فقال: "والظاهر من هذا الحديث أنه لم يقصد به حكم البدء في الوضوء، وإنما قصد به حكم الماء الذي يتوضأ به، إذا كان الماء مشترطا فيه الطهارة"18.

وينبني على هذا الفهم التعليلي المقاصدي، أن غسل اليدين في هذا الحديث ليس عملا من أعمال الوضوء وليس مقدمة من مقدماته. بل هو حكم وأدب يتعلق بالمحافظة على طهارة الماء ونظافته، وعليه فهو لازم لمن أراد الوضوء ولمن أراد استعمال الماء لأي غرض كان، إذا أعتراه الشك في طهارة يديه ونظافتهما، كما ينبني عليه أن من استيقظ طهارة يديه ونظافتهما فلا حرج عليه أن يأخذ بهما الماء من الإناء دون حاجة إلى غسل مسبق لها. كما تطرق أيضا إلى مسألة إزالة النجاسة، واختلاف الفقهاء في صحة إزالتها بما سوى الماء من المواد المائعة أو الجافة. فقال: "وسبب اختلافهم في إزالة النجاسة بما عدا الماء - في غير المخرجين - هل المقصود بإزالة النجاسة بالماء

16 - بداية المجتهد : 204.

17 - بداية المجتهد : 64/1.

18 - المرجع السابق نفسه : 67/1.

هو إتلاف عينها فقط، فيستوي في ذلك مع الماء كل ما يتلف عينها؟ أم إن للماء في ذلك مزية خصوص ليس لغير الماء"19 .

فالحنفية يرون إزالة النجاسة بكل شيء طاهر يزيل عينها، خلافا للمالكية والشافعية الذين قصرُوا ذلك على الماء، فقد كان على هؤلاء أن يعلموا ويجيبوا عن السؤال الذي يورده عليهم الحنفية: لماذا تخصيص الماء وحده بإزالة النجاسة من دون سائر المواد التي تزيلها فعلاً؟.

للجواب عن هذا السؤال لجأ الشافعية إلى المخرج المريح، وهو التعبد، قال أبو الوليد ابن رشد الحفيد: "ولما طالبت الحنفية الشافعية بذلك الخصوص المزيّد للماء، لجأوا في ذلك إلى أنها عبادة، إذا لم يقدروا أن يعطوا في ذلك سبباً معقولاً، حتى إنهم سلموا أن الماء لا يزيل النجاسة بمعنى معقول، وإنما إزالته بمعنى شرعي حكمي. وطال الخطب والجدل بينهم: هل إزالة النجاسة بالماء عبادة أو معنى معقول - خلفاً عن سلف - واضطرت الشافعية إلى أن تثبت أن في الماء قوة شرعية في رفع أحكام النجاسات ليست في غيره وإن استوى مع سائر الأشياء في إزالة العين، وأن المقصود إنما هو إزالة ذلك الحكم الذي اختص به الماء، لا إذهب عين النجاسة، بل قد يذهب العين ويبقى الحكم". ويعلق قائلاً:

"فباعدوا المقصد" لح بر .

لكن إذا كان الشافعية قد باعدوا المقصد في تفسيرهم لخصوصية الماء وعدم المعقولية، فما هو تعليل ابن رشد والمالكية؟ الجواب في قوله - وهو يسترسل في تضعيف قول الشافعية - "ولوا راموا الانفصال عنهم بأننا نرى أن للماء قوة إحالة للأنجاس والأدناس وقلعها من الثياب والأبدان ليست لغيره، ولذلك اعتمده الناس في تنظيف الأبدان والثياب، لكان قولاً جيداً، وغيره بعيد، بل لعله واجب أن يعتقد أن الشرع إنما اعتمد في كل موضع غسل النجاسة بالماء لهذه الخاصية التي في الماء. ولو كانوا قالوا هذا لكانوا قد قالوا في ذلك قولاً هو

19 - المرجع السابق نفسه: 1 / 172

20 - المرجع السابق نفسه: 1 / 172.

أدخل في مذهب الفقه الجاري على المعاني²¹ .
 فها هو ابن رشد يصرح بالفقه الذي يتحراه ويسير عليه، إنه الفقه الجاري على المعاني، ويميل إلى أن يجعل القول به واجبا حتى ونحن في دائرة العبادات، وفي هذه الدائرة أيضا يورد أن جلسة الإمام بين الخطبتين في صلاة الجمعة لا تعد شرطا من شروطها إذا اعتبرنا معناها المعقول، وهو أنها استراحة للخطيب، خلافا لمن اعتبرها تعبدا، فجعلها شرطا²² .
 وفي مجال الزكاة - وهي إحدى العبادات - يكثر من تعليل الأحكام، وإن تردد الفقهاء فيها بين القول بالتعبد والوقوف عنده، وبين التعليل المقاصدي والجريان معه. ومن أشهر مواطن هذا التردد والاختلاف :

مسألة دفع القيمة في الزكاة، هل يجوز بناء على التعليل، كما هو مذهب أبو حنيفة، أم يتعين الوقف عند النصوص والإخراج من جنس المال إلزاما للتعبد؟. كما هو مذهب مالك والشافعي.

قال ابن رشد: "وسبب اختلافهم: هل الزكاة عبادة أو حق واجب للمساكين، فمن قال إنها عبادة، قال إن أخرج من غير تلك الأعيان لم يجز، لأنه إذا أتى بالعبادة على غير الجهة المأمور بها فهي فاسدة. ومن قال: هي حق للمساكين، فلا فرق بين القيمة والعين عنده،... والحنفية تقول: إنما خصت بالذكر أعيان الأموال تسهيلا على أرباب الأموال، لأن كل ذي مال إنما يسهل عليه الإخراج من نوع المال الذي بين يديه..."²³

فإذا كانت أحكام العبادات - على ما رأينا في الأمثلة المتقدمة - تخضع للتعليل، سواء في أصلها أو في تفاصيل أحكامها، فإن ما سواها من أحكام المعاملات يكاد يكون كله معللا. وحتى حينما نجد أحكاما قليلة - يقول فيها بعض الفقهاء إنها تعبدية غير معقولة المعنى، فإننا نجد من الفقهاء من يرفض ذلك ويبحث لها عن علل ومناسبات. ومن هؤلاء فقيهننا ابن رشد.

²¹ - المرجع السابق نفسه : 1 / 172

²² - المرجع السابق نفسه : 1 / 284 .

²³ - المرجع السابق نفسه : 1 / 452

فمثلا في مسألة الموالى 24 ، حين لا يفيء إلى زوجته ويلزمه بذلك الطلاق، هل يجب على المطلقة في هذه الحالة عدة بعد الطلاق، أم إن الشهور التي قضتها في الإيلاء كافية لبيان حالة الرحم، فهي بمثابة العدة. في هذه الحالة المسألة التزم الجمهور بمقتضى النصوص التي تجعل العدة لازمة لكل مطلقة بعد الدخول، وقال جابر بن زيد: "لا تلزمها عدة إذا كانت قد حاضت في مدة الأربعة الأشهر ثلاث حيض. وقال بقوله طائفة، وهو مروى عن ابن عباس. وحجة وقال الجمهور أنها تعتد كسائر المطلقات" 25 .

ويلق ابن رشد مبينا سبب الخلاف ومداره قائلا: "وسبب الخلاف أن العدة جمعت عبادة ومصلحة؛ فمن لاحظ جانب المصلحة لم يوجب عليها عدة، ومن لاحظ جانب العبادة أوجب عليها العدة" وبالرغم من أن ابن رشد لم يبد في هذا الموضوع ميلا أو ترجيحا، فإن تناوله في مواضع أخرى لمسألة العدة يظهر فيه اعتباره لكون العدة في أساسها تشريعا مصلحيا يجب أن تراعى فيه مصالحه ومقاصده. فحين عرض للخلاف فيها إذا كان الطلاق يترتب تلقائيا عند انقضاء أجل الإيلاء المحدد في أربعة أشهر، أم إن الزوج يدعى بعد ذلك لإيقاع الطلاق بنفسه ويلزم به، عرض وجهة نظر أبي حنيفة بقوله: «وأما أبو حنيفة فإنه اعتمد في تشبيه هذه المدة (مدة أربعة أشهر) بالعدة الرجعية، إذا كانت العدة إنما شرعت لئلا يقع منه ندم، وبالجمله فشبهوا الإيلاء بالطلاق الرجعي، وشبهوا المدة بالعدة قال ابن رشد: وهو شبه قوي، وقد روى ذلك عن ابن عباس 26 وهكذا تبدو ترجيحات ابن رشد المقاصدية واضحة جلية.

وعلى العموم، فهو يثبت ويؤيد كون التعليل والمعقولية والمصلحية أمر سائدا في كل مجالات الشريعة، من عبادات وغيرها. بل إنه يرى أن هذا هو الأصل الذي يعول عليه، إلا إذا تعذر على الفقيه إدراكه، أو عجز عن إثباته. قال

24 - المولى هو الزوج الذي حلف على عدم وطء زوجته. وقد أمهله الشرع أربعة أشهر، إما يفيء داخلها إلى زوجته ولا لزمه الطلاق.

25 - المرجع السابق نفسه، 172/2.

26 - المرجع السابق نفسه، 169/2.

رحمه الله: " وإنما يلجأ الفقيه إلى أن يقول «عبادة» إذا ضاق عليه المسلك مع الخصم، فتأمل ذلك، فإنه بين من أمرهم في أكثر المواضع"27

2 - الألفاظ التي لها صلة بالمقاصد عند ابن رشد: استعمل ابن رشد الحفيد عدة مصطلحات للتعبير عن مقاصد الشريعة سأذكرها مبينا لها بأمثلة من كتابه بداية المجتهد ، وهذه المصطلحات هي : العلة، المعنى، الحكمة، المصلحة، الغرض، الإرادة .

العلاقة بين العلة والمقاصد: فالعلة تدل على التعلق بالأمر أو النهي أكثر من غير ذلك، وهنا تظهر العلاقة بأن المقاصد قد تكشف من خلال علل الأوامر والنواهي المجردة أو استقراءها، فقد عرفها الامام الشاطبي بأنها : " الحكم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر أو الإباحة والمفاسد التي تعلقت بها النواهي، فالمشقة علة في إباحة القصر والفطر في السفر، والسفر هو السبب الموضوع سببا للإباحة . فعلى الجملة العلة هي المصلحة نفسها أو المفسدة لا مظنتها كانت ظاهرة أو غير ظاهرة منضبطة أو غير منضبطة"28

والعلة بهذا المعنى تكون مرادفة للحكمة وللمقصد، فتلتقي مع المقاصد على جهة الترادف طالما معناها مترتب على الفعل من نفع أو ضرر، أو عند وجود المعنى الذي يترتب على تشريع الحكم من مصلحة، أو دفع مفسدة، ومن ثم يجوز إطلاقها على المقاصد، أي على المصالح والمفاسد التي تتعلق بها الأوامر والنواهي الشرعية، إذ قد استعملت لفظة العلة لتدل على المصلحة أو المفسدة نفسها كما فعلى الشاطبي حيث فسر العلة بالمصلحة والمفسدة المقصودة من الحكم29 ، إضافة إلى أن العلة عادة ما تتضمن مقصدا شرعيا، لأن بناء الأحكام على العلة مظنة لتحقيق الحكمة المقصودة منها30.

وهذه أمثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح العلة في التعبير عن المقاصد :

27 - المرجع السابق نفسه ، 1 / 173

28 - الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي ، 1 / 196 .

29 - المرجع نفسه .

30 - مقاصد الشريعة ومكارمها ، علال الفاسي ن ص 123 .

1 - في مسألة القسامة يقول ابن رشد : " وأما القائلون بها وبخاصة مالك فرأى أن سنة القسامة سنة منفردة بنفسها مخصصة للأصول كسائر السنن المخصصة، وزعم أن العلة في ذلك حوطة الدماء، وذلك أن القتل لما كان يكثر وكان يقل قيام الشهادة عليه لكون القاتل إنما يتحرى بالقتل مواضع الخلوات جعلت هذه السنة حفظاً للدماء. "31.

2 - وقال أيضاً وهو يتحدث عن العلة في تحريم الربا في كل من المطعومات والدنانير والدراهم : " فإذا منع التفاضل في هذه الأشياء أعني المكيلة والموزونة علتان: إحداهما وجود العدل فيها، والثاني منع المعاملة إذا كانت المعاملة بها من باب السرف. وأما الدينار والدرهم فعلة المنع فيها أظهر إذ كانت هذه ليس المقصود منها الربح، وإنما المقصود بها تقدير الأشياء التي لها منافع ضرورية. "32

العلاقة بين المعنى والمقاصد : فالمعنى: هو الحكمة المقصودة من الحكم33

أمثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح المعنى في التعبير على المقاصد :

1 - قال ابن رشد في مسألة هل يجزئ المسافر صومه، إذا لم يأخذ برخصة السفر: " إن المعنى المعقول من إجازة الفطر للصائم إنما هو الرخصة له؛ لمكان رفع المشقة عنه، وما كان رخصة فالأفضل ترك الرخصة "34

2 - قال ابن رشد في مسألة حرية إمام المسلمين في صرف الزكاة حسب الحاجة : " والمعنى يقتضي أن يؤثر بها أهل الحاجة؛ إذ كان المقصود به سد الخلة "35

العلاقة بين الحكمة والمقاصد : فالحكمة في الاصطلاح الأصولي والفقهية : تدل على ما يترتب على التشريع من جلب مصلحة وتكميلها ، او دفع مفسدة

31 - بداية المجتهد ، 4 / 211 .

32 - المرجع نفسه ، 3 / 152 .

33 - معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب سائو، ص: 454 تقديم و مراجعة: محمد رواس قلعجي، لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر، سوريا ، دار الفكر، ط 1، 1420 هـ/ 2000م.

34 - بداية المجتهد ، مصدر سابق ، 2/ 58

35 - المصدر نفسه ، 2/ 37

وتقليلها . ومن ذلك جاء في المنح : " كأن الحكمة في ذلك 36 أن الأصل منع اتلاف النفوس ، وإنما أبيح منه ما يقتضي دفع المفسدة 37.

وقد تطلق أحيانا على المقصد الجزئي كحكمة تحريم بيع المعدوم وهي المتمثلة في نفي الجهالة جاء في شرح الخرشي : " الحكمة في تقديم الصلاة - الاستخارة - على الدعاء ... " 38 ، وفي حاشية العدوي : " ... قال العلماء الحكمة في ثبوت الشفعة إزالة الضرر عن الشريك " 39

ومن هنا نستطيع القول : أن كلمة الحكمة مناسبة لشرح المقاصد بحكم التداخل الكبير بينهما ، فلفظ الحكمة والمقاصد قد يترادفان في الاطلاق والتعبير في اغلب الأحيان ، وتعتبر الحكمة من المصلحة اكثر انسجاما لشرح لفظ المقاصد عند تحديد ماهية .

أمثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح الحكمة في التعبير عن المقاصد : يقول ابن رشد وهو يتحدث عن اختلاف العلماء في الطلاق الثلاث بلفظ واحد : " .. ولذلك ما نرى والله أعلم أن من ألزم الطلاق الثلاث في واحدة، فقد رفع الحكمة الموجودة في هذه السنة المشروعة. " 40

وقال في مسألة خيار المجلس بعد ذكر اختلاف الفقهاء وأدلتهم : " والحقيقة هي التفرق بالأبدان، ووجه الترجيح أن يقاس بين ظاهر هذا اللفظ والقياس فيغلب الأقوى، والحكمة في ذلك هي لموضع الندم " 41

العلاقة بين المصلحة والمقاصد : إن القارئ لنصوص الوحي وأقاويل العلماء الفقهية والأصولية، سيجد علاقة وثيقة ومتداخلة بين المقاصد والمصالح ، تبدأ

36 - أي عدم جواز قتل الصبيان والنساء والعزة في الحروب ...

37 - منح الجليل ، 6 / 2

38 - شرح الخرشي 1 / 166 . الحكمة هي : ان المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والاخرة فيحتاج الى قرع باب الملك ولا شيء لذلك انجع ولا انجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار اليه .

39 - حاشية العدوي ، 6 / 228 .

40 - بداية المجتهد ، 3 / 85 .

41 - المرجع نفسه ، 3 / 179 .

من كون المقاصد الشرعية تتمحور حول الكليات الخمس ، حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، وهذه الكليات تختزل في جلب المصالح ودفع المفساد ، يقول الغزالي في تعريف المصلحة بأنها: " المحافظة على مقصود الشارع ، ومقصود الشارع من الخلق خمسة وهو: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وماله ... وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة " برير ، وهكذا يرادف الغزالي بين المصلحة ومقاصد الشريعة من حيث اعتبار الكليات الخمسة هي امهات المصالح وركائزها الأساسية والتي تدور معها وجودا وعدما .

وهذه الضروريات ترجع إلى قيام حياة الانسان وتما عيشه ، وتنضبط بما تقام الحياة الدنيا للحياة الاخرى⁴³ ، وبذلك أخذ مفهوم المصلحة مكانا مهما في بناء المقاصد ، لأن الضروريات الخمس أصول المصالح ، وذلك لأن القصد من وضع الشريعة الاسلامية هو مصالح العباد في العاجل والآجل معا .

كما تشترك المقاصد مع المصالح في الترتيب حسب الحاجة والترجيح ، واعتمادهما معا على أصول كلية كمبدأ رفع الحرج وأصل مآلات الأفعال ، ونفي الضرر وغيرها ...بالإضافة إلى أن كلا من المقاصد والمصالح معتبرة منهجيا في الاجتهاد والتعامل مع نصوص الوحي من أجل التوصل إلى الأحكام الشرعية اللازمة للوقائع .

نلخص إلى القول بأن مقاصد الشريعة قد تستوعب مفهوم المصلحة باعتبار المقاصد وعاء المصالح فجاز شرح المقاصد بها على جهة التداخل بينهما . امثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح المصلحة في التعبير عن المقاصد :

1 - قال ابن رشد في مسألة قتل الجماعة بالواحد : " فعمدة من قتل بالواحد الجماعة النظر إلى المصلحة، فإنه مفهوم أن القتل إنما شرع لنفي القتل كما نبه عليه الكتاب في قوله تعالى {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب} وإذا

⁴² - المستصفي من علم الاصول ، ابو حامد الغزالي ، 1 / 217 .

⁴³ - الموافقات ، 2 / 27 .

كان ذلك كذلك فلو لم تقتل الجماعة بالواحد لتذرع الناس إلى القتل بأن يتعمدوا قتل الواحد بالجماعة"

2 - قال ابن رشد معللاً قول مالك في صنف المؤلفات قلوبهم هل هو موجود الآن أم لا ؟ : " فقال مالك: لا مؤلفة اليوم. وقال الشافعي وأبو حنيفة: بل حق المؤلف باق إلى اليوم إذا رأى الإمام ذلك، وهم الذين يتألفهم الإمام على الإسلام؛ وسبب اختلافهم هل ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو عام له ولسائر الأمة؟ والأظهر أنه عام، وهل يجوز ذلك للإمام في كل أحواله أو في حال دون حال؟ أعني في حال الضعف لا في حال القوة، ولذلك قال مالك: لا حاجة إلى المؤلفات الآن لقوة الإسلام، وهذا كما قلنا التفات منه إلى المصالح".⁴⁴

العلاقة بين الغرض والمقاصد: فالغرض: هدف يرمى فيه، أو الشيء الذي ينصب فيرمى فيه، وجمعه أغراض⁴⁵. و يأتي بمعنى: قصد الإنسان حاجته و بغيته، من قولهم: فهمت غرضك أي قصدك، وغرضه كذا أي حاجته و بغيته⁴⁶.

فهو اسم لكل غاية يتحرى إدراكها، أو هو الفائدة المترتبة على الشيء من حيث هي مطلوبة بالإقدام عليه.⁴⁷

أمثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح الغرض في التعبير على المقاصد :
قال ابن رشد في قصد الشارع في استحضار المقصود من الأشياء في تقييم المتلفات: "وأما الجناية على العين من غير أن يغضبها غاصب، فإنها تنقسم عند مالك إلى قسمين :جناية تبطل يسيراً من المنفعة، والمقصود من الشيء باق، فهذا يجب فيه ما نقص يوم الجناية، وذلك بأن يقوم صحيحاً ويقوم بالجناية، فيعطي ما بين القيمتين. وأما إن كانت الجناية مما تبطل الغرض المقصود، فإن

⁴⁴ - بداية المجتهد ، 2 / 37

⁴⁵ - انظر : المصدر نفسه ، 4/ 417 : تهذيب اللغة، الأزهرى، 8/ 50 .

⁴⁶ - انظر: لسان العرب، مصدر سابق، 7/ 193 : الصحاح، الجوهري، 4/ 230 .

⁴⁷ - انظر : التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، 1/ 536 ..

صاحبه يكون مخيرا إن شاء أسلمه للجاني وأخذ قيمته، وإن شاء أخذ قيمة الجناية"⁴⁸

العلاقة بين الإرادة والمقاصد: فالإرادة من كلمة أراد، وتأتي بمعنى المشيئة، فأراد الشيء بمعنى شاءه، وتكون محبة و غير محبة⁴⁹ ؛ فهي صفة توجب للحي حالا يقع منه على وجه دون وجه، و لا يتعلق دائما إلا بمعدوم فإنه صفة تخصص أمرا بحصوله و وجوده . وقد يراد بالإرادة معنى الأمر نحو: أريد منك كذا، و معنى القصد نحو: ﴿جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ﴾ القصص: ٨٣

أمثلة على استعمال ابن رشد لمصطلح الإرادة في التعبير على المقاصد
1- قال ابن رشد في اختلاف أحكام المكلفين باختلاف مقاصدهم: "إذا قال السيد لعبده أنت سائبة، فقال مالك: " ولاؤه وعقله للمسلمين وجعله بمنزلة من أعتق عن المسلمين إلا أن يريد به معنى العتق فقط، فيكون ولاؤه له".⁵⁰

2- قال ابن رشد: " والذي يظهر و الله أعلم أن قوله عليه الصلاة و السلام: "كل مسكر حرام"⁵¹ ، و إن كان يحتمل أن يراد به القدر المسكر لا الجنس المسكر، فإن ظهوره في تعليق التحريم بالجنس أغلب على الظن من تعليقه بالقدر؛ لكان معارضة ذلك القياس له على ما تؤوله الكوفيون، فإنه لا يبعد أن يحرم الشارع قليل المسكر و كثيره سده للذريعة وتغليظا"⁵²

48 - بداية المجتهد، مصدر سابق، 102/4

49 - انظر : لسان العرب، مصدر سابق، 187/3 ؛ الصحاح، الجوهري، مصدر سابق، 40/3

50 - بداية المجتهد، مصدر سابق، 146/4

51 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا، 6 / 2624 ، رقم 6751 تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1407 هـ / 1987 م.

52 - بداية المجتهد، مصدر سابق، 26/3.

3 - تكييف الأحكام مع مقاصدها

من ثمرات النظر المقاصدي عند ابن رشد الحفيد في الفقه. تفعيل

العلل والمقاصد عند

إجراء الأحكام وتنزيلها- وعند تحديد الفروع التي تشملها أولاً تشملها.

وفي هذا المجال نجد لابن رشد تنبيهات وتطبيقات في مختلف

الأبواب الفقهية. وهذه

بعض الأمثلة على ذلك:

مسألة في الزكاة : المال المشترك بين مالكين متعددين، كالتجارة

المشتركة، هل يتحدد النصاب بمجموع المال المشترك، أو بحسب نصيب كل

واحد من المشتركين أو الشركاء؟ قال ابن رشد: "عند مالك وأبي حنيفة أن

الشريكين ليس يجب على أحدهما زكاة حتى يكون لكل واحد منهما نصاب،

وعند الشافعي أن المال المشترك حكمه حكم مال رجل واحد" 53 . قال:

وسبب اختلافهم الإجماع الذي في قوله عليه الصلاة والسلام "ليس فيما

دون خمس أواق من الورق صدقة" فإن هذا القدر يمكن أن يفهم منه أنه

إنما يخصه هذا الحكم إذا كان المالك واحد فقط، ويمكن أن يفهم منه أنه

يخصه هذا الحكم، كان المالك واحد أو أكثر من مالك واحد" 54.

فالنص إذن- من حيث ألفاظه ودلالته اللغوية- يحتمل الوجهين

معاً، بل هو في

العموم أظهر. لكن ابن رشد يرجع إلى النظر في أصل النصاب

ومقصوده. أي لماذا شرط

النصاب في أموال الزكاة أصلاً؟، ولذلك قال: "إلا أنه لما كان مفهوم

إشتراط النصاب

53 - بداية المجتهد 1/ 436.

54 - المرجع نفسه : 1/ 437.

الرجل من الطلاق، فإنه لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك المرأة، جعل الخلع بيد المرأة إذا

الرجل"58

فركت

-وفي حالة اللعان الذي يقع بين الزوجين بسبب الاتهام بالزنى رد على بعض الفقهاء الذين يرون إمكانية استمرار الزوجية بعد اللعان، رد عليهم اعتماداً على مقاصد النكاح، التي يتعذر تحقيقاً بعد كل الذي وقع، قال: "وذلك أن الزوجية مبناها على المودة والرحمة، وهؤلاء (يعني المتلاعنين) قد عدموا ذلك كل العدم. ولا أقل من أن تكون عقوبتهما الفرقة. وبالجمله فالقبح الذي بينهما غاية القبح"59

-ويظهر أثر المقصد في تكيف الحكم الشرعي، في حديث النهي عن تلقي الركبان (أصحاب السلع) قبل دخولهم الأسواق. فعلى القول بأن مقصود النهي حماية أهل الأسواق حتى لا يتفرد المتلقي بالرخص دونهم، تترتب أحكام وتطبيقات معينة، وعلى القول بأن مقصوده حماية البائع الذي لا يعرف ثمن السوق من غبن المتلقي الذي يتصيد البائعين خارج السوق، تترتب أحكام وتطبيقات أخرى. قال أبو الوليد: "فرأى مالك أن المقصود بذلك أهل الأسواق لئلا يتفرد المتلقي برخص السلعة دون أهل الأسواق، ورأى أنه لا يجوز أن يشتري"

المطلب الثالث: الترجيح بناء على المقاصد:

القاضي ابن رشد في مرات كثيرة يجد نفسه ملزماً بالفصل بين رأيين، ومعنيا بتفضيل مذهب على آخر، فيلجأ إلى منهجية الترجيح التي تقوم عنده في جزئها الأكبر على اللغة وعلومها، ساعياً إلى حل التعارض بين الأدلة، وتدبير الخلاف بين الفقهاء، والتدخل لبيان أرجحية طرف على آخر بناء على ما تشهد به مقتضيات منطق اللغة، ومباحث الألفاظ من: الحقيقة

58 - المرجع السابق نفسه 2 / 113.

59 - المرجع السابق نفسه 2 / 204.

والمجاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه، المجل والمبين، والمطلق والمقيد، والخاص والعام، والمستثنى والمستثنى منه. على أن ابن رشد الحفيد في مرات كثيرة أيضا كان يلجأ إلى الترجيح بناء على المقاصد، والغايات الشرعية، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك:

1 - رجح ابن رشد مذهب الجمهور في أن الغسل هو الواجب في القدمين عند الوضوء لا المسح عليهما، فقال: "و لكن من طريق المعنى، فالغسل أشد مناسبة للقدمين من المسح، كما أن المسح أشد مناسبة للرأس من الغسل؛ إذ كانت القدمان لا ينقى دنسهما غالبا إلا بالغسل، وينقى دنس الرأس بالمسح وذلك أيضا غالب، والمصالح المعقولة لا يمتنع أن تكون أسبابا للعبادات المفروضة حتى يكون الشرع لاحظ فيهما معنيين: معنى مصلحيا، ومعنى عباديا. "60" فابن رشد اختار هذا الرأي بناء على معان معقولة، و تعليقات مقاصدية؛ وذلك أن القدمين كثيرا ما يصيبهما الأذى، فيكون غسلهما هو المناسب لا المسح.

2 - رجح ابن رشد مذهب أبي حنيفة و مالك في أن الشريكين لا يجب على أحدهما الزكاة حتى يكون لكل واحد منهما النصاب، فقال: "إلا أنه لما كان مفهوم اشتراط النصاب إنما هو الرفق، فواجب أن يكون النصاب من شرطه أن يكون لمالك واحد، و هو لأظهر و الله أعلم "61" فابن رشد نظر إلى مقصد الشريعة من اشتراط النصاب و هو الرفق، ثم رجح بناء على هذا.

3 - الخلع للمرأة يقابل الطلاق للرجل : تساءل أهل الفقه حول الحال التي يجوز فيها القبول بالخلع بين الرجل والمرأة، وقد حصل الحفيد من آرائهم خمسة أقوال هي:

60 - بداية المجتهد، مصدر سابق، 1/22 - 23

61 - المصدر السابق نفسه، 2/19

1. إنه لا يجوز أصلاً. 2. يجوز على كل حال أي مع الضرر. 3. إنه لا يجوز إلا مع مشاهدة الزنا. 4. يجوز فقط مع خوف أن لا يقيما حدود الله. 5. إنه يجوز في كل حال إلا مع الضرر وهو المشهور.

وبعد عرضه لمختلف الأقوال مال إلى ترجيح آخرها منبهاً على ملحظ مقاصدي قلما تنبه إليه الفقهاء عند تفريعهم المسائل المتعلقة بالخلع، وهو أن هذا الحكم الشرعي وضع في الأصل لضمان نوع من التوازن الأسري يعوض استئثار الرجل بحق الطلاق على اعتبار أنه الآخذ بالساق" 62 يقول رحمه الله: "والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق فإنه لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك المرأة، جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل" 63. فيكون الخلع بهذا النظر صيغة من صيغ فض العلاقة الزوجية تختص بالمرأة، وتلجأ إليه -كما يلجأ الرجل للطلاق- عندما يفقد الارتباط بين الزوجين عناصر الألفة والمودة والرحمة والتساكن التي جعلها الله مقصد الزواج وغايته في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [الروم: 21].

4 - رجح ابن رشد وجوب الإحداد على المطلقة طلاقاً بائناً مثل المتوفى عنها زوجها، فقال: "ومن الحق المطلقات بهن فمن طريق المعنى؛ وذلك أنه يظهر من معنى الإحداد أن المقصود به ألا تتشوف إليها الرجال في العدة، ولا تتشوف هي إليهم، وذلك سدا للذريعة، لمكان حفظ الأنساب" 64. وكلامه واضح لا يحتاج إلى تعليق

62 - المصدر السابق نفسه 169 / 2.

63 - نفسه 169 / 2.

64 - نفسه 143 - 142 / 3.

5 - رجح ابن رشد مذهب أبي حنيفة بأن المراد بالقرء التي تعتد به ذات الحيض هو الحيض ، فقال: " ومذهب الحنفية أظهر من جهة المعنى "65 ، وحجة الحنفية : " إن العدة إنما شرعت لبراءة الرحم ، وبرأته إنما تكون بالحيض لا بالأطهار ، و لذلك كانت عدة من ارتفع الحيض عنها بالأيام ، فالحيض هو سبب العدة بالأقراء ، فوجب أن تكون الأقراء هي الحيض "66 . الملاحظ أن ابن رشد اختار هذا الرأي لأنه يراعي عنده حفظ النسب.

6- رجح ابن رشد مذهب مالك فيما إذا ما وقع بيع فاسد ، و حدث تصرف في المبيع، فقال: " والبيع الفاسدة عند مالك تنقسم إلى : محرمة وإلى مكروهة. فأما المحرمة فإنها إذا فاتت مضت بالقيمة. وأما المكروهة فإنها إذا فاتت صحت عنده، وربما صح عنده بعض البيوع الفاسدة بالقبض لخفة الكراهة عنده في ذلك، فالشافعية تشبه المبيع الفاسد لمكان الربا والغرر بالفساد لمكان تحريم عينه كبيع الخمر والخنزير فليس عندهم فيه فسوت، و مالك يرى أن النهي في هذه الأمور إنما هو لمكان عدم العدل فيها، أعني بيوع الربا والغرر، فإذا فاتت السلعة فالعدل فيها هو الرجوع بالقيمة، لأنه قد تقبض السلعة وهي تساوي ألفا، و ترد وهي تساوي خمسمائة أو بالعكس، ولذلك يرى مالك حوالة الأسواق فوتا في المبيع الفاسد، ومالك يرى في البيع والسلف أنه إذا فات وكان البائع هو السلف، رد المشتري القيمة ما لم تكن أزيد من الثمن، لأن المشتري قد رفع له في الثمن لمكان السلف فليس من العدل أن يرد أكثر من ذلك، وإن كان المشتري هو الذي أسلف البائع فقد حط البائع عنه من الثمن لمكان السلف، فإذا وجبت على المشتري القيمة ردها ما لم تكن أقل من الثمن، لأن هذه البيوع إنما وقع المنع فيها لمكان ما جعل فيها من

65 - المصدر نفسه 110/3 .

66 - المصدر السابق نفسه، 110/3.

العوض مقابل السلف الذي هو موضوع لعون الناس بعضهم لبعض، ومالك في هذه المسألة أفقه من الجميع "67 . فابن رشد يرى أن مذهب مالك يحقق العدل في المعاملات، وهذا من مقاصد الشريعة؛ ولهذا اعتبره أفقه من جميع الأئمة في هذه المسألة، واختار مذهبه بناء على هذا النظر المقاصدي

7- رجح ابن رشد مذهب الجمهور في أن للحاكم أن يبيع مال رجل يفي بدينه لكي ينصف غرماءه، أو يحكم عليه بالإفلاس إن لم يف ماله بديونه، ويحجر عليه التصرف فيه، فقال بعد أن ذكر مذاهب العلماء، وجملة من الأدلة: "وأيضاً من طريق المعنى فإنه إذا كان المريض محجوراً عليه لمكان ورثته، فأحرى أن يكون المدين محجوراً عليه لمكان الغرماء، وهذا القول هو الأظهر، لأنه أعدل والله أعلم . "68 علل ابن رشد ترجيحه بكونه أعدل، وهذا من مقاصد الشريعة.

8- رجح ابن رشد مذهب الحنفية في أن علة منع التفاضل في الأصناف الستة التي يدخلها الربا واحد، وهي: الكيل أو الوزن مع اتحاد الجنس عدا النحاس والذهب؛ لأن الإجماع واقع على أنه يجوز فيها النساء، فقال: " ولكن إذا توّمل الأمر من طريق المعنى ظهر والله أعلم أن علتهم أولى العلل، وذلك أنه يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا إنما هو لمكان الغبن الكثير الذي فيه، وأن العدل في المعاملات إنما هو مقارنة التساوي، ولذلك لما عسر إدراك التساوي في الأشياء المختلفة الذوات جعل الدينار والدرهم لتقويمهما: أعني تقديرهما، ولما كانت الأشياء المختلفة الذوات: أعني غير الموزونة والمكيّلة، العدل فيها إنما هو في وجود النسبة، أعني أن تكون نسبة قيمة أحد الشيئين إلى جنسه نسبة قيمة الشيء لآخر إلى جنسه، مثال ذلك أن العدل إذا باع إنسان فرساً بثياب هو

67 - المصدر السابق نفسه، 3 / 208 - 209

68 - المصدر السابق نفسه، 4 / 67

أن تكون نسبة قيمة ذلك الفرس إلى الأفراس هي نسبة قيمة ذلك الثوب إلى الثياب، فإن كان ذلك الفرس قيمته خمسون فيجب أن تكون تلك الثياب قيمتها خمسون، فليكن مثلاً الذي يساوي هذا القدر عددها هو عشرة أثواب، فإذا اختلفت هذه المبيعات بعضها ببعض في العدد واجبة في المعاملة العدالة، أعني أن يكون عدل فرس عشرة أثواب في المثل . وأما الأشياء المكيلة والموزونة، فلما كانت ليست تختلف كل الاختلاف، وكانت منافعها متقاربة، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه إلا على جهة السرف كان العدل في هذا إنما هو بوجود التساوي في الكيل أو الوزن إذ كانت لا تتفاوت في المنافع، وأيضاً فإن منع التفاضل في هذه الأشياء يوجب أن لا يقع فيها تعامل لكون منافعها غير مختلفة، والتعامل إنما يضطر إليه في المنافع المختلفة، فإذا منع التفاضل في هذه الأشياء أعني المكيلة والموزونة علتان : إحداهما: وجود العدل فيها، والثاني: منع المعاملة إذا كانت المعاملة بها من باب السرف. وأما الدينار والدرهم فعلة المنع فيها أظهر إذ كانت هذه ليس المقصود منها الربح، وإنما المقصود بها تقدير الأشياء التي لها منافع ضرورية⁶⁹

فابن رشد يرى أن العلة التي ذكرها الحنفية أولى العلة؛ لأنها تحقق في نظره مقصد العدل، ودفع الغبن في المعاملات، وهذا من مقاصد الشريعة؛ فكان ترجيحه بناء على هذا النظر

9 - رجح ابن رشد قتل الذكر بالأنثى، فقال: "و الاعتماد في قتل الرجل بالمرأة هو النظر إلى لمصلحة العامة". 70 و قد بينا من قبل أن المصلحة تقتضي قتل الرجل بالمرأة؛ حتى لا يتساهل الناس في القتل

69 - بداية المجتهد، مصدر سابق 151/3 - 152 .

70 - المصدر السابق نفسه 4 / 183

فتحدث الفوضى في المجتمع، و هي - أعني هذه المصلحة - تلائم مقصود حفظ النفس البشرية، وهذا من الضروريات التي جاءت الشريعة بحفظها. وهناك أمثلة كثيرة ذكرها ابن رشد في كتابه بداية المجتهد، يطول استقصاؤها والتعليق عليها ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثير نظره الفقهي بمقاصد الشريعة.

الحاتمة

بعد هذه الجولة في رياض هذا البحث العطر، أحمد الله جل و علا أن وفقني لإتمامه على هذا الوجه، وقد توصلت من خلاله إلى النتائج الآتية :

1 - يذهب ابن رشد إلى تعليل أحكام الله جل و علا في العبادات و المعاملات على حد سواء-تعليل ابن رشد للعبادات و المعاملات على نوعين:

أ-تعليل للأبواب الفقهية بناء على الفضائل الأخلاقية،وهذا يمثل الجانب الأول من نظره إلى المقاصد الخاصة،وهو نظر فلسفي محض

ب-تعليل للأحكام الشرعية بناء على خطاب و ألفاظ النص الشرعي،و هذا يمثل المقاصد الجزئية ، والجانب الثاني من نظره إلى المقاصد الخاصة.

2 - عبر ابن رشد عن مقاصد الشريعة بألفاظ مختلفة وهي:

الحكمة والعلة والمعنى والغرض والإرادة والمصلحة.

3 - تناول المقاصد بطريقة عملية تطبيقية أكثر منها نظرية ،و هذا من فوائد دراسة المقاصد عند ابن رشد الحفيد.

4 - امتد أثر المقاصد في فكر ابن رشد إلى الترجيح و الاختيار بين المذاهب الفقهية، حيث رجح كثيرا من المسائل بناء على النظر المقاصدي

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : القرآن الكريم مصحف المدينة برواية حفص

- الاجتهاد المقاصدي - حقيقته - تاريخه - حجيته - ضوابطه -
مستلزماته - مجالاته - معالمه - وتطبيقاته المعاصرة ، نور الدين
مختار الخادمي، الطبعة الأولى ، 2010 م دار ابن حزم بيروت ، لبنان .

1 - الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي، تحقيق : عبد الله دراز
،بيروت ،دار المعرفة

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع،
ليبيا

- شرح الخرشي على مختصر خليل، للخرشي، أبو عبد الله محمد، دار
صادر، بيروت وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوي

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،
الإفريقي المصري، الطبعة السادسة ، 1997 م ، دار صادر ، بيروت ،
لبنان .

- معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب سانو، تقديم و مراجعة:محمد رواس
قلعجي،لبنان،بيروت، دار الفكر المعاصر،سوريا ،دار الفكر،ط1، 1420
هـ/2000 م.

- مقاصد الشريعة الإسلامية ، الشيخ الطاهر بن عاشور ، تحقيق ومراجعة
: محمد الحبيب ابن الخوجة، د ط، 2004 م، طبعة وزارة الأوقاف،
والشؤون الإسلامية، دولة قطر.

- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لفضيلة العلامة الأستاذ علال
الفاسي، دراسة وتحقيق : الدكتور اسماعيل الحسني ، الطبعة الأولى ،
1432 هـ ، 2011 م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،
جمهورية مصر العربية.

: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، تحقيق : محمد رضوان الداية، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، ط1 ، 1410هـ

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، القاهرة، دار الحديث، 1425هـ / 2004م. الترجيح بالمقاصد ضوابطه و أثره الفقهي، محمد عاشوري، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة - الجزائر، السنة الجامعية، 2007م/2008م، منشورة على الموقع [com.iefpedia](http://com.iefpedia.com) :

تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 ، 2001م

التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف، تحقيق : محمد رضوان الداية، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، ط1 ، 1410 هـ.

- جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وبهامشه تفسير غرايب القرآن ورغائب الفرقان، للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد حسين النعمي النيسابوري، الطبعة الأولى، 1327 هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، مصر، ودار المعرفة، 1987 م بيروت لبنان

شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، 254 ومسائل التعليل، تحقيق: حمد الكبيسي، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1390 هـ / 1971 م.

الصاحح، الجوهرى، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1990 م

- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، 2003 م، مكتبة الصفاء، القاهرة، مصر ..

العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد للفراهيدي توفي 175 هجرية ،
تحقيق : د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
المستشفى من علم الأصول، الغزالي ،أبو حامد محمد بن محمد الطوسي،
دراسة وتحقيق:محمد بن سليمان الأشقر، لبنان ، بيروت،
مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1417 هـ / 1997 م.

- صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن
العدل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم)مسلم،أبو الحسين مسلم بن
الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،
بيروت،دار إحياء التراث العربي..

المعجم الوسيط، د . إبراهيم أنيس ، د . عبد الحليم منتصر ، عطية
الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد ، دار الفكر .

- معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب سانو، تقديم و مراجعة:محمد
رواس قلعجي،لبنان،بيروت، دار الفكر المعاصر،سوريا ،دار الفكر،ط1،
1420 هـ / 2000 م.

معجم مقاييس اللغة،ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،
تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ / 1979 م.
نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الولايات المتحدة
الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4 ، 1415 هـ / 1995 م.



**التحليل اللساني النصي للمنجز اللغوي الإبداعي في الشعر
الجزائري المعاصر قصيدة "أسرى الكلام" لفاتح علاق أنموذجا**
**Text linguistic analysis of creative linguistic achievement
in Algerian poetry**
A study in the poem "Prisoners of Speech" of Fateh Allag
نورة كادي

1- جامعة يحي فارس المدينة

mradjai@yahoo.com

تاريخ القبول: 2019-12-03

تاريخ الاستلام: 2019-06-30

ملخص -

يقوم هذا البحث على إبراز مساعي الدراسات اللسانية الحديثة الممثلة في لسانيات النص والتي تبحث في الآليات التي تقوم على بناء النصوص التي تقع تحت طائلة التواصل الإنساني، ويبرز في هذا السياق مصطلحان في غاية الأهمية هما الاتساق والانسجام، وهما من المعايير التي يشترط توافرها للتأكيد على نصية النص، ويعني ذلك البحث في الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تتضافر فيما بينها لتكوّن كلية النص وتماسك أجزائه. ولإعطاء فكرة واضحة عن هذين المصطلحين كان لابد من تطبيقهما على نص شعري معاصر لشاعر جزائري هو الشاعر فاتح علاق.

الكلمات الدالة -

لسانيات النص، الاتساق، الانسجام، السياق، التماسك

Abstract-

This Research Highlights The Efforts Of Modern Linguistic Studies Represented In Text-Linguistics Which Examine The Mechanisms That Are Based On The Construction Of Texts That Represents A Model Of Human Communication. The Study Reveals Two Important Concepts: (Cohesion & Coherence), That Are Required To Confirm The Textuality Of The Text. I.E. To Seek The Linguistic And Non-Linguistic Means That Are Combined To Form The Whole Text And The Cohesion Of Parts.

In Order To Give A Clear Idea Of These Terms, We Try To Apply Them To A Contemporary Text Of Poetry Of An Algerian Poet Who Is Fateh ALLAG.

Key Words-

(Text Linguistics, Cohesion, Coherence, Context, Consistency).

1. - مقدمة

كانت النصوص الأدبية ولا تزال محط أنظار النقاد منذ زمن بعيد، وعلى الرغم من الصعوبة التي تقوم دون الاتفاق على منهج ورؤية موحدين بين هؤلاء في عملية تحليلها، إلا أنه من المؤكد أن النص الأدبي هو الذي يبعث في نفوس القراء والمستمعين اللذة والفائدة. وتحقق هاتين الأخيرتين حاصل من كونه فضاء مفتوح على التجدد والتخييل واللعب باللغة، وهو إلى كل ذلك بناء موحّد ومعقد تضافرت في تكوينه عوامل كثيرة ومتنوعة، وإذا كانت الدراسات اللغوية التي اهتمت بتحليل النصوص الأدبية لم تطمح في معظمها إلى بناء نظرية شاملة للنص ولم تصب منه إلا أجزاء، فإن الدراسات الحديثة ممثلة في لسانيات النص قد سعت إلى إبراز الطبيعة الكلية للنصوص عامة (المنطوقة منها والمكتوبة) من خلال الكشف عن أبنيتها وتماسكها، ومناطق الاهتمام هذا راجع إلى وعي الدارسين في هذا المجال بأن هذه المنجزات اللغوية توظف في الاتصال. إن هذا الوافد الجديد من الدراسات (أي لسانيات النص) ينطلق في تحليلاته من النص وينتهي عنده ليؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاؤه

وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكلّ المفيد. ولا تتوقف هذه الدراسة عند هذا الحدّ بل تضع في اهتماماتها أيضا صفات التوظيف الاتصالي للنصوص، أي كيف توظّف نصوص بعينها في مواقف معيّنة حتّى تكون ناجحة؟.

وهذا التحليل يعني في العادة الكشف عن القواعد ووسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النصّ، أي البحث في الأدوات اللغوية وغير اللغوية التي مكّنت لنسيج النصّ أن يتماسك تماسكا شكلياً ودلاليّاً، مع تأكيد أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقّي المحلّل عند تحليل المنجزات اللغوية الإبداعية، وهو ما يجعله يركّز على مصطلحين هامّين هما: الاتّساق والإنسجام.

أمّا المصطلح الأول فيعرفه محمد خطّابي بأنّه: "التماسك الشّدِيد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ/خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغوية الشّكليّة التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته". (خطّابي، 1990، صفحة 5) وأدواته كثيرة، منها: الضمائر، التّكرير، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، حروف العطف والحذف، وغيرها. أمّا الثاني وهو الإنسجام فيُقصد به التماسك الدّلالي، وهنا لا بدّ من التّركيز على أبنية القاعدة الدّلاليّة لأنّ النصّ وحدة دلاليّة، وحدة ليست في الشّكل بل في المعنى.

إنّ العنصر الحاسم في بناء النصّ هو في مدى وجود مظاهر الاتّساق والإنسجام، وهو ما سيتمّ البحث عنه في نصّ إبداعيّ جزائريّ لشاعر معاصر له إسهاماته الوافرة في مجال الإبداع بما عكسته تجاربه الشعريّة المتنوّعة، فكان بذلك شاعر الكلمة الملتزمة، وشاعر التأمّل والألم والأمل، شاعر الحبّ والجمال والوطن، إنّه الشاعر "فاتح علاق".

القصيدة: أسرى الكلام

...وتزرعنا الكلمات على عتبات البيوت

نكبر ثم تجر جرننا الطرقات

ونبدأ رحلتنا في خضمّ الكلام

فتشرعنا الكلمات لنمتد في أفق غامض

ثم ننأى بعيدا عن الأمهات

ونصبح مبتعدين عن أنفسنا

عن طفولتنا وصبانا

ونترك أشجارنا خلفنا
ونترك أشجارنا خلفنا
نترك أطيّارنا وهوانا
ونجري وراء فراش اللغات
نسقط ثم يوجهنا الصوت
يقذفنا في اتجاه سواحل تجهلنا
نرتمي فوق رمل الكلام
وننمو مع العشب والشجر والحصى
نغمة وحروفا
تأكلنا الكلمات لتنمو ونلفظها لنموت
عبثا تتطاول أعناقنا كي تفارق ماء اللغة
عبثا تكشف قامة في الظلام
غيرتنا اللغة
حولتنا إلى موجة في الكلام
وخاطت عوامنا في مداها
فضاعت ملامحنا في الزحام
أيتها اللغة الهاربة
أيتها اللغة الغاصبة
أعيدي سفينتنا للقلوب
أعيدي أناشيدنا للوطن
أهلنا يسألون الموائع عنا ولا شيء غير غبار الزمن
أيها العالم الراكض خلف زيف اللغى
هل تمهلت حتى نراك قليلا
تعلق بأحلامنا وانتشل روحنا من خيوط الكفن
إنّ أوراقنا تتناثر فوق الثرى
هل ترى؟
إنّ أغصاننا تسقط في الوهن
هل تحن؟

فأنقذ عروقا تقطعها مديّة الكلمات

وخلص لسانا تفتته رنة

وحافظ على دمة

واحفظ بدم أهدرته الجهات

ها أنا أعين نثرتها الرمال

فمن يجمع جسدا قطعته الفلاة؟

نركب الكلمات وننأى عن الأهل

يجرفنا السيل نحو المحيط

ونغرق في عالم ناح فيه الحمام

متى نخرج من بحار الظلام

ونلبس أوجهنا مرة

نحمل أيدينا مرة

ونرى نجمنا طائرا في سلام؟

2. - التحليل اللساني النصي للمنجز اللغوي الإبداعي في الشعر الجزائري

المعاصر.

قصيدة "أسرى الكلام" لفاتح علاّق أنموذجا.

1.2. - دلالة العنوان

عنوان قصيدة الشاعر "أسرى الكلام" هي جملة مثبتة خالية من أية صيغة للنداء أو الاستفهام أو غيرهما، حذف فيها المسند إليه المقدر بالضمير "نحن"، وهذا الحذف يأتي ليدلّ على قيمة المسند من خلال التأكيد عليه كمرتكز يقوم عليه النصّ الشعري. وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال هام فحواه: من هم هؤلاء الذين يأسرهم الكلام؟ ويأتي الجواب واضحا من خلال القصيدة نفسها حين يوظف الشاعر الضمير "نحن" على امتداد الفضاء النصي كلّ قاصدا بذلك نفسه وغيره هم الذين يقعون تحت أسر الشعر.

ويضفي الأسرها هنا دلالة السلطة التي تمارسها الكلمات على الشاعر، إذ تبدو أقوى منه ومن غيره بحيث تنعدم القدرة على الانعتاق والتحرّر منه. إنّ العنوان يحيل في كثير من دلالاته على العلاقة الأبدية التي تجمع فاتح علاّق والكلام أو الشعر، فهو لا يرى نفسه ولا يحسّ بها إلا داخل أسوار سجن الشعر،

لأنه يحتويه وهو الذي يفهمه. "أسرى الكلام" إذن هي صورة نابضة بالحس بين عشيقين هما الشعر والشاعر، إذ يتماهى الشعر مع الذات الشاعرة فيأتي التوحد وتنعكس العلاقة الوجودية بينهما ليغدو الأسرى الأخير اختيارياً.

3. - قواعد الأساق في "أسرى الكلام":

1.3. - حروف العطف

النسيج اللغوي قوامه التتابع الجملي التي لا بد لها من وجود روابط تعمل على شدّ الجملة إلى الأخرى حتى يكون هذا التسلسل محكما ترتبط فيه الأجزاء معا بواسطة وحدات لغوية هي حروف العطف. وقد خرج البلاغيون العرب عن الوظيفة النحوية التي تؤديها هذه الحروف إلى ما وراء ذلك، من حيث قدرتها على الربط بين الجمل والمفردات، كما عولجت هذه الروابط أيضا في علم النص أو لسانيات الجملة، فتتابعات الجمل التي تنشأ عن طريق روابط وأدوات هي الواو تؤكد أنّ هذا النوع "يربط الأشياء التي لها نفس الحالة، فكلّ منهم صحيح في عالم النص". (شبل، 2009، صفحة 111).

والقصيدة التي بين أدينا تتمتع بتوظيف أنواع الروابط التي تعمل على تماسك الأسطر الشعرية بعضها إلى بعض، ويظهر ذلك في حروف العطف. لقد استعان الشاعر بالواو للجمع بين عناصر متنوعة، فقد هيمنت تقريبا على كل النسيج اللغوي الشعري، وجاءت "ثم" لتؤكد ترتيب هذه العناصر.

على أنّنا نسجل غياب بعض الروابط التي تفيد التخيير والاستدراك والتي تساهم هي الأخرى في أساق النص، ولعلّ هذا الغياب مرده إلى التقريرية التي ميّزت "أسرى الكلام"، فالشاعر يأتي على ذكر حاله وهو واقع تحت سطوة الشعر وجبروته. ومن أمثلة الربط بالواو نذكر قول فاتح علاق:

(...)...

فأنقذ عروقا تقطعها مدية الكلمات

وخلص لسانا تفتته رنة

وحافظ على دمة

واحفظ بدم أهدرته الجهات. (علاق فاتح، 2003، صفحة 37)

والمقام هنا لا يحتمل أن نذكر كلّ المواضع التي ظهرت فيها الواو، لأنها كثيرة. أما بالنسبة للربط "بالباء"، و"ثم" أمكننا الإحصاء من تسجيل أربع

حالات للأولى وثلاث حالات للثانية، وهو عدد قليل جداً إذا ما قُورن بالواو. والواضح أنّ "الواو" هنا لم يقتصر دورها على تعليق وحدة لغوية بأخرى في نفس الجملة، بل تعدّاها إلى عطف الأسطر الشعرية بأكملها والتي لا يكتمل معناها إلّا بالتعالق النحوي الذي تمارسه على امتداد النصّ الشعري كله. وعلى هذا فالعطف يكشف هنا عن جانب خاص من بلاغة النّسق، إذ يجري الرّبط بين المتعاطفات على مجموعة من أفعال الأمر التي تظهر على أنّها واقعة على نفس الدرجة من الرغبة في تحقيقها، وهي بالنسبة للشاعر ذات قيمة واحدة مادام يجد في تحقيقها جميعاً السّكينة والهدوء اللّذين ينشدهما.

2.3 . - الإضمار

الضمائر وحدات لغوية لا تمتلك دلالة مستقلة في ذاتها، إذ تحتاج إلى عنصر لغويّ سابق أو لاحق مذكور في أجزاء النصّ، وهي من الأدوات الأكثر انتشاراً واستعمالاً، إذ لا تخلو النصوص اللغوية منها كونها من العوامل التي تحقّق المجاورة، والمجاورة هنا تعني "مجموعة من الأدوات التي تنظّم علاقات الجمل بعضها ببعض". (خليل، 1997، صفحة 130). إذ يُعزى إلى هذه العناصر قضية التماسك النصّي من خلال الرّبط بين الجمل والفقرات والنصّ كله عن طريق هذه المعوّضات اللغوية التي "تقدّم بدائل متعدّدة لسبك عبارات سطحية دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها". (روبرت، 1418 هـ، صفحة 299).

لقد تمّ الرّبط بعناصر الإضمار المتنوعة التي ضمنت استمرارية النصّ الشعري ونموّه وامتداده. وقدّمت هذه الوسيلة خدمة للمنتج من خلال الاستغناء عن تكرير الكثير من الأسماء تكريراً مباشراً، ممّا يجعل هذه الوسيلة من الوسائل التي تُسهّم في اختصار الكلام وعدم إطالته بما لا يطيق المتلقي ولا ينفعه، وأمثلة الإضمار كثيرة نقتطف منها قول فاتح علاق:

تأكلنا الكلمات لتنمو ونلفظها لنموت

(...)

غيّرنا اللّغة

حوّلنا إلى موجة في الكلام

وخاطت عواصفنا في مداها

(...)

أهلنا يسألون الموائئ عنا ولا شيء غير غبار الزّمن
أيّها العالم الرّاكض خلف زيبغ اللّغى
هل تمهلّت حتّى نراك قليلا
(...)

يجرفنا السيل نحو المحيط

ونغرق في عالم ناح فيه الحمام. (علاق فاتح، 2003، الصفحات 36 - 37 - 38).
من البينّ إذن أنّ إسهام هذه الضّمائر (هي، نحن، هم، كاف الخطاب، هو) في
كلّ النّص الشعري هو إسهام قويّ وفاعل من خلال تنشيط شبكة العلاقات
المتولّدة بين كل عبارات "أسرى الكلام"، إذ لا يمكن فهم واحدٍ من هذه الضّمائر
المبثوثة في القصيدة إلّا بالعودة إلى جمل من قبل، وفي هذه العودة تكريس لمبدأ
التّماسك النّصي.

على أنّنا نجد قيمة بارزة لهذه الضّمائر البديلة في نقطة هامة تتصلّ
بالمتلقي، إذ تفرض عليه نوعا من التّركيز واليقظة تجعلانه يربط كلّ ضمير
بما يعود عليه دون إخفاق، ممّا يسمح في الأخير بفهم النّص والحكم عليه
بالانسجام والتّماسك.

يمكن أن نوّكد في الأخير أنّ الضّمائر رابط هام في بناء النّص خاصة "حينما
يعتمد فيه عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر، فالأوّل يفترض الثاني
بمعنى أنّنا لا يمكننا فكّ شفرته بنجاح إلّا بالعودة إلى الثاني". نقلا عن (براون،
1997، صفحة 228)

3.3 - الإحالة

القصيدة - كما نرى - تهيمن عليها الأفعال التي تتّصل بضمير المتكلّم
الحاضر الدّال على الشّاعر وغيره ممّن تأسّرهم الكلمات، وهو ضمير "نحن" الذي
يمتد مداه في الرّبط إلى مساحات واسعة من النّص الشعري، فكلّ الجمل يجمعها
هذا العنصر الإحالي الذي يعود على فاتح علاق وغيره من الشعراء.

ولا بدّ من التذكير هنا أنّ هذا النوع من الإحالة هو خارجي، إذ تنتقل بنا
الوحدة اللغوية الممثّلة في "نحن" إلى خارج النّص، أي ربط اللغة بما هو خارج
اللغة. وعلى هذا الأساس لا تكون إحالة وحدة لغوية على خارج إلّا "من خلال
استعمال العقل وإدراك المعنى المقصود تبليغه في الاستعمال بالاستعانة بدلالة

الأشياء عليه". (هبييل، 2017، صفحة 29) ودلالة الضمير "نحن" لا يمكن إدراك المحال عليه إلّا بدلالة السياق العام للنص الشعري "أسرى الكلام"، إذ يمكننا من تحويل "ذلك المعنى الوضعي المطلق إلى معنى مخصص مقصود" (هبييل، 2017، صفحة 29). وهذا ما نلمسه في الأسطر الشعرية حين نرمي إلى التأكيد على ما يحيل عليه ضمير المتكلم "نحن" في قول فاتح علاق:

نترك أطيّارنا وهوانا

ونجري وراء فراش اللغات

نسقط ثم يوجهنا الصوت

يقذفنا في اتجاه سواحل تجهلنا

نرتمي فوق رمل الكلام

وننمو مع العشب والشجر والحصى. (علاق فاتح، 2003، صفحة 36)

إنّ هذا الضمير هو الذي أدّى - في الغالب - وظيفة الرّبط، فلم يخلُ منه سطر شعريّ، ممّا يدل على وجود ذات مستمرة. لقد تم إسناد الأفعال والأسماء في معظمها إلى ضمير المتكلم من بداية القصيدة إلى نهايتها.

4.3 . - الحذف

يؤكد علماء لسانيات النص أنّ الحذف من الوسائل الفاعلة في تماسك النصّ وبناءه، ويعني عندهم "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الدّهن أو أن يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارات السطحية". (روبرت، 1418 هـ، صفحة 301). ويعني ذلك أنّ الحذف ظاهرة موجودة بالفعل في إنتاجاتنا اللّغويّة فإسقاط عنصر أو عناصر والاكتفاء بالمبنى العدمي (أي الحذف) يؤكّد ميل الناس إلى الاقتصاد اللّغوي وعلى الرغم من هذا الحذف الحاصل لبعض الوحدات فإنّ بقاء التّفاعل بين شركاء الاتّصال قائم، وهذا ما يؤكّد دور الحذف في بناء النّسيج اللّغوي ودعم ترابطه، ولكنّه لا يتمّ إلا " إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدّلالة كافيا في أداء المعنى". (عفيفي، 2001، صفحة 162).

يعتبر الحذف في النصّ الشعري "أسرى الكلام" من الوسائل التي أدّت إلى تماسكه، فهو سمة بارزة في بعض العبارات، وهو يقوم على " تنشيط شبكة العلاقات المفهومية بين أجزاء النصّ دونما حاجة إلى مبدأ التّعويض". (نعمان،

2012، صفحة 45) على أنّ مواضع الحذف ومعرفة المحذوف تبقى من المهام الموكلة للمتلقى، فالمنتج لا يصرح بهذه المواضع، وأمثله كما يأتي في قول الشاعر:

ونسبح مبتعدين عن أنفسنا

عن طفولتنا وصبانا

ونترك أشجارنا خلفنا

نترك أطيّارنا وهوانا. (علاق فاتح، 2003، صفحة 35)

ويمكن تقدير المحذوفات كما يلي: نسبح مبتعدين عن طفولتنا، نسبح مبتعدين عن صبابنا، نترك أطيّارنا خلفنا، نترك هوانا خلفنا.

إنّ معرفة العناصر المحذوفة في النصّ الشعري وتحديدّها دون غيرها، عملية تحتاج إلى كثير من التركيز والدقة، فهي تقوم على فهم العبارات التي وردت من قبل، وفي هذه العودة - كما نلاحظ - تكريس للتماسك النصي وارتباط أجزائه.

5.3 - التعريف

التعريف من العناصر الهامّة التي تساعد على بناء النصّ، فهو يُبقي المتلقى في طريق واضح من خلال استمرارية المعنى ذاته داخل التّسيج اللّغوي، ويمكنه من ربط العناصر إلى بعضها. وقد عرفه "دي بوغراند" بأنّه وضع للعناصر الدّاخلية في عالم النصّ بحيث تؤدّي هذه العناصر وظيفتها التي لا تحتلّ الجدل في سياق الموقف. كما يسهّل "التعريف" على المتلقى إمكانية الارتباط بعناصر ذاتها داخل النصّ، ممّا يعني القدرة على استحضار معلومات موجودة بالفعل، بينما تجهد النّكرات هذا المتلقى، إذ ترغمه على تنشيط مساحات معلوماتية أكبر. يُنظر (روبرت، 1418 هـ، صفحة 310) التعريف إذن يُمكن من تقييد التّأويل وتوجيه التركيز إلى عناصر معينة دون غيرها، وهذا ما يسمح بفرض الرّبط والتماسك بين أجزاء النصّ، ويمكننا أن نستدلّ على ذلك من خلال قول فاتح علاّق:

وتزرعنا الكلمات على عتبات البيوت

نكبر ثم تجرجرنا الطّرقات

(...)

فتشرعنا الكلمات لنمتدّ في أفق غامض

ثم ننأى بعيدا عن الأمهات

(...)

نركب الكلمات وننأى عن الأهل

يجرفنا السيل نحو المحيط

ونغرق في عالمٍ ناح فيه الحمام. (علاق فاتح، 2003، الصفحات 37 – 38)

وردت لفظة الأمهات مثلا معرفة وهي تخص الشاعر وتخص الذين سجنهم الكلمات، فالتعريف هنا يؤكد على أنّ هذه الأمهات لا تخص كلّ الناس، وعليه يتّضح أنّ هذه الوسيلة قد قامت بمهمة الرّبط من خلال استحضار معلومات قد سبق تقديمها.

6.3 . - الرّبط عن طريق النداء

ما يمكن ملاحظته في القصيدة محلّ التحليل اعتمادها في بعض مقاطعها على أسلوب النداء الذي يقوم على الرّبط بين أسطرٍ شعريّة كثيرة، إذ من المعلوم أنّ هذا الأسلوب يولّد جملا كثيرة ممّا يسمح بامتداد النّص وتوسّعه خاصة عندما ندرك أنّ المراد من النداء هو طلب إقبال المنادى من أجل القيام بشيء أو غير ذلك. ومن أمثله قول فاتح علاق:

(...)

أيّها العالم الرّاكض خلف زيف اللّغى

هل تمهلت حتى نراك قليلا

تعلّق بأحلامنا وانتشل روحنا من خيوط الكفن. (علاق فاتح، 2003،

الصفحات 36 – 37)

لقد أدّى النداء إلى الرّبط بين المتواليات الجُمليّة الكثيرة التي جاءت في معظمها لتدلّ على استنجاد الشاعر باللّغة واستعطافه لها حتى تعيد قلبه وقلوب الآخرين التي سرقت منهم. وعلى هذا الأساس يتأكّد دور هذا الرابط في التّماسك النصّي وفي شدّ المكوّنات السّطحية إلى بعضها البعض.

7.3 . - التكرير

التكرير من الوسائل التي تظهر على سطح النص وهو "شكل من أشكال الربط المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف". نقلا عن (مناع، 2011، صفحة 177).

إنّ المسح الشّامِل "لأسرى الكلام" يكشف عن ورود بعض الوحدات اللغوية وروداً كبيراً، ولا عجب أن تكون أولى هذه العناصر التي تتكرر بتواتر لافت للانتباه هي المفردات الآتية: "الكلمات"، "اللغة"، "الكلام". ودلالة ذلك تتّضح في إبراز الشّاعر للعلاقة التي تربطه مع الكلمات، أو بدقة أكثر العلاقة التي تربطه بالشّعر، فالشعر لغة وكلمات وفاتح علاق في كل ذلك "مثل السمكة لا يمكنه العيش خارج الكلمات، فهي جنته وجهنّمه". (علاق فاتح، 2003، صفحة 7). والجدير بالذكر أنّ دلالات هذه الوحدات المتكررة عبر مساحة النصّ الشعري هي دلالات ثابتة لم تتحول، إذ تسير كلّها في توضيح سطوة اللغة والكلمات والشعر وبيان قدرتها وجبروتها على الشاعر الذي يظل أسيراً داخل سجونها.

وإعادة الشّاعر لهذه العناصر اللغوية في مواضع متباعدة من النصّ الشعري "أسرى الكلام"، تأكيد واضح منه بأنّها هي الدّوات الفاعلة والمهيمنة والعناصر المحورية، ولعلّ هذا التأكيد يحمل المتلقي على تنشيط ثقافته باستحضار القيمة الحقيقية للكلمة وللشعر ودورهما في بناء المجتمعات الإنسانية. وتبرز هذه القوة في النصّ من خلال استهلال الشاعر قصيدته بأفعال تفرض سطوتها منذ البداية، وهي أفعال تتكرر بنفس الصيغة نذكر منها: تزرعنا، تخرجنا، تشرعنا، حولتنا، خاطت، ضاعت.

8.3 . - أزمة النصّ

يُفصح النصّ الشعري "أسرى الكلام" عن حضور مهيمن للفعل المضارع الذي يكاد يسيطر على كلّ القصيدة، وهذا الحضور يبدأ من أوّل سطر دالاً على ارتباط الشاعر ارتباطاً وثيقاً بالحاضر وبالاستمرارية، ممّا يضع هذه الأفعال ورؤى فاتح علاق ضمن سيروية زمنية واحدة، فالأحداث المتنوعة تتحكم فيها ذات واحدة ترتبط بالحاضر، هذه الذات التي تبحث في الزّمن الآني عن مفقودٍ لعلّه الحرية والخلاص من أسر الكلام.

إنَّ قوة الكلمات فرضت - منذ البداية - منطقتها ورسّخت بذلك فكرة الصِّراع والحرب بين معسكر الكلمات /الشعر، ومعسكر الشعراء أو الأسرى لتتكرّر بعد ذلك قضية المدّ والجزر بين الجهتين. وقد تولّدت في الأخير حزمة من الأفعال نتيجة لهذا الصِّراع، وهي صيغ الأمر التي تشي بالرغبة في الانطلاق والتحرّر والانعتاق، وتؤكد مرّة أخرى على التمرد الذي يدفع بالشاعر إلى الصّراخ عالياً. يقول فاتح علاّق:

أَيَّتْهَا اللّغة الهاربة

أَيَّتْهَا اللّغة الغاصبة

أعيدي سفينتنا للقلوب

أعيدي أناشيدنا للوطن

(...)

أيّها العالم الرّاكض خلف زيغ اللّغى

هل تمهلت حتى نراك قليلاً

تعلق بأحلامنا وانتشل روحنا من خيوط الكفن. (علاق فاتح، 2003،

الصفحات 36 - 37)

أمّا الماضي فلم يوظّفه الشّاعر إلّا بالقدر الضّئيل الذي يسمح له بترسيخ فكرة الهيمنة، وهي أفعال توحى بالضّياع والوهن. يقول الشّاعر في هذا السّياق:

غَيَّرْتْنَا اللّغة

حوّلتنّا إلى موجة في الكلام

وخاطت عوالمنا في مداها

فضاعت ملامحنا في الرّحام. (علاق فاتح، 2003، صفحة 36)

4. - التّرابط المفهومي وآلياته في "أسرى الكلام"

إنّ وصول المتلقّي إلى فهم النّص الشعري وإدراك مضامينه المختزنة التي لم يصرّح الشاعر بها مباشرة، يعني تميّزه بالانسجام والتّماسك الدّلالي، ولا شك أنّ هذا التّماسك قائم على آليات نذكر منها ما يلي:

1.4. - التّقابل

التّقابل من الآليات الفاعلة التي تضمن جانباً من انسجام النّص، وليس ضرورياً أن تكون هذه الوسيلة ظاهرة ظهوراً مباشراً عن طريق التّضادّ في

المفردات، بل يكفي في ذلك أن يستنتج المتلقي قيام المعني والأفكار على هذه الآلية. ولعلَّ القارئ المحلَّل "لأسرى الكلام"، يدرك بلا شك أنَّها تقوم على فكرتي الأسر والتحرر، وهما مفهومان قائمان على التناقض والاختلاف، فالأسر يحيلنا على دلالات من مثل الضعف والوهن والاستسلام الذي يجعل الذات حبيسة لقوى أكبر منها، وهي التي تقود الشاعر حيث تريد. وتتضح هذه الدلالات أكثر في اعتماد فاتح علاق على الجمل الخبرية التي تؤسس للنمط التقريري الذي يشي في غالبيته بفقدان التوازن والصلابة، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

نسقط ثم يوجِّهنا الصوت
يقذفنا في اتجاه سواحل تجهلنا
(...)

تأكلنا الكلمات لتنمو ونلفظها لنموت. (علاق فاتح، 2003، صفحة 36)

أمَّا التحرر فنجدته كقيمة هامة يريد أن يوجِّهنا إليها الشاعر من خلال الأساليب الإنشائية التي وظفها في العديد من الأسطر الشعرية، إذ تعكس رغبته الجامعة في الخروج من الأسر والتَّمرّد على سطوة الكلمات. والأساليب الإنشائية في القصيدة لا تخرج عن صيغتي الأمر والاستفهام الدالّتين على الطلب، وهو ما يؤسس لفكرة الحرية والانعتاق اللذين ينشدهما فاتح علاق وغيره، مؤكّداً أن لا سيّد إلّا الذات الشاعرة. ومن أمثلة أفعال الأمر الواردة في النّص الشعري ما يلي: أعيدي، تعلّق، انتشل، أنقذ، خلّص، حافظ، احتفظ، انتشل، خلّص. ومن المهم هنا أن نذكر بقيمة التّنغيم في التجسيد الفعلي لهذه المعاني المتقابلة، خاصة عندما نعود إلى حقيقة الشعر القائم على الصّوت. إنّنا نحس ونحن نقرأ الأسطر الشعرية الأولى من السّطر الأول الذي يبدأ ب: ...وتزرعنا الكلمات على عتبات البيوت إلى نهايتها في المقطع نفسه: فضاغت ملامحنا في الرّحام بنغمة منخفضةٍ أنّها تعكس الجوّ النفسي الذي يشي بالهدوء والركود والاستسلام. إنّ هذه النغمة الهابطة تؤكد على بطش الكلمات بالشاعر وأنّ إرادتها أقوى منه. على أنّ هذه النغمة سرعان ما تتلاشى ليحل محلها تنغيم صاعد مرتفع، دالٌّ على رفض الشاعر لهذا الاستبداد. وشواهد ذلك ماثلة في تراكم وتتابع صيغ الأمر، وفي أساليب الاستفهام وهذا حين يقول الشّاعر:

إنّ أوراقنا تتناثر فوق الثّرى

هل ترى؟

إن أغصاننا تسقط في الوهن

هل تحن؟

(...)

ها أنا أعين نثرتها الرمال

فمن يجمع جسدا قطعته الفلاة ؟. (علاق فاتح، 2003، صفحة 37)

2.4. - الاستمرارية في مقابل القطيعة وانسجام "أسرى الكلام"

إن اعتبار الاستمرارية مبدأ عاماً يتحكم في الانسجام، يعني تقبل المتلقي لهذا النص أو ذاك، وهذه الاستمرارية تتحقق حينما تظل العلاقة موصولة غير منقطعة بين شريكي التواصل من بداية النسيج اللغوي إلى نهايته. واللغة في كل ذلك " توفر مجموعة من الأدوات التي تسمح بتحقيق هذه الاستمرارية ". (بن عروس، 2007 - 2008، صفحة 30)

إن المسح الشامل للقصيدة يضعنا أمام وجود العديد من العناصر التي تتركس مبدأ الاستمرارية كمرتكز أساسي في تحقيق الانسجام. ولعل وجود نفس الذوات التي تصنع الأحداث داخل النص دون تغييرها يسمح بشكل كبير في بقاء تركيز المتلقي قائما من خلال ارتباط الذهن بها، مما يؤدي إلى تنشيط المعلومات والعلاقات التي تخص هذه الذوات دون غيرها، هذه الذوات في مجملها هي الشاعر وآخرون، الكلمات، اللغة، الكلام.

ومن الأشياء التي تحقق الاستمرارية الوحدة الموضوعية من خلال الحرص على عدم الانتقال من موضوع إلى آخر بعيد عنه، فالتغيير في المواضيع يشتت ذهن المتلقي، كما يمنعه من التركيز خاصة عندما لا ترتبط هذه المواضيع برابط يجمع بين هذه القضايا والأفكار. إن التركيز على موضوع واحد هو ما نلمسه في القصيدة الشعرية "أسرى الكلام" وهو ما يمنحنا هذا التماسك والارتباط بين دلالاته.

وإضافة إلى هذه الأمور التي تحقق آلية الاستمرارية، يمكن أن ندرج كذلك قضية هامة تخدم عدم القطيعة وتحقق التماسك الدلالي وهي قضية عدم التناقض، إذ لا بدّ للأفكار المطروحة أن تبتعد عن كلّ طرح قد يجعل المتلقي محتارا في كيفية الربط بين فكرة ونقيضتها. و"أسرى الكلام" كعنوان

وكدلالة توحى بأن الذات المتكلمة لابد أن تدلّ على الجمع، ولا بد أن تتصف هذه الذوات المأسورة في أسر الكلام بانعدام الإرادة والحرية وهذا ما نجده فعلاً في كل الأسطر الشعرية. إنّ المتلقي يمكن أن يعتبر أن هناك تناقضاً صارخاً في أي نصّ تواصل يجمعه بالمنتج حينما "يستطيع أن يستنتج من قضية إلى قضية أخرى تناقض المحتوى الدلالي للموضوع المعطى أو المفترض في جملة مجاورة". (بن عروس، 2007 - 2008، صفحة 46)

3.4. - العام والخاص وانسجام "أسرى الكلام"

يمكن أن ننطلق في العادة من العنوان فنعتبره وارداً بصيغة العموم، وما تلاه هو تخصيص له، فالعنوان يحيلنا إلى عنصرين هامين هما الأسر والكلام، وهما الفكرتان التي تصنعان نمو النص وتوسّعان في دلالاته، تلك الدلالات التي ستشكل في نهاية المطاف كلية النسيج اللغوي. إنّ الأسطر الشعرية التي تعقب العنوان مباشرة هي تخصيص له، بحيث تحاول أن تصف القوة الفاعلة للكلام /الشعر اتجاه فئة خاصة من الناس، وفتح علق واحد منهم لتأتي مواصفات هذه القوة الفاعلة بحيث تزرع الشاعر وغيره على عتبات البيوت وهي التي تشرعهم، وهي التي تجعلهم يناوون عن الأمهات وعن الطفولة، وعن الصبا...

والقصيدة الشعرية كلها تسير وفق هذه الخاصية أي العام والخاص، فهي تحيلنا على إجابات لسؤال مقدر في ذهن المتلقي ناتج عن قراءة العنوان مفاده: من هم أسرى الكلام؟ وما هي مواصفات هذا الأسر؟ ويأتي الجواب واضحاً ودقيقاً بصيغة خاصة ترتبط بضمير "نحن"، واصفاً أحوال هذه الذوات وهي في أسر الشعر، وهي ذوات تفقد قوتها وتوازنها وسيطرتها على الأشياء في حضرة الكلمات. وتنوّع الأفعال في ذلك دليل واضح لا يقبل الجدل، فهي ذوات تنأى وتسبح وتترك وتجري وتسقط وتنمو، وهي في الأخير تطلب النجدة من اللغة الغاصبة حتى ترنو إليها بعين الشفقة والرحمة. إنّ "أسرى الكلام" وانطلاقاً مما قيل تأريخ لحياة الأسرى داخل سجن الكلمات والشعر.

4.4. - التضمن وتحقق الانسجام

تشكّل القصيدة "أسرى الكلام" من مشاهد متنوعة وأحداث كثيرة تؤطّرها كثرة الأفعال الدالة على الحركة والنمو، وهي بذلك ترصد فكرة سطوة الكلمات وجبروتها على الشاعر وغيره ممّن لا يمكنهم العيش خارج هذه السّلطة،

ويأتي كل حدث ليؤكد هذه الحقيقة. وهذه الصورة التي يرسمها الشاعر يوظف لها ذوات تتداخل فيما بينها وتتعلق، فالذوات من مثل: الكلمات، الكلام، أو الشعر كلها تدخل ضمن مجال اللغة، فالعلاقة التي تربط بينها هي علاقة التضمن. ومن المعلوم أن اللغة شيء ذهني مجرد، سرعان ما يتحول إلى محسوس عن طريق الكلمات والكلام، ولكن ما هي علاقة هذه الذوات بالشاعر؟ واعتمادا على معرفتنا بالشاعر وعلاقته بالشعر انطلاقا من كل المقدمات التي أوردها في دواوينه الأربعة وحديثه عن أهمية الكلمة في التعبير، أن نؤكد على أن العلاقة التي تجمع فاتح علاق والكلام أو الكلمات أو الشعر هي علاقة الجزء بالكل، فالشعر جزء غير قابل للانفصال عن شاعرنا.

4. - خاتمة:

النص الشعري ليس بناء عاديًا فهو منجز لغوي يقوم على التخيل والتصوير والإبداع، ومناطق الإبداع فيه يتركز على خرق المألوف وعلى نبذ طرائق تعبير ثابتة لواقع متغير. وإذا كان الأمر بهذه الصعوبة والدقة فإن تحليل النص الشعري من منظور لسانيات النص يشترط محلا فطنا، فهو ينظر إلى المنجز اللغوي الإبداعي على أنه وضع في صورة قول جميل ليعبر به صاحبه عن واقع وموقف نفسي يحب أن يشاركه آخرون في تجربته، ولا شك أن هذه المشاركة لن تتم إلا إذا أدرك هؤلاء المشاركون العلاقات الترابطية التي تجمع مقاطع النص الشعري بعضه إلى بعض وتداخل العلاقات القسوية الثاوية في أعماق عالم النص بما يوحي بدلالات معينة ومقاصد خفية.

إن المحلل وعلى هذا الأساس سوف يفهم بالدرجة الأولى الكلمات والجمل ومتتاليات الجمل، وهذا التماسك سوف يؤدي بالفعل إلى إدراك أن هذا الترابط النصي في البنية السطحية سيؤدي هو الآخر إلى ترابط في المعلومات أو القضايا التي سترجم إلى مضمون، وبهذه الطريقة تصبح هذه المتتاليات من الجمل تعبر عن قضايا متعلقة فيما بينها. والتماسك الدلالي تتحقق به الاستمرارية ويتحقق الفهم، فهو يرتبط أساسا باتصال العلاقات الدلالية بين الوحدات الجمالية المتجاورة داخل المتتالية النصية عن طريق روابط لغوية وغير لغوية

تجعل من القصيدة الشعريّة بنية تستجيب لنظام قابل للكشف والإدراك والتحليل.

وتحقّق التماسك الدلالي وإن كان حاصلًا في البنية العميقة التي لا تظهر داخل النصّ، فإنّ الجمل التي تظهر على سطح النصّ هي التي تشكّل دلالات النصّ الشعري وعليه فكلّ جملة داخل هذا البناء الكلي تشكّل دلالة جزئية لا يتقرّر معناها إلّا ضمن تتابعات من الجمل. ولا شكّ أنّ الوسائل اللغوية كحروف العطف والضمائر والحذف والإحالة تساهم بشكل فاعل في الربط بين متتاليات الجمل التي ستشكّل في الأخير الدلالة الفعلية لأيّ نصّ. وعليه جاز أن نقول إنّ هذا النصّ الشعري يقوم على التبادل المحوري بين المستويين السطحي والعميق فلا يمكن الفصل بينهما.

إنّ كل هذه الوسائل الشكلية والدلالية التي اعتمدها الشاعر فاتح علاّق ووظفها من أجل تحقيق البناء المتكامل لنصّه "أسرى الكلام" هي جزء من آليات كثيرة لم يتم التطرق إليها، ولكن مع ذلك جاز لنا أن نوّكد في نهاية التحليل أنّ هذا النسيج الشعري شبكة من المستويات المتنوعة التي تشدّها صلات وعلاقات، هي الضامن لكلية النصّ ووحدته والتي استطاعت أن تنقل تجربة شعرية من تجارب فاتح علاّق الثريّة.

المراجع

أولاً: الدواوين الشعرية:

علاق فاتح: الجرح والكلمات، دار التنوير، الجزائر، 2003.

ثانياً: المراجع العربية

بوقرة نعمان: لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2012.

خطابي محمد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

خليل إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

شبل عزة: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007.

عادل مناع: نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.

عفيفي أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001.

هبيّل يسر: الإحالة بين اللغة والخطاب، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2017، 29.

ثالثاً: المراجع المترجمة

برون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1997.

دي بوغراندي: النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسّان، القاهرة، ط1، 1418هـ.

رابعاً: الرسائل الجامعية

بن عروس مفتاح: الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2007/2008.



التأويل بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة Interpretation between Arab Heritage and Western Modern Studies

لخداري سعد

أستاذ دائم بجامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة

lakhdari.saad@yahoo.com

تاريخ القبول: 2019-05-16

تاريخ الاستلام: 2017-04-13

ملخص -

حظي التأويل بعناية كبيرة عبر مختلف الحضارات الإنسانية من اليونان و العرب القدماى إلى الدارسين الغرب المحدثين، حيث دعت الحاجة إلى فهم النصوص الخالدة بصفتها تحمل أكثر من دلالة. وقد اتفقت البيئات الفكرية عبر التاريخ ضمن حدود و مضامين تأويلية، و اختلفت في أخرى، و من هذا المنطلق أردنا أن نبث في هذه الورقة العلمية " التأويل بين التراث العربي و الدراسات الغربية الحديثة".

الكلمات المفتاحية -

التأويل، التراث العربي، الدراسات الغربية الحديثة .

Abstract -

The Interpretation Had Got A Great Care Throught The Different Humain Civilizations From Greece And Old Arabs To The Western Students, It Was Necessery To Understand The Immortal Texts Because They Have More Than One Signification. The Scientific Debates Had Agreed Along The History Including Limits And Explanatory Contents, Where They Had Disagreed In Others. And From This Metter, We Wanted In This Research To Look For " The

Interpretation Between The Arabian Patrimony And Modern Western Studies.

Key words - The interpretation, The Arabian patrimony, Modern Western studies .

لقد كان التأويل مصاحباً للفكر الإنساني عبر مختلف الحضارات البشرية، حيث وُجد هذا المصطلح مفهوماً و نشاطاً في الحضارة اليونانية، كما ارتبط كذلك عبر مختلف العلوم العربية القديمة، من علم الكلام، والأصول، واللغة، والتفسير، وغيرها من العلوم، ليُعاود الظهور مع الدراسات الغربية الحديثة بدءاً من عصر النهضة إلى وقتنا الراهن، حيث أُستخدم التأويل ليعالج الكثير من القضايا المتعلقة بالفهم، من الدين والأدب والفلسفة والفكر. ومن هذا المنطلق أردنا في هذه الورقة العلمية أن نعالج هذا المجال من النشاط، لنطرح تساؤلاً مفاده: ما الفرق بين التأويل في التراث العربي، وبين التأويل في الدراسات الغربية الحديثة؟ وما هي حدوده ومضامينه ضمن الثقافتين؟ .

اتبعنا في هذا البحث خطة علمية منظمة نقوم بعرضها كالآتي :

1) مفهوم التأويل :

1-1) عند اليونان :

إن كلمة تأويل كانت تعني في الحضارة اليونانية " الهرمنيوطيقا " حيث: " تأتي كلمة (هرمنيوطيقا) من الفعل اليوناني (Hermeneuein) ويعني (التفسير)، والاسم (Hermeneia) ويعني تفسير. ويبدو أن كليهما يتعلق لغويا بالآله هرمس (Hermes) رسول آلهة الأولمب الرشيقي الخطو الذي كان بحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة، ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم، وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر " (1) . فمُنشأ التأويل الذي يقابل الهرمنيوطيقا عند اليونان ديني، كان غرضه تفسير الأشياء والأحداث وتقريبها إلى الإنسان الذي يجهل أمور دنياه ومعاده، فحاجة

اليونانيين إلى الفهم دفعتهم إلى جعل آلهات متعددة تفسّر لهم الأشياء و تقرب لهم المعاني التي تغنيهم عن السؤال .

ارتبط التأويل عند اليونانيين باللغة، فـ " اللغة هي الوسيط الأساسي في العملية بلا ريب، هذا الإفهام الذي تتوسطه اللغة هو العنصر المشترك في الاتجاهات الثلاثة الأساسية لعنى لفظة (Hermeneue-in) و لفظة

(Hermeneia) في الاستخدام القديم . هذه الاتجاهات الثلاثة للفعل (يؤوّل) في اليونانية هي :

- 1 - يعبر بصوت عالٍ في كلمات، أي (يقول) أو (يتلو) .
 - 2 - يشرح، كما في حالة شرح موقف من المواقف .
 - 3 - يترجم، كما في حالة ترجمة لغة أجنبية " (2) . فالتأويل كان يدور حول اللغة و ما تتطلبه من كشف لرموزها، و تقليد بنيته السطحية لتعطي دلالاتها و مخبوءاتها، و قد تعددت معاني لفظة التأويل عند اليونان، فقد يكون هو التعبير برفع الصوت أو التلاوة، كما أن التأويل يعني الشرح و الإجلاء و التوضيح كما أن اليونانيين لما يكونون أمام كلمات أو جمل غريبة على لغتهم، فيحاولوا فهمها و يدعون ذلك تأويلاً مقابلاً للترجمة .
- لقد كان لأرسطو أعماله القيمة في التأويل، حيث أنّه : " في رسالته (عن التأويل) (Peri Hermeneias) يعرف أرسطو التأويل بأنه إقرار أو إعلان (Ennunciation) قد يومئ هذا التعريف إلى الاتجاه الأول للمعنى (يقول أو يعلن)، غير أن المتعمق في النصّ لن يخفى عليه الاتجاه الثاني أيضاً، فالهرمينيا عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو كذبه . التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكماً صادقاً عن شيء ما وفقاً لأرسطو ... " (3) . فأرسطو وفق هذا المفهوم يضع التأويل ضمن حدوده المنطقية العقلية، فالعقل يتفحص المعطيات اللغوية و يعالجها ليحكم بكذبها أو صدقها وفق آليات و مراحل منظمة، و هذا التأويل يؤدي إلى نتاج فكري و موقف عميق من الأشياء التي تعرض على الإنسان عبر تجاربه مع الحياة و الأحداث .

1- (2) عند العرب القدامى :

ورد في " لسان العرب " لـ " ابن منظور " (630هـ / 711هـ) مادة (أَوَّلَ) : " أَوَّلَ : الأولُ : الرجوع آل الشيء يؤول أولاً و مآلاً : رجع . و أَوَّلَ إليه الشيء : رجعته " (4). كما جاء كذلك عنده : " و أَوَّلَ الكلام و تأوَّلَهُ : دبرَهُ و قدرَهُ و أوَّلَهُ ، و تأوَّلَهُ : فسَّره . و قوله عزَّ و جلَّ : و لما يأتهم تأويله . أي لم يكن معهم علمٌ تأويله ، و هذا دليل على أنَّ علم التأويل ينبغي أن يُنظر فيه ، و قيل : معناه : لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة ، و دليل هذا قوله تعالى : كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " (5). كما ورد كذلك في نفس المعجم أنَّ : " ... التأويل : المرجعُ و المصير مأخوذاً من آل يؤول إلى كذا ، أي صار إليه . و أوَّلتهُ : صيرتهُ إليه . الجوهرية : التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء ، و قد أوَّلته تأويلاً و تأوَّلته بمعنى " (06). فمن المعاني اللغوية للتأويل هو الرجوع حسب ابن منظور ، كما أنه من معاني التأويل التدبُّر و التفسير و النظر . فالله عزَّ و جل يدعونا للنظر و التدبر كما أن التأويل يعني المصير و الصيرورة إلى معنى جديد عن طريق بذل مجهود عقلي .

جاء مفهومٌ للتأويل في " كتاب التعريفات للشريف الجرجاني "

(740 هـ - 816 هـ) قال : " التأويل في الأصل الترجيع ، و في الشرع صرف الآية عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب و السنة ، مثل قوله تعالى : يخرج الحي من الميت . أن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، و إن أراد إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً " (07). فالتأويل حسب الشريف الجرجاني ارتبط بالرجوع إلى المعنى الحقيقي للآيات القرآنية ، حيث كانت هناك آيات لما يُنظر فيها تؤدي إلى معانٍ أخرى ، غير التي تعطىها القراءة الأولية لها ، شريطة أن لا يكون المعنى الجديد متعارضاً مع أصل من أصول الدين .

جاء في كتاب (قانون التأويل) لـ " أبو بكر بن العربي " (468 هـ - 543 هـ) أن لفظ التأويل في عرف السلف معنيين : " أحدهما : تفسير الكلام و بيان معناه سواء أوافق ظاهره أم خالفه ، فيكون التأويل و التفسير بهذا المعنى متقاربين أو

مترادفين، وهذا الذي عناه ابن جرير الطبري في تفسيره عندما قال : القول في تأويل قوله كذا وكذا ... و اختلف أهل التأويل في هذه الآية، ونحو ذلك، و مراده التفسير .

الثاني: التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية و الأثر الواقعي المحسوس لمدلول الكلمة، و هو الذي تحدث به القرآن في كثير من الآيات، فقد تكررت ... كلمة (التأويل في القرآن) في أكثر من عشرة مواضع، و كان معناها في جميع استعمالاتها هو الأثر الواقعي لمدلول اللفظ المستعمل سواء كان ذلك في الماضي أو المستقبل "(08) . فابن العربي يرى في التأويل وجهين مختلفين، إما التفسير الآخر للكلام الذي يأتي على غرار عبارة أو آية، أو أن التأويل مرتبط بالحقائق التي تنبئ عنها الألفاظ و الدوال و الآيات. و وفق هذا يكون التأويل مرتبط باللغة و مدلولاتها، أو اللغة و ما تحيل عليه من أحداث و وقائع .

ورد في معجم " محمد علي التهانوي " (ت1191هـ) أن التأويل: " هو مشتق من الأول، و هو لغة الرجوع، و أما عند الأصوليين فقليل هو مرادف التفسير، و قيل هو الظن بالمراد و التفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمى مؤولاً، و إذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسراً . و هو أخص من التفسير، و جميع ذلك يجيء مستوفى هناك "(09) . فحسب التهانوي يمكن أن يترادف التأويل مع التفسير عند الأصوليين، فلما يكون الدليل المستعمل ظنيا لفهم لفظ أو عبارة يصير ذلك اللفظ مؤولاً، أما إذا كان الدليل قطعياً لا شك فيه فإن العبارة أو اللفظ يصير مفسراً .

قدّم " محمد بيجو " تعريفاً للتأويل استقاه من كلام القدامى حوله قال فيه : " و التأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء و المتكلمين هو حرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك. و هذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية و الطلبية . فالتأويل الصحيح منه : الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب و السنة، و ما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد"(10) . فالألفاظ قد تقترن بدلالات توجب فهم معناها الحاصل بالتأويل شريطة أن لا تكون النتيجة المتوصل إليها مخالفة للكتاب و

السنة، أما إذا كان التأويل يؤدي إلى فساد و مخالفة لأصل من أصول الدين فإنه مردود و مرفوض حسب بيجو الذي فهم ذلك من عند العرب القدامى المسلمين .

1- (3) عند الغرب المحدثين :

نقلت " نبهة قارة " عن " هانس غيورغ غادامير " (Hans-Georg Gadamer) (ولد 1900م)

مفهوماً للتأويل مفاده أنه: " ... لا يمثل فعلاً ينضاف بالمناسبة إلى الفهم : الضم هو دائماً تأويل - و تبعاً لذلك - يكون التأويل الشكل العلني للفهم، إذ إنّ اللغة و الجهاز التصوري للتأويل يشكّلان العناصر البنيوية الداخلية للفهم. و هكذا تغادر مسألة اللغة الموقع الهامشي الذي كانت تشغله اتفاقاً لتتحول إلى مركز الفلسفة " (11). فمن وجهة نظر فلسفية لغادامير فإن التأويل عنده هو الضم، و لما نفهم فنحن قد قمنا بعملية التأويل، و تجري هذه العملية على اللغة و بنياتها التي تضم الدلالات و المعاني و الطاقات الإيحائية، فتصير بذلك اللغة في صلب التفكير التأويلي الفلسفي .

ورد في كتاب لـ " أمبيرتو إيكو " (ولد 1932م) أن التأويل : " ... يشكل الكشف عن إستراتيجية الغاية منها إنتاج قارئ نموذجي. يعتبر هو الآخر البديل المثالي للكاتب النموذجي (باعتباره إستراتيجية نصية فحسب) يجعل من مقولة قصدية كاتب فعلي أمراً لا أهمية له " (12) . فالقارئ النموذجي هو الذي يستطيع الكشف عن المعاني الخفية المتعلقة بالبنية النصية أو النتاج الكلامي، فلما يتوفر هذا القارئ النموذجي فإننا نكون في غنى عن قصدية المؤلف، لأننا توصلنا إلى أقصى ما وجود به النتاج النصي من المعاني التي كانت تجول بخاطر الكاتب و هو يكتب نصه .

وحسب إيكو فقد خلف لنا التاريخ تصورين مختلفين عن التأويل: " فتأويل نص ما، حسب التصور الأول، يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، و هو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل. أما التصور الثاني فيرى، على العكس من ذلك أن النصوص

تحتمل كل تأويل "(13) . فحسب إيكو الذي استخلص مفهومين للتأويل استنتجتهما من قراءته لأعمال سابقيه، فالمفهوم الأول يسعى التأويل فيه إلى الكشف عما يريده كاتب النص و إبراز مقصده فيصير التأويل فهما و كشفا موضوعيا لمعاني النصوص، أما المفهوم الثاني فينصب التأويل فيه على الانفتاح و تعددية القراءة التأويلية للنص، أي أن كل قارئ يستنتج مفاهيمه الخاصة به و يبقى التأويل مفتوحا على آفاق واسعة غير محدودة .

(II) حدود و مضامين التأويل عند علماء التراث العربي :

II - (1) أبو حامد الغزالي (450/هـ) :

كان " أبو حامد الغزالي " من العلماء العرب القدامى الذين درسوا التأويل و نظام اشتغاله، فهو يبين المواضع التي قد يكون فيها التأويل كائنا، أو قد لا يكون، قال : " ... و يبقى لا محالة عليه موضعان : موضع يضطر فيه إلى تأويلات بعيدة تكاد تنبو الأفهام عنها، و موضع آخر لا يتبين له فيه وجه التأويل أصلا، فيكون ذلك مشكلا عليه من جنس الحروف المذكورة في أول السور، إذا لم يصح فيها معنى النقل و من ظنّ أنّه سلم عن هذين الأمرين فهو إمّا لقصوره في المعقول، و تباعده عن معرفة المحالات النظرية، فيرى ما لا يعرف استحالاته ممكنا . "(14) فالغزالي يرى في التأويل ضرورة ملحة يدعمها القرآن و الدين الإسلامي، و لكنه يحدد مواضعه، و يرى بأنه ليس كل شيء ينبغي أن يكون فيه تأويل مثل الحروف التي تبتدأ بها سور القرآن الكريم التي لا يعلمها إلا الله، كما أنه يعيب على من يرى أن التأويل غير مطلوب أو غير موجود، و يرى في ذلك قصراً في النظر و سوء فهم، فالغزالي كان من رواد التأويل الذي أبدع فيه و طوّره و فرضه في قضايا علم الكلام و التفسير و تداول مواضعه .

كان التأويل ضرورة أملتها ظروف الحياة و تعارض النصوص، و لكن هذا التأويل الذي مصدره العقل لا يتعارض مع عقيدة المسلمين، فحسب الغزالي فإنه: " ... لا يكذب برهان العقل أصلاً، فإن العقل لا يكذب، و لو كذب العقل فلعله كذب في إثبات الشرع، إذ به عرفنا الشرع، فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكي الكاذب. و الشرع شاهد بالتفاصيل، و العقل مزكي الشرع "(15)

. فحسب الغزالي فالعقل يقبل الشرع ولا يتعارض معه، و لكن الشرع هو الذي ينظم العقل ويوجهه إلى ما فيه الخير له، بما في ذلك التأويل الذي هو عملية عقلية محضة، بحضور الأدلة والقياس عليها واستنباط واستنتاج الأحكام والدلائل التي توافق أصول الدين وضوابطه .

و حسب " مجدي عز الدين حسن " فالحضارة العربية بميراثها الشاسع هي حضارة التأويل، قال: " إن النظرة المتأمللة الفاحصة و الدراسة للتراث العربي الإسلامي سواء أكان ذلك على مستوى دوائره العلمية و حقوله المعرفية المختلفة: علم الكلام، الفقه و أصوله، علم التفسير، علم الحديث، الفلسفة الإسلامية، التصوف، اللغة ... الخ، أم على مستوى الفرق الإسلامية المختلفة، يخرج بنتيجة مفادها أن النظرية التأويلية الإسلامية قد تعددت، و اتخذت صوراً مختلفة بتعدد الحقول المعرفية التي اشتغلت على النص و باختلاف الفرق الإسلامية نفسها ... " (16). فالتأويل سري عبر مختلف الحقول المعرفية العربية القديمة و ذلك بسبب الاجتهاد الذي كان يقوم به العلماء و يستنبطون الأحكام بأدلة مختلفة، ينتج عنها خلاف بينهم فتظهر بذلك توجهات دينية مختلفة، أشاعرة و معتزلة و مالكية و حنابلة و غيرها. و الاختلاف رحمة بين المسلمين و لذلك خلقهم جل و على، فكان بذلك تطور ظواهر التأويل و العمل به فأسسوا بذلك لدرس في التأويل تشهد له البشرية بالتطور و النماء و القدرة على معالجة الكثير من الأمور التي كان يجهلها الإنسان .

ساهمت عوامل ثقافية و تاريخية عديدة في تطور حقل التأويل و التفنن فيه و يرجع حسب " عز الدين حسن " : " ... اتساع ميدان التأويل و تعدد مناحيه... خاصة بعد أن اندلعت شرارة الفتنة الكبرى، و اتسعت الفتوحات، و انفتح المسلمون على غيرهم من الشعوب و الثقافات و الأديان، و جرت المناظرات حيث أستخدم التأويل، و خاصة في علم الكلام كأداة للدفاع عن سلامة العقيدة في المواجهة الفكرية لأعداء الإسلام. و كان أن اكتملت ظاهرة التأويل و أصبح مصطلحاً يعمل على صرف المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى محتمل يعضده دليل " (17) . فالتراث اليوناني ترجم للعربية و سري عبر علومها بما في ذلك

التأويل وآلياته التي تأثر بها العلماء العرب، كقدم العالم، وصفات المطلق (الله) وغيرها من المواضيع التي سببت فتنة و صراع كبيرين، فقيض الله لهذا علماء أجلاء كالغزالي مثلاً، ليدحضوا الشبهات عن الدين الإسلامي ببراعة التأويل و قوة الدليل، و كان هناك من هم دُخلوا على بيئة الإسلام أرادوا بتأويلاتهم الباطلة أن يزعموا صفوف المسلمين فظهرت طوائف ضالة مضللة، فكان هناك إيجابيات بقدر ما كان هناك سلبيات أن تطور التأويل و الأخذ به و معرفة وجوهه .

فالغزالي كان يرى في التأويل وسيلة لها دورها في بعض المواضع التي يستعصي المعنى الحرفي عن معالجتها، و قد شرط : " ... إياه بضرورة قيام البرهان على استحالة الظاهر في الدلالة و الإشارة إلى معنى النص و حقيقته. حيث إن حدود التأويل و مواضعه عند الغزالي تتحدد بالبت و القطع بين الدلالات المختلفة التي يمكن أن يحتملها النص بعد الإتيان بدليل على استحالة التمسك بالمعنى الحرفي المباشر الذي يشير إليه ظاهر النص، على ذلك، فإن وظيفة التأويل عند الغزالي مرتبطة بالتوصل إلى المعنى الباطني للنص الذي عجز ظاهره عن الإشارة و الدلالة عليه، و في رفع التناقض الظاهر بين الدلالات المتعارضة داخل متن النص "(18). و لا يتأتى الفهم الباطني للنصوص إلا للعلماء الراسخين في العلم و الممتلكين لزمام التأويل، فهناك من النصوص النقلية التي لا تقدم معانيها مباشرة للمتلقي إلا إذا أُعمل العقل عليها، شريطة وجود دليل قوي يعضد هذا التأويل و يدعمه، و لذلك فقد أُمط الاستنباط الكثير من الشبهات التي كانت تحوم حول النصوص الدينية، و فهم مقاصدها .

II (2- ابن رشد (520هـ/595هـ) :

و تحت عنوان " التأويل " في كتاب ابن رشد، الذي يقول: " و معنى التأويل: هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يُخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوُّز، من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عُدَّت في تعريف أصناف الكلام المجازي "(19). فقد فسّر ابن رشد التأويل من الناحية اللغوية البلاغية، بحيث أن

اللغة العربية تمنح مجالاً واسعاً للتعبير و تعدد المعاني، ما يؤدي إلى ظهور التأويل على الألفاظ و العبارات التي تكتنز أكثر من معنى، أما إذا كان ذلك خارجاً عن طاقة اللغة التعبيرية فإنه في هذه الحالة سيعتبر زيفاً وبطلاناً .
كان التأويل ضرورة ملحة عمل بها المسلمون قديماً لحاجتهم في فهم بعض النصوص، قال ابن رشد :

" إنه ما من منطوق به في الشرع، مخالف لظاهره، لما أدّى إليه البرهان، إلا إذا اعتبر و تُصَفِّحت سائر أجزائه، وُجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يقارب أن يشهد، و لهذا المعنى أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، و لا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل، و اختلفوا في المأوّل منها من غير المأوّل ... " (20) . فالإجماع الإسلامي هو الذي يقر التأويل و العمل به باجتهادات علماء على نصوص بعينها لا يراد بها معناها الحرفي، و إنما يراد بها المعاني الخفية التي تأتي وراء البنية النصية، و لو كانت كل نصوص الشريعة تحتل التأويل لفسد هذا الدين، و لفقد جوهره المتين. قال ابن رشد : " و السبب في ورود الشرع فيه الظاهر و الباطن هو اختلاف نظر الناس، و تباين قرائحهم في التصديق، و السبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه، هو تنبيه الرّاسخين في العلم على التأويل الجامع بينها ... " (21). فلاجتهاد العالم و نظرتة العميقة في النصوص دور في إبراز البنيات الخفية و الإشارات الموحية، فهناك تأويلات اختص بها علماء و اختلف حولها علماء آخر، كلّ و حجته و نظرتة و أدلته .

كما أن التأويل سببه وجود ظاهر و باطن، محسوس و مجرد، متجلي و خفي، حسب ابن رشد الذي قال : " و إذ تقرر هذا، فقد ظهر لك من قولنا أن هاهنا ظاهر من الشرع ، و الوجود الحسي هو : ما يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين. و الوجود الخيالي هو : صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسّك، فاخترعت صورة لها. و الوجود العقلي هو : أن يكون للشيء روح، و حقيقة، و معنى، فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حسّ أو خارج، و الوجود الشبهي هو : ألا يكون نفس الشيء موجوداً، لا بصورته

و لا بحقيقته، لا في الخارج و لا في الحس و لا في الخيال و لا في العقل، و لكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه و صفة من صفاته "(22) .
فعالم التأويل حسب ابن رشد، هو عالمٌ مغرقٌ في التجريد و التعقيد و العمق، لا يتراعى بسهولة و يسر لكل الناس، و إنما يختص به ذووا الفكر الثاقب و الخيال الخصب، لأن النصوص لا تكتفي بظواهرها فقط، و إنما تصير وسيطاً عن طريق القياس و الاستنباط إلى معانٍ إضافية فيها الخير الكثير لمن يعمل بها و يطبقها في أمور دنياه و معاده .

II (3- ابن تيمية (661هـ/728هـ) :

لـ " ابن تيمية " كتاب قيّم سمّاه " الإكليل في المتشابه و التأويل "، حيث ينبهنا ابن تيمية أن التشابه في الآيات يؤدي بنا إلى التأويل و تعدد المعاني، قال : " و تارة يكون الأحكام في التأويل، و المعنى و هو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى تشبهه بغيرها، و في مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا، و تشبه هذا، فتكون محتملة للمعنيين، و لم يقل في المتشابه يعلم تفسيره و معناه إلاّ الله، و إنما قال: { و ما يعلم تأويله إلاّ الله }، و هذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع، فإن الله أخبر أن لا يعلم تأويله إلاّ هو "(23) . فابن تيمية يرى في التأويل كضرورة لفهم معاني القرآن، و لفهم الآيات المتشابهات و استنباط الأحكام منها، و هذا ما أدى لاختلاف الفهم بين العلماء، إذ لكل واحد منهم أدلته و حججه في الأخذ بالمعاني .

يعطي ابن تيمية تفسيراً لظاهرة التأويل، مغرقاً في التجريد و التصوير، فيقول : " (و نكتة ذلك) أن الخبر لمعناه صورة علمية وجودها في نفس العالم، كذهن الإنسان مثلاً، و لذلك المعنى حقيقة ثابتة في الخارج عن العلم، و اللفظ إنما يدل ابتداءً على المعنى الذهني، ثم تتوسط ذلك أو تدل على الحقيقة الخارجية، فالتأويل هو الحقيقة الخارجة. و أما معرفة تفسيره فهو معرفة الصورة العلمية... "(24) . أي أن التأويل يتم بوساطة بين الخبر الأولي الذي يحيل بدوره، على حقيقة خارجة عليه يعضدها دليل، فالعملية الاستدلالية في التأويل تمر عبر أنشطة و مراحل حتى يتم اكتناه المعنى النهائي المقصود .

يقدم ابن تيمية تحديدات هامة للتأويل و نظام اشتغاله فيقول : " فإن (التأويل) في عرف المتأخرين من المتفقهة و المتكلمة و المحدثّة و المتصوفة و نحوهم هو : صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى معنى المرجوح لدليل يقترب به . و هذا التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه و مسائل الخلاف، فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا، قال الآخر: هذا نوع تأويل و التأويل يحتاج إلى دليل، و المتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادّعاه، و بيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر ... " (25) . نلاحظ من هذا الطرح لابن تيمية أن التأويل له آلية اشتغالية عبر علوم عدّة، الفقه، و علم الكلام، و التصوف، هي نفسها و لا تتغير، و إنما يتغير الحقل الذي يحدث فيه هذا التأويل، و المهم في ذلك أن يكون هناك دليل قوي يتم البناء و القياس عليه لاستخراج المعاني الأخر التي تُبنى على الفهم الأولي المباشر .

للتأويل حسب ابن تيمية حالتين أو مفهومين، قال : " و أما (التأويل) في لفظ السلف فله معنيان

(أحدهما) تفسير الكلام و بيان معناه، سواء وافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل ... و (المعنى الثاني)

في لفظ السلف، و هو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، و إن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به ... " (26) . ففي الحالة الأولى يقوم العالم بتأويله بحيث يمكن أن يتفق التأويل مع المعنى المباشر للألفاظ، كما يمكن أن تكون النتيجة مخالفة تماماً للألفاظ في صيغتها المباشرة، أما في الحالة الثانية، فإن التأويل المحصل ينبغي أن يوافق الألفاظ و يتماشى معها من حيث الأسلوب الطلبي أو الإخباري .

II - (4) أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) :

لـ " أبو البقاء الكفوي " آراءً حول التأويل في معجمه (الكلّيات) قال : " التأويل: بيان أحد احتمالات اللفظ، والتفسير: بيان مراد المتكلم، و لذلك قيل: التأويل ما يتعلق بالدراية، و التفسير ما يتعلق بالرواية و في (الراغب) : التفسير أعم من التأويل، و أكثر استعمال التفسير في الألفاظ و مفرداتها، و أكثر استعمال التأويل في المعاني و الجمل، و أكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، و التفسير يستعمل فيها و في غيرها " (27) . فحسب الكفوي فالتأويل مرتبط بالألفاظ تتضمن احتمالات معنوية مختلفة و التفسير مصاحب لمصطلح التأويل، فلما نشرح الروايات و نبين حدودها فنحن نفسر، أما إذا تعلق الأمر بالاستنباط و الإحاطة الواسعة فنحن نأول، و ندري ما لا يعلمه غيرنا، فالتفسير حسب الكفوي أكثر اتساعاً من التأويل، و لا يتأتى هذا الأخير إلا باستنباط الجمل ضمن كليتها و زيادتها في المعنى، و قد كان التأويل عند العرب مرتبطاً بالذات الإلهية و كشف صفات الخالق جل و على و دحض الشبهات التي يمكن أن تحوم حوله، و يمكن أن يصاحب التفسير التأويل .

كان التأويل يختص بالعلماء و فهمهم العميق للنصوص، قال الكفوي : " وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، و مع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها، و بين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان، و محض العرفان " (28) .

فالعلماء لهم فضل كبير بعلمهم الذي لا يظنون به على الخلق، بأن يعملوا ألبابهم و قرائحهم ليخرجوا لنا المعاني من النصوص التي يراها القارئ السطحي من أنها لا تتضمن إلا معناها المباشر، فالتنص يحوي عبارات، و العبارات تتضمن إشارات، و لا يمكن رصدها إلا بالإطلاع الواسع و امتلاك زمام التأويل .

و التأويل مرتبط بالظواهر الخاضعة للخلاف، أو التأويل مرتبط بالأوضاع اللغوية، و في هذا يقول الكفوي: " و تأويل الظواهر أولى من مخالفة الأوضاع اللغوية لوجهين :

الأول: أن تأويل الظواهر متفق عليه بخلاف مخالفة الأوضاع، و مخالفة ما اتفق على جواز مخالفته أولى من مخالفة ما لم يتفق على مخالفته .
 والثاني : أن مخالفة الظواهر في الشرع أكثر من مخالفة الأوضاع اللغوية عند القائلين بمخالفة الأوضاع، و إن أكثر الظواهر مخالفة، و أكثر الأوضاع مقررّة، و ذلك يدل على أن المحذور في مخالفة الأوضاع أعظم منه في مخالفة الظواهر، فكان مخالفة الظواهر أولى " (29) . فالكفوي يرجح الخلاف حول تأويل الظواهر المتفق عليها، و يرى في أن الأوضاع اللغوية مقررّة و لا يجوز تأويلها أو المساس بها، فهو بذلك يضع للتأويل حدوداً و مضامين يلتزم بها المأول حتى لا يقع في المحظور و لا يفقد الدين تماسكه .

(III) حدود ومضامين التأويل عند فلاسفة الغرب المحدثين :

III (1- ديلثي فلهلم (Dilthey Wilhelm) (1833م/1911م) :

يعتبر فلهلم من الفلاسفة البارزين في الفترة الحديثة ضمن مجال التأويل، حيث يعتبر " ... تلميذ شلايرماخر، من المنتمين إلى مجال الهرمينوطيقا استناداً إلى تصوره لـ (الفهم) الذي يمثل مقولة مركزية توجّه كل مؤلفه، و بالفعل قد كان ديلثي بعد شلايرماخر، من السابقين إلى حيث تحقيق التقاء التأويل الفيلولوجي بالفهم المقابل للتفسير ... " (30). لقد نما التأويل في العصر الحديث في أكناف الفلسفة، حيث كان الفهم هو التأويل ذاته للنصوص، كما أن التأويل كان مصاحباً في ذلك للتفسير و المعطى التاريخي .

أخذ ديلثي في تعميم مفهوم التأويل على مختلف العلوم الإنسانية، كما أعطى مفهوماً جديداً له، ف " موقف ديلثي يخضع لتأثير عملية تنظير العلوم الإنسانية و الاجتماعية. فبعد أوغست كونت الذي نقد ديلثي مذهبه الوضعي، يحتل هذا الأخير المرتبة الأولى في مجال ابستمولوجيا العلوم الإنسانية و الاجتماعية، و هو الذي قام بتعميم مفهوم الهرمينوطيقا على كامل العلوم الإنسانية (أو العلوم الروحية) التي تتعلق بمقولة الفهم بدلاً من التفسير. إلا أن هذا التعارض المبدئي الذي أقامه ديلثي من الفهم و التفسير لم يمنعه من

الإقرار بأن الفهم الموافق للتأويل يمثل على نحو ما تفسيراً " (31) . ففي البيئة الفلسفية في القرن التاسع عشر كان هناك خلاف دائر حول جدوى التأويل عبر مختلف العلوم الإنسانية فأراد ديلثي إدخاله إلى مختلف العلوم و ذلك لدوره الفاعل في تحقيق الفهم، و الذي كان يراه مخالفاً للتفسير، إلا أنه لا يخالفه دائماً، لأنه قد يتفق معه إذا كان الفهم موافقاً للتأويل .

كان المعطى السيميائي (Sémiotique) أو العلاماتي حاضراً في توصيف ديلثي للتأويل الذي هو : " ... النهج الأساسي لكل العلوم التي تدعي بالروحانية، أي مجموع الدراسات التي يمثل موضوعها في حقيقة التاريخ و المجتمع. و هذه العلوم تتضمن معرفة بالعلامات، بحياة العلامات داخل المجتمع، أي سيميولوجيا يمكننا انطلاقاً منها أن نرتقي إلى المعنى. إلا أن العلامات نفسها تؤدي إلى تأويلات مختلفة و بالتالي، فإن مسألة المعرفة الموضوعية ذات القيمة العامة تكمن في معالجة المعطى الحسي الأصلي" (32). فالناظر في قضايا العلوم الإنسانية تبدو له القضايا كعلامات لغوية أو غير لغوية، أي نشاطاً سيميائياً، يكون فيها المعنى الأول يحيل إلى معاني و مدلولات أخرى، هذا النشاط الدلالي تمليه المواضع الاجتماعية المختلفة، و لكن نشاط اشتغال هذه العلامات يتسم بالاختلاف، نظراً للنشاط الدلالي التي يتمظهر وفق مستويات مختلفة، و هذا ما ندعوه التأويل السيميائي للظواهر .

و حسب ديلثي فإن المؤول يتجاوز في الفهم مثلما فهم المؤلف ذاته، لأن هذا الأخير يجهلها، " فإذا تناولنا على سبيل المثال تأويل الشعراء و استكشاف فكرة قصيدة شعرية استناداً إلى القاعدة التي تدعو إلى فهم مؤلفها أكثر مما قد فهم هو ذاته، فإنه سنلاحظ أن هذه الفكرة لا توجد في شكل تفكير مجرد بل ككل لا شعوري يؤثر على تنظيم المؤلف و ينكشف عبر مظهره الباطني. و الشاعر لا يحتاج إلى أن يكون واعياً بذلك، و لن يكون كذلك بالتمام أبداً. فالشارح هو الذي يستخلص الفكرة، و لربما يمثل ذلك انتصار الهرمينوطيقا " (33) . فحسب ديلثي فإن التأويل لا يشترط فيه فهم قصدية المؤلف، بل قد يتجاوز التأويل و استخلاص المعاني أكثر مما أراده صاحب النص، و بالتالي فإن هذا

كما رأينا يختلف عن طريقة العرب في التأويل، لأنهم يكتفون بما يقصده النص، خاصة إذا كان هذا النتاج قرأناً عظيماً، أي أن المؤلف يموت في نظر ديلشي، والتأويل يتسم بالانفتاح والتعدد وعدم التقييد .

III (2- هانس غيورغ غادامير (Hans-Georg Gadamer) (1900م/2002م) :

للفيلسوف " غادامير " مجهوداته المعروفة في التأويل، حيث حدد البحث التأويلي بأنه: " ... الكشف عن معجزة الفهم، و ليس الكشف عن التواصل العجيب بين الذوات. الفهم هو المشاركة في القصد الجمعي . من جهة أخرى، تتطلب الوجهة الموضوعية لحلقة التأويل أن توصف بنمط آخر غير الوصف الذي قدمه شلايماخر، لأن ما نحن عليه من اشتراك مع التراث الذي ننتمي إليه الذي يحدد أفكارنا المتخيلة و يقود فهمنا " (34) . فتحديد غادامير للتأويل ينضوي تحت مقولة الفهم و ليس التواصل هو المقصود من التأويل، ففي عملية الفهم مشاركة لتراث الجماعة و مخلفاتهم التاريخية و الثقافية، لأننا عن طريق هذا التراث و ربطه بالنص المؤول، ينكشف الفهم و تتجلى المعاني حسبما يرى غادامير .

ربط غادامير التأويل بمفهوم الجزئية التي تحيل إلى الكل، فقال: " إن القاعدة التأويلية التي تعتبر أن الكل ينبغي أن يفهم انطلاقاً من الجزء، و الجزء انطلاقاً من الكل هي وليدة الخطابة القديمة . فقد عمل فن التأويل في العصور الحديثة على نقلها من فن الخطابة إلى فن الفهم. في كلتا الحالتين يتعلق الأمر بعلاقة دورية الاستحضار المسبق للمعنى - الذي بفضل يدرك الكل - لا يثير فهماً واضحاً إلا إذا حددت الأجزاء - المحددة تبعاً للكل - بدورها هذا الكل " (35). فالأول حسب غادامير يتعامل مع بنية نصية مكونة من مجموعة من الأجزاء، يبدأ من مقاطعها المجزئة ليستجلي دلالات تسند إلى جانب بعضها البعض، حتى نصل إلى المدلولات العامة النهائية التي تعتبر المستوى العالي من التأويل النصي فتقسيم الكل إلى أجزاء يسهل من مهمة الفهم، ليتم أخيراً ضم الأجزاء لبعضها البعض و تحصيل الفهم الشامل للبنيات النصية .

يوسع غادامير من المجالات التي يمتد إليها التأويل، فيقول : " التأويل كما نفهمه اليوم ينطبق ليس فقط على النصوص أو التراث الشفهي، وإنما أيضاً على كل ما وصل إلينا عبر التاريخ: لنتكلم مثلاً عن تأويل حدث تاريخي أو أيضاً عن تأويل العبارات الروحانية، عبارات الهيئة، تأويل سلوك معين... الخ، ما نريد قوله هنا هو أن المعطى الذي يعرض نفسه لتأويلنا لا ينكشف دون وساطة، وأنه من الضروري أن نرى وراء المعنى المباشر لنكتشف الدلالة الفعلية المتوارية" (36). فالتأويل كثيراً ما ارتبط عند العرب بالنقل، و لكن حسب غادامير فإن التأويل لا يكفي بالاشتغال على النقل و البعد النصي، بل كل ظاهرة أياً كانت لغوية أم غير لغوية يمكن أن نسقط عليها التأويل والفهم و و التفسير، كالأحداث التاريخية و السلوكات الاجتماعية، و لكن كذلك الوساطة ضرورية في التأويل، أي الدليل و الحجة، لأنه به يكشف المعنى الخفي، المتواري، والمخبوء .

كانت اللغة تلعب دوراً مركزياً في التأويل لدى غادامير، و لكن الظاهرة التأويلية تتعدى اللغة و إمكاناتها ، " فقد وجد غادامير نفسه، بقوة - عبر تحليله للظاهرة الهيرمينوطيقية - بوصفها اتحاداً بين الفهم و التأويل في مواجهة الوظيفة الكلية للعنصر اللغوي. ففي تمظهرها اللغوي، تمتلك الظاهرة الهيرمينوطيقية مدلولاً كلياً على الإطلاق . شأنها في ذلك شأن اللغة التي تعتبر مكاناً للتوسط المطلق و الكلي لكل تجربة إنسانية في العالم و المجسدة في المعاصرة التي تتجدد باستمرار ... إنه الأفق الذي يفترض وعياً من طبيعة تاريخية، بدوره نحو اللغة يتجاوز وعي اللسانيات الحديثة و وعي فلاسفة اللغة" (37) . فكل ظاهرة أياً كانت لابد أن تمر عبر اللغة كي يتم تشخيصها و تأويلها و فهمها، لأن اللغة هي الأساس حسب تعبير " رولان بارت " (Roland Barthes) الذي يرى في اللسانيات علماً أشمل من السيميائيات، و لكن التأويل يرتبط بفضاء و وعي أكبر من الفضاء و الوعي التي تراه اللسانيات و فلسفة اللغة، خاصة التاريخ و السياق الثقافي و التراث الذين هم ليسوا من طبيعة لغوية .

III - 3) بول ريكور (Paul Ricoeur) (1913م/2005م) :

يعتبر " بول ريكور " من أعلام الفلاسفة الغربيين المحدثين في التأويل، حيث : " ... بدأ ريكور يطور مشروعه التأويلي الخاص الذي يستثمر الاتجاهات الحديثة جميعاً: البنيوية، والوجودية، والتأويلية والماركسية، ونظرية الثقافة، والتفكيك، والتحليل اللغوي، ونظريات اللغة، وأنثروبولوجيا الدين ... الخ. و توصل من خلال ذلك كله إلى بناء نسق فلسفي فريد من نوعه يستفيد من جميع هذه الاتجاهات و ينتقدها في آن واحد، ليطور مشروعاً فلسفياً اعتبره البعض أهم محاولة في القرن العشرين " (38) . فريكور لم يكن يتبنى منهجاً فلسفياً خاصاً في تناوله للتأويل و مضامينه فقد كان منفتحاً على كل التوجهات، و من هذا المنطلق فقد جاء بمقاربة تأويلية خصبة تستنطق النص بكل ما يحمله من قيم متنوعة و متشابكة ليفضي إلى كل مخبوءاته و دلالاته بقوة المنهج التحليلي التأويلي، و قد كان ريكور يستبعد كل ما يحد من القدرة التأويلية بنقده الموضوعي البناء .

لقد أراد ريكور أن يطرح مشروعاً في التأويل، أراد به : " ... أن يحتفظ بالتأويلية و يحافظ على بعديها معاً، على البعد الذاتي من حيث الوظيفة الإسنادية، و على البعد الموضوعي في وظيفة الهوية. و في رأيه أن ذلك لا يتحقق إلا من خلال فلسفة في الخطاب تحرر التأويلية من أهوائها النفسانية و الوجودية" (39). فريكور أراد بهذا أن يخرج التأويل من النقاشات الفلسفية إلى الدراسة العلمية الخطابية التي تدرس الخطاب كبنية متماسكة، و موجهة لخدمة أغراض معنوية قصدية و تواصلية .

يعطي ريكور مفهوماً جديداً للتأويل جاء به بعدما تقدّم في أبحاثه و دراساته، قال: " نريد التشديد على سمة التأويل الحالية: أن القراءة تشبه القيام بتوليفة موسيقية، فهي تحدد إنجاز، أو بداية فعل إمكانات النص الدلالية، و تعتبر هذه السمة الأخيرة الأهم لأنها شرط السمتين السابقتين: الانتصار على المسافة الثقافية، اتحاد تأويل النص مع تأويل الذات، و سمة الإنجاز هذه، الخاصة بالتأويل تكشف في الواقع عن الطابع الحاسم في القراءة بأنها تتمم

خطاب النص في بعدٍ شبيه ببعده الكلام، ما احتفظ به هنا من مفهوم الكلام، ليس كونه نطق به، إنما كونه حدثاً، حدث الخطاب ... "(40) . فصاحب النص وهو ينشئه، فهو حقيقة يقوم بإنجاز أو فعل على حد تعبير التداولية الحديثة من أن الكلام ينجرّ أو ينتج عنه أفعال، تسمى الأفعال الكلامية، فيصير التأويل يحتكم إلى مراد المتكلم وأفعاله الإنجازية، فلكي نفهم نصاً نقوم بتحليل مقاصد الأحداث والأفعال التي يتضمنها، فنحصل التأويل المرافق، ولا يخفى علينا أن هذه الأفعال مرتبطة بثقافة المتكلم أو النَّاص .

ركّز ريكور على مفهوم الكتابة، وما يلفت فيه هو أنّه يقول عن النص بأنّه يمكن أن يتجاوز تأويله أكثر مما قصده المؤلف، نقل " حسان راشدي " قولاً لريكور بكتابه: (Herméneutique Philosophique) قال فيه : " إن قدرة الخطاب على الإحالة إلى الذات المتكلمة في الخطاب المنطوق سمةً بديهية لأن المتكلم ينتمي إلى سياق الخطاب المتبادل [...] لكن قصد المؤلف ومعنى النص يكفان عن التطابق والتمازج في الخطاب المكتوب [...] وهكذا تفلت وظيفة النص من الأفق المحدود الذي يعيشه المؤلف، ويصبح النص يعني [بفعل القراءة] أكثر مما كان يعنيه المؤلف حين كتبه "(41).

فالماوّل للنص حسب ريكور يمكن له أن يتجاوز أكثر مما قصده المؤلف، لأن الموسوعة الثقافية للقارئ قد تكون أكثر اتساعاً وخصوبةً من الموسوعة الثقافية للمؤلف، ما يؤدّي إلى تعدد الإحالات والدلالات والفهم النصي .

III (4- أمبيرتو إيكو (Umberto Eco) (ولد 1932م) :

كان " أمبيرتو إيكو " من الباحثين (فلاسفة اللغة) البارزين في ميدان التأويل في العصر الحديث حيث اتجه: " ... في السنوات الأخيرة نحو إعادة صياغة مجموعة من الإشكالات الخاصة بقضايا تأويل النص الأدبي. وقدم في هذا الشأن مجموعة من الدراسات المتميزة، كان آخرها كتابه (التأويل والتأويل المضاعف) (1996م) دعامته في ذلك وزاده المعرفة الجديدة التي جاءت بها السيميائيات وأشاعتها من خلال نماذجها الراقية "(42). فايكو نموذج حديث بارز في ميدان التأويل، الذي ساعده في ذلك هو إحاطته ونظرته البصيرة والملمة

بالدراسات الحديثة، خاصة علوم اللسان و السيميائيات التي تبصر الدارس بالدلالات الخفية للنص، و بما تمنحه من آليات لاستنطاق و تجلية معانيه الإضافية الخصبة .

كان إيكو مشبعاً بالآراء التي قدّمها القدماء حول التأويل، قال " سعيد بنكراد " : " ينطلق إيكو في معالجته لقضايا التأويل، من تصور بالغ الأصالة و العمق. تصور يرى في التأويل و أشكاله صياغات جديدة لقضايا فلسفية و معرفية موعلة في القدم. فمجمال التصورات التأويلية التي عرفها قرننا هذا لا تفسر إلا بموقعها من الحقيقة كما تصورها الإنسان و عاشها و صاغ حدودها أحياناً على شكل قواعد منطقية صارمة ... " (43) . فالماول ضروري أن يتشبع بكل الثقافات التي طبعت المنهج التأويلي، و هذا ما وعاه إيكو أن أقام بناءه و تفكيره على قاعدة معرفية متينة يستطيع استخلاص الفائدة مما درسه الأقدمون و يضيف عليه لمسته و نظرتة التحديثية له .

يرى إيكو أن التأويل لا يتسم بالمحدودية، و التقييد، حيث قال: " ... التأويل غير محدود. إن محاولة الوصول إلى دلالة نهائية و منيعة سيؤدي إلى فتح متاهات و انزلاقات دلالية لا حصر لها. فالنبذة لا تتحدد انطلاقاً من خصائصها المورفولوجية و الوظيفية، بل تتحدد انطلاقاً من تشابهها مع عنصر آخر داخل الكوسموس، حتى و لو كان هذا التشابه تشابهاً جزئياً ... " (44). فانفتاح النص على الكون و العالم الخارجي حسب إيكو هو ما يمنح النص انفتاحاً و تأويلاً لا محدوداً، لأن التشابه بين النص و العالم الخارجي هو ما يمنح المدلولات تكاثراً و تجدداً و قراءات متعددة غير محصورة للنص .

كان إيكو يقر بانفتاح النص و تأويلاته اللامتناهية، لكنه حاول أن يضع حدوداً للتأويل، قال " عبد الغني بارة " : " إن الحديث عن حدود التأويل (Les limites de l'interprétation) في مقابل دعاوى الانفتاح اللامحدود، أو ما يعرف بالتأويل المضاعف أو المضطرب (Surinterprétation)، يجعلنا نحيل دون تردد، على النّاقّد الإيطالي إمبرتو إيكو (Umberto Eco) بوصفه من الباحثين الذين أولوا أهمية للممارسة التأويلية ضمن مشروعه السيميائي. و هو

كغيره من أعلام التأويل يبحث عن إيجاد إجراءات تعصم المؤول و العملية التأويلية من الإفراط الذي يجعل النص مسرحاً لمختلف صنوف التجارب، و هو الأمر الذي دفعه إلى وضع مقاييس موضوعية تمكن الباحث من تمييز التأويلات المناسبة من غير المناسبة أو الخاطئة (*Mésinterprétation*) " (45) . فتأويلات النص حسب إيكو كثيرة و غير منتهية، و منفتحة بانفتاح الموسوعة الثقافية للمقارئ النموذجي، لكن التأويل الناتج قد يكون خاطئاً أو قد يكون صائباً، حيث عمد إيكو إلى وضع آليات تسمح بتمييز التأويلات الصحيحة .

لا يوجد تأويل نهائي للنص حسب إيكو، حيث " ... يكون المؤول مجرد قارئ سلبي، فيثار من خلال أنساق النص فيستجيب، و هذا لأن النص في عرف البنيوية مغلق على نفسه، لا يحيل إلا على نظامه الداخلي الذي ينتج الدلالة فيه، و يفرز أنماطه، و ليس من حق القارئ أن يضيف أي شيء من عندياته و هذا نوع من التأويل يمكن تسميته بالتأويل المغلق (*Close interpretation*)، و هو ما لا يروق لإيكو " (46) . فإيكو قد تجاوز المفهوم البنيوي للنص، إلى المقاربات التأويلية التواصلية التي تقر بانفتاح الخطاب و النص على السياق التاريخي و الثقافي له، فكل قراءة للنص تكون عبارة عن استثارة فقط، و ليس تأويلاً نهائياً، فما دامت الموسوعة متسمة بالانفتاح، فكذلك النص هو من خصائص هذه الموسوعة المفتوحة و المتجددة من حيث النشاط المعنوي و المفهومي .

و بعد هذا العرض لمفهوم و حدود و مضامين التأويل في الدراسات القديمة اليونانية و العربية، و كذا الدراسات الفلسفية الغربية الحديثة، نخلص إلى أن التأويل مفهوم قديم و حديث. قديم في وجوده بدءاً من اليونان الذين درسوه و فهموه و وظّفوه في أبحاثهم، ثم كان للعرب باع فيه أن احتاجوه في أمور معاشهم و معادهم، ثم بان لنا أن التأويل لا يزال يفرض نفسه بقوة في الدراسات الفلسفية و اللغوية و الأدبية الحديثة عند الغرب و العرب على حد سواء. و يمكن أن نخرج من بحثنا هذا بمجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي :

❖ ارتبط التأويل بالفلسفة عند اليونان القدامى، و قد قدّموا فيه دراسات و كتباً، كدراسات أرسطو و أفلاطون و غيرهم .

❖ عرف العرب القدامى التأويل، خاصة عند ورود آيات من القرآن الكريم تحت على التعقل و التبصر و فهم معاني و مرامي الآيات، فظهرت فرق كلامية عديدة، كل واحدة منها ترى تأويلاتها الخاصة، كصفات الذات الإلهية و قدم العالم و خلق القرآن، و قد ظهر علماء أجلاء أخذوا يذودون عن الدين ببراعتهم في التأويل و رسوخهم في العلم، كابن رشد و الغزالي و ابن تيمية، فكان لتأويلاتهم عظيم الأثر في حماية الدين و الذود عنه .

❖ تأثر العرب بكتب اليونان التأويلية، حيث ترجمت للعربية، و قد أخذوا منها ما يتوافق مع الدين و أصوله، فأضافوا للتأويل و كيفوه حسب حاجاتهم .

❖ كانت الدراسات الفلسفية الحديثة غنية بالتأويل و حدوده و مضامينه، حيث كان يتصف و يتميز بالمذهب الفكري الواقع فيه، كالوجودية و الماركسية و الرومانسية، فكان تطور جذوة الحقل التأويلي و تطور ممارساته، و لكل فيلسوف طريقته في الكشف و الفهم و إبراز المعاني الخفية للنصوص، و قد كان التأويل عندهم لا يقتصر على اللغة فحسب، بل كل الظواهر الإنسانية خاضعة للتأويل .

❖ هناك فرق بين التأويل العربي القديم و التأويل الغربي الحديث، ففي التأويل العربي كان الدليل التأويلي ضروري و بما يحترم الدين الإسلامي و روح القرآن و الحديث النبوي الشريف، لكن هذه الضوابط لا تتوفر في التأويلية في الدرس الغربي الحديث الذي يرى التأويل من كونه غير محدود، و يتسم بالانفتاح و لا يحتكم لأي تقييد .

❖ اتسم التأويل الحديث بالانفتاح على حقول تخصصية عديدة كعلوم اللسان و السيميائيات و الأنثروبولوجيا و العلوم الروحية و الفلسفة و علم الاجتماع و غيرها من العلوم .

~ الهوامش :

- 1 - عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص: 24 .
- 2 - المرجع نفسه، ص: 34، 35 .
- 3 - المرجع نفسه، ص: 44 .
- 4 - ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، دار صادر، بيروت، ص: 32 .
- 5 - المصدر نفسه، ص: 33 .
- 6 - المصدر نفسه، ص: 34 .
- 7 - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، لبنان، 1985م، ص: 52 .
- 8 - أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الاشبيلي، قانون التأويل، تح: محمد السليمان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1، جدة، 1986م، ص: 241 .
- 9 - محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 01، تح: رفيق العجم، علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1996م، ص: 376، 377 .
- 10 - أبو حامد الغزالي، قانون التأويل، تح: محمود بيجو، ط1، 1997م، ص: 07 .
- 11 - نبهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1998م، ص:
- 12 - أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2004م، ص: 80 .
- 13 - المرجع نفسه، ص: 115 .
- 14 - أبو حامد الغزالي، قانون التأويل، ص: 20 .
- 15 - المصدر نفسه، ص: 21 .
- 16 - مجدي عز الدين حسن، " التأويل عند الإمام الغزالي "، مجلة دراسات إسلامية، العدد: 04، 2012م، جامعة الخرطوم، السودان، ص: 09 .
- 17 - المرجع نفسه، ص: 17 .
- 18 - المرجع نفسه، ص: 36، 37 .
- 19 - أبو الوليد بن رشد، فصل المقال، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح: محمد عمارة، دار المعارف، ط3، القاهرة، ص: 32 .
- 20 - المصدر نفسه، ص: 33 .
- 21 - المصدر نفسه، ص: 33، 34 .
- 22 - المصدر نفسه، ص: 47 .
- 23 - تقي الدين أحمد بن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، تح: محمد الشيمي شحاتة، دار الإيمان، الإسكندرية، ص: 12 .

- 24 - المصدر نفسه، ص: 21 .
- 25 - المصدر نفسه، ص: 27، 28 .
- 26 - المصدر نفسه، ص: 28 .
- 27 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1998م، ص: 261 .
- 28 - المصدر نفسه، ص: 261 .
- 29 - المصدر نفسه، ص: 262 .
- 30 - نبیة قارة، الفلسفة والتأويل، ص: 50 .
- 31 - المرجع نفسه، ص: 50 .
- 32 - المرجع نفسه، ص: 51 .
- 33 - المرجع نفسه، ص: 53 .
- 34 - هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، 2006م، ص: 42 .
- 35 - المرجع نفسه، ص: 119 .
- 36 - المرجع نفسه، ص: 150 .
- 37 - سيدي عمر عبود، " مفهوم التأويل لدى كادامير "، مجلة علامات، العدد: 14، 2000م. الموقع الإلكتروني: WWW.saidbengrad.free.fr
- 38 - بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب و فائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2006م، ص: 07 .
- 39 - المرجع نفسه، ص: 15 .
- 40 - بول ريكور، من النص الى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد برادة، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، الإسكندرية، 2001م، ص: 118 .
- 41 - حسان راشدي، " بول ريكور و الترجمة - الترجمة وظيفة إنسانية "، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأداب، العدد: 31، سبتمبر 2012م، جامعة عنابة، الجزائر، ص: 39 .
- 42 - أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص: 09 .
- 43 - المرجع نفسه، ص: 10 .
- 44 - المرجع نفسه، ص: 33 .
- 45 - عبد الغني بارة، " استعمال النصوص و حدود التأويل، - في نقد الممارسة التأويلية عند اميرتوايكو "، مجلة المخبر، وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها، جامعة بسكرة، العدد: 01 2009م، ص: 167 .
- 46 - المرجع نفسه، ص: 168 .



البُعد الحجاجي في الخطاب النثري من نصيّة الإقناع إلى إقناعيّة الإيقاع

The argumentation dimension in the prose discourse from the text of persuasion to the persuasion of the rhythm

يوسف بن سعدة¹ ، عامر بن شتوح²

1-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر yousefbensaada@gmail.com

2-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر ameura73@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-26

تاريخ الاستلام: 2019-08-19

ملخص-

يهدف البحث في حقل الحجاج إلى رصد مكان الإقناع النصيّة والفنيّة، ولعلّ تغيب الجانب الإيقاعي لا سيما في الخطاب النثري يستدعي أن ترصد له هذه الدّراسة التي تتطلّع إلى بيان ما في النّثر من إيقاع أوّلا وبيان حاجيّة هذا الإيقاع ثانيا بغية إيجاد وشائج فنية تزيح تلك النظرة السّائدة التي مفادها أنّ الإيقاع يخلو من كل مقصدية فهو بالضرورة لا يعدّ رافدا حجاجيّاً، وهذا ما تفنّده هذه الدّراسة؛ فمبتدأها الحديث عن الحجاج كمعادل منهجي للبلغة الجديدة، ومنتهأها تحليل فنيّ لبعض الشّواهد الإيقاعية وبيان حاجيّة التّشكيل الإيقاعي للخطاب النّثري.

الكلمات الدالة -

حجاج، خطاب، إقناع، إيقاع، مقصدية.

Abstract -

The Research In The World Of Argumentation Tends To Observation The Sources Of Textual And Artistic Persuasion. Perhaps The Absence Of The Rhythmic Aspect, Especially In The Prose Discourse, Requires That This Study Be Monitored To Show What Is In The Prose Of The First Rhythm And A Argumentation Statement Of This Rhythm In Order To Create Artistic Bonds That Dispel That Prevalent View The Rhythm Is Devoid Of Any Destination, It Is Not Necessarily Argumentation, And This Is What This Brief Study Refutes. Its Modern Concept Of Argumentation As A Methodological Equivalent Of The New Rhetoric And Its Conclusion Is Analysis Of Some Rhythmic Examples And A Statement Of The Rhythmic Structure Of The Prose Discourse.

Key Words-

Argumentation, Discoure, Persuasion, Rythm , Intentionality.

1. مقدمة -

يُعدّ كتاب "مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة" الذي يعزى لصاحبيه شاييم برلمان¹ (Chaïm Perlman) وأولبريخت تيتيكاه (Lucie Olbracht Tyteca) من صميم البلاغة الجديدة، كما يعتبر لحظة التأصيل الفعلي لما يعرف بـ"الحجاج" في معناه الحديث والشامل، وقامت جهود برلمان في ذلك على ما أرساه أرسطو في حقل الجدول والخطابة حين أخرج الحجاج من دائرة السفسطة.

كان همُّ برلمان إعطاء الأهميّة للسّامع (المتلقّي) للارتقاء بالحجاج إلى أعلى مستوياته المتنوّعة؛ ذلك أنّ الاهتمام بالمخاطب يفرض على صاحب الخطاب مراعاة المقامات التي توجّه الخطاب وتنتج مادّته وأدواته التي يفرضها مستوى التلقّي "لأنّ السامع - المخاطب هو السبب الفعلي الذي لولاه لما كان "حجاج" أصلاً؛ فهو يسهم بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجيّة

المقدمة من قبل الخطيب (أو أي متكلم يحمل رسالة يتوقف تحققها على الآخرين"².

لأجل ذلك يُعرّف برلمان الحجاج على أنّه: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"³. والملاحظ من تعريفه هذا أنّه يستعمل لفظ "الاقتناع" لا "الإقناع" لأنّه في حقيقة الأمر يفرّق بين هذين المصطلحين؛ فالأقتناع عنده غير الإقناع؛ فهذا الأخير؛ أي الإقناع هو ما يحققه المخاطب عن طريق الحجاج البرهاني فيكون إعمال العقل فيه بـمكان، ويكون فيه الحجاج ملزماً للمخاطب وهذا ما يرفضه برلمان. أمّا الاقتناع فهو ما يعطي للمتلقّي حق التفاوض وممارسة الحرية في تقبّل الحجج بغية الابتعاد عن العنف أو انسداد الحوار بين الأطراف المتفاوضة.

ولعلّ هناك اختلاف كثير وتباين بين آراء الباحثين في حقل الحجاج حين يتعلّق الأمر بالجانب الإيقاعي للخطاب النثري، ومدار ذلك الأمر هو عنصر المقصدية الذي يغيبه البعض من مباحث الإقناع، ويترك لإضفاء الخطاب فنّيته وفنّيته فقط، وهذا الأمر يستدعي إشكالية وغاية؛ إشكالية مفادها البحث والتنقيب عن حاجية الإيقاع في الخطاب النثري، وغاية تصبو إلى إيراد الشواهد التي تعزز هذا الطرح النظري.

2. - الإيقاع ومبدأ القصدية:

بعيدا عن الآليات الإقناعية التي أرسى قواعدها الدارسون؛ هاته الآليات المنبثقة من ثنائية (نص / إقناع) يمكن أن تنتقل إلى ثنائية أخرى تتشكّل من (إيقاع / إقناع)؛ وهي لا تتطلّع إلى إخراج الحجاج من دائرة النص بل تعزز روافده في النص بإضافة حجج كان لها الدور البارز في إدكاء القيمة الحجاجية لكنّها مغيّبة نسبيا خصوصا في الخطاب النثري.

وغير بعيد عن المنطق التداولي المؤسس على مبدأ القصد أو ما يعرف بـ "القصدية" الذي يكاد يقصي الجانب الإيقاعي للخطاب في التصور السائد لدى بعض الدارسين، لكن واقع الخطاب الإقناعي يفند ذلك التصور كون قاعدة القصدية قائمة على القول التالي: "لنتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير"⁴.

فصاحب هذا القول - طه عبد الرحمن - فهم كلامه على ظاهره وسيق مبدأ القصد إلى المتكلم وعزل عنه المخاطب والخطاب، وإذا ما تأملنا قوله: "فقاعدة القصد يترتب عليها أمران أساسيان: أحدهما، وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيب للمخاطبة؛ والآخر، إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول" يتبين لنا أن القصدية أوسع من أن تعزى إلى المخاطب وحده.

يحاول الخطاب الفني (فنية الإيقاع) فرض نفسه كعنصر من عناصر الإقناع؛ وهذا ما تثبته هذه الدراسة من خلال كشف مخبوءات الخطاب القرآني الذي لا تحصره جملة الدراسات والبحوث.

3. -حاجية الإيقاع:

الإيقاع آلية أخرى يعتمد عليها الحجاج في استمالة المتلقي، من أنها ليست آلية مباشرة للإقناع إلا أنها ترتبط بعنصر "الباتوس"⁵ المتعلق بالمخاطب، و"الإيقاع هو ذلك الانسياب، وهو عنصر يتوافر في الشعر والنثر، ويتضمن الحركة والشعور"⁶. أو هو "تكرار الوقوع المطرد للنبضة أو النبوة، وتدفع الكلمات المنتظم في الشعر والنثر"⁷. فلا يتحقق الإيقاع إلا باستحضار قارئ ضمني تتحرك مشاعره وفق ذلك الإيقاع؛ حيث ينشأ "بفضل تلك الحركة المنبثقة من شعور المتلقي، فحركة الأحاسيس تسهم في حركة الإيقاع وبنائه"⁸. . والحقيقة إن الحديث عن الإيقاع يحيل إلى الشعر أكثر منه إلى النثر؛ ذلك أن الشعر ذو إيقاع منتظم وموسيقى خارجية تعتمد نظام التفعيلة وبحور الخليل؛ فهو بذلك إيقاع قبلي يعتمد هيكلًا موسيقيًا جاهزًا توضع فيه اللغة وتشكل داخله،

أمّا إيقاع النثر فهو غير منتظم أو بالأحرى هو إيقاع بعدي ينشأ بعد اللغة نتيجة تجانس الحروف والكلمات والتراكيب. ولعلّ المفهوم السائد بأنّ الشعر متعلّق بالإيقاع دون الإقناع، والعكس بالعكس بالنسبة للنثر هو مفهوم سطحي وغير دقيق؛ إذ "لا ينبغي أن ينحى بالمعاني أبداً منحى واحداً من التخيل أو الإقناع ولكن تردف التخيلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية، والإقناعية في الخطابة بالشعرية"⁹.

إنّ الخطاب لا يمكنه أن يستغني عن الجانب الإيقاعي لداعي الإقناع، فهو كما أسلفنا يعرّز من دور "الباتوس" المتعلّق بالمخاطب؛ "فتظهر أهمية موسيقى الشعر في كونها تجذب أذن المتلقّي، خاصّةً إذا كانت ملائمة في بنيتها الداخلية والخارجية للشعر، فتعطي للخطاب قوة إضافية تستميل المتلقّي وتجذبه بروق الإيقاع، فيعمل ذهنه على المقارنة والقياس، ومن هنا فإنّ الإيقاع يعتبر فناً من فنون الإقناع، يزيد في القوة الحجاجية من خلال جذب انتباه المتلقّي واستمالته لسماعه، وما يجذب الأسماع يقود الأنفس للاقتناع"¹⁰. وفي ذات السياق يقول عبد الله صولة: "فحتّى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولّد عنه من إعجاب ومرح وانبساط وحماس لدى جمهور السامعين"¹¹.

إنّ إيقاع الشعر يستدعيه المقام فيتحّدّد الإيقاع سلفاً لملاءمة المقام؛ فنوع البحر يخدم الغرض المنشود كملاءمة البحر المتقارب ذي التفعيلات القصيرة (الخماسية) لغرض الحماسة والحرب مع مراعاة القافية، وحرف الرّوي هو بدوره كذلك يخدم نفسية الشاعر والمتلقّي فاستعطاف المخاطب له حروفه ومقام التحزين له حروفه (حرف السين مثلاً)، ومقامات الغناء والإنشاد لها ما يخدمها من بحور وقوافٍ وموشّح.

لا شكّ أنّ لمباحث البلاغة دوراً بارزاً في توليد الإيقاع، ولعلّ حازم القرطاجني "أحسنّ بفاعلية الإيقاع البلاغي الذي يتمثّل في النّظام القائم على التّناسب بين

المسموعات والمفاهيم القائمة بدورها على التخيل، وهو ينبع من تألف الكلمات وانسجامها وتلاؤمها في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية¹². وفي ذلك تدليل واضح على مناسبة الإيقاع للمعنى؛ حيث يُحملان معاً في قوالب اللغة إلى ذهن المتلقي.

أما حضور الإيقاع في النثر فهو نتاج لظاهرة السجع والجناس والتكرار والتوازي وغيرها من آليات الإيقاع.

1.3 - حجاجية السجع (الإيقاع الداخلي):

إنّ السجع في البلاغة العربية من أهم الظواهر الأسلوبية في النثر، وهو يعطي الكلام مكانة أقرب إلى الرجز والقصيد وإن كان دونهما¹³. لا شك أنّ السجع يضفي إيقاعاً خفياً من شأنه إمتاع المتلقي وجلبه إلى الاستماع، وهو أشبه بما تفيده القوافي الشعرية؛ يقول السكاكي: "ومن جهات الحسن الأسجاع: وهي في النثر كما في القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية"¹⁴. ومن ذلك - نقصد الفواصل - قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ (٥)¹⁵. إنّ الجانب النفسي هو حاضر كذلك في الفواصل؛ فاختيار (روي الفواصل)¹⁶ لا يكون اعتباطياً في كلّ الأحوال وإنما لدواعٍ تعمل على مناسبة الحالة النفسية للمتكلّم والمخاطب؛ فإقفال الفواصل بحرف الهاء مثلاً قد يفيد إثارة الدهشة وعمق الحدث أو عظم القضية كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (٢). وكذلك من يتأمل قوله تعالى: ﴿ كَهَيْعِص ﴾ (١) ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ﴾ (٢) إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ (٥)¹⁷. فيجد فواصل مبهرة في الإمتاع والإقناع، واللآفت في هذه الآيات ليس الفواصل فحسب، وإنّما حين نتأمل

قوله تعالى: "واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" نجد أنَّ الاستعارة المكنية حاضرة لتخدم الإيقاع الخفي حيث يتحوّل "شيب الرأس" إلى "الرأس شيبا" فلفظ "شيبًا" هو محوّل عن فاعل والداعي إلى ذلك هو الملازمة الإيقاعية عن طريق النصب المشبع بالألف؛ لتتلاءم العبارة مع باقي الفواصل القرآنية ذات النصب المنون. ومن روائع السجع المؤثّر أيضا: وصية ذي الأصبع العدوانى لابنه أسيدا قائلا: "يا بنيّ إنّ أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته؛ فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يُحبُّوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيء يسودّوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودّتك صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك واعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك وأسرع التّهضة في الصريخ، فو الله إنّ لك أجلا لا يعدّوك، وصن وجهك عن مسألة أحدٍ شيئا فبذلك يتمّ سؤدّدك"¹⁸. إنّ متلقي الرسالة هنا يستشعر من صاحبها وكأنّه ينشده أو يهديه شيئا، والأمر الفارق في ذلك حين وظّف صاحب الوصية كاف الخطاب في سجع تلك الوصايا؛ فيستشعر المخاطب مرّة أخراه وكأنّه معني بالوصية دون غيره بل يعلم ذلك يقينا. فتلك تجليات إيقاع السجع الخفي في الخطاب الإقناعي.

2.3. - حاجيّة الجنس والتكرار (الإيقاع الداخلي):

من أساليب الإيقاع كذلك ظاهرة التكرار وهي تنمّ عن أهميّة الشيء المكرّر لدواعٍ إقناعية، وللتكرار أنواع عدّة، فهناك التكرار الصوتي وهو خاص بالحروف، وهناك تكرار اللفظ، وتكرار العبارة، وتكرار البداية، وتكرار التجاور، وتعمل مباحث البديع على خدمة التكرار من باب التّجنيس أو ما يعرف بـ "الجناس"؛ فالجناس الناقص عامل من عوامل التكرار الحريفي وهو بدوره محسّن لفظي يستميل السّامع ويجعله يقارن بين المعاني ويجعله يلتفت إلى الحروف المكرّرة دون غيرها من الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾¹⁹.

أما تكرار اللفظة بعينها فهو من باب التوكيد أو التفريق بين الشئيين أو المقارنة بينهما في الجنس التام الذي "تكمّن قدرته الحجاجية في كونه حجاجاً مبنياً على التكرار"²⁰، وحمل المتلقي على المقارنة بين المفاهيم المختلفة ذات اللفظ الواحد، وهو بذلك -التكرار - يُحدث نغماً موسيقياً خفياً وإيقاعاً داخلياً يستشعره المتلقي دون أن يعرف مصدره أو بالأحرى دون أن يتوقعه.

إذا ما تأملنا إلى اللفظتين "يحسبون، يحسنون" فالظاهر أنّهما جناس ناقص تبايناً في حرف واحد "الباء والنون" لكنهما تطابقاً في البداية والنهاية لدرجة أنّ المتلقي يشعر أنّه ينطق لفظاً واحداً بمعنيين مختلفين؛ وهذا الإيقاع الخفيف جداً قد يكون شبيهاً بظاهرة دلالية ألا وهي التضاد...

أما التكرار فلا يُعدّ ظاهرة إيقاعية فحسب بل له دور حجاجي يكمن في التركيز على الشيء المكرّر لبيان أهميته وإقراره في ذهن المتلقي؛ حيث يعمل على "إبراز حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، ويلفت الانتباه إليها وإلى أهمية الموضوع المطروح"²¹.

وبما أنّ التكرار ثلاثة أنواع: تكرار البداية وتكرار النهاية وتكرار البداية والنهاية معاً فإن نغمة الإيقاعي يتفاوت بين هذه الأنواع؛ ولعل تكرار النهاية هو الأوضح جرساً وموسيقى؛ كون السجع متحققاً فيه بالضرورة بل هو جزء منه؛ لأنّ الجزء محمول في الكل؛ وما يحصل لتكرار النهاية مع السجع قد يحصل للجناس كذلك.

أما تكرار اللفظ في بداية الكلام ثم إقفال الكلام باللفظ نفسه يجعل المتلقي وكأنّه لا يسمع إلّا لهذا اللفظ. ونظير هذا الإيقاع في الشعر يسمّيه ابن المعتز: "رد العجز على الصدر"، ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾²²، فالشاهد في قوله تعالى: تَخْشَى، تَخْشَاهُ؛ إذ يعد اللفظ المكرّر تخشى فاتحة الجملة ونهايتها؛ فالجرس الموسيقي والمعنى المؤكّد بالتكرار يُحملان إلى المتلقي جملة واحدة؛

وكان الإيقاع الحاصل مطعم بالدلالة؛ فيحصل تلقى الرسالة دون أن يستشعر المخاطب موسيقى أو إيقاعا بعينه.

3.3 - حاجية إيقاع التوازي :

شكل آخر من أشكال الإيقاع وهو التوازي؛ حيث يختص بالشعر والنثر لكنه في النثر أبين²³. والتوازي ليس مجرد إيقاع موسيقي فحسب، وإنما "هو نتاج دلالي مستمر، تحدثه متغيرات البنى نحويًا، وبلاغيا مرتبطا بوحدة الوزن، ويؤدي إلى سعة في تنوع الوصف والاحتجاج في الموضوع الواحد؛ فالتوازي بناء إيقاعي يقوم على البناء الأسلوبى للكلام"²⁴. فهو حقل إيقاعي عماده الأسلوب وجوهره الأفكار، فهو لا ينأى بنفسه عن تركيب الدلالة أو توجيهها على الأقل إلى المتلقي، إن "التوازي يؤدي - في النثر - الأثر نفسه الذي تؤديه القافية في الشعر"²⁵. فهو يحدث خلخلة نفسية في ذهن القارئ تجعله يدخل العملية التفاوضية بكل أريحية ومن دون عناء؛ وهو بذلك عامل رئيس وضروري في العمل الحجاجي رغم شكلية كما يرى بعض، و"التوازي - في الأحوال كلها - يحقق تناظرا وتناغما وتناسبا؛ إنه حجة جمالية إيقاعية"²⁶.

إن ظاهرة التوازي تعتمد على التزاوج بين المعطى التركيبى والمعطى الدلالي وفق ما يعرف على سبيل المثال بثنائية (التشابه / التضاد)؛ تشابه الشكل وتضاد الدلالة ومن ذلك القول الشهير: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة؛ فهذه العبارة توضح ظاهرة التوازي كما أنها تؤكد حاجية هذا النوع الإيقاعي الذي أضفى بدوره لهذه العبارة مسحة جمالية إشهارية أضحت أقرب إلى المسلمات. "فمبدأ التوازي يقوم على المجاورة، والتماثل (الانسجام الصوتي) بين بنيتين فأكثر؛ ولاسيما في النثر، أما في الشعر؛ فقاعدته الصوتية في تماثل أبياته، أو أشطار الأبيات، ووحدة الوزن العروضي"²⁷.

تتعدد أشكال التوازي من الحرف إلى السلسلة الكلامية الكاملة؛ فمن التوازي ما يعتمد على التجانس الصوتي للحروف عن طريق المخارج أو حتى التشابه

البصري لما هو مكتوب كما في الخطابات الإشهارية، ومن التوازي ما يقوم على اللفظة في حد ذاتها لجعل المتلقي يلتفت إليها للوهلة الأولى، ومن شواهد ذلك نستحضر قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥)²⁸. والشاهد في هذه الآية الألفاظ: عبدا، عدّا، فردا.

إنّ المتأمل إلى هذه الألفاظ: عبدا، عدّا، فردا يتبين أنّ الوزن الصرفي المشترك "فَعْلًا" والانتهاء بالذال المشبعة بالألف ولّدا إيقاعا ظاهرا ذا نبرة صوتية عالية جهورية منبعثة من المد الصائت وهذا الإيقاع يلفت بدوره إلى معاني هذه الألفاظ التي تُقْفِلُ كل الآيات إيقاعا ومعنى.

وعن توازي التراكيب فهو من قبيل التشابه العددي للعناصر البنائية بين تركيبين متجاورين كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (٨٦)²⁹. للتوضيح ينظر الجدول الآتي:

وَفْدًا	الرَّحْمَنِ	إِلَى	الْمُتَّقِينَ	نَحْشُرُ	↓
وَرْدًا	جَهَنَّمَ	إِلَى	الْمُجْرِمِينَ	نَسُوقُ	

إنّ مقابلة كل لفظة لأختها يجعل المعنى منتظما في التركيب، وما يخرج منتظما يصل بالضرورة إلى المتلقي منتظما.

4.3 -حجائية التوازي الصرفي:

قد تتطافر مستويات الإيقاع في النص الواحد أو الجملة الواحدة أو حتى اللفظ الواحد؛ وإذا كان الجناس مثلا يختص باللفظ الواحد مقابل ألفاظ آخر شكلا من أشكال الإيقاع الداخلي فقد يتعزز بتوازٍ صرفي يخرج الجناس من الموسيقى الخفية إلى الإيقاع الظاهر، وليس ذلك اعتباطيا؛ وإنّما يكون المراد

منه جعل الألفاظ ذات الجرس الموسيقي موضع الحجة أو كشفاً لها على حساب ما جاورها من الألفاظ كما في الجدول السابق حين وردت الألفاظ: "عبداً، عدداً، فرداً" كموضع استشهاد، ونظير ذلك كثير لا سيما في الخطاب القرآني كقوله تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرُ﴾ (٤٦) ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩)³⁰

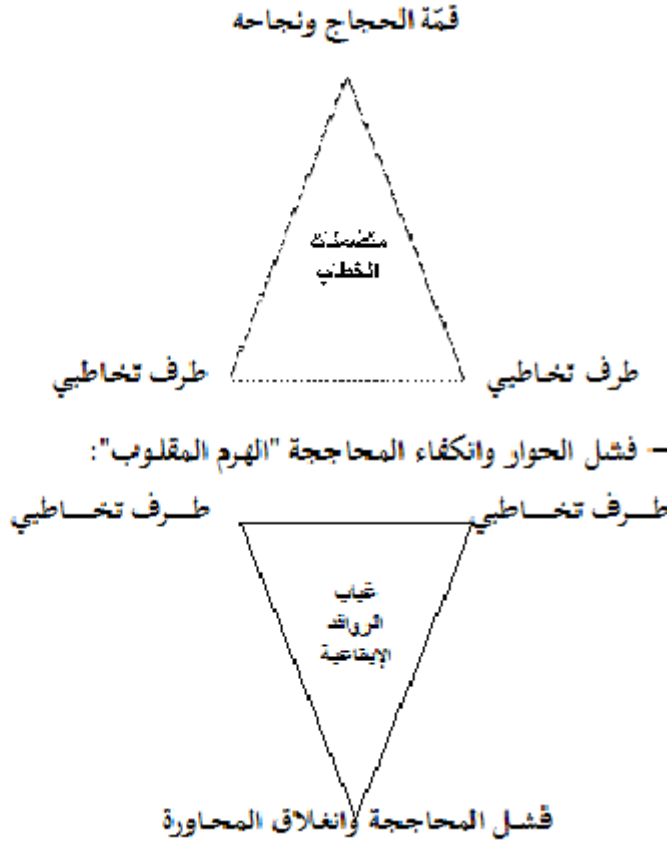
إن الألفاظ التي ختمت بها هاته الآيات لها بنية صرفية واحدة وصوت واحد يختمها على سبيل الفواصل، والمتلقي لهاته الكلمات حسبه أن يفهم كل الآيات دون عناء أو تكلف، ويمكن لها أن توضع هذه كحجج إيقاعية نوضحها في الجدول الآتي:

.....دُبُر	سُعُر	سَقَر	قَدَر
حجة إيقاعية	حجة إيقاعية	حجة إيقاعية	حجة إيقاعية

يتجلى التوازي الصري بين هاته الألفاظ في الوزن الآتي: فُعْل (دُبُر، سَعُر)، و فَعْل (سَقَر، قَدَر).

4. - الحجاج والضرورة الإيقاعية:

لا شك أن الإيقاع لا ينفصل عن الخطاب ولا يمكن تقييمه بمنأى عنه، فلا نصية دون فنية ولا إقناع دون إمتاع، ويمكن أن نختزل دور الإيقاع في الخطاب في الخطاطتين الآتيتين:



تشير الخطاطتان إلى تعالق الروافد الإيقاعية بمستوى الإقناع؛ ذلك أن الطاقة الحجاجية تسير طردا مع توافر المستويات الإيقاعية كما أنّها تتضاءل بتضاؤل تلك المستويات، ومردّ ذلك إلى طبيعة الخطاب ذات التنوع اللغوي، والفني الجمالي.

5. -الحجاج والسلم الحجاجي:

يتخذ الإيقاع ترقيبا موازيا للسلم الحجاجي، ومردّ ذلك إلى الحضور الدائم لأشكال الإيقاع في أغلب مفاصل الخطاب. ويمكن أن نمثل له في الخطاطة الآتية:



لا يوجد في الحقيقة ترتيب جلي لدرجات الإقناع من حيث الطاقة الإقناعية من خلال السّلم الحجاجي الخاضع لقوانين التبدل والقلب والضعف لكن المتأمل للترتيبات الإقناعية الحاصلة في بنية الخطاب يتبين أنّ ترتيب الحجج الإقناعية من حيث الكم والكيف يخضع لقوانين السّلم الحجاجي. ففي قانون القلب مثلاً، يرى موشلار أنّ "هذا القانون ينصّ على أنّ سلّم الأقوال السلبية هي عكس سلّم الأقوال الإيجابية [الحجاجي]. فإذا كانت ق هي أقوى من ق في السّلم الحجاجي الذي تحدده النتيجة ن، فإنّ قانون القلب الحجاجي يتكهّن بأنّ السّلم السلبي يجعل من لا - ق حجة أقوى من لا - ق بالنسبة إلى النتيجة لا - ن".

لكن في الحجج الإقناعية يتم قلب الحجج لدواعي تحقيق الإقناع ولدواع بلاغية كذلك، ولا شك أنّ ظاهرة التقديم والتأخير تخيم بظلالها على مباحث البلاغة في فرعها المعروف بـ "علم المعاني"؛ يعني أنّ هناك وشائج بين الثلاثية (الإقناع - البلاغة - الإقناع). لإيضاح ذلك نورد قول المتنبي:

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ** وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ³¹

إنّ التّقديم والتأخير الحاصل في صدر البيت هو من قبيل تقديم الجار والمجرور (على قدر أعل العزم) على الجملة الفعلية (تأتي العزائم) لأجل تصريح لمطلع القصيدة في الظاهر. لكن اللجوء إلى التقديم والتأخير ليس لغاية إقناعية فحسب بل لإخفاء الدلالة أو تأخير وصولها إلى المتلقّي ليكون في لحظة تشوّف، وترقب، وانتظار. كما يكون له فضاء للمناورة على مستوى محور الاختيار؛

معنى ذلك أنّ المتلقّي المتخصّص يدرك بأنّ لفظ (المكارم) يقتضي وجود لفظ على وزنه وعلى حرف نهايته؛ أي حرف الميم. فيضع في أفق توقّعه كلمات على وزن (مفاعل). وبهذا التشارك الإيقاعي الدلالي بين قطبي التواصل (مرسل ومرسل إليه) يرتسم قانون قلب جديد مفاده أنّ قلب الحجج لا يعطي نتيجة مقلوبة بل يعزز نتيجة واحدة ويكتفّ دلالتها.

6. -خاتمة:

يخلص البحث إلى النتائج الآتية:

* إنّ الإيقاع لا يلغي الروافد الإقناعية بل يعزز دورها في الخطاب النثري. والتشكيل الإيقاعي للخطاب يصطحب البنية اللغوية ولا ينفصل عنها فهو محمول مقصديا. وكون الإيقاع في النثر أقلّ تحليلا من الإيقاع الشعري يجعل المخاطب أقلّ استعدادا وتوقّعا لمفاصل القول؛ لذا نجد الخطاب النثري يكسر أفق انتظار المتلقّي دون أن تُستجلى مكامن التأثير فيه بالكليّة.

* إنّ إثبات ما في القرآن من إيقاع خفي تفنيد لكل الادّعاءات القائلة بخلو الخطاب النثري من مقصدية الإيقاع.

كما يُعدّ البعد الحجاجي لإيقاع التّوازي فاتحة ورافدا إمتاعيا ينقل الفنيّة الخطابية إلى إقناعية الصورة الإشهارية باعتباره -أي التّوازي- تشكيلا إيقاعيا بصريا.

❖ لا شك أن إشكالية مقصدية الإيقاع في النثر لها أن تفتح آفاقا واعدة تعكف على سبر أغوار الحجاج الإيقاعي المتوقّع لدى المتلقّي؛ وبالتالي البحث عن مبدأ التعاون والاستلزام الحوارية من وجهة نظر إيقاعية تتولى دراستها حقول التّداولية.

* يمكن أن يخضع ترتيب الحجج إيقاعيا كما لو أنّها مرتبة ترتيبا إقناعيا؛ أي إنّها لا تنفك من كونها منظومة خطابية نصيّة لها من قوانين السّلم الحجاجي ما يرقى بها من الفنيّة إلى النّصيّة.

الهوامش:

- 1 - 1912 - 1984 مؤسس البلاغة الجديدة ولد في فارسوفيا، ثم هاجر إلى بلجيكا سنة 1925، عمل بالجامعة الحرة لبروكسيل كمدرّس للمنطق والفلسفة والأخلاق، كتب في القانون والبلاغة والحجاج.
- 2 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيلي علوي، ج2، ص183.
- 3 - شاييم برلمان ولويس أولبريخت تيتيكا: مصنف في الحجاج - البلاغة الجديدة - نقلا عن: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة (بنيته وأساليبه)، ص21.
- 4 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص250.
- 5 - من مواضع التأثير الثلاثة التي اعتمدها أرسطو في تأسيسه للخطابة. للاستزادة يرجع إلى كتابة الخطابة (الريطوريا) بتحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي.
- 6 - مصلح عبد الفتاح النجار، أفنان عبد الفتاح النجار: الإيقاعات الرديفة والإيقاعات البديلة في الشعر العربي (رصد لأحوال التكرار، وتاصيل لعناصر الإيقاع الداخلي)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007، ص125.
- 7 - إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986، ص57.
- 8 - صبيرة قاسي: بنية الإيقاع في الشعر الجزائري المعاصر فترة التسعينات وما بعدها، إشراف: د. أحمد حيدوش، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف، 2010/2011، ص22.
- 9 - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، فيفري 2008، ص323.
- 10 - خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، إشراف: أ.د. عبد الحليم بن عيسى، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013/2014، ص151.
- 11 - عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكا: ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص317.
- 12 - إبتسام أحمد حمدان: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1، 1997، ص30.

- 13 - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الخطابة في القرن الأول نموذجاً، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص113.
- 14 - السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص431.
- 15 - سورة الزلزلة [الآية 1 - 2].
- 16 - إشارة إلى الروي في الشعر واستعرنا هذه العبارة مجازاً لتقريب الإيقاع في الخطاب النثري إلى الشعر.
- 17 - سورة مريم [الآية 1 - 5].
- 18 - ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس ويكر عباس، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص40.
- 19 - سورة الكهف [الآية 104].
- 20 - ينظر: خديجة بوخشة: مرجع سبق ذكره، ص146.
- 21 - خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، ص158.
- 22 - سورة الأحزاب [الآية 37].
- 23 - أطلقنا هذا الحكم ولا يمكن إثباته إلا في كتابات أخرى متخصصة في هذا الشأن.
- 24 - فاطمة كريم رسن: التوازي في نهج البلاغة دراسة في الدلالة التركيبية، مجلة العميد، جامعة بغداد، العراق، العدد 6، جوان (حزيران) 2013، ص52.
- 25 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 26 - محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص151.
- 27 - محمد مفتاح، المرجع نفسه، ص51.
- 28 - سورة مريم [الآية 93 - 94 - 95].
- 29 - سورة مريم [الآية 85 - 86].
- 30 - سورة القمر [الآية 45 - 49].
- 31 - عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج 4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ، 1986م، ص94.



البنى الحجاجية في الخطاب النسوي: حديث "أم زرع" نموذجاً

Les structures argumentatives dans le discours féministe "Hadith Oum Zaraa" un modèle

يوسف بن سعدة¹، عامر بن شتوح²

1-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر yousefbensaada@gmail.com

2-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر ameura73@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-08-21

ملخص -

لعلّ الخطاب النسوي واحد من تلك الأجناس الخطابية؛ له خصوصية حجاجية تداولية؛ تهدف هذه الدراسة إلى محاولة كشفها اعتماداً على المنهج الوصفي وآليات التحليل الحجاجي المنبثقة من نظرية الحجاج اللغوي التي أرسى قواعدها ديكرودucrot وأنسكومبرAnscombre، وآليات البلاغة الجديدة التي أقام دعائمها برلمانPerlman على الإرث الأرسطي. ومدونة هذه الدراسة هي حديث "أم زرع" المتضمن لمجموعة خطابات نسوية ترويه عنهم عائشة "رضي الله عنها". هاته المقاربة الحجاجية لهذا الخطاب التراثي بدأت بجملة الآليات شبه المنطقية ثم السلم الحجاجي، وانتهت بحجاجية البنية الإيقاعية لتلك الخطابات. لتخلص الدراسة إلى أنّ الخطاب النسوي لا يقل بلاغة وقوة حجاجية عن سائر الخطابات، وهو كفيل أن يُدرج ضمن أرقى أجناس الخطاب وأكثرها تأثيراً. كما تفنّد هذه الدراسة الفكرة السائدة القائلة بتفوق الرجال في بلاغتهم على النساء.

الكلمات الدالة-

حجاج، خطاب، إقناع، نسوي

Abstractle

Discours Féministe Est Peut-Etre Un Seul De Ces Discours. Il A Une Caractéristique Argumentative Et Pragmatique. Le But De Cette Etude Est D'essayer De Savoir Ces Caractéristiques .En Fonction De L'approche Descriptive Et Des Mécanismes D'analyse Argumentative Affilié De Théorie De L'argumentation Linguistique Qui A Fixé Ses Règles "Ducrot" Et "Anscombe", Et Les Mécanismes De Nouvelle Rhétorique Qui A Fixé Ses Règles Par "Perlman" Basé Sur Le Patrimoine Aristotélicien. Et Sujet De Cette Etude Est Analyse De « Hadith Oum Zaraa », Qui Contient Des Discours Féministes Raconte Par «Aicha Radhia Allah Anha ». Cette L'approche Argumentative De Ce Discours Patrimonial A Partir Avec Des Mécanismes Paralogiques Et Ensuite L'échelle Argumentative, Et Terminé Avec Argumentation De Structure Rythmique Pour Ces Discours, Conclut Cette Etude Que Le Discours Féministe N'est Pas Moins Eloquent Et Convaincant Comparé A D'autres Discours. Il Peut Etre Inclus Entre Les Discours Les Mieux Genres Et Les Plus Convaincre. Cette Etude Réfute L'idée Vulgaire Ce Qu'elle Dit : La Supériorité Des Hommes Dans Leur Eloquence Aux Femmes. Et Réfuter La Vision Qui Affilié Les Valeurs De La Rhétorique Pour Les Hommes.

Mots Clés -

Argumentation, Discoure, Persuasion, Féministe

1. مقدمة

قد لا نبالغ حين نقول: إنّ الحديث عن الأسس النظرية للحجاج (البلاغية، المنطقية واللسانية) ضرب من البداهة، وقد نفتري كذبا حين نجعل دراسة الخطاب أمرا مكتملا، وآية ذلك الزخم الذي عرفه الحقل الحجاجي في شقه النظري، وطبيعة الخطاب التي تجعله لا يقدم نفسه لقراءة واحدة بل لا تنتهي دلالاته بانتهاه أنواع مقارباته فهو الخطاب المفتوح على كل القراءات.

ومما لا شك فيه أنّ الخطابات ذات طبيعة حجاجية متفاوتة بتفاوت الأدوات الموظفة فيها والمحشودة لها إلى درجة أنّنا نقف مدعنين أمام بعض منها. إنّ الخطاب يصنّف بحسب موضوعاته كما يصنف بحسب منتجه؛ وهذا التصنيف الأخير نعني به أنّ هناك خطابات تصدر عن النساء على غرار الرجال تُنعت بالخطاب النسائي أو النسوي؛ وهو بذلك جدير بأن توضع له مقارنة تداولية حجاجية تقتصر على جنس حجاجي واحد أو بالأحرى آليات حجاجية واحدة، ولعلنا نختار في هذه الدراسة تلك الآليات التي أرسى قواعدها صاحب البلاغة الجديدة برلمان وتتيكاه.

نرتئي أن نجعل من الخطاب النسوي الأصيل مدونة لهذه الآليات، وهذه المدونة هي خطاب عائشة رضي الله عنها فيما ترويه عن جملة الزوجات التي التقت بهنّ، وعن حديثها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، والحديث هو بعنوان: "حديث أم زرع".

ولعلّ الإشكالية التي يحاول أن يجيب عنها هذا الموضوع تكمن في كشف مخبوءات الخطاب النسوي من خلال المدونة المطروحة من وجهة حجاجية تحليلية اعتمدها برلمان؛ وهي آليات مؤسّسة على المنطق والرياضيات، ووسمها بـ"الآليات شبه المنطقية التي تعتمد المنطق والرياضيات" ناهيك عن نظرية الحجاج اللغوي التي تعزى إلى "ديكرو" Ducrot.

♦ نص المدونة (الحديث):

روى البخاري (5189)، ومسلم (2448) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا. قَالَتِ الْأُولَى زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ، غُثٌّ عَلَى رَأْسِ

جَبَل، لَا سَهْلَ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينَ فَيَنْتَقِلُ. قَالَتِ الثَّانِيَةُ زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ. قَالَتِ الثَّالِثَةُ زَوْجِي الْعَشْتُقُ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أُعَلِّقُ. قَالَتِ الرَّابِعَةُ زَوْجِي كَلِيلُ تَهَامَةٍ، لَا حَرَّ، وَلَا قُرَّ، وَلَا مَخَافَةَ، وَلَا سَامَةَ. قَالَتِ الْخَامِسَةُ زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ. قَالَتِ السَّادِسَةُ زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَقَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ انْتَفَ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ، قَالَتِ السَّابِعَةُ زَوْجِي غَيَّيَاءُ أَوْ عَيَّيَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَكٍ أَوْ فَلَكٍ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكِ. قَالَتِ الثَّامِنَةُ زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ. قَالَتِ التَّاسِعَةُ زَوْجِي رَفِيعُ الْعُمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ. قَالَتِ الْعَاشِرَةُ زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَرْهَرِ أَيْضَنْ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ. قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنْاسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْذَى، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدَى، وَبَجَحْنِي فَبَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشِقِّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقِّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحَ وَارْقُدْ فَأَنْصَبْ، وَأَشْرَبُ فَاتَّقَحْ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عَكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِ شَطْبَةٍ، وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْحَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيئًا، وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيئًا، قَالَتِ خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ، فَطَلَقْنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِيئًا وَأَرَاخَ عَلَى نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِّي أُمُّ زَرْعٍ، وَمِيرَى أَهْلِكَ. قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ أُنْيَةِ أَبِي زَرْعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ"¹.

2. - طرائق الوصل: وتتفرع إلى أنواع ثلاثة:

الحجج شبه المنطقية، الحجج المؤسسة على بنية الواقع، الحجج المؤسسة لبنية الواقع، وكل من هذه الثلاثة له تفرعاته.

2- 1- الحجج شبه المنطقية:

وهي الحجج ذات الطبيعة المنطقية والرياضياتية تستمد آلياتها من هاتين الأخيرتين.

2- 1- 1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد المنطق:

تنقسم هذه الحجج إلى ثلاثة أنواع: التناقض، والتماثل، وقاعدة العدل.

2- 1- 1- 2- التناقض وعدم الاتّفاق: incompatibilité :

في هذا النوع يؤتى بقضيتين متناقضتين في مقام واحد بهدف اختيار واحدة منهما أو تغليب قضية على أخرى، أو بيان التناقض في القضية ككل؛ والتناقض غير التعارض؛ "فالتناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكلن. أما التعارض فيحدث في علاقة الملافيظ بالمقام"²؛ أي التعارض هو بين المقال والمقام، والتناقض بين العبارات مع موافقته لملازمات المقام. ونظير هذا التناقض قول الزوجة الأولى عن زوجها: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ. فاستطاعت أن توظف هذا النوع الحجاجي من خلال إدراج حجة تناقض وعدم اتفاق للوصول إلى النتيجة المرجوة. لتبيان ذلك نورد الحجة والنتيجة في الجدول الآتي:

الحجة	النتيجة
زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ	لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ

إنّ الحجة الواردة قائمة على عدم الاتفاق؛ فعبرة (لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ) لا تتفق منطقياً مع عبارة (عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ)، وإيراد هذا التناقض هو من أجل الوصول إلى نتيجة قائمة كذلك على التناقض ألا وهي: (لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى) تناقض (لَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ). وكان بإمكانها الاكتفاء بفاصلة واحدة كقولها " لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ" لوصف زوجها باللحم الهزيل – أي لا ترجى منه فائدة – ولكنها لما أرادت أن تشنّع به جنحت إلى حجة التناقض لنعت "زوجها بالبخل وقلة الخير، وبُعده من أن يُنال خيرُه –مع قلته – كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذي يُزهد فيه فلا يطلب، فكيف إذا كان في رأس جبل صعب وعراً"³

و هذا النوع الحجاجي صنفه باتريك شارودو Patrick Charaudeau ضمن أشكال البرهنة وأدرجه في الاختيار التعاقبي بمصطلح التنافر وهو برهنة أو

استنتاج ناشئ من علاقيتين حجاجيتين يحتمل فيهما المحاجج على المتلقي اختيار أحدهما وإن كان كلاهما سلبيا، فهذا الصنف الحجاجي هو "تقابل (أ1 — أ2 وأ1 — أ2) ويترك إمكانية الاختيار بين الاثنتين أو بين التناظر الذي قد ينتج عن الوصل بينهما"⁴، وباعتبار سلبية وإيجابية كل قضية حجاجية يكون هناك احتمال أربعة أحكام لكل علاقة حجاجية: "إيجابية إيجابية" أو "إيجابية سلبية" أو "سلبية سلبية"، كما يمكن - في احتمال رابع - أن يكون التناظر بسيطا، ونظير ذلك قول الزوجة الثالثة: "زَوْجِي الْعَشَقُّ إِنَّ أَنْطَقَ أُطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ"؛ فالخيار الأول في قولها "إِنَّ أَنْطَقَ أُطْلَقَ" ذو علاقة سلبية، والخيار الثاني في قولها: "إِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ" ذو علاقة سلبية كذلك، والهدف من إيراد خيارين سلبين هو إثبات أهلية زوجها أو عدم اقتناعها هي بزوجها، واجتماع الحجج السلبية هو بالضرورة نتيجته سلبية. يمكن أن نضع هذه العلاقة الحجاجية في الجدول الآتي:

الْحُجَّة	قيمتها	النتيجة
إِنَّ أَنْطَقَ أُطْلَقَ	سلبية	سلبية
إِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ	سلبية	

والاعتماد على هذه الحجج تكرر في أغلب مفاصل هذا الخطاب. ودلالة التكرار مردّها إلى بيان تناقض الرجال في سلوكياتهم.

2- 1- 1- التماثل:

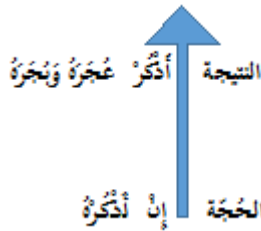
وهو ضرب من إيراد الشواهد الشبيهة ببعضها، كظاهرة التكرار والتّرادف، وغيرها من الظواهر التي من شأنها أن تؤكد قضية ما مناسبة لمقام يقتضي ذلك، و"صيغة التماثل ليست إلّا طريقة شكلية نتوخّاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو le pléonasme"⁵، والحشو لا يرد اعتباريا، بل تكون الدلالة الأقوى حجاجيا للعبارة الثانية المكررة أو المردفة؛ يقول عبد الله صولة في إشارة إلى قول برلمان Chaïm perleman⁶ : "حين أرى ما أرى أفكر في ما أفكر"؛ ففي هذا القول نجد اللفظ الثاني دائما هو الذي

يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار⁷، ونظير هذا في الأساليب النحوية ظاهرة التوكيد اللفظي. وحجة التماثل لا تختلف كثيرا عما أتى به صاحب الإيضاح في علوم البلاغة في باب المجاز المرسل حين شرح قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ♦♦♦ فنجهل فوق جهل الجاهلينا⁸

فذكر أن الجهل الأول هو على وجه الحقيقة، والجهل الثاني هو مجاز وهو تعبير عن المكافأة عن الجهل؛ فالمكافأة مُسَبَّب؛ والجهل سبب فذكر السبب بدل المسبب⁹. والملاحظ أن لا اختلاف بين رؤية عبد الله صولة حين جعل اللفظ الثاني أكثر دلالة من الأول ورؤية القزويني حين جعل بلاغة المجاز تُستمد من الثاني. ونظير ذلك كثير في كلام العرب، ومنه ما سمّاه بالمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية 54].

لم يخل حديث النسوة من هذا الصنف الحجاجي، ومن هذا النوع الحجاجي قول الزوجة الثانية: "زُوجِي لَأَبُثُّ خَبْرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ". فالشاهد في قولها: "إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ"؛ فالأول شرط والثاني جواب للشرط رغم تكرار اللفظ، ومكمن القيمة الحجاجية في تحول اللفظ من حجة إلى نتيجة. ولنوضح كيف يرتقي التماثل بهذه القضية الحجاجية في الخطاطة الآتية:



ومنه أيضا قول الزوجة الرابعة: "...لَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ"؛ ففي هذين اللفظين "مخافة، سامة" ترادف صوتي ودلالي، وهو عبارة عن تكثيف للصورة المعنوية. وفي ذلك تعريض بزوجها مدحا أو على الأقل الرضى بزوجها؛ فالحجة حاضرة، والنتيجة مسكوت عنها. للتوضيح نضع الجدول الآتي:

الحجة	لَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ
النتيجة	مسكوت عنها " تعريض بمدح أو رضى بزوجها على الأقل

2- 1- 2 -الحجج شبه المنطقية التي تعتمد الرياضيات:

ينقسم هذا النوع من الحجج إلى ثلاثة أنواع: حجة التعدية، إدماج الجزء في الكل، تقسيم الكل إلى أجزاء.

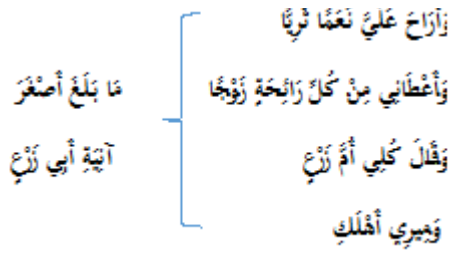
2- 1- 2- 1- حجة التعدية¹⁰:

وهي الحجج القائمة على علاقة التعدّي، ففي الاصطلاح الرياضيائي مثلا: (أ) < (ب).... و(ب) < (ج)، النتيجة ببساطة (أ) < (ج)، ومثال ذلك: صديق عدوّي عدوّي¹¹. وقد خلا منها حديث أم زرع.

2- 2- 1- 2- إدماج الجزء في الكل:

وهي حجج تنقل أجزاء قضية ما إلى نتيجة مجملّة، أو هي عملية لتجميع مفاصل حجاجيّة وجعلها كلا مشتركا، أو "تكون العلاقة في إدماج الجزء بالكلّ منظورا إليها عادة من زاوية كميّة؛ فالكلّ يحتوي الجزء وتبعاً لذلك فهو أهمّ منه وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم"¹²؛ فأهميّة هذا النوع تكمن في جعل الكلّ موضع النتيجة والأجزاء موضع الحجج في أحسن الأحوال، وشبيه ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء، الآية 36]. ففي الآية الكريمة تفصيل لعمل الجوارح وجعل كل الأعضاء موضع المساءلة والحساب يوم القيامة، فالكلّ تجمعها المسؤولية والمساءلة، وكذلك قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج، الآية 32]؛ في إشارة إلى البدن التي يُستحسن أن تُستسمن. ومن خطاب النّسوة من هذا الصنف الحجاجي قول أم زرع عن زوجها أبو زرع مقارنة بزوجها الجديد: "فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةٍ أَبِي زَرْعٍ"؛ فجعلت النعم التي والخيرات التي أسرفها عليها زوجها الثاني لا تقارن بما منحها إياها زوجها الأول (طليقها) أبو زرع. للتوضيح نضع الخطأطة الآتية:



2- 1- 2- 3- تقسيم الكل إلى أجزاء:

ننقل الأهمية في هذا النوع من الكل إلى الأجزاء؛ فتعرض القضية ككل ثم تتفرع إلى أجزاء متجانسة لها نفس الأهمية أو تكون هذه الأجزاء معنية أكثر من الكل، والبرهنة على وجود الجزء غايته إثبات وجود الكل¹³. لتقريب المعنى يمكن أن نستشهد بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾. إن ذكر مقام الولاية في هذه الآية يتبعه ذكر شروطها من إيمان وتقوى ومن البشري التي ينالها الأولياء من اللاحوق واللاحزن، وأكثر من ذلك أن لهم البشري في حياتهم وبعد مماتهم. من أمثلة ذلك من حديث النسوة قول الزوجة التاسعة: "زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ". فهي تريد أن تقول فيه: "زوجي هو زوج مثالي؛ لكنها أطنبت في عدّ خصاله لإثبات مدحها إياه، ولا تتأتى فعلا هذه الصفة إلا بإثبات أو كشف ما هو موجود أولا؛ لذا حين يُقسّم الكل يفهم أنه إثبات للكل والجزء، وإن ذكر الكل فقط فيحتاج إلى توضيح أو تعقيب. ويمكن أن توضع هذه الحجة في الخطاطة الآتية:



تكمُن أهمية هذا الشّاهد الحجاجي في أنّ إثبات وجود هذه الصفات الجزئية هو إثبات وجود صفة جامعة، وهي "صلاح الزوج".

2- 2- الحجج المؤسّسة على بنية الواقع:

2- 2- 1- الاتّصال التّابعي:

وهو ضرب من الحجج يعتمد مبدأ تتابع الأحداث على أنّها حجج لنتيجة ما، ومن أنواع هذه الحجج:

2- 2- 1- الوصل السببي (الحجّة السببية):

تكون الحجّة عبارة عن سبب أو مجموعة أسباب مباشرة تفضي إلى نتيجة ما؛ أي لا تتحقّق النتيجة إلا بتحقيق السبب، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران، الآية 92]؛ فالإنفاق سبب في نيل البر. والحجّة السببية قد توظّف في اتجاهين؛ سبب يفضي إلى نتيجة، أو نتيجة يعقبها سبب كمبرر لهذه النتيجة، وقد تكون النتيجة متوقّعة أو متكهّن بها لا واقعة من ذلك قول الزوجة الثالثة: "زوّجي العَشْتَقُ إِن أَنْطَقَ أُطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ"؛ فالقضية الأولى: "إِن أَنْطَقَ أُطْلَقَ"، والقضية الثانية: "وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ". فالطلاق نتيجة نطق الزوجة، وهي تعني أنّ الطلاق يقع بأدنى سبب وهو تعريض بزوجهما ذمّاً وكذلك السكوت لا يحمّد عقباه، وهو سبب لبقاء الزوجة كالمعلّقة؛ فهاتان القضيتان نتيجهما متوقّعة لا واقعة. توضع القضيتان في

الجدول الآتي:

الحجّة السببية	النتيجة
إِن أَنْطَقَ	أُطْلَقَ
إِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ	أُعْلَقَ

2- 2- 1- حجّة الاتّجاه أو العدوى:

يؤتى بهذا النوع من الحجج للحدّ من توسّع الشيء أو الدعوة إلى انتشاره أو منع انتشاره؛ ومن شواهد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، ومن

ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: ((**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)). لم يرد كثيرا هذا الصنف الحجاجي في خطاب النسوة عدا ما خرج من لسان الزوجة الثانية في قولها عن زوجها: "... **إن أذكره أذكر عجره وبجره**؛ فتجروها على ذكر القليل يؤدي إلى الإفصاح عن الكل، فمبتدأ الحجة قولها : "**إن أذكره**"، ومنتها قولها: "**أذكر عجره وبجره**"، وفي عبارة أخراه تتشكل الحجة والنتيجة من شرط وجواب شرط؛ لكن برلمان يسمي هذه الأسلوب الحجاجي بـ "حجة الاتجاه أو العدوى".

2- 2- 2 - حجج الوصل التوايدي:

2- 2- 1 - الحجج الشخصية:

وتتعلق هذه الحجج بأعمال الشخص وسلوكاته؛ حيث تكون العملية الحجاجية بين الحجة والنتيجة هي علاقة بين الشخص وما يصدره من سلوك أو يتصف به من صفات، أو علاقة بين صفة وصفة لإثبات سلوك شخص أو علاقة بين صفة ثالثة وصاحبها، مثال ذلك قول الشاعر:

أروني بخيلا زاد عمرا ببخله ♦ ♦ ♦ وهاتوا كريما مات من كثرة البذل¹⁴.

أما "حديث أم زرع" فهو يعج بهذا النوع الحجاجي كون النسوة الزوجات هن في محل يعرجن فيه عن عيوب بعولتهن أو يعددن مناقب أزواجهن. من ذلك نلضي قول الزوجة الثانية: "**زوجي لا أبت خبره، إني أخاف أن لا أدرة، إن أذكره أذكر عجره وبجره**"؛ فهي تحتاج بسلوك مدعى وهو التستر على عيوب زوجها لتعدل عن التلاعب اللغوي، والاحتجاج بالنفي لأنها في موضع غير سائح بزوج بديل، وبالتالي غلبت حجتها الشخصية لأنها تخدم هدفها، وهو عدم التعرض لزوجها، وعدم نكثها لعهدا مع الزوجات العشر.

2- 2- 2 - حجة السلطة:

وتكون السلطة في هذا النوع مقدمة على الحجة نفسها أو تقويها، يقول عبد الله صولة: "والعادة في الحجاج تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه، وإنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجة السلطة كما أنه كثيرا ما نعمل إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة في كلامنا"¹⁵ فالسلطة قد تكون شخصية متعلقة بالذات، كحديث الحكام

ورجال المال مثلاً، قد تكون متعلّقة بهيئة أو مؤسسة كالبيانات الصادرة عن هيئات الرئاسة والأمم المتحدة وغيرها. ولم نجد من قول النسوة من هذا النوع الحجاجي إلّا القليل كقول الزوجة الثالثة: "زَوْجِي الْعَشَقُّ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ"؛ وهو من قبيل حجة الخضوع للسلطة؛ أي سلطة الرجل على المرأة، وقولها هذا هو وصف لسلوك الزوج باعتبار سلطته على زوجته؛ فهذا الخطاب لم يصدر من متكلم ذي سلطة بل هو خطاب خاضع للسلطة. ونظير ذلك أيضاً قول الزوجة السابعة: "زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَكَ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكَ".

2- 3- الحجج المؤسسية لبنية الواقع:

2- 3- 1- المثل والاستشهاد:

المثل أسبق من الاستشهاد في العملية الحجاجية؛ ذلك أنّ المثل تبني عليه قاعدة ما للوصول إلى نتيجة ما، والاستشهاد يعقب القاعدة ليقوّيها ويزيدها وضوحاً وحضوراً؛ يقول عبد الله صولة: "لئن كانت الغاية من المثل تأسيس القاعدة فإنّ الاستشهاد من شأنه أن يقوّي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوّي حضور هذا القول في الذهن. وعلى هذا فإنّ الاستشهاد يؤتي به للتوضيح rendre clair في حين أنّ المثل يؤتي به للبرهنة ولتأسيس القاعدة"¹⁶، ويسمى المثل والمثال وهما لمفهوم واحد، "ويعتبر المثال "example"، الركيزة الثانية التي أقام عليها أرسطو تعريف العقل، وقد ميّز أرسطو بين ضربين من ضروب المثال:

1- المثال الواقعي المستمد من الماضي.

2- المثال الخيالي الذي يضعه الخطيب مثل الحكايات والقصص والأمثال¹⁷.

ومما ورد منه في حديث النسوة ما تفوّهت به الزوجة التاسعة حين قالت: "زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ". في هذا القول إشارة إلى البيت الشعري الشهير:

طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ ♦ ♦ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا¹⁸.

تصف الخنساء في هذا البيت أخاها بأنّه طويل النجاد، رفيع العمد، كثير الرماد كناية على أنّه شجاع، عظيم في قومه، جواد، فعدلت عن التصريح بهذه

الصفات إلى الإشارة إليها ليكون هذا البيت مورد مثل لمضارب أخرى منها ما وظفته الزوجة التاسعة في وصف زوجها كناية لا تصريحاً، والغاية من هذا النوع الحجاجي هو الجمع بين وصف الشَّكْلِ؛ أي شكل الزوج، وصف أخلاقه في عبارة واحدة شهيرة تكون بمثابة المثل الشائع.

ولعل قول الزوجة الأولى: "زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ، غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ" هو بمثابة "مورد مَثَل" يصلح أن يُتداول إذا حضر مقامه الذي يستدعي الاستشهاد به. كقول القائل في سياق ما: "لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ" تدليلاً وإشارة إلى ما يناسب القضية المتحاجج فيها.

2- 3- 2 - التمثيل:

وهذا العنصر معقد ومتداخل فيما بينه وبين المثل ووجوه البيان من استعارة ومجاز، وتصلح الكناية كضرب لهذا النوع كقول الزوجة السادسة: "وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ". فعبرة "لَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ" كناية عن عدم مراعاة الزوج لحالها وإعراضه عن التَّسَّال عنها وتفقدتها؛ فهي لم تترك له شيئاً يُحمد عليه، وزادت حجتها قوّة لما عمدت إلى المفارقة الأسلوبية "الكناية" ليكون الدّم مزدوجاً ظاهراً مباشراً، وخفياً غير معلن.

3 - الآليات اللغوية وحجاجية الإيقاع:

3- 1- السّلم الحجاجي:

إنّ عرض الأقوال المتتابعة للنسوة يعدّ بمثابة تكثيف حجاجي للوصول إلى نتيجة ما أو طلب المخاطب بنتيجة مفادها الاقتناع وتقديم للمتكلم أكثر ما قيل في مفاصل الخطاب، وتتجلى تلك التراتبيات في حديث عائشة رضي الله عنها من خلال الخطاطبة الآتية:

قوله صلى الله عليه وسلم: النتيجة

كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمْ زَرْعٍ

- 11 الحجة - قالت الحادية عشرة...
- 10 الحجة - قالت العاشرة...
- 9 الحجة - قالت التاسعة...
- 8 الحجة - قالت الثامنة...
- 7 الحجة - قالت السابعة...
- 6 الحجة - قالت السادسة...
- 5 الحجة - قالت الخامسة...
- 4 الحجة - قالت الرابعة...
- 3 الحجة - قالت الثالثة...
- 2 الحجة - قالت الثانية...
- 1 الحجة - قالت الأولى...

تعدّ هذه الخطاطبة السّلمية ترتيباً لأقوال النّسوة من الأولى إلى الحادية عشرة، لكن لا يخضع هذا السّلم لقواعد القلب والنفي والتبديل التي تعزى لصاحب الحجاج اللغوي ديكرودucrot ؛ إذ إنّ السّلم الحجاجي لدى ديكرود يخضع لضوابط معيّنة، وتكون فيه الحجج مرتّبة وخاضعة لهذه الضوابط، ولا يستقيم السّلم الحجاجي إلّا بحضور عناصر لغوية تربط القول الحجاجي؛ ما جعل "دكرو" يميّز بين نوعين من المكوّنات اللّغوية التي تحقّق الوظيفة الحجاجيّة، أمّا النّوع الأوّل فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسمّيه روابط حجاجيّة، وأمّا النّوع الثّاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكوّنات معجميّة تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) (الظرفية) (تقريباً) و(على الأقل) ... الخ ويسمّيه عوامل حجاجيّة"¹⁹.

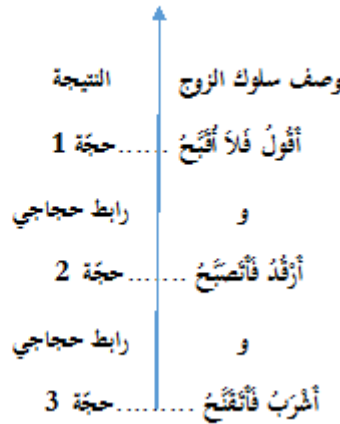
لأجل ذلك نلفي ترتيب الحجج في أقوال النسوة يكون خاصاً بكل عبارة على حدة، واستجلاء لهذا المفهوم نورد العبارات الآتية مرتبة حججها سلماً: قول الزوجة الحادية عشرة: فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ. يقسم هذا القول إلى حجج ونتائج؛ فتفرز الحجج كما يلي:

أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ حجة 1

وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ حجة 2

وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ حجة 3

والنتيجة هي وصف تام لسلوك زوجها، وهي نتيجة ضمنية للحجج اللغوية السالفة الذكر، والرباط الموظف في هذه الحجج هو "الواو"، وهو رباط حجج لا حجج ونتائج.



3- 2- العوامل الحجاجية والروابط:

تعدّ العوامل الحجاجية والروابط من صميم النظرية اللغوية للحجاج التي أرسى قواعدها أوزولد دكرو Oswald Ducrot رغم الجهود المشابهة لكل من موشلار وريبول -؛ إذ بهما تتأسس العملية الحجاجية وتكتسي اللغة طابعاً إقناعياً، وهي في ذلك تتعدّد وتختلف في طاقتها الحجاجية من لغة إلى لغة ومن مقام إلى مقام.

هناك من يرى أن لا فرق بين العوامل والروابط الحجاجية كـ "موشلار" و "ريبول" إلا أن "دكرو" يميز بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، أما النوع الأول فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسميه روابط حجاجية، وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) الظرفية و(تقريباً) و(على الأقل) ... الخ ويسميه عوامل حجاجية²⁰؛ يعني ذلك أن ثمة فرق واضح بين العوامل والروابط؛ فالأولى تقوِّي القول الواحد ولا تخرج عنه أو بين الأقوال ذات الحجة الواحدة، والثانية تربط بين الحجج.

إن العوامل "لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريباً، كاد، كثيراً، ما...إلا، وجل أدوات القصر"²¹.

لهذه المكونات دور بارز في توجيه العملية الحجاجية؛ فحضورها في خطاب ما يجعل منه خطاباً يتباين مع غيره من حيث الطاقة الحجاجية. ومما عدّ أيضاً من أنواع العوامل أسلوب الحصر والنفي، لهما وظيفة خاصة من نقل الخطاب من البعد الإخباري الإبلاغي إلى البعد الإقناعي الحجاجي.

إذا أحصينا مجمل الروابط المستعملة في حديث "أم زرع" نجد أكثرها حرف "الواو" وهو من روابط العطف التي تعطف حجتين متتاليتين، فمثلاً إذا تأملنا قول الزوجة الحادية عشرة: "زُوجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَسَ مِنْ حُلِيٍّ أَدْنَى، وَمَا مِنْ شَحْمٍ عَضْدَى، وَبَجَحْنِي فَبَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي، وَجَدْنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشَقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّنُ" نجد أنها استعانت في خطابها هذا بجليساتها بحرف "الواو" لتتدرج في قضيتها من أدنى حجة إلى أقواها، لتعزز قضيتها الحجاجية المتمثلة في وصف زوجها على العهد الذي عقدته مع النسوة، وهذه الحجج الموظفة أفاد رابط "الواو" فيها إفادة تساوقية؛ أي كل حجة تعزز التي بعدها وتقويها.

هذا الرِّبَط الحجاجي هو بين حجج متتالية، وهناك توظيف آخر لهذا الرِّبَاط يكمن في استعماله بين قضية وقضية أخرى، كقول الزوجة الثالثة: "رَوَجِي الْعَشَقُ إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ". والشاهد في قولها: إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ؛ إذ جاء الرِّبَاط ليجمع بين قضية أولى، وهي عبارة عن حجة ونتيجة (إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ)، ثم قضية ثانية وهي كذلك حجة ونتيجة (إِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ)، للتوضيح ندرج الجدول الآتي:

القضية الأولى	الرِّبَاط الحجاجي	القضية الثانية	النتيجة
إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ (حجة ونتيجة)	وَ	إِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ (حجة ونتيجة)	ضمنية وهي التعريض بالزوج

والملاحظ في هذا الحديث غياب العوامل الحجاجية إلّا ماورد في حديث الزوجة العاشرة: "مَا لِكُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمُبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ". فالعوامل المستعملة في هذه القضايا الحجاجية هي لفظتا "كثيرات، قليلات"، وهما وصفان أريد بهما تقوية لفظ "إبل" بجملة منعوتة لا لفظ لوحده؛ كون الجملتين "كثيراتُ الْمُبَارِكِ، قليلاتُ الْمَسَارِحِ" صفتين للإبل، وتقابل هاتين الصفتين على سبيل الطباق هو توضيح للوصف من منطلق المقولة البلاغية: "بالأضداد تُعرف المعاني".

3- 3- حجاجية الإيقاع:

الإيقاع آلية أخرى يعتمدها الحجاج في استمالة المتلقي، وبالرغم من أنها ليست آلية مباشرة للإقناع إلا أنها ترتبط بعنصر "الباتوس"²² المتعلق بالمخاطب، و"الإيقاع هو ذلك الانسياب، وهو عنصر يتوافر في الشعر و النثر، ويتضمن الحركة والشعور"²³، أو هو "تكرار الوقوع المطّرد للنّبضة أو النّبرة، وتدفّق الكلمات المنتظم في الشعر والنثر"²⁴، فلا يتحقّق الإيقاع إلا باستحضار قارئٍ ضمّني تتحرّك مشاعره وفق ذلك الإيقاع؛ حيث ينشأ "بفضل تلك الحركة المنبثقة من شعور المتلقي، فحركة الأحاسيس تسهم في حركة الإيقاع وبنائه"²⁵، والحقيقة أنّ الحديث عن الإيقاع يحيل إلى الشعر أكثر منه إلى النثر؛ ذلك أنّ الشعر ذو إيقاع منتظم وموسيقى خارجية تعتمد نظام التفعيلة وبحور الخليل؛ فهو بذلك إيقاع قبلي يعتمد هيكلًا موسيقيًا جاهزًا توضع فيه اللغة وتشكّل داخله، أمّا إيقاع النثر فهو غير منتظم أو بالأحرى هو إيقاع بعدي

ينشأ بعد اللغة نتيجة تجانس الحروف والكلمات والتراكيب. ولعلّ المفهوم السائد بأنّ الشعر متعلّق بالإيقاع دون الإقناع، والعكس بالعكس بالنسبة للنثر هو مفهوم سطحي وغير دقيق؛ إذ "لا ينبغي أن ينحى بالمعاني أبداً منحى واحداً من التخييل أو الإقناع ولكن تردف التخييلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية، والإقناعية في الخطابة بالشعرية"²⁶.

أمّا عن خطاب النّسوة في حديث أم زرع؛ فقد غلب عليه الجانب الإيقاعي أو الإيقاع الداخلي المتولد من كثرة الاسجاع، وليس غريباً على الخطاب النّسوي أن تكون المرأة أكثر إيلاعاً بالموسيقى وأقرب إلى القلب من العقل لذلك اتّسم حديث الزوجات بالتنافس على تغليف أفكارهم بثوب لغوي مترنم ذي أسجاع لا تكاد تنقطع وكأن التنافس بينهن تنافس إيقاعي. وأكثر من ذلك نلّفي تواشجاً إيقاعياً في بعض كلام النّسوة كتظافر السجع مع التوازي كقول الزوجة السادسة: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ. فالشاهد في قولها: إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ. فهذه الفواصل الإيقاعية مترتبة وعبرة عن حجج متوازية تخدم موضوعاً واحداً وهو كشف صفات الزوج في أقل ما يقال. لتوضيح هذه الحجج الإيقاعية نورد الجدول الآتي:

إِنْ / أَكَلَ / لَفًّا	إِنْ / شَرِبَ / اشْتَفَّ	إِنْ / اضْطَجَعَ / التَّفَّ
حجّة 1	حجّة 2	حجّة 3

4 - خاتمة "نتائج البحث":

- لعل الخطاب النسوي أميل إلى اللغة الرقيقة المرفهة ذات الإيقاع الظاهر والخفي والدلالة الواضحة المباشرة ذات الإيحاء السطحي القريب من ظاهر اللفظ.

- تكرار الحجج شبه المنطقية التي تعتمد المنطق وعلى رأسها حجج التناقض أو عدم الاتفاق هو أرقى استعمال لغوي يوظفه الخطاب النسوي للتعبير عن تناقض الرجال في معاملاتهم مع النساء، ومن شأن هذا الأسلوب الحجاجي أن يكون من صميم مباحث التداولية أو بالأحرى نظرية أفعال الكلام القائمة على إنجاز الأشياء بالكلمات؛ فهذا النوع من الخطاب النسوي يؤكد مقولة برلمان Perlman: "في الحجاج لا ينفصل العقل عن الإرادة ولا النظرية عن الممارسة"²⁷.

- حضور الإيقاع في الخطاب النسوي ينم عن سطحية دلالات هذا الجنس الخطابي ووضوحها، وهو ما يعكس طبيعة المرأة الأميل إلى الوضوح الفني في بلاغتها وأبعد من الغموض الفني في بلاغة الرجل وأسلوبه الأدبي.

- الخطاب بكل أجناسه مفتوحا على قراءات غير منتهية، لا سيما الخطاب النسوي لما له من خصوصيات، وطاقاته الحجاجية في تجدد دائم في ظل مقاربات حجاجية متنوعة (منطقية، بلاغية، لسانية) عرفت أسماء كبيرة (برلمان، ديكرو، أنسكمبر، تولمين)، ولم تزل تلك المقاربات تستقطر الخطاب عليها تستحدث رواافد حجاجية أخرى وتداولية، بعد استقراء غير منقطع للمتضمنات الخطابية التي لا تعرف حدودا معينة؛ كون الخطاب الإنساني يقبل أن تزلزله كل المقاربات الحجاجية والتداولية وغيرها؛ لكن هيهات أن تُخرج أثقاله.

- استطاع التحليل الحجاجي للخطاب النسوي وفق آلياته الحيادية أن يقارب النصوص التراثية في ظل انغلاق اجتماعي على واقع المرأة، ومقروئية محتشمة لخطابها؛ ليُخرجه من سرداب الإقصاء إلى صرح التداول.

- يمكن لهذه أن تفتح آفاقا بغية تحديث بعض المفاهيم والمصطلحات من شأنه أن ينصف المرأة في مقاربة خطابها، وتلقيه بعد تحيين معاني تلك المصطلحات وفق ما يستدعيه واقع الخطاب النسوي، ومعطياته الرأهنة.

الهوامش:

- 1 - صحيح البخاري (5/1988 ح4893) كتاب النكاح، باب حُسْنِ الْمَعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ، باب حسن المعاشرة مع الأهل. صحيح مسلم (4/1896 ح2448) كتاب فضائل الصحابة. باب ذكر حديث أم زرع.
- 2 - عبد الله صولة: في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص43.
- 3 - القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي: بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، تح: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي وآخرون، طبعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المملكة المغربية، دط، دت، ص48.
- 4 - باتريك شارودو Patrick charaudeau: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى)، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص44-45.
- 5 - عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص327.
- 6 - أكاديمي بلجيكي (1912-1984)، أستاذ بجامعة بروكسل، مؤسس ما يعرف بـ البلاغة الجديدة، من مؤلفاته: "البلاغة والفلسفة" (1952)، و"مصنف الحجاج" (1969)، و"الإمبراطورية البلاغية" (1977).
- 7 - الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص327.
- 8 - البيت من معلقة عمرو بن كلثوم وهو من الوافر.
- 9 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح، إبراهيم شمش الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003، ص208.
- 10 - أدرجها عبد الله صولة ضمن الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على المنطق أمّا سامية الدريدي فجعلتها من الحجج التي تعتمد على الرياضيات؛ فاخترنا الرأي الثاني كون التّعدية علاقة رياضية.
- 11 - ينظر: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص329.
- 12 - المرجع نفسه، ص330.
- 13 - ينظر: المرجع نفسه، ص331.
- 14 - علي الجارم؛ مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبدیع، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص177. والبيت نسب لمجهول.

- 15 - عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص335.
- 16 - عبد الله صولة: مرجع سابق، ص337.
- 17 - علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مكتبة الأدب المغربي، تونس، ط1، 2008، ص51.
- 18 - حمدو طماس: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ، 2004، ص31.
- 19 - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص376-377.
- 20 - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص376-377.
- 21 - أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمّو النّقاري، ص64.
- 22 - من مواضع التأثير الثلاثة التي اعتمدها أرسطو في تأسيسه للخطابة. للاستزادة يرجع إلى كتابة الخطابة (الريطوريا) بتحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي.
- 23 - مصلح عبد الفتّاح النّجار، أفنان عبد الفتّاح النّجار: الإيقاعات الرديفة والإيقاعات البديلة في الشعر العربي (رصد لأحوال التكرار، وتأصيل لعناصر الإيقاع الداخلي)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007، ص125.
- 24 - إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986، ص57.
- 25 - صبييرة قاسي: بنية الإيقاع في الشعر الجزائري المعاصر فترة التسعينات وما بعدها، إشراف: د. أحمد حيدوش، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف، 2010/2011، ص22.
- 26 - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، فيفري 2008، ص323.
- 27 - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ، 2005م، ص45.



البشير الإبراهيمي وحوادث الثامن ماي 1945م

Bashir Brahimi and the incidents of the eighth May 1945

عامر زناتي

جامعة غرداية

Ameur.zenati@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-08-24

ملخص -

إن حوادث الثامن ماي 1945م كانت بمثابة نقطة تحول إيجابية في تاريخ الحركة الوطنية بصفة عامة وحزب الشعب بصفة خاصة، فهي شأنها شأن الأعمال العظيمة والتحولات العميقة في حياة الشعوب فكانت مفاجئة في اندلاعها محدودة في مجالها الجغرافي وبعدها الزمني لكن خطيرة في نتائجها بعيدة الأثر في التطورات التي ترتب عنها، مما جعلها في ذاكرة التاريخ، مهدت لعهد جديد وبداية ملحمة خالدة في التاريخ الجزائري كان الفاتح من نوفمبر 1954م تتويجا لها، وتعتبر الكتابات التاريخية أن حوادث الثامن من ماي 1945م بمثابة الشرارة الأولى لانطلاق الثورة التحريرية، فقد أيقظت هذه المجازر النفوس، وتيقن الشعب الجزائري أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بها، ومن بين الكتاب الذين ساهموا في إيضاح حوادث 8 ماي نذكر: الربيع بوشامة، باعيز بن عمر، محمد العيد آل خليفة، محمد بوزواوي، حمزة بوكوشة... وغيرهم من الأدباء، غير أن أول مبادرة كانت من طرف محمد البشير الإبراهيمي الذي تفرد بكتابة مقالة وحيدة بمناسبة الذكرى الثالثة للمجازر في 10 ماي 1948م بعنوان ذكرى 8 ماي، كما نظم شعرا معبرا بمناسبة الذكرى الخامسة لها ونشره في 15 ماي 1950م بجريدة البصائر.

الكلمات الدالة -

مجازر 08 ماي 1945م، محمد البشير الإبراهيمي، الكتابة التاريخية، مظاهرات 08 ماي 1945م، كتابات البشير الإبراهيمي، أشعار البشير الإبراهيمي.

Abstract-

The Events Of May 8, 1945, Were A Positive Turning Point In The History Of The National Movement In General And The People's Party In Particular. Like The Great Actions And Profound Transformations In The Lives Of Peoples, They Were Sudden In Their Eruption, Limited In Their Geographical Scope And Time, But Serious In Their Far-Reaching Consequences In The Developments That It Resulted In It, Which Made It In The Memory Of History, Paved A New Era And The Beginning Of A Timeless Epic In Algerian History Was The Conqueror Of November 1954, The Culmination Of It, And The Historical Writings Consider That The Events Of The Eighth Of May 1945 AD As The First Spark Of The Start Of The Liberation Revolution, Has Awakened These Massacres Now The Algerian People Are Sure That What Was Taken By Force Is Only Recovered, And Among The Writers Who Contributed To The Clarification Of The Events Of 8 May, We Mention: Rabie Bouchama, Aziz Bin Omar, Mohammed Eid Al Khalifa, Mohamed Bouzouaoui, Hamza Boukoucha ... And Other Writers, However, The First Initiative Was By Mohamed Bashir Brahimi, Who Wrote A Single Article On The Occasion Of The Third Anniversary Of The Massacres On 10 May 1948 Entitled The Anniversary Of 8 May, And Organized Poetry Expressive On The Occasion Of The Fifth Anniversary And Published On 15 May 1950 In Al-Basair Newspaper.

Key Words-

The Massacres Of 08 May 1945, Mohamed Bashir Brahimi, Historical Writing, Demonstrations 08 May 1945, The Writings Of Bashir Brahimi. Poems Of Bashir Brahimi.

مقدمة:

اختلفت الآراء حول 08 ماي 1945م، وكذلك تعددت المصطلحات منهم من سماها بالانتفاضة ومنهم من سماها بالمجازر، وهناك من اعتبر ذلك اليوم بالحوادث، كما اختلفت الأسباب والدوافع التي أدت إلى حدوث هذه الحوادث والمجازر الأليمة، ومع ذلك تعتبر حوادث 08 ماي 1945م بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، فهي تعد الشرارة الأولى لانطلاقة الثورة التحريرية، كذلك تعددت الكتابات التاريخية حولها، ومن بين الذين تكلموا عنها الشيخ البشير الإبراهيمي، بمناسبة الذكرى الثالثة لهذه المجازر، فقد أفردها بمقال في 10 ماي 1948م بعنوان ذكرى 8 ماي 1945م، مبرزاً فيه وحشية الاستعمار الفرنسي وما وقع في هذه المجازر، فيما ترى كيف كانت كتاباته حول هذه المجازر؟.

أولاً: مظاهرات 08 ماي 1945م:

لم يرتح المستوطنون الأوروبيون بالجزائر للنشاط السياسي الذي قام به الزعماء الجزائريون خلال الحرب العالمية الثانية، خاصة جماعة أحباب البيان والحرية الذين كانوا خارج السجون والمعتقلات، وكان وجود قوات الحلفاء بالجزائر مانعاً لهم للقيام بقهر هذا النشاط السياسي، وعندما رحلت هذه القوات إلى أوروبا بدأ هؤلاء يسعون لإيجاد الأسباب والمبررات للانتقام من الجزائريين وتحطيم مساعيهم السلمية من جهة، وإعادة الاعتبار للجيش الفرنسي والرفع من معنوياته بعد الهزيمة التي مني بها أمام ألمانيا النازية، وتخويف الشعوب المستمرة الخاضعة لها من جهة أخرى، ووجدوا مساندة من الدوائر الاستعمارية المسؤولة التي قامت بتأجيل إجراء الانتخابات البلدية وتعطيل إصلاحات مرسوم 07 مارس 1944م، وكان كاربونيل عامل عمالة قسنطينة والمعمربو عضو رابطة شيوخ البلديات من كبار المتحمسين للقيام بهذه الإجراءات والممهدين للمجزرة⁽¹⁾ وبذلك يؤكد عامر رخيلا أنه كان هناك وجود سبق وإصرار وترصد في وسط المستوطنين للإقدام على أفعال وارتكاب مجازر ضد المسلمين تظهر مدى عدم موافقة المستوطنين الأوروبيين في الجزائر على الإصلاحات التي وعدت بها حكومتهم المسلمين فيما عرف بمرسوم 07 مارس 1944م⁽²⁾.

إن مجاز 08 ماي 1945م تعود خلفياتها إلى التطورات الحاصلة في مسار الحركة الوطنية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، وما صاحب ذلك تغييرات سياسية واقتصادية أثرت على الشعب الجزائري بصفة عامة، وعلى زعماء الحركة الوطنية بصفة خاصة ويظهر ذلك جليا من خلال المذكرة المقدمة من قبل فرحات عباس في 10 أبريل 1941م التي تضمنت جملة من المطالب السياسية والاقتصادية، ثم بعد ذلك صدر بيان فيفيري 1943م الذي تم تحريره بعد مشاورات مع مختلف أطراف الحركة الوطنية الجزائرية⁽³⁾ والملاحظ أن ذلك الوعي السياسي وتلك المطالب قد قدمت للمستعمر الذي ظل يراقب عن كثب تلك التطورات .

لقد أفرزت الحرب العالمية الثانية متغيرات جديدة أهمها تراجع الدول الاستعمارية التقليدية واجتماع الدول المنتصرة في سان فرانسيسكو لتأسيس هيئة الأمم المتحدة، والتي نصت مادتها الثالثة والسبعون من ميثاقها بحق الشعوب في تقرير مصيرها وهو ما حرك شعوب المغرب العربي، وساد في أوساط الرأي العام الجزائري اعتقاد أن ساعة التحرر آن وأنها، وهذا الإحساس هو ما كانت تعبر عنه حركة أحباب البيان والحرية ومناضلي حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين، وعلى أي حال أن الجو العام في الجزائر قبل الانتفاضة بات مشحونا ومتوترا خاصة بعد أمرية 07 مارس 1944م المرفوضة من الشعب جملة وتفصيلا⁽⁴⁾ وهو ما يؤكد على النضج السياسي الذي وصل إليه الشعب الجزائري، الذي رأى عدم التزام فرنسا بوعودها أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي شهر فيفيري 1945م قام الوطنيون بتوزيع منشور في المدن الجزائرية جاء فيه (...أيها الأخوة المسلمون إن حياة بلادكم في خطر فالاستعمار قد خربها ماديا، إن الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي، فاللغة العربية مضطهدة منذ الاحتلال والإسلام أصبح محل سخرية، أن كرامتنا لا يضمن لها الاحترام إلا في إطار كيان جزائري وحكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائري وترفض أي سيادة أجنبية، ومن أجل هذا الهدف مات إخوتكم في الزنازن، وهم يعانون في السجون والمحتشدات ومنهم من يناضل بحماس في إطار الشرعية أو في الخفاء...) ⁽⁵⁾ ونجد أن تلك المنشورات قد تضاعفت خلال ربيع 1945م وظهرت معها الصحف السرية من ذلك المنشور الذي أصدره حزب الشعب

المنحل والذي طلب فيه من أعضائه تسليح أنفسهم بسرعة في وجه التطورات الجديدة⁽⁶⁾.

لذلك ارتأى الوطنيون أنه قد حان الوقت لمطالبة فرنسا لمطالبة فرنسا بإرضاء مطالبهم السياسية المتمثلة في التحرر من الاستعمار، فالاحتفال بالنصر على الهتلرية والنازية فرصة ثمينة للتعبير عن تلك المطالب ولتذكير فرنسا بأن الجزائريين شاركوا في تحريرها ويريدون الآن حقوقهم، ففي الحرب العالمية الأولى شارك 172749 جزائرياً في المعارك، أما في الحرب العالمية الثانية فقد جند أكثر من 123000 جزائري بين سنتي 1939م - 1940م أصبحوا 134000 في الفترة ما بين 1943م - 1945م⁽⁷⁾

بلغت أخبار تناقلها المناضلون، مفادها أن يوم السابع ماي سيكون تاريخ وقف إطلاق النار بين فرنسا وألمانيا، وبمجرد أن أعلن الخبر في مدينة سطيف من طرف السلطات الاستعمارية، خرج المستوطنون الفرنسيون مساء السابع ماي إلى الشوارع مظهرين مبلغ فرحتهم وبهجتهم يعلنون أمام المأ من خلال مكبرات الصوت دعوة أبناء الشعب الجزائري للتضامن معهم وكانت بدون جدوى⁽⁸⁾ فقد كان الجزائريون يرون أنه قد حانت ساعة التعبير عن المشاعر الوطنية وعن إيمانهم بالحرية كغيرهم من شعوب العالم، وهذا النوع كاف لتفجير الوضع لأن الفرنسيين لا يتقبلونه، سيما وأنهم كانوا يتربصون بالجزائريين من مدة طويلة، وها هي الفرصة قد حانت على العموم والجو كان مكهرباً⁽⁹⁾ وفي صباح يوم 08 ماي⁽¹⁰⁾ قامت الكشافة الإسلامية الجزائرية بعد حصولها على رخصة رسمية بتنظيم مسيرة في الشارع الرئيسي من سطيف لوضع إكليلا من الزهور على النصب التذكاري في إطار احتفالات بيوم النصر، نظمت هذه المسيرة بدون شك من طرف الفروع المحلية لكل من حزب الشعب و أحباب البيان⁽¹¹⁾ وتقدم المسيرة حوالي 200 من عناصر الكشافة الإسلامية باللباس الرسمي ومتبوعين بحاملي الزهور ثم الجماهير الشعبية، رافعين رايات الحلفاء ولافتات كتبت عليها عبارات (أطلقوا سراح قادتنا المسجونين، تحيا الجزائر، نريد المساواة، عاشت الجزائر مستقلة، يسقط الاستعمار، الديمقراطية للجميع ...) ويتقدم هذا الموكب الشاب بوزيد سعال صاحب 24 عاما يحمل العلم الوطني، وبعد أن وصل الموكب إلى مقهى فرنسا بوسط المدينة طلب محافظ الشرطة القضائية

أوليفيري Olivieri بسحب العلم الجزائري، وقد تدخل لنزع العلم مع المفتش لافون Lafont وأطلق الرصاص على حامل الراية وأسقطه شهيدا، كان ذلك بمثابة الفتيل الذي أشعل نيران الحوادث الدامية والمؤلة⁽¹²⁾ وتدخلت الشرطة لتلاحق المتظاهرين لا لتفريقهم ولكن لإطلاق النار عشوائيا عليهم فكانت الحصيلة عند الساعة الحادية عشر حوالي 12 قتيل⁽¹³⁾ ولم تقتصر الاستفزازات على مدينة سطيف لوحدها بل امتدت إلى أكثر مدن وقرى ودواوير القطر، خاصة قالمه ونواحيها، وخراطة ودواويرها، كما أن الفرنسيين اشتركوا في العمليات الاستفزازية دون استثناء، واشترك في عمليات الإبادة القوات البرية والجوية والبحرية، فضلا عن الشرطة والجندرية والميليشيات⁽¹⁴⁾ وأسفرت العمليات عن استشهاد ما يزيد عن 45000 شهيد من الجزائريين⁽¹⁵⁾ وعشرات الألوف من المسجونين، وإعدام العشرات دون محاكمة⁽¹⁶⁾ ويذكر أبو القاسم سعد الله أن التقديرات الجزائرية تتراوح بين 45000 و 100000 شهيد أما التقديرات الأجنبية فتختلف أيضا، فبعضها يقترب من إحصاء الفرنسيين وبعضها يقترب من إحصاء الجزائريين، وهي في الغالب من 50000 إلى 70000 شهيد⁽¹⁷⁾ بعد هذه الأحداث الدموية تم إبعاد مصالي الحاج من الجزائر إلى الغابون وتم اعتقال فرحات عباس والدكتور سعدان يوم 08 ماي 1945م في الوقت الذي كانا فيه في مقر الولاية العامة على الساعة العاشرة والنصف، كما ألقى القبض على الشيخ البشير الإبراهيمي، وأهم عناصر الحركة الوطنية كما حلت الأحزاب السياسية⁽¹⁸⁾.

لم تستغرق مجازر 08 ماي 1945م أكثر من 15 يوما، ولم تكن والحق يقال أكثر من شعلة مستمرة سرعان ما تم إخمادها، مقارنة مع ثورة 1871م - 1872م وثورة أولاد سيدي الشيخ 1881م اللتين استغرقتا عدة شهور ومع ذلك فقد عززت شعور الشعب بانتمائه إلى وطن ينكر المحتل وجوده، كما كشفت للعالم عن وجود جزائر تتطلع لاستعادة هويتها وانتزاع استقلالها⁽¹⁹⁾.

ثانيا: بداية الكتابات حول المجازر:

يمكن أن نطلق على بداية سنة 1945م بنشأة الفكرة الثورية والوطنية بالنظر إلى الوعي الوطني الذي ميز هذه المرحلة⁽²⁰⁾ فقد أشار أجرون إلى حالة الأهالي المسلمين التي ميزها وعيهم الوطني ورغبتهم في التحرر، فيذكر بأنه في مدينة

سطيف وجدت عدة كتابات تدعو إلى الاستقلال والتحرر (... أيها الجزائريون قاوموا من أجل الحرية و ضد الاضطهاد، إن هدفنا واحد هو انتصار حزب الشعب، وإن وسيلتنا وحيدة هي الثورة ... الجزائر عربية...) ⁽²¹⁾ و يصور روبير آجرون هذه المرحلة نقلا عن أحد المعاصرين قوله (... لقد ظهرت مجموعة من العبارات مثل استعدوا فإن ساعة الصفر قد قربت، فلنعد أنفسنا للثورة أيها الجزائريون ، حاربوا من أجل الحرية أيها الجزائريون إن الجبال تناديكم فساعة التحرير قد قربت) ⁽²²⁾ و نفهم من هذا أن هذه الأجواء المشحونة في الجزائر عجلت بهذه الأحداث الدامية ⁽²³⁾ التي أكدت بأن فرنسا رأت من الضروري كبح جماح الجزائريين، خاصة عندما رأت التقارب بين التيارات الوطنية وأيضا ازدياد شعبية التيار الوطني الاستقلالي الذي استغل هذه الظروف وسعى إلى تمرير أفكاره الاستقلالية مما جعل الإدارة الاستعمارية تتخوف من القيام ثورة في الجزائر .

لقد كانت الجزائر مسرحا لأكبر الأحداث الوطنية والعالمية، فقد انعقد فيها مؤتمر شعبي لأول مرة (المؤتمر الإسلامي 1936) ⁽²⁴⁾ شاركت فيه العديد من الهيئات الوطنية، فتحدث فيه الخطباء عن تاريخ الجزائر وحاضرها واصفين آلام الشعب وآماله، فقد كان هذا المؤتمر نقطة انطلاق كبيرة في تاريخ الكفاح الجزائري، لأنه عمل على تنبيه الشعب إلى الذاتية الجزائرية ⁽²⁵⁾.

ورغم فشل المؤتمر في تحقيق مطالب الأحزاب، واصل العلماء أمثال محمد البشير الإبراهيمي ⁽²⁶⁾ نضالهم من أجل تحقيق الوحدة الشعبية والوطنية بإصدار مجموعة من المقالات والأشعار في الصحف الوطنية آنذاك، واستمرت حملات التوعية إلى أن أصدرت السلطات الفرنسية قرارا بحل هذه الأحزاب والصحف مع بداية الحرب العالمية الثانية ⁽²⁷⁾.

كما ساهمت ظهور الكتابات أعقاب الحرب العالمية الثانية، خاصة بعد صدور جريدة البصائر في سلسلتها الثانية عام 1947م وغيرها من الجرائد كالمنازل ⁽²⁸⁾ والتي لعبت دورا هاما في الدفاع عن عروبة الجزائر وإسلامها ⁽²⁹⁾ كما عملت على توعية الشعب من السياسة الاستعمارية وكشف جرائمها خصوصا بعد حوادث الثامن ماي 1945م.

ومن بين الكتاب الذين ساهموا في إيضاح حوادث 8 ماي نذكر: الربيع بوشامة، باعزیز بن عمر، محمد العيد آل خليفة، محمد بوزواوي، حمزة بوكوشة... وغيرهم من الأدباء، غير أن أول مبادرة كانت من طرف محمد البشير الإبراهيمي الذي تفرد بكتابة مقالة وحيدة بمناسبة الذكرى الثالثة للمجازر في 10 ماي 1948 بعنوان ذكرى 8 ماي، كما نظم شعرا معبرا بمناسبة الذكرى الخامسة لها ونشره في 15 ماي 1950 بجريدة البصائر⁽³⁰⁾.

ثالثا: كتابات الإبراهيمي حول المجازر:

حاول الإبراهيمي بما كتبه عن هذه المجازر كشف نوايا الاستعمار الفرنسي حيث يعتبر أن هذه الحادثة ستبقى راسخة في تاريخه، ويقول في هذا الصدد: " لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالة وخراطة، لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"⁽³¹⁾.

ويُرجع الإبراهيمي سبب هذه المجزرة إلى تدبير المعمرين لها، خاصة بعد صدور أمرية ديغول 1944م والتي تمنح حق المواطنة الفرنسية للجزائريين، فقد اعتبره المعمرين خطرا على مستقبلهم في البلاد، وهذا ما زاد المعمرين حقدًا، حيث يذكر في هذا الصدد قائلا (... في يوم إنهاء الحرب دبر المعمرين مذبحه 8 ماي 1945م وكانت قسنطينة مسرح الحوادث الدامية الفظيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين ضد الأهالي الأمنين، هذه الحوادث التي دبرها الاستعمار وأهله...)⁽³²⁾

كما أن للحرب العالمية الثانية أثرت على المجتمع الجزائري، وذلك من خلال السياسة الاقتصادية التي اتبعتها فرنسا المتمثلة في نهب خيرات الجزائر لتغذية الوطن الأم في الحرب دون مراعاة الجزائريين الذين عانوا من مجاعة وفقر، فقد أشار الإبراهيمي إلى هذا (...أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب كما حلت بغيرها وذاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرعت الشكل أمهاتها واليتيم أطفالها، وأكلت شبابها، وقطعت أسبابها، وصيلت نار الحرب ولم تكن من جناتها، وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من غير شرف، في حين كانت الأمم تقتل على الملك، والملك مجد وسيادة، وعلى الحرية، والحرية حياة وعزة...)⁽³³⁾

ويضيف البشير الإبراهيمي (... فلما سكن الإعصار وتنفّست الأمم في جوّ من السلم، وتهيات كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها، وكلّ أم أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك ويغتال عباده بهذه، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم...) (34) ومفاد هذا أن فرنسا طلبت من الجزائريين مساندتها في الحرب العالمية الثانية ضد النازية بتجنيد شبابها مقابل وعود قدمتها فرنسا بمنحهم الاستقلال والحرية في حالة انتصارها في الحرب.

ويذكر أحمد مريوش اعتراف الإبراهيمي بأن الصراعات والتضامن الذي حدث بين الأحزاب قد أثر سلبا على مستقبل القضية الجزائرية، وعليه فقد دعا إلى ضرورة التعاون والوحدة لثمين الجهود بقوله (... لك الله، أيها الشعب المعذب، لقد هنت عليهم حين هنت على نفسك إنهم ما ضربوك إلا بعد أن جربوك، وما جرفوك إلا بعد أن عرفوك، وما جنوا عليك واتهموك إلا بعد أن قرأوك وفهموك، فلا تلمهم، ونفسك فلم، وغير ما بنفسك وهلم...) (35).

والملاحظ بأن النخبة الإصلاحية في هذه الأجواء المضطربة، غلب عليها الحزن واليأس والإحباط من جراء هذه الحوادث التي عرفت مناطق عدة من الوطن و قد صور الإبراهيمي لمجلة المصور المصرية الحوادث والمجازر الرهيبة التي ارتكبتها السلطات الاستعمارية قائلا (... في يوم انتهاء الحرب دبر المعمرون مذبحه 8 مايو، وكانت قسنطينة مسرحا لهذه الحوادث الدامية الفضيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين مع الأهالي الأمنين، الحوادث التي دبرتها الاستعمار وأهله...) (36) وفي نفس المجلة يصور ويصف بشاعة هذه المجازر بقوله (... لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخر هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالة وخراطة، لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله...) (37).

ثم يذكر الإبراهيمي فرنسا بوقوف الجزائريين إلى جانبها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ليكون نتيجة هذا الخبر مشاهد تندى لها الجبين، وصور من الطغيان والبشاعة ويقول في ذلك: (... لك الوليل أيها الاستعمار، أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة، في سبيل العسرة فأنجذك

واستصرخته حين أيقنت بالعدو فأوجدك ؟ أهذا جزاء من كان يسهر و أبنائك نيام... (38).

بالإضافة إلى الشعارات التي رفعها الميثاق الأطلسي خاصة فيما يتعلق بحق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها، والتي علق عليها الجزائريين آمالا وهو ما شجعهم على مراسلة الحلفاء، غير أن ردهم كان مخيبا للآمال، حيث يذكر (...أما هذه الأمة فكانت تقاتل لخيال من أمل، وذماء من حياة، وصباة من رجاء، وخلب من وعد علا نداؤه، وتجاوبت في الخافقين أصداؤه، من ديمقراطية زائفة كذب نبئها (39) مرتين في جيل واحد...) (40).

وقد ذكر الإبراهيمي فرنسا بشجاعة الجزائريين وتضحيتهم التي قدموها من أجل تحرير بلادهم، لكنها تجاهلت مواقف الجزائريين وارتكبت جريمة في حقهم، وهذا ما عبر عنه في قوله (... لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأجندك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبنائك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شارك في النصر لا في الغنيمة ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا، والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محروقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء؟...) (41).

كما أشار الإبراهيمي إلى تخلف فرنسا عن وعودها للجزائريين، فجازتهم بالتقتيل والتعذيب، حين قال (...ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، ويحدثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم، وليرمم جداره بهدم ديارهم، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو، وجعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد، وعطفه على عدو الأمس المشترك عطفًا بالفاء لا بثم؛ وكذلك كان، فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدق بالنصر، وعلى عشائر من «المنتصرين» تساق إلى النحر...) (42).

وقد تطرق إلى احتفال الفرنسيين بعيد النصر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وإعلان الحرب على الجزائريين عندما خرجوا للاحتفال معهم مطالبين

منحهم الحرية والاستقلال... وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير، وأخرى للتدمير، وعلى أخبار تؤذن بأن الدماء رقات في العالم كله، وأخرى تقول: إن الدماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة، وفي لحظة واحدة تسمع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، وابتدأت صباح اليوم في الجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد...⁽⁴³⁾.

أما فيما يخص وصفه ليوم الثامن ماي من سنة 1945م الذي وضع فيه همجية الاستعمار فيقول: (... يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرر الحواشي بالدماء المطولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمس طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، وغبت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين...)⁽⁴⁴⁾.

ويذكر الإبراهيمي فضاغة الاستعمار التي قضت على الحرث والنسل والأخضر واليابس، واعتبر أن ما ارتكبه الفرنسيين في هذه الحوادث فاق بكثير ما فعله فرعون في أهله (... ويحهم! أهى حملة حربية... انجلت عن تلك الفضاء الوحشية التي تكفي وحدها لتلطخ تاريخ فرنسا بالسواد من تحريق للديار وإتلاف للثمار ونهب للأموال وتقتيل للرجال وتذبيح للشيوخ والنساء والأطفال وانتهاك للحرمان الإنسانية، مما لو رآه فرعون لافتخر بفترات ما فاته منه، فقد كان يذبج الأبناء ويستحي النساء...)⁽⁴⁵⁾.

بالإضافة إلى تحدّثه عن سياسة فرنسا التعسفية منذ دخولها إلى الجزائر وصولاً إلى مجزرة الثامن ماي 1945م، حيث يقول (... أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم تُعمى... أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات، بل دهره، كله يوم نحس مستمر، مُحيت الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلّها سود حوالك، يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمة آمنة مطمئنة؛ وأين قتلى ضمخت دماؤها الغريين⁽⁴⁶⁾، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى ماء البحار أشكل...)⁽⁴⁷⁾.

وقد تكلم عن موبقات السياسة التدميرية في الجزائر وما فعلته فرنسا بهذا الشعب الأعزل في حوادث 8 ماي 1945م: (... يوم ليس بالغريب عن «رؤنمة» الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن، فكّم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن

يُجعل -عن قصد - ختاماً لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها، لو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنه تجربة، كما يجرب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل...⁽⁴⁸⁾.

كما وقف البشير الإبراهيمي على نتائج هذه المجازر معبرا عن وحشية المستعمر، فذكرى الثامن ماي هي ذكرى لضحايا التي بلغت 45 ألف شهيداً، وفي هذا الشأن يقول: (...وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضعفاء، وإحراق قرى وتدمير مساكن، واستباحة حُرُمات ونهب أموال، وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال؛ ذلكم هو يوم 8 ماي...)⁽⁴⁹⁾.

وفي نفس المقام يذكر: (... يا يوم!...الله دماء بريئة أريقَت فيك، والله أعراض طاهرة انتهكت فيك، والله أموال محترمة استُبيحت فيك، والله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، والله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم المكر بهنّ أن مُنعن من الإرث والتزوج، والله صُبابة أموال أبقتها يد العائثين، وحُبست فلم تُقسم على الوارثين...)⁽⁵⁰⁾.

وقد وعد الإبراهيمي شهداء الثامن ماي 1945م بعدم نسيان ذكراهم التي خلدها التاريخ، فيذكر في هذا الشأن: (... يا يوم!... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تُنسى، فكنْ من أية سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكل ما لك علينا من دين أن نحیی ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب أن ندوّن تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس...)⁽⁵¹⁾.

وعلق الإبراهيمي عن حوادث 8 ماي 1945م واعتبرها ثورة فاصلة بين عهدين، بل راح إلى أبعد من ذلك بحيث يرى أنه حان وقت الاستعداد للعمل المسلح والمطالبة بجميع الحقوق، ويذكر في هذا الصدد: (...إن معركة الثامن ماي 1945م ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع الحقوق المهضومة طال الزمن أم قصر...)⁽⁵²⁾.

رابعا: أشعار الإبراهيمي حول مجازر 08 ماي 1945م :

لم يكتفِ الإبراهيمي بكتابة المقالة فحسب حول هذه المجازر، بل نظم لها شعراً لتخليد ذكراها المؤلمة والتي ستبقى راسخة في الأذهان على مر الأجيال والعصور. فنظم قصيدة حول هذه المجازر من اثنان وعشرين بيتاً، حيث يذكر

فيها همجية المستعمر بقتله الآلاف من الجزائريين دون تمييز بين الشيوخ والنساء والأطفال قائلًا:

ذكراك يا يوم ... تحز في الأحشا.
إذا أقبل القوم ... وحش تلا وحشا.
يا يوم لم تشرق ... شمس على مثلك.
آل الضحى مُغرق ... والملتجى مُهلك⁽⁵³⁾.
ذكراك يا يوم ... لا تأتلي حوما.
تعتاد في النوم ... فتطرد النومًا.
ريع الحمى فيكا ... والأهل في غفله.
لم يعف عافيك ... طفلًا ولا طفله⁽⁵⁴⁾.
فيك اعترت له ... رهطًا من الشمس.
فقتلوا أمه ... أحيتهم أمس.
ساقط لهم نصرا ... جازوه بالكسر.
كمن فدى الأسرى ... فبات في الأسر⁽⁵⁵⁾.
لهفي على هاو ... على شفا العمر.
قد تلّه غاو ... فخسر للصدر.
ما خبّ أو أوضع ... إلا الشقا أمّه.
لهفي على مُرضع ... قد عفرت أمّه.
قد تلّه غاو ... فخسر للصدر.
ما خبّ أو أوضع ... إلا الشقا أمّه.
لهفي على مُرضع ... قد عفرت أمّه.
الشعب مسته ... فيك اليد العسرا.
أضحى فمسته ... بالضّر العسرى.
يا يوم ذكراكا ... لم تبرح البالا.
لوطاف مسراكا ... بالليث ما صالا.
زرعت أحساكا ... منبتها الصدر.
فكيف نناكا ... إنا إذن غدر⁽⁵⁶⁾.

أكد البشير الإبراهيمي من خلال هذه القصيدة على همجية الاستعمار ووحشيته، فهو ليس ككل الأيام ولا يمكن أن تمحى ذكره من ذاكرة الشعب الجزائري.

الخاتمة :

إن هذه المجازر تمثل مرحلة هامة من تاريخ الجزائر إذ يمكن تسميتها بنشأة الفكرة الثورية و الوطنية بالنظر إلى الوعي الوطني الذي ميز هذه المرحلة، و مهما يكن فإن المجازر التي عرفت الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أكدت بصورة لا تدع مجالا للشك بأن نية السلطات الاستعمارية، قد كانت من أجل كسر شوكة التلاحم الوطني، و القضاء على أي محاولة لضرب السيادة الفرنسية، و القضاء على الطموح الاستقلالي و الذي راود الوطنيين خلال هذه المرحلة، فكانت حوادث و مجازر ماي 1945م بداية القطيعة بين الشعب الجزائري و الإدارة الفرنسية التي كان ينتظر منها تطبيق وعودها بعد انتصار الحلفاء، كما كانت بمثابة نقطة تحول إيجابية في تاريخ الحركة الوطنية بصفة عامة وحزب الشعب بصفة خاصة، فهي شأنها شأن الأعمال العظيمة والتحويلات العميقة في حياة الشعوب كانت مفاجئة في اندلاعها محدودة في مجالها الجغرافي وبعدها الزمني لكن خطيرة في نتائجها بعيدة الأثر في التطورات التي ترتب عنها مما جعلها في ذاكرة التاريخ، مهدت لعهد جديد وبداية ملحمة خالدة في التاريخ الجزائري كان الفاتح من نوفمبر 1954م تتويجا لها.

الهوامش:

- 1 - يحي بوعزيز، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912م - 1948م الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 112.
- 2 - عامر رخيطة، 08 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 61.
- 3 - شبوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939م - 1945م) دراسة سياسية اقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران 01، الجزائر، 2015م، ص 211.
- 4 - زبير رشيد، انتفاضة ماي 1945م هل كانت من تدبير حزب الشعب الجزائري أم مؤامرة كولونيالية؟، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جانفي 2015م، جامعة الشلف، الجزائر، 2015م، ص 101.
- 5 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 231.
- 6- نفسه.
- 7- بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954م معالمها الأساسية، دار النعمان، الجزائر، 2014م، ص 130.
- 8- عثمان الطاهر علي، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الإشهار، الجزائر، 1996م، ص 14.
- 9- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830م - 1954م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 1992م، ص 239.
- 10- ذكر أحمد محساس أن السيد فرحات عباس كتب عن هذا اليوم "08 ماي 1945م كان يوم الثلاثاء وهو يوم سوق أسبوعية تستقبل مدينة سطيف في مثل هذا اليوم ما بين 05 و 15 ألف شخص من الفلاحين والتجار القادمين من المناطق المجاورة" أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود ومحسن عباس، دار القصبة، الجزائر، 2003م، ص 238.
- 11- كان هناك خلاف حول من دعا إلى هذه المظاهرات هل هو حزب الشعب أم حركة أحباب البيان؟ فشوقي مصطفى عضو إدارة حزب الشعب يؤكد بأنه هو الذي حرر أمر الدعوة لتنظيم المظاهرات، أم الأمين دباغين فيذكر أن أحباب البيان والحرية هي التي دعت إلى هذه المظاهرات. محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة، الجزائر، 2009م، ص 64.
- 12- محمد بلعباس، نفسه، ص 65.
- 13- عامر رخيطة، 08 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 73.

- 14- تذكر المصادر أنه قتل من الجانب الفرنسي حوالي 88 فرنسيا و 150 جريحا. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 239.
 - 15- تشير الإحصائيات بأن 8560 جزائري تعرضوا للاعتقال منهم 3696 في اقليم قسنطينة و 505 في وهران 359 في الجزائر العاصمة وهذا في شهر نوفمبر 1945م. أحمد محساس، المصدر السابق، ص 242.
 - 16- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 240.
 - 17- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص 239.
 - 18- أحمد محساس، المصدر السابق، ص 243.
 - 19- بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954م، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط 02، دار الشاطبية الجزائر، 2012م، ص 147.
 - 20 - يذكر الزبيري محمد العربي بأن الأمين دباغين و حسين عسلة قد زار مصالي في سجنه بقصر شلالة وأطلعوه على الوضع و أن الوقت قد حان للقيام بثورة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و أن مصالي وافق على المشروع و نظرا لرد فعل فرنسا القوي و ارتكابها لمجازر بشعة بتوقف المشروع الثوري كما يذكر الزبيري في اجتماع أعضاء الحزب في 18 ماي أنظر : الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999م، ص ص 65 و 69. و يشير محمد قنانش إلى هذه الزيارة التي تمت في أفريل 1945 أنظر محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945 ، منشورات دحلب 1990، ص 63.
 - 21 Charles Roberte Augeron : Histoire de L'Algérie Contemporaine (1871 - 1945) ; T 2, 1ere ed, Presse Universitaires De France , Paris, 1997, p549.
 - 22 - Aron Robert : Les Origines de La Guerre d'Algérie . Paris : Ed . Fayard . 1962. P 161
 - 23 - إن نشاط الحركة الوطنية بعد البيان وخلال فترة ديغول و خاصة خطابه في قسنطينة يوم 12 ديسمبر 1943 و أمرية مارس 1944 ، جعل السلطات الاستعمارية تتحين الفرصة للانتقام من هذا النشاط فكانت مجازر 8 ماي 1945 وجه من أوجه الانتقام .
 - 24- انعقد المؤتمر الإسلامي في 7 جوان 1936م في قاعة السينما الماجستيك في الجزائر العاصمة وحضره العلماء والمنتخبون الجزائريون والاشتراكيون والشيوعيون الجزائريون، وقد طالب المؤتمر بمابلي:
- ✓ إلغاء قوانين الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.
 - ✓ اعتبار اللغة العربية لغة دراسة بالمدارس الجزائرية.
 - ✓ فصل الشؤون الدينية عن الدولة.

- ✓ إلحاق الجزائر بفرنسا مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية.
- ✓ العفو السياسي.
- ✓ إعادة أموال الأوقاف إلى جماعة المسلمين.
- ✓ حرية الصحافة العربية. أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح " مذكرات"، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 365.
- 52 – أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 41.
- 26- البشير الإبراهيمي: ولد في 14 جوان 1889م براس الوادي نواحي سطيف، عضو مؤسس لجمعية العلماء المسلمين و أحد رجالات الحركة الإصلاحية في الجزائر، سافر إلى سوريا وهناك تعلم و اشتغل مدرسا في المدرسة الأموية ثم جامع الأمويين بدمشق 1912م -1922م، وحين عودته إلى الجزائر شارك إلى جانب عبد الحميد بن باديس في تأسيس جريدة الشهاب ثم تأسيس جمعية العلماء المسلمين في ماي 1931م، أصبح نائب لرئيس الجمعية، ثم أصبح رئيسا لها بعد وفاة عبد الحميد بن باديس، توفي في 20 ماي 1965م. أنظر: رشيد بن يوب، دليل الجزائر السياسي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1999م، ص 107. وأنظر أيضا: بشير بلاح، المرجع السابق، ص 422.
- 27 – نفسه، ص 42.
- 28 – جريدة المنار: أسسها محمود أبو زوزو، وهي صحيفة نصف شهرية كانت مستقلة في الظاهر لكنها تابعة لحزب الشعب، استمر صدورها إلى غاية نوفمبر من سنة 1954، ثم استقلت عن الحزب وتوقفت. عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر (دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954م - 1962م)، د ط، م و ك، الجزائر، 1985م، ص 45.
- 29 – حكيم سليمان، صدى أحداث 8 ماي 1945 في أدبيات الحركة الوطنية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م، ص 07.
- 30 – عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 -1962)، د ط، م. م. و. د. ب. ح. و. ث. ف. ن، الجزائر، 2003م، ج 2، ص 182.
- 31 – سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، د ت، دار هومة للنشر، الجزائر، 2005م، ص 30.
- 32 – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، المصدر السابق، ص 249.
- 33 – محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط3، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011، ج 3، ص 334.
- 34 – نفسه، ص 334.
- 35 – أحمد مريوش، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث الثامن ماي 1945م، "مجلة الدراسات التاريخية"، معهد التاريخ، دورية، العدد، 10 جامعة الجزائر، 1997م، ص 134.

- 37 - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 - 1945، الطبعة 1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، دت، ص 270.
- نفسه. 37
- الإبراهيمي: عيون البصائر، مصدر سابق، ج2، ص ص 371 372 38
- 39 - نبيها: هو الولايات المتحدة الأمريكية. مرتين: إشارة إلى عود أمريكا في الحرين العالميتين. أنظر: محمد البشير الإبراهيمي، آثار عيون البصائر، ج3، المصدر السابق، ص 334.
- 40 - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 132.
- 41 - محمد الصالح الصديق، أيام خالدة في حياة الجزائر، دط، منشورات ENAG، الجزائر، 2007، ص ص 32 33.
- 42 - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دط، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2007، ص 370.
- 43 - محمد البشير الإبراهيمي، من مآثر ذكرى 8 ماي، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، السنة الثانية، 1995، العدد 2، ص 7.
- 44 - حكيم سليمان، صدى أحداث 8 ماي 1945 في أدبيات الحركة الوطنية، ص 22. وأنظر أيضا: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 435.
- 45 - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 133.
- 46 - الغريان: بناءا قرب الكوفة كان النعمان يلطخها بدماء قتلاه. محمد البشير الإبراهيمي، آثار (عيون البصائر)، ج3، المصدر السابق، ص 334.
- 47 - محمد البشير الإبراهيمي، ذكرى 8 ماي، "جريدة البصائر"، ج.ع.م.ج، أسبوعية، السلسلة الثانية، السنة الثانية، العدد 35، الجزائر، 1948، ص 269.
- 48 - محمد البشير الإبراهيمي، ذكرى 8 ماي، المصدر السابق، ص 269.
- 49 - نفسه.
- 50 - محمد البشر الإبراهيمي، آثار، ج3، المصدر السابق، ص 335.
- 51 - نفسه.
- 52 - محمد خير الدين، مذكرات، ج2، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م، ص 16.
- 53 - صالح خريفي، الشعر الجزائري، دط، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1984م، ص 212.
- 54 - حكيم سليمان، مجازر 8 ماي 1945 وردود فعل الشعر الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الإخوة منتوري، عدد 44، قسنطينة، الجزائر 2015م، ص 194.
- 55 - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المصدر السابق، ص 367.
- 56 - نفسه، ص 368.



الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية

Career Alienation among the professors of the Faculty of Social and Human Sciences at Ghardaia University

رشيد سعاد

جامعة غرداية / الجزائر

saadarachid@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019-11-12

تاريخ الاستلام: 2019-07-02

الملخص -

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة مستوى ظاهرة الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية وانطلقت من التساؤلات الأساسية الآتية:

- ما مستوى درجة الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة جامعة غرداية؟
- هل يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة باختلاف الجنس والعمر؟

للإجابة على هذه التساؤلات تم إجراء الدراسة على كافة أساتذة الكلية متبعا طريقة الحصر الشامل كما تم الاعتماد في جمع البيانات على مقياس الاغتراب الوظيفي ل لبنى، ذياب (2017) كما تم تبني المنهج الوصفي التحليلي وبعد تحليل البيانات إحصائيا تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- أغلب أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية لديهم مستوى متوسط من الاغتراب الوظيفي

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية تعزى إلى كل من متغيري الجنس والعمر.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب الوظيفي، الأستاذ الجامعي، الأداء المهني.

Abstract-

The Current Study Aimed To Know The Level Of The Phenomenon Of Career Alienation Among The Professors Of Human And Social Science Especially To Answer The Basic Questions:

- What Is The Level Of The Degree Of Career Alienation With The Professors Of The University Of Ghardaia? - Does The Level Of Career Alienation Differ Among Respondents According To Gender And Age?

In Order To Answer These Questions, The Study Was Conducted On All Faculty Members Following The Comprehensive Inventory Method. Data Collection Was Also Based On The Functional Extrapolation Inventory Of Lubna, Thiab (2017). The Analytical Descriptive Method Was Adopted. After Analyzing The Data, The Following Results Were Obtained:

- Most Professors Of The Faculty Of Humanities And Social Sciences Have An Average Level Of Career Alienation

- There Were No Statistically Significant Differences In The Level Of Feeling Of Career Alienation Among Professors Of Faculty Of Humanities And Social Sciences Attributed To Both Sex And Age Variables.

Key Word-

Career Alienation , University Teacher, Professional Performance.

مقدمة:

تمثل الجامعات بكل تشكيلاتها من الكليات والمعاهد التقنية صروحا علمية كبيرة في المجتمع، تقع على عاتقها عملية قيادة المجتمع وتطويره وإدخال المستجدات العلمية والتكنولوجية والثقافية إليه من أجل قيادة زمام التطور والبناء ومسايرة الحضارة العالمية في جميع المجالات، والتفاعل معها بصورة فاعلة والتأثر والتأثير بها؛ بما يخدم مصلحة أبناء المجتمع والمساهمة في قيادة عملية التنمية الشاملة والمستدامة فيه.

وتكتسب الجامعات هذه الأهمية الكبيرة في الحياة الاجتماعية؛ كونها هي الأكثر قدرة من بين المؤسسات الأخرى لتبوء المكانة الريادية الفاعلة في هذا المجال، لأنها تمتلك الامكانيات العلمية والبشرية والمادية لذلك، فهي تقوم بتعميم ونشر المعرفة وإعدادها وتطويرها إلى جانب ذلك تكوين وإعداد الإطارات اللازمة لتنمية المجتمع وترقية الثقافة الوطنية كما تساهم في تطوير البحث وتنمية الروح العلمية ونشر الدراسات ونتائج البحوث في مختلف مجالات المعرفة. (بوخلخال، 1993، ص 90).

وفي هذا الإطار يقوم الأستاذ الجامعي بدور أساسي في قيادة المجتمع وتوجيهه التوجيه الصحيح والفاعل نحو التقدم والرفق. إلا أن الكثير من أساتذة الجامعات في المجتمعات العربية يعملون في ظل ظروف ضاغطة، فهم يعانون من مختلف مظاهر الاغتراب؛ كغياب الحريات والحقوق والخضوع للقهر المادي والمعنوي والاستلاب والإحباط وهدر الطاقات. (النوري، 1996، ص 24).

01 - إشكالية الدراسة:

تحتل الجامعة الجزائرية مكانة هامة في المجتمع، فهي تقوم بتعميم ونشر المعرفة وتطويرها إضافة إلى تكوين وإعداد الإطارات اللازمة لتنمية المجتمع، إلى جانب ذلك تسعى إلى ترقية الثقافة الوطنية كما تسعى إلى تطوير البحث وتنمية الروح العلمية.

فالجامعة تتحمل أعباء ثقيلة في ظل دورها الريادي، سواء من خلال تزويد المجتمع بالقوة البشرية المدربة، أو من خلال مسؤوليتها عن البحث العلمي المرتبط بقضايا المجتمع ومشكلاته (أبو سمرة، وسلامة 2013).

ويمثل الأستاذ الجامعي حجر الزاوية في العملية التعليمية؛ كونه الأداة الفعالة التي تؤدي بالجامعة إلى الاضطلاع بمسؤوليتها وحمل رسالتها الرامية إلى تطوير التعليم وخدمة المجتمع والنهوض به نحو التقدم العلمي، كما أصبح الأستاذ الجامعي يعمل في ظل التطور العلمي المعرفي السريع الذي أحدث تغييرات فكرية وثقافية واجتماعية نتج عنها شرخا كبيرا في العلاقات الاجتماعية والمهنية إضافة إلى التمرکز حول الذات، وقد انعكس كل ذلك في

الشعور بالاغتراب الذي أصبح يصنف ضمن الأمراض النفسية على الصعيد الفردي والتنظيمية على الصعيد المؤسساتي، ولن تتمكن الجامعة القيام بدورها الحقيقي، إن كانت أوضاعها غير مستقرة ولا يشعر العاملون فيها بالرضا و الانتماء إلى مؤسستهم .

وقد أشار موسى (2002) إلى أن الاغتراب هو شعور الفرد بانفصاله عن ذاته، وعن قيمه ومبادئه ومعتقداته وأهدافه وطموحاته، حيث ينعكس ذلك من خلال أحاسيه بعدم الفاعلية بسبب عوامل النقص المتعلقة بالبيئة المعرفية الذاتية من جهة مثل فقدان الثقة بالذات والشعور بعدم الأمن، وعوامل النقص المتعلقة ببيئة المعارف والسلوكيات الاجتماعية من جهة أخرى، مثل سلوك الانتماء والشعور بلا معنى والعجز والعزلة الاجتماعية. (موسى، 2002، ص 24).

كما أن الاغتراب من شأنه أن يقود إلى السلبية والانسحاب من الواقع وصعوبة التكيف معه، وضعف الكفاءة المهنية وعدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية، مما يؤدي إلى إضعاف قدرة الأستاذ على العطاء الأكاديمي والنجاح المهني.

ولما كانت المستويات المرتفعة لظاهرة الاغتراب تؤثر سلبا على مردود الأستاذ الجامعي وأداءه المهني، كما يعد ذلك مؤشرا على عدم التكيف والانسجام مع المؤسسة التي ينتمي إليها، جاءت هذه الدراسة لتكشف النقاب عن مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما مستوى درجة الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة جامعة غرداية؟

هل يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي باختلاف الجنس؟

هل يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي باختلاف العمر؟

02 - الفرضيات:

- نتوقع مستوى مرتفع من الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة.
- يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف

الجنس

- يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف العمر

03 -أهداف الدراسة:

- معرفة مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة غرداية

- الكشف عن الفروق في مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة العلوم الإنسانية والاجتماعية في ظل متغيري الجنس والعمر.

4 -أهمية الدراسة:

تكتسي الدراسة الحالية أهمية بالغة كونها تحاول الكشف عن مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة جامعة غرداية، مما قد يساعد في الارتقاء بمستوى الأداء، ذلك أن عمل الأستاذ في الجامعة في غياب انتماءه الوظيفي يعني غياب الدافعية والروح المعنوية لديه، ولا شك أن هذه الأخيرة مظاهر سلبية غير مقبولة في الجامعة الجزائرية التي تسعى إلى الارتقاء ضمن مصاف الجامعات العالمية الراقية.

05 -التعاريف الإجرائية لمفاهيم الدراسة:

5 -1 مفهوم الاغتراب الوظيفي:

هو شعور المغترب بأنه عبدا لعمله وأن العمل غريب عنه وأنه لا يرى نفسه في العمل المنتج، وقد يرجع ذلك إلى عدم حصول العامل على ناتج عمله وعدم وجود نظام عادل في توزيع الأجور، إضافة إلى فقدان الحرية والقدرة على التعبير عن الذات وممارسة الإمكانات المتاحة والقيام بأعمال لا تتفق مع الميول والاستعدادات (الدمنهوري، 1996، ص 11).

فالاغتراب حالة نفسية يشعر فيها الأستاذ الجامعي بعدم الانتماء إلى الواقع الوظيفي الذي يعيشه وقصور في التفاعل والتواصل مع زملائه والطلبة والإداريين حيث يؤدي به هذا الانفصال إلى العجز والعزلة وعدم الرضا.

ويتمثل إجرائيا في الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيبون على استبيان الاغتراب الوظيفي الذي أعدته ذياب لبنى (2017)، والذي يتكون من أربع محاور هي: -العجز -اللامعنى -الانعزالية واللامعيارية.

5 -12 أستاذ الجامعي:

نعني به مجموعة من الأفراد الذين يحملون شهادات عليا ويقومون بتسيير الجامعات عن طريق العمل في التدريس بالإضافة إلى مهام التكوين والبحث.

5 -13 الجامعة:

تلك المؤسسة التربوية التي تقدم لطلابها الحاصلين على شهادة البكالوريا تكوينا أكاديميا وتدريبيا مهنيا يهدف إعدادهم للحياة العامة كأفراد منتجين، فضلا عن مساهمتها في معالجة القضايا الحيوية التي تظهر على فترات متفاوتة في المجتمع، وتؤثر على تفاعلات هؤلاء الطلاب المختلفة.

06 -حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: كلية العلوم الاجتماعية، جامعة غرداية بالجزائر
- الحدود الزمنية: أجريت الدراسة خلال شهر فيفري 2019
- الحدود البشرية: أجريت الدراسة على عينة قوامها 102 أستاذًا ينتمون إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة غرداية

07 -الإطار النظري والدراسات السابقة

تعتبر ظاهرة الاغتراب وما يرتبط بها من متغيرات نفسية، إحدى جوانب أزمة الإنسان المعاصر، وقد حظي هذا المفهوم باهتمام العديد من الفلاسفة والعلماء، كما نال قدراً كبيراً من التنوع والاختلاف، نتيجة لتعدد الزوايا التي ينظر من خلالها إليه.

عرفته شتا (2003) بأنه عرض مركب من عدد من المواقف الموضوعية والذاتية التي تظهر من خلال أوضاع اجتماعية وفنية، يصاحبها سلب حرية الجماعة بالقدر الذي تفقد معه القدرة على انجاز الأهداف والتنبؤ في صنع القرارات، كما يجعل تكيف الشخصية والجماعة مغتربا (شتا، 2003، ص 43).

كما عرفه أبو زيد بأنه انسلاخ عن المجتمع والانعزال التام عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء. (خليفة، 2003، ص 21).

في حين عرفه منصور بأنه حالة من الانفصال عن الواقع وما فيه من أفكار ومبادئ وقيم وعادات والتزامات اجتماعية. (حسن، منصور، 1997، ص 361) يرى هيجل أن الاغتراب انفصال الذات عن الجوهر الاجتماعي، مما ينتج عنه انعدام وعي الفرد بحقيقة وجوده واستسلامه وتنازله عن حقه في السيادة على نفسه للآخرين الذين يمارسون هذا الحق في إطار المجتمع المدني. (العاسمي، 2002، ص 152)

ويرى فروم أن الاغتراب يتجلى في انفصال الشخص عن ذاته وانفصاله عن الآخرين، فالشخص المغترب هو الذي فقد اتصاله بنفسه وبالأخرين (سليمان عطية، 1995، ص 16)

في حين يرى إريكسون أن الاغتراب أخذ أشكالاً مختلفة منها الانعزال المهني والشخصي، وهو شكل من أشكال النمو النفسي الاجتماعي تتشبت بموجبه الذات بحثاً عن الاستقرار الذي لن يصل إليه الفرد إلا بالنضج. (سليمان عطية، 1995، ص 16).

ثم إن الفرد المغترب يواجه خيارات ثلاثة:

- الانسحاب من الواقع الذي يسبب اغترابه، بعدم المواجهة أو الهروب، واللامبالاة واليأس.

- الرضوخ للنظام القائم والتعاون معه قهراً وينشأ عن ذلك قبول ظاهري ورفض ضمني للواقع.

- التمرد الفردي أو العمل الثوري من ضمن حركة شعبية من أجل تغيير الواقع تغييراً جذرياً أو تجاوز حالة الاغتراب. (الزغل وآخرون، 1990)

ولقد كان موضوع الاغتراب محل العديد من الدراسات نوجز بعضها منها فيما يلي:

- دراسة منصور بن زاهي (2007) التي هدفت إلى محاولة التعرف على مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي الذي يتميز به الإطارات الوسطى لقطاع

المحروقات الجزائري، ومعرفة دلالة الفرق في مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي وعوامله باختلاف بعض المتغيرات الوسيطة، حيث توصل إلى أن مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي كان أقل بقليل عن المتوسط لدى أفراد العينة، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في الشعور بالاغتراب الوظيفي وعوامله باختلاف السن ما عدا الشعور بالتشاؤم والارضا.

- أما دراسة (غانم، 2006) التي هدفت إلى التعرف على درجة عوامل الاغتراب الوظيفي لدى المشرفين التربويين بمدينة تعز، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتي من أهمها: تحقق وجود عوامل الاغتراب الوظيفي بنسبة (66,66%)، ولا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) في درجة وجود عوامل الاغتراب الوظيفي وفقاً لمتغيرات (الوظيفة، الجنس، المؤهل، عدد سنوات الخبرة).

- وفي دراسة (السبيعي، 2010) التي هدفت إلى التعرف على درجة فاعلية الأداء وعلاقتها بالاغتراب الوظيفي لدى أعضاء هيئة التدريس في المدارس الثانوية بمكة المكرمة، وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أن مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة منخفض، كما توجد علاقة سالبة بين فاعلية الأداء و الاغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاغتراب الوظيفي تعزى (للحالة الاجتماعية، المؤهل الدراسي، الراتب وسنوات الخدمة) .

2 - الطريقة والأدوات:

2-1. منهج الدراسة:

تندرج هذه الدراسة في سياق الدراسات النفسية الاجتماعية، ولما كان هدفها يتمحور حول الكشف عن مستوى ظاهرة الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة الجامعة، فإن المنهج الوصفي التحليلي يتناسب وطبيعة الموضوع وأهداف الدراسة، حيث يقوم هذا المنهج على تشخيص علمي من خلال وصف الظاهرة من مختلف جوانبها بحيث يعمل على تفسيرها وتقويمها.

2- مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من 102 أستاذًا دائمًا، ينتمون إلى كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الذين يدرسون في جامعة غرداية خلال الموسم الدراسي 2018- 2019 في مختلف التخصصات، والجدول الآتي، يوضح توزيع أفراد المجتمع حسب التخصص والنوع.

جدول رقم (1) يمثل خصائص المجتمع حسب التخصص والنوع

التخصص/الجنس	الذكور	الاناث	المجموع
علم النفس	12	07	19
علم الاجتماع	15	06	21
تاريخ	23	04	27
علوم الإعلام والاتصال	08	04	12
علوم اسلامية	21	02	23
المجموع	79	23	102

2- 3- العينة وخصائصها:

أجريت الدراسة على عينة قوامها 102 أستاذًا ينتمون إلى كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويمثلون كل مفردات المجتمع، أي تم اختيارهم بطريقة الحصر الشامل التي تتميز بقلّة أخطاء التحيز والصدفة. ويتوزع أفراد عينة الدراسة حسب التخصص كما يلي:

جدول رقم (2) يمثل خصائص العينة حسب التخصص

التخصص	العدد
علم النفس	19
علم الاجتماع	21
تاريخ	27
علوم الاعلام والاتصال	12
علوم اسلامية	23
المجموع	102

كما يتوزعون حسب الجنس كما يلي:

جدول رقم (3) يمثل خصائص العينة حسب النوع

الجنس	ذكور	إناث	المجموع
العدد	79	23	102

ويتوزعون حسب العمر كما يلي:

جدول رقم (4) يمثل خصائص العينة حسب العمر

العمر	أقل من 35 سنة	أكثر من 35 سنة	المجموع
العدد	68	34	102

2- 4- أدوات الدراسة:

من أجل جمع المعطيات عن الظاهرة من الميدان، تبني الباحث مقياس الاغتراب الوظيفي الذي أعدته ذياب لبنى (2017)، حيث تتضمن 42 بنداً موزعة على أربع محاور (العجز، اللامعنى، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية)، أما عن بدائل الأجوبة فهي ثلاثية: دائماً، أحياناً، أبداً.

ويعتقد الباحث أن الأداة مناسبة، لأنها تتمتع بخصائص سيكومترية عالية "الصدق = 0.96 والثبات = 0.84 كما أنها موجهة إلى نفس العينة " الأستاذ الجامعي" وملائمة لخصائصها لأنها معدة في البيئة الجزائرية.

2- 5- الأساليب الإحصائية:

تم توظيف الأساليب الإحصائية الآتية:

- النسب المئوية لاختبار الفرضية الأولى

- اختبار "ت" لاختبار الفرضيتين الثانية والثالثة

03 - عرض النتائج:

3- 1- عرض نتائج الفرضية الأولى:

تنص الفرضية على أنه " نتوقع مستوى مرتفع من الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة "

جدول رقم (5) يوضح مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة

ن=32

مستوى الاغتراب	منخفض	متوسط	مرتفع	المجموع
التكرارات	22	63	17	102
النسبة المئوية	21.57%	61.76%	16.67%	100%

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة الشعور بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة جامعة غرداية، كانت متوسطة، حيث مثلوا في ذلك نسبة (61.76 %)، في حين مثلت نسبة المستوى المنخفض (21.57%)، أما نسبة الذين يعانون من الاغتراب المتوسط فمثلت نسبة (16.67%).

وبناء على ذلك، نقبل فرضية البحث التي تنص على أن " مستوى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية في الاغتراب الوظيفي متوسط " .

3- 2- عرض نتائج الفرضية الثانية:

تنص الفرضية على أنه "يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس "

جدول رقم (6) يوضح الفروق في الاغتراب الوظيفي في ظل متغير

الجنس

الجنس	ن	م	ح	د.ج	"ت"	م.د
ذكور	79	.0875	.2117	100	1.67	غير دالة
إناث	23	82	17.76			

نلاحظ من خلال الجدول أن قيمة "ت" المحسوبة المساوية ل 1.67 أصغر من قيمة "ت" الجدولية

وذلك عند درجة الحرية 100، مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، أي أن عامل الجنس لا يؤثر على مستوى الاغتراب الوظيفي. وبناء على ذلك نرفض فرضية البحث ونقبل الفرضية الصفرية التي مفادها " لا يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس "

3- عرض نتائج الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية على أنه " يختلف مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف العمر "

جدول رقم (7) يوضح الفروق في الاغتراب الوظيفي في ظل متغير

السن

السن	ن	م	ح	د.ج	"ت"	م.د
أقل من 35 سنة	68	78.06	18.61	100	1.10	غير دالة
أكبر من 35 سنة	34	74.02	15.08			

نلاحظ من خلال الجدول رقم (06) أن قيمة "ت" المحسوبة المساوية ل: 1.47 أكبر من قيمة "ت" الجدولية، وهذا عند درجة الحرية 100، مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى الاغتراب الوظيفي، أي أن عامل السن ليس له أي تأثير.

وبناء على ذلك نرفض فرضية البحث ونقبل الفرضية الصفرية التي مفادها "لا توجد فروق في مستوى الاغتراب الوظيفي في ظل متغير السن"؛ أي أن السن لا يعتبر كمحدد لاغتراب أساتذة الجامعة.

04 مناقشة وتفسير النتائج:

4 - 1 الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى على أنه "نتوقع مستوى مرتفع من الاغتراب الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة"

ومن خلال نتائج التحليل الإحصائي باستخدام النسب المئوية في الجدول رقم (04) اتضح أن نسبة مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي المتوسط هي (61.76%) بينما نسبة مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي المنخفض بلغت (21.57%) في حين بلغ مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي المرتفع نسبة (16.67%).

ويمكن تفسير ذلك أن الأساتذة يدركون أن وظيفة التدريس مجرد مهنة، بالرغم من أنها تفرض وجود مهام فرعية أخرى، كالبحث والتأطير والتفاعل بين الأساتذة والطلبة، إضافة إلى ذلك يبدو أن وظيفة التدريس غير ملائمة لهم في ظل الظروف المحيطة بالمهنة.

إن الاغتراب يظهر حينما يكون هناك تناقض بين ما يملكه الأستاذ من إمكانيات يسعى إلى تحقيقها والواقع الذي يتميز بالتغير السريع وعدم الاهتمام والتقدير الذي ينتظره الأستاذ، لذا فهو يعمل عكس ما يهدف إليه، وهذا ما يفسر لنا عدم وعي الأستاذ بمهنته.

ويمكن أن يفسر الشعور بالاغتراب الوظيفي بمستوى متوسط، على أساس طبيعة العلاقات التي تكون بين الأساتذة والإدارة، لأن الاغتراب يعد مؤشرا هاما على مرور المؤسسة بأزمة نتيجة توصل العاملين فيها إلى قرار بأن المؤسسة التي

يعملون بها لم تعد المكان المناسب للعمل فيها، مما ينعكس على الأداء المهني والبحث العلمي.

كما تعزى هذه النتيجة إلى أن الأساتذة يدرسون في نفس المؤسسة، مما يعني أنهم يعيشون في نفس الظروف التعليمية ويخضعون إلى نفس القوانين ونفس العلاوات والحوافز والإجازات، إضافة إلى أنهم يتأثرون ويتفاعلون في بيئة واحدة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

كما أن المستوى المتوسط للاغتراب الوظيفي يعني أن الأساتذة يعيشون المرحلة الأولى منه، حيث يشعر الموظف بأن العلاقة بينه وبين المؤسسة التي يعمل بها لم تعد طبيعية، بل يسودها نوع من التوتر وبالتالي يستمر الموظف في تكوين المشاعر السلبية تجاه المؤسسة، وقد يتراءى له أن كل من يعاني من مشاكل وصعوبات إنما تسببها له المؤسسة، و نتيجة لذلك يصبح الموظف مهموما ومشغولا بالمشاكل والصعوبات التي يعزوها إلى عدم اهتمام المنظمة به، ويزداد هذا الشعور عندما لا يجد أحدا يتحدث إليه عن مشكلاته، عندئذ يبحث الموظف عن بديل للتنفيس عن مكبوتاته.

للاشارة فإن الصراعات بين العاملين والمشرفين، تفسر لنا ظاهرة الاغتراب، بحيث يفقد الرؤساء المباشرون القدرة والسيطرة على الأمور، فيتبادلون الاتهامات بالتخاذل والتقصير وعدم تحمل المسؤولية وتشهد المؤسسة موجة من الآفات والاستقالات بين المديرين والمشرفين ورؤساء الأقسام.

ولا يفوتنا أن نقر بأن الثورة التكنولوجية ساهمت في انتشار ظاهرة الاغتراب بين العاملين في المنظمة الإنتاجية والخدماتية على حد سواء، نتيجة لهيمنة أجهزة الحاسوب والأجهزة الإلكترونية على العمل اليومي، في المقابل الأنترنت غير متوفرة في قاعة الأساتذة للبحث والتكوين، لكننا قد نجدنا متوفرة خارج محيط الجامعة، وقد تكون متوفرة بالنسبة للطالب بشكل أوفر مقارنة بالأستاذ.

كما أن طغيان الثقافة المهنية للأستاذ أمام ضعف مستوى تدريب الموظفين بوجه عام، يعد من أهم العوامل المؤدية إلى الاغتراب الوظيفي، لأن نقص كفاءة العاملين في المنظمة من شأنه أن يؤدي إلى انخفاض الأداء الوظيفي بين

العاملين، حيث يسعى كل واحد منهم إلى محاولة إرجاع اسباب ضعف أدائه إلى ظروف خاصة بالمنظمة التي يعمل فيها.

بناءً على ما سبق، نستنتج أن أساتذة جامعة غرداية يعانون معاناة متوسطة من الاغتراب الوظيفي، مما يؤثر سلباً على الدافعية المهنية والأكاديمية، حيث يشعرون فيها بعدم التأثير على مجريات الأمور التي يتعاملون معها في الكلية، وليس لهم دور في صنع واتخاذ القرارات المهنية، مما ينتج نوعاً من الجمود والروتين المهني لديهم.

للإشارة، فإن هذه النتيجة تتفق مع دراسة (غانم، 2006) ودراسة (فرايين، 2009) بينما تختلف مع دراسة (السبيعي، 2010).

5 - 2 مناقشة الفرضية الثانية:

أما فيما يتعلق بمدى اختلاف درجة اغتراب أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية حسب متغير النوع من خلال نتائج التحليل الإحصائي باستخدام ت" المبين في الجدول رقم (06) لم تشر نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاغتراب بين الذكور والإناث أي أنهم متساوون في هذه السمة ويمكن تفسير ذلك أن كل الأساتذة بغض النظر عن جنسهم لديهم نفس الحقوق والواجبات فهم ينتمون إلى نفس الجامعة ويعملون في نفس الظروف التعليمية كما يخضعون إلى نفس القوانين ونفس العلاوات والحوافز والإجازات إضافة إلى أنهم يواجهون نفس التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه دراسة العيداني (2006) وغانم (2006) على أن عامل النوع غير مؤثر، في حين تختلف مع دراسة عويدات (1995) ودراسة العسال (2009) اللذان وجدا أن هناك فروق بين الذكور والإناث في الاغتراب لصالح الإناث

5 - 3 مناقشة الفرضية الثالثة:

يظهر من خلال نتائج التحليل الإحصائي باستخدام ت" المبين في الجدول رقم (07) تبين أنه لا توجد فروق في مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية تعود لعامل السن وتتفق هذه

الدراسة مع دراسة العقلي (2004) ودراسة منصور بن زاهي (2007) التي توصلت الى أنه لا توجد فروق في مستوى الاغتراب الوظيفي تعود لعامل السن. يفسر ذلك بأن العوامل المؤدية للإغتراب الوظيفي هي نفسها في كلا الفئتين العمريتين التي حددناها (أقل من 35 سنة وأكبر من 35 سنة) وأن كل الفئات العمرية تسعى لإثبات الذات والتطور في العمل والارتقاء نحو الأفضل مع إعطاء مردود جيد في الوسط المهني حيث تكاد تتشابه أفكارهم وتصرفاتهم وأهدافهم رغم الفرق الواضح في السن.

وتختلف هذه النتيجة مع دراسة كل من غوانمة (1990) وغنوز (1999) وموسى (2002) التي أجمعت نتائجها على وجود فروق في مستوى الإغتراب الوظيفي بالنسبة لعامل السن ويفسر ذلك باختلاف مجتمع البحث في هذه الدراسة عن المجتمعات التي طبقت فيها الدراسات السابقة.

- الاستنتاج العام:

من خلال هذه الدراسة التي هدفت إلى معرفة مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعرفة أثر كل من عاملي النوع والعمر في هذه الظاهرة، وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً توصلنا إلى النتائج التالية:

- أغلب أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية حوالي 62% لديهم مستوى متوسط في الاغتراب الوظيفي.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية في ظل متغير الجنس.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالاغتراب الوظيفي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية في ظل متغير العمر.

قائمة المراجع:

1. أبو سمرة، محمود أحمد، وسلامة كمال. (2003). الانتماء التنظيمي وسبل تعزيزه لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة الاستقلال. مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة، ج2، ع2، ص 124
2. بن زاهي، منصور. (2007). الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العمل والتنظيم، جامعة قسنطينة، الجزائر
3. العاسمي، رياض. (2002). الارشاد النفسي. ج1، دمشق،
4. السبيعي، محمد. سحيمي فاضل. (2010). درجة فاعلية الأداء وعلاقتها بالاغتراب الوظيفي لدى معلمي المدارس الثانوية بمكة المكرمة. رسالة ماجستير منشورة، المركز الوطني للمعلومات، الجمهورية اليمنية.
5. الزغل وآخرون. (1990). الشباب والاغتراب، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد5، العدد2
6. النوري، قيس. (1996). مشخصات الاغتراب الأكاديمي العربي. القاهرة: عالم الفكر.
7. الدمنهوري، رشاد صالح. (1996). الشعور بالاغتراب عن الذات والآخرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
8. ذياب، لبنى. (2017). مستوى تقدير الذات وعلاقته بمستوى الاغتراب الوظيفي لدى الأستاذ الجامعي. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة سطيف، الجزائر
9. موسى، وفاء. (2002). الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسية. رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا.
10. منصور، حسن. (1997). الانتماء والاغتراب. ط1، السعودية: دار جرش للنشر والتوزيع.
11. عبد اللطيف، محمد خليفة. (2003). دراسات في سيكولوجيا الاغتراب. القاهرة: دار غريب للطباعة.
12. عبد الله، بوخلخال. (1993). الجامعة الجزائرية ووظيفتها البيداغوجية. حوليات جامعة الجزائر، العدد7.
13. غانم، عبد الجليل مدهش. (2006). الاغتراب الوظيفي لدى المشرفين التربويين في مدارس التعليم العام بمدينة تعز. رسالة ماجستير منشورة، المركز الوطني للمعلومات، اليمن
14. سليمان، عطية و حمدان، المالكي. (1995). العلاقة بين الاغتراب النفسي وبعض المتغيرات المتعلقة به لدى طلبة وطالبات جامعة أم القرى بمكة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى بمكة.
15. شتا، السيد على. (2003). الاغتراب في التنظيمات الصناعية، الإسكندرية، المكتبة المصرية.



الإجهاض العلاجي في ظل قانون الصحة الجديد 11/18 Therapeutic Abortion in the New Health Act 11/18

الشيخ صالح بشير

جامعة الجزائر

Chikhe2@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-06-18

ملخص -

تهتم هذه الدراسة بالضمانات التي أقرها المشرع الجزائري لحماية حق الجنين في الحياة، ومنع الاعتداء عليه في مختلف مراحل نموه من خلال قانون الصحة الجديد رقم 11/18، في ظل تزايد الجدل الفقهي حول الحاجة إلى نصوص تقيّد الإجهاض بين اتجاه يقدر حرمة الحياة الإنسانية للجنين، وآخر يركز على حرية المرأة في التصرف في جسدها مرجحا الأوضاع الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمرأة الحامل.

واقترنت جل التشريعات على إباحة الإجهاض العلاجي لكونه حالة صحية تكون فيها الأم الحامل في ظروف تقتضي إنهاء حملها لإنقاذها من مضاعفات خطيرة قد تؤدي بحياتها، وقد تبين أن المشرع الجزائري اعتبر أن المحافظة على صحة المرأة الحامل وجنينها وتقديم المساعدة الطبية الضرورية هو الأصل، واستثنى حالة الإيقاف العلاجي للحمل حماية لصحة الأم عندما تكون حياتها أو توازنها النفسي والعقلي مهددين بخطر بسبب الحمل، لذلك يخضع إنهاء الحمل لأسباب طبية بعدة شروط موضوعية وشكلية تهدف إلى إخراجها من الإطار الضيق السري المحفوف بالمخاطر إلى الإطار الرسمي العلني، ولم ينظم حالة إجهاض الحمل الناتج عن الزنا والاغتصاب والجنين المشوه.

الكلمات الدالة -

الجنين، الإجهاض، قانون الصحة، الضروري، الحق في الحياة.

Abstract-

This Study Is Concerned With The Guarantees Approved By The Algerian Legislature To Protect The Right To Life To The Foetus And To Prevent Abuses Against Them In The Different Stages Of Its Development Through The New Health Act N° 18/11, With The Increasing Of Doctrinal Debate About The Need For Restrictive Abortion Acts.

Most Legislations Have Legalized The Therapeutic Abortion, To Save The Pregnant Mother's Life, It Has Been Found That The Algerian Legislator Considered That The Origin Is To Preserve The Pregnant Women's Health And Providing The Necessary Medical Assistance. However, If The Mother's Health Is In Danger, Therapeutic Abortion May Be Performed As A Necessary Medical Service To Avoid Serious And Permanent Harm. For This Reason, It Is Subject To Certain Conditions Aimed At Getting It Out Of The Dangerous To The Official Public Framework, Without Regulating The Abortion Of Pregnancy Resulting From Adultery, Rape And Deformed Foetus

Key Words-

Foetus, Abortion, Health Law, Necessary, Right To Life

مقدمة:

أصدر المشرع الجزائري القانون 11/18 المتضمن قانون الصحة[□] والذي يهدف إلى حماية صحة الأشخاص والحفاظ عليها وترقيتها من خلال احترام الكرامة الإنسانية والسلامة الجسدية والحياة الخاصة، والتأكيد على حماية صحة الأم والطفل في الفصل الثالث حول البرامج الصحية النوعية في المواد 69 إلى 83، كما وضع المشرع الجزائري عدة ضمانات لحماية حق الجنين في الحياة ومنع الاعتداء عليه في مختلف مراحل نموه، وجرم الإجهاض في الفصل الثاني من قانون العقوبات من خلال المواد من 304 إلى 313، ووضع استثناءات للإجهاض العلاجي حماية لصحة الأم عندما تكون حياتها أو توازنها النفسي والعقلي مهددين بخطر بسبب الحمل[✳].

وتظهر أهمية الموضوع من خلال الممارسات الطبية الواقعة على الجنين، ووجود نصوص قانونية جديدة منظمة لحماية للجنين، والاختلاف حول الأساس القانوني لإباحة الإجهاض العلاجي، وظهور عدة مواقف فقهية بين اتجاه يقدر حرمة الحياة الإنسانية للجنين، وآخر يركز على حرية المرأة في التصرف في جسدها مرجحا الأوضاع الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمرأة الحامل.

ويتحقق الاعتداء على الجنين عند القيام بأفعال تؤدي إلى إنهاء حياته وإسقاطه قبل الموعد الطبيعي لميلاده، وذلك بأي وسيلة من الوسائل التقليدية أو الحديثة تهدف إلى إخراج الجنين من الرحم أو بإعدامه داخل الرحم، سواء كان ذلك بفعل المرأة نفسها أو عن طريق الغير.

ولا يزال الجدل واسعا في التشريعات المقارنة حول طبيعة حق الجنين في الحياة والحاجة إلى مزيد من الضمانات عند اللجوء إلى الإجهاض الضروري، وحالات إجهاض الحمل من الزنا والاغتصاب، وإجهاض الحمل الناتج عن الممارسات الطبية المستحدثة، وهي حالات غير متفق على إباحتها.

إشكالية الدراسة: ماهي الضمانات التي أقرها قانون الصحة الجزائري الجديد للإجهاض العلاجي؟ وما مدى إمكانية تحقيق توازن بين حماية حق

الجنين في الحياة وإنقاذ حياة الأم من خطر حقيقي؟ وهل يعدّ حمل الزنا والاغتصاب والجنين المشوه من قبيل الإجهاض العلاجي؟

تقسيم الدراسة: للإجابة على الإشكالية المطروحة تم تقسيم الموضوع إلى مبحثين، جاء في المبحث الأول ضمانات الإجهاض العلاجي، تضمن الأحكام العامة للإجهاض العلاجي، ثم إنهاء حياة الجنين للمحافظة على حياة الأم الحامل، مع ضرورة إجراء الإجهاض العلاجي في مؤسسة عمومية استشفائية، وجاء في المبحث الثاني حالات الإجهاض العلاجي المختلف فيها، تضمن إجهاض الحمل الناتج عن الزنا، وإجهاض الحمل الناتج عن الاغتصاب، وإجهاض الجنين المشوه.

المبحث الأول: ضمانات الإجهاض العلاجي

الإجهاض العلاجي حالة صحية تكون فيها الأم الحامل في ظروف تقتضي إنهاء حملها لإنقاذها من مضاعفات خطيرة قد تؤدي بحياتها، يكون الهدف منه إنقاذ الحامل من الهلاك في حالة استمرار الحمل، بناء على تشخيص طبي للقيام بعملية الإجهاض في مؤسسة عمومية وظروف صحية مناسبة وعلى يد مختصين ويعلم الجهات المعنية.

أولاً: الأحكام العامة للإجهاض العلاجي

الجنين في مفهومه الطبي والقانوني هو البويضة الملقحة، والكائن المستكن في رحم أمه، حيث يتشكل الجنين بعد أن تندمج الخلية المذكرة بالبويضة الأنثوية لتشكل الخلية الملقحة الجديدة جينياً، فعند تشكل الكائن الجديد يصبح محلاً للحماية من بداية الإخصاب^{٣٠}.

وقد أثبت الطب أن البويضة الملقحة عبارة عن مادة بيولوجية تتكون من الخصائص الأساسية الوراثية للإنسان وأنها النواة الأولى لنشأة وتشكيل الجنس البشري، فمن المعقول أن تتمتع هذه البويضات الملقحة بحرمة من نوع خاص سواء أكانت داخل الرحم أم خارجه، فالعبرة بتشكيل الجنين لا بمكان وجوده خاصة عند اللجوء إلى التلقيح الاصطناعي الخارجي^{٣١}.

يحتاج الجنين طوال فترة الحمل إلى عناية طبية لضمان سلامته ونموه الطبيعي في مختلف مراحل نموه، ويعد من قبيل الأعمال الطبية الواقعة على

الجنين كل فعل يقع على الجنين، ويتفق في طبيعته مع الأصول والقواعد الثابتة المتعارف عليها نظريا وعمليا في علم الطب، فأساس مشروعية العمل الطبي على الجنين هو تقديم العلاج والمحافظة على صحة الأم وحملها، ولولا ذلك لتعرض الطبيب المتدخل إلى العقاب عن جريمة المساس أو الإيذاء بجسم المريض، فتتص المادة 1/39 من قانون العقوبات على حالات الإباحة على أنه: "لا جريمة إذا كان الفعل قد أمر أو أذن به القانون".

ولمعرفة أنواع الإجهاض أهمية كبيرة في فهم توجه المشرع الجزائري، فيقسم الفقهاء الإجهاض إلى ثلاثة أنواع تتمثل في الإجهاض التلقائي، والإجهاض الجنائي، والإجهاض العلاجي^{٣٥}.

الأول هو الإجهاض التلقائي كونه عملية طبيعية يقوم بها الرحم لطرد الجنين الذي لا يمكن أن تكتمل له عناصر الحياة قبل الميعاد الطبيعي، بسبب مشكلة في رحم المرأة أو وجود اضطرابات هرمونية أو عند التعرض لحادث بدني أو نفسي أو موت الجنين في الرحم.

والثاني هو الإجهاض الجنائي ويطلق على هذا النوع الإجهاض الاجتماعي أو الاقتصادي باعتبارها الحالات الأكثر وقوعا في جرائم الإجهاض، والدافع إليه عادة هو الرغبة في عدم الإنجاب أو المحافظة على الرشاقة والمظهر، أو الخوف من الفقر، أو بعد الوقوع في علاقة غير شرعية للتخلص من العار والفضيحة، أو قتل الإناث دون الذكور، أو بسبب الوضع الاقتصادي المتدني للعائلة، أو لكون الجنين مشوها تشوهات بسيطة، أو أنه غير مرغوب فيه، ويتفق الفقهاء والأطباء على أن الدافع الأول للإجهاض هو التخلص من حمل الزنا.

ومن المعلوم أن الإجهاض الجنائي هو المجرم قانوناً وشرعا، حيث أورد المشرع أركانه في المواد: 304، 306، 309، 310 من قانون العقوبات الجزائري.

فقد يحدث إنهاء الحمل والتعدي على حق الجنين في الحياة من طرف المرأة الحامل نفسها أم من طرف الغير أو من شخص صاحب صفة خاصة كالطبيب والقابلة، ومجمل هذه الحالات تقوم على ثلاثة أركان أوردها المشرع الجزائري في المادة 304 قانون عقوبات وما بعدها، الأول هو وجود الحمل، والثاني هو الركن المادي ويتضمن فعل يؤدي إلى إسقاط ونتيجة تتمثل في موت الجنين وعلاقة

سببية بين الفعل والنتيجة، والثالث هو الركن المعنوي الذي يتخذ صورة القصد الجنائي.

والنوع الثالث هو الإجهاض العلاجي فقد يلجأ الأطباء إلى الإجهاض اضطراراً قصد المحافظة على صحة الأم، خاصة عندما يشكل الحمل خطراً على حياة الأم، وهو ما يعبر عنه بحالة الضرورة، فالضرورة تجعل الإجهاض العلاجي خارج نطاق التأثيم والتجريم.

وقد يكون الجنين في حالة حرجة تستدعي التدخل الطبي، مثل كالتشوهات الجنينية الخطيرة بسبب النمط الوراثي للجنين، أو بسبب عوامل خارجية كتعرض الحامل لعلاج كيميائي، أو بسبب الأمراض الجسدية للأم كالسرطان والتهاب الكبد المزمن، والتهاب الكلى، والقصور الكلوي الحاد، وارتفاع ضغط الدم، والسّل الرئوي، إضافة إلى حالة الحمل خارج الرحم كأن يكون في قناة فالوب، أو حالة الحمل متعدد الأجنة في رحم غير قادر على تحمل العدد الكبير للأجنة، مما يشكل خطورة حقيقية على حياة الأم^{٣٨}.

ويعتبر المختصون أن معظم حالات الإجهاض في الوقت الحاضر تعود لأسباب اجتماعية بعيدة عن الظروف الضرورية والحالات الصحية الحرجة، وإن كانت تحمل اسم الإجهاض العلاجي^{٣٩}.

أما عن الباعث في الإجهاض فتقوم جريمة الإجهاض طبقاً للقواعد العامة مهما كان الباعث في ارتكابها مادام الجاني أراد الفعل وأراد تحقيق الإجهاض، فلا تأثير لنوع الباعث في وجود القصد الجنائي، فيستوي أن يكون إنهاء الحمل قبل الأوان شريفاً أو وضيعاً، وسواء كان بدافع الانتقام، أو بدافع مساعدة الحامل على المحافظة على الشرف والاعتبار أو بدافع التخلص من حمل غير مرغوب فيه.

ثانياً: إباحة الإجهاض الضروري للمحافظة على حياة الأم الحامل

حدّد المشرع الجزائري ضوابط إباحة الإجهاض في المادة 308 قانون العقوبات "لا عقوبة على الإجهاض إذا استوجبت ضرورة إنقاذ حياة الأم من الخطر متى أجراه طبيب أو جراح في غير خفاء وبعد إبلاغ السلطات الإدارية"، فلا

يجوز للطبيب إنهاء الحمل إلا إذا كانت حياة الأم في خطر يهدد حياتها باتفاق جل القوانين الجزائية المقارنة.

فقد يباح الإجهاض عندما يكون ضروريا لإنقاذ حياة الأم ويهدف إلى المحافظة على التوازن النفسي والعقلي والصحي للأم، وأن يجري في مؤسسة عمومية استشفائية، وأن يقوم به طبيب أو جراح، وأن يكون علنيا، ويعلم السلطات المختصة.

فالضرورة تقتضي توافر مجموعة من الظروف التي تهدد شخصا بضرر لا سبيل للخلاص منه إلا بارتكاب الجريمة^[1]، فتتص المادة 72 من قانون حماية الصحة وترقيتها على أنه: "يعد الإجهاض لغرض علاجي إجراء ضروريا لإنقاذ حياة الأم من الخطر أو للحفاظ على توازنها الفيزيولوجي والعقلي المهدد بخطر بالغ، يتم الإجهاض في هيكل متخصص بعد فحص طبيب يجري بمعية طبي أخصائي"^[2].

فالإجهاض الضروري الذي يلجأ إليه الطبيب يعتبر مباحا ومسموحا به في حدود الأغراض العلاجية والظروف الصحية الحرجة للمحافظة على حياة وصحة الحامل وتوازنها النفسي والعقلي، وهذا الشرط الأساسي يمكن للقضاء التأكد من حالة الخطر القائم على حياة الحامل لإعفاء الطبيب من المسؤولية^[3].

لكن عدم وضع ضابط واضح للإجهاض العلاجي يجعله يختلط بالإجهاض الوقائي، ويجعل أكثر حالات الإجهاض التي تسمى علاجية هي في حقيقتها وقائية، فمن السهولة أن يقرر الطبيب أن الحامل تعاني من آفة قد تعرض توازنها النفسي والعقلي للخطر، فعلى المشرع التدخل لتحديد معايير تطبيق هذه المادة وفي أي طور من أطوار نمو الجنين.

لا يمكن اللجوء إلى الإجهاض العلاجي إنقاذاً لحياة المرأة الحامل وصحتها إلا عند وجود خطر بالغ يهدد حياتها، ويشترط أن يكون الخطر حقيقيا وحالا وبالغا، وليس مجرد افتراض واحتمال وقوع خطر عند استمرار الحمل^[4]، بحيث يصبح عمل الطبيب إنقاذاً وإسعافاً، لأن الإجهاض للخطر المتوقع لا يعدو أن يكون احتياطاً للمحافظة على حياة الحامل عندما يحدق بها الخطر، حيث

يقوم الشخص بإجراء موازنة بين المصالح المتصارعة مضحيا بالمصلحة الأقل لحساب المصلحة الأكبر قيمة، مثل الطبيب الذي يقوم بإجهاض امرأة إنقاذاً لحياتها [□].

ولا يكفي لإيقاف الحمل قيام حالة الضرورة وحدها بل ينبغي التقيد بمجموعة من الإجراءات الشكلية، بأن يتم على أيدي المختصين، وأن يكون علنية، وبموافقة السلطات الإدارية المعنية.

ثالثاً: ضرورة إجراء الإجهاض العلاجي في مؤسسة عمومية استشفائية

يعتبر تدخل الطبيب وفقاً للقواعد العامة من أسباب الإباحة لأن القانون أذن له بذلك، فتنص المادة 1/39 ق ع ج على أنه: "لا جريمة إذا كان الفعل قد أمر أو أذن به القانون"، وجاء في المادة 308 من قانون العقوبات "لا عقوبة على الإجهاض إذا استوجبت ضرورة إنقاذ حياة الأم من الخطر متى أجراه طبيب أو جراح في غير خفاء وبعد إبلاغ السلطة الإدارية"، فقد أحاط المشرع حالة الإجهاض الضروري بشروط شكلية تتمثل في الصفة، والإبلاغ، والعلنية، والمؤسسة العمومية.

يشترط للإعفاء من العقاب عند اللجوء إلى إجهاض الضرورة، أن يكون الشخص الذي يقوم بعملية الإجهاض يتمتع بصفة خاصة وهو الطبيب أو الجراح لا غير بمعية طبيب مختص، لما يمتلك الطبيب المختص من الخبرة والمعرفة والدراية الكافية للقيام بهذه المهمة الحساسة، وفي ظروف صحية ملائمة وباستخدام الوسائل الضرورية والتقنيات التي تسهل العملية [□]، أما إذا أجرى الإجهاض غير الطبيب والجراح كالقابلة أو الممرضة، وطلبة الطب فلا يشملهم الإعفاء من العقاب، رغم أن الإجهاض كان من أجل إنقاذ الأم والحفاظ على صحتها.

كما أنه لا يمكن للطبيب أن يباشر عملية الإجهاض الضروري رغم ثبوت الخطر وتوفر شروط الضرورة، إلا بعد إبلاغ السلطة الإدارية التي ينسب إليها الطبيب أو الجراح الذي يقوم بعملية الإجهاض، ويجب إطلاع السلطة الإدارية في وقت الإعداد والتحضير للعملية، أي في مرحلة العزم على مباشرة القيام بعملية الإجهاض، أما عن الجهة الإدارية المختصة فمادام أن المسؤول الإداري الأول عن

الصحة في الولاية هو مدير الصحة فهو صاحب الاختصاص بتقديم الموافقة، فيكفي التسجيل في السجلات المعدة لذلك في المؤسسات العمومية الاستشفائية مع وجود ملف طبي كامل عن حالة المرأة الحامل والجنين ودواعي الإجهاض العلاجي.

وعند قيام حالة الضرورة وتمت الموافقة على إجراء الإجهاض يجب أن تتم إجراءات إيقاف الحمل بعينية من غير تستر في قاعة مغلقة وعيادات سرية، فمادام فعل الإجهاض صار مباحا فلا داعي لأن يجري في الخفاء، لأن التستر أو التخفي عن القانون قرينة على تحريم الفعل وعدم إباحته ولا مشروعيته [□].

والضمانة الأساسية لتقييد الإجهاض الضروري هو أن تتم عملية الإجهاض في مؤسسة استشفائية عامة وفقا لليوم والمكان الذي حدده مدير الصحة، وأن يتم بالطرق الفنية والمعايير العلمية المدروسة، وبإشراف فريق طبي بمساعدة ممرضين تجنباً للتوسع في حالات الإجهاض لظروف صحية.

ويعد الإجهاض الضروري لإنقاذ حياة المرأة الحامل من خطر حقيقي من أسباب إباحة الإجهاض باتفاق التشريعات المقارنة، بينما توجد حالات من الإجهاض مختلف فيها كإنهاء الحمل الناتج من الزنا والاغتصاب أو إصابة الجنين بتشوهات.

المبحث الثاني: حالات الإجهاض العلاجي المختلف فيها

تباينت مواقف التشريعات المقارنة حول مسألة الإجهاض لأسباب اجتماعية واقتصادية، كسبب من أسباب الإباحة للإجهاض، وأبرز الحالات المختلف فيها حالة الحمل الناتج عن الزنا، وحالة الحمل الناتج عن تعرض المرأة إلى الاغتصاب، والجنين المشوه، بينما هناك من حصر الإجهاض في حالة حماية صحة الأم عندما تكون حياتها أو توازنها النفسي والعقلي مهددين بخطر بسبب الحمل.

أولاً: إجهاض الحمل الناتج عن الزنا

تقتضي مسألة إنهاء الحمل الناتج عن الزنا الموازنة بين حق الجنين في الحياة باعتباره كائناً حياً له كامل الحماية، وبين متاعب حمل الزنا وحرية المرأة في الإنجاب بالطرق التي تراها مناسبة ولا تشكل عليها آثار اجتماعية فيما

بعد، فأباحت بعض التشريعات إجهاض حمل الزنا دفعا للعار، وتشريعات أخرى لا تجيزه، بينما تشريعات اعتبرته ظرفا مخففا[□].

أما موقف التشريع الجزائري من إجهاض حمل الزنا فهو في واقع دائرة التجريم، فجميع الأفعال التي تؤدي إلى إنهاء المحل تعتبر غير مباحة بغض النظر عن كون الحمل نتيجة زواج صحيح أو نتيجة علاقة غير شرعية، ولا وجود لنص يقرر استثناء خاصا لحمل الزنا، وكل النصوص القانونية تستعمل لفظ "امرأة" فلا تمييز بين المتزوجة وغير المتزوجة، فنصت المادة 304 من قانون العقوبات " كل من أجهض امرأة"، فقد شمل التجريم على الإجهاض المرأة بصفة عامة ومهما كانت، متزوجة أم لا، قاصرة أم لا، راضية بالإجهاض أم لا، ولم يرد استثناء لحالة الإجهاض خوفا من العار أو الفضيحة أو الانتقام والقتل. ولا يعقل إباحة الاعتداء على حق الجنين في الحياة اعترافا بحق المرأة في إجهاض حمل لها كان نتيجة غير مشروعة رضيت بها، فلا دخل للجنين في موضوع الاعتداء على عرض الأم وشرفها، يعتبر جريمة معاقب عليها قانونا، فلا يمكن للقانون أن يبيح فعلا ناتج عن فعل محظورة وجريمة معاقب عليها[□]، كما إن إباحة إجهاض الحمل اعتداء على مصلحة المجتمع في استقرار العلاقات الأسرية، وإباحته قد يكون له عواقب اجتماعية خطيرة كتفشي الفواحش والانحلال الأخلاقي، وحماية النتائج السلبية غير المرغوب فيها للعلاقات غير الشرعية.

ثانيا: إجهاض الحمل الناتج عن الاغتصاب

يعد الاغتصاب جريمة بشعة وسلوك لا أخلاقي شنيع، قد يقع فرديا على امرأة بعينها نتيجة الانحراف وتحت تأثير المخدرات أو في الحروب، وقد يقع الاغتصاب جماعيا على مجموعة من النساء أو طائفة أو بلد ما، مثل ما حدث في حرب العراق وفي الصرب في البوسنة والهرسك وأثناء الثورة التحريرية الجزائرية من طرف الاستعمار الفرنسي وخلال الأزمة الأمنية في التسعينات بالجزائر في بعض القرى الجبلية[□].

تعتبر مسألة إجهاض حمل الاغتصاب من أعقد القضايا الإنسانية وأكثرها اختلافا بين رجال القانون وفقهاء الدين، خاصة حالة اغتصاب الفتاة القاصرة

والاغتصاب بين الأقارب، فيها تتقارب مصلحتين متناقضتين حق الجنين في الحياة ومتاعب حمل الاغتصاب على المرأة في مستقبلها وحققها في الأمن الشخصي على جسمها وعدم تحملها لنتيجة لم تقبل بها.

لم يبح المشرع الجزائري للمرأة الحامل إسقاط حملها الناتج عن حالة اغتصاب لعدم توافر أسباب الإباحة وانتفاء الضرورة وشروط الدفاع الشرعي، ولم تتعرض النصوص إلى حمل الاغتصاب مما يعني عدم إباحته، فهو يخضع للعقاب شأنه شأن جرائم الإجهاض الأخرى، فالمرأة لها حق الدفاع الشرعي ضد الرجل الذي يحاول الاعتداء على عرضها، ولها كذلك الحق في الحيلولة دون الحمل باستعمال الوسائل التي من شأنها ذلك، فإذا حصل الحمل كان للجنين الحق في النمو والميلاد الطبيعي الذي لا يجوز للحامل الاعتداء عليه، كما أنه يخشى أن يؤدي الاعتراف بهذا الإجهاض إلى إساءة استعماله حين يكون ثمرة علاقة جنسية رضيت بها المرأة، ثم تخلع عليها مظهما إجراميا توصلنا إلى إباحة الإجهاض □□.

لكن إذا تعرضت الحامل ولو من الزنا أو الاغتصاب إلى ضرر بالغ وتوافرت مقتضيات العمل العلاجي، وقرر الأطباء إجهاضها وفق الضوابط المذكورة، فإن حكم ذلك الإجهاض حينئذ يكون مناطه ذلك الضرر وليس الزنا □□.

ثالثا: إجهاض الجنين المشوه

يثير الجنين المشوه عدة إشكالات قانونية تتعلق بالموازنة بين حق الجنين في الحياة ومتاعب التشوهات الخلقية التي سيعيش بها لاحقا، وتوجد العديد من التشريعات المعاصرة أباحت الإجهاض لدواعي تشوه الجنين كالتشريع الفرنسي والانجليزي والتونسي^{٢٣}، بينما اتجه آخر يرى أن تشوه الجنين المستقبلي لا يدخل ضمن حالات الضرورة وأسباب إباحة إنهاء المرأة لحملها وإسقاطه، لأن حق الجنين في الحياة يفوق مصلحة الأسرة في أن يكون جميع أعضاء أفرادها أسوياء □^{٢٤}.

فمن الصعب إهدار كرامة الجنين وحقه في الحياة طالما أن التطور العلمي يمكن له مواجهة مثل هذه العيوب الخلقية، ولا يمكن معادلة حق الجنين في

الحياة مع حق الأسرة في إعفاءها من المتاعب النفسية والاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن استمرار حياة الجنين المشوه أو إصابته بمرض عسير الشفاء. يبدو أن الاعتراف بالكرامة الإنسانية للجنين في كامل مراحل نموه، وأيا كان مكانه سواء داخل الرحم أو خارجه، يحتم الحرص على حمايته إلى حين ميلاده طبيعيا وعدم العدوان عليه، سواء كان جنينا سليما صحيحا أم كان مصابا بمرض، طالما عدم تعادل حق الجنين في الحياة وبين حق آخر أقل منه أهمية وهو الحق في الحياة في رفاهية، فترجيح الحق الأعلى درجة وهو حق الجنين أولى من حق أسرته النفسي والمادي، خاصة أن الكشف عن حالات التشوهات الجنينية والتأكد منها إلا بعد عدة أشهر من الحمل ^{٢٢}.

إضافة للحالات السابقة معلوم أن الإجهاض لدواعي اقتصادية غير مباح به، فلا يمكن التخلص من الحمل قد يكون وجوده يرهق الأسرة ويكلفها تكاليف مالية إضافية ومتاعب اقتصادية، ومادام الجنين يتمتع بالحق في الحياة فلا يمكن للمصلحة الاقتصادية للأسرة أن ترجح على كرامة الجنين ولا يمكن التضحية به للظروف الاقتصادية للأسرة، وجل التشريعات لا ترخص بالإجهاض نظرا لظروف العائلية الاقتصادية، وعند وجود مبررات اجتماعية واقتصادية يمكن اتخاذ البديل والطرق الوقائية وتنظيم النسل وتفاذي وقوع الحمل قبل التفكير في التبرير للاعتداء عليه مستقبلا.

وقد نظمت القوانين المغاربية الإجهاض وخصصت له نصوص وضوابط في قوانينها الجزائية، وتتفق كلها في ضرورة إجراء الإجهاض في حالة الخطر المحقق بحياة الأم ووجود ضرر يهدد صحتها لا علاج له إلا بإجهاضها، إلا أنها تختلف بينها من حيث دائرة التجريم ^{٢٣}.

وبينما معظم التشريعات اللاتينية والأنجلوسكسونية قررت فترة زمنية فاصلة بين الإباحة والتجريم على الإجهاض تتراوح بين 22 و 26 أسبوعا، وبعد هذه الفترة يكون للجنين حرمة ويتمتع حينها بالصفة الإنسانية.

وقد تأثر المشرع الجزائري بالمشرع الفرنسي عندما اعتبر الإجهاض الضروري عملية إيقاف للحمل ووسع من حالاته ولو كانت الحالة غير ضرورية، حيث صدر في فرنسا سنة 2014 القانون رقم 2014 - 873 المؤرخ في 04/08/2014 المتعلق

بالمساواة الفعلية بين النساء والرجال، والذي تضمن تعديل قانون الصحة العمومية بإلغاء "حالة الخطر" كشرط لقيام المرأة بإنهاء الحمل، لتصبح المادة L2212-1 من قانون الصحة العمومية تنص بأنه: "يجوز للمرأة الحامل التي لا ترغب في مواصلة الحمل أن تطلب من طبيب أو من قابلة إنهاء حملها، لا يمكن تنفيذ هذا الإنهاء إلا قبل نهاية الأسبوع الثاني عشر من الحمل" ^{١٠}.

كما أن المحكمة العليا الأمريكية أرست سنة 1973 موازنة بين حق الجنين في الحياة من جهة، وحق المرأة الحامل من جهة أخرى، وذلك بمناسبة النظر في مسألة دستورية القوانين التي تجرم وتقيد الإجهاض، وقضت بأن هذه الموازنة حددت بـ 24 أسبوعاً، بمرورها يكون للجنين حياة ذات معنى كإنسان، وبالتالي يستحق حماية حياته ويجرم الإجهاض بعدها، ثم في سنة 1992 عدلت المحكمة فترة 24 أسبوعاً إلى 22 أسبوعاً ^{١١}.

خاتمة:

يتبين من خلال هذه الدراسة أن المشرع الجزائري من خلال قانون الصحة الجديد اعتبر أن الأصل هو المحافظة على صحة المرأة الحامل وجنينها وتقديم المساعدة الطبية الضرورية، واستثنى حالة الإيقاف العلاجي للحمل حماية لصحة الأم عندما حماية صحة الأم عندما تكون حياتها أو توازنها النفسي والعقلي مهددين بخطر بسبب الحمل.

توسّع التشريعات المقارنة في حالات الإجهاض العلاجي لتشمل المحافظة على الجوانب العقلية والنفسية للحامل، لكن ينبغي اعتبار الجوانب النفسية للحامل حالة خطر لأنها معيار غير منضبط، وقد ترك المشرع عدة مسائل مستحدثة تحتاج إلى تنظيم كالجنين المشوه وحالة الاغتصاب.

أحاط المشرع الجزائري بإنهاء الحمل لأسباب طبية بعدة شروط موضوعية وشكلية تهدف في مجملها إلى إخراجها من الإطار الضيق إلى الإطار الرسمي بعلم الجهات الإدارية، ومشاركة عدة أشخاص مختصين، وقصد توفير ضمانات كافية لإجرائه في إطار طبي وقانوني مشروع، وهو ما يعد ضماناً لعدم التوسع في أسباب الإباحة وعدم المتاجرة بعمليات الإجهاض.

أهمية حصر إجراء الإجهاض العلاجي في المؤسسات العمومية الاستشفائية دون القطاع الخاص، ودور الفحص الطبي قبل الزواج في علاج والوقاية من التشنجات الجنينية والحالات المرضية الخطيرة.

موقف المشرع الجزائري من تنظيم الإجهاض الطبي الضروري جدير بالاهتمام، كما أن معيار الضرورة في قانون الصحة دقيق، لأن تحديد معيار الضرورة وإخضاعها لشروط شكلية كفيلة بالتحكم في حالات الإجهاض غير الضروري، فحالة الضرورة يجب أن تفسر في أضيق نطاق حتى لا يساء استخدامها وتتخذ ذريعة لإجراء الإجهاض غير المشروع، مع الإشارة إلى أن حالة الضرورة مسألة شديدة الدقة يترك تقديرها لأهل الاختصاص من الأطباء.

لا يوجد نص تشريعي جزائري يبيح إجهاض الحمل الناتج عن حالة الزنا وحالة اغتصاب المرأة، فيعتبر إقدام المرأة على ذلك جريمة لأن الإجهاض المباح هو الإجهاض الذي يعرض حياة المرأة إلى الخطر، فلا ينبغي اللجوء إلى الإجهاض لأسباب اجتماعية أو أخلاقية، لأن حمل العلاقة غير الشرعية لا يهدد حياة المرأة بالخطر، وهو ما لم ينص عليه التشريع الجزائري صراحة وإنما يفهم ضمناً.

الإجهاض الذي يستهدف استبعاد طفل يرجح أن يكون مصاباً بمرض خطير أو مشوها هو أمر لم يفصل فيه القانون الجزائري بوضوح، فعند المقارنة بين مصلحة الأسرة في أن يكون جميع أفرادها أسوياء البدن والعقل، وبين حق الجنين في الحياة يتضح رجحان الحق الثاني، وهذا عكس موقف فقهاء الشريعة الإسلامية الذين يفرقون بين الممارسات الواقعة على الجنين قبل نفخ الروح ومرحلة ما بعد النفخ، فحرمة الجنين في بداية تخلقه وتكوينه لا يمكن أن تُسوَّى مع حرمة ما بعد نفخ الروح فيه، الأمر الذي يستوجب ضرورة تدخل المشرع لمراعاة هذا التفاوت في درجة جريمة هذا الكائن عند وضع العقوبة وتقرير الإباحة.

عدم إباحة الإجهاض الذي يستهدف التخلص من جنين يرجح أن يؤثر على المركز الاقتصادي للأسرة، كما لو كان عدد الأبناء كبيراً والدخل قليلاً، فعند المقارنة بين المركز الاقتصادي للأسرة وحق الجنين في الحياة يتبين رجحان الحق الثاني، فيتعين صيانتها بتجريم الاعتداء عليه.

المشرع الجزائري لم يتطرق إلى موضوع الاعتداء على البويضة الملقحة خارج الرحم ولا البويضة المخصبة داخل الأنابيب ولا الأجنة المجمدة في البنوك الجنينية، لذلك نقترح تدخل المشرع لحماية البويضة الملقحة لمنع العبث بها.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- قانون رقم 18 - 11 مؤرخ في 18 شوال عام 1439 الموافق 2 يوليو سنة 2018، يتعلق بالصحة.

- الأمر رقم: 156/66 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 8 يونيو سنة 1966، والمتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم.

- القانون رقم: 85/05 المؤرخ في 26 جمادى الأولى عام 1405 الموافق 16 فيفري 1985، والمتعلق بحماية الصحة وترقيتها، المعدل والمتمم.

- أحسن بوسقيعة (2006)، الوجيز في القانون الجزائري الخاص، الجرائم ضد الأشخاص والجرائم ضد الأموال، ج1، دار هومة، الجزائر.

- أحمد محمد كنعان (2000)، الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس، ط1، بيروت.

- أميرة عدلي أمير (2007)، جريمة إجهاض الحامل في التقنيات المستحدثة، منشأة المعارف، الإسكندرية.

- باحمد أرفيس (2005) مراحل الحمل والممارسات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، ط2، الجزائر.

- ثابت بن عزة مليكة (2013)، جريمة الإجهاض بين الشريعة الإسلامية والتشريع الجنائي الجزائري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.

- خالد جمال أحمد (يناير 2007)، الحماية القانونية للجنين، مجلة الحقوق، المجلد الرابع، العدد: 1، كلية الحقوق، جامعة البحرين.

- راحلي سعاد (2015)، النظام القانوني للتجارب الطبية على الأجنة البشرية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر.

- عبد الفتاح مصطفى (2000)، قانون العقوبات القسم الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية.

- عبد الله أوهابيه (2009)، **شرح قانون العقوبات الجزائري القسم العام**، موفهم للنشر، الجزائر.
- علي هادي عطية الهلالي (2012) **المركز القانون للجنين في ظل الأبحاث الطبية والتقنيات المساعدة في الإنجاب**، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان.
- محمد علي البار (1995)، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، الدار السعودية للنشر، ط 10، جدة.
- محمود نجيب حسني (1986)، **شرح قانون العقوبات القسم الخاص**، دار النهضة العربية، القاهرة.
- مصطفى بن وارث (1995)، **مذكرات في القانون الجزائري**، دار هومة، الجزائر.
- المصطفى طابل (ديسمبر 2016)، **إسقاط الجنين للضرورة بين الفقه الإسلامي والقوانين الجنائية المغاربية**، مجلة المتوسط للدراسات القانونية والقضائية، العدد 2، المغرب.
- نجيمي جمال (2016)، **جرائم العنف الماسة بسلامة جسم الإنسان في قانون العقوبات الجزائري**، دار هومة، الجزائر.
- هجيرة بن عزي (2014)، **جريمة الإجهاض في التشريع الجنائي المغربي**، المجلة المغربية للقانون الجنائي والعلوم الجنائية، العدد 01.
- هلاي عبد الله أحمد (2015)، **الحماية الجنائية لحق الطفل في الحياة**، دار النهضة العربية، القاهرة.
- droit** - Jean Larguier et Anne Marier Larguier (2002),
pénal Spécial, 12^{ème} édition, Dalloz , Paris.
- Michèle Laure Rassat (1997), **droit pénal spécial**,
Dalloz, Paris, 1997.

¹ - قانون رقم 18 - 11 مؤرخ في 18 شوال عام 1439 الموافق 2 يوليو سنة 2018، يتعلق بالصحة.

- 2 - الأمر رقم: 156/66 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 8 يونيو سنة 1966، والمتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم.
- 3 - ينظر: راحلي سعاد، النظام القانوني للتجارب الطبية على الأجنة البشرية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2014 - 2015، ص 96. عبد الفتاح مصطفى: قانون العقوبات القسم الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 324.
- 4 - ينظر: خالد جمال أحمد: الحماية القانونية للجنين، مجلة الحقوق، المجلد الرابع، العدد 1، كلية الحقوق، جامعة البحرين، يناير 2007، ص 320. هلائي عبد اللاه أحمد: الحماية الجنائية لحق الطفل في الحياة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015، ص 110.
- 5 - مصطفى بن وارث: مذكرات في القانون الجزائي الجزائري، دار هومة، الجزائر، 1995 ص 152.
- 6 - باحمد أرفيس: مراحل الحمل والممارسات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، ط2، الجزائر، 2005، ص 434.
- 7 - محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر، ط 10، جدة، 1995 ص 433.
- - عبد الفتاح مصطفى: المرجع السابق، ص 304.
- - القانون رقم: 05/85 المؤرخ في 16 فيفري 1985، والمتعلق بحماية الصحة وترقيتها، المعدل والمتمم.
- 10 - هجيرة بن عزي: جريمة الإجهاض في التشريع الجنائي المغربي، المجلة المغربية للقانون الجنائي والعلوم الجنائية، العدد 01، المغرب، 2014، ص 144.
- 11- ينظر: باحمد أرفيس: المرجع السابق، ص 450، ثابت عزة مليكة: جريمة الإجهاض بين الشريعة الإسلامية والتشريع الجنائي الجزائري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2013، ص 179.
- 12 - عبد الله أوهابية: شرح قانون العقوبات الجزائري القسم العام، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص 168.
- 13 - نجيمي جمال: جرائم العنف الماسة بسلامة جسم الإنسان في قانون العقوبات الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2016، ص 323.
- 14 - عزة بن ثابت مليكة: المرجع السابق، ص 181.
- 15 - أحسن بوسقيعة: الوجيز في القانون الجزائي الخاص، الجرائم ضد الأشخاص والجرائم ضد الأموال، ج1، دار هومة، الجزائر، 2006، ص 81.
- 16 - ثابت بن عزة مليكة: المرجع السابق، ص 197.

17 - الاغتصاب هو الإكراه على الزنا، وهو من الغصب أي أخذ الشيء ظلماً، وهو مما انتشر في بعض المجتمعات انتشاراً مخيفاً ففي دراسة أجريت في ألمانيا تبين أن واحدة من كل سبع نسوة قد اغتصبن، وفي الولايات المتحدة وجد أن (25%) من البنات قد تعرضن للاغتصاب. أحمد محمد كنعان: الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس، ط1، بيروت، 2000، ص 526.

19 - محمود نجيب حسني: شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص 506.

20 - أميرة عدلي أمير: جريمة إجهاض الحامل في التقنيات المستحدثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007، ص 268.

21 - محمود نجيب حسني: المرجع السابق، ص 507.

22 - علي هادي عطية الهلالي: المركز القانون للجنين في ظل الأبحاث الطبية والتقنيات المساعدة في الإنجاب، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2012، ص 217.

23 - المصطفى طابل: إسقاط الجنين للضرورة بين الفقه الإسلامي والقوانين الجنائية المغاربية، مجلة المتوسط للدراسات القانونية والقضائية، العدد 2، المغرب، ديسمبر 2016، ص 49.

24 - Jean LARGUIER et Anne Marier LARGUIER, **droit pénal Spécial**, 12ème édition, Dalloz, 2002, Paris, P 123.

25- Michele Laure Rassat, **droit pénal spécial**, Dalloz, Paris, 1997, P 89.



الآليات الوقائية والردعية لمكافحة الفساد في الشريعة الإسلامية والتشريع الجزائري

Preventive And Deterrent Mechanisms To Combat Corruption In Islamic Law And Algerian Legislation

شرع عبد الرزاق¹، كيحول بوزيد²

1 - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية،
جامعة غرداية.

2 - كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة غرداية.

¹abderazakchraa@gmail.com/ Abderazak.chraa @univ-ghardaia.dz

²bouzidkahoul@hotmail.com/ Bouzid.kahoul @univ-ghardaia.dz

تاريخ القبول: 2019-11-24

تاريخ الاستلام: 2019-02-13

الملخص -

إن الفساد ظاهرة تعد من أهم التحديات التي تواجه المجتمعات، والتي أرهقت ولا زالت ترهق كاهل العديد من الدول مما تسببه من خسائر وآثار تعود بالسلب على المواطن والدولة على حد سواء، وكمحاوله للحد من هذه الظاهرة يأتي هذا البحث للكشف والوقوف على الآليات الوقائية والردعية التي عمدها المشرع الجزائري وما يقابل ذلك في الشريعة الإسلامية حدا لهذه الظاهرة، ولقد توصل البحث إلى ضرورة الاقتداء بأحكام الشريعة الإسلامية، وإعادة النظر في السياسة الجنائية المطبقة إزاء جرائم الفساد.

الكلمات المفتاحية -

محاربة الفساد - الآليات الوقائية - الآليات الردعية.

Summary -

Corruption Is A Phenomenon That Is One Of The Most Important Challenges Faced By Societies, Which Have Been Exhausted And Are Still Burdening Many Countries, Causing Losses And Effects That Harm The Citizens And The State Alike. As An Attempt To Reduce This Phenomenon, This Research Comes To Uncover And Identify The Preventive And Deterrent Mechanisms The Algerian Legislator And The Corresponding Islamic Law Had Put In Order To Reduce This Phenomenon, And The Research Reached To A Result That Recommends To Follow The Provisions Of Islamic Law And Reconsider The Criminal Policy Applied To The Crimes Of Corruption.

Key Words -

Fighting Corruption - Preventive Mechanisms - Deterrent Mechanisms

مقدمة:

إن المال وسبل كسبه من أهم القضايا التي شغلت وتشغل الأفراد والجماعات، وتنافست عليه كافة النظم السياسية في الصور الماضية وفي عصرنا الحالي، ولا نبالغ إذا قلنا أن المال أساس ما يحدث في العالم اليوم. وللقانون الجزائري ألياته وأساليبه لتسيير المال العام وإبعاد الاختلاسات والفساد عنه، لعلها بهذا تكون وقاية له من أوجه الفساد، وكذا استحداث هيئات رقابية وأحكام قضائية للمنتهك لقوانين تلك الهيئات. وكذا للشرعية الإسلامية موقفها وكلمتها في قضية المال لما للأخير من أهمية لقيام حياة الفرد والجماعة فشرعت له أحكاما ومبادئ لكسبه وتحصيله ومن تم صرفه وحفظه، وأوضحت كل ذلك بمنهاج فذ بديع الصنع لا من ناحية الوسائل ولا الغايات، ولا أعدو الحقيقة إذا قلت أن منهاج وسبيل الشريعة أنجع وأسلم منهاجا وهذا ما نكتشفه يوما بعد الآخر.

و تعتبر ظاهرة الفساد من أكثر الظواهر شيوعا في الدول، لما ينجم عنه من آثار سلبية تعود بالضرر على الاقتصاد الوطني والاستقرار الاجتماعي، فالفساد يهدف لإثراء البعض بغير حق عن طريق المتاجرة بالوظيفة العامة أو إهدار الثقة في الإدارة العامة، وعجز البعض الآخر من تلبيّن حاجاته، ولسد الطريق أمام هؤلاء وسد كل السبل المؤدية له خلق المشرع الجزائري أليات وهيئات يناط بها الحد والكشف عن مواطن الخطأ والزلل ومعاينة مرتكبي الفساد، كما أن للشريعة الإسلامية أساليبها الوقائية والردعية لغلق الطريق عن هؤلاء وسنوضح ذلك في متن البحث، وقبل الحديث عن الأليات المتبعة لكبح الفساد نورد تعريف الفساد وعوامل انتشاره عامة ثم الوقوف على الأليات المتبعة في القانون الجزائري وكذا في الشريعة الإسلامية، فالله نسأل التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: تعريف الفساد:

الفساد لغة: من فسد فهو فاسد والمفسدة خلاف المصلحة، وهو مأخوذ من الفعل يفسد إذا ذهب صلاح الشيء، وخروج الشيء عن الاعتدال سواء كان الخروج قليلا أو كثيرا، يقال فسد الشيء بمعنى أنه لم يعد صالحا،⁽¹⁾ وفساد الأمور إذا اضطربت، ومنه جاء فساد العقد أي بطلانه.

ويقال فساد شيء ما، أي هو تحوله عن حالته الصحية إلى حالة أخرى مرضية أو تحلل عناصره.

أما الفساد في الاصطلاح، ففي البداية فلقد اختلف الفقهاء في تعريف الفساد وذلك نظرا لاختلاف مشاربهم الفكرية، فظهرت في هذا المجال التعريفات القانونية والإدارية والاجتماعية، وسبب عدم وجود إجماع حول تعريفه راجع إلى عمومية واسعة استخدام هذا المصطلح في مختلف المجالات السياسية منها والاقتصادية والإدارية.⁽²⁾

ومنه فالفساد من الناحية القانونية شامل لكل أصناف الفساد، وهو الخروج عن القوانين والأنظمة أو استغلال غيابهما من أجل تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية أو شخصية.⁽³⁾

وعرف الفساد بأنه سوء استخدام المنصب العام لغايات شخصية، ويعاب على هذا التعريف بأنه ذكر حدود الفساد في المنصب العام والفساد يشمل جوانب عديدة وأخرى.

وقد عرف الفساد كذلك بأنه: مجموعة الأفعال المخالفة للقوانين، والهادفة إلى التأثير بسير الإدارة العامة أو قراراتها أو أنشطتها بهدف الاستفادة المادية المباشرة أو الانتفاع غير المباشر.⁽⁴⁾

وقد عرف البنك الدولي الفساد بقوله: إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص.

وما تعلق بمصطلح الفساد فهو جديد في التشريع الجزائري، إذ لم يستعمل قبل سنة 2006، كما لم يجرم في القانون الجنائي، وبعد مصادقة الجزائر على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد سنة 2004 بموجب المرسوم الرئاسي رقم: 128/04 المؤرخ في 19 من أفريل 2004 قام المشرع بتكييف التشريع بما يتناسب مع هذه الاتفاقية فكان ميلاد قانون الوقاية من الفساد ومكافحته رقم 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006.⁽⁵⁾

وأما موقف المشرع الجزائري فقد جاء واضحا وإن لم يعرف الفساد تعريفا فلسفيا أو وصفيا، وإنما أشار إلى أنواعه وصوره واعتبره جريمة وعاقب عليه بموجب قانون الوقاية من الفساد ومكافحته من خلال (الفقرة أ من المادة 02).⁽⁶⁾ ويستحسن للمشرع الجزائري هذا الصنيع عندما لم يقحم في التعريفات الفلسفية والتي طالما تثير جدلا واسع النطاق بين فقهاء القانون، وفي الحقيقة يتعدى الأمر ذلك، فلفقهاء العلوم الإنسانية والاجتماعية كلام وتفصيل فتصبح الجزئية محل نقاش كبير، وفي المقابل يعاب على المشرع الجزائري أنه أشار إلى بعض مظاهر وصور الفساد فقط دون ذكر باقي الصور الأخرى التي تخرج عن مجال التجريم، وتبقى مباحة رغم خطورتها ومثال ذلك الوسطة والمكافأة والمحسوبية.⁽⁷⁾

ثانيا: عوامل وأسباب انتشار الفساد:

الفساد ليس ظاهرة وليدة الأمس وليست مقتصرة على الدول النامية فحسب، ومن غير الممكن معرفة مدى انتشار الفساد بشكل دقيق وإنما في الغالب

بشكل تقريبي فمعظم أعمال الفساد تتم بسرية ونادرا ما يتم الكشف عنها بسهولة.⁽⁸⁾

وتختلف الأسباب التي تؤدي إلى نمو الفساد وانتشاره في البلدان النامية، فالعوامل عديدة وكثيرة ويبدو أنه من الصعب اختزال ظاهرة الفساد في عامل بعينه أو حتى مجموعة عوامل بعينها، وهي عوامل أفصحت عنها بصورة أو بأخرى بعض أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ويمكن حصر تلك العوامل في الآتي:

1 - العامل السياسي:

وينتج هذا العامل غالبا نتيجة غياب الشفافية والنزاهة والمساءلة وسيادة القانون وهي قيم ترتبط ارتباطا وثيقا بالديمقراطية كثقافة للمجتمع.⁽⁹⁾ وذهبت المنظمة العربية لمكافحة الفساد وأشارت إلى أن الفساد السياسي هو الفساد الذي يتعلق بالاختلال والانحراف في توزيع السلطة، والمسألة المتعلقة بنظام الحكم والمؤسسات السياسية و تداول السلطة والمساءلة التي يخضع لها نظام الحكم، وحرية المشاركة والتعبير والتنظيم والرقابة التي تتمتع بها وتمارسها هذه الجماهير ويترتب على اختلال منظومة السلطة والمسألة السياسية امكانية تحقيق النخب السياسية المتمسكة بسلطات الحكم على منافع شخصية بعيدا عن المسألة العامة، أو الجماهير لممارستها.

ويضاف إلى ذلك أن حدوث الفساد السياسي من خلال الانتخابات واستقطاب المؤيدين وجمع التبرعات لها، ومحاولات كسب تأييد الناخبين بالوسائل التي تنسجم أو تتلاءم مع مطالب واحتياجات كل شريحة على انفراد، والتي تبدأ بتقديم الوعود الزائفة من قبل المرشح للانتخابات وتنتهي بشراء الأصوات من الناخبين بمبالغ نقدية وعينية وبعدها يجد المرشح نفسه ملزما بالبحث عن السبل التي تمكنه من استعادة المبالغ التي أنفقها للوصول إلى الحكم وهذا عين الفساد.

2 - العامل الاقتصادي:

يلعب هذا العامل دورين في تحقق وانتشار الفساد من حيث الفقر والغنى فالفقر عامل يصعب إنكار صلته بالفساد لا سيما في رشوة صغار الموظفين من

ذوي الدخول المتواضعة، أو إقدامهم بعضهم على اختلاس المال العام، وأما الغنى فيبرز دوره في جرائم الاختلاس الكبيرة، وتقاضي العمولات المحفزة من أجل تسهيل الصفقات.⁽¹⁰⁾

والفساد الاقتصادي ينجم دوره في تركيز السلطة الاقتصادية في كيانات احتكارية تعمل على المستوى الكلي أو القطاعي وامتلاكها هامشا تقديريا واسعا في القرارات التي تتخذها مع ضعف الرقابة والمساءلة عليها، سواء كانت هذه الكيانات مملوكة للدولة أو هيئات اقتصادية مملوكة للقطاع الخاص، ففي الصورة الأولى تكون المشروعات والهيئات الاقتصادية العامة عرضة للفساد ببدد مواردها وامكانياتها المملوكة في الأصل للمجتمع وتحويلها إلى ثروات خاصة،⁽¹¹⁾ وأما بخصوص الحالة الثانية يكون الاقتصاد بأكمله أو جزءا كبيرا منه عرضة للسيطرة الاقتصادية التي يكون ضحيتها المواطنون الذين يشكلون جانب الطلب على ما تنتجه المنشآت الخاصة المحتركة، والأكثر من ذلك فكما هو معلوم فإنه يوجد الفساد الذي يصيب المعاملات الاقتصادية في البيع والشراء والمبادلات في الأسواق حيث يسود الغش والتلاعب وعدم الوفاء بالعهود والاخلال بالاتفاقات والعقود فهذا النوع من الفساد لا يرتبط فقط بالسلطة الاحتكارية وإنما بانهايار منظومة الثقة والضوابط والقواعد المتعارف عليها في مجال المعاملات والمبادلات.

3 - العامل الثقافي:

إن الفساد يغطي رقعة القصور الثقافي الذي لم يلفت إليه الموظف العمومي ولا المواطن المتعامل على حد سواء فانتهكوا حرمة الأفعال المشينة بسبب قلة وعيهما إذ لو كانا عالمين بخطورة ما ارتكباه، وإلى غاية اليوم فالقصور الثقافي لم يستوعب بالقدر الكافي أن الدولة ملتزمة بأن تؤدي للفرد من خلال مرافقها العامة خدماته على الشكل المرغوب، وفي وقت معقول ودون أي مقابل يدفعه عدا ما تعلق ببعض الرسوم والضرائب، ويضاف إلى ذلك أن جهل المواطنين بحقوقهم التي يجب توفيرها من قبل الدولة وكذا التزامهم بواجباتهم تجاهها يجعلهم أكثر عرضة وأطمع في استغلال وظائفهم للحصول على الثروة من خلال جرائم الفساد كالرشوة والاختلاس، ومن جهة أخرى إذا كان المواطن جاهل بالإجراءات اللازمة لإنجاز معاملته يكون أكثر عرضة لاستغلال الموظف الفاسد

الذي يقوم باستغلال جهله للحصول على المال بحجة السرعة في الانجاز، وعلى ما ورد من آثار سلبية للقلة الوعي والثقافة وجب نشر الوعي والثقافة الإدارية لدى المواطنين بأن تقديم الخدمة لهم من قبل الموظف هو واجب وحق حتى لا يتم استغلالهم من الموظفين الفاسدين وذلك من خلال تنظيم دورات وندوات ولقاءات جوارية، وهذا النوع من الفساد يمثل أخطر أنواع الفساد لأنه يتغلغل في الثقافة الشخصية والبيئية الاجتماعية وبالتالي يفقد المجتمع الفهم الصحيح بين الحق والواجب وبين السلوكيات النزيهة والفسادة، والأخلاق الحميدة والرديلة.⁽¹²⁾

4 - العامل القانوني:

يعرف القانون بأنه مجموعة القواعد القانونية التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع ببعضهم البعض من جهة، ومن جهة أخرى تنظيم العلاقة بين الأفراد والدولة، وبهدف القانون إلى حماية حقوق الأفراد وتمتعهم بالحقوق والحريات الأساسية وتحقيق مفهوم المساواة وتخضع جميع سلطات الدولة والأفراد للقانون، ومن هذا يلزم أن لا تتعسف الدولة في استخدام سلطاتها من أجل الحد من حقوق وحريات الأفراد، بل لابد أن تعمل على تنميتها وأن تضمن الحماية لها، وعلى هذا فإن سيادة القانون تعلو على سلطة الحكومة.⁽¹³⁾

وبالنسبة للدول ذات النظام الديمقراطي والجزائر منها، يعتبر سيادة القانون أصل الأصول، ويمكن تحديد ماهية سيادة القانون على أنها المعايير الأساسية لتطبيق النظام ثم القضاء والغاية من ذلك توفير الحماية للحقوق والحريات الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان دون تمييز بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو العرق،⁽¹⁴⁾ فالتعريف العام براق ولكن عند توجد عدة معوقات تحول دون تحقق تلك الأهداف المتمثلة في تحقيق الحماية وارساء الحريات ومن تلك المعوقات الآتي:

-عدم وضوح القوانين.

-التسرع في إصدار تشريعات كثيرة خاصة بالإدارة العامة.

-تعطيل وعدم تطبيق القوانين.

-جمود وقصور الكثير من القوانين.⁽¹⁵⁾

-تمسك الإدارة القضائية والأمنية بالإجراءات الروتينية المعقدة والتقليدية.

5 -العامل الإداري:

عرفت الدول العربية عموما والجزائر خصوصا منذ منتصف التسعينات توسعا ملحوظا في القطاع الحكومي استجابة للزيادة المفردة في حجم الطلب على الخدمات العامة،⁽¹⁶⁾ غير أن عملية التوسع هذه تجاوزت حدودها الأمر الذي أدى إلى تضخم الجهاز الإداري من خلال الزيادة إلى آثار سلبية منها تداخل الاختصاصات، ويرجع سبب التضخم لكون الحكومات العربية والجزائر خاصة اتبعت سياسة التوظيف الاجتماعي الارتجالي، ومن بين المعوقات التي أدت إلى هذا الاضطراب الأسباب الآتية:

-سوء التنظيم الإداري.

-الميل نحو المركزية وعدم التفويض في صنع القرارات.

-تعقد الإجراءات الإدارية وغلبة الطابع البيروقراطي في الإدارة.

-ضعف الرقابة والمساءلة الإدارية.

-عدم تناسب السلطة والمسؤولية في الجهاز الإداري.

-عدم موضوعية طرق التوظيف والترقية في الإدارة العامة.

-عدم مواكبة سياسة الأجور للظروف الاقتصادية ومتطلبات المعيشة.

-تخلف القيادات الإدارية وفسادها.

ثالثا: الآليات للمرسدة لمكافحة الفساد في التشريع الجزائري:

1 -الآليات الوقائية لمكافحة الفساد:

أورد المشرع الجزائري التدابير الوقائية في القطاع العام بموجب المواد 03 - 04 - 07 من قانون 06 - 01 وتتمثل هذه التدابير في مبادئ التوظيف ومدونات أخلاقيات المهنة ووجوب التصريح بالامتلاك والاعتماد على النزاهة وكل ذلك من أجل تحصين الموظف من مثالب الفساد، وسنحاول في الآتي الوقوف على ما سبق من تدابير وقائية.

لا شك أن صلاح الجهاز الإداري المبكر من شأنه أن يسعف المجتمع من شر الفساد، فلو تم الاعتناء به كما ينبغي سواء تعلق الأمر بإسناد المسؤولية

العمومية أو فيما يخص إبرام الصفقات العمومية لما تطور واتسعت رقعة الفساد، وحدا لهذا الفساد ومحاولة جدية لكبح حدة الفساد فقد تضمن القانون في مقدمته مواد هامة ترمي إلى إرساء قواعد وقائية وتتمثل في الآتي:

أ -إسناد التوظيف:

ينبغي أن يصاحب عملية التوظيف جملة من قيود لما للموظف من سلطة قرار ستمنح له،⁽¹⁷⁾ وبالتالي وضع أول لبنة حدا للفساد،⁽¹⁸⁾ وقد نصت المادة 03 على ذلك بقولها:

تراعى في التوظيف مستخدمي القطاع العام وفي تسير المهنة القواعد الآتية:
-مبادئ النجاعة والشفافية والمعايير الموضوعية كالجدارة والأهلية والإنصاف.

-الإجراءات المناسبة لاختيار وتكوين الأفراد المرشحين لتولي المناصب العمومية التي تكون عرضة للفساد.

-إعداد برامج تعليمية وتكوينية ملائمة لتمكين الموظفين من أداء الصحيح والنزيه والسليم لوظائفهم وإفادتهم من التكوين متخصص يزيد من وعيهم بمخاطر الفساد.

ب -مدونات أخلاقيات المهنة:

مدونة أخلاقيات المهنة عبارة عن مجموعة من الضوابط الموثقة والتي تحكم سلوكيات الموظفين العامين كموظفي الانتخابات وتعمل على اعتماد مدونات سلوك خاصة بالأحزاب السياسية والمرشحين، وتهدف هذه المدونة إلى منع الممارسات والسلوكيات غير الأخلاقية، وفي حال كونها ملزمة فإنها قد تعمل على إخضاع الأفراد والجهات إلى المسؤولية والمحاسبة عن أفعالهم التي تتعارض مع نصوصها وقد تتشكل المدونة وثيقة منفصلة وأن تكون جزءا من نصوص تشريعية شاملة ففي ولاية وايومينغ في الولايات المتحدة يعتبر قانون الأخلاقيات والسلوكيات جزءا من التشريعات المتعلقة بالخدمة العامة، فيفرض على الموظفين العامين وموظفي الانتخابات الالتزام بنصوصه.

ورد في نص المادة 07 من قانون الوقاية من الفساد: تعمل الدولة والمجالس المنتخبة والجماعات المحلية والمؤسسات والهيئات العمومية وكذا المؤسسات

العمومية ذات النشاط الاقتصادي على تشجيع النزاهة والأمانة وكذا روح المسؤولية بين موظفيها ومنتخبيها لا سيما من خلال وضع مدونات وقواعد سلوكية تحدد الإطار الذي يضمن الأداء السليم والنزاهة الملائم للوظائف العمومية والعهد الانتخابية.

علاقة مدونة أخلاقيات المهنة بالوقاية من الفساد:

تظهر علاقة مدونة أخلاقيات المهنة بالوقاية من الفساد في كون المدونة ترسي مجموعة من الضوابط تكون نبراسا وموجها للموظف في تعاملاته أثناء أداء وظيفته ويمكن إجمال تلك النقاط في الآتي:

- إرساء معايير أخلاقية، ومبادئ أساسية لأداب الوظيفة العامة وقيم وثقافة مهنية عالية لدى موظفي الخدمة المدنية، وتعزيزا للالتزام بهذه المعايير والقواعد والقيم، وترسيخ أسس الممارسات الجيدة والحكيمة، وذلك من خلال توعية موظفي الخدمة المدنية وتوجيههم نحو أخلاقيات الوظيفة السليمة وأثر الالتزام الذاتي الذي يحكم سير الخدمة المدنية.⁽¹⁹⁾

ج - تصريح الموظف بالامتلاكات:

بسبب إنباش الفساد والمتاجرة بالوظيفة العمومية، رصد المشرع الجزائري إلزاما يتمثل في ضرورة تصريح الموظفين بامتلاكاتهم، ويعتبر هذا التصريح من متطلبات حماية الممتلكات العمومية وضمان شفافية الأشخاص المكلفين بالخدمة العامة.⁽²⁰⁾

فالتصريح بالامتلاكات من أهم الإجراءات الوقائية التي يتبعها المشرع الجزائري خصوصا والتشريعات الدولية عموما، فهو وسيلة لمراقبة حركة أموال التي يتداولها الموظف العام وهذا بغية الكشف عن حالات الثراء السريع الذي يطال بعض الموظفين والتي قد تكون مؤشرا عن تورطهم في قضايا الفساد، فهذا الإجراء يلزم كل شخص يحمل وصف الموظف العمومي.

د - إجراءات التصريح بالامتلاكات:

أولا: من حيث أجال التصريح بالامتلاكات:

أخضع المشرع الجزائري الموظفين العموميين الملزمين بالتصريح بممتلكاتهم،⁽²¹⁾ سواء عند بداية المسار المهني أو عند كل زيادة معتبرة، أو عند نهاية المسار المهني، فلقد المشرع في المادة 4 من قانون

06 - 01 على : " يقوم الموظف العمومي باكتتاب التصريح بالممتلكات خلال الشهر الذي يعقب تنصيبه في وظيفته أو بداية عهده الانتخابية ويجدد هذا التصريح فور كل زيادة معتبرة في الذمة المالية للموظف العمومي بنفس الكيفية التي تم بها التصريح الأول، كما يجب التصريح بالممتلكات عند نهاية العهدة الانتخابية أو عند انتهاء الخدمة".⁽²²⁾

ثانيا: الجهات المعنية بالتصريح بالممتلكات

1 - الموظفون الملزمون بالتصريح أمام الرئيس الأول للمحكمة العليا وتشمل هذه الفئة الموظفين الذين يشغلون المناصب القيادية السامية في الدولة،⁽²³⁾ من رئيس الجمهورية، أعضاء البرلمان، الوزير الأول، أعضاء الحكومة، رئيس مجلس المحاسبة، محافظ بنك الجزائر، السفراء، القناصل، الولاة والقضاة، بحيث يلزم كل هؤلاء الموظفين بالتصريح بممتلكاتهم أمام الرئيس الأول للمحكمة العليا، خلال الشهر الذي يلي تاريخ تنصيبهم في وظائفهم أو بداية عهدهم الانتخابية.

وقد أوجب المشرع ضرورة نشر التصريح في الجريدة الرسمية خلال الشهرين التاليين لتاريخ انتخابهم أو تسلمهم لمهامهم ما عدا القضاة فإنه لم ينص على نشر تصريحاتهم.

ملاحظة:

لم يمكن المشرع الجزائري لرئيس المحكمة العليا سلطة التحري والتحقيق فيما ورد إليه من تصريحات، فيقتصر دوره على تلقي التصريح بالممتلكات فقط، كما لم يبين المشرع الجهة المختصة بتلقي تصريح الرئيس الأول للمحكمة العليا بممتلكاته.

2 - الموظفون الملزمون بالتصريح أمام الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته:

تنحصر هذه الفئة في رؤساء وأعضاء المجالس الشعبية المحلية المنتخبة، إذ تتولى الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته ممثلة في قسم التصريح بالملكيات، فتتلقى تصريحات هؤلاء الموظفين وتقوم بمعالجة البيانات الواردة إليها وتقوم بالتدقيق ما إذا كان تمت كسب غير مشروع، وينشر تصريح أعضاء المجالس المنتخبة سواء الولائية أو البلدية خلال الشهر الموالي لانتخابهم وذلك بالتعليق في لوحة الإعلانات بمقر الولاية أو البلدية.

3 - العقوبات المقررة لجريمة الإخلال بواجب التصريح بالملكيات:

إن العقوبات المقررة لجريمة الإخلال الكامل أو الجزئي بواجب التصريح بالملكيات نفس العقوبة وهي الحبس من 6 أشهر إلى 5 سنوات وغرامة مالية من 50.000 دج إلى 500.000 دج ويجوز توقيع عقوبات تكميلية إلى العقوبات الأصلية.⁽²⁴⁾

و - نظام النزاهة كوسيلة وقائية لمكافحة الفساد:

يمثل تشغيل نظام النزاهة إجراء وقائي يعتمد على إرساء مناعة وتحسين المؤسسات العامة ضد الفساد من خلال عملية الإصلاح وتعزيز الشفافية في عمل هذه المؤسسات وتفعيل آليات المساءلة والرقابة على أفعالها وبناء منظومة شاملة تحكم سلوك العاملين فيها، إضافة إلى بناء ثقافة مجتمعية كفيلة بالتصدي إلى الفساد بشتى أنواعه وبمختلف صوره.

يعبر نظام النزاهة عن رؤية شاملة لمواجهة الفساد من خلال إصلاح الأطر والهيكل المؤسساتية والقانونية وإجراءات العمل وهو يقوم على منهج تدريجي ومن خلال مشاركة مجتمعية تشمل مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص ووسائل الإعلام.⁽²⁵⁾

والهدف من رصد نظام النزاهة هو تحسين نوعية الحياة وسيادة القانون وإحداث تنمية مستدامة بالارتكاز على عناصر تمثل الأعمدة التي يقوم عليها هذا النظام وهي السلطات الثلاثة وهيئات الرقابة العامة والمجتمع المدني والهيئات المحلية والإعلام والقطاع الخاص والتدقيق العام والممثلون الدوليون.

وكنتيجة مرجوة لنظام النزاهة هي تقليل فرص الفساد من خلال تعزيز شفافية عمل المؤسسات وتفعيل آليات المساءلة فيها وزيادة استقلالية أجهزة الرقابة وتقوية ومشاركة المجتمع المدني وفتح المجال للإعلام الهادف والنوعي.

ي - الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد كوسيلة وقائية:

بالتأمل من اسم القانون 06 - 01 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته يظهر من خلاله جانبين وشقين، فالشق الأول يتحدث عن الوقاية وهذا الذي نؤدي الكلام حوله في هذا المقام، والشق الثاني المتمثل في المكافحة وهي الردع وتعتبر وظيفة ثانية للقانون.⁽²⁶⁾

وما تعلق بجانب الوقاية وبالرجوع إلى نص المادة 20 من القانون 06 - 01 بقولها "تكلف الهيئة لا سيما بالمهام الآتية:

1- اقتراح سياسة شاملة للوقاية من الفساد تجسد مبادئ دولة القانون وتعكس النزاهة والشفافية والمسؤولية في تسيير الشؤون والأموال العمومية.

2 - تقديم توجيهات تخص الوقاية من الفساد لكل شخص أو هيئة عمومية أو خاصة، واقتراح تدابير خاصة منها ذات الطابع التشريعي والتنظيمي للوقاية من الفساد، وكذا التعاون مع القطاعات المعنية العمومية والخاصة في إعداد قواعد أخلاقيات المهنة.

3 - إعداد برامج تسمح بتوعية وتحسيس المواطنين بالآثار الضارة الناجمة عن الفساد.

4 - جمع ومركزة واستغلال كل المعلومات التي يمكن أن تساهم في الكشف عن أعمال الفساد والوقاية منها، لاسيما البحث في التشريع والتنظيم والإجراءات والممارسات الإدارية عن عوامل الفساد لأجل تقديم توصيات لإزالتها.

5 - التقويم الدوري للأدوات القانونية والإجراءات الإدارية الرامية إلى الوقاية من الفساد ومكافحته والنظر في مدى فعاليتها.

6 - تلقي التصريحات بالامتلاكات الخاصة بالموظفين العموميين بصفة دورية ودراسة واستغلال المعلومات الواردة فيها والسهر على حفظها وذلك مع مراعاة أحكام المادة 6 أعلاه في فقرتها 1 و3.

فمن خلال ما ورد من مهام يظهر أن المشرع أناط بالهيئة الجانب الوقائي علاوة عن الجانب الردعي الذي سنتناوله في الأليات الردعية.

رابعا: الأليات الوقائية لمكافحة الفساد في الشريعة الإسلامية:

تعتمد الشريعة الإسلامية إلى جملة من الأليات والأساليب والتي تحول دون ارتكاب الفرد للمفاسد عامة وللمفاسد المالية على وجه أخص، وكون مصدر الشريعة الإسلامية هو الله تبارك وتعالى فيستلزم من ذلك تحقق المصالح ودرء المفاسد ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير،⁽²⁷⁾ لذا نجد أن الشريعة تضمنت العديد من الأساليب مما يصلح عليه في السياسة الجنائية بسياسة المنع والوقائية والتي تنتج فردا صالحا متجنباً لتلك المفاسد ونوردها في الآتي:

1 -إصلاح الفرد: جميع الأفعال الصالحة والضارة مصدرها الأفراد، كما أن الفرد هو محور الأسرة ومن ثم المجتمع، ومن ثم تبرز أهمية تربية الفرد وتكوينه والعناية به إذ بصلاحه يصلح كل شيء والعكس قائم، وهذا ما يفسر اهتمام الشريعة به فلم تترك له أمراً يعود عليه بالنفع والصالح إلا أمرته به، ولا فعلاً قبيحاً إلا نهته عنه، ومن روائع ما ذكر أن المصطفى يحرص أن الاعتناء بموضع النطف أي أن يولد الفرد أصلاً بقوله صلى الله عليه وسلم (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس).⁽²⁸⁾

2 -مخاطبة الضمير: إن رقابة الضمير أساسها الخوف من المولى تبارك وتعالى الذي لا يخفى عليه شيء من حالنا وبيده تعالى المحيا والممات، فالمتأمل لذلك والمستشعر لذلك يستحضر الرقابة الإلهية وهو في أستر حالاته وإذ نعهد لهذا الكلام فإننا نتكلم عن الضمير بمنطلق صحيح وركن ركين تدفع الإنسان إلى الكف عن الجرائم بداية بإيمان الفرد بالله تعالى و حياة الضمير هي ثمرة لذلك.⁽²⁹⁾

3 -العبادات ودورها في صلاح الفرد: العبادة بما فيها من أذكار وتطوع الواجبة منها والتطوعية تفيد استحضار عظمة الله وقدرته واستشعار وجوده وقربه من العبد تجعل العبد حريصاً للاستجابة إلى ربه وموافقته فيما يحب والنفور من ما يبغضه ويكرهه، فيبقى على وجل متفحص لما يرج للقلب من دوافع فيرد القبيح ويجيز الحسن منها وينفذه، ومثاله الصلاة التي تقام طوال

اليوم واللييلة في أوقات متقاربة ما عدا وقت النوم ووقت العمل والانشغال بطلب الرزق تجعل الضمير حيا خلال اليوم كله وبخاصة أوقات اليقظة وفي ذلك أثر كبير ورقابة دائمة تقي الفرد من ارتكاب الشرور والآثام، فقد قال الله تعالى: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)،⁽³⁰⁾ ثم إن الصلاة تجمع بين الطهارة الحسية والطهارة المعنوية وفي ذلك راحة للبال وطيب النفس وانشراح الصدر واستقامة السلوك مما يؤدي إلى افاضة جو الفضيلة ومقت الرذيلة والجريمة، ثم إن اجتماع أهل الحي في اليوم الواحد خمس مرات في صفوف متراسة لا تفاوت بين أفرادها على حسب المكانة والوظيفة مما يؤدي إلى التراحم والتفقد وبالتالي التكافل الحاصل بينهم يحول الأغلبية الساحقة من ارتكاب الجرائم بوجه عام والمالية بصفة خاصة.⁽³¹⁾

4 - الزكاة والصدقات التطوعية والأوقاف: فالزكاة هي المال الذي أوجبه المولى على الأغنياء ورده للفقراء، و الصدقات التطوعية هي الأموال والأعيان التي تدفع للفقراء على وجه النذب والاستحسان، ولا يخفى أثر هذا البذل على استتباب الأمن والوقاية من الجرائم، إذ إن للصدقات والأوقاف أثارا اقتصادية واجتماعية عظيمة الفوائد من ناحية الباذل والمتلقي على حد سواء، فمن جهة المتصدق فإن نفسه تطهر من الشح والبخل والرذائل والاحتكار الضار بالمجتمع فقد بين المصطفى ضرره بقوله: (واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحيوا محارمهم)،⁽³²⁾ ومن جهة المتصدق عليه فإن الصدقات تسد حاجاته وتكبح ضغائن الحقد والكراهية المقيتة لغيره بسبب تفاضلهم عليه فعندما تدفع له صدقاتهم فإن قلبه ينشرح لهم ويحرص على مصالحهم والتضامن معهم لعلمه أنه كلما نمت ثروات الأغنياء كلما زادت عطائهم، فشعور الفقراء بالعدل والإنصاف وعدم ذلهم كلما زالت دوافع الكيد والغدر والإجرام لأن إخوانهم لم ينسوه ولم ينعموا بالغنى لوحدهم.

5 - الحث على العمل والسعي لمحاربة البطالة: حث الإسلام أفراده أن يكونوا عمليين غير متكاسلين غير كسالي، فالعامل يجلب الكسب الحلال ويحفظ صاحبه من الذل وأهله من التشرد والضياع لذا ورد في الشريعة العديد من الآيات الداعية للعمل وكسب العيش فقال تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في

الأرض وابتغوا من فضل الله)،⁽³³⁾ وكما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم إنني أعوذ بك من العجز والكسل، وقوله صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، وقول عمر بن الخطاب للرجل المتفرغ للعبادة داعيا له بالعمل والكسب أما علمت أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة،⁽³⁴⁾ وفي المقابل فإن الدولة ينبغي أن تكون ملتزمة بتوفير مناصب العمل والتشغيل موجهة للناس للأعمال التي تناسب استعدادهم وقدراتهم ومواهبهم، مع العلم أن الأبواب والمكاسب الحرة كالزراعة والرعي والاستصناع مفتوحة لكل راغب ليكون ثمة توازن وإلقاء اللوم على الدولة والتكاسل والخمول بحجة أن الدولة لم توفر مناصب عمل لائقة.⁽³⁵⁾

6 - تحقيق العدل والمساواة: أمرت الشريعة الحاكم بإنفاذ العدل والإنصاف فقال الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)،⁽³⁶⁾ وقال المصطفى قاطع أي تأويل للمحاباة بقوله صلى الله عليه وسلم: (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

7 - التولية العادلة للوظائف: قال صلى الله عليه وسلم (من قلد إنسانا عملا وفي رعيته من هو أولى فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين)،⁽³⁷⁾ فالعدالة الإسلامية تفوق العدالة الجنائية لتتعداها في مجال التوظيف وقال عمر بن الخطاب ما من أمير أمر أميرا أو استقضى قاضيا محاباة إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمره أو استقضاه لمصلحة المسلمين كان شريكه فيما عمل من طاعة الله ولم يكن عليه شيء مما عمل من معصية، والعدل والإنصاف في الشريعة لا يقتصر على القضاء وإنما يتعاده إلى العدل في توزيع الثروة وتكافؤ الفرص.⁽³⁸⁾

8 - سد أبواب الكسب غير المشروع: يجب على الدولة غلق أبواب العمل غير المشروع مهما ضعف أو قل فهو يفضي ويؤول إلى التناحر والتآمر على الأموال دون مراعاة للقيم الأخلاقية، وإذا يتحقق بمنع الأنظمة التي أثبتت فشلها عن الثروة وتقسيمها فالفاسد لا ينتج إلا فاسد مثله فوجب تغليب الروح الإنسانية والتعاليم الدينية على الأنشطة الإنسانية لقيادة المجتمع إلى الاعتدال والرقى،

وينجم من هذا عدم وضع العراقيل التعجيزية للأبواب الخير ومكاسب العيش السليمة وفتح المجال للطاقات والإبداعات للإنتاج، فإن هذا تحقيق لصيانة المجتمع وحماية لأفراده مما يخدم الوطن وأهله وسدا لأبواب الانحراف والإجرام.

خامسا: الأهداف العامة لمكافحة الفساد:

باستقراء مواد قانون 01/06 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، وكذا نصوص قانون العقوبات نجدها تعتمد إلى تحقيق الأهداف الآتية:

-الحفاظ على حقوق المواطنين: وهذا هو الهدف الأسمى الذي أدى إلى خلق القوانين نفسها فهي تهدف إلى احقاق الحق وإبطال الباطل وبذلك تتحقق مصلحة المواطن ومصلحة الجماعات.⁽³⁹⁾

-الحفاظ على نعمة الأمن والاستقرار بشتى أنواعه: إذ تفشي جرائم الفساد في المجتمع سيؤدي حتما إلى عدم تحقق الأمن وعدم الاستقرار سواء الاقتصادي أو السياسي.⁽⁴⁰⁾

-الحفاظ على هيبة وقيمة العمل الوظيفي: فالكشف عن جرائم الفساد وإحالة مرتكبيها إلى العدالة يؤدي إلى الحفاظ على استمرارية وديمومة الوظيفة سواء العامة أو الخاصة.

-توفير البيئة السليمة والمناسبة للاستثمار: وهذا يؤدي إلى الاستثمار داخل الدولة سواء من قبل القطاع العام أو الخاص نظرا لتحقيق البيئة السليمة. -تطوير التشريعات القانونية: إن الكشف عن مواقع الفساد يؤدي إلى معرفة النقص في بعض النصوص القانونية مما يستوجب إعادة مراجعتها وتقنينها حدا من ظاهرة الفساد وسدا للفسادات والثرغات.

-الحفاظ على هيبة القانون: إن كشف الفساد واحالة مرتكبيه إلى القضاء يولي سيادة وهيمنة القانون.

-إصلاح المؤسسات القضائية وتعزيز استقلاليتها ونزاهتها وهيبتها: وهذا يتمثل في أن يكون للسلطة القضائية استقلالية وتفويض لمواكبة ومجابهة مرتكبي الإجرام دون إلزامها بالقيود الإدارية.⁽⁴¹⁾

سادسا: الأليات الردعية لمكافحة الفساد في التشريع الجزائري:

1 - الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد باعتبارها آلية ردع وقمع:

بالرجوع إلى نص المادة 17 من قانون 01/06 المؤرخ في 20/02/2009 والتي تنص على أنه : تنشأ هيئة وطنية مكلفة بالوقاية من الفساد ومكافحته، قصد تنفيذ الاستراتيجية الوطنية في مجال مكافحة الفساد".

ومنه كان الهدف من إنشاء الهيئة الوطنية كإجراء وألية مادية يناط بها الوقاية من ظاهرة انتشار الفساد وتبيان الأسباب والدوافع المؤدية إليه

نجد الأساس القانوني لتنظيم الهيئة في الباب الثالث من قانون 01/06 بالإضافة إلى المرسوم الرئاسي رقم: 413/06 المعدل والمتمم والذي يحدد تشكيلة الهيئة ، والنص القانوني الذي يبين ذلك " الهيئة سلطة إدارية مستقلة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي وتوضع لدى رئيس الجمهورية"، ويمكن استخلاص ميزات الهيئة من خلال النص المذكور وهي:

-الهيئة سلطة إدارية مستقلة: فميزة الاستقلال الهدف منها ضمان الحياد في مواجهة المتعاملين، وأيضا في معاملة الأعوان العموميين والمنتخبين عندما يتعلق الأمر بضمان الشفافية في الحياة السياسية والشؤون العمومية.⁽⁴²⁾

للهيئة الشخصية المعنوية: أولا تعرف الشخصية المعنوية بأنها عبارة عن مجموعة من الأموال والأشخاص التي ترمي لتحقيق غرض معين فيمنحها القانون الشخصية القانونية بالقدر اللازم لتحقيق الغرض الذي أسست بسببه، وبهذا يعتبر منح الهيئة الشخصية المعنوية عاملا مهما يؤكد استقلالية الهيئة عن السلطة التنفيذية إلا أنه لا يعد عاملا حاسما لإثبات استقلالية الهيئة بصفة مطلقة.

الاستقلال المالي للهيئة: رغم تمتع الهيئة بالاستقلال المالي إلا أن ميزانيتها تسجل ضمن الميزانية العامة للدولة وهو ما أكدته المادة 21 من المرسوم كما تخضع محاسبتها لقواعد المحاسبة العمومية ولرقابة المراقب المالي الذي يتكفل وزير المالية بتعيينه.

أجهزة الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته: للهيئة الوطنية عدة أقسام يناط بكل قسم القيام بدور وسنحاول ذكرها جملة، وتتمثل في الآتي:

- مجلس اليقظة والتقييم.

- قسم مكلف بالوثائق والتحليل والتحسيس.

- قسم مكلف بمعالجة التصريح بالممتلكات.

- قسم مكلف بالتنسيق والتعاون الدولي.

2 - مهام الهيئة الوطنية من الجانب الردعي:

والتي تتمثل أساسا في جمع ومركزة واستغلال جميع المعلومات التي يمكن أن تساهم في الكشف عن أعمال الفساد والوقاية منها لا سيما البحث في التشريع والتنظيم والممارسات الإدارية لأجل تقديم توصيات لإزالتها تلقي التصريحات الخاصة بالموظفين العموميين بصفة دورية والاستعانة بالنيابة العامة لجمع الأدلة والتحري في الوقائع ذات العلاقة بالفساد، ضمان التنسيق ومتابعة النشاطات والأعمال المباشرة ميدانيا على أساس التقارير الدورية، بالإضافة إلى تعزيز التنسيق ما بين القطاعات والتعاون مع هيئات مكافحة الفساد وطنيا ودوليا إضافة إلى الحث على كل نشاط يتعلق بالبحث عن الأعمال المباشرة في مجال الوقاية من الفساد وتقييمها.⁽⁴³⁾

3 - الديوان المركزي لقمع الفساد:

لقد تم خلق الديوان المركزي لقمع الفساد بناء على تنفيذ تعليمة رئيس الجمهورية المؤرخة في 2009/12/13 والمتعلقة بتفعيل مكافحة الفساد ذلك أن أهم وأبرز ما تم النص عليه هو ضرورة تكريس وتعزيز جهود الدولة في مكافحة الفساد، وذلك بإحداث هذا الديوان ولقد تجسد هذا بإصدار الأمر رقم: 05/10 المؤرخ في 2010/08/26 المتمم لقانون رقم 01/06 والذي نص في الباب الثالث مكرر المادة 24 مكرر بنصه: " ينشأ ديوان مركزي بقمع الفساد يكلف بمهمة البحث والتحري عن جرائم الفساد".

4 - هيئات الرقابة المالية المكلفة بمكافحة الفساد:

إن لأجهزة الرقابة المالية أهمية كبيرة مقارنة بهيئات الرقابة الإدارية في مجال مكافحة الفساد ولعل أهم نظهر للرقابة الإدارية هو الرقابة المالية التي تمارسها وزارة المالية ومصالحها المختلفة سواء على المستوى المركزي أو المحلي بواسطة المفتشية العامة للمالية.

5 -المفتشية العامة للمالية:

وبالرجوع للمادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 272/08 نجدها نصت على أنه تمارس رقابة المفتشية العامة للمالية على التسيير المالي والمحاسبي لمصالح الدولة والجماعات الإقليمية وكذا الهيئات والأجهزة والمؤسسات الخاضعة لقواعد المحاسبة العمومية، ولعل مظهر للرقابة هو الرقابة المالية التي تمارسها وزارة المالية،⁽⁴⁴⁾ ومنه فالرقابة المالية واردة على معظم الهيئات والإدارات داخل الدولة لرقابة هذه المفتشية، وكل لها حماية للمال العام والذي يجب أن ينال حقه من الحصانة إذ أنه أكثر عرضة للانتهاك من المال الخاص، بالإضافة إلى المال العام يعد ركيزة الاقتصاد الوطني.

6 -مجلس المحاسبة:

طبقا للمواد من 7 إلى 12 من الأمر 20/95 المعدل والمتمم بالقانون 02/10 فإن رقابته تشمل العديد من المرافق والتعاملات المالية ومنها مراقبة حسابات مصالح الدولة والجماعات الإقليمية والمؤسسات والمرافق والهيئات العمومية باختلاف أنواعها والتي تسري عليها قواعد المحاسبة العمومية، وتهدف الرقابة لغرضين رئيسين هما التقدم وتحديد المسؤولية الإدارية والقانونية والمالية، حيث يركز التقييم على المهمات والأداء المالي بينما يركز عرض تحديد المسؤولية على الجوانب السلوكية بغية تحديد المسؤولين عن الانحراف واتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم وتحت هذين الغرضين يندرج العديد من الأغراض العامة للرقابة المالية، وينتظم مجلس المحاسبة في شكل غرف ذات اختصاص وطني وعددها ثمانية وغرف ذات اختصاص.

أ -تنظيم مجلس المحاسبة⁽⁴⁵⁾

-ينتظم مجلس المحاسبة في شكل غرف ذات اختصاص وطني وعددها ثمانية وغرف ذات اختصاص.

-إقليمي وعددها تسعة وغرفة الانضباط في مجال تسيير الميزانية و المالية.

-يتولى رئاسة المجلس رئيس بتعين من رئيس الجمهورية.

-يسند دور النيابة العامة في مجلس المحاسبة لناظر عام ويساعده نظار

مساعدون

-كتابة ضبط خاصة بمجلس المحاسبة تسند لكاتب ضبط رئيسي يساعده كتاب ضبط.

7 -الجهاز القضائي :

سن المشرع الجزائري قانون رقم 06 - 01 يتعلق الذي بالوقاية من الفساد ومكافحته الذي يهدف إلى دعم التدابير الرامية إلى الوقاية من الفساد ومكافحته، وما تعلق بالجانب الردعي العقابي الوارد في القانون فإن الباب الرابع منه المتضمن للتجريم والعقوبات وأساليب التحري رشوة الموظفين العموميين بدءا من المادة 25 من نفس القانون قد تضمن ذلك بإضافة إلى الباب الخامس الذي يتعلق بالتعاون الدولي واسترداد الموجودات التعاون القضائي.

يعد جهاز القضاء الفعال من العوامل الأكدية والضرورية للحد من الفساد، إذ لابد من تفعيل دور الأجهزة الأمنية والقضائية والادعاء العام وتعديل القوانين القديمة لرفع سقف العقوبات تجاه جرائم الفساد، ولا شك أن اتباع هذه الاستراتيجية ستكون لها فوائد السريعة المتمثلة في الترهيب من ممارسة الفساد لأن كشف المفسدين سيكون رادعا أو عبرة لغيرهم ممن يفكرون مستقبلا بممارسته.

وبما أن القضاء ضرورة لابد منها لحماية سيادة القانون وحماية حقوق الأفراد ولتحقيق العدالة دون تحيز، لابد من الحفاظ على استقلالية القضاء لتمكينه من تأدية الدور المناط به دون أي إكراه ولا ضغط، لأن القضاء هو الحارس المكول لحماية حقوق الأفراد، ومن هذا لابد من تعزيز استقلالية القضاء عن السلطة التشريعية والتنفيذية، لكي يتمكن القاضي من تأدية عمله بحرية وعدالة، كما أن مبدأ استقلال القضاء هو الأساس الدستوري للرقابة القضائية على مشروعية ودستورية أعمال السلطتين التشريعية والتنفيذية.

ولكي تكون للعقوبة معنى وهدف المتمثل في الزجر والردع لابد أن تتسم العقوبة بالآتي:

-أن تكون عقوبة شرعية،⁽⁴⁶⁾ أي واردة ومنصوص عليها في قانون العقوبات،
إذ لا جريمة ولا عقوبة ولا تدبير أمن إلا بنص".

-أن تكون العقوبة متناسبة مع جسامته الفعل أي أن يكون ثمة عدل ومساواة بين الفعل الضار المرتكب والجزاء العقابي لكي تكون للعقوبة معنى و لتأتي بأثر، إذ يطل قانون العقوبات خبر على ورق إذا لم يشهد له الوقائع بالفعالية والجدية ويظهر هذا من خلال انخفاض في نسب الجرائم عامة وجرائم الفساد على وجه أخص.

-أن تكون العقوبة شخصية أي أن العقاب يطال الجاني والشركاء الحقيقيين المساهمين في الجريمة دون سواهم إذ أن القانون يحفظ الحقوق فوجب أن لا يعاقب إلا الجناة دون غيرهم.

-أن تحقق العقوبة الردع العام والخاص على حد سواء، ويتمثل الردع في حمل الكافة على عدم اقتراف الجرائم ولا يحصل هذا إلا بوجود نصوص قانونية عقابية مطبقة غير معطلة في حال ارتكاب أحدهم الفعل والسلوك الإجرامي. وهنا تجدر الإشارة إلى وجوب تشديد العقوبات وضرورة تناسبها مع قيمة المبالغ المستولى عليها، مع إلزام الفاسدين بضرورة إرجاع الأموال التي استولوا عليها وكذا مصادرة أموالهم وممتلكاتهم زجرا وإيلا متناسبا.

سابعا: الأليات الردعية لمكافحة الفساد في الشريعة الإسلامية:

1 -تطبيق العقوبات الشرعية في الجرائم المالية:

بعد أن وضعت الشريعة الإسلامية سدودا مانعة لارتكاب الجرائم عامة والجرائم المالية بوجه أخص، فإن كان ثمة تجاوز لذلك وعمد الإنسان إلى انتهاك حرمة الأفعال المحظورة بعد منعه لسبل اقترافها، فكان موقف الشريعة بالمرصاد لكل مخالف ومن تلك الأليات الردعية تطبيق حد السرقة وينفذ بعد تحقق صورة جريمتها وهي أخذ مال الغير من حرزه خفية على وجه الخفية والتستر بغير شك ولا شبهة، وحدها قطع يد السارق، فقد قال الله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)،⁽⁴⁷⁾ والمقصود باليد اليد اليمنى ومحل القطع يكون من مفصل الزند، وقد ترى أن هذه العقوبة قاسية قول من أقحم نفسه بلا علم أن الشريعة غير ميالة لتطبيق الحدود وما شرعت إلا لحفظ الأنفس من القتل والأموال من النهب،

وقطع يد جاني ليمنع العديد منه من الارتكاب وما يعلمه إلا الله من الثروات والأموال من الضياع والاندثار.⁽⁴⁸⁾

وتتسم عقوبة بالشرعية كونها تتوفر على مجموعة من النصوص القرآنية ومن السنة النبوية تجرمها وتبين عقوبتها وهي عقوبة مقدرة حقا لله تعالى ومعنى أنها عقوبة مقدرة أنها محددة ومعينة مضبوطة ليس لها حد أدنى ولا حد أعلى، ومعنى أنها حق لله تعالى أنها لا تقبل الإسقاط لا من قبل الأفراد ولا من قبل الجماعة، وتعتبر حقا لله تعالى في الشريعة كلما استجوبتها المصلحة العامة ودفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم، فكل جريمة فسادها على العامة وتعود منفعة عقوبتها عليهم تعتبر العقوبة المقدرة عليها حقا لله تعالى تأكيد لتحصيل المنفعة وتحقيقا لدفع الفساد والمضرة عن العباد، وبالتالي اعتبار العقوبة حقا لله يؤدي إلى عدم إسقاط العقوبة بإسقاط الأفراد أو الجماعة لها.⁽⁴⁹⁾

أحكام العقوبة المرصدة لجريمة الفساد المالي في الشريعة الإسلامية:

2 - من حيث العفو:

إذا كانت جريمة الفساد سرقة فلا يجوز العفو عنها لا من قبل المجني عليه ولا من قبل ولي الأمر متى وصلت إليه، أما إذا كانت جريمة مخالفة لا ترقى لجريمة حد فلولي الأمر حق في الجريمة وحق العقوبة فإن عفا كان لعفوه أثر شرط أن لا يمس الحقوق الشخصية للمجني عليه، وليس للمجني عليه العف إلا في حقوقه الشخصية المحضة، وعفو المجني عليه من العقوبة والجريمة لا يكون نافذا وإن أدى إلى تخفيف العقوبة لأن للقاضي سلطة واسعة في التعزير من حيث تقدير ظروف المخففة وبالتالي تخفيف العقوبة.⁽⁵⁰⁾

3 - من حيث سلطة القاضي:

إذا ثبتت جريمة لجرائم الحدود وجب على القاضي أن يحكم بعقوبتها المقررة لا ينقص ولا يزيد منها شيئا وأن تستبدل بعقوبة أخرى ولا أن يوقف تنفيذ العقوبة فسلطة القاضي قاصرة على النطق بالحكم (العقوبة المقررة على الجريمة).⁽⁵¹⁾

4 - من حيث إثبات جريمة الفساد في الشريعة الإسلامية:

للشريعة الإسلامية أساليبها وطرقها في الإثبات والقصد من ذلك اليقين والتأكيد فمن جهة حماية للمجاني من صحة الفعل المنسوب إليه، وحماية للمجتمع من الفعل الضار، وباستقراء الآراء والمعلومات المتوافرة في هذا الشأن نجد أن وسائل إثبات جريمة الفساد في الشريعة الإسلامية:

- الشهادة.

- الإقرار.

- اليمين.

- القسامة.

- القرائن والأدلة.

- الكتابة.

- الخبرة.

ويشترط في جريمة الفساد المالي إذا كانت ضمن جرائم الحدود عددا معيناً من الشهود.

5 - من حيث قبول الظروف المخففة:

ليس للظروف المخففة في جريمة الفساد المالي إذا كانت ضمن جرائم الحدود أي أثر فهي لازمة إذا تبتت في الظروف العادية، وهذا هو الأصل غير أن العقوبة قد توقف في حالة الضرورة لما شهد لذلك أحاديث المصطفى وعمل الصحابة من بعده، كما حدث في زمن عمر بن الخطاب في عام المجاعة فقد عطلت الحدود لوجود ظرف طارئ له تأثيره وصلته بالحدود، فقد رعى عمر بن الخطاب الظروف المخففة للجنة بداعي الإكراه فإنهم لا يقدمون على جرائم السرقة إلا بداعي قهري وهو الجوع الأليم ولا يعد إقدامهم على الفعل الضار مفسدة.⁽⁵²⁾

6 - محاسبة العمال:

فقد كان النبي يستوفي الحساب على عماله، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من الأزدي، يقال له ابن اللتبية على الصدقات فلما رجع

حاسبه، فقال هذا لكم وهذا أهدي إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلى أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر: أيهدى إليه أم لا والذي نفسي بيده لا نستعمل رجلا على العمل مما ولانا الله فيغل منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بعيرا له رغاء، وإن كانت بقرة لها خوار، وإن كانت شاة تيعرثم رفع يديه إلى السماء، وقال اللهم هل بلغت قالها مرتين أو ثلاثا).⁽⁵³⁾

والمقصود أن هذه الأعمال متى لم يقم بها إلا شخص واحد صارت فرض عين عليه، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحه قوم، أو نساجتهم أو بنائهم صارت هذه الأعمال مستحقة عليهم، يجبرهم ولي الأمر عليها بعوض المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل، ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم، كما إذا احتاج الجند المرصدون للجهاد إلى فلاحه أرضهم وألزم من صناعته الفلاح أن يقوم بها ألزم الجند بألا يظلموا الفلاح، كما يلزم الفلاح بأن يفلح.⁽⁵⁴⁾

الخاتمة:

بهذا القدر نأتي على نهاية البحث ويمكن ذكر أهم النتائج المتوصل إليها وهي:

- تتمثل الآليات الوقائية التي اعتمدها المشرع الجزائري في جملة من الأساليب، وأول لبنة وقائية هي التوظيف وما يلحقه من شروط وكيفيات، مع العلم أن السياسة المنتهجة في التوظيف حاليا ينبغي إعادة النظر فيها ومراجعة التشريع المعمول به تجاهها.

- مدونة أخلاقيات المهنة مذكرة شاملة للمعايير وقيم الجودة التي ينبغي على الموظف الالتزام والتقييد بمضمونها فهي تعتبر بمثابة منهاج وبرنامج عمل ينير المسار المهني للموظف.

- الحث والحظ على النزاهة المتمثلة في إرساء قيم الإنصاف والجودة أثناء أداء الوظيفة.

- لهيئة الوطنية لمكافحة الفساد تقارير تساعد على الكشف في المواطن الخطأ والزلل لتجنب ارتكابها في مستقبل الأيام وتعد هذه التقارير بمثابة آلية وقائية استشرافية تنبؤ بصلاح أو فساد بعض الإجراءات.

- تتمثل الأساليب الوقائية في الشريعة الإسلامية بتنشئة الفرد تنشئة صالحة وذاك من خلال العبادات والحث على الأخلاق الفاضلة واستشعار الرقابة الإلهية.

- تتمثل الآليات الردعية التي اعتمدها المشرع الجزائري في مجال مكافحة الفساد الآليات الآتية:

- ضبط مخالفات من قبل الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد وإحالتها إلى الجهات المختصة.

- رصد المشرع الجزائري ديوان قمح الفساد وهو وسيلة ردعية تكشف مواطن الخلل والزلل المرتكبة من قبل الموظفين.

- مجلس المحاسبة وهو أداة يناط بها مراجعة الحسابات وكذا معرفة سيرورة الأموال العامة.

-المفتشية العامة للمالية التي تمارس الرقابة التفشيشية على أعمال المؤسسات الخاضعة لقواعد المحاسبة العمومية.
-الجهاز القضائي المرصد والعقوبات الواردة في قانون العقوبات عامة وقانون 01/06 خاصة تعاقب كل المتجاوزين والمخالفين للنظام وقانون الوظيفة على أمل زجر ومعاينة مرتكبي المخالفات.
تتمثل الآلية الردعية في الشريعة الإسلامية بتطبيق الأحكام السياسية الجنائية الشرعية تحقيقا للعدالة، وحفاظا على المال العام وزجرا وجبرا لمرتكبي الفساد.

النتائج والتوصيات:

من الجانب الوقائي:

-مراجعة نظام التوظيف لتولية الأجدد والأنسب بالعمل المناط به ضمانا للجودة والإبداع.
-خلق مناصب عمل للحد من البطالة، وكذا تحسين ظروف الوظيفة ومعالجة نظام الترقيات والمكافآت.
-إعداد مدونة أخلاقيات المهنة تحتوي مجموع المبادئ والتوجيهات الأخلاقية لتكون مرشدا لسلوك الموظفين وموجها جيدا في مواجهة الفساد.
-الإعتناء بما ورد من أساليب وقائية في الشريعة الإسلامية لما لها من قيمة حقيقة تحول دون وقوع الفساد.
-ضمان الاستقلال الحقيقي والفعلي للقضاء ليسنى له تأدية مهامه دون أي ضغط ولا إكراه، مع ضمان الحياد والنزاهة عند الفصل.

من الجانب الردعي:

-تحسين الدوري لقانون الوقاية من الفساد ومكافحته لسد الثغرات ومواكبة التطور، مع فتح المجال لسلطة القاضي وعدم تقييده بجملة من القيود التي تعرقل وتعيق عمله، من أجل الكشف عن ملابسات الجريمة ليتوج بحكم رشيد وعادل في القضية.
-التأسي بالأحكام الشرعية في مجال العقوبات، مع مراعاة ما ورد في ذلك من أحكام خاصة.

-ضرورة الاعتناء بالهيئات الرقابية والعمل بتقاريرها خاصة الهيئة والديوان.

-تشديد العقوبات وضرورة تناسبها مع قيمة المبالغ المستولى عليها وقيمة الضرر الناجم عنها.

-وهنا تجدر الإشارة بضرورة التآسي بالأحكام الشرعية الإسلامية كون مصدرها الحكيم اللطيف ومما يستلزم من هذه الخاصية، بالإضافة إلى أنه تمتع تناسب بين الجرائم والعقوبات المرصدة فلقد أثبتت الشريعة فعاليتها للحد من الفساد بشتى أنواعه الخلقي والاجتماعي والديني والاقتصاد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة الفهارس والمراجع:

- 1 -ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج2، 1973، ص688.
- 2 -أحمد محمود نهار أبو سويلم، مكافحة الفساد، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010، ص14.
- 3 -علي الصاوي، ورقة مقدمة في مؤتمر يتمحور سبل مكافحة الفساد، بيروت، 2004.
- 4 -سليمان بن محمد الجريش، الفساد الإداري وجرائم اساءة استعمال السلطة الوظيفية، مكتبة فهد الوطنية، 2003، ص113.
- 5 -عاقلي فضيلة، محاضرات في مقياس مكافحة الفساد، لطلبة الماستر، تخصص تسيير الميزانية، جامعة باتنة، الحاج لخضر، السنة الجامعية، 2016/2017، ص1.
- 6 -المادة 2 من قانون رقم 06 -01 يتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة العدل.
- 7 - عاقلي فضيلة، المرجع السابق، ص2.
- 8 -ارسيوى مسعودة، مقال جرائم الصفقات العمومية، جريمة الرشوة في مجال الصفقات العمومية نموذجاً، مجلة القانون والأعمال، ص1.
- 9 -أحمد محمود نهار أبو سويلم، مكافحة الفساد، مرجع سابق، ص14.
- 10 -عبد الحميد جباري، قراءة في قانون الوقاية من الفساد ومكافحته، مجلة الفكر البرلماني، العدد15، 2007، ص102.
- 11 - ويعرف بأنه الفساد الشامل وهو النهب الواسع النطاق للأموال والممتلكات الحكومية، وتحويلها إلى مصالح خاصة، للمزيد عن هذا انظر: عاقلي فضيلة، محاضرات في مقياس مكافحة الفساد، مرجع سابق، ص2.
- 12 -أحمد محمود نهار أبو سويلم، مكافحة الفساد، مرجع سابق، ص20.
- 13 - حسنين المحمدي بوادي، الفساد الإداري، دار المطبوعات الجامعية، 1988،

- 14 -عبد الرحمان خلفي، القانون الجنائي العام (دراسة مقارنة)، دار بلقيس، الجزائر، 2017، ص26.
- 15 -عمار بوضياف، الوجيز في القانون الإداري، ط3، الجسور للنشر والتوزيع، 2015، ص30.
- 16 -المرجع نفسه، ص39.
- 17 -يوسف خليفة يوسف، الفساد الإداري والمالي، الأسباب والنتائج وطرق العلاج، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 3، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2002.
- 18 - عمار بوضياف، المرجع السابق، ص40.
- 19 -أنظر المواد: 03 - 04 - 05 من القانون: 01/06.
- 20 -ضويفي محمد، التصريح بالامتلاك كآلية للوقاية من الفساد ومكافحته، مداخلة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني حول الأليات لمكافحة الفساد، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قاصدي مرياح، ورقلة.
- 21 -عصام عبد الفتاح مطر، جرائم الفساد الإداري، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2011، ص162.
- 22 -المادة 04 من قانون 01/06.
- 23 -محمد هامي، هيئة مكافحة الفساد والتصريح بالامتلاك، مداخلة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني، "مكافحة الفساد وتبييض الأموال".
- 24 -المادة 36 من قانون 01/06.
- 25 -أحمد محمود نهار أبو سويلم، مكافحة الفساد، مرجع سابق، ص20.
- 26 -المادة 20 من قانون 01/06 المتعلقة بمهام الهيئة.
- 27 - عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص70.
- 28 -محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ط3، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، 1987، ج1، ص333.
- 29 -محمد بن المدني بوساق، اتجاهات السياسة الجنائية المعاصرة والشريعة الإسلامية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2002، ص113.
- 30 -سورة العنكبوت، الآية رقم: 45.
- 31 -المرجع السابق، ص119.
- 32 - الألباني، صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ج1، ص318.
- 33 -سورة الجمعة، الآية رقم: 10.
- 34 -الزحيلي محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، ص283.
- 35 -محمد بن المدني بوساق، مرجع سابق، ص129.

- 36 -سورة النساء، الآية رقم: 135.
- 37 -رواه أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان ونحوه في المستدرک للحاکم، ج4، ص92.
- 38 -أبو يوسف يعقوب الخراج ط3، المطبعة السلفية، القاهرة، 1382هـ، ص126.
- 39 -عبد الرحمان خلفي، القانون الجنائي العام، مرجع سابق، ص26.
- 40 -أحمد فتحي سرور، الوسيط في قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981 ج1، ص101.
- 41 -أحمد محمود نهار أبو سويلم، مكافحة الفساد، مرجع سابق، ص94.
- 42 -رمزي حوحو ودنش ليلي، الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته، مجلة الإجتهد القضائي، العدد5، جامعة بسكرة، ص73.
- 43 -انظر المواد: 21، 22 من قانون 01/06.
- 44 -محمد الصغير بعلي يسري، أبو العلا، المالية العامة، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2003، ص114.
- 45 -المرسوم الرئاسي 95/377 المؤرخ في 11/2/1995 الذي يحدد النظام الداخلي لمجلس المحاسبة المنصوص عليه في المادة 37 من الأمر 20/95.
- 46 -نوفل علي عبد الله الصفو، أساليب الصياغة القانونية للنصوص الجنائية، مقال مقدم لمجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك، المجلد 2، الإصدار 6، 2013، ص86.
- 47 -سورة المائدة، الآية رقم: 38.
- 48 -محمد بن المدني بوساق، اتجاهات السياسة المعاصرة، مرجع سابق، ص159.
- 49 -ابن همام عبد الواحد الاسكندري، فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدى، ط2، دار الفكر، ج4، ص112.
- 50 -أحمد فتحي بهنسي، السياسة الجنائية في الشريعة الإسلامية، ط2، دار الشروق، 1988، ص115.
- 51 -ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ص370.
- 52 -أحمد فتحي البهنسي، الفقه الجنائي الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة، ط6، دار الشروق، 1988، ص211.
- 53 -رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، ج13، ص175.
- 54 -ابن القيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق سيد عمران، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2002، ص211.



الأدب الإسلامي قراءة في المفهوم وتأصيل المصطلح بين محمد إقبال العروى ونقاد آخرين

**The Term: "Islamic Literature" Study In The Concept And
Rooting Of The Term Between Muhammad Iqbal Laroui And
Other Critics**

رشيدة لهواجي¹، طاهر براهيمى²

1-مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري جامعة غرداية .

2 - كلية الآداب واللغات جامعة غرداية

Lahwadji.rachida @univ-ghardaia.dz·Oummarouan06@gmail.com¹

Taharbi2014@gmail.com²

تاريخ القبول: 2019-09-29

تاريخ الاستلام: 2019-08-28

ملخص -

يسعى هذا المقال إلى تقديم قراءة لمفهوم الأدب الإسلامي، ورصد محاولات تأصيله في الأدب العربي الحديث، بين أطروحات أحد أبرز أقطابه وهو محمد إقبال العروى، ونقاد آخرين معاصرين، مؤيدين ومعارضين لهذا التوجه؛ ففي خضم الجدل الذي احتدم في الساحة العربية والإسلامية بين النابع والتابع، والوافد والأصيل، ومع مواجهة الذات للآخر، وما ترتب على ذلك من تخالف بلغ أحيانا حد التدافع والتصادم الذي تذكي ناره حدة الشعور بالمرارة، بسبب النكبات والهزائم التي منيت بها حركات التحرر والانعتاق، التي كان المسلمون يعلقون عليها آمالا عراضا في غد أفضل تتحقق لهم فيه حياة العزة والكرامة ظهرت توجهات فكرية، وتيارات فنية، تجنح إلى التأصيل والبحث عن الخصوصية الكفيلة بالحفاظ على التميز وصون الذات عن الذوبان والتميع والضياع، فكان (الأدب الإسلامي) وما يتصل به من نقد واصطلاح وتنظير واحدا من أبرز هذه التيارات، طرح نفسه بديلا أو على الأقل فرصة أخرى للاختيار، لاسيما بعد خيبات الأمل المتكررة، والانكسارات السياسية والعسكرية والاجتماعية التي رافقت

التوجهات المقابلة، وعلى رأسها التوجهات اليسارية التي عمت غالب البلاد العربية والإسلامية، ولم تستطع تجنب العرب والمسلمين نكسات ونكبات مؤلمة كان أشدها وأكثرها حضوراً في الأدب والسينما نكبة حزيران من سنة 1967 وما تبعها من استحواذ الصهاينة على أرض فلسطين.

الكلمات الدالة –

أدب إسلامي، تأصيل، مفهوم، العروي.

Abstract-

This Article Seeks To Read The Reception Of (Islamic Literature) In Modern Arab Criticism, In A Comparative View Of The Theses Of Muhammad Iqbal Alarawi, One Of The Most Interested In This Literary Trend; In The Second Half Of Last Century, The Authors Of This Literature Published A Large Number Of Creative And Critical Texts That Could Provoke Much Debate And Discussion. Arawi's Arguments Continued To Form A Critical And Theoretical Phenomenon. What Is The Position Of The Term (Islamic Literature) Of Dualism: Rejection And Acceptance? Throughout His Historic Procession? What Are The Arguments Of Alarawi And Those Who Have The Same Opinion Of Contemporary Critics?

Key Words-

Islamic Literature - Concept - Rooting – Alarawi.

1 - مقدمة:

أثار مصطلح الأدب الإسلامي عند ظهوره في الربع الأخير من القرن الماضي، تساؤلات كثيرة، شأنه شأن كل ظاهرة جديدة، تطرح نفسها بديلاً عن واقع سابق، وتنادي بفرضية تغييره، أو -على الأقل - إضافة جديدة له؛ ثم سرعان ما يقتنع بها جمع من الناس فيتوافقون عليها، وينضون تحت رايتها.

وما من شك في أن ظهور مصطلح (الأدب الإسلامي) كان -وما يزال - قضية جدلية بامتياز، ذلك أنها استطاعت إحداث حركية بارزة، وزخم فكري حافل بالآراء المؤيدة، والمعارضة التي تشتد أحياناً وتشتط حتى تتخذ مظاهر حادة، ووجوها من التشنج والحساسية المتفلتة من البحث العلمي المحايد، فإذا بها مرة سخرية، ومرة استنكار، ومرة ضيق وتبرم.

من هنا ما يزال أمام هذا المصطلح، والقائلين به طريق شاق وطويل من أجل إقناع المنكرين له، وفرض نفسه واقعا قائما في الأدب المعاصر، له فيه ما لغيره من مساحة قبول، ومشروعية وجود، بصرف النظر عن كثرة أنصاره والمتعاطفين معه، وهو ما يجعله بحثاً إشكالياً حقيقياً، يسير على رمال متحركة، ويغري الدارسين ببحثه، ويبقى باب النظرية الأدبية المعاصرة مفتوحاً على مصراعيه. ترى ما هو السياق العام الذي ظهر فيه مصطلح الأدب الإسلامي؟ وما الإضافة و البدائل التي طرحها المؤمنون به؟ وكيف تلقاه القائلون على النقد الحديث وعلى نظرية الأدب وتطوراتها في البلاد العربية؟ وما موقع الناقد محمد إقبال العروي في التمكين لهذا التيار، والدفاع عنه أمام الآراء المخالفة؟

اعتراضات وحجج:

للمعترضين على الأدب الإسلامي حجج كثيرة، ومتنوعة، يمكن تلخيصها في حجتين:

- أنه مشروع إقصائي، من شأنه أن يضرب الذكر صفحاً عن آثار أدبية لها مكانتها في تاريخ الأدب العربي قديمه وحديثه، و عن أسماء وأعلام من الكتاب والشعراء أثبتوا كفاءتهم الفنية، وتركوا بصمات واضحة في تاريخ الأدب العربي.

-أنه مشروع ذو بعد واحد من حيث واقع الانتماء الإثني والديني في الوطن العربي، يكرس الطائفية، ويحرم الأدب العربي من روافد أساسية تتمثل في إبداعات الأدباء غير المسلمين من العرب، الذين لا ينكرو وجودهم الإثني في البلاد العربية، ولا مدى إسهامهم في توسيع أفق الأدب العربي الحديث، وتطوير لغته، وتعميق رؤيته.

ردود ومبررات:

في المقابل لم يعدم أنصار إسلامية الأدب ما يردون به على خصوم المصطلح، ومناهضي المشروع الذي يتضمنه، من ذلك أن هذا المسعى ليس بدعا من القول والمذهب، فبالعودة إلى الآداب الأخرى نجد العلاقة وطيدة بين الدين والآداب، والارتباط بينهما قائم في مختلف الحضارات واللغات "... وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن ينكر الآن أن الآداب نشأت أصلا في أحضان الدين، كيفما كان ذلك الدين ؟ وهل يقدر الجاحد أن يجحد أثر الدين في ملاحم اليونان ومآسيها وملاهيها ؟ أو أن يفصل بين ملاحم الهند القديمة وبين كتبها المقدسة؟"¹.

وبما أن الأدب العربي واحد من الآداب الإنسانية فلا غرابة أن ينحو منحى التجربة الإنسانية في هذه الجدلية مع فارق اختلاف الدين واللغة. إذا صرفنا النظر عما دعا إليه التيار الوجودي بزعامة (جون بول سارتر) من مناهضة الدين وفصله عن الأدب، فهذا الموقف في حد ذاته له علاقة بالدين لأنه وليد موقف منه، حتى لو كان موقفا سلبيا، إذ يجسد فكرة علاقة الأدب بالمعتقد رفضا أو قبولا.

وانطلاقا من مسلمة أنه لا يمكن فصل الدين عن الأدب، بات من المنطقي البحث عن أدب إسلامي، في تراكم معرفي وإداعي ضخم أنتجه المسلمون باللغة العربية، وبغيرها من لغات الشعوب الإسلامية، فالفيصل ليس اللغة وإنما معايير تتوفر في النص ليستحق انتماءه إلى دائرة الأدب الإسلامي، مما يؤدي إلى اتساع دائرة هذا الأدب لأدباء غير ناطقين باللغة العربية، وتضييق في الوقت ذاته عن أدباء ناطقين بها لم يتوفر إبداعهم الأدبي على خصائص معنوية، وعقدية، وفنية تسمح لهم بالدخول في دائرته.

بناء على هذا المعيار سلم بعض النقاد أن من ينتمي إلى الإسلام ولو حضاريا، بعيدا عن الانتماء الديني سيصيبه شيء من تأثير القرآن الكريم لأنه نص غلاب؛

ويضرب الناقد محمد إقبال العروي الأديب مارون عبود مثالا على ذلك²، وفي هذا رد على اعتراض من اعترض بالإقصاء على أساس الدين والطائفة. كما يستند أنصار الأدب الإسلامي على حجة فنية خالصة، تتمثل في أن تأثير القرآن والإسلام عموما أدى إلى تغيرات في الحياة الأدبية، وفتح أمامها آفاقا من الفن لم تكن متاحة من قبل، فقد تغير الشعر العربي على مستوى المضمون والأغراض واللغة والأسلوب، "فكلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم و منظومهم ... والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما لكونهما ولجا في قلوبهم ونشأت على أساليبيهما نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة"³.

وإذا كان ابن خلدون يرى أن الأدباء الإسلاميين - وهم الذين ظهروا في المرحلة التي تلت الجاهلية مباشرة - تتلمذوا على أساليب القرآن، فتقدموا به خطوات في مسيرة الفن، فإن لطله حسين رأيا مخالفا، فهو يرى أن تأثير الحركات الدينية والثورية لا يظهر إلا بعد مدة زمنية طويلة من تاريخ ظهورها الفعلي مستدلا على ذلك بكون الإسلام لم يحدث تغييرا خطيرا في الشعر الجاهلي إلا بعد نصف قرن من زمن ظهوره⁴.

مسيرة مصطلح الأدب الإسلامي في النقد العربي:

رصدُ مسيرة مصطلح الأدب الإسلامي تحملنا على وضعه في محور تناظري طرفاه (القديم والجديد)، بحيث يمكن التساؤل: ما موقع هذا المصطلح بين قديم الأدب وحديثه ؟ وهو ما يقابله النقد والدارسون المعترضون بالرفض القاطع، إذا يرون هذا المصطلح دخيلا مستحدثا، لا جذور تاريخية له، ولا عهد للنقد والنظرية الأدبية به سابقا، فدوافع ظهوره حديثة، وسياقات الدعوة إليه لا علاقة لها بالعلمية، وإنما هي سياقات إيديولوجية بحتة، صاحبت ظهور حركات سياسية إسلامية تسوق تيارا فكريا معيناً.

وهنا ينبغي للرد على هذه الحجة نضر من النقاد، والمنظرين الرواد منهم محمد قطب الذي يجد من الغرابة والمفارقات أن نقبل مصطلحات مشابهة مثل الفن الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، في الوقت الذي يُرفض فيه هذا المصطلح بهذه الحجج الواهية⁵.

على أن من خصوم المصطلح من لم ينكره إجمالاً، وإنما استنكر إحياء مجدداً في الأدب الحديث، وبعبارة أدق يوم تجددت دلالاته، ورأى أن المصطلح وما يدل عليه معطى تاريخي ابن مرحلته، مرتبط بفترة زمنية محددة، تبدأ من ظهور الرسالة المحمدية وتنتهي بنهاية الخلافة الراشدة، ويعبر عنه ما ظهر من إنتاج أدبي شعري أو نثري في هذه الحقبة؛ ومن أصحاب هذا التوجه من يمد هذه الحقبة ليصل بها إلى بني أمية (132 هـ / 750 م). ومنهم من رفض هذا التقسيم القائم على أساس تاريخي، أمثال بروكلمان، وابن خلدون.

غير أن هذا الرفض يقود إلى الاستنتاج أن هذا المصطلح ليس وليد الأدب الحديث أو المعاصر، "بل هو قديم في ظهوره، قد يعود إلى نهاية القرن الهجري الأول وبداية القرن الثاني، إن نحن تقصينا الأمر وأحسننا التقصي، ومما لا شك فيه أن استعماله شاع في القرن الثالث، واستفاض ثم صار مصطلحاً إسلامياً وإسلاميين تتداوله الألسنة فيما بعد، وقد عرف الناس من مؤلفات القرن الرابع كتاب أبي الحسن الشهير (مقالات الإسلاميين)⁶، وقبله استعماله الأصمعي عندما سئل عن جرير والفرزدق والأخطل فقال: "لا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون"⁷.

وقد نقل ابن رشيق في كتابه (العمدة) شهادة الأصمعي في شيخه أبي عمرو بن العلاء: "جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"⁸، وأبو عمر بن العلاء (ت. 154 هـ) كما نعلم من علماء القرن الثاني للهجرة.

وصنف ابن سلام الجهمي (ت. 232 هـ 9) قبله الشعراء إلى طبقات، منها طبقة الإسلاميين، ومن هنا نرى أن المصطلح خرج إلى عدة دلالات، حسب رؤية كل ناقد، واستعماله له.

أدب فترة:

فعند ابن سلام السابق ذكره نجد المصطلح دالا على أدب فترة زمنية، فعدّ في طبقاته الأخطل من الشعراء الإسلاميين، مع أنه نصراني متشبه بنصرانيته، تبذخ بذلك في أكثر من موضع في ديوانه⁹، فأيراده في طبقة الإسلاميين لا يعدو الدلالة الزمنية المحايدة، التي تعني الفترة الزمنية التالية لفترة الجاهلية، واصطلح عليها بهذا الاسم للتفريق بينهما زمنيا لا أكثر.

أما ابن خلدون فله رأي آخر، أو إضافة إلى الرأي السابق، إذ زاد على النظرة الزمنية بعدا آخر هو البعد الفني، فصنف الشعراء الإسلاميين في طبقة أعلى من شعراء الجاهلية، مبررا ذلك التفوق بتأثرهم بالقرآن الكريم. لأن للعقيدة أثرا في ما يبده الأديب، فهذا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يبدي رأيه في موازنة بين الأخطل وجريز قائلا: "إن الأخطل ضيق عليه كفره في القول، وإن جريزا وسع إسلامه قوله، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت"¹⁰، فابن خلدون لم يحصر المصطلح في الدلالة الزمنية فحسب، وهو والرأي نفسه عند الجاحظ (ت. 255 هـ).

يلخص مأمون فريز جزار هذا التوجه في عبارة موجزة ومركزة قائلا: "إذا ذكر مصطلح الأدب الإسلامي انصرف ذهن كثير من الناس إلى أدب عصر النبوة والراشدين، ويضاف إليه عصر بني أمية، وهذا يعني أن الأدب الإسلامي عند أولئك المدارس أدب فترة لا أدب فكرة"¹¹.

ويعد الرافعي من السابقين إلى ربط هذا المصطلح بالدلالة الزمنية، ذلك حين أبرز العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي ف"إن في لغتنا معنى دينيا هو سر حقيقتها، فلا تجد من رجل روى أو صنف أو أصل في فن من فنون الآداب أول عهدهم بذلك، إلا خدمة للقرآن الكريم، ثم استقلت الفنون بعد ذلك وبقي أثر هذا المعنى في فواتح الكتب. القرآن نفسه حادثة أدبية من المعجزات الحقيقية التي لا شبهة فيها، وإن لم يفهم سر ذلك من لا يفهمونه"¹².

وبذلك يكون الرافعي قد أكسب المصطلح دلالة جمعت بين الوجهتين السابقتين ولكنها دلالة متجددة، فقد جعل المصطلح دالا على الحيثية الزمنية، والتأثيرات الفنية التي أحدثها القرآن والحديث في النص الأدبي في آن واحد، لأن

العربية لغة القرآن. كما أن الرافي جعل للمصطلح حق الاستمرارية، بربطه وجود هذا الأدب بوجود الإسلام.

ذلك كله يقضي بأن الدلالة الزمنية نفسها تختلف من ناقد إلى آخر، فابن رشيقي، والجمحي اعتبراه مصطلحا دالا على كل شاعر تلا وجوده مرحلة الجاهلية ولو لم يكن مسلما، ليسلم بهذا الاعتقاد جملة من النقاد؛ لكنهم اختلفوا في المدى الزمني لفترة الإسلاميين: فمنهم من ضيقها وجعلها محصورة في عهد النبوة والخلافة الراشدة، مثل ابن رشيقي وأحمد حسن الزيات وعبد القادر القط¹³، ومنهم من وسعها إلى الدولة الأموية، مثل شوقي ضيف¹⁴، ومنهم من جعل دلالة المصطلح مفتوحة على المستقبل، كالرافي وهناك من النقاد من له رأي آخر.

أدب طفرة:

يقصد بالطفرة أن الأدب الذي يستحق هذا المصطلح لم ينشأ فور ظهور الإسلام، ولكنه ظل كامنا ثم ظهر طفرة، بناء على ذلك لا يصدق مصطلح إسلامي على كل من عايش الفترة الإسلامية زمنيا، بل يحسب الأمر بقضية التأثير الفني والقيمي، والمستشرق كارلو نالينو على رأس من تزعموا هذه الفكرة، فهو يرى أن "أول من يصلح له اسم شاعر إسلامي هو حسان بن ثابت الأنصاري لأن حسن إسلامه ظاهر في جملة من أشعاره"¹⁵.

وفي مقابل إقراره بإسلامية شعر حسان بن ثابت، ينفي ذلك نفيًا جازما عن الشاعر تميم بن نويرة اليربوعي، مع أنه عاصر الإسلام، لأن شعره لم يتماش مع ما جاء به القرآن الكريم، بل كان يرثي أخاه مالكا المرتد الذي قتل في حروب الردة، وهذا مخالف للعقيدة.

على أن للمستشرق بروكلمان رأيا آخر، ذهب فيه إلى تقسيم الأدب العربي قسمين، وسمى القسم الأول منهما بالأدب العربي، وحدده زمنيا من بداية ظهور هذا الأدب إلى سقوط خلافة بني أمية (132 هـ)، واصطلح على المرحلة الثانية بالأدب الإسلامي، وحدده زمنيا من بداية الخلافة العباسية حتى الآن، وأساس تقسيمه هذا نظرته إلى العمل الأدبي¹⁶، ومدى تشبعه بالقيم الإسلامية، وتخلصه من العصبية القبلية، وغيرها من الممارسات الجاهلية.

فبروكلمان يرى أن الأدب بخصائصه الإسلامية لم يظهر إلا بظهور الدولة العباسية، وأما قبل ذلك -منذ عهد النبوة حتى الأمويين - فقد كان في مرحلة كُمون، يتشكل ويتخمر ثم ظهر في العهد التالي طفرةً، مبرراً هذا التقسيم بأن الأدب في عهد بني أمية غلبت عليه نزعة العصبية القومية، لذلك انتفت عنه صفة الإسلامية.

والملاحظ أن هذه الفكرة موضوع نقاش، تحتل الصواب والخطأ: فصوابها أن الأدب الإسلامي مستمر منذ ظهوره حتى الآن، وخطؤها هو في تحديد بداية الأدب الإسلامي بظهور الخلافة العباسية، لأن التسليم بهذا، سيقودنا إلى نسف إرث أدبي ليس بالقليل، وإهدار تاريخ من الإبداع يمتد وجوده الزمني إلى عهد النبوة والخلافة الراشدة وخلافة بني أمية، على رأسها قصائد حسان بن الثابت وغيره، وأما العصبية القومية التي اتخذها متكاً في نفي صفة (الإسلامية) عن الأدب عصر بني أمية، فإن في الأدب العباسي ما يتنافى مع الإسلام وتعاليمه، كالخمريات، وشعر المجون، والتغزل بالغلمان والجواري، وعلى رأس ذلك كله الشعوبية والأدب الحامل لنسقتها، فهل هذه الخصائص تبرر إلغاء صفة الإسلامية من الأدب العباسي أيضاً؟

أدب فكرة:

الجدل القائم حول تحديد دلالة مصطلح الأدب الإسلامي، وبداية ظهوره ومعايير تقبل أي متن أدبي في دائرته، من حيث الزمن أو اللغة أو الديانة أو المراحل السياسية حمل نضراً من النقد على الاحتكام إلى المضمون، ومدى قربه أو بعده عن القيم الإسلامية، من هؤلاء مأمون فريز جرار ومحمد قطب وغيرهما كثير، وذلك لا يعني إهمال الجانب الفني والقيم الجمالية والإبداعية في هذا النص، فإن كان المضمون يحدد إسلامية النص فإن جماله الفني وتأثيره في المتلقي يحددان أدبيته لا محالة. فتركيز أصحاب هذه النظرة منصب على المضمون كشرط لازم لا كافٍ، وإن كان للمضمون الاعتبار الأول طبعاً "فالأدب الذي ندعو إليه لا يتدخل في الأشكال، فحسبه منها أن تكون جميلة، وإنما يتدخل في المضامين، فيرفض منها ما يحاد الله ورسوله ويحارب الإسلام"¹⁷.

إن الضوابط الهامة عند أصحاب هذا الاتجاه هي عدم التدخل في الشكل الأدبي، فللأديب مطلق الحرية في اختيار الشكل الأدبي الذي يريده، وقد يصل إلى ابتكار شكل جديد، بشرط أن يكون ذا جمالية.

كما أنه ليس من اللازم أن يكون المضمون وعظيما يتوجه إلى الدفاع عن الإسلام بطريق مباشر، بل يشترط فيه عدم محاربته للإسلام، أو محادثته لله ورسوله، يؤكد هذه الفكرة د. مصطفى عليان فالمصطلح عنده يدل على "التوجيه الإسلامي للأدب والالتزام به محصور بالمحتوى الفكري وما يتعلق به من تصورات وقيم، ويكاد لا يعدو ذلك إلى الشكل الفني"¹⁸.

على أن الحاجة قائمة لتأكيد الفكرة السابقة المتمثلة في عدم إهدار الأدب الإسلامي للمقوم الجمالي، فإلحاق أنصار هذا الأدب على المضمون، مظنة الاعتقاد بأن هذا الأدب هو رواية المغازي وتراجم الصحابة والتابعين والسير بطريقة وعظمية إرشادية، لذلك يحاج أنصاره أن الأدب الإسلامي عندهم أدب مضمون وفكرة، لكن ليس ذلك على حساب الشكل "فالذي يميز الأدب الإسلامي عن غيره من ألوان الأدب ومذاهب فن القول محليا وعالميا هو الدلالة والمحتوى، وليس الصورة أو الشكل أو القالب أو اللغة التي كتب فيها"¹⁹، ليؤكد الدكتور صالح فكرة سابقه، وهي حرية اختيار الشكل الأدبي، ويضيف معها أمرا جديدا هو اللغة، فقد يكتب الأثر بأي لغة، مادام التركيز كله على المضمون، وعلى الرؤية الإسلامية التي يجب أن يصدر عنها؛ وهذا يرد على مزاعم بعض النقاد الذين رأوا أن الأدب الإسلامي مصطلح لا يقبل تحت مظلته سوى ذلك الأدب المكتوب باللغة العربية، والمرصع بالآيات والأحاديث والمواعظ والعبر، ليحدد عماد الدين خليل الفرق الجوهرية بين الأدب الإسلامي وغيره القائم على مستوى المضمون وعلى اعتبار حيادية الشكل²⁰.

أدب فطرة:

إضافة إلى مقياس الدلالة الزمنية للمصطلح ومضمون النص، والفكرة، نصادف اتجاها آخر يرى أن الأدب الإسلامي أدب فطرة، فالمسلم لا يصدر عنه إلا ما هو إسلامي بالفطرة، ويبدو من مجمل آراء أنصار هذا الاتجاه أنه تطوير

للفكرة السالفة، فقد تبنى هذه الفكرة الرافعي، وسيد قطب، ومحمد قطب ، وحسن الندوي، وعماد الدين خليل.

فسيد قطب في كتابه (في التاريخ فكرة ومنهاج) يذهب إلى أن الأدب الإسلامي أدب له تصور خاص للحياة وليس خطبا وعظية باهتة، فالأدب الإسلامي عمل فني بكل المقاييس الجمالية، هدفه توجيه حركة الحياة وفق منهج محدد يلتزمه في كل المجالات الفنية²¹، معبرا عن قيم مشتركة بين كل البشر، وهي القيم الإنسانية التي فطر الله عليها عباده، فالتعبير عن تلك القيم الفطرية عند البشر هو نفسه الأدب الإسلامي، ومن جهة أخرى تتأكد صفة المسؤولية وتحمل التبعات مع هذا الأدب، فالإنسان مسؤول عما يصدر عنه من سلوك قولي أو فعلي، ، والأدب، إضافة إلى كونه إبداعا، هو سلوك يقع به صاحبه في دائرة المسؤولية وتحمل التبعات.

واعتبار الأدب الإسلامي أدب فطرة يتسم بالجدية والالتزام ليعني أنه أدب ديني، ذلك أن الأدب الديني هو الأدب الذي يكون الدين (أي دين) محور موضوعاته لا يحيد عنه بتاتا، من هنا كان الأدب الإسلامي أعم وأشمل منه، لأن الأول خاص بالدين فقط، بينما الثاني عام يشمل الدين والدنيا، وله صبغة عالمية إنسانية بناء على فطريته.

غير أن هذه العالمية أحدثت خلافا حول الأدب الصادر عن غير المسلم، ولكنه يحمل سمات الإسلامية: هل يمكن اعتباره أدبا إسلاميا مع أن صاحبه غير مسلم ؟

ويتصدى الناقد المؤسس حسن الندوي للقضية، محاولا تقديم جواب مقنع، واستحدث مصطلحات دالة على هذا الأدب، فيسمي هذه النصوص "بالأدب الكادي" مستندا على ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن شعرامية بن أبي الصلت المناهض لدعوته، عند سماعه: "إن كاد ليسلم في شعره" وفي رواية أخرى "آمن لسانه وكفر قلبه"²².

ومنه فإسلامية العمل دون صاحبه تبيح قراءته والاستفادة منه، وقد أطلق عليه الندوي مصطلحا مغاييرا هو (الأدب الموافق) ومصطلح (الأدب الصالح)، مؤيدا بذلك محمد قطب وما قام به في كتابه (منهج الفن الإسلامي) إذ اختار

نصوصاً أدبية لأدباء غير مسلمين، وجعلها من بواكير الأدب الإسلامي كأشعار طاغور الهندي ومسرحية ج.م. للسينج الإيرلندي (الراكبون إلى البحر)²³، وفي مجال تطبيق هذه الرؤية عرض الدكتور عماد الدين خليل بعد ذلك مسرحية (مركب بلا صياد)²⁴ للإسباني أليخاندر دي كاسونا واعتبرها عملاً فنياً ينتمي للأدب الإسلامي.

هذه التطبيقات النقدية نقتت تهمة واجهها هذا المصطلح في بداياته، وهي أنه أدب إيديولوجي متعصب ومنغلق، وعليه أن يفسح الطريق للأدب الإنساني لأن زمن الإيديولوجيات قد ولى.

إن بقاء هذا المصطلح ثابتاً خلال مسيرته منذ ظهوره حتى الآن، واكتسابه دلالات جديدة في كل فترة دليل على أنه إنساني في قيمه، له خصوصيته فلا يمكنه أن يخضع -لزاماً - للدورة نفسها التي خضع لها أدب الإيديولوجيات، والمدارس الفكرية والفلسفية الأخرى التي تنشأ، ثم تنمو، وبعد ذلك تتطور، فتشيخ إلى أن تموت، لتستحيل حدثاً تاريخياً لا يذكرها إلا باحث في تاريخ تلك المدرسة الفكرية، أو التيار الفلسفي يستخرجها من بطون الكتب.

فالأدب الإسلامي باق بقاء الإسلام الذي يشكل فكر المسلمين، وسلوكهم، وأدبهم باستمرار" على أنه من المفيد الإشارة إلى أن مظاهر التطور وأنماط التحول التي تصيب الأدب الإسلامي تقع من داخل هذا الأدب لا من خارجه، أي أن هناك ثوابت لا بد من مراعاتها في عملية التطور والتحول، وإن مظاهر التحول تتم ضمن مجموعة من القيم الإسلامية الثابتة وبدون ذلك تبطل إسلامية الأدب"²⁵.

مسيرة مصطلح الأدب الإسلامي هذه، ومحطاته عبر تاريخ الأدب العربي ونقده، قديماً وحديثاً، لها دلالات واستنتاجات كثيرة أهمها أن المصطلح كان متداولاً في القرن الثاني الهجري بصريح النص، هذه الفترة التي تمثل بداية تأسيس النقد المنهجي عند العرب، وقيل على صعيد الساحة الأدبية والنقدية عندما كان يحمل دلالة زمنية تاريخية، وبدأت حركات رفضه تتصاعد عندما أصبح محملاً بدلالة إيديولوجية، ثم اكتسب المصطلح عدة دلالات أثناء

مسيرته، ومنذ ظهوره: فمرة هو أدب فترة، ومرة أدب طفرة، وأخرى هو أدب فكرة، وهو أدب فطرة تارة أخرى.

كما أنه أدب عالمي النزعة، لأنه ينطلق من قيم فكرية إنسانية، وقيم جمالية تستثني الزمان والمكان واللغة والأسلوب.

بعد هذه المسيرة الطويلة استطاع مصطلح الأدب الإسلامي أن يثبت ذاته أمام سلطة التلقي، ويفتك الاعتراف به على صعيد الساحة الأدبية الحديثة والمعاصرة، فما دلالة هذا المصطلح اليوم ؟

وردت في الكتب النقدية الحديثة المهتمة بالمصطلح عدة تعريفات ومفاهيم له تتفق في وجهة النظر والرؤية إلى حد التماهي، ولكنها تختلف في المفردات والعبارات. فالكيلاني مثلاً يعرفه بأنه ذلك الأدب الذي "ينظر إلى الكون ومفرداته وإلى الحياة وحركتها وإلى المخلوقات وصراعاتها، نظرة يحكمها التصور الإسلامي والالتزام العقائدي"²⁶، فانشغال الكيلاني إنما هو بمضمون هذا الأدب ليفصل بعدهما الدكتور عبد الرحمن والموضوعات التي يتطرق إليها، كالكون، والحياة وصراع المخلوقات، بشرط أن يكون تناول من منطلق إسلامي، وضرورة الالتزام بذلك المنطلق.

لم يتطرق الكيلاني للجانب الفني في هذا النص الأدبي، والذي يعد أهم أسس العملية الإبداعية مثله في ذلك مثل محمد هدارة، فهو عنده "الأدب الذي يعبر عن النظرية الإسلامية الشاملة للكون والوجود، فلا يتصادم معها أو يخالفها في أية جزئية من جزئياتها ودقائقها"²⁷.

ويسلط رأفت الباشا الضوء في تعريفه على الجانب الشكلي للنص، فالأدب الإسلامي عنده هو ذلك "التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان وعن وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته"²⁸.

فالجانب الفني كان أول اهتماماته، إذ على النص أن يخضع للمعايير الجمالية المعروفة، لكنه لا يفرض جنسا معينا، فالأديب حر في استخدام ما هو معروف من أشكال فنية، أو ابتكار أشكال جديدة، بشرط أن يكون هذا التعبير الفني هادفا، ملتزما في مضمونه بموضوعات الحياة، والكون والإنسان وهي

الموضوعات ذاتها التي حددها الكيلاني، ولكنه يضفي عليها شرطا أساسيا هو ضرورة أن يكون التعبير نابعا من ذات الكاتب، ومدى تأثير هذه الموضوعات في وجدانه، ووجهة نظره، وأن ينبع ذلك صدقا لا تكلفا من تصور إسلامي، ليصل إلينا منه في النهاية عمل فني نابع من الفطرة؛ ويزيد عليه أحمد حسن برنغيش ميزة أخرى فالأدب الإسلامي عنده "التزام بالإسلام، والتزام بالكلمة، والتزام بالعقيدة، والتزام بالسلوك، إنه أدب يقوم على تصور متكامل"²⁹.

فبرنغيش يجعل الالتزام محورا للعملية الأدبية على أن يكون التزاما متكاملا في المعتقد والقول والعمل، تماما كعقيدة الأديب، فالواجب انطلاق الأديب من إيمان تترجمه الكلمة قولاً والسلوك عملاً، ليضيف في موضع آخر شرط الأصالة.

أما عماد الدين خليل فالأدب الإسلامي عنده هو "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود"³⁰، يؤيده في ذلك وليد قصاب فهو يرى أنه "تعبير جمالي شعوري باللغة عن تصور إسلامي للإنسان والكون والحياة"³¹، وغير بعيد عن هذا التعريف من حيث المعنى، يظهر تعريف سعد أبو الرضا، فالأدب الإسلامي عنده "صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة موحية من خلال التصور الإسلامي لها"³².

فالثلاثة اتفقوا على استهلال التعريف بالجانب الفني، على اعتبار أنه أهم ما في الخطاب الأدبي، بشرط أن يكون نابعا من تجربة صادقة للمرسل (تعبير جمالي مؤثر -تعبير جمالي شعوري -صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة) فهم يقرون أن أهم ما في الخطاب الأدبي جماله الفني وتأثيره في المتلقي بفعل صدق التجربة الشعورية، على أن تنمو هذه التجربة الشعورية في كنف التصور الإسلامي.

ويوافقهم في ذلك كثيرون أمثال الطاهر محمد علي، فهو يرى المصطلح دالا على "الفن الراقي الذي يعبر عنه الأديب في تجربة شخصية، وأن تكون غايات الأديب قائمة على التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون"³³.

من مجموع التعريفات نرى الإحاطة بعناصر العملية الإبداعية وزواياها المكونة لأضلاعها، مركزة على المضمون والمبدع بوصفهما عنصرا مهما في

صناعة العمل الأدبي، وعلى الأمر الثابت في العملية الأدبية وهو التصور الإسلامي، إضافة إلى التحول وهو الإبداع الأدبي، وهذه العناصر هي ما يهتم المتلقي، فأمام المبدع للتصور الفكري الذي ينطلق منه النص ويتفق عنده مع نصوص أخرى كثيرة، لكنه يختلف معها في الإبداع الأدبي الذي يتفرد به كل أديب عن غيره. وهذا ما يخلق التميز والاختلاف بين أديب وآخر، وتتوضح فيه بصمته المميزة.

وهذه التعريفات تسعى في النهاية إلى محاولة حصر أجزاء المفهوم، ومن البداهة أن الباب يبقى مواربا لإضافة ضمايم يضربها سير العملية الإبداعية، وتوافر النصوص الصادرة عن هذه الرؤية، والتي من شأنها إثراء النظرية، من ذلك ما أضافه محمد إقبال العروي - أحد أبرز الفاعلين في هذا المجال تنظيرا وتأصيلا - إلى دلالة المصطلح فهو عنده "تعبير فني وجمالي يعتمد مختلف الأشكال المتاحة والممكنة في معالجة قضايا الحياة وفق تصور الأديب ورؤيته الإسلامية"³⁴، فالعروي هنا يعرض لأهم محاور العمل الأدبي الذي هو عنده: عمل فني -جمالي (أي له تأثير في المتلقي)، وعمل إبداعي قد يكون في شكل تقليدي أو في شكل جديد يبدعه الكاتب، ذو مضمون يتصل بقضايا الحياة، وفق تصور الأديب الخاص للرؤية الإسلامية.

ويوافقه في ذلك كثيرون أمثال أحمد محمد علي حنطور الذي يحده بأنه "كل ما صدر من قول فني عن أديب مسلم، أو ينتمي إلى الإسلام، أو تمثل الإسلام في مبادئه حين إنشائه، مادام ملتقيا في الجميع مع تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"³⁵، وعدنان النحوي الذي يعتبره "ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث، حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعا فنيا ينطلق من أسلوب التعبير باللغة، ممتدا في أغوار النفس الإنسانية، والحياة والكون والدنيا والآخرة، مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدرا من الجمال الفني، ليشترك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية، وليساهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانية طاهرة، وحياة إنسانية نظيفة، وهو يخضع في ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل -قرآنا وسنة -"³⁶.

فمحمد حنطور وعدنان النحوي يؤكدان آخر دلالة وصل إليها المصطلح خلال مسيرته النقدية لكونه أدب فطرة، إذ لا يشترط في الأديب عقيدته الإسلامية على قدر ما يشترط في إبداعه الأدبي التوافق مع مبادئ هذا الدين وتصوراته. لتتسع الدائرة لأدباء غير مسلمين وأعمال من الأدب العالمي، يؤيدهما في ذلك الشاعر عمر بهاء الدين الأميري فعنده "كل تعبير عن الشاعر والأذواق والأشواق ينقدح من ذات صاحبه دون التردّي عن إنسانية الإنسان، وعن سمو رسالة الإسلام هو أدب إسلامي"³⁷.

في المقابل من الدارسين من ضيق هذه الدائرة في حده للأدب الإسلامي فعلى سبيل المثال ميجان الرويلي الذي هو عنده "... لون من الأدب المنتج في البلاد العربية والإسلامية يتأسس على العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من تصور للوجود، ويسعى لتمثيلها فيما يصدر عنه، سواء على مستوى القضايا والاهتمامات، أو على مستوى الشكل واللغة والقيم الجمالية عموماً"³⁸، فهو يشترط إسلامية الأديب إلى جانب إسلامية الأدب.

ويزداد الأمر ضيقاً عند آخرين، فيشترط لغة واحدة هي العربية مثل الأستاذ علي كمال الدين، فهو عنده "ما يصدر عن فكرة وعاطفة صدوراً كلياً أو جزئياً، مباشراً أو موحياً، باللغة العربية، عن التصور الإسلامي المنبثق من القرآن والسنة للوجود. ولا يحده مذهب أدبي، وإن أفاد من معطيات المذاهب الأدبية الفنية أو الفكرية التي تلتقي مع قيم الإسلام في إنسانيتها الأصلية وامتدادها الزمني"³⁹.

فهو - وإن أعطى الأديب - حرية فنية تسمح لأفكاره بالتلاقح مع مدارس أدبية، ومذاهب فنية أو تيارات فكرية متنوعة بشرط أن لا تتعارض مع القيم الإنسانية للإسلام ضيقه وقيده بتحديد الأداة المتمثلة في اللغة العربية مقصياً بذلك أدبا إسلامياً لشعوب غير عربية، ولكنها مسلمة تمثلت بمبادئ الإسلام في أدبها المكتوب بالهندية، أو الروسية، أو غيرها من اللغات.

ونصادف مرة أخرى الفكرة المحذرة من الانزلاق إلى الوعظ المباشر الذي من شأنه خنق أنفاس الأدبية وإخراج الأثر في صورة باهتة مملة، وكأن المنظرين لهذا الأدب، في إصرارهم على هذه الفكرة، أحسوا بثقل هذه التهمة التي يوجهها

خصوصهم إلى الأدب الإسلامي، من هنا كثرت ردودهم عليها، وتواترت مواجهاتهم لها، وتعددت صيغ تعبيرهم عنها، يقول محمد قطب منافحا عن الفن الإسلامي عموما -والأدب واحد من هذه الفنون - "ليس من الضروري أن يتحدث الفن الإسلامي عن الإسلام: حقائقه وعقائده، وشخصياته، وأحداثه، وإن كان من الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كل هذه الموضوعات، ولكنه يتناولها، كما يتناول الوجود كله، وكل ما يجري فيه من زاوية إسلامية يستشعرها بحس إسلامي"⁴⁰.

وله في هذا ظهير من محمد الهاشمي القائل: "الأدب الإسلامي ليس كل ما ورد فيه ذكر الإسلام، وإنما هو مصطلح نقدي له خصائصه ومميزاته. الأدب الإسلامي تعبير جميل عن حقائق التصور الإسلامي من كون وحياة وإنسان، وقيم ومثل، وغاية وجود، تتسع موضوعاته لقضايا الحياة والوجود كافة، وله في كل رؤية أدبية، متميزة ووجهة نظر، يجلو ذلك على مستوى رفيع، إبداع الأديب المسلم في أصالة ومعاناة"⁴¹.

ومهما يكن من أمر التفصيلات والضمائم، والجزئيات للتي انفتح - وينفتح - لها مفهوم مصطلح (الأدب الإسلامي)، فقد ساهم ذلك في بلورة صيغة اصطلاحية اعتمدتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي لخصتها في أنه: "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والكون في حدود التصور الإسلامي لها"⁴².

خاتمة:

مع كثرة ما صدر من أعمال إبداعية منضوية تحت مسمى (الأدب الإسلامي)، شعرا ونثرا، وتنوع أشكالها وأصنافها من دوريات وكتب، ومن ملتقيات وندوات ... ومع كثرة الأسماء والأعلام اللامعة المساهمة فيه إبداعا ونقدا وتنظيرا، من الوطن العربي وغيره، يبقى (الأدب الإسلامي) -مصطلحا وتاريخا وقضايا - مسألة جدلية إشكالية تسير على رمال متحركة، لاسيما مع ما تشهده الساحة الإسلامية خاصة، والعالم عامة من جدل الهويات، ومقولات العولمة، ومع وقوف المسلمين في كثير من الأحيان موقف المدافع عن الحق في الوجود المادي والروحي، ومقاومة محاولات المسخ والتشويه؛ ومحمد إقبال العروى واحد من الواقفين على هذه القضية التي استحالت جبهة دفاع حقيقية،

وذلك لما يخرج به في كل مرة من أفكار يبيثها كتباً ومجلات ومقالات تصدر بصفة فردية أو جماعية، يتصف فيها بالأصالة والعمق والدقة والأكاديمية غالباً، بصرف النظر عن إمكان موافقته أو مخالفته فيها.

الهوامش:

- ¹ حسن الأمراني ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط. 1، 1431 هـ، ص. 15.
- ² المرجع نفسه، ص. 20.
- ³ ابن خلدون: المقدمة، تح. حجر عاصي، درا ومكتبة الهلال، بيروت، 1991 م، ص. 359.
- ⁴ ينظر رأي طه حسين بالتفصيل في: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط. 12، 1979 م، ص. 37.
- ⁵ ينظر رأي محمد قطب في: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1973 م، ص. 119.
- ⁶ حسن الأمراني، ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، ص. 25.
- ⁷ ابن سلام الجهمي: طبقات فحول الشعراء، نشر: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت. ص. 12.
- ⁸ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح. محمد قرقران، دار المعونة، بيروت، ط. 1، ص. 338.
- ⁹ تنظر قصائده في ديوان الأخطل، نشر: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، ص. 338.
- ¹⁰ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، تح. عبد الستار أحمد فراج، 1961، ج. 1، ص. 288.
- ¹¹ مارون فريز جزار: خصائص القصيدة الإسلامية، دار المنار، جدة، ط. 1، 1984 م، ص. 13.
- ¹² مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 4، 1997 م، ج. 1، ص. 212.
- ¹³ أحمد حسن الزيات: <https://waqfeya.com/book.php?bid=8397>.
- ¹⁴ تنظر آراؤهم في: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، 1981 م، ص. 132.
- ¹⁵ حسن الأمراني، ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، ص. 44.

- ¹⁶ ينظر رأيه في: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تح. عبد الحليم النجار - رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط. 5، 1977 م، ج. 2، ص. 286.
- ¹⁷ عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط. 1، 1998 م، ص. 13.
- ¹⁸ مصطفى عليان: مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، 1985 م، ص. 63.
- ¹⁹ بيلو صالح آدم: من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، 1985 م، ص. 78.
- ²⁰ ينظر: عماد الدين خليل: ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب، مجلة المشكاة، المغرب، ع. 24، ص. 33.
- ²¹ سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، بيروت، 1995 م، ص. 18-19.
- ²² ينظر رأي حسن الندوي في: الأمراني، ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، ص. 80.
- ²³ ينظر: محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص. 72.
- ²⁴ ينظر: عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، ص. 67-95.
- ²⁵ حسن الأمراني، ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، ص. 86.
- ²⁶ نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط. 1، 1985 م، ص. 47.
- ²⁷ محمد هدارة: بحث (جهود الحسن الندوي النقدية)، في ندوة الأدب الإسلامي، الرياض، ص. 19.
- ²⁸ عبد الرحمن رأفت الباشا: مرجع سابق، ص. 92.
- ²⁹ محمد حسن برنغيش: في الأدب الإسلامي، المعاصر، مكتبة المنار، الأردن، ط. 2، 1985 م، ص. 40.
- ³⁰ عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 1، 1978 م، ص. 69.
- ³¹ وليد قصاب: مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1988 م، ص. 22.
- ³² سعد أبو الرضا: الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح، مجلة الأدب الإسلامي، الرياض، ع. 7، 1995 م، ص. 95.
- ³³ صالح محمد العبيدي: الخطاب النظري للأدب الإسلامي قراءة نقدية، موقع رابطة ادباء الشام، www.odada.sham.net.
- ³⁴ حسن الأمراني، ومحمد إقبال العروي: معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، ص. 101.

- ³⁵ أحمد محمد علي حنطور: مقال: مناقشة وتحديد الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين، مجلة الأدب الإسلامي، ع. 5، رجب 1415 هـ، ص 18.
- ³⁶ عدنان النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، دار النحوي، الرياض، ط. 2، 1407 هـ، ص 72.
- ³⁷ عمر بهاء الدين الأميري: حوار بمجلة الرائد، لكتاؤ - الهند، ع 52، رجب 1411 هـ، ص 3.
- ³⁸ ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط. 3، 2000 م، ص 25.
- ³⁹ نقلا عن: عماد الدين خليل: الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي، دار الضياء، عمان، ط. 1، 1312 هـ، ص. 173.
- ⁴⁰ محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص. 119.
- ⁴¹ محمد عادل الهاشمي: في الأدب الإسلامي تجارب ومواقف، دار القلم، دمشق، ط. 1، 1407 هـ، ص. 102.
- ⁴² مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرياض، ط. 1، 1409 هـ، ص 8.



استراتيجيات التواصل مع الصم وضعاف السمع

Strategies For Communicating With The Deaf And The Hard Of Hearing

يحي بن أفلح بن سالم الحضرمي

مشرف تربوي بدائرة برنامج التربية الخاصة

وزارة التربية والتعليم – سلطنة عمان

Yahya-alhdhrami@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-10-12

تاريخ الاستلام: 2019-05-01

ملخص-

يقدم المقال قضية إنسانية تشغل الكثير من الباحثين؛ وهي التواصل مع الصم وضعاف البصر ، وتباين الفلسفات التي تبني عليها استراتيجيات للتواصل ، كما يعتمد استخدامها على درجة فقدان السمع ، ومن ثم الحاسة التي يتم استخدامها بدرجة أكبر في تعلم المهارة التواصلية ، وحسب ما اشارت له البحوث العلمية والدراسات للاستراتيجيات التواصل الالية :

- 1 - التواصل اللفظي (Oral communication)
- 2 - التواصل اليدوي (Manual communication)
- 3 - التواصل الكلي (Total communication)
- 4 - التواصل ثنائي اللغة (Bilingual communication)

كلمات دالة -

استراتيجيات ، التواصل ، الصم ، ضعاف السمع

Abstract-

The Article Presents A Humanitarian Issue For Many Researchers: Communication With The Deaf And The Visually Impaired, And The Philosophies On Which Communication Strategies Are Based.

Their Use Depends On The Degree Of Auditory Loss, And Therefore The Sense That Is Most Commonly Used In Learning Communicative Skill. Scientific And Studies Of The Following Communication Strategies:

Key Words -

Strategies , Communication , The Deaf , The Hard Of Hearing,

شرح المصطلحات الأساسية :

- 1 - استراتيجيات : مصطلح عسكري بالأساس وتعني الخطة الحربية ، وتوسع في استخدام المصطلح في كل التخصصات الانسانية والعلمية . لوصف الاسلوب أو الطريقة أو الاسلوب أو الموضوع .
- 2 - التواصل : أنه الآلية التي توجد فيها العلاقات الإنسانية وتنمو عن طريق استعمال الرموز ووسائل نقلها وحفظها .
- 3 - الصم : يعرف الصم من الناحية الطبية على أنهم الأفراد الذين يعجز سمعهم عند حد معين
بدءا من 70 (ديسبل) فأكثر عن فهم الكلام ، وتعلم اللغة عن طريق الأذن حتى مع استخدام معينات سمعية في أقصى حدودها ، وذلك نتيجة ظروف ولادية (وراثية) أو مكتسبة بيئية .
- 3 - ضعف الصم : يعرف ضعف السمع طبيا على أنهم الافراد الذين لديهم قصور في حاسة السمع يتراوح ما بين (30 - 60 ديسبل) بحيث يمكنهم اكتساب اللغة باستخدام أو بدون استخدام المعينات السمعية . (ديسبل : وحدة قياس السمع)

مقدمة-

مما لا شك فيه أن الإنسان يعد بطبعه كائنا اجتماعيا ينشأ في جماعة معينة، سواء كانت تلك الجماعة هي جماعة كبيرة ، أو حتى جماعة فرعية صغيرة وينتمي إليها ، ويتفاعل مع أعضائها بكل أشكال التفاعل الاجتماعي الممكنة، ويتواصل معهم فيتم على إثر ذلك الأخذ والعطاء بينه وبينهم ، مما يمكنه من العيش بينهم ، وتلعب حاسة السمع دورا هاما، وبارزا في هذا الصدد ، حيث تسمح للفرد بسماع الأصوات والكلمات ،التي ينطق بها الآخرون من حوله فيشرع في محاكاتها وتقليدها مما يساعده بالتالي ،على تعلم تلك اللغة السائدة في جماعته فضلا عن تلك اللهجة التي تميز هذه الجماعة أو تلك ، فيتمكن على إثر ذلك من التواصل والتفاعل معهم، إذ ينقل أفكاره إليهم ويستمتع إلى أفكارهم وآرائهم، وهو الأمر الذي يسهم بدور فاعل في تطور سلوكه الاجتماعي، وذلك بالشكل الذي يسمح له بالتوافق معهم كما يساعده من جانب آخر في فهم البيئة المحيطة بما فيها ومن فيها □

فقدان حاسة السمع لدى الإنسان أو ضعفها يؤدي إلى فقدان القدرة على النطق والكلام الذي يعتبر وسيلة أساسية للتواصل والاتصال بين الأفراد، كما أنه وسيلة للتفكير ويعد بمثابة سلوك لتشكيل الاصوات وترتيبها لفظيا، إن الصمم وضعاف السمع يواجهون مشكلات عميقة ومعقدة ويرى الباحثون، إن إشكالية الصمم تعتبر سوء حظ للفرد المصاب بها ؛ لأن هذا الإنسان يفقد الأساس للتواصل والاتصال وهو الصوت الذي يجلب اللغة التي تجعله يتواصل مع محيطه وأقرانه فيه.

ويمثل التواصل خطا متصلا يربطنا بالأشخاص وبيئتنا ،وتعرضنا لأشكال التواصل المختلفة وتفاعلنا معها ، مثل اللغة المنطوقة والكتابة وغيرها مما يدعم نمونا الشخصي ، وتكمن أساسيات التواصل في اللغة بالنسبة لمعظم أعضاء جماعة السامعين، يحدث النمو اللغوي الطبيعي طبيعيا وذلك لأن الأطفال ؛

¹ دانييل و جامس ، سيكولوجية الاطفال غير العاديين وتعليمهم مقدمة في التربية الخاصة ، ترجمة : عادل عبدالله ، دار الفكر، عمان ، طبعة 1، (2008 م)، ص: 532 بتصرف

من خلال محاكاة وتقليد لغتهم الأم، يكتسبون اللغة وبدون تعليم مباشر لكن ذلك لا يحدث مع اللذين تعرضوا للصمم قبل تعلم اللغة ، فنسبة (90 %) من الاطفال الصم الذين يولدون لآباء وأمهات سامعين يجدون أنفسهم في عالم مليء بالعوائق ، أمام اللغة المنطوقة المستخدمة في البيت ، ويحاول آباء وأمهات هؤلاء الأطفال الصم أو ضعاف السمع أقصى جهدهم لتحديد أفضل طرق التواصل مع أطفالهم الصم . □

من أكثر الاستراتيجيات المستخدمة في التواصل مع الصم وضعاف السمع على المستوى المحلي والعالمي مما اشارت إليه الادبيات والدراسات والبحوث العلمية ^٢ :

أولاً : التواصل اللفظي (Oral communication) :

¹ نانسي أتشيتز، تعليم الصم في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : طارق الرئيس ، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط1 (2015)

² أنظر الدراسات والبحوث العلمية التي اشارت للطرق التواصل لذوي الاعاقة السمعية الآتية :
(أ) القريطي عبد المطلب أمين ، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 (2011) ص:351

(ب) نانسي أتشيتز، تعليم الصم في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : طارق الرئيس ، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط1 (2015)

(ج) ميرفت محمود ، التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع ، دار الفكر ، عمان ، طبعة 1 (2013) ، ص:75

(د) الزهيري ابراهيم عباس ، فلسفة تربية ذوي الحاجات الخاصة ونظم تعليمهم ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 (2003) ص:161

(هـ) عبد الحي محمد فتحي ، الاعاقة السمعية وبرنامج إعادة التأهيل ، دار الكتاب ، العين ، ط1 (2001) ص:271

(و) سيد سليمان عبد الرحمن ، الاعاقة السمعية دليل الاباء والأمهات ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 (2003) ص:142

(ز) التركي يوسف سلطان ، تربية وتعليم الصم وضعاف السمع ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط1 (2005) ص: 15 - 19 .

(ح) Easterbrooks , S .R. & Estes ,E (2007): "Helping deaf and Hard of Hearing students to use spoken language "California Corwin Press.

هذه الاستراتيجية أو الطريقة اللفظية (الشفهي) الأقدم في تعليم الصم ، وهي تعتمد على قراءة الشفاه واستخدام ما تبقى من سمعهم (من خلال التكبير للصوت بالمعينات أو التدريب السمعي) تستند هذه الطريقة إلى مسلمة رئيسية ، وهي إكساب الأطفال الصم وضعاف السمع القدرة على تعلم اللغة المنطوقة ، بشكل معبر وهادف، والعمل على تطوير هذه القدرة من خلال البيئة المحيطة بالطفل أما في البيت أو المدرسة ، وذلك بهدف تمكين هؤلاء الأطفال من العيش كأفراد مستقلين وكمواطنين مساهمين ومشاركين في مجتمعهم، ويمكن القول إن قراءة الكلام مكمل مهم لبقايا السمع ولكنها ليست بديلة عن السمع؛ فكلما زادت درجة فقدان السمع كلما زادت حاجة الأفراد ذوي الإعاقة السمعية إلى الاعتماد على حاسة البصر.

وبشكل عام يمكن تمييز ثلاث طرق، تستخدم الآن في التدريب على قراءة الشفاه وهي :

1 - طريقة يتم التركيز فيها على أجزاء الكلمة، حيث يتعلم الطفل نطق الحروف الساكنة والحروف المتحركة ، ثم يتعلم نطق مجموعة من الحروف المتحركة ، ثم نطق هذه الحروف مع بعض الحروف الساكنة وهكذا ... وتعرف هذه الطريقة بطريقة الصوتيات [□] .

2 - طريقة تهتم بالوحدة الكلية ، التي ربما تكون قصة قصيرة حتى وأن لم يفهم منها الطفل ذو الإعاقة السمعية سوى جزء صغير وهي عكس الطريقة السابقة.

3 - طريقة تقوم على إبراز الأصوات المرئية أولاً ، ثم الأصوات المدغمة بعد ذلك .

وتعتبر قراءة الشفاه من الطرق الهامة ، التي تساعد الأطفال ضعاف السمع على زيادة اتصالاتهم بالأطفال العاديين ، وبالتالي مشاركة حياتهم الاجتماعية وكثير من الدول تعتمد على التواصل اللفظي (Oral

¹ القريطي عبد المطلب أمين، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 (2011) ص: 354 - 353 (مرجع سابق)

communication) عن طريقة قراءة الشفاه، لتعليم الصم مثل مدرسة لفنجستون (Lfbngston) للصم الأمريكية وذلك لما تتميز به طريقة التواصل اللفظي، من إتاحة الفرصة للأطفال ذوي الإعاقة السمعية، لتوسيع قاعدة اتصالاتهم بأفراد المجتمع، حيث أثبتت نتائج دراسة مجموعة من خريجي البرامج السمعية الشفوية، في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، أن غالبية الأفراد ذوي الإعاقة السمعية ؛ الذين تعلموا باستخدام طريقة التواصل اللفظي، استجابوا للتعليم النظامي، وأقبلوا على المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، وحققوا مستوى متساوي في بعض الأحيان مع نظرائهم السامعين، في تعلم المهارات السمعية الشفوية □.

كما أكد جولد برج (Goldberg) على أهمية استخدام أساليب التواصل اللفظي في تعليم الأطفال ذوي الإعاقة السمعية، حيث يستطيع الآباء والأمهات، تشكيل استراتيجيات الاتصال المناسبة مع أطفالهم في كافة نواحي الحياة، اليومية وذلك لأن غالبية الآباء والأمهات للأطفال ذوي الإعاقة السمعية، هم من ذوي السمع الطبيعي *.

وهناك بعض الصعوبات التي تواجه التواصل بهذه الطريقة:

أ - صعوبات متعلقة بالمتكلم : وتشمل سرعة أو بطء حركات الشفاه والفك، وعدم استخدام

المتكلم لتعبيرات الوجه، ولغة الجسد المصاحبة لعملية الكلام .

ب - صعوبات متعلقة بالبيئة المحيطة : وتشمل عدم ملائمة الإضاءة، ووجود بعض الضوضاء ومشتتات الانتباه الأخرى .

ج - صعوبات متعلقة بقارئ الكلام : وتشمل وجود بعض المشكلات البصرية، لدى القارئ للشفاه مما يشكل صعوبة لديه في قراءة الكلام ؛ أو عدم التركيز مع المتكلم، أو عدم ميل لموضوع المحادثة .

¹ محمود علي ميرفت، التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع، دار الفكر، عمان، طبعة 1 (2013)، ص: 59

² Goldberg, D.(1997): Educating children who are deaf or hard hearing, available on: www.skirc.org, Eric - No:ED414680

هـ - صعوبات في طريقة التواصل عن طريق الشفاه : ويرجع ذلك لطبيعة الكلمات أو النطق بها لوجود عدد من مخارج الحروف لا يتم رؤيتها بشكل كامل ، فضلا على معدل النطق السريع ووجود بعض الكلمات تتشابه في حركة الشفاه ، والتي ينبغي تمييزها من خلال سياق الكلام¹.

ثانياً: التواصل اليدوي (Manual communication) :

تعد هذه الاستراتيجية ملائمة للأطفال الصم وضعاف السمع ، ممن لا يمكنهم سماع ما يدور حولهم وفهمه، حتى باستخدام المعينات السمعية ، وتهدف مباشرة إلى إكسابهم المهارات التواصلية عن طريق الإبصار ، وذلك من خلال الإشارات والحركات اليدوية الوصفية، كبديل عن اللغة اللفظية ، التي يرى البعض أن استخدامها مع الصم مضیعة للوقت والجهد².

تعتمد استراتيجية التواصل اليدوي على استخدام الرموز اليدوية لإيصال المعلومات للآخرين والتعبير عن المفاهيم والأفكار والكلمات ومن أهم أنواع التواصل اليدوي :

1 - لغة الإشارة (Sign Language)³ :

هي نظام تعتمد على التواصل البصري ، و استخدام الرموز اليدوية المرئية نأو الحركات المشكلة أو المصورة ، التي تستخدم فيها حركات الأيدي، وتعبيرات الوجه والأذرع والأكتاف لوصف الكلمات والمفاهيم والأفكار ، والأحداث التي يستجيب لها الفرد، او يرغب في التعبير عنها .
تشارك لغة الإشارة مع العديد من اللغات الإنسانية المنطوقة الأخرى ، في العديد من السمات والخصائص من أهمها :

¹ العزة سعيد حسني ، المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، دار الجامعة الأردنية ، عمان ، طبعة 1 (2002) ، ص: 128 .

² القريطي عبد المطلب أمين ، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، ص: 355 (مرجع سابق) .

³ محمود علي ميرفت ، التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع ، (مرجع سابق) ، ص: 61

أ - التبادلية :

ويقصد بها إمكانية تبادل الأدوار بين كل من المرسل والمستقبل، فلكي يكون هناك حضور للغة لابد من وجود المتحدث (المرسل)، وأينما وجد المتحدث (المرسل)، وجد المستمع (المستقبل)

ولغة الإشارة مثلها مثل أي لغة، يقوم المتحدث بالتعبير عن حديثه، باستخدام الإشارات الدالة على المعنى المقصود، ببناء اشاري ليس لفظي، ولكن يختلف دور المستقبل من الاستماع إلى الانتباه البصري ليعي المعنى المقصود .

ب - إمكانية التعلم :

حيث يمكن لأي إنسان أن يتعلمها، إذا أتيحت له الظروف والإمكانات المناسبة، وتعرف على مجموعة الحركات والقواعد، التي تشكل قاموسا يمكن التدرب عليه، وتعلمه كباقي اللغات .

ج - المرونة :

يمكن إيجاد في اللغة المنطوقة مترادفات كثيرة للكلمة الواحدة تعبر عن مدلولها تبعا لسياق الذي ذكرت فيه، وكذلك عند استخدام لغة الإشارة، حيث يمكن استخدام العديد من الإشارات للتعبير عن معنى محدد .

أهمية لغة الإشارة للصم وضعاف السمع :

تعتبر لغة الإشارة هي اللغة الأساسية للأطفال الصم وضعاف السمع، حيث يتم اعتماد المؤسسات التعليمية على استخدامها، في تعليم هؤلاء الأطفال، واعتبارها اللغة الأولى لهم واعتبار اللغة الخاصة بالبلد الأم، هي اللغة الثانية. وقد أكدت عديد من الدراسات والبحوث الأمريكية¹، على أهمية استخدام لغة الإشارة في تعليم الأطفال الصم، لما فيها من آثار إيجابية على

¹ انظر الدراسات والبحوث الأمريكية الاتية :

(أ) Easterbrooks ,S .R.& Stephenson ,B.H. (2006): "An Examination of twenty Literacy ,Science ,and Mathematics Practices used to Educate student Who are Deaf and Hard of Hearing" American Annals of deaf, V(151) ,N (4) , PP(385 -397) .

(ب) Donne ,V.J. (2008):"An Observational Study of Reading Instruction for students Who are deaf OR Hard of Hearing in

فاعلية الاتصال ،وتحسين اللغة وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي ، كما أوصت بأهمية تعليم لغة الإشارة لأهالي الصم وأفراد المجتمع المحيطين بهم ؛ لأن ذلك يخرج الأطفال الصم من عزلتهم ، ويزيدهم ثقة في النفس ، واحتراما لذواتهم ، كما يجعلهم أكثر قدرة على التواصل مع الآخرين، سواء مع أقرانهم من الصم أو السامعين العاديين .

2 - هجاء الأصابع (Finger Spelling) :

وتقوم هذه الطريقة على التهجى ،عن طريق تحريك أصابع اليدين، في الهواء وفقا لحركات منظمّة وأوضاع معينة، تمثل الحروف الأبجدية .

وتعتبر مكملا لنظام الاتصال عند الصم ، حيث تستخدم كطريقة مساندة للغة الإشارة ، ومن النادر استخدامها بمعزل عنها، ويمكن استخدامها في تقديم بعض المصطلحات والمفاهيم الجديدة والأسماء التي لا توجد لها إشارة متعارف عليها ، من قبل مجتمع الصم وضعاف السمع¹ .

وتساعد هذه الطريقة ، الصم في تطوير تعبيرهم وتحسين مهاراتهم التواصلية ، حتى يصلوا إلى مرحلة إتقان اللغة ،وهذا بدوره يعزز ويقوي عملية القراءة والكتابة ، وله دور في نقل المعرفة الأكاديمية إلى الصم ، وتحسن ثقافتهم ورفع مستوى المخزون اللغوي لديهم .

ثالثا : التواصل الكلي (Total communication) :

استخدمت هذه الطريقة في أواخر الستينات ، في الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة أحد معلمي الصم روي هولكومب (Roy k.Holcomb) ،وهو أب لطفلين صم ، وتتضمن هذه الطريقة استخدام كافة طرق التواصل (لغة الاشارة ،و هجاء الأصابع وقراءة الشفاه ، وغيرها)وذلك بهدف تحقيق تواصل

Public Schools ". Communication Disorders Quarterly, V (29),N (4), PP(79-87)

Luckner,J. L. & Muir,S. (2002):"Suggestions Helping students (→ Communication Disorders in General Education Setting"" Quarterly, V (24),N (1), PP(23-30)

¹ العزة سعيد حسني ،المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، مرجع سابق، ص: 130 بالتصرف .

أفضل مع الصم وضعاف السمع ، بحيث يساعد ذلك في تنمية وتطوير قدراتهم على التواصل والتعليم ، في ضوء إمكاناتهم واستعداداتهم الخاصة¹ وقد أثبتت دراسات وبحوث عديدة ، فاعلية استخدام التواصل الكلي في تعليم الصم وضعاف السمع ، وكذلك في تنمية مخزونهم اللغوي، حيث أن طريقة التواصل الكلي، تجمع بين مميزات كل طرق التواصل السابق الإشارة إليها، إضافة إلى أنها تساعد المعلمين، في مواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ الصم وضعاف السمع ، في ضوء درجة الفقدان السمعي ، وزمن حدوثه وكذلك اختلاف الظروف البيئية ، والأسرية لكل تلميذ².

تتميز استراتيجية التواصل الكلي أيضا بما يلي :

- 1 - لها تأثيرات إيجابية على عمليات النمو المختلفة وتحسين مهارات الاتصال والتواصل .
- 2 - تستخدم في تسهيل عملية التواصل اللفظي توفير بديل عملي للكلام .
- 3 - تلبي احتياجات كل طفل على حده وتعمل على تنمية ما لديه من قدرات لغوية حسب ما يملك من طرق مختلفة يستطيع التحدث بها .

رابعاً : التواصل ثنائي اللغة (Bilingual communication) :

¹ محمود علي ميرفت ،التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع ،(مرجع سابق) ، ص:74.

² انظر الدراسات والبحوث الآتية :

- أ Luckner, J. L. & Muir ,S. (2002):"Suggestions Helping students in Communication Disorders General Education Setting" Quarterly, V (24),N (1), PP(23-30)
- ب Luckner, J. L. (2006):"Evidence – Based Practices with Student Communication Disorders Who are Deaf" Quarterly, V (28),N (1), PP(49-30)
- ج Ahearn, E.M (2008):"Special Education in New National Communication Disorders Educational Data System " Quarterly, V (24),N (1), PP(23-30)
- د Mclaughling , H., Hunt, R.& Young ,A.(2007):"Action of Research with Social workers and Deaf and Hard of Hearing Service users to Achieve Best Practice ". Journal of Social work, V (3) , N (3) ,PP(288 – 306)

تتضمن هذه الاستراتيجية التركيز على لغتين (اللغة الأولى في البلد الأم ، ولغة الإشارة) وثقافتين (ثقافة مجتمع السامعين ، وثقافة مجتمع الصم) ، ويتضمن تدريس اللغة العربية على سبيل المثال ، وثقافة مجتمع السامعين وفي المرحلة الثانية من العمر ، وقد استخدمت هذه الطريقة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، والدنمارك ، والسويد ، وفرنسا ، وأثبتت فاعليتها واستفادة الصم وضعاف السمع منها في تطوير مهارات القراءة والكتابة لديهم ، وتطوير مهاراتهم الوظيفية، في اللغتين وتحقيق تحصيل أكاديمي أفضل ، مما يزيد ثقة الصم في أنفسهم ويجعلهم أكثر احتراماً لذواتهم، وثقة في قدرتهم على التفاعل مع الآخرين .[□]

فالفردي ثنائي الثقافة يستطيع الانتقال بحرية بين ثقافتين مختلفتين ، كما يستطيع أيضا فهم العادات والتقاليد والأعراف وممارستها، بالإضافة إلى القدرة على تكيفها بالشكل المناسب وكما أن الفردي ثنائي اللغة ، لديه القدرة على استخدام لغتين بنجاح ، فالأفراد الصم وضعاف السمع يمكن أن يكونوا ثنائيي اللغة والثقافة ، إذا كانت لديهم القدرة على التواصل بكلتا اللغتين لغة الإشارة للصم واللغة العربية ، بالإضافة إلى قدرتهم الوظيفية على التعامل مع ثقافتين مجتمع الصم ومجتمع السامعين .

ويرى أصحاب هذه الاستراتيجية أن الصم متعلمون بصريون حيث يعتمدون على حاسة البصر في تعليمهم وفي التواصل مع بعضهم البعض ، وكذلك في تواصلهم مع السامعين من أفراد مجتمعهم . كما أنها تناسب كل درجات فقدان السمع ومن ثم يستطيع أن يستفيد منه كل الأطفال الصم وضعاف السمع^٢ .

¹ ميرفت محمود ،التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع ،(مرجع سابق) ، ص:69

² نفسه

الخاتمة :

تتباين الفلسفات التي تبني عليها استراتيجيات للتواصل وطرقه ، كما يعتمد استخدامها على درجة فقدان السمع ، ومن ثم الحاسة التي يتم استخدامها بدرجة أكبر في تعلم المهارة التواصلية¹.

ومن هذه الطرق ما يقوم على أقصى استغلال ممكن لما قد يتوفر لدى الافراد ذوي الاعاقة السمعية من بقايا سمعية يمكن استخدامها في تحسين قدرته اللغوية والكلامية وتنميتها ومنها ما يبنى على توظيف حاسة اللمس لدى ذوي الاعاقة السمعية في الاحساس بالذبذبات الصادرة عن الأصوات المختلفة لتعليمهم اصدار الاصوات أو النطق وايضا هناك طرق تستخدم الحاسة البصرية في تعليم المهارات التواصلية ، على اساس ما يلعبه البصر من دور بارز في عمليات

الاستقبال لما هو قائم في العالم الخارجي من أوضاع وإيماءات وحركات واشارات وتعبيرات شكلية بصرية يمكن تدريب الاصم على ترجمتها إلى معان وأفكار معينة .ومن الطرق ما يقوم على المزج والتكامل بين جميع الطرق ويعمل على توظيف كل المقدرات والامكانيات الحسية لدى ذوي الاعاقة السمعية في التدريب الكلامي وتعلم اللغة ، على أساس أنه كلما زاد عدد الحواس التي يتم استغلالها في عملية التعليم ، وتعددت المدركات الحسية التي يبنى عليها التعلم ، وعوامل الربط بينهما ، أمكن استيعاب الصوت وأدراكه وإنتاجه بشكل أفضل ، وساعد على تثبيت ما يتعلمه الطفل من مهارات تواصلية.

¹ عبد المطلب أمين القريطي، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 (2011) ص: (351 - 352)

قائمة المراجع :

أولا : المراجع العربية:

- (1) التركي يوسف سلطان ، تربية وتعليم الصم وضعاف السمع ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط1 (2005) .
- (2) سليمان عبد الرحمن سيد ، الاعاقة السمعية دليل الالباء والأمهات ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 (2003) .
- (3) عبد الحي محمد فتحي ، الاعاقة السمعية وبرنامج إعادة التأهيل ، دار الكتاب ، العين ، ط1 (2001)
- (4) العزة سعيد حسني ، المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، دار الجامعة الأردنية ، عمان ، طبعة 1 (2002) .
- (5) القريطي عبد المطلب أمين ، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 (2011)
- (6) محمود علي ميرفت ، التوجهات المعاصرة في تعليم الصم وضعاف السمع ، دار الفكر ، عمان ، طبعة 1 (2013)
- (7) الزهيري ابراهيم عباس ، فلسفة تربية ذوي الحاجات الخاصة ونظم تعليمهم ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 (2003) .

ثانيا : المراجع المترجمة :

- (8) نانسي أتشيتز ، تعليم الصم في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة : طارق الرئيس ، دار جامعة الملك سعود للنشر ، ط1 (2015) .
- (9) دانييل و جامس ، سيكولوجية الاطفال غير العاديين وتعليمهم مقدمة في التربية الخاصة ، ترجمة : عادل عبدالله ، دار الفكر ، عمان ، طبعة 1 (2008) .

ثالثا : المراجع باللغة الإنجليزية :

- (10) Easterbrooks ,S .R.& Stephenson ,B.H. (2006):"An Examination of twenty Literacy ,Science ,and Mathematics Practices used to Educate student Who are Deaf and Hard of Hearing" American Annals of deaf, V(151) ,N (4) .
- (11) Donne ,V.J. (2008):"An Observational Study of Reading Instruction for students Who are deaf OR Hard of Hearing in Public Schools ". Communication Disorders Quarterly .
- (12) Luckner,J. L. & Muir,S. (2002):"Suggestions Helping students in General Education Setting"" Communication Disorders Quarterly, V
- (13) Easterbrooks ,S .R. & Estes ,E (2007):"Helping deaf and Hard of Hearing students to use spoken language" California Corwin Press .
- (14) Luckner, J. L. & Muir ,S. (2002):"Suggestions Helping students in General Education Setting"" Communication Disorders Quarterly ,

- (15) Luckner, J. L. (2006): "Evidence – Based Practices with Student Who are Deaf " Communication Disorders Quarterly.
- (16)Ahearn, E.M (2008): "Special Education in New National Educational Data System" Communication Disorders Quarterly , .
- (17) McLaughling , H., Hunt, R.& Young ,A.(2007): "Action of Research with Social workers and Deaf and Hard of Hearing Service users to Achieve Best Practice ". Journal of Social work .



اتجاهات الشباب الجامعي نحو المال من منظور سوسيولوجي

The Attitudes Of Youth Toward Money From Sociological Perspectives

أوشان جميلة

المجال العام للبحث: علم الاجتماع

المجال الدقيق للبحث: سوسيولوجيا المال

جامعة غرداية

Ouchen.djamila@univ-ghardaia.dz

Djamilah2009@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-25

تاريخ الاستلام: 2019-07-10

ملخص-

النقود هي ميلاد طبيعي جدا لتطور العمل وقوى الإنتاج والعلاقات التبادلية، فالنقود بدأت كقيمة وسيليه لتحقيق حاجات الإنسان التي بها قوام وجوده، فلا جدال أنّ علماء الاقتصاد وغيرهم من الباحثين والمفكرين ينظرون إلى النقود كمخزن للقيمة، فهي أداة ذات قوة شرائية تنسب إليها جميع القيم أو بتعبير الاقتصاديين هي مقياس كل القيم ووسيط للتبادل، غير أنّ الأشكال الحديثة للتبادل جعلت النقود بأشكالها المختلفة القيمة الوسيلى الأكثر تقديرا إلى الدرجة التي قد تتحوّل فيها بعيدا عن طبيعتها إلى قيمة غائية، لكن المال أيضا مؤسسة اجتماعية مهمة جدا نريد دراستها في هذا البحث من خلال تحليل اتجاهات الشباب نحو المال.

الكلمات المفتاحية-

سوسيولوجيا المال، الشباب، مقياس ليكرت، النقود، الاستهلاك، تابو، جورج

سيمل

Abstract-

Money Can Be Considered A Natural Birth Of Development Work; Production Forces And Interactive Relationship, Money Began As A Value And Means To Achieve The Human Needs Being, Economists And Other Researchers And Thinkers Agreed That Money Is A Repository Of Value, It Is A Tool With Purchasing Power Or According To The Expression Of Economists Money Is A Measure Of All Values And An Intermediary For Exchange. However, The Modern Forms Of Exchange Have Made Money In Its Various Forms Valuable To The Degree To Which It May Turn Away From Its Nature To The Goal.

But Money Is Also A Very Important Social Institution That We Want To Study In This Research By Analyzing The Attitudes Of Youth Towards Money.

Keywords-

Sociology Of Money, Youth, Likert Scale , Money, Consumption, Tabu, Georg Simmel

مقدمة

المعروف أن النقود معزوفة اقتصادية بامتياز حظيت باهتمام علم الاقتصاد بجميع تخصصاته ولم تحظ بانتباه علماء الاجتماع إلا قليلا وأهم وأشهر الدراسات عن المال نجد الكتاب الذي أصبح موروث كلاسيكي Philosophie de L'argent لعالم الاجتماع Georg Simmel و الكتاب المعاصر Sociologie de L'argent لـ Damien de Blic و Jeanne Lazarus ، وكتاب الأمريكية Viviana Zelizer بعنوان the social meaning of money الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 2005 تحت عنوان La signification sociale de l'argent وعالم الاجتماع والاقتصادي فرنسوا سيميون François Simiand بكتابه la Monnaie Réalite Sociale وبضعة مقالات لـ Marcel Drulhe ، François Cusin ، وغيرهم ليس كثير تتحدث عن مال الجيب L'argent de poche أو أخلاقية المال (المال النظيف والمال الوسخ)، أو العمل والمال، المال ومظاهر الاستهلاك...

ولم يحظ المال باهتمام الإجماعيين الجزائريين لذا جاءت هذه الدراسة تهدف لتستنطق اتجاهات الشباب الجزائري الجامعي نحو المال، فاتجاهات

الأفراد نحو المال لها تأثير على سلوكياتهم وممارساتهم ومن المهم جدا معرفة البوصلة التي توجه ممارسات شباب الجامعة نحو المال، فقد وجدت أحد الباحثين الأمريكيين بعد مقابلات مع اثني عشرة شخصية ذوي خلفيات علمية ومهنية مختلفة أن العوامل التي تؤثر على فقدان أخلاق العمل لها علاقة باتجاهات الأفراد حول النظرة المادية وسيطرة المال ووجود سياسات تتعارض مع المصلحة العامة (Strait.P, 1996, p41.50)، دراسة المال بعيدا عن الاقتصاد من منظور سوسيوولوجي لم يتم الاهتمام به وهذه الدراسة تفتح مجال البحث السوسيوولوجي للمال في المجتمع الجزائري.

دراستنا تسعى للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي اتجاهات الشباب الجامعي الغرداوي نحو المال؟
- هل توجد فروق دالة إحصائية بين اتجاهات الشباب الجامعي نحو المال تتعلق بالجنس، بنوع التخصص العام (علمي/بحث/ علوم إنسانية وأدبية)، بنوع التخصص حسب الكليات، بالمستوى الاقتصادي للأسرة؟

I / الجانب النظري المفاهيمي للدراسة:

المال والنقود (Monnaie.Argent)

أولا علينا أن نفرق بين المال والنقود، الباحثة الاقتصادية العربية الفرنسية (Pepita Oueld-Ahmed, 2008, p11.25) وضحت ذلك، فالمال Argent يستعمله علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون واستعمالهم للنقود يكون دائما كمرادف للمال، النقود Monnaie مصطلح يستعمله الإقتصاديون، والفرق لا يعود إلى اختلاف حقيقي بين المصطلحين وإنما إلى اختلاف مستويات التحليل عند الاقتصاديين والأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع، فعند علماء الاقتصاد النقود هي وحدات حساب ودفع محايدة قيميا لدفع الديون أو إبراء الذمة التجارية ترتبط بمعنى التدفق، والمال يشير إلى الوحدات النقدية التي يتم تخزينها فهي مخزون قيمة، أما عند علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع المال مخزون قيمة مادية لكنه أيضا مؤسسة ثقافية واجتماعية لذا يركزون على الممارسات المالية للأفراد والجماعات كعلاقات اجتماعية ثقافية مثل سلوك الاستهلاك، سلوك الادخار، سلوك الدين، الهبات، الاتجاهات تجاه المال

وسلوكات المال....، فالممارسة المالية عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا توضع في إطارها الاجتماعي الثقافي.

المال في علم الاجتماع

جورج زيمل Georg Simmel (1927, 2014) يرى أن النقود باعتبارها قيمة وسيله للحصول على الكثير من القيم فإن قيمتها ارتفعت أيضا كوسيلة غائية للدرجة التي تحولت فيها إلى قيمة في حد ذاتها، وهذا واضح من التعريف الحديث للنقود أنها ما تستطيع فعله Money is What Money Does، وما تستطيع فعله أنها قادرة على شراء جميع القيم المادية والفنية والخدماتية...، فالمال عند جورج زيمل Simmel قيمة وسيله مطلقة في عالم النشاط الاقتصادي، لكن نظرا لبعض خصائصه يمكن أن يتموضع في نهايتها، فالمال كوسيلة قد تتضخم إلى الحد الذي يصبح قيمة في حد ذاته وتتوقف السلسلة الغائية عنده عندما يتحول إلى رغبة في حد ذاته في صورة اكتناز أو ثروة، فالمال عند جورج زيمل Simmel في جوهره لا يحمل قيمة ذاتية غير أنه يستمد قيمته الكبيرة والمتزايدة من تعاليه على كل المنافع والخيرات بسبب وجوده في جميع السلاسل الغائية، إنه يستطيع شراء كل المنافع والخيرات لذا هو يساوي أكثر من مجموع المنافع والخيرات (p233.340)، فورقة مائتي دج مثلا تستطيع شراء الفاكهة، الخبز، الحليب، رصيد هاتف، خدمة...، في هذه الحالة ورقة مائتي دج تساوي أكثر من مائتي دج من المنافع والخيرات التي تسمح بشرائها، فعلى الرغم من أن المال لم يستعمل يوما لذاته غير أن وجوده كوسيط بيننا وبين حياتنا حوّل تلك المرتبة العالية، فالأشياء تستمد قيمتها من مضمونها في حين المال يستمد مضمونه من الأشياء ذات القيمة.

والمال عند جورج زيمل Simmel ليس مقياس الأشياء فقط كما يقول الاقتصاديون ولكنه قد يصبح مقياس الأشخاص أيضا، فالمال في المجتمعات الحديثة استطاع أن يمتلك سلطة وقوة كبيرتين لأنه أصبح موجود ضمن جميع الخيرات حتى تلك التي نعتبرها قيما جوهرية كالعلاقات الاجتماعية والقيم الشخصية، فالمال أيضا مؤسسة اجتماعية معقدة (p445.498)، فالمال

منتوج ثقافي يدخل في علاقات الملكية، الهبة، الزواج، المساعدات الاجتماعية، أسلوب الحياة، تمايز الطبقات...

أما عند تالكوت بارسونز Talcott Parsons (محمد عبد الكريم الحوراني، 2008، ص.ص 226.225)، فهناك أربع وسائط رمزية تعيش في علاقة تبادلية فيما بينها، المال وسيط إقتصادي فهو الوسيلة المسيطرة على مدخلات ومخرجات عملية الإنتاج، والقوة وسيط سياسي، والتأثير وسيط اجتماعي، والالتزام الأخلاقي وسيط ائتماني، والمال يقوم بثلاث وظائف فهو وسيط للتبادل، ومقياس تجميع البضائع والخدمات، وخازن للقيمة إذ هو قادر على الإفاء بالدين والوعد، ويملك القوة الشرائية في أي وقت، المال عند بارسونز يقع ضمن الاجتماعي فالتبادل ليس ظاهرة اقتصادية خالصة فهو يخضع للثقافة ومعايير الشرعية وأنماط الأفعال المتوقعة المتمثلة ثقافيا، فالمال كوسيلة تواصل رمزية عامة يمكنه أن يشتري ما يشاء من أي كان متى شاء ضمن شروط يمكن قبولها أو رفضها.

كارل ماركس (1985، ص 189.195) يستخدم مفهوم النقود كتجلي لقيمة الأشياء فهي مقياس عام للقيم متميزة عن تجسدها الواقعي المدرك، مهمتها الأساسية هي التداول كوسيط تبادل فإذا تحولت إلى غاية في ذاتها تحولت إلى كنز وخرجت من التداول، وما دامت هي مقياس جميع القيم فهي إذن الشكل الاجتماعي المطلق للثروة، النقود تمحي جميع الفوارق الكيفية بين البضائع فكلها قابلة للتبادل النقدي، لكنها عندما تصبح ملكية خاصة (ثروة) تصنع الكثير من الفوارق الاجتماعية بين الناس، لقد انحلت في النقود الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات، فالنقود تملك خاصيتين متناقضتين فهي من جهة وسيلة شراء ذات قوة كمية محدودة، وفي نفس الوقت يمكنها من الناحية الكيفية شراء أي شيء لأنها مقياس جميع الأشياء، هي من هذه الناحية ذات قوة غير محدودة وهذا ما يجعلها موضوع رغبة باستمرار.

عالم الاجتماع الفرنسي آلدو هايسلر Aldo.j. Haesler (، 34.33 p 1995) يرى أن المال ذو وجهين، وجه اقتصادي بالمعنى الضيق للكلمة، ووجه نفسي اجتماعي - انفعالي - عاطفي - استحواذي، أهمية المال هاته واستحواذه

على الحياة العامة لا يعودان إلى خاصية ذاتية في المال وإنما إلى الديناميكية التي يتصف بها بفضل توسعه الكمّي والنوعي، وخلقه قيم جديدة باستمرار كمبدأ محدد لجميع أنواع الحركة النقدية ومع النقود الإلكترونية وصلت الحركة أقصاها، فالمال أصبح ضمن جميع مجالات الحياة اليومية، ضمن المعنويات، ضمن العلاقات، ضمن المؤسسات الاجتماعية، فالمال في مجتمعات ما بعد الحداثة لم يعد فقط قيمة تبادلية إنه قادر على صنع المعنويات سلبا وإيجابا، يصنع القوة والسلطة، وكثير من الباحثين يربطون بين المال وأسلوب الحياة، وينبّهنا هايسلر إلى أنّ المجتمعات ما بعد الحداثة لم تعد كما يعتقد البعض تتعامل مع إقتصاد السوق فالسوق لم يعد محور الاقتصاد، لقد أصبحنا نعيش إقتصاد نقدي بامتياز حيث التوسع النقدي أصبح غير محدود وهدفا في حد ذاته.

François Charles Simiand عالم اجتماع ومؤرخ واقتصادي

فرنسي، في مقال له بعنوان النقود حقيقة اجتماعية (Damien De Blic & Jeanne Lazarus, 2007, p23) يرى أنّ الخصائص الرمزية للنقود هي التي تعطيها كل تلك الأهمية وليس الخصائص المادية، فالنقود واقع اجتماعي حامل لرموز واستعمالات لا يمكن فهمها أبدا خارج ثقافة المجتمع.

نفس الرؤية نجدها عند عالمة الاجتماع الاقتصادي الأمريكية Viviana Zelizer في كتابها La signification sociale de l'argent (2005) المال يخضع لمجال المكان والزمان والعلاقات الاجتماعية والثقافية، غير أنّها ترى وفق الثقافة الأمريكية أنّ المال لا أخلاق له فهو دون راحة إذ لا يعتد بأصل المال عند الإستعمال ، لقد أصبح للمال قدرة على تجميع غير محدود من الخيرات والنافع، فقد أصبح أساس تسليع اجتماعي لا مفرّ منه إذ بإمكانه تحويل قيم غير مادية إلى قيم مادية والعكس صحيح ، فالمال ليس محايدا ثقافيا ولا اجتماعيا فهو موجود كأداة عقلانية داخل عالم الاقتصاد، وموجود أيضا داخل العلاقات الاجتماعية يتأثر ببنى المجتمع، فالإعتراف الاجتماعي مثلا أصبح يمرّ عبر النقود، التمايز الاجتماعي له مظاهر استهلاكية معينة مرتبطة بالنقود، النجاح الاجتماعي هو الآخر أخذ أبعادا نقدية واضحة.

Aux Origines أنثروبولوجي فرنسي في كتابه Alain Testart De La Monnaie (De Blic & Lazarus, p37) بين أن المال في المجتمعات التقليدية مجتمعات اقتصاد المقايضة كان وسيلة دفع وليس تبادل، فالناس كانوا ينتجون احتياجاتهم الأساسية ويقايضون الزائد عن الحاجة بحاجات أخرى تنقصهم، أما المال كوسيلة دفع فهي موجهة لحالات اجتماعية بحتة كدفع دية القتل، أو مهر العروس...، والمال هنا يختلف باختلاف المجتمعات فالبعض استعملوا أموال غير استعمالية كالقواقع البحرية، والبعض استعملوا أموال استعمالية كالغنم والإبل.

أما ماكس فيبر Max Weber في حديثه عن المال يعطي أهمية أكثر للتنشئة الاجتماعية فهو يخلص إلى القول أن اختيار السلوك المالي هو نتيجة أخلاق وقيم خاصة بالفرد تلقاها وتعلمها خلال مسار حياته (دت، ص 28.27)، فالخاصية الرهيبة للمال باعتباره مقياس جميع القيم جعلته يقفز على قيمته التبادلية إلى الحد الذي تداخلت فيه الغاية والوسيلة وأصبحتا تتحركان معا بشكل غير قابل للفصل، لكن هذه الحركة لا تعني أنها منفصلة عن منظومة قيم الفرد التي يحملها، فقد تكون الحركة الأكثر نشاطا للوسيلة أو قد تكون للغاية وفق التوجهات القيمية للأفراد التي يتعلمها من خلال التنشئة.

الشباب (la Jeunesse):

إلى غاية سنة 1950 لم يكن مفهوم الشباب موجودا في ساحة المفاهيم كشريحة عمرية اجتماعية، لم يظهر إلا ابتداء من سنة 1968 إثر الاحتجاجات التي قام بها الطلاب سواء في فرنسا ضد النظام التعليمي التقليدي، أو في أمريكا ضد التجنيد القسري للحرب في الفتنام، أو في المعسكر الشرقي ضد الأنظمة الشمولية، على المستوى الجسدي البيولوجي المحض الأمور تبدو أسهل في تمييز معابر البلوغ للذكر والأنثى بظهور بعض الأعراض المرفولوجية الهرمونية أو معابر الشيخوخة كالشيب والتجاعيد وموت الخلايا، لكن بعيدا عن قضايا الجسد يصبح الأمر في غاية الصعوبة يتوقف على معطيات ثقافية اجتماعية وحتى نفسية، لكن من المؤكد أن الحياة البشرية مسجلة في حركة خالدة

للجسد في هذه الحياة الأرضية ضعف -قوة- ضعف، والشباب يسجل وجوده على عرش القوة .

بالنسبة لبوردديو **Pierre Bourdieu** الشباب ليس سوى كلمة، التقسيمات العمرية اعتباطية والحدود بين الشباب والشيخوخة صناعة صراع على السلطة، فالعمر معنى بيولوجي متلاعب به اجتماعيا (2012، 232.229)، أي أنه قضية إيدولوجية خالصة، فالشباب يُعتبر معبر عتبة ديموغرافية بين الطفولة والرشد وليس حالة ذات خصائص اجتماعية متميزة عن بقية شرائح المجتمع.

عند بعض علماء الاجتماع العمر ليس فقط توصيف لوضع سوسيو ديمغرافي فلكل مرحلة عمرية هوية مختلفة للشخص، هذه الهوية العمرية تعتبر القاعدة التي تتشكل حولها اتجاهات وآراء الأفراد، إدراك الذات والحاجات النفسية، تصورات الدور داخل المجتمع وتصورات الحياة ككل (Anna Stellingma, p18).

عالم الاجتماع الفرنسي أوليفي غالو **Olivier** (2009, p116) **Galland** يعتبر الرؤية السالفة الذكر قديمة تعود إلى ستينيات القرن الماضي تاركة المجال للقضايا التربوية والاقتصادية، فالشباب يشكلون بالمعنى المجازي "نقابة" لفئة عمرية تدافع عن الحق في منافع تعليمية والحق في العمل فهو يرى أنّ الشباب كمرحلة عمرية هي نتاج اجتماعي مؤسساتي، يعتبر مرحلة عبور نحو عتبات اجتماعية كنهاية الدراسة، بداية النشاط المهني، الزواج ... وفي هذه المرحلة يتعلم الشباب الأدوار الاجتماعية الخاصة بتلك العتبات الجديدة.

الاتجاهات (les Attitudes)

الاتجاهات مفهوم نمت في حوض علم النفس الاجتماعي وأخذ عدة تعريفات فاقت الثلاثين (Moscovici Serge, 1984, p136)، وأول من استخدمه من علماء الاجتماع كان هاربرت سبنسر سنة 1862 في كتابه المبادئ الأولى (لويس كامل مليكة، 1970، ص67) حيث يُعزى سبنسر أحكام الناس في المواقف المختلفة إلى اختلاف اتجاهاتهم الذهنية، فالاتجاهات ذات أصل اجتماعي حتى لدى النفسانيين فهي تتموضع داخل ما هو اجتماعي مادامت

نتاج العالم الخارجي للأفراد (Thomas Raymond & Daniel Alaphilippe, 1993, p55) تتشكل من خلال التواصل مع الآخر كعلاقات اجتماعية سواء كان الآخر أسرة أو مدرسة أو جماعة الرفاق....، والاتجاه كما عرفه "روكيش" هو تنظيم مكتسب من المعتقدات التي يتبناها الأفراد نحو موقف أو موضوع ما تجعلهم يستجيبون وفقها حسب مبدأ التفضيل وهي تتصف بالاستمرار النسبي (Milton Rokeach 1968, p13.33)، ما نلاحظه من التعريف هو أن الاتجاهات هي معتقدات توجه تفضيلات الأفراد لا يتصف بالثبات المطلق.

II / منهجية الدراسة:

II/1 المقاييس والاختبارات الإحصائية المستخدمة

استخدمت الباحثة مقياس ليكرت الثلاثي، موافق (3 درجات)، محايد (2 درجات)، غير موافق (درجة واحدة)، والمقياس هو عبارة عن مجموعة من الفقرات بعضها ذات اتجاه إيجابي والبعض الآخر ذات اتجاه سلبي، شرط أن يتم عكس الدرجات في الفقرات السلبية الاتجاه، أي موافق (درجة واحدة)، محايد (2 درجات)، غير موافق (3 درجات)، على أن تُعرض الفقرات للمبحوثين بشكل عشوائي، مقياس ليكرت سهل من حيث التطبيق والبعض يعتقد أنه سهل من حيث التحليل غير أن هذا قول ينطبق على من يكتفي بالعرض السطحي للنتائج من خلال الدرجات فقط وهذا ما لم تتبعه الباحثة إذ استخدمت مجموعة من الاختبارات الإحصائية هي:

- إختبار مربع كاي للاستقلالية بين المتغيرات الشخصية التالية: الجنس، التخصص، المستوى الاقتصادي للأسرة، إذا كانت قيمة احتمال المعنوية ما يطلق عليها sig أو p-value أقل من أو تساوي 0.05 (فقد اخترنا مستوى خطأ 5%) نرفض الفرض الصفري H_0 ونقبل الفرض البديل H_1 أي توجد علاقة بين المتغيرين والعكس صحيح

- حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بعد لمعرفة مستويات الموافقة وترتيبها ومدى تشتت أو تمركز إجابات المبحوثين.

- إختبار ألفا كرونباخ لقياس الثبات

- اختبار معامل ارتباط بيرسون لاستخراج صدق الاتصاق الداخلي للمقياس

- حساب معامل الارتباط بيرسون بين أبعاد الاستبانة لمعرفة العلاقة الارتباطية بين أبعاد المقياس

- اختبار **Independent t-test** للعينات المستقلة لمعرفة فرق المتوسطات بين الأبعاد على متغير الجنس (ثنائي التقسيم)، التخصص العام ثنائي التقسيم (علوم بحتة، علوم إنسانية وأدبية)، إذا كانت قيمة احتمال المعنوية Sig أقل من أو تساوي 0.05 نرفض الفرض الصفري H_0 ونقبل الفرض البديل H_1 أي توجد فروق دالة إحصائية والعكس صحيح.

- إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA لكل الأبعاد على المتغير متعددة التقسيم، المستوى الاقتصادي للأسرة والتخصص حسب الكليات، إذا كانت قيمة احتمال المعنوية Sig أقل من أو تساوي 0.05 نرفض الفرض الصفري H_0 ونقبل الفرض البديل H_1 أي توجد فروق دالة إحصائية والعكس صحيح، وفي حالة وجود فروقات دالة نقوم بإجراء اختبارات المقارنة البعدية POST-HOC لمعرفة لصالح من تتجه الفروقات، معتمدين على اختبار LSD لأقل فرق معنوي.

- الانحراف المعياري كاختبار مهم لمعرفة تشتت القيم أو تركزها، إذا كان أصغر من المتوسط كانت القيم أكثر تجانسا وتتركزا حول متوسطها والعكس صحيح.

- المتوسط المرجح كالتالي:

المتوسط المرجح	المستوى
من 1 إلى 1,66	غير موافق
من 1,67 إلى 2,33	محايد
من 2,34 إلى 3	موافق

2/II - المعاينة

1/2/II التعريف بمجتمع البحث:

عليّ أن أشير أولاً إلى أنني استعنت في هذه الدراسة بنفس مجتمع البحث الذي استخدمته في الدكتوراه إذ أردت أن أريح جسر العلاقة الذي ربطته مع الباحثين والأساتذة الذين ساعدوني لأجري بحث آخر لطالما أردت القيام به، فاستغللت فرصة ذلك التعاون الكبير لأحصل على المعطيات اللازمة.

مجتمع البحث يتمثل في 1473 طالب وطالبة من السنة الثالثة ليسانس للموسم الجامعي 2018 يتوزعون على ست كليات هي كلية العلوم والتكنولوجيا، كلية علوم الطبيعة والحياة وعلوم الأرض، كلية الآداب واللغات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة غرداية، 59.2% منهم إناث والباقي ذكور، مع العلم أنّ الجامعة تضمّ 12618 طالب من نفس السنة.

2/2/II حجم العينة

لتقدير حجم العينة من المجتمع الاحصائي استخدمنا معادلة كيرجسي ومورغان وهي الأكثر انتشاراً واستعمالاً في حال العينات الاحتمالية العشوائية بمختلف أنواعها، بلغ حجم العينة بعد تطبيق المعادلة 305 مفردة، أي 20.7% من مجموع مجتمع البحث، غير أنّ الاستمارات المرجعة والمقبولة بلغت 250

3/2/II طريقة اختيار العينة:

مجتمع البحث يتكون من 1473 مفردة موزعة على طبقتين، طبقة التخصصات العلمية البحثية وطبقة التخصصات الأدبية والإنسانية لأننا نريد أن نعرف الفروق حسب هاذين التخصصين العامين، وداخل هاتين الطبقتين نأخذ بعين الاعتبار أيضاً الكليات كطبقات مختلفة للمقارنة بين التخصصات المختلفة حسب الكلية، وأيضاً داخل كل هذا نأخذ بعين الاعتبار طبقة الإناث وطبقة الذكور لمعرفة الفروق حسب النوع، قمنا بالإختيار على أساس التوزيع المتناسب للطبقات الذي يقوم على مبدأ أن يكون نصيب كل طبقة متناسب مع حجم الطبقة في المجتمع الاحصائي لضمان تمثيل المجموعات السابقة الذكر في مجتمع البحث، وقد أخذنا بهذه الطريقة بسبب التباين في حجم الطبقات

داخل المجتمع الاحصائي، ويتم السحب من كل طبقة بشكل مستقل عن الطبقات الأخرى وبطريقة الاختيار العشوائي.

II/4/2 بناء وخصائص وتوزيع المقياس

أ/ بناء وخصائص المقياس

استعانت الباحثة بمقياس هنري بورو للتكيف الأكاديمي، مقياس أديان فرنهام لقياس الاتجاهات النفسية نحو المال سنة 1984، ومقياس هوس المال لنفس الباحث سنة 1996، مقياس أخلاق المال لـ تانغ وزملائه سنة 1995، لكنها استعانة ارشاد وليس اعتماد لاختلاف توجهات الموضوع.

وقد اختبرت الباحثة صدق المقياس بعرضه على مجموعة من المحكمين من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، ثم اختبرت ثباته بعرضته على 15 طالبة و13 طالب بطريقة عشوائية من مختلف التخصصات، مع إعادة الاختبار بعد أسبوعين، كان المقياس يضم 30 فقرة وبعد القيام باختبار الصدق والثبات تبين أن عبارتان من البعد الأول ذات ثبات منخفض تم حذفها وأربع عبارات من البعد الثاني، وعبارتان من البعد الثالث لم تلق اتفاق قبول لدى المحكمين، فأصبح المقياس في صورته النهائية يضم 22 فقرة

- البعد الأول يتكون من ثمان عبارات تقيس اتجاهات الطلبة نحو قيمة المال هل هو قيمة في حد ذاته، أم أنه وسيلة لتحقيق حاجات معينة، ويضم الفقرات السلبية 1،2،3،5،6 والفقرات الإيجابية 4،7،8، واعتبرنا الاتجاه نحو المال باعتباره قيمة في حد ذاته اتجاه سلبي باعتبار أن المال لا قيمة له في حد ذاته.

- البعد الثاني يتكون من ثمان عبارات تقيس اتجاهات الطلبة نحو مصدر المال هل يرتبط بالعمل والإنجاز، أم لا، يضم الفقرات السلبية 2،4،5،8 والفقرات الإيجابية 1،3،6،7، واعتبرنا الاتجاه نحو المال باعتباره ناتج عمل وإنجاز اتجاه إيجابي.

- البعد الثالث يتكون من ست عبارات تقيس اتجاهات الطلبة نحو مشروعية المال، أو بتعبير الغربيين هل للمال رائحة أم لا رائحة له بالنسبة للمبحوثين (اعتبرنا الميل نحو مشروعية المال هو الاتجاه الإيجابي في بلد مسلم يقر مفهوم الحلال والحرام)، ويضم الفقرات السلبية 2،4،5،6 والفقرات الإيجابية 1،3

تمّ اختبار ثبات المقياس وقد جاءت نتائج الثبات لألفا كرونباخ مقبولة بشكل كبير في جميع الأبعاد وفي المقياس ككل (أنظر الملحق جدول رقم 01)، كما اختبرت الباحثة صدق الاتساق الداخلي للفقرات وجاءت كلها مرتفعة (أنظر الملحق الجدول رقم 02)

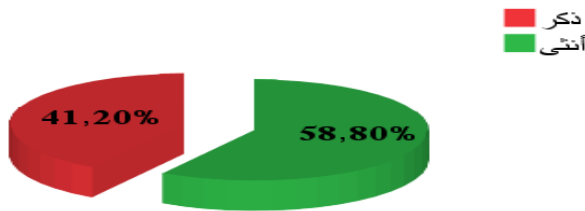
ب/ توزيع المقياس:

قمنا بتوزيع 310 استبانة تحسباً لأي ضياع ممكن، استغرق عملنا في توزيعها وجمعها خمس أسابيع متتالية، اتفقت الباحثة مع الطلبة على وضع الاستبانة في درجها بقسم العلوم الاجتماعية، الاستبانات المقبولة في نهاية الفرز بلغت 250

III عرض نتائج الدراسة:

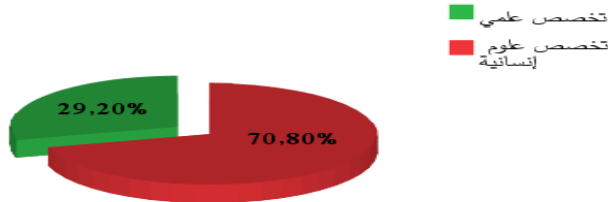
1/III عرض خصائص العينة :

1/1/III توزيع العينة حسب الجنس:



الإناث أكثر من الذكور بفارق 17.6% وهي قيمة معبرة لصالح الإناث، هذا أمر منطقي جداً فالعينة طبقية تناسبية وعدد الإناث في السنة الثالثة لمجتمع البحث الاحصائي أعلى من عدد الذكور بفارق 16%.

III/2/1 توزيع العينة حسب التخصص العام (علمي/علوم إنسانية)

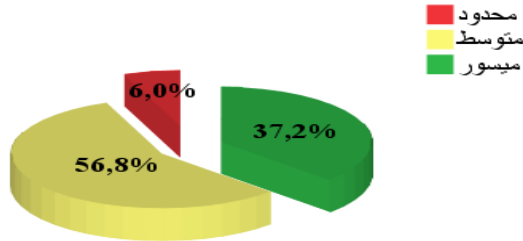


نلاحظ أن التخصصات الإنسانية والأدبية أكثر بكثير بفارق 41.3% عن التخصصات العلمية وبحكم عملنا داخل هذه الجامعة فنحن نعرف أن التخصصات الإنسانية والأدبية بدأت بجامعة غرداية قبل التخصصات العلمية فأصبح لها تجربة أطول في استقطاب الأساتذة وفتح التخصصات في حين التخصصات العلمية أكثر حداثة تعود إلى السنة الدراسية 2012/2013 وتحتاج إلى إمكانيات أكثر من حيث المؤطرين والوسائل البيداغوجية لاستقطاب أعداد أكبر من الطلبة.

جاءت قيمة احتمال المعنوية لاختبار مربع كاي للاستقلالية 0.895 وهي أكبر من 0.05 فهذا يعني قبول الفرض الصفري وهو أنه لا يوجد علاقة بين الجنس ونوع التكوين (تكوين علمي، تكوين آداب وعلوم إنسانية واجتماعية)، وهذا يعني أنهما متغيران مستقلان.

والعلاقة بين الجنس والتخصص حسب الكليات بلغت قيمة احتمال المعنوية 0.000 وهي أصغر من مستوى الدلالة 0.05 فالجنس والتخصص حسب الكليات ليسا متغيرين مستقلين، هناك علاقة إذن بين التخصص حسب الكليات والجنس سنعرفه لاحقا.

III/1/3 توزيع العينة حسب المستوى الاقتصادي للأسرة



كما نلاحظ من خلال الرسم البياني فإن أغلب مفردات البحث من أسر ذات مستوى اقتصادي متوسط بلغت 56.8%، لكن الأسر الميسورة أيضا نسبة لا بأس بها إذ بلغت 37.2% في حين الأسر محدودة المستوى الاقتصادي جد ضئيلة بالمقارنة مع المستويين الآخرين إذ بلغت 6%.

III/1/4 توزيع العينة حسب الكليات

يوجد بجامعة غرداية ست كليات توزعت عليها عينة البحث كالتالي:

جدول رقم 03 يوضح توزيع العينة حسب تخصص الكليات

نلاحظ من خلال الجدول هيمنة الإناث على تخصصات أصبح يُطلق

المجموع		الجنس				التخصص حسب الكليات/ الجنس
		أنثى		ذكر		
ت	%من المجموع	ت	% من التخصص	ت	%من التخصص	
48	19,2%	20	41,67%	28	58,33%	علوم اقتصادية وتجارية وعلوم تسيير
30	12%	24	80%	6	20%	الآداب واللغات
64	25,6%	42	65,63%	22	34,37%	علوم انسانية واجتماعية
35	14%	17	48,57%	18	51,43%	الحقوق
31	12,4%	29	93,55%	2	6,45%	علوم الطبيعة والحياة وعلوم فلاحية
42	16,8%	15	35,71%	27	64,29%	تكنولوجيا وإعلام آلي
250	100%	147	58,8%	103	41,2%	المجموع

عليها التخصصات الأنثوية وهي الآداب واللغات، علوم الطبيعة والحياة، العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتخصصات يهيمن عليها الذكور وهي تكنولوجيا وإعلام آلي، العلوم الاقتصادية، باستثناء الحقوق التخصص الذي كان ذكوري بنسبة كبيرة غير أنّ الإناث في السنوات الأخيرة أصبحن يقبلن على هذا التخصص بكثرة لذا نلاحظ تقارب النسب.

III/2 عرض النتائج الوصفية العامة

لدينا نتائج وصفية تتعلق بوصف اتجاهات المبحوثين نحو المال بأبعاده الثلاث دون علاقتها بأي متغير من متغيرات الدراسة، وهذا يفيدنا في معرفة اتجاهات الطلبة نحو المال بغض النظر عن أي محددات شخصية أو اجتماعية، ومنه نتعرف على الاتجاه السائد في الوسط الشبابي الجامعي نحو المال من خلال أبعاده الثلاث، والنتائج الثانية هي نتائج إستدلالية إحصائية ترتبط بمتغيرات الدراسة لمعرفة الفروق الدالة وفقها، أي الفروق في الاتجاهات حسب النوع (الجنس)، التخصص العام، التخصص حسب الكليات، المستوى الاقتصادي للأسرة.

جدول رقم 04 يوضح نتائج الاتجاه العام للطلبة نحو المال

البيد الأول									
الفقرات	غير موافق	محاييد	موافق	المتوسط المرجح	الإحتراف المعياري	الرتبة	درجة الموافقة		
المال هو النجاح والنجاح هو المال	ت	112	79	59	.8010	6	الحياد		
	%	44%8	31%6	23%6					
المال هو طموحي	ت	109	72	69	.8300	7	الحياد		
	%	43%6	28%8	27%6					
المال هو الشيء الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه	ت	150	59	41	.7590	3	الموافقة		
	%	60%6	23%6	16%4					
أعتقد أن قيمة المال في إنفاقه وقضاء الحوائج به	ت	13	25	212	.5170	1	الموافقة		
	%	5%2	10%1	84%8					
أؤمن أن المال يستطيع حل كل مشكلاتي	ت	184	43	23	.6440	2	الموافقة		
	%	73%6	17%2	9%2					
قيمة الإنسان ترتبط مباشرة بقيمة ما يملك من ماديّات	ت	121	75	54	.7940	5	الحياد		
	%	48%4	30%1	21%6					
المال يحفظ كرامة الانسان	ت	85	61	104	0.868	8	الحياد		
	%	34%	44%24	1%64					
المال يصنع التوازن في حياتنا	ت	52	66	132	0.798	4	الحياد		
	%	8%20	4%26	8%52					
الاتجاه العام للبيد الأول									
ما يكسبه الفرد من مال يرتبط بجهد وعرقه	ت	106	74	70	.8280	8	الحياد		
	%	42%4	29%6	27%6					
الحصول على المال موهبة يملكها قليل من الناس	ت	104	63	83	.8630	3	الحياد		
	%	41%6	25%2	33%2					
الأفكار والعلم لهما قوتها في صنع المال	ت	60	52	138	.8350	1	الحياد		
	%	24%1	20%8	55%2					
العمل يسد حاجتنا فقط والاحتيايل يصنع الثروة	ت	88	79	83	0.828	7	الحياد		
	%	35.2%	31.6%	33.2%					
المال يمشي خلف المحظوظين فقط	ت	94	78	78	.8290	4	الحياد		
	%	37%6	31%2	31%2					
من يعمل أكثر يكسب مالا أكثر	ت	76	60	114	.8600	2	الحياد		
	%	30%4	24%1	45%6					
المال يعبر عن إنجازات الفرد	ت	72	90	88	0.799	4	الحياد		
	%	828%	36%	35.2%					
المال هبة من الله لا علاقة له بالعمل	ت	101	55	94	0.885	6	الحياد		
	%	40.4%	22%	37.6%					
الاتجاه العام للبيد الثاني									
معرفة مصدر المال أهم من المال	ت	9	13	228	.4260	1	الموافقة		
	%	3%6	5%2	91%2					
المال ليس له أخلاق	ت	113	90	47	.7570	4	الحياد		
	%	45%2	36%1	18%8					
تهمني مشروعية المال أكثر من المال نفسه	ت	45	40	165	.7820	3	الموافقة		
	%	18%1	16%1	66%6					
أفضل أن أكون ثريا بأية طريقة على أن أكون فقيرا شريفا	ت	206	34	10	.5000	2	الموافقة		
	%	82%4	13%6	4%					
الزاهة والشرف لا يلتقيان مع المل	ت	95	71	84	.8470	5	الحياد		
	%	38%1	28%4	33%6					
المكر والاحتيايل يصنعان الكثير من المال	ت	65	70	115	.8260	6	الحياد		
	%	26%	28%	46%					
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									
الاتجاه العام للبيد الثالث									

المال مؤسسة اجتماعية قبل كل شيء موجود في الحياة اليومية نفسها آخذًا حيّزًا كبيرًا من استحقاقات المعيش اليومي، فهو هدية، وهبة، وفدية، وتاوسة، ودين، وأجرة، وميراث، وصدّاق، ومهر، وصدقة، وزكاة، وضريبة، ورشوة، وسرقة، ومبيعات ومشتريات... ويتجسّد في المعيش اليومي كمأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب، وتعليم، وعلاج، وعمر، وحج، وزواج، وسياحة، وترفيه، وقوّة، وسلطة...

إنّ هذا الحياد في اعتبار المال قيمة وسيلية أم غائية يظهر أنّ المبحوثين يستبطنون موقع المال في العصر الحديث ضمن السلاسل الغائية les séries téléologiques كما يسميها زيمل Simmel (269) ليس فقط على رأس السلسلة بل هي وسيلة لكل السلسلة كونه أصبح مقياس لجميع القيم، أصبح المال يستعمل للتمظهر الاجتماعي، والاستعراض التفاخري والإعلاء من الأنا، ووسيلة للأمن النفسي والاجتماعي، ومقياس للحظوظ الاجتماعي بدل موقعه الطبيعي وهو التبادل، المعيش اليومي يصنع تموقعات للغني والفقير، ويضفي عليه مسميات مرمّزة ومشفّرة تختزل الواقع المعيش خاصة في لغة الشباب فالغني "مول العط"، "مول الشكارة"، "رمشوش"، "بكو فلوس"...، والفقير "زقو"، "المشوي"، "تقرقية"، "المزلوط"...، والمال أيضا له نصيبه من الترميز والتشفير الذي يتحوّل إلى مخزون اجتماعي لتوصيف صاحب المال ومن لا مال له، فهو كمون، عط، رولو، شكارة، البزرة، الفاني، التيكي...، والعشرة دينار دفرة، والخمسين دينار سنكوحه، والمائة دينار تخميمة، والمائتي دينار هوبلة، والخمس مائة دينار باسكال، والألف دينار مسكة، والألفين دينار تسمى الخلغة والخشينة، والمليون حجرة، والعشرة ياجورة، والمليار عرق وهكذا... هذا الوسم الاجتماعي للمال يظهر كيف تتحول النقود إلى لغة اجتماعية

الذاكرة الشعبية هي الأخرى غير منحازة إلى اتجاه معين نحو المال فكما نجد "بيت الرجال خير من بيت المال"، و"المال زيل الدنيا" نجد أيضا "اللي ماعندو فلوس كلامو مسوس"، و"افتح جيبك ينقل عيبك"... لذا هذا الحياد لدى الطلبة هو ترجمة لتموقع المال في الحياة اليومية، أصبحت علاقة المجتمعات الحديثة بالمال كما تقول الماركسية علاقة صنمية إذ أصبح مسيطر على الحياة

بجميع أنساقها، فالنظام المالي أصبح حاكم لا خادم، لكن في نفس الوقت كمجتمع إسلامي نشعر بوحي أو دون وعي بالخزي من سيطرة المال على مسارات حياتنا فمن يدفع أكثر يستفيد من خيرات النسق، وفي نفس الوقت يريد الطلبة أن يكونوا ذوات تصنعها أشياء أخرى غير المال كالتعليم والوظيفة، قد يحدث إنحياز مستقبلا لكن هذا يتوقف على متغيرات كمستوى المعيشة العام، ومستوى الرفاه و الفقر، وقدرة القيم الإيجابية على المقاومة، وتطور الوعي الديني والروحي، وانتشار الأمن الاجتماعي بمعزل عن المال، في الجزائر مثلا الذهب رمز الأمان لوقت الحاجة يبرز هذا الرمز من خلال الأقوال والأمثال الشعبية المتداولة (الحدايد للشدايد)، والعقار رمز المال المتنامي المتكاثر والاستثمار الحقيقي تجاه تقلبات السوق والحياة غير الأمانة في ظل الاقتصاد النقدي الربوي.

III/2/ تحليل النتائج العامة للبعد الثاني

بالنسبة للبعد الثاني المتعلق باتجاه المبحوثين نحو طرق تدبير المال هل يكون بالعمل والإنجاز والجهد أي بطرق مقبولة ضمن الضمير الأخلاقي المجتمعي الجزائري أم بطرق أخرى مرفوضة ضمن الضمير الأخلاقي المجتمعي الجزائري، فكما هو ظاهر -من خلال الجدول -النتائج جميعها جاءت باتجاه الحياد بمتوسط قوي قدره 2.07 وانحراف معياري قدره 0.368 مما يظهر تجانس إجابات المبحوثين وعد تشتتها نحو التطرف وهذا إمتداد وتأكيد لنتائج البعد الأول، فقد قلنا سابقا أنّ المال موضوع تابو ومواضيع التابو مواضيع خلافية وحساسة، الانحياز فيها نحو اتجاه معين ليس أمرا سهلا لأنّ الموضوع أصلا يحوي صراع قيمي على مستوى الواقع الطبيعي وعلى مستوى الواقع المعاش، فعلى مستوى الواقع الطبيعي المال نتاج العمل والجهد والإنجاز القائم على القبول الاجتماعي، وعلى مستوى الواقع المعاش قد يكون المال نتاج المكر والاحتيال والغش والخداع أكثر.

شباب هذه المرحلة التاريخية يعيش حالة انتقالية من مرحلة مجتمع تقليدي مغلق على قيمه ذات البعد الروحي إلى مرحلة مجتمع حديث مفتوح على الحضارة الحديثة الرأسمالية القائمة على المال، بعد الاستقلال وخاصة مرحلة الثمانينات والتسعينات الحديث الإعلامي الذي نعرف كما حلل هربرت

شيلر(هربرت أ. شيلر 1986) مدى قدرته على صناعة وتغيير الوعي العام كان يتحدث عن مال السلطة المستباح، عن مال البايك، عن البقرة الحلوب، عن النهب، عن الاختلاسات، عن الأثرياء الجدد، الآن هناك تحول للحديث عن سلطة المال التي تقود المجتمع بعد سقوط مختلف الإيديولوجيات بما فيها الدينية، هل مازال "بيت الرجال خير من بيت المال" أم "مول الشكارة هو مول الكلمة" و "الدرهم يديرو طريق في البحر" هذا ما يستبطنه الشباب من الواقع المعاش والذي يتصارع داخل الوعي واللاوعي مع القيم الروحية للمجتمع الجزائري التي نشؤوا عليها، هذا ما يصنع حيادهم إنهم لا يقدرّون على فك شيفرة التناقضات داخل حقل المال المفتوح على مختلف القيم المتصارعة في ظل تنشئة اجتماعية هشة جدا في هذا المجال.

السلطة التي أصبح يحضى بها المال تتعاضد في ظل رأسمالية السوق، والشباب يستبطنون من خلال الواقع المعاش قدرة المال على خلق التفاوت الاجتماعي كما قدرته على خلق العدالة الاجتماعية، قدرته على خلق الاستقلالية والتحرر من أي تبعية وقدرته على خلق التبعية، قدرته على جمع الأفراد وقدرته على تفريقهم، فالمال كما يقول "جورج سيمل" مليئ بالمفارقات وبالتالي هو حقل غامض لا يتيح سهولة في الرؤية واتخاذ اتجاه واضح وسهل، فالمال هو نتاج طبيعي وشرعي للعمل والإنجاز ضمن الموروث الثقافى للمجتمع، لكنّه ضمن الواقع المعاش الحديث هو نتاج أيضا الصفقات المشبوهة والإحتيال المحمي بسلطة القوة وقوة السلطة في شكل ثروات ومكتنزات، فهناك دائما عامل بسيط بأجرة لدى الوظيف العمومي أو الخاص، وآخر يصنع الثروة بطرق أخرى تتجاوز العمل والإنجاز وحدهما، هذه الصورة التي انطبعت في الذاكرة الشبابية الجديدة لعلها هي التي جعلت أحد مناضلي حزب سياسي يقول لي يوما "لا يمكن أن نصنع الغنى دون رشوة" ووقف بقوة أمام جميع حججى الشرعية والعقلية ليبرر اعتقاده ويعطيه شرعية الواقع، فالواقع أصبح أكثر شرعية من القانون لتبرير نفسه وإدامة حضوره.

الحياد قد يرتبط بغموض الموضوع، والمال موضوع غامض منذ المراحل الأولى من الطفولة حيث نعتقد أنّ بإمكان الوالدين إستحظار المال متى احتجنا،

ثمّ نبدأ ندرك موقع الأسرة في المجتمع إنطلاقاً من موقعها المالي في الحي ثم المجتمع ثم ندرك موقعنا إنطلاقاً من كل ذلك، وهو موضوع غامض على مستوى العلاقات الاجتماعية نحيطه بالحذر والحيطة من العين والتابعة والحسد، وهو موضوع غامض من حيث التناقضات والمفارقات التي يخلقها في ظل التظاهرات الاجتماعية المادية كما سبق الذكر، لذا جاءت نتائج هذا البعد أسس تدبير المال غير منحازة لا إلى العمل والانجاز ولا إلى المكر والإحتيال، فالمبحوث مشدود إلى مفارقتين الموروث "الإيتيقي" من جهة والواقع المعاش من جهة ثانية.

إضافة إلى ذلك فإن العمل نفسه هو موضوع أزمة للشباب بما فيها الجامعي يصعب الحصول عليه فكيف يصبح هو وسيلة تدبير للمال، والعمل المقاولاتي حظوة أبناء الطبقة الكانزة القادرة على دخول المغامرة بأريحية ليس في متناول من لا مال له، كما أنّ التعليم كوسيلة للحصول على المال يتوقف على الحصول على الوظيفة التي يمكنها أن توفر راحة مادية ممكنة، فالأفكار داخل الجامعة الجزائرية لا تباع ولا تتمن إلا معنوياً في أحسن الأحوال، "بوجي تاكل روجي" يصعب تحقيقها في ظل الأزمات الاقتصادية وشح القابلية للتوظيف، وهذا ليس تبرير للاحتيال والغش والتدليس إنّما هو كشف لواقع اجتماعي في حالة تحول ينذر المجتمعات الفاعلة بتدرك الوضع.

III/2/3 تحليل النتائج العامة للبعد الثالث

بالنسبة للبعد الثالث المتعلق باتجاهات المبحوثين نحو أهمية معرفة مصدر المال أكثر من المال نفسه فقد جاء الاتجاه نحو الإيجاب بمتوسط ضعيف قدره 2.37 وانحراف معياري قدره 0.371 هذا الانحراف الأصغر من المتوسط يبيّن تجانس إجابات المبحوثين وعدم تشتتها نحو التطرف عن متوسطها، جاءت نتائج هذا البعد على نقیض المثل الروماني الشهير بغض النظر أن أصل قوله "المال ليس له رائحة" *l'argent n'a pas d'odeur* والذي أصبح مثلاً لفصل المال عن مصدره، فالمبحوثين متمسكين بشرعنة المال وهذا نتاج الثقافة الإسلامية التي لا تفصل المال عن مصدره، فالمال الحرام مصدره حرام والمال الحلال مصدره حلال.

غير أنه إذا تمعنا في ترتيب العبارات نجد في المرتبة الأولى أهمية مصدر المال على المال ذاته بمتوسط قوي 2.88 وهذا يظهر كما قلنا أهمية شرعنة المال، وتليها مباشرة في المرتبة الثانية تفضيل المبحوثين للثراء على الفقر مهما كانت طرق الثراء بمتوسط قوي أيضا 2.78، لا شرف مع الفقر ولا شرف في الفقر فالفقر هشاشة تدمر بنية الوجود المحروم وتخلق تدهور كل علاقة مع العالم، مع المكان، ومع الزمان على حد تعبير بورديو **Pierre Bourdieu** (p96, 1998)، الفقر يحيل إلى أوجه قصور متعددة كما تقول أستاذة علم الاجتماع بجامعة فيرساي سان كوتتان ان إيفيلين بفرنسا Maryse Bresson (2007)، مرعبة تتعلق بالشعور بعدم الأمان وبالقهر والهشاشة البغيضة على الأنفس، هنا الأمر يتعلق برهاب الفقر بالنسبة للمبحوثين وليس بشرعية مصدر المال، فعندما كان السؤال لا يحيل إلى ما يثير مخاوف الهشاشة كانت الإجابة لصالح شرعية المال، وعندما فتح باب الفقر ظهر موقف المبحوثين رافضا للفكرة تماما، وعلى الرغم من أننا نعلم أنه من أصول العبارة أن لا تحيل على مسألتين غير أننا تعمدا ذلك لنتحقق من حالة المفاضلة بين شرعنة المال أو الفقر، أحيانا المفاضلة تثير الأنفس تضعنا أمام خيارات جد صعبة حتى وإن كانت هذه المفاضلة مشكوك فيها، إذ قد يكون الرفض مرتبط فقط بفكرة الفقر الناتج عن استبطان المبحوثين عما ينجر عن الفقر من تعطيل لذواتهم كذوات فاعلة، ودليل ذلك العبارة الثالثة التي جاءت في اتجاه الإيجاب بمتوسط مقبول 2.48 "تهمني مشروعية المال أكثر من المال نفسه" وبانحراف معياري 0.782.

بقية العبارات جاءت باتجاه الحياد مما يظهر أننا أمام ضبابية فيما يخص المال مفتوحة على احتمالات كثيرة، بعضها مرتبط بضعف التنشئة الأسرية والاجتماعية المتعلقة بالمال، وبعضها مرتبط بالتحويلات الاقتصادية التي شهدتها الجزائر منذ انخفاض سعر البترول حامي الطبقة المتوسطة، وبروز بالمقابل مفاتن المال في صور الاستهلاك المختلفة لفئة ظهرت فجأة إلى العلن، والبعض الآخر مرتبط بارتفاع سقف أحلام الشباب الاجتماعية الحياتية أمام موجة الدنيو المتشكلة مع الرأسمالية المعولة الحديثة التي انفتحت عليها الشباب من خلال وسائل الاتصال العولمي.

هذا لا يعني أنّ المال لدى شبابنا انفصل تماما عن شرعيته الدينية في إطار مفهوم الحلال، الوسم الاجتماعي للمال Le Marquage de L'argent ظاهرة تاريخية دينية اجتماعية أخلاقية واقتصادية وعالمية (Zelizer, op.cit) ، الوسم الاجتماعي للمال يُظهر عدم حياديته القيمية، يُظهر في أشكال مختلفة مال التسول، مال الصدقة، مال الوفاة، مال التأمينات، مال الميراث، مال الزكاة، مال الركاز، مال الضرائب...، ونحن نرى أنّ هذا الوسم الاجتماعي للنقد يمتد إلى جميع الجوانب الأخلاقية للمال مثل مال الرشوة، مال الدعارة، مال السرقة، مال القمار، مال المخدرات... لذا نجد بالمقابل مفهوم تبييض الأموال الموصوفة ضمن الموروث الثقافي الديني والأخلاقي لدى جميع الديانات السماوية بالأموال السوداء أو الأموال القذرة أو المال الحرام، نجد مثلا Lazarus و de Blic يريان أنّ أول خاصية للمال على عالم الاجتماع أن يراها هي الخاصية الأخلاقية التي يغذيها الحجاج الاجتماعي (p7) وهما يقران كأسلافهما جورج زيمل وماكس فيبر هذه العلاقة بين الدين وأخلاقية المال، غير أنّ العلاقة أصيبت بالاختلال مع ضمور الوازع الروحي أمام تحوّل المال إلى مقياس لكل الخيرات، ومع طغيان الدنيويّة كما يقول فيبر (77.71) لم يبق من القيم الدينية إلا ظلال باهتة، الحضارة الرأسمالية والاقتصاد النقدي والعمل المأجور وإيديولوجية الجدارة واللامساواة النيوليبرالية يقفون بكل جسارة أمام الجانب الروحي والأخلاقي للمال ويعبثون بشروط وجودنا، هذا التغيير الكبير في مسارات الحياة الحديثة مأزوم ونستعير من دوركايم توصيفه لأزمات التغيير المفاجئ قوله "تغيّر شروط الوجود المفاجئ أو حتى المهيئ مسبقا يخلق دائما أزمة مؤلمة فهي تحدث عنف للطبائع المكتسبة" (Emile Durkheim 1991, 220)، وإلى أن يفهم ويستوعب الشباب هذا الكم الهائل من التغيرات الصاخبة التي يعيشها تبقى اتجاهاته غير منحازة نحو مواقف أكثر وضوحا.

3/III عرض النتائج الاستدلالية العامة للدراسة

جدول رقم 05 يوضح النتائج الاستدلالية العامة ذات الدلالة الإحصائية

المتغيرات	البعد الأول المال غاية أم وسيلة					
	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة الأنوفا	Sig
الجنس	بين المجموعات	,007	1	,007	,076	,783
	داخل المجموعات	,65121	248	,087		
	التباين الكلي	,65721	249			
التخصص العام	بين المجموعات	,519	1	,519	,0866	,014
	داخل المجموعات	,13821	248	,085		
	التباين الكلي	,65721	249			
التخصص حسب الكليات	بين المجموعات	,3031	5	,261	,1243	,009
	داخل المجموعات	,35420	244	,083		
	التباين الكلي	,65721	249			
المستوى الاق للأسرة	بين المجموعات	,677	2	,338	,9843	,020
	داخل المجموعات	,98020	247	,085		
	التباين الكلي	,65721	249			

1/3/III الفروق حسب التخصص العام

نسجل أولاً أننا لم نرد أن نعرض نتائج البعدين الثاني والثالث لأنها كلها جاءت غير دالة إحصائية، أي لا يوجد أية فروق تذكر بناء على المتغيرات المستقلة النوع (الجنس)، التخصص سواء بين الكليات أو داخل نفس الكلية، المستوى الاقتصادي للأسرة، فالقيمة الاحتمالية كانت كلها أكبر من مستوى الدلالة 0.05، هذا يظهر أن هناك تشابه وعدم اختلاف في إجابات المبحوثين فيما يخص هذه المتغيرات تجاه موضوع المال كما هو الأمر تماماً مع النتائج الوصفية العامة، وهذا أيضاً له علاقة باتجاه الحياد الغالب على النتائج، فالمال موضوع التباس غموضه في مجتمع لا يتحدث عن المال يصنع هذه الحالة، فالبعد الثاني كما سبق الذكر جاء بمتوسط حياد مرتفع 2.07 فالحياد واضح وقوي، والبعد الثالث جاء باتجاه الإيجاب لكنه بعد "إيتيقي" فالحلال والحرام والمشروعية

موضوعات أخلاقية دينية الاختلاف حولها في المجتمع الغرداوي المحافظ أمر غير ظاهر والنتائج تثبت ذلك.

يهما هنا البعد الأول الذي صنع فروقات دالة حسب التخصص العام (علمي بحث - علوم إنسانية واجتماعية وأدبية)، وحسب الكليات، وحسب المستوى الاقتصادي للأسرة كما هو موضح في الجدول السابق، هناك فروقات دالة حسب التخصص العام للمبجوثين وهما تخصص العلوم البحتة التي تضم كليتين كلية علوم الطبيعة والحياة وكلية العلوم التكنولوجية والاعلام الآلي، وتخصص العلوم الإنسانية والأدبية وتضم كلية اللغات والآداب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، وكلية الحقوق، وقد جاءت النتائج لصالح تخصص العلوم البحتة، لقد جاءت القيمة الاحتمالية 0.014 وهي أصغر من مستوى الدلالة 0.05 وهذا يعني رفض الفرض الصفري لا يوجد فروق دالة وقبول الفرض البديل يوجد فروق دالة بين التكوينيين التخصصيين، الجدول 6 يظهر لصالح أيهما من التكوينيين التخصصيين جاءت تلك الفروق.

جدول رقم 06 يظهر فروق المتوسطات بين تخصص علوم بحتة والعلوم

الإنسانية والأدبية

نوع التكوين	المجموع	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري للمتوسط
تخصص علمي بحث	73	43492	25440	02977
تخصص علوم أدبية وإنسانية	177	33472	30599	02300

أصحاب التخصص العلمي متوسطهم أعلى وانحرافهم المعياري أصغر فهم إذن من صنع الفارق لصالحهم، أي أن أصحاب هذا التخصص هم أكثر من ينظر إلى المال كقيمة وسيلته، فنظرتهم إلى المال كقيمة وسيلته أكثر وضوحاً من مبجوثي التخصص الآخر، غير أن هذه النتيجة لا تعطينا نظرة دقيقة وواضحة، الفروق حسب الكليات هي التي ستوضح الأمر أكثر كما هو آتي.

2/3/III الفروق حسب الكليات

بما أن القيمة الاحتمالية للفروق حسب الكليات جاءت 0.009 وهي أصغر من مستوى الدلالة 0.05 هذا يعني رفض الفرض الصفري لا توجد فروق دالة حسب الكليات وقبول الفرض البديل توجد فروق ذات دلالة إحصائية، وحتى نعرف لصالح من هذه الفروق قمنا بالاختبار البعدي LSD وهو اختبار أقل فرق معنوي، وجاءت النتائج كالتالي:

جدول رقم 07 يظهر الفروق حسب الكليات

بيان		اقتصاد		حقوق	
المتوسط	متوسط الفرق	p-value	متوسط الفرق	p-value	متوسط الفرق
2.27	0.003 -	0.963			حقوق
				0.003	0.963
2.38	0.109	0.074		0.106	0.055
2.43	0.157	0.030		0.154	0.023
2.41	0.140	0.035		0.137	0.026
2.47	0.204	0.005		0.201	0.003
					علوم الطبيعة والحياة
					العلوم الإنسانية والاجتماعية
					آداب ولغات
					العلوم التكنولوجية والإعلام
					الألي

يظهر من الجدول أن التخصصات العلمية البحتة إضافة إلى تخصص الآداب واللغات هم من صنع الفارق لصالحهم، فهم ينظرون إلى المال كقيمة وسيله أكثر من تخصصي الاقتصاد والحقوق، ويبدو أن هذين التخصصين الآخرين يستقطبان الطلبة الأكثر ميلا للإعلاء من قدر المال والأكثر ميلا لاعتباره قيمة غائية، هل يمكننا أن نسميهما تخصصان ماليان فنقول أنهما يستقطبان الطلبة الذين يبحثون عن مسارات ربح المال، إن هذا الطرح مقبول منهجيا فالتخصص متغير سمة وليس متغير معالجة، فليس التخصص هو الذي يضفي ميل للإعلاء من قيمة المال ولكن الميل إلى الإعلاء من قيمة المال هو الذي يدفع الطالب إلى ذلك التخصص، فقد جاء مثلا في Huffpost News في حوار مع مدير الموارد البشرية لمجمع ديور المغربية بلال السعيد عن أكثر

التخصصات ارتباطا بالمال في المغرب، فكان جوابه أنها تلك المرتبطة بالمجال المالي كالتجارة والاقتصاد والبنوك، وتليها المهن القضائية والقانونية (HuffPost News, online)، والمغاربة شعوب متقاربة أوجه الشبه كثيرة بينهم فالجزائريون أيضا يعتقدون بأهمية هذين التخصصين، إضافة إلى تخصصات أخرى كالطب والصيدلة.

لكن علينا أن نضع في الحسبان أن اختيار التخصص يرتبط بعدة عوامل أخرى كالبكالوريا المتحصل عليها هل هي علمية أم أدبية أم تقنية إضافة إلى المعدل المتحصل عليه، المسار المهني المتفاوض حوله داخل الأسرة، ثم يأتي التفاوض حول التخصص المختار ما يمكنه أن يحقق في ظل شروط الاختيار من إمكانية تحقيق دخل مريح مستقبلا إنطلاقا من الميول الشخصية نحو المال، فنحن هنا نتفق مع بورديو في منهجه العلائقي فاختيار التخصص غير مستقل عن العلاقات التي تحركه، وليست الميول نحو المال وحدها هي المحرك الرئيسي بل الميل نحو المال هو عامل محفز في هذه الحالة لاختيار هذه التخصصات، إذا كان الطالب ميل نحو البحث العلمي أو العمل الإنساني فسيختار ما يناسب ذلك الميل إذا توفرت له الشروط المناسبة لذلك ولن يضع في اعتباره المال الذي يمكن جنيه مستقبلا، وكذلك من كان يملك الميل الكبير نحو المال كهدف أساسي فسيختار إذا ما توفرت له مجموعة الشروط المناسبة التخصص الذي يمكنه من تحقيق تلك الميول.

III/3/ الفروق حسب الحالة الاقتصادية للأسرة

علينا أن نقول أولا أنه لدينا ثلاث حالات، حالة محدودي الدخل، حالة متوسطي الدخل، حالة ميسوري الدخل، غير أنه تبين لنا بعد جمع الاستبيان أن الميسورين عند الفردانيين هم الفئة المتوسطة الأعلى دخلا في هذا المستوى، فكل حالة لها حدود دنيا وحدود وسطى وحدود عليا، فالفئة الميسورة هي ليست فئة الأثرياء وإنما فئة المكتفين ماديا في مناحي الحاجيات وبعض الكماليات، مدخولهم الشهري يكفيهم بشكل مريح كامل الشهر وقادرين على الادخار منه في الغالب وهذا أيضا يتوقف على عدد أفراد الأسرة وعدد الأسر التي تعيش على

ذلك الدخل، وعليه فإنّ حالة الميسوريين في هذا البحث هي فئة متوسطة ذات دخل أعلى ولا تعني فئة الأثرياء، فالمتوسط هو الآخر أمر ملتبس فالثراء يبدأ عندما يرتفع مستوى الاكتناز.

بالنسبة للفروق حسب الحالة الاقتصادية للأسرة جاءت دالة إحصائياً فالقيمة الاحتمالية 0.020 هي أصغر من مستوى الدلالة 0.05 مما يعني رفض الفرض الصفري بعدم وجود فروق دالة وقبول الفرض البديل يوجد فروق دالة إحصائياً حسب متغير الحالة الاقتصادية للأسرة، أمّا لصالح من جاءت تلك الفروق فالاختبار البعدي LSD لأقل فرق معنوي أظهر النتائج التالية:

جدول رقم 08 يظهر الفروق بين المبحوثين حسب الحالة الاقتصادية للأسرة

بيان	حالة محدودي الحال الاقتصادي		حالة متوسطي الحال		حالة ميسوري الحال	
	المتوسط	فرق المتوسط	sig	فرق المتوسط	sig	فرق المتوسط
ميسور	2.37	0.215	0.008	0.006 -	0.883	
متوسط	2.38	0.221			0.006	0.006
محدود	2.16			0.221 -	0.006	0.215 -

كما نلاحظ من الجدول فإن متوسطي الحال وميسوري الحال هم من صنعوا الفارق لصالحهم، فهم ينظرون إلى المال كقيمة وسيلته أكثر من فئة محدودي الدخل وهي نتائج معقولة جداً، إنّ المحرومين من أساسيات الحياة الكريمة يعرفون ماذا يمكن للمال أن يصنعه في حياتهم وكيف يمكن أن يعيد إليها توازنها، إنّ اعتقادات الفقراء نحو المال ترتبط بنقصه الكبير في حياتهم، فهناك طعام من يملكون القدر الكافي من المال وطعام من يملكون القليل منه أول لا يملكون، وكذلك الأمر بالنسبة للملبس، والمظهر، والمسكن والصحة، والعلاج، والمكانة الاجتماعية، والقوة، والحضور.....، يعتقد الفقراء بضرورة وجود المال الكافي للحصول عليها وهي غايتهم في ظل حرمانهم منها، والجزائريين يقولون في أمثالهم "كي تشبع الكرش تقول للراس غني"، فالحاجة إلى الشيء تحوله إلى غاية على الرغم من أنّ المال يشتري الوسائل لا الغايات.

المدرسة السلوكية ترى أنّ " المال يمثل قوة دافعية كبيرة لارتباطه بالعديد من الوسائل والأدوات والخدمات والبضائع وقدرته على احتوائها وشرائها" (أكرم زيدان، 2008، ص50) لذا هو قادر أن يستقل وظيفيا عن الدوافع ويتحوّل هو إلى دافع في حد ذاته، وقد ذكر عالم النفس البريطاني Stephen Edmund Gillam Lea (1995، p 701.681) أنّ تصورات الأفراد عن المال مبنية اجتماعيا فالمال له دلالات رمزية ثقافية تؤثر في اتجاهات الناس حوله، فاتجاهات الشباب تتشكل من البيئة الاجتماعية التي يعيشونها إذ هناك دائما صورة اجتماعية للنجاح المجتمعي غالبا ما ترتبط بالنجاح المادي أو المالي الذي يظهر في طرائق العيش والاستهلاك، وقد قلنا سابقا أنّ المال موضوع وسم اجتماعي يحدد المواقع الاجتماعية والطبقية ممّا يجعله مرغوب دائما ويكون مرغوب أكثر لدى من حرّم منه أو يعاني قلته.

الخاتمة:

المال ارتبط غالبا بالعلوم الاقتصادية في حين المال مؤسسة اجتماعية خاصة في هذا العصر الموسوم بعصر الاستهلاك القائم على اقتصاد النقود ومراكمة الثروة، مع ماركس كان الحديث عن الطبقة الاجتماعية التي يصنعها المال والآن لابد من دراسات سوسيولوجية للمال كمؤسسة اجتماعية. إنّ مظاهر الغنى والثراء المرئية من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة تصنع مظاهر اجتماعية جديدة ومدلولات مغايرة للنجاح وإثبات الذات قائمة على المال، وفي ظل بقاء المال موضوع تابو في المجتمع الجزائري غير مفتوح على الحجاج ولا على الدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، ستفتح آفاق الشباب على حجاج مادي نقودي غربي رأسمالي معولم.

أظهرت الدراسة وبشكل جلي أنّ الشباب الجامعي في منتصف تحول لا يميل إلى أية جهة فهو يرى أهمية المال في المجتمع الجزائري وقدرته على صناعة نجاحات الأفراد وسلطتهم، ويرى كم أخذ المال من نفوذ داخل المجتمع الجزائري الحديث على الكثير من الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يكون المال هو كل شيء في حياتهم، هذه الدراسة تظهر مدى ضبابية الرؤية لدى العينة التي هي مجموعة من طلبة الجامعة في

اتجاهاتها حول المال إذ جاءت النتائج تميل أكثر نحو الحياد، وهذا ما يظهر أنّ موضوع المال في الجزائر لم يُفتح بعد على حجاج اجتماعي جاد. نقترح إثر هذا:

- إدراج تخصص في علم الاجتماع تحت مسمى سويولوجيا المال، يمكنه أن يكون حاضرا بحثا ووظيفة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية على اختلافها.

- إدراج تخصص في علم النفس تحت مسمى سيكولوجيا المال، يمكنه أيضا أن يكون حاضرا بحثا ووظيفة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية على اختلافها.

- تشجيع الدراسات والبحوث الاجتماعية حول المال والمجتمع.

- إنفتاح الحجاج الأكاديمي على المجتمع فيما يخص التغيرات الحديثة التي يعيشها المجتمع الجزائري في ظل العولمة.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

- 1/ بورديو. بيار (1981/2012)، مسائل في علم الاجتماع، تر: هناء صبحي، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، الإمارات العربية المتحدة.
- 2/ الحوراني محمد عبد الكريم. (2008)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع، ط1، دار مجدلاوي، الأردن.
- 3/ شيلر. ر. هيربرت، (1974/1986)، المتلاعبون بالعقول، تر: عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة (106)، الكويت.
- 4/ فيبر ماكس. (1905/د ت)، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، تر: محمد علي مقلد، دط، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
- 5/ لويس كامل مليكة، (1963/1970)، سيكولوجية الجماعات والقيادة، ط3، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر.
- 6/ ماركس كارل (1867/1985)، رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الأول، الكتاب الأول، الجزء الأول، تر: فهد كم نقش، دط، دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفياتي.
- 7/ زيدان أكرم، سيكولوجيا المال: هوس الثراء وأمراض الثروة (2008)، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة (351)، الكويت.

المراجع الأجنبية:

- 8/ Bensussan.Gérard & Labica.Georges، (1999)، Dictionnaire Critique du Marxisme، «Quadrige» Puf، Paris.
- 9/ Bresson. Maryse، (2007)، LA Pauvreté Est-Elle Encore une Question Sociologiques D'actualité?: un Enjeu de Définition, de Méthode et Théorie <https://www.cairn.info/revue-pensee-plurielle-2007-3-page-9.htm>
- 10/ / Bourdieu. Pierre ، (1998)، Contre-feux:Propos pour servir à la résistance contre l'invasion néo-libérale، éd Raisons D'Agir، Paris.
- 11/ De Blic. Damien & Lazarus. Jeanne، (2007)، Sociologie de L'argent، collection repères، éd La Découverte، Paris.
- 12/ Durkheim. Emile، (1930/1991)، de La Division du Travail Social، 2^{ème} éd، «Quadrige» ، puf، Paris.
- 13/ Fkihi Saad et Alice Ménager HuffPost News، Les métiers qui rapportent le plus pour les jeunes diplômés au Maroc (https://www.huffpostmaghreb.com/2016/07/16/metiers-jeunes-diplomes-maroc_n_11030876.html) 18 h:13 التوقيت، 07/201607 بتاريخ
- 14/ Galland. Olivier، (1984/2009)، Les Jeunes، Collection Repères، n°27، 7^{ème} éd، la découverte، Paris.
- 15/ Haesler. Aldo j. (1995)، Sociologie de L'argent et Postmodernité: recherche sur les conséquences sociales et culturelles de l'électronisation des flux monétaires، éd librairie droz، Genève-Paris.

- 16/ Lea. Stephen, Edmund Gillam, Psychological factors in consumer debt : Money management, economic socialization, and credit use, in Journal of Economic Psychology Volume 16, Issue 4, December 1995
- 17/ Oueld-Ahmed. Pepita, (2008), «Monnaie Des Économistes Argent Des Anthropologues : à Chacun Le Sien ? », In L'argent Des Anthropologues La Monnaie Des Économistes ; Sous La Direction de Evelyne Baumann et Autre ; Série « Globalisation et sciences sociales » dirigée par Bernard Hours, éd L'harmattan, Paris.
- 18/ Raymond Thomas & Alaphilippe Daniel, (1983/1993), Les Attitudes, 2^{ème} éd, Collection Que sais-je, Puf, Paris.
- 19/ Rokeach. Milton, (1968), A Theory of Organization and Change within Value –Attitude Systems, in Journal of Social issues, volume 24, N^o1, January .
- 20/ Serge. Moscovici, (1984), Psychologie Social, 1^{er} éd, «Quadrige» , puf, Paris.
- 21/ Simmel. Georg, (1900/2014), Philosophie de L'argent, Tra : Sabine Cornille et Philippe Ivernel, 3^{ème} éd. Puf, «Quadrige», Paris.
- 22/ Stelling. Anna & Autre, (2008), Les Jeunesses Face à Leur Avenir (une enquête internationale) ; Fondation Pour L'innovation Politique, Enquête réalisée par Kairos Future, Paris. www.fondapol.org/wp-content/.../pdf/.../Etude_Les_Jeunesses_face_a_leur_avenir.pdf
- 23/ Strait.Patricia Bellin, (1996), «Unethical Actions of Public Servants: A Voyeur's View», a public integrity Annual .
- 24/ Zelizer. Viviana, (1994/2005), LA Signification Sociale de L'Argent, tra : Cler Christian, collection « Liber », Seuil, France.

الملحق:

جدول رقم 01 اختبار ألفا كرونباخ لثبات المقياس

الأبعاد	قيمة ألفا	الصدق
المال قيمة غائية أم وسيليه	,830	0.911
المال يرتبط بالعمل والانجاز أم بالاحتيايل والدهاء	,770	0.877
مشروعية المال	,719	0.848
المقياس ككل	,743	0.862

جدول رقم 02 صدق الاتساق الداخلي لعبارات مقياس المال وفي نفس الوقت
يبين المقياس (حتى لا تقع في التكرار)
*. * دالة عند مستوى 0.01

فقرات المال	موافق	محايد	غير موافق	معامل الارتباط	القيمة الاحتمالية
1 - المال هو النجاح والنجاح هو المال				,520**	,000
2 - المال هو طموحي				,441**	,000
3 - المال هو الشيء الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه				,568**	,000
4 - أعتقد أن قيمة المال في إنفاقه وقضاء الحوائج به				,255**	,000
5 - أؤمن أن المال يستطيع حل كل مشكلاتي				,406**	,000
6 - قيمة الإنسان ترتبط مباشرة بقيمة ما يملك من ماديات				,621**	,000
7 - المال يحفظ كرامة الانسان				,229**	,001
8 - المال يصنع التوازن في حياتنا				,486**	,000
9 - ما يكسبه الفرد من مال يرتبط بجهد وعرقه				,254**	,000
10 - الحصول على المال موهبة يملكها قليل من الناس				,384**	,000
11 - الأفكار والعلم لهما قوتها في صنع المال				,196**	,001
12 - العمل يسد حاجتنا فقط والاحتيايل يصنع الثروة				,389**	,000
13 - المال يمشي خلف المحظوظين فقط				,392**	,000
14 - من يعمل أكثر يكسب مالا أكثر				,201**	,000
15 - المال يعبر عن إنجازات الفرد				,337**	,000
16 - المال هبة من الله لا علاقة له بالعمل				,378**	,000
17 - معرفة مصدر المال أهم من المال				,251**	,000
18 - المال ليس له أخلاق				,348**	,000
19 - تهمني مشروعية المال أكثر من المال نفسه				,291**	,000
20 - أفضل أن أكون ثريا بأية طريقة على أن أكون فقيرا شريفا				,393**	,000
21 - النزاهة والشرف لا يلتقيان مع المال				,402**	,000
22 - المكر والإحتيال يصنعان الكثير من المال				,423**	,000



إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء، التشريع، الفقه)

The Contribution Of Southern Algeria Scholars To The Fields Of Law (Justice-Legislation- Fiqh Of Law)

باباواسماعيل يوسف

كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة غرداية،

babouelkacem23@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-06-26

ملخص -

حفظت لنا صفحات التاريخ صورا عديدة من إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني، ابتداء من سدّ ثغرة القضاء الشرعي في ظلّ الاحتلال الفرنسي، وانتهاء بشغل مناصب في سلك العدالة، والإسهام في حركة التشريعات الوطنية بعد الاستقلال، ولعلّ أبرز نموذج لإسهامات هؤلاء العلماء في المجال القانوني يتمثل في شخص العالم الشيخ امحمد بن سليمان مطهري؛ وعليه نختاره كعينّة للدراسة في هذا المقال، وإذا تتبّعنا السيرة الدّاتيّة للشيخ نجد له إسهامات عديدة في المجال القانوني، حيث يظهر ذلك من خلال ثلاثة أدوار جسّدت عمله القانوني وتتمثّل: في القضاء وفي التشريع وفي الفقه.

الكلمات الدالة -

المجال القانوني، القضاء، التشريع، الفقه، فروع القانون.

Abstract –

The Algerian History Is Full Of Recordings Of Multiple Contributions Made By Southern Algeria Scholars. Firstly, They Had Been Holding Islamic Judiciary Positions During The French Colonization Era. Secondly, They Served In The Algerian Justice Sector In Post-Independence Era. Thirdly, They Contributed Invaluably To The Legislation Movement In Independent Algeria. Cheikh Amhemed Bin Sulaeiman Methéri, Being One Of The Southern Algeria Scholars, Has Prominently Contributed To Fields Of Law Development; Therefore, He Is Taken As A Sample In This Study. The Biography Of Cheikh Methéri Showcases The Importance Of His Contributions To The Development Of Fields Of Law Through His Roles In Justice, Legislation, And Fiqh.

Key Words-

Field Of Law, Justice, Legislation, Fiqh, Branches Of Law, Court Hierarchy, Bill Of The Algerian Family Law.

مقدمة

حفظت لنا صفحات التاريخ صوراً عديدة من إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني، ابتداءً من سدّ ثغرة القضاء الشرعي في ظلّ الاحتلال الفرنسي، وانتهاءً بشغل مناصب في سلك العدالة، والإسهام في حركة التشريعات الوطنية بعد الاستقلال، ولعلّ أبرز نموذج لإسهامات هؤلاء العلماء في المجال القانوني يتمثل في شخص العالم الشيخ أمحمد بن سليمان مطهري؛ وعليه نختاره كعين للدراسة في هذا المقالة العلمية.

وقد اعتمدت في تحرير دراستي على جملة من المستندات المرجعية⁽¹⁾، وبعد فحصها رأيت أن أوزع المادة العلمية على العناصر الآتية:

1. إسهام الشيخ أمحمد بن سليمان مطهري في المجال القضائي.
2. إسهام الشيخ أمحمد بن سليمان مطهري في المجال التشريعي.
3. إسهام الشيخ أمحمد بن سليمان مطهري في المجال الفقهي (القانوني).

1 - مثل: سجلات المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية، والتسجيل المصور لحياة الشيخ أمحمد بن سليمان مطهري من إعداد جمعية أبي اسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية، وبعض آثار الشيخ العلمية المفهرسة في خزانة مطهري.

والمطلع على إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني يجد أنها تُشكّل بحدّ ذاتها ثروة فكرية لا يُستهان بها في ميدان الدراسات الاجتماعية والإنسانية، فهي بحاجة إلى من يستخرج ما يضمّ أغوارها من الفوائد، حتّى يستنير بها الفكر الإنساني في شتى مجالات الحياة بصفة عامّة، وإحياء التراث العلميّ لعلماء الجزائر بصفة خاصة، وضمن هذا التوجه وأهميته تأتي الدراسة لتسلط الضوء على علم من أعلام الجزائر من خلال إسهامه في المجال القانوني. أمّا عن الإشكالية الموجهة لمسار الدراسة فيمكن صياغتها في الشكل الآتي: ما هي الآثار العملية والعلمية التي خلفها الشيخ امحمد بن سليمان بن بكير مطهري والتي تصلح بأن تكون محلّ إبراز إسهامه في المجال القانوني؟

كان ميلاد الشيخ امحمد بن سليمان بن بكير مطهري في سنة: 1333هـ/ 1915م بمليكة العليا ولاية غرداية، إذ يرجع نسبه إلى عشيرة بني مطهر، وقد نشأ في أحضان أسرة بسيطة معروفة بالتقوى والعلم، حيث كان والده عضواً في حلقة العزابة، ومرشداً في المسجد العتيق بمليكة العليا، ومن مؤسسي دار العلم فيها⁽¹⁾.

إنّ بروز شخصية الشيخ محمد بن سليمان مطهري في المجال القانوني يعود أساساً إلى البيئة العلمية التي تكوّن فيها، حيث تتلمذ على يد الشيخ القاضي يحيى بن صالح بن عبد الرحمن باعمارة⁽²⁾⁽¹⁾، والذي يُعتبر من أحد

1 - امحمد بن سليمان بن بكير المطهري المليكي (1419هـ/1999م): فتح المغيب في علوم الحديث، تح: أحمد بن حمو كروم، عمر بن أحمد بازين، ط1: غرداية، الجزائر: المطبعة العربية، ص: ك (المقدمة).

2 - يُعدّ يحيى بن صالح بن عبد الرحمن باعمارة من أحد أعلام بلدة مليكة بوادي مزاب، ولد فيها عام: 1284هـ/ 1867م، أخذ مبادئ العلوم الأولى في مسقط رأسه، ثمّ انتقل إلى بني يسجن فتتلمذ على يد قطب الأيّمة الشيخ اطفيش، وقد رغبه أستاذه في تولي مهمّة القضاء خلفاً للقاضي سليمان بن الشيخ عمر باعمارة، فعينّه الحاكم العامّ الفرنسي قاضياً بالمحكمة الشرعية الإباضية بمليكة بعد سنة: 1892م، وخلال سنة: 1896م عُيّن عضواً في مجلس الاستئناف بمسجد عمي سعيد، حيث ذُكر اسمه أوّل مرّة في سجلّات أحكام المجلس في نصّ الحكم المؤرخ يوم: الأحد 28 ربيع الأوّل 1314هـ/ 06 سبتمبر 1896م، ومكث في هذا المنصب نيّفاً وثلاثين عاماً؛ بناء على آخر نصّ حكم ذُكر فيه اسمه، والمُسجّل بتاريخ: 08 جمادى الثانية 1343هـ/ 04 جانفي 1925م. يُنظر: جمعية التراث. لجنة البحث العلمي (1421هـ/

أعمدة قضاة المجلس الشُّوري للاستئناف بوادي مزاب؛ إذ يصفه أستاذه الشَّيخ اطفَيْش في أوائل رسائله التي يبعثها له: « بالعالم العامل، القاضي بالحق، القاضي العادل، الحاكم بالشَّرع، المتوَّخي للعدل ووجهة نظر الإسلام والمذهب الإباضي في سائر أحكامه »⁽²⁾.

ولاشكَّ أنَّ الشَّيخ محمَّد بن سليمان مطهري قد تلقى من شيخه القاضي يحي باعمارة المبادئ الأساسية لعلم القانون، ممَّا أهله في مستقبل حياته إلى دخول هذا الميدان من أبوابه الثلاثة: القضاء والتَّشريع والفقه، فكانت بصمته واضحة في ذلك من خلال أعماله القانونيَّة وآثاره التي تركها.

كما أنَّ سفر الشَّيخ إلى تونس في وقت النُّهضة العلميَّة⁽³⁾ كان له أثر كبير في صقل شخصيَّته العلميَّة بصفة عامَّة وشخصيته القضائيَّة بصفة خاصَّة، وذلك باحتكاكه بعلماء إحدى حواضر العالم الإسلامي، فمنهم من تعلم منهم، ومنهم من قرأ عنهم، ممَّا زاد فكره تفتُّحاً، وعِلْمه توسُّعاً بانفتاحه على معارف الآخرين، والاستفادة من تجاربهم في شتَّى الميادين.

المبحث الأوَّل: إسهام الشَّيخ محمَّد بن سليمان مطهري في المجال القضائي.

الكلام عن إسهام الشَّيخ محمَّد بن سليمان مطهري في المجال القضائيّ يدفعنا -بداية - إلى عرض لمحة وجيزة عن تاريخ القضاء في الجزائر، حتَّى نُعطي للقارئ فكرة عن تطوُّر الجهاز القضائيّ الذي اشتغل فيه الشَّيخ لمُدَّة من الزمن.

إنَّ القضاء الذي عرفته الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسيّ كان متنوعاً حسب التَّركيبة المذهبيَّة للمجتمع الجزائريّ، حيث شكَّله المُحتل الفرنسيّ وفق نظامه القضائيّ، وهو متفرِّع على النُّحو الآتي:

- المحاكم الشرعيَّة المالكية.

2000م): معجم أعلام الإباضيَّة من القرن الأوَّل الهجريّ إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلاميّ، ط2؛ بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلاميّ، ترجمة رقم: 1002، ج2، ص459.

1 - المطهري: فتح المُغيث، ص: م (المقدِّمة).

2 - معجم أعلام الإباضيَّة، قسم المغرب الإسلاميّ، ترجمة رقم: 1002، ج2، ص459.

3 - المطهري: فتح المُغيث، ص: ن (المقدِّمة).

- المحاكم الشرعية الحنفية.

- المحاكم الشرعية الإباضية.

وقبل وصول الاحتلال الفرنسي إلى منطقة وادي مزاب بالجنوب الجزائري سنة: 1882م كان القضاء الشرعي الإباضي تحت سلطة حلقة العزابة⁽¹⁾؛ إذ كان على رأس كل قرية من قرى وادي مزاب أو أي تجمعات أخرى من الإباضية حلقة عزابة خاصة بها، ومن مهام شيخ العزابة في الحلقة النظر في جميع ما يُرفع إليه من خصومات وفق المذهب الإباضي؛ وذلك في صحن (ساحة) المسجد بين صلاتي الظهر والعصر، وبإجراءات تتسم بالبساطة لا تعقيد فيها، ولا يأخذ شيخ العزابة -مقابل مهامه التي أنيطت به في الحلقة -أي أجر من المتقاضين أو غيرهم⁽²⁾.

وبعد الإعلان الرسمي عن إلحاق مزاب بفرنسا سنة: 1299هـ / 1882م انتزع المحتل الفرنسي سلطة القضاء من يد حلقة العزابة، وأصدر في 07 نوفمبر 1882م أمرا يقضي بإحداث سبع محاكم شرعية إباضية، موزعة على قرى وادي

1 - «نظام العزابة، وحلقة العزابة، وهيئة العزابة، ومجلس العزابة، كلها مصطلحات تُستعمل في المراجع مترادفات، وفي أصلها تمثل مراحل تطور النظام. نظام العزابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب، أول من أنشأ هذا النظام هو: أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة: 409هـ / 1018م في وادي ريغ بالجنوب الجزائري (بلدة أعمار قرب مدينة تقرت حاليا). الولاية والبراءة... لا يزال قائما في وادي مزاب ووارجلان بالجزائر إلى يومنا هذا مع تطور في الشروط والمهام والعدد». مجموعة من الباحثين (1433هـ / 2012م)؛ «معجم مصطلحات الإباضية، ط2؛ سلطنة عُمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مادة: "عزب" ج2، ص652- 654.

2 - يوسف بن بكير الحاج سعيد: مقابلة مع الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، (وثيقة مرقونة) مؤرخة بالقرارة يوم: السبت 13 مارس 1971م، ص33 - يوسف بن بكير الحاج سعيد (1435هـ / 2014م)؛ تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3؛ غرداية: المطبعة العربية، ص30 - ناصر بلحاج (1433- 1434هـ / 2013- 2014م)؛ النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والثاسع عشر الميلاديين)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشور)، جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ص179.

مزاب، تتشكل من قاضي وعدلين، وعلى رأسها مجلس للاستئناف بغرداية، يتشكل من ثمانية أعضاء بما فيهم الكاتب (باش عدل)⁽¹⁾، ثم أتبع هذا الأمر بقرار 1 جانفي 1883م المتضمن تعيين قضاة المحاكم الشرعية الإباضية بوادي مزاب ونوابهم⁽²⁾، وقرار 28 فيفري 1883م المتضمن تعيين أعضاء مجلس الاستئناف بغرداية⁽³⁾.

وفي ظل تزايد سفر المزابيين إلى المدن الكبرى بالشمال الجزائري للاستزاق، بدأت المطالبة⁽⁴⁾ - في تلك المدن - بإنشاء محاكم شرعية إباضية خاصة بهم، وبفضل مساعي جدية من قبل السيد: صالح بن محمد أبو معقل الغرداوي⁽⁵⁾ أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية في يوم 29 ديسمبر 1890م مرسوماً

1- E. Zeys :**LÉGISLATION MOZABITE : Son Origine, Ses Sources, Son Présent, Son Avenir**, Alger, Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, Imprimeur-Libraire de L'Académie, 1886, p5 - Paul BACHMANN :**Condition des personnes En Algérie En Droit Français**, Thèse pour le Doctorat, Cession de Biens En Droit Romain, Université de France-Faculté de Droit de Nancy, 1894 ,
الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص116-171

2- **Acte de Nomination des Cadis et Assesseur à la Mahkama Ibhadite**, datant du 01 janvier 1883.

3- **BULLETIN OFFICIEL DU GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE**, Vingt-troisième Année 1883 :., Alger : Imprimerie De L'association Ouvrière, P. Fon'tana et G", 1884, p258-259.

4 -أصل هذه المطالبة هي: مُراسلة مؤرخة في: 28 جانفي 1884م بعثها جماعة بني مزاب إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر (TIRMAN). يُنظر:

Réponse de M. TIRMAN, Le Gouverneur Général de l'Algérie aux représentants de la Djemaâ des Beni-M'zab, domiciliés à Alger, rue de l'Etat-Major, 2. Le 7 février 1884- (anonyme) :

Correspondances Particulières, Journal des débats, dimanche 16 Mars 1884.

5- صالح بن محمد أبو معقل الغرداوي: (أوائل ق: 14هـ / 20م). من أعيان غرداية ورجالاتها العاملين، مثقف باللغتين العربية والفرنسية، تتلمذ على يد قطب الأئمة الشيخ اطفيش، بعد ذلك سافر إلى باريس ودرس الحقوق حتى بلغ درجة المحاماة، ومن مواقفه المشرفة السعي لدى السلطات الفرنسية لاعتماد شرح النبل في المحاكم، فترجم منه باب الوصايا إلى الفرنسية الأستاذ هوروا، وعلق على الترجمة الشيخ صالح نفسه، كما يرجع إليه

تقضي المادة الثانية منه بإنشاء ثلاث محاكم شرعية إباحية في كل من الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ومعسكر، تتشكل كل واحدة منها من قاض، وباش عدل واحد أو أكثر، وعدل واحد أو أكثر⁽¹⁾، ثم حوّلت -بعد ذلك- محكمة معسكر إلى مدينة وهران، بسبب انتقال المزابيين للعمل فيها بكثافة، وفي 26 فيفري 1891م أنشأ الحاكم العام الفرنسي بالجزائر -بموجب المادة الثانية من المرسوم السابق⁽²⁾ - محاكم شرعية إباحية فرعية بكل من: قصر البخاري، والأصنام (الشلف حاليا)، وتيارت وياتنة وسوق أهراس⁽³⁾، تشتمل كل واحدة منها على باش عدل واحد، وعدل واحد أو أكثر⁽⁴⁾.

وبالرجوع إلى المادة الأولى من المرسوم 29 ديسمبر 1890م نجد أن قضية هذه المحاكم⁽⁵⁾ يختصون بالنظر -فقط- في المنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والموارث⁽⁶⁾، وهذا خلافا للمحاكم الشرعية الإباحية بوادي

الفضل في اعتراف فرنسا بإنشاء محاكم إباحية في كل من الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ومعسكر. يُنظر: جمعية التراث. لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباحية، قسم المغرب الإسلامي، ترجمة رقم: 512، ج2، ص233.

1- **Bulletin Des Lois De La République Française**, Deuxième Semestre de 1890, Contenant :Les Lois et Décrets D'intérêt Public et Général, Publiés Depuis le 1er Juillet Jusqu'au 31 Décembre 1890, Partie Principale Tome Quarante et Unième, Paris, Imprimerie Nationale, p1590.

2- **Bulletin Des Lois De La République Française**, Deuxième Semestre de 1890, p1590.

3 - كلها مدن تقع في منطقة التل بالشمال الجزائري، موزعة بين غربه ووسطه وشرقه.

4 -حمو محمد عيسى الثوري (1984م): نبذة عن حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962م، د.ط: باريس: دار الكروان، ج1، ص338 - الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص166 - أحمد توفيق المدني (1984م): كتاب الجزائر، د.ط: الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص348.

5 -كما يمكن لهؤلاء القضاة -حسب الفقرة 3 من المادة: 52 للمرسوم 1889م -أن يقوموا بمهمة تصفية الحسابات بين المتعاملين، وتقسيم منقولات تركة المزابيين المقيمين خارج مزاب. يُنظر:

Bulletin Des Lois De La République Française, Deuxième Semestre de 1890, p1590.

6 -الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص166.

مزاب، فهي ذات ولاية أوسع، تختص بالنظر في جميع المنازعات، إلا التي لها طابع جنائي، كما هو منصوص عليه في المادة الخامسة من المرسوم 08 جانفي 1870م المتعلق بتنظيم عدالة المسلمين في الأقاليم الجزائرية، ما عدا التل والقبائل⁽¹⁾.

وقد تعاقب على الجهاز البشري لهذه المحاكم جملة من القضاة، وثقت لنا سجلات المحاكم والوثائق كثيرا من أسمائهم، فمن بينهم الشيخ محمد بن سليمان مطهري، والذي تولى مهمة القضاء بعد أن تدرج في السلم الوظيفي بين محكمة بريان ومحكمة غرداية، كما سنبينه في التفريع الآتي:

المطلب الأول: كاتب المحكمة (العدل).

قد يتطلب حسن سير القضاء إحاطة القاضي بعون يُساعده في عمله القضائي؛ كتسجيل الدعاوى، وتحضير استدعاءات الحضور وتوجيهها، وتقييد وقائع المحاكمة، وتوثيق العقود المختلفة، وبخاصة عند كثرة الخلافات، وتعدد النزاعات، التي تستدعي من القاضي بذل كل جهده في حلها، وعدم انشغاله بغيرها من الأعمال؛ ولأجل ذلك دأبت مختلف الأنظمة القضائية على تعيين كاتب ضبط يقف بجانب القاضي، حتى يُساعده على أداء عمله القضائي.

والكاتب على مستوى المحكمة الشرعية يُسمى بـ: "عدل"⁽²⁾ حيث يكتب تحت إملاء القاضي، ويختتم معه أو مع الباش عدل بصفته شاهدا، والأحكام الصادرة من المحاكم نجد أنها تُستهلّ -عادة- بعبارة: «ترافعوا أمام القاضي الواضع طابعه أعلى الرسم وخط يده أسفله، وبحضرة شاهديه العدلين»⁽³⁾ (أي نائب القاضي والكاتب)⁽⁴⁾.

1- Journal du Palais : Lois, Décrets, Règlements et instructions d'interet général suivis d'annotations, Année 1870, p768

2 - "عدل" هو: مصطلح تركي دخل مع الدولة العثمانية ويراد به: كاتب المحكمة. يُنظر: المدني: كتاب الجزائر، ص340، 341.

3 - يُقصد بعدليك: "باش عدل" نائب القاضي، و"عدل" كاتب المحكمة، جاء في "كتاب الجزائر": المحاكم الشرعية «يرأسها قاض ومعه باش عدل واحد أو عدة باش عدول، وعدل أو عدة عدول». المدني: كتاب الجزائر، ص338.

4 - يُنظر مثلاً: سجل أحكام المجلس الشوري (مجلس الاستئناف الشيخ عمي سعيد)، رقم: 1، أرشيف الموثق أميني مصطفى، غرداية، ص: 121، ص.م: 64.

وفي 24 أوت من سنة: 1946 باشر الشيخ امحمد بن سليمان مطهري مهامه كموظف بالمحكمة الشرعية الإباضية ببريان برتبة "عدل"، وفي سنة: 1949م حوّل بنفس الصفة إلى المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية بموجب قرار صدر من الحاكم العام الفرنسي بالجزائر في 30 مارس 1949⁽¹⁾، تولى خلالها مسك قلم المحكمة بكل جدية؛ وذلك لأهمية المهام التي يقوم بها أثناء سير المحاكمة، حيث رأت مختلف التشريعات القضائية أنّ الكاتب يُعتبر عنصراً أساسياً في تشكيل المحكمة؛ فلو فصلت المحكمة في الدعوى دون حضور الكاتب كان تشكيلها غير قانوني، وكل الأعمال التي تقوم بها، والأحكام التي تصدرها تقع باطلّة⁽²⁾.

أمّا عن مهام التي كان يقوم بها الشيخ امحمد بن سليمان مطهري بصفته كاتب المحكمة (عدل) فيمكن أن نستخلصها من خلال ما هو مدوّن في صفحات سجلات المحاكم⁽³⁾، وهي كالآتي:

1. تحرير وقائع جلسة المحاكمة: من تدوين أقوال الطرفين وأدلتهم، والشهادات التي يُدلي بها الشهود، ومنطوق الحكم المتوصل إليه وأسبابه، إلى غير ذلك من الأمور التي قد يطلب القاضي من الكاتب تقييدها في السجل، والتي تُشكل في مجموعها المادة الأساسية المكوّنة لسجلات أحكام المحاكم.
2. تحرير استدعاءات الحضور المطلوب تبليغها إلى الخصوم؛ حتّى يكونوا على علم باليوم الذي خصّه القاضي للنظر في خصوماتهم
3. تحرير مختلف العقود وتوثيقها؛ كعقد البيع والهبة والوصية والوقف، وتصفية التركات وتقسيمها

1 -Décret du 30 mars 1949 portant nomination dun adel

Par décret en date du 30 mars 1949, M. Methari Ba M'Hamed, adel à Berrian, est nommé sur sa demande, en la même qualité, à la mahakma ibadite de Ghardaia: journal Officiel De La République Française, Avril 1949, P3381.

2 -عبد الناصر موسى أبو البصل (2005م): أصول المحاكمات الشرعية ونظام القضاء الشرعي، ط1؛ عمّان -الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص69- عوض أحمد الزعبي (2006م): أصول المحاكمات المدنية (التنظيم القضائي -الاختصاص -التقاضي -الأحكام وطرق الطعن) دراسة مقارنة، ط2؛ عمّان -الأردن: دار وائل للنشر، ج1، ص113.

3 -ينظر مثلاً: سجلات أحكام المجلس الشوري الثمانية.

4. تحرير مختلف مرسلات القاضي، وبعثها إلى الجهات المعنية.

المطلب الثاني: نائب القاضي (باش عدل).

تتمثل مهمة باش عدل في نيابة القاضي حال غيابه بأي سبب من الأسباب، حيث يتولّى بنفسه جميع الاختصاصات المخوَّلة للقاضي؛ وذلك لضمان حسن سير العدالة، وعدم تعطيل مصالح الناس المختلفة، وبالرجوع إلى تواريخ بعض العقود المسجلة في المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية نلاحظ بأن الشيخ محمد بن سليمان مطهري تولّى نيابة القاضي حوالي سنة: 1957م بعد أن شغل منصب "عدل" في المحكمة نفسها.

وقد ذكر الشيخ في التّسجيل المصوّر⁽¹⁾ بأنّه في مشارف الاستقلال كان "باش عدل" بمحكمة غرداية تحت رئاسة القاضي باعلي واعمر علي بن بكير⁽²⁾، وفي دياجة العقود المسجلة بالمحكمة الشرعية الإباضية بغرداية إشارة إلى ذلك، كما في النماذج الآتية:

- «بالمحكمة الشرعية الإباضية بغرداية لدى "الباش عدل" بها مطهري الحاج محمد بن الحاج سليمان نائب الشيخ القاضي لاستراحته الواضع الخاتم أعلى الرسم وخطّ يده بمنتهاه»⁽³⁾.

- «بالمحكمة الشرعية الإباضية بغرداية لدى "الباش عدل" بها مطهري الحاج محمد بن الحاج سليمان نائب الشيخ القاضي لاستراحته الواضع الخاتم أعلاه»⁽⁴⁾.

1 - التّسجيل المصوّر مع الشيخ محمد بن سليمان مطهري، جمعية أبي اسحاق اطفيش لخدمة التراث غرداية، رقم الشّريط: 08، ج1.

2 - باعلي واعمر من العائلات معروفة في بلدة غرداية، ولد علي بن بكير عام: 1901م، وعُيّن يوم 18 جويلية 1953م قاضيا بالمحكمة الشرعية الإباضية بغرداية. يُنظر: الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص181.

3 - سجل المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية، عدد: 55، سجل: م، مؤرّخ يوم: 29 جوان 1957م.

4 - سجل المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية، عدد: 418، سجل: م، مؤرّخ يوم: 28 أكتوبر 1959م.

- «بالمحكمة الشرعية الإباضية بغرداية لدى قاضيها الكاتب باعلي واعمر علي بن بكير الواضع خاتمه أعلا الرّسم وخط يده بمنتهاه وبمحضر شهيده العدلين: (باش عدل) السيّد: مطهري الحاج محمد بن الحاج سليمان، وبوجناح سليمان بن يحي وفقهم الله»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: القاضي.

إنّ عمل الشيخ امحمد بن سليمان مطهري كنائب للقاضي أكسبه خبرة قضائية أهلته بأن يتولّى منصب القاضي بكلّ استحقاق، وقد عُيّن على رأس المحكمة الابتدائية بغرداية بموجب مرسوم وزاري مؤرخ في 9 ربيع الأوّل عام 1386 الموافق 28 يونيو سنة 1966م⁽²⁾، وذلك خلفا للقاضي باعلي واعمر بن بكير⁽³⁾، حيث بقي في هذا المنصب إلى أواسط سنة 1969م، ثم حوّل بعد ذلك بنفس الصّفة إلى المحكمة الابتدائية بسيدي بلعباس بناء على قرار من وزارة العدل مؤرخ في 8 جمادى الأولى عام: 1389 الموافق 22 يوليو سنة 1969م⁽⁴⁾.

وحركة نقل القاضي امحمد بن سليمان مطهري فيه دلالة واضحة على تمكّنه من العمل القضائي، ممّا استدعى الوزارة الوصيّة لنقله إلى إحدى المدن الكبرى بمنطقة الغرب في الشّمال الجزائريّ، على اعتبار أنّ القضايا القضائية التي تفرزها الحواضر الكبرى عادة ما تكون أكثر تعقيدا مقارنة بالحواضر الصغرى الصحراوية التي تتسم الحياة فيها بالبساطة، إلّا أنّ رغبة الشّيخ بالاستقرار في موطنه وتجنب مشاق الغربة بعد تقدّمه في السن دفعته إلى الاستقالة من منصب القاضي في السنة نفسها.

1 - سجل المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية، عدد: 55، سجل: 38، مؤرخ يوم: 04 فيفري 1963م.

2 - يُنظر: الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ: الثلاثاء 23 ربيع الأوّل عام 1386 الموافق 12 يوليو سنة: 1966، العدد: 59، ص 895.

3 - التّسجيل المصور مع الشّيخ محمد بن سليمان مطهري، رقم الشريط: 08، ج 1.

4 - يُنظر: الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ: الجمعة 25 جمادى الأولى عام 1389 الموافق 8 غشت سنة: 1969، العدد: 67، ص 94.

وفي التَّسْجِيل المصوَّر ذكر الشَّيْخ نماذج عن بعض القضايا التي فصل فيها، ويتعلَّق موضوع نزاعها بالعمران والأحوال الشخصية؛ إذ بيَّن من خلالها ما حباه الله تعالى من حكمة في حلِّ النِّزاع عن طريق دعوة الأطراف إلى الصلح والارتضاء به حكماً بدلاً من الحكم القضائي؛ لما في الصُّلح من خير عميم، والله تبارك وتعالى يقول: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)⁽¹⁾؛ وذلك بالقضاء على أسباب النِّزاع، وقطع حقد الخصام من جذوره⁽²⁾، جاء في كُتُب الفقه⁽³⁾ أَنَّهُ: إذا خَشِيَ أن يكون الفصل القضائي سبباً في تفاقم النِّزاع أو وقوع فتنة فإنَّ من الأولى على القاضي أن يأمر الخصوم بالصلح، حتَّى ولو ظهر له وجه الحقِّ في النِّزاع المعروض أمامه؛ لأنَّ المصلحة المرجوة من الفصل القضائي - في هذه الحالة - تكون أقلَّ من المفسدة الحاصلة منه؛ وعليه فيُرجَّح درء المفسدة على المصلحة المرجوحة بالصلح بين الخصوم.

أمَّا عن العقود التي كان الشَّيْخ يُسجِّلها في سِجَلَّات المحكمة بصفته "باش عدل" أو "قاضياً" فنلاحظ أَنَّهُ راعى في تحريرها أصول توثيق العقود المُتعارف عليها في الإجراءات التَّوثيقية، والتي أكَسبت محرَّراته الصَّيْغة الرُّسمية من حيث الثبوتية⁽⁴⁾، كما سنرى نموذجاً عن ذلك في مُحرَّر توثقي حرَّره الشَّيْخ بتاريخ: 29 جوان 1957م، عدد: 55⁽¹⁾.

1 - النِّساء: 128.

2 - التَّسْجِيل المصوَّر مع الشَّيْخ مُحَمَّد بن سليمان مطهري، رقم الشريط: 08، ج2.

3 - يُنظر: مُحَمَّد بن يوسف اطفيش (1392هـ / 1972م): شرح كتاب الثَّيْل وشفاء العليل، ط2؛ بيروت: دار الفتح، ج13، ص645 - إبراهيم بن مُحَمَّد بن فرحون المالكي (1423هـ / 2003م): تبصرة الحُكَّام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام، (طبعة خاصة)؛ الرياض - السَّعودية: دار عالم الكُتُب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ج1، ص34 - علي حيدر خواجه أمين أفندي (1441هـ / 2003م): ذُرر الحُكَّام شرح مجلة الأحكام، ط1؛ د.م: دار الجيل، ج4، ص658.

4 - أَكَّدَت المحكمة العليا على الصَّيْغة الرُّسمية للعقود التي كانت تحرَّر من قبل القُضاة الشَّرعيين في قرار رقم: 40097 المؤرخ في: 03 / 06 / 1989، والذي جاء فيه: " من المستقر عليه فقها وقضاء أنَّ العقود التي يحررها القضاة الشرعيون تكتسي نفس الطابع الرُّسمي التي تكتسيه العقود المحرَّرة من قبل الأعوان العموميين، وتعد عنواناً على صحة على

- 1 - ديباجة المُحرَّر: تتضمن الديباجة على البيانات الآتية:
 - تصدير المُحرَّر - في غالب الأعم - بالبسملة ثم حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله.
 - ذكر الجهة القضائية التي حرّرت العقد ومكانها.
 - ذكر اسم "القاضي" أو "الباش عدل" الذي تولّى تحرير العقد.
 - ذكر اسم العدلين (باش عدل، العدل) اللذين حضرا وقت تحرير العقد كشاهدين.
- 2 - وقائع المُحرَّر: تشتمل وقائع المُحرَّر على ما يأتي:
 - بيان أسماء أطراف العقد وألقابهم، وغالبا ما يُقرن ذلك بتحديد: سنة ميلادهم، وسكنهم، وعشيرتهم التي ينتسبون إليها أو فرقته وعرضهم، وهذا قصد حصول الإعلام، والتّمييز عن غيرهم.
 - ذكر أسماء وألقاب الوكلاء (النيابة في التّعاقّد) أطراف العقد إن وجدوا.
 - تحديد المعقود عليه ووصفه بدقّة؛ مثل: " قطعة أرض بيضاء في بئر انفوسي ناحية داد علي من أجنة مليكة، طولها من المشرق ب: احدى وعشرون ميتر، وعرضها من قبلة للجوف سبع عشرة ميتر، كيّلها مربعا: 320 ثلاثمائة وعشرون ميتر مربعا بذكرهم؛ لأنّ فيه انحرافا يقسمها المشترون كما سيذكر، ثمّ بعد ذلك يُشير إلى ما يحدّ الملكية - محلّ البيع - من الجهات الأربعة.
 - الإشارة إلى أنّ البيع قد انعقد بالتراضي بين أطرافه بعد معاينة العقار وقبض الثمن المتفق عليه، نحو: " وذلك بعد العلم والرؤية والقبول من كلّا الجانبين بثمان قدره ومنتهاه مائتان وخمسة وعشرون ألف فرنك نقدا، مقبوضا بيد البائع باعترافه، فبرئت من الثمن ذمة المشتري لهم براءة عامّة وتملكوا بالمبيع الثمّلک الثّام، وحازوه بالقبض".

ما يفرغ فيها من اتفاقات وما تنصّ عليه من تواريخ بحيث لا يمكن إثبات ما هو مغاير أو معاكس لفحواها".

1 - يُنظر: سجل المحكمة الشّرعية الإباضيّة بغرداية، عدد: 55، سجل: م، مؤرّخ يوم: 29 جوان 1957م.

- تحديد شروط البيع المُتَّفَق عليها بين الطرفين، ووجوب الالتزام بها إن وجدت، مثل: "إلا أن الواسط (الوكيل) شرط على البائع أنه إن خرج في المبيع خصام أو استحقاق، فإنه يضمن في ذلك ضمانه أداء وخسارة"

3 - خاتمة المُحرَّر: تضم الخاتمة البيانات الآتية:

- تقييد تاريخ إصدار المُحرَّر التَّوثِقيّ بشقيه الهجري والميلادي.
- إمضاء "القاضي" أو "الباش عدل" في أسفل المُحرَّر، مع وضع خاتم المحكمة في أعلاه.

- إمضاء أطراف العقد في أسفل المُحرَّر بعد تلاوته علي مسامعهم، كما تُبيِّنُه العبارة الآتية: "وذلك حسب إمضائهما أسفله بعد تلاوة الرِّسْم عليهما".
المبحث الثاني: إسهام الشيخ محمد بن سليمان مطهري في المجال التشريعي.

ذكر الشيخ في التَّسْجِيل المصور⁽¹⁾ أنه شارك مع ثلة من رجال الفقه والقانون في صياغة المشروع التَّمْهِيدي⁽²⁾ الخاص بتنظيم شؤون الأسرة في الجزائر بعد الاستقلال، وهذا في إطار حركة سنَّ قوانين الجمهورية وتنظيمها، والتي دعا إليها الرئيس الراحل هواري بومدين سنة: 1966م من خلال مجلس الثورة⁽³⁾، وذلك بقصد فك الارتباط عن التَّشْرِيعَات الفرنسيَّة⁽⁴⁾، والعمل على

- 1 - التَّسْجِيل المصور مع الشيخ محمد بن سليمان مطهري، رقم الشريط: 08، ج 1.
- 2 - عرفت الجزائر بعد الاستقلال عدَّة مشاريع لقانون الأسرة، منها مشروع: (1966 و 1973 و 1981). يُنظر: تشوار جيلالي: مقياس قانون الأسرة الجزائري، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بلقايد قاسم تلمسان، 2014 / 2015، ص 12.
- 3 - ذكر الشيخ محمد بن سليمان مطهري في التَّسْجِيل المصور بأنَّه: عندما عُيِّن في لجنة تحضير مشروع قانون الأسرة استخلف على إدارة شؤون المحكمة -التي انتهت مهامها فيها سنة: 1969م - القاضي باعلي واعمر علي بن بكير، وهذا ما يُرجَّح بأنَّ الشيخ شارك في اللُّجْنة الوطنيَّة لتحضير مشروع لقانون الأسرة لسنة: 1966م، وليس في اللُّجْنة الوطنيَّة للتَّشْرِيع التي أُنشئت بمقتضى مرسوم رقم: 73 - 147 المؤرَّخ في 11 رجب الموافق لـ: 10 غشت سنة: 1937م المتضمَّن إحداث اللُّجْنة الوطنيَّة للتَّشْرِيع، والصادر في الجريدة الرسميَّة بتاريخ: الثلاثاء 6 شعبان عام 1393 الموافق 4 سبتمبر سنة: 1973، العدد: 71، السنة العاشرة، ص 1097، ومن جانب آخر جاء في ترجمة الشيخ بأنَّه: "شارك في تحرير القانون المدني

سنّ تشريعات وطنية جديدة تكون أكثر ملائمة وتوافقا مع خصوصية الواقع الوطني، والهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

ولمّا عُيّن الشيخ -بتكليف وزاري- في لجنة تشريع قانون الأسرة سافر إلى الجزائر العاصمة واستقرّ فيها لمدة دامت حوالي ثلاثة سنوات، باشر فيها مهامه التشريعية بكلّ علم وإخلاص، حيث قال عن نفسه: «جاء أمر تعييني في اللجنة من الوزارة مباشرة، والحقيقة أنني كنت أهلا للمهمة، وبشهادة من كان معي، ولست أشكر نفسي أو أمدح فيها.... وإنما هي الحقيقة، ففي المجلس كان حوالي بضع وخمسين شخصا، وغالبا ما يعودون عندي عندما يشكل عليهم أمر، وخلال فترة تنظيم القوانين كنت مقيما بالعاصمة طوال تلك الفترة تقريبا»⁽²⁾.

ولعل حضور الشيخ في لجنة الصياغة⁽³⁾ بهذه الكفاءة العلمية قد أسهم ومن معه بقدر كبير في توجيه السياسة التشريعية لمعالم أول قانون للأسرة في الجزائر المستقلة⁽¹⁾؛ وذلك من عدة جوانب نذكر منها:

الجزائري بعد الاستقلال سنة: 1381هـ / 1962م، وهذه المعلومة التاريخية ينبغي أن تصحح على أساس أن الشيخ نفسه ذكر في التسجيل المصور أن عمله في اللجنة كان منصباً على الأحوال الشخصية، زيادة على أن القانون المدني الجزائري الصادر في سنة: 1975م تمّ تحضيره في إطار اللجنة الوطنية للتشريع المحدثّة في سنة: 1973م، والتي استمدت أغلب أحكامه من القانون المدني الفرنسي.

1 - جاء في المادة: 3 من المرسوم رقم: 73 - 147، وبالذات البند الأول منها ما يلي: «تحديد برنامج الأشغال التي يتعيّن عليها اتمامها في كلّ وزارة بقصد إعادة تأسيس التشريع، وذلك تطبيقاً للأمر رقم 73 - 29 المؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1393 الموافق 5 يوليو سنة 1973 والمتضمن إلغاء القانون رقم 62 - 157 المؤرخ في 31 ديسمبر سنة 1962 والرامي إلى تمديد مفعول التشريع النافذ لغاية 31 ديسمبر سنة 1962». الجريدة الرسمية، العدد: 71، ص1097.

2 - التسجيل المصور مع الشيخ محمد بن سليمان مطهري، رقم الشريط: 08، ج1.

3 - ذكر الشيخ محمد بن سليمان مطهري في التسجيل المصور أنه ساعده في هذه المهمة كممثل للفقهاء الإباضيّين شخصين وهما: السيّد بجّاح محمد بن باحمد، والسيّد تزيّنت يوسف. ينظر: التسجيل المصور مع الشيخ محمد بن سليمان مطهري، رقم الشريط: 08، ج1 - مطهري: فتح المغيبي في علوم الحديث، ص: ص (المقدمة).

المطلب الأول: تقرير الشريعة الإسلامية كمصدر مادي لقانون الأسرة الجزائري.

كل مطلع على أحكام قانون الأسرة الجزائري يلاحظ أن المشرع اعتمد في تقنينه على الشريعة الإسلامية دون اعتبار للنظريات القانونية والفلسفات الغربية، حيث جاء في ديباجة المشروع التمهيدي ما يأتي:

« اعتمدت اللجنة في وضع هذه النصوص على المصادر الأساسية التالية : القرآن الكريم، والسنة النبوية الثابتة ثبوتاً مقبولاً عند علماء الحديث، والإجماع والقياس والاجتهاد، وكذا اعتماد الفقه على المذاهب الأربعة وعلى غيرها في بعض المسائل».

وهذا يُعتبر انتصاراً على تيار الفكر التغريبي الذي كان يشكك بأن أحكام الشريعة الإسلامية لا تصلح بأن تكون قانوناً يمكن تطبيقه في الواقع العملي؛ كما هو الشأن مع القوانين الوضعية، وخاصة الدعوات المناهضة لأسلمة تقنين الأحوال الشخصية الصادرة من قبل الجمعيات النسوية الفرنكوفونية.

المطلب الثاني: عدم الاعتماد على مذهب معين في قانون الأسرة الجزائري من حيث التقنين والاجتهاد والتطبيق:

هذا التوجه التشريعي يُعتبر من المُميّزات التي يتميز بها قانون الأسرة الجزائري عن بعض التشريعات العربية المقارنة، والتي تظهر في المبادئ الآتية:

- مبدأ تعميم الشريعة الإسلامية في تقنين قانون الأسرة دون التقيّد بمذهب فقهي معين⁽²⁾؛ كالمذهب المالكي الذي يتبعه غالبية سُكّان الجزائر، فجُلّ

1 - بعد عدة مشاريع متراكمة لتنظيم شؤون الأسرة صدر أول قانون للأسرة في الجزائر يحمل رقم: 11/84 المؤرخ في 09 رمضان 1404هـ الموافق لـ 09 يونيو سنة 1984م والمتضمن قانون الأسرة، بعد ما كان الأمر متروك للاجتهاد القضائي.

2 - هناك من التشريعات العربية المقارنة من اعتمدت على مذهب معين في تقنين قانونها الأسري، وعلى سبيل المثال: اليمن: أصدر قرار مجلس النواب رقم: (17 - 5) لسنة: 1996م بالموافقة على القرار الجمهوري بالقانون رقم: (20) لسنة: 1992م بشأن الأحوال الشخصية والمعدل بالقانون رقم: (27) لسنة: 1998م والقانون رقم: (24) لسنة: 1999م والقانون رقم: (34) لسنة: 2003م، يعمل بالمذهب الزيدي - سلطنة عُمان: صدر قانون الأحوال الشخصية في سلطنة عمان بمرسوم سلطاني رقم: 97/32 بتاريخ 4 يونيو 1997م ويعمل بالراجح من

الآراء الفقهية للمذاهب الإسلامية حاضرة في النصوص التشريعية المنظمة لأحكام الأسرة الجزائري.

- مبدأ الرجوع إلى الشريعة الإسلامية في حالة عدم ورود النص التشريعي، دون الوقوف على مذهب فقهي معين، حيث ذكرت المادة: 222 من قانون الأسرة على أنه: «كل ما لم يرد النص عليه في هذا القانون يرجع فيه إلى أحكام الشريعة الإسلامية»⁽¹⁾، وعليه فدلالة عبارة: "الرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية" تُعطي الحق للقاضي -عند غياب النص التشريعي- بالرجوع لأي مذهب إسلامي يراه مناسباً في حل القضية الأسرية المرفوعة أمامه⁽²⁾.

- مبدأ عدم الأخذ بنظام الطوائف في العلاقات الأسرية⁽³⁾، وهو ما نصت عليه المادة الأولى من قانون الأسرة الجزائري: إذ جاء فيها: «تخضع جميع العلاقات بين أفراد الأسرة لأحكام هذا القانون»⁽⁴⁾، فنص هذه المادة يُشير إلى أن قانون الأسرة الجزائري يطبق من حيث علاقات الأشخاص الأسرية على كل الحاملين للجنسية الجزائرية بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية والمذهبية والفكرية.

المذهب الإباضي -قطر: صدر قانون الأسرة (22 / 2006) وقانون 1989/21 تنظيم الزواج من الأجانب وقانون الولاية على أموال القاصرين 2004/40، وصدرت الموافقة الرسمية من مجلس الشورى 2014م على قانون إجراءات التقاضي في مسائل الأسرة، ويعمل فيه بالمذهب الحنبلي.

1 -قانون رقم: 11/84 المؤرخ في 09 رمضان 1404هـ الموافق لـ 09 يونيو سنة 1984م يتضمن قانون الأسرة (المعدل والمتمم).

2 -وهذا خلاف لما ذهب إليه المشرع المغربي -مثلا -في نص المادة: 400 من مدونة الأسرة، حيث جعل المذهب المالكي المصدر الأساسي يرجع إليه القاضي في حالة عدم ورود النص؛ إذ جاء في نص المادة: 400 ما يلي: «كل ما لم يرد به نص في هذه المدونة يرجع فيه إلى المذهب المالكي...». يُنظر: القانون 03 -70 بمثابة مدونة الأسرة، الصادر في الجريدة الرسمية المغربية، عدد: 5184، بتاريخ 14 ذو الحجة 1424 الموافق 5 فبراير 2004، ص418.

3 -وهو نظام معمول به في دول الشرق الأوسط كلبان مثلا.

4 -قانون رقم: 11/84 المؤرخ في 09 رمضان 1404هـ الموافق لـ 09 يونيو سنة 1984م يتضمن قانون الأسرة (المعدل والمتمم).

المطلب الثالث: مجازاة قانون الأسرة الجزائريّ لأعراف المجتمع الجزائري:

يُلاحظ أيّ دارس لقانون الأسرة الجزائريّ أنّه لم يحد من دائرة ما درج عليه أفراد المجتمع من أعراف وتقالييد في العلاقات الأسريّة، حيث ترك لها المجال واسعاً للمُمارسة دون أن يخصّها بتشريع مُعيّن؛ وهذا لاختلافها من منطقة إلى أخرى، هذا جانب ومن جانب آخر نجد أنّ العرف يُعتبر مصدراً مادياً لبعض نصوص قانون الأسرة؛ كوجود كلمة: "الفاتحة" في المادة السادسة، والتي تدلّ في عرف المجتمع الجزائريّ على العقد الشرعيّ؛ إذ أُلّف النَّاس قراءة سورة الفاتحة بعد تمامه، ممّا يُعبّر عنه: "بالفاتحة".

المبحث الثالث: إسهام الشّيخ محمّد بن سليمان مطهريّ في المجال الفقهيّ.

يظهر إسهام الشّيخ محمّد بن سليمان مطهريّ في الجانب الفقهيّ القانونيّ من خلال إعدادهِ لدراسات وبحوث شملت عدّة فروع قانونيّة⁽¹⁾، نذكر منها ما يأتي:

المطلب الأوّل: المسائل التي فيها خلاف بين المالكية والإباضية في الأحوال الشخصية.

وهي دراسة فقهية تدخل في فرع قانون الأحوال الشخصية، حيث حاول الشّيخ أن يُبيّن من خلالها أهم المسائل التي حصل فيها خلاف بين المالكية والإباضية في هذا الفرع، وقد حصرها في ستّة وثلاثين مسألة موزّعة على الموضوعات الآتية: النكاح، الطلاق، العدة والحضانة والنفقة، الرضاع، اليتيم والوصي، الرشد، الولاية على اليتيم المهمل والمعتوه والمجنون والسفيه وأمثالهم، الوقف والحبس، الوصية، الشفّعة، الميراث⁽²⁾.

1- يُنظر مثلاً: جواب حول مسألة الطلاق بعيوب الفرج الطبيعيّة، جواب سؤال عن الغبن، جواب عمّن قسم ماله بين ورثته في حياته، جواب عن مسألة إلحاق الولد غير الشرعي بأبيه، جواب عن مسألة في الطلاق، جواب عن مسألة ميراث القاتل بغير عمد، حكم الإيلاء عند معشر الإباضية، نصوص في الوصية للوارث. كلّ هذه الدّراسات موجودة في خزّانة مطهريّ مفسّرة.

2 - يُنظر: محمّد بن سليمان مطهريّ: المسائل التي فيها الخلاف بين المالكية والإباضية في الأحوال الشخصية، خزّانة مطهريّ: 88 (مط/د 22).

أما عن المنهج الذي سلكه الشيخ في عرض هذه المسائل فيلاحظ أنه يبدأ أولاً بعرض رأي المذهب الإباضي في المسألة ثم يُعقِّبه -ثانياً- بعرض رأي المذهب المالكي مبيناً في الوقت نفسه وجه الخلاف بين المذهبين الإباضي والمالكي، مع الإشارة -في بعض الأحيان- إلى رأي المذاهب الأخرى من حيث الوفاق والخلاف.

المطلب الثاني: حكم القضاء بين الأقارب وغيرهم.

تتعلق هذه المسألة بأصول المحاكمات، وتقوم على إشكالية هل يجوز للقاضي أن يحكم في نزاع له علاقة قرابة مع أحد أطرافه؟ وقد استهل الشيخ تحرير المسألة بقوله: «لم يذكر الإباضية في أي كتاب أنه لا يجوز لقاض أن يحكم بين أقاربه وغيرهم مطلقاً»، ثم فصل في القول من خلال عرض بعض آراء علماء المذهب الإباضي بأن الحكم يدور مع عدل القاضي وجوداً وعدماً، فإن استطاع القاضي أن يحكم بين أطراف النزاع بالعدل جاز له ذلك، أما إن خاف الميل إلى قريبه فله رد الخصوم إلى غيره ليحكم بينهم بالعدل، ثم ختم عرضه ببيان رأي المذهب المالكي في المسألة استناداً إلى ما كتبه فقهاؤه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: دراسة قانونية وشرعية عن الملكية الخاصة.

الدراسة تعالج مسألة تندرج تحت القانون العقاري أحد فروع القانون المدني، يبدو أن الدافع الواقعي الذي دفع الشيخ لإعداد هذه الدراسة هو: تبني الجزائر بعد الاستقلال للفكر الاشتراكي في منظومته السياسية، والذي يُقدس الملكية الجماعية على حساب الملكية الفردية، حيث ظهرت ملامحه التشريعية جلية في قانون الثورة الزراعية الصادر سنة: 1970م.

والدراسة استفاضت في الكلام عن أحكام الملكية الخاصة في ستة مباحث⁽²⁾، فقد أتبع فيها الشيخ منهج المقارنة بين القانون والشرعية؛ حيث استعرض -

1 - يُنظر: محمد بن سليمان مطهري: حكم القاضي الذي يحكم بين أقاربه أو بينهم وغيرهم، خزنة مطهري: 77 (مط/ د41).

2 - وهي: الوظيفة الاجتماعية للملكية الخاصة، خصائص الملكية في القانون، نظرية الملكية، قيود الملكية، القيود الواردة على الملكية لمصلحة الغير مثل الحد الأدنى في الأجرة ونزع الملكية لمصلحة الغير، تحديد الملكية..

أولاً - رأي القانون في المسألة بالاستناد إلى مختلف التشريعات العربية المدنية⁽¹⁾، والتشريع المدني الفرنسي، ثم بين -ثانياً- رأي الشريعة في المسألة من خلال الأدلة الشرعية وآراء الفقهاء، وفي الأخير ختم الأمر بذكر نقاط الوفاق والاختلاف بين القانون والشريعة.

المطلب الرابع: صور من القتل الخطأ والعمد.

هذه الدراسة تتعلق بالقانون الجنائي، بنى الشيخ موضوعها على عشر صور من القتل، يبدو أنه استقاها من قضايا القتل التي كان يُستفتى فيها، وأغلب صورها في حوادث المرور، أولاً يعرض الشيخ واقعة القتل ثم ثانياً يقوم بتكييفها هل هي من قبيل القتل الخطأ أو العمد؟، مثل: امرأة طبخت حليباً فيه عقرب ولم تعلم، شخص يُسير سيارته بسرعة وتخطى الخط الأصفر (المستمر) فاصطدم بأخرى فمات فيها شخصان، شخص سكران بالخمير ساق شاحنة فقتل غيره.

وقد تعقّب ذلك باستعراض نصوص في أنواع القتل الخطأ والعمد من خلال كتب الفقه الإباضي، وكتاب التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة، وختمها ببيان رأيه في مسألة تكفل شركة التأمين بدفع دية القتل.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في العالم القانوني الذي أسهم فيه الشيخ محمد بن سليمان مطهري يمكن القول: إن تنوع المنهل التكويني للشيخ وتعدد مجالاته العلمية والاجتماعية أهله بأن يكون الرجل الكفاء في شتى الميادين التي أسهم فيها، وإذا خُصّ الكلام حول الميدان القانوني فإنّ تضلع الشيخ في أبعدياته يُثبت من خلال الآثار الآتية:

- مختلف القضايا التي فصل فيها، بصفته قاضياً أو باش عدل.
- مختلف العقود التي حرّرها، والتركات التي قام بتصفيتها، والمسجلة في سجلات المحكمة.
- السياسة التشريعية لقانون الأسرة الجزائري التي أسهم في وضع معالمها.
- الدراسات الفقهية التي أعدها في مختلف فروع القانون.

1 -وهي: المصري والسوري والعراقي واللبني والبناني.

ولا أخال بأن ما يُماثلُه من علماء الجنوب الجزائريّ لهم إسهام بيّن في مثل هذه المجالات القانونيّة، وقد تأتي فرصة أخرى لإبراز إسهامهم في مقالات أو بحوث علميّة.

هذا وقد بذلت في إعداد هذه المقالة العلميّة الجهد المستطاع، ولا أدعي فيه كمّالا ولا ما قاربه، أملي أنّي حقّقت به الهدف العلميّ المنشود، فما كان فيه من صواب؛ فمن الله ذي الفضل والمِنَّة، وما كان من زلل أو خطأ فمن نفسي والشيطان، والحمد لله أولاً وآخراً، مستلهمين رشدَه، ومستدريين فيض فتوحاته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- إبراهيم بن محمد بن فرحون المالكيّ (1423هـ / 2003م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام، (طبعة خاصّة): الرياض -السّعوديّة: دار عالم الكتب للطباعة والنّشر والتّوزيع.
- أحمد توفيق المدني (1984 م): كتاب الجزائر، د.ط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
- امحمد بن سليمان بن بكير المطهري المليكّي:
- فتح المغيبي في علوم الحديث، تح: أحمد بن حمّو كروم، عمر بن أحمد بازين، ط1؛ غرداية -الجزائر: المطبعة العربيّة، 1419هـ/1999م.
- المسائل التي فيها الخلاف بين المالكيّة والإباضيّة في الأحوال الشخصية، خزّانة مطهري: 88 (مط/د22).
- حكم القاضي الذي يحكم بين أقاربه أو بينهم وغيرهم، خزّانة مطهري: 77 (مط/د41).
- حمّو محمد عيسى النّوريّ (1984م): نبذة عن حياة المزابيين الدّينيّة والسياسيّة والعلميّة من سنة 1505م إلى 1962م، د.ط؛ باريس: دار الكروان.
- عبد النّاصر موسى أبو البصل (2005م): أصول المحاكمات الشّرعيّة ونظام القضاء الشّرعي، ط1؛ عمّان -الأردن: دار الثقافة للنّشر والتّوزيع.
- عليّ حيدر خواجه أمين أفندي (1441هـ / 2003م): دُرر الحُكّام شرح مجلة الأحكام، ط1؛ د.م: دار الجيل.
- عوض أحمد الرّعبي (2006م): أصول المحاكمات المدنيّة (التّظيم القضائيّ - الاختصاص -التّقاضي -الأحكام وطرق الطّعن) دراسة مقارنة، ط2؛ عمّان -الأردن: دار وائل للنّشر.

- محمد بن يوسف اطفيش (1392هـ / 1972م): شرح كتاب التَّيْل وشفاء العليل، ط2؛ بيروت: دارالفتح.
- مصطفى بن حمو أرشوم (1422هـ / 2002م): النِّكاح صحة وفساد وآثاره في المذهب الإباضي مقارنة بالمذاهب الإسلامية والقوانين الوضعية، ط1؛ سلطنة عُمان: مطابع النهضة.
- لجنة البحث العلمي (1421هـ / 2000م): معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، ط2؛ بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- مجموعة من الباحثين (1433هـ / 2012م): معجم مصطلحات الإباضية، ط2؛ سلطنة عُمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
- ناصر بلحاج (1433 - 1434هـ / 2013 - 2014م): النُّظم والقوانين العُرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، رسالة مُقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشور)، جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ.
- تشوار جيلالي (2014 / 2015): مقياس قانون الأسرة الجزائري، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
- يوسف بن بكير الحاج سعيد:
- مُقابلة مع الشَّيْخ إبراهيم بن عمر بيَّوض، (وثيقة مرقونة) مؤرخة بالقرارة يوم: السَّبْت 13 مارس 1971م.
 - تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3؛ غرداية: المطبعة العربية، 1435هـ / 2014.
- ثانيًا: الوثائق.
- سجل أحكام المجلس الشَّوْري (مجلس الاستئناف الشَّيْخ عمي سعيد)، رقم: 1، أرشيف الموثَّق أميني مصطفى، غرداية.
- سجل المحكمة الشَّرعية الإباضية بغرداية، عدد: 55، س:م، أرشيف الموثَّق أميني مصطفى، غرداية.
- سجل المحكمة الشَّرعية الإباضية بغرداية، عدد: 418، س:م، أرشيف الموثَّق أميني مصطفى، غرداية.
- سجل المحكمة الشَّرعية الإباضية بغرداية، عدد: 55، سجل: 38، أرشيف الموثَّق أميني مصطفى، غرداية.
- ثالثًا: التشريع.
- الجريدة الرسمية: الصادرة بتاريخ: الثلاثاء 23 ربيع الأوَّل عام 1386 الموافق 12 يوليو سنة: 1966، العدد: 59.

- **الجريدة الرسمية**: الصادرة بتاريخ: الجمعة 25 جمادى الأولى عام 1389 الموافق 8 غشت سنة: 1969، العدد: 67.
- **الجريدة الرسمية**: بتاريخ: الثلاثاء 6 شعبان عام 1393 الموافق 4 سبتمبر سنة: 1973، العدد: 71، السنة العاشرة.
- قانون رقم: 84/11 المؤرخ في 09 رمضان 1404 هـ الموافق لـ 09 يونيو سنة 1984م يتضمن قانون الأسرة (المعدل والمتمم).
- القانون 03 - 70 بمثابة مدونة الأسرة، الصادر في الجريدة الرسمية المغربية، عدد: 5184، بتاريخ 14 ذو الحجة 1424 الموافق 5 فبراير 2004.
- قرار رقم: 40097 المؤرخ في: 03 / 06 / 1989.

رابعاً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- **Acte de Nomination des Cadis et Assesseur à la Mahkama Ibadite**, datant du 01 janvier 1883.
- **BULLETIN OFFICIEL DU GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE**, Ving-troisième Année Imprimerie De L'association ;, Alger 1883 : L'ALGÉRIE, Ouvrière, P. Fontana et G", 1884.
- **Bulletin Des Lois De La République Française, Deuxième Semestre de Les Lois et Décrets D'intérêt Public et Général, 1890, Contenant Publiés Depuis le 1^{er} Juillet Jusqu'au 31 Décembre 1890, Partie Principale Tome Quarante et Unième, Paris, Imprimerie Nationale, LÉGISLATION MOZABITE : Son Origine, Ses Sources, Son :- E. Zeys Présent, Son Avenir, Alger, Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, Imprimeur-Libraire de L'Académie, 1886.**
- **Condition des personnes En Algérie En Droit :- Paul BACHMANN Français**, Thèse pour le Doctorat, Cession de Biens En Droit Romain, Université de France-Faculté de Droit de Nancy, 1894.
- Réponse de M. TIRMAN, Le Gouverneur Général de l'Algérie aux représentants de la Djemaâ des Beni-M'zab, domiciliés à Alger, rue de l'Etat-Major, 2. Le 7 **Correspondances Particulières**, Journal des débats, (anonyme) février 1884-dimanche 16 Mars 1884.
- **Journal du Palais : Lois, Décrets, Règlements et instructions d'intérêt général suivis d'annotations, Année 1870.**
- **journal Officiel De La République Française, Avril 1949.**



إسهام القواعد الفقهية في التأصيل الشرعي لأحكام دعوى التعويض في القانون المدني الجزائري

Contribution Of Jurisprudential Rules In The Legalization Of The Provisions Of The Claim For Compensation In The Algerian Civil Code

بوعلالة عمر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة أحمد دراية – أدرار

bouallala@univ-adrar.dz

تاريخ القبول: 2019-11-25

تاريخ الاستلام: 2019-07-10

الملخص -

تناول موضوع البحث عدداً من القواعد الفقهية النّاطمة لمسائل وأحكام دعوى التعويض في القانون المدني الجزائري، في محاولة لتقصّي مدى إمكانية توظيف هذه القواعد في مجال التأصيل الشرعي للمسائل والأحكام القانونية. وقد نتج عن دراسة هذا الموضوع كشف وإبراز لوجه من أوجه التطبيقات العلمية المتعددة للقواعد الفقهية، حيث تبين الأثر الواضح لهذه القواعد في تيسير عملية التأصيل الشرعي للأحكام القانونية الوضعية المعاصرة. ومن هنا يمثل هذا البحث دعوةً للاستنارة والاسترشاد بالقواعد الفقهية في التأصيل الشرعي لمختلف القضايا القانونية والحقوقية، باعتبارها تمثل التوجهات العامة للشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

الكلمات الدالة -

دعوى التعويض - القواعد الفقهية - المسؤولية - الضمان

Abstract -

The Subject Of The Research Dealt With A Number Of Jurisprudential Rules Governing The Issues And Provisions Of The Claim For Compensation In The Algerian Civil Code, In An Attempt To Investigate The Feasibility Of Using Jurisprudential Rules In The Field Of Legalization Of Legal Issues And Provisions.

The Study Concluded After Those Detectives In The Uncovering And Highlighting Of The Facets Of The Various Scientific Applications Of The Jurisprudential Rules. The Obvious Effect Of These Rules Is To Facilitate The Process Of Legalization Of Contemporary Legal Provisions.

Hence, This Research Is An Invitation To Enlighten And Guide The Jurisprudential Rules In The Legalization Of The Various Legal And Legal Issues, As They Represent The General Orientations Of Islamic Law For All Time And Place.

Key words -

Claims of compensation, jurisprudence rules, responsibility, guarantees

مقدمة -

لا يجادل أحد في ما تلاقيه الدراسات المقارنة بين الشريعة والقانون من صعوبات وعقبات على مستوى المنهج؛ أقصد منهج إدارة المقارنة، يتجلى ذلك من عدة مناح منها: تأصيل المسائل القانونية؛ الموضوعية منها والإجرائية. ومن خلال تعاملنا واحتكاكي مع القواعد الفقهية في بحثي للدكتوراه، تجمعت لدي مادة علمية طيبة، مكنتني من الوقوف على القيمة العلمية لهذه القواعد وسعة المجالات التطبيقية لها، فتولدت لدي فكرة البحث المتمثلة في محاولة تلمس الوظيفة الاستدلالية لهذه القواعد، من خلال إسقاط أحكامها على المسائل والفروع المشابهة في القانون المدني الجزائري.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في التساؤلين التاليين:

— ما مدى إسهام القواعد الفقهية في التأصيل الشرعي لأحكام دعوى التعويض المدنية؟

— وهل يمكن التعويل على هذه القواعد في إرساء دعائم المنهج الأمثل في الدراسات المقارنة بين الشريعة والقانون؟

ومن هذا المنطلق تقوم الخطة المقترحة لمعالجة الموضوع على تقسيم ثلاثي: مفهوم التعويض المدني (أولاً)، وإثبات المسؤولية في دعوى التعويض من قبل المدعي (ثانياً)، ونفي المسؤولية من جانب المدعى عليه (ثالثاً).

أهداف البحث

يحاول البحث:

- إبراز معالم دعوى التعويض المدنية في الفقه الإسلامي
- تأصيل مسائل وأحكام دعوى التعويض شرعاً، دفعا للمحاذير التي قد تثار حول الحكم الشرعي لأموال التعويض من حل وحرمة.

أولاً : ماهية التعويض

1 - مفهوم التعويض

1 - 1 - تعريف التعويض

أ- تعريف التعويض في اللغة

التعويض: من مشتقات مادة العَوْضُ. والعَوْضُ: البدل. تقول: عَضْتُ فلاناً وأَعْضْتُهُ وعَوْضْتُهُ إذا أعطيتَه بدل ما ذهب منه¹.

ب- تعريف التعويض في الاصطلاح الفقهي

التعويض مصطلح مستحدث، معناه مندرج في مفهوم "الضمان" عند الفقهاء القدامى. واختلف معنى الضمان عندهم؛ فمنهم من يستعمله بمعنى التعويض، وبعضهم يستعمله بمعنى الكفالة.

ويعرف الضمان بمعنى التعويض بأنه : "عبارة عن غرامة التألف"²، أو هو: "عبارة عن رد مثل الهالك أو قيمته"³، أو هو "واجب رد الشيء ، أو بدله بالمثل والقيمة"⁴.

وجاء في المادة 416 من مجلة الأحكام العدلية: " الضَّمَانُ هُوَ إعْطَاءُ مِثْلِ الشَّيْءِ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُثْلِيَّاتِ وَقِيَمَتِهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْقِيَمَاتِ"⁵.

والذي يظهر من خلال هذه التعريفات، هو أنه وإن كان التعويض مُتضمناً في مفهوم الضمان في اصطلاح الفقهاء المتقدمين، إلا أن ثمة فارق دقيق بينهما. فالضمان يعني مطلق الالتزام، أما الواجب في الضمان فهو التعويض؛ أي أن التعويض نتيجة للضمان⁶.

ومنهم -الفقهاء القدامى -من يفرق بين الضمان والتبعة، حيث يرون أن الضمان ما ضمنت من أموال الناس بالاعتماد، أما التبعة فهي ما لزم على غير تعمد من وجه الخطأ.

لأجل ذلك سعى الفقهاء المعاصرون إلى تحديد معنى التعويض، وتجريده من العموم الوارد في اصطلاح الفقهاء المتقدمين؛ فعرفوه بأنه "المال الذي يحكم به على من أوقع ضرراً على غيره، في نفس أو مال أو شرف"⁷.

ج- تعريف التعويض في القانون المدني الجزائري

لم يعرف القانون المدني الجزائري⁸ التعويض، ولم يضع رجال القانون -في حدود ما علمت - حداً معيناً له. لكن يفهم من كلامهم عند تناولهم جزاء المسؤولية، وعندما يتعرضون لبيان طريقة التعويض وتقدير، بأن التعويض يمكن تعريفه بالقول: "هو وسيلة القضاء في إزالة الضرر أو ترميم آثاره"، وهو "الجزاء الذي يترتب على قيام المسؤولية المدنية"، وبصيغة أشمل يمكن تعريف التعويض بأنه مقابل من جنس الضرر أو نقدي، يعادل المنفعة التي كان سينالها الدائن لو نفذ المدين التزامه على النحو الذي توجبه وتقتضيه الثقة في المعاملات".

1- 2- نوعا التعويض

يتخذ التعويض المدني صورتين اثنتين: التعويض العيني، والتعويض النقدي. ويُطلق على هذين النوعين في الفقه الإسلامي اصطلاحين قد يكونا الأقرب إلى الواقع والأصح دلالة؛ فالتعويض العيني يسميه الفقهاء التعويض المثلي أما التعويض النقدي فيطلقون عليه اسم التعويض القيمي.

أ- التعويض العيني (المثلي)

والمقصود به رد الحقوق بأعيانها، وهو ما يفهم من العبارة: ((على أنه يجوز للقاضي، تبعا للظروف وبناء على طلب المضرور، أن يأمر بإعادة الحال إلى ما كانت عليه)) في نص المادة 132 من ق.م.ج التي بيّنت كيفية التعويض.

كذلك يجد هذا النوع من التعويض سنده في المبدأ العام في الالتزام المقرر في نص المادة 164 من ق. م. ج ((يجبر المدين بعد إعداره طبقا للمادتين 180 و 181 على تنفيذ التزامه تنفيذا عينيا، متى كان ذلك ممكنا)).

ويُطلق الفقهاء على هذا النوع من التعويض رد المثل؛ إذ "يجب ضمان المثل باتفاق"⁹ عملا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة، 194]؛ وقوله أيضا: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى، 40]، وقوله ﷺ «طعام بطعام وإناء بإناء»¹⁰. وهو ما تضمنته القاعدة الفقهية: «على اليد ما أخذت حتى تؤدي»¹¹، التي تعنى أن من أخذ شيئا بغير حق كان ضامنا له ولا تبرأ ذمته حتى يرده.

ويحدد الفقهاء الأموال التي يقع فيها التعويض المثلي بأربعة فئات¹²:
المكيلات، والموزونات، والعدييات المتقاربة: وهي التي لا تتفاوت أحادها كالبيض والمصنوعات المتماثلة كالكوؤس والصحون¹³، وبعض أنواع الذرعات: وهي التي تباع بالذراع كالقطع الكبرى من المنسوجات الصوفية والقطنية والحريية¹⁴..

فالأموال المثلية تعوض بمثلها عند وجود المثل؛ وذلك تحقيقا لهدف التعويض وهو رد الحال إلى ما كان عليه، ولكن إذا تعذر وجود المثل ينتقل إلى القيمة تطبيقا للقاعدة الفقهية «إذا تعذر الأصل يُصار إلى البديل»¹⁵.

والتعذر الحاصل إما حقيقي مادي كفقْدان وجود المثل في السوق بعد البحث عنه، أو تعذر حكمي بأن يوجد بأكثر من ثمن المثل، وعندئذ ينتقل إلى التعويض النقدي (القيمي) وهو النوع الثاني من أنواع التعويض.

ب- التعويض النقدي (القيمي)

أفادت المادة 132 من القانون المدني الجزائري المشار إليها أعلاه، بأن التعويض يقدر بالنقد كأصل عام، خصوصا في المسؤولية التقصيرية.

وقد أوجب الفقهاء التعويض القيمي في الأموال القيمية؛ كالعروض التجارية والحيوان والعقار¹⁶ ونحوها مما لا مثيل له، في حالات ثلاث¹⁷:

الأولى: إذا كان الشيء غير مثلي كالحيوانات والدور، فلكل واحد منها قيمة تختلف عن الأخرى باختلاف الصفات المميزة لكل واحد، وإن وجد المثل فيها فإنه من قبيل الندرة، وفي هذه الحالة تكون القيمة هي الأفضل للتعويض.

الثانية: إذا كان الشيء المتضرر خليطاً مما هو مثلي بغير جنسه كالبر مع الشعير، ففوق الضرر في هذه الحالة يؤدي إلى استحالة المثلية للخليط، وبالتالي كانت القيمة هي الأسلم والأعدل للتعويض.

الثالثة: إذا كان الشيء المتضرر مثلياً وتعذر وجود مثله حقيقة أو حكماً، كما سبق بيانه.

2 - مقدار التعويض ووقت تقديره

2 - 1 - تقدير التعويض

القاعدة العامة في تعويض الأضرار الناشئة عن ضمان اليد (المسؤولية التقصيرية) هو المماثلة بين التعويض الضرر، أي أن التعويض يجب أن يكون جابراً لكل الضرر.

أما في ضمان العقد (المسؤولية العقدية) فلا يشترط التقيد بالمثل، وإنما ينفذ الشرط المتفق عليه قدر الإمكان وفقاً للقاعدة الفقهية « يلزم مراعاة الشرط قدر الإمكان »¹⁸.

والتمثال في الأموال المثلية يكون بجعل قدر التعويض مماثلاً للمال المتلف أو المتضرر جنساً ونوعاً وصفة وكمّاً. وفي الأموال القيمية يكون التعويض بقدر قيمة المال بواسطة أهل الخبرة والاختصاص بقيمة السوق. وتتحكم في مقدار التعويض قانونا قاعدتان:

أ - القاعدة الأولى: أن يكون التعويض مساوياً للضرر الواقع

تقوم هذه القاعدة على كون الضرر ناشئاً عن الضرر المباشر، هذا الضرر المباشر يشمل عنصرين: ما لحق الدائن (المضرور) من خسارة، وما فاتته من كسب (م/ 182 فقرة 1 ق.م.ج).

العنصر الأول: الخسارة اللاحقة بالمضرور

ويستلزم هذا العنصر ألا يكون مقدار التعويض أقل من الضرر الحاصل، فإذا كانت الخسارة واقعة في المثليات كان التعويض مثلياً، ولو كانت في القيميات كان التعويض مساوياً لقيمة المثل بحسب قيمته يوم غصبه أو إتلافه.

وقد بحث الفقهاء هذا العنصر بتداخلاته في سياق تفريعاتهم في حالات الضرر الحاصل عن حوادث الجروح التي قدروا لها أروشا¹⁹؛ ففرقوا بين حالتين:

- حالة الجراح التي تبرأ على غير شين: أي على غير تشوّه.

وقد اختلف فيها علماء المالكية إلى أقوال، لخصها الإمام الحطّاب في قوله: "... قال في الرسالة وما برئ على غير شين مما دون الموضحة فلا شيء فيه. قال الجزولي انظر أجرة الطبيب وثمان الرّزّاريع قيل على الجاني، وقيل لا شيء عليه، وهو ظاهر الكتاب. وقال الفاكهاني ظاهر الرسالة أنه لا يعطى أجرة الأدوية، ولم يقل به مالك، وقيل يعطى ما أنفقه من الأدوية قاله الفقهاء السبعة. قال ابن ناجي أراد الفاكهاني بقوله ولم يقل به مالك، أي لم يقل بأن الأجرة له بل قال مثل ظاهر كلام الرسالة..."²⁰.

وهو يقصد بـ"الرسالة" رسالة ابن أبي زيد القيرواني، التي جاء فيها: "وما بريء على غير شين مما دون الموضحة فلا شيء فيه"²¹.

فيتلخص من هذا أن الرأي الفقهي المالكي من التعويض عن الجرح إذا برئ الجرح وعاد لهيئته:

- أنه لا شيء فيه؛
- يعوض عن أجرة الطبيب والمداوي فقط؛
- يعوض على ما أنفقه من الدواء؛
- يعوض له أجرة الطبيب وثمان الرّزّاريع.

- أما الجراح التي تبرأ على شين ففيها حكومة؛ أي مال يحكم به القاضي بعد تقويم العين المجني عليها سالمة ومعيبة وينظر للفارق بين القيمتين فيحكم به على الجاني²².

العنصر الثاني: تفويت الكسب

حيث يراعى تعويض الضرر الناجم عن تعطيل المنفعة الحاصلة من العين المتضررة.

جاء في المدونة: "قلت: أرأيت لو أن رجلاً إكترى دابة يوماً فحبسها شهراً ماذا عليه؟ قال: عليه كراء يوم، ورب الدابة مخير في التسع والعشرين يوماً؛ إن شاء أخذ كراءها فيما حبسها فيه على قدر ما استعملها أو حبسها أياها بغير عمل، وإن شاء أخذ قيمتها من بعد اليوم الذي كان عليه بالكراء"²³.

ب- القاعدة الثانية : ألا يزيد مقدار التعويض عن الضرر الحاصل

تقتضي هذه القاعدة ألا يكون مقدار التعويض أكثر مما يلزم لجبر الضرر، لما فيه من إثراء المتضرر بغير سبب على حسب المسؤول، الأمر الذي يؤدي إلى ظلم المدين والإجحاف في حقه وإرهاقه.

وقد نص الفقهاء على ذلك في من "تعدى على ثوب شخص فأفسده إفسادا كثيرا بخرقه، أو شرمطته له، وأراد ربه أخذه مع أرش النقص، أو أفسده يسيرا فإنه يلزمه أن يرفوه [يعني يصلحه] ولو زاد على قيمته، ثم يأخذه صاحبه بعد الرفو ويأخذ أرش النقص بعد الرفو إن حصل بعده نقص، والحاصل أن الجاني يلزمه شيئان الرفو، وأرش النقص بعد الرفو لا أرشه قبله إذ هو كثير ففيه ظلم على الجاني"²⁴، "وإذا غصب ثوبا وصبغه خيّر ربه بين أخذ قيمة الثوب أبيض، أو يأخذ الثوب ويغرم قيمة الصبغ"²⁵.

والقول بأن التعويض على قدر الضرر، يقتضي أن التعويض يكون مساويا للضرر الحاصل. فلا يختلف (يزيد أو ينقص) باعتبار المركز المالي والاجتماعي للدائن (الشخص المتضرر)، وفقا للقاعدة: «العبرة بحالها» يعني العين المغصوبة أو المتلفة لا بحال مالكها»²⁶، و"لأن تقدير المتلفات لا يختلف باختلاف الناس، إنما يختلف بالبلاد والأزمان"²⁷.

2 - 2- وقت تقدير التعويض

تكتسي معرفة وقت تقدير التعويض أهمية بالغة؛ لأن قيم الأشياء وأثمانها تختلف من وقت لآخر ارتفاعا وانخفاضا. ويتبين من خلال المعالجة الفقهية لهذه المسألة، أن هذا الوقت يتأرجح بين محددين زمنيين اثنين: وقت وقوع الضرر، ووقت الحكم على المسؤول عن الضرر.

أ- وقت وقوع الضرر

يختلف الوقت هنا بين حالتي الغصب والإتلاف. فالتعويض (الضمان) على الغاصب يُقدر يوم الغصب²⁸، أي المعيار في تحديد التعويض عن العين المغصوبة يكون بقيمة العين يوم غصبها.

وأما المتلف فيقدر التعويض فيه بقيمته يوم إتلافه أو استهلاكه أو قبضه؛ كما في الخياط يضمن قيمة الثياب يوم قبضها²⁹.

ب- وقت الحكم على المسؤول عن الضرر

والعمل بهذا الوقت يكثر عند الفقهاء في مسائل الجروح؛ إذ "أن المجروح خطأ لا يعقل جرحه حتى يبرأ؛ وذلك إن أخذ دية جرحه قبل البرء ربما ترامى إلى ما هو أكثر منه فيحتاج إلى تكرار الحكم والاجتهاد، وربما انتقل أرش الجناية عن الجاني إلى العاقلة، بأن يكون إرش الجناية الأولى أقل من الثلث فيكون في مال الجاني".³⁰

فعند البرء يكون الحكم وتقدير التعويض، إذ أن الجروح والإصابات الجسدية قد تتفاقم مع مرور الوقت، أو تترتب عن العلاج مضاعفات، فوجب انتظار البرء حتى يتم التقير. وهو ما يستفاد من حكم القاعدة الفقهية «العدل واجب في كل حال»³¹، ومن العدل اعتبار الوضعية النهائية للمتضرر، كي يتم تعويضه عن الضرر كاملاً.

ثانياً: إثبات المسؤولية في دعوى التعويض

الأساس في التعويض - كما هو معلوم - هو المسؤولية. والمسؤولية تختلف أنواعها وأشكالها، ومن أشهر أنواعها: المسؤولية المدنية والتي تبرز عند حدوث ضرر يصيب الفرد. ويقسم علماء القانون المدني المسؤولية المدنية إلى قسمين: مسؤولية عقدية، ومسؤولية تقصيرية.

ويشمل التعويض جبر الأضرار - أو بمعنى أدق الالتزام بجبر الأضرار - الواقعة على النفس الإنسانية، مادية كانت أم معنوية، وكذلك يشمل الأموال وكل ما يقع في نطاق المسؤولية التقصيرية، والأضرار المالية ضمن العقود المندرجة ضمن المسؤولية العقدية.

وقد حددت المادة 124 من ق.م.ج أركان المسؤولية في دعوى التعويض بثلاثة: الخطأ، والضرر. والعلاقة السببية بين الخطأ والضرر، حيث جاء فيها: ((كل عمل أيا كان، يرتكبه الشخص ويسبب ضرراً للغير يلزم من كان سبباً في حدوثه بالتعويض)).

وهي نفس الأركان في دعوى الضمان في الفقه الإسلامي، بمصطلحات مختلفة نوعاً ما: الاعتداء، والضرر، والرابطة بين الاعتداء والضرر (تسبباً أو مباشرة)

وهو ما تضمنته القاعدة التي وضعها ابن جزي: « كل من فعل ما يجوز له فعله فتولد منه تلف لم يضمن، فإن قصد أن يفعل الجائز فأخطأ ففعل غيره أو جاوز فيه الحد أو قصر فيه عن الحد فتولد منه تلف يضمنه، وكل ما خرج عن هذا الأصل فهو مردود إليه »³².

ويقع عبء إثبات أركان المسؤولية في دعوى التعويض، أو إثبات بعضها على المدعى. ويكون ذلك بطرق الإثبات المعروفة: الإثبات بالكتابة، وشهادة الشهود، والإقرار، واليمين، والخبرة القرائن. فالقاعدة أن « البينة على المدعي »، والمراد بالبينة الحجة والدليل والبرهان مفردة ومجموعة³³.

1 - الإثبات بالكتابة

ويقصد بها الأوراق والمستندات الرسمية (م: 324 مكرر 324،5 مكرر 324،6 مكرر 7 ق.م.ج)، والعرفية ذات الدلالة القاطعة المتفق عليها بين جميع الأطراف، بما في ذلك الكتابة في الشكل الإلكتروني (م/323 مكرر 1 ق.م.ج).

ولا شك أن الإلزام بتوثيق العقود والتصرفات الهامة في الدوائر الرسمية الحكومية مصلحة معتبرة، باعتبار أنها أصبحت حديثا من أقوى طرق الإثبات على مستوى المسؤولية المدنية؛ فـ « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ».

وقد أفادت العديد من القواعد الفقهية على أن الكتابات الموثقة للعقود والتصرفات تكتسي أهمية بالغة في الشريعة الإسلامية، تقوم عليها صيانة الحقوق وضمانها. من ذلك قاعدة: « الكتاب كالخطاب »³⁴، وقاعدة: « الإقرار بالكتابة كالإقرار باللسان »³⁵... وغيرها من القواعد التي تقر بأن المكتوب يعطى حكم الملفوظ، وأن الخط الظاهر المعنون باسم كاتبه واسم المكتوب إليه (الكتاب) هو كالخطاب باللسان من الحاضر " فإن الخط دال على اللفظ، واللفظ دال على القصد والإرادة"³⁶.

2 - شهادة الشهود

الشهادة: إخبار بحق للغير على الآخر³⁷، مأخوذة من الشهود أي الحضور والمعاينة، لأن الشاهد مشاهد لما غاب عن غيره. والشهود: جمع شاهد وأيضا مصدر وهو عند أهل الحقيقة رؤية الحق بالحق³⁸.

وتعد شهادة الشهود من الطرق القوية في إثبات المسؤولية في الشريعة الإسلامية؛ فهي دليل حاسم في إثبات الحقوق والتعريف بها قال تعالى:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ^ط فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى^ج وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا^ج وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ^ج ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا^ط﴾ [البقرة، 282]، كما أوجب الشرع المبادرة والأمانة في أدائها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَاثِمٌ قَلْبُهُ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^ط﴾ [البقرة، 283].

والشهادة في المسؤولية العقدية تكون بشهود معلومين يشهدون على بنود العقد وشروطه ووقت الاتفاق عليه، فأي إخلال بالتزام في العقد فالشهود لهم الدور الحاسم في إثبات كل مخالفة. أما في المسؤولية التقصيرية فإنها تستلزم المعاينة وقت حدوث الضرر أو التعدي، إذ أن ركن الخطأ في الغالب يكون أفعالا مادية لا تتيح للمدعي إثباته كتابة؛ فلا مناص من الشهود.

والشهادة في القانون المدني تكاد تتطابق مع الشهادة في الشريعة الإسلامية، وقد اتسع مجال الشهادة وأهميتها في القضاء وصار يوفر للشهود الحصانة والحماية مع الحرص على توافر الشروط بهم، وعدم تنازع المصالح لديهم ابتعادا عن شهادة الزور.

كذلك اهتم الفقهاء بوضع قواعد محكمة تحيط بكافة متعلقات الشهادة التي تثبت بها الحقوق، تحصينا لها من القوادح، وصيانة للحقوق والأعراض. أهم تلك القواعد: « شهادة المسلمين حجة تامة على جماعة المسلمين »³⁹، وقاعدة: « شهادة الرجلين العدلين حجة كاملة يجوز الإثبات بها في جميع الحقوق »⁴⁰، وقاعدة: « كل ما تعذرت مشاهدته أو مشاهدة أسبابه جازت الشهادة فيه بالاستفاضة »⁴¹... وغيرها.

3- الإقرار

الإقرار لغة: الاعتراف، وفي الشرع: " إخبار بحق الآخر عليه "⁴².

وعرفت المادة 341 من ق.م.ج الإقرار بقولها: ((الإقرار هو اعتراف الخصم أمام القضاء بواقعة قانونية مدعى بها عليه وذلك أثناء السير في الدعوى المتعلقة بها الواقعة)).

ويعتبر إقرار المرء على نفسه أقوى من الشهادة، وهو كما يقال سيد الأدلة.. وأي شهادة أثبت على الإنسان من شهادة لسانه، جاء في تبصرة الحكام: " قال ابن راشد: حقيقة الإقرار الإخبار عن أمر يتعلق به حق للغير، وحكمه اللزوم وهو أبلغ من الشهادة"⁴³، ولو لم يكن الإقرار حجة لما ثبت إسلام لمسلم ولا كفر على كافر ولا حق على أحد. والإقرار ينهي كل طرق الإثبات الأخرى في مسألة التعويض إذ لا حاجة بعد قيام الحجة على المدعى عليه بلسانه؛ فالقاعدة تنص على أن « المرء مؤاخذ بإقراره »⁴⁴، وأن « الإقرار في الصحة نافذ صحيح »⁴⁵، وأن « كل من أقر على نفسه بشيء لغيره ثم بدا له وأقام البيّنة على ما يدعيه بإقراره أعمل من البيّنة »⁴⁶.

وللقاضي استفسار المدعى عليه واستجوابه لإثبات الدعوى؛ لأن « الإقرار حجة قاصرة »⁴⁷. وقد يكون في ذلك الاستجواب الاعتراف أو الإشارة إلى وقائع معينة تفيد القاضي في التحقق من قيام علاقة السببية بين الخطأ والضرر أو نفيها.

4- اليمين

اليمين في اللغة: القوة. وأطلقت على الحلف مجازاً شرعياً؛ بتقوية أحد طريقي الخبر بذكر الله تعالى⁴⁸، بمعنى آخر: تأكيد الشيء وتقويته باسم من أسماء الله تعالى أو بصفة من صفاته. واليمين قانوناً وسيلة إثبات يلجأ إليها الخصم الذي عجز عن إثبات ما يدعيه، وفيها يحتكم إلى ضمير وذمة خصمه، وتتضمن الاستشهاد بالله تعالى على قوله الصدق.

ويعتبر القانون المدني هذا الطريق من طرق الإثبات القوية، ويطلق عليها اليمين الحاسمة (المادتين: 343 و344 ق.م.ج). فإذا حلف اليمين من وجهته إليه، وتضمن اليمين إقراراً بالحق للمدعي به، حكم القاضي بقبول الدعوى استناداً إلى إقرار الحالف.

وقد أسهب الفقهاء في الكلام عن ألفاظ اليمين وأوصافها، والنكول عن اليمين وردّها، وذلك لحساسية هذه الطريقة في إثبات الحقوق إذ هي إشهاد بلفظ

الخالق على قوله، وقعدوا قواعد تجمع أحكامها؛ من بينها قاعدة: «اليمين حجة من يشهد له الظاهر»⁴⁹، وقاعدة «كل ما يصح فيه الإقرار تتوجه فيه اليمين»⁵⁰، وأيضا قاعدة: «كل بيّنة شهدت بظاهر، فإنه يستظهر بيمين الطالب على باطن الأمر»⁵¹.

5- القرائن والخبرة

أ- القرائن

القرائن: جمع قرينة، ومعناها: النتائج التي يستخلصها القاضي ويحكم بثبوتها من وقائع أو أمارات معلومة ومعمّولة عليه لإثبات الواقعة المتنازع فيها، وهي على قسمين: قرينة قاطعة قوية ظاهرة عرفت المادة (1741) من مجلة الأحكام العدلية: ((القرينة القاطعة هي الأمانة البالغة حدّ اليقين)). وقرينة غير قاطعة ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها وحدها في ترتيب الحكم عليها بل لا بد من ضمها إلى الدليل أو اجتماعها مع قرائن أخرى لتكتسب الحجية.

وقد حددت المادة 340 من ق.م.ج مجال الإثبات بالقرائن في عباراتها: ((لا يجوز الإثبات بهذه القرائن إلا في الأحوال التي يجيز فيها القانون الإثبات بالبيّنة))، بعدما أجازت للقاضي اللجوء إليها عند انعدام الأدلة أو عدم كفايتها بقولها: ((يترك للقاضي استنباط كل قرينة لم يقررها القانون)). فقد يبني حكمه عليها متى اقتنع بثبوتها، وقد يُعرض عنها إذا قدر أنها غير منتجة في الإثبات.

لكن بفضل التقدم العلمي وظهور تقنيات علمية متطورة، كالتحليل الإشعاعي، وتحليل الدم، والبصمة الوراثية.. التي تصل نتائجها إلى اليقين أو تكاد، ازدادت أهمية ودور القرائن المختلفة في منظومة الإثبات القضائية؛ بل أضحت - بلا شك - مقدمة على كثير من طرق الإثبات وراجحة عليها.

والفقهاء -رحمهم الله - توسعوا في مجال «الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البيّنات»⁵² على أساس أنها إن لم تُقدّم علما قاطعا، أفادت ظنا راجحا، وأن "الحاكم (القاضي) إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال، ومعرفة شواهد، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقيه في جزئيات وكلّيات الأحكام أضع حقوقا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه ولا يشكون فيه"⁵³.

وكننتيجة لذلك رأينا مؤلفاتهم زاخرة بالعديد من القواعد الفقهية التي تضبط منهج إعمال القرائن في مجال الإثبات، من بين هذه القواعد: «القرينة القاطعة أحد أسباب الحكم»⁵⁴، وقاعدة «الثابت بظاهر الحال كالثابت بالبينة عند عدم البينة»، وقاعدة « دليل الشيء في الأمور الباطنة يقوم مقامه»⁵⁵، وقاعدة « القرائن إذا انضمت إلى الضعيف أحقته بالقوي »⁵⁶... وغيرها.

ب- الخبرة

الخبرة: العلم بالشيء. يقال: خَبَرَ الأمر إذا عرفه على حقيقته، وفي التنزيل: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر، 14].

والخبرة كوسيلة إثبات، أداة فنية يستعين بها القاضي في مسائل يفترض عدم إلمامه بها، أو يلجأ إليها الخصم عند الخشية من ضياع معالم واضحة لها الأثر الفعال في إثبات دعواه، وتقييم الضرر الحاصل على إثر الدعوى المرفوعة، للتغلب على الصعوبات العلمية أو الفنية التي تتعلق بوقائع النزاع المعروض. ويتم ذلك بأن يأمر القاضي أشخاص مختصين بمعاينة الضرر في موقع الحادثة، ولكل واقعة يأمر القاضي أصحاب المهنة والدراية العدول (المحلفين بالمصطلح القانوني) بمشاهدة الواقعة عن كثب ثم رفع مشاهداتهم ويقررون مقدار التعويض المناسب في الدعوى.

وقد أقرّ الفقه الإسلامي الرجوع للخبرة في مسائل عديدة ومجالات متعددة، مثل بيان العيوب غير الظاهرة في الرجال والنساء؛ من ثيوبه أو بكاره، أو عنة أو جباً... جاء في شرح النيل: "من أعطى حياكا غزلا يعمل له ثوبا فخرج رديئا فإن عدول الصنعة ينظرونه".⁵⁷

وكثيرة هي المسائل التي يحيلها الفقهاء للخبرة، وفقا للقاعدة الفقهية: « كل من يستعين به القاضي على قضائه أو مشورته لا يكون إلا ثقة مأمونا»⁵⁸، وقاعدة: « المرجع في كل شيء إلى الصالحين من أهل الخبرة به »⁵⁹.

ثالثاً: نفي المسؤولية من جانب المدعى عليه

من لوازم السير الحسن للعدالة، تمكين القضاء المدعى عليه حق نفي المسؤولية والتخلص من عهدها، بعد رفع المدعي دعواه على المدعي. وبما أن المسؤولية تثبت بأركانها الثلاثة، فإنها تنتفي بانتفاء أركانها، والتفصيل:

1 - انتفاء الخطأ

يعرف الخطأ بأنه انحراف في سلوك الشخص مع إدراكه لهذا الانحراف⁶⁰.
ويظهر من التعريف أن الخطأ يقوم على ركنين:

ركن مادي وهو التعدي: ومعناه الانحراف في السلوك المألوف للشخص العادي، سواء بمسلك إيجابي أو سلبي يؤدي إلى الإصرار بالآخرين. والاعتداء شرعا تجاوز الحد، ويراد به عند الفقهاء الظلم والعدوان ومجاوزة الحق. وضابطه: هو انحراف عن السلوك المألوف للرجل المعتاد، أو إنه العمل الضار بدون حق أو جواز شرعي.

وإطلاق "الاعتداء" في الشرع يوحي أنه عمل غير مباح ولا مأذون به كما في حالة الدفاع الشرعي عن النفس أو المال أو العرض، أو كان ناتجا عن استعمال أو ممارسة الحق دون تعسف، فإن الفعل لا يكون مستوجبا لضمان المال أو النفس، عملا بالقاعدة الفقهية: « الجواز الشرعي يناهض الضمان ».

ركن معنوي : ويقصد به أن يكون الشخص مدركا لهذا الانحراف الذي قام به، سواء وقع منه بقصد أو بغير قصد، وأنه أتى تصرفا ما كان عليه أن يرتكبه، وهو مرتبط بتمييز الشخص؛ ليكون مدركا بمعنى الإخلال بالواجب.

وينتفي الخطأ (الخطأ الشخصي) قانونا في حالات ثلاثة:

حالة الدفاع الشرعي: عدت المادة 128 ق.م.ج الدفاع الشرعي عن الاعتداء الذي يهدد الشخص في نفسه أو ماله، أو يهدد غيره من أسباب الإباحة التي تجعل العمل مشروعاً لا تترتب عليه مسؤولية فاعله، إذ نصت: ((من أحدث ضرراً وهو في حالة دفاع شرعي عن نفسه ، أو عن ماله، أو عن نفس الغير، أو عن ماله، كان غير مسؤول، على ألا يجاوز في دفاعه القدر الضروري)).

ولا خلاف بين فقهاء الشريعة الإسلامية، في أن مواجهة فعل المعتدي مشروعة لا مسؤولية فيها؛ بل هي واجبة في حالة الدفاع عن النفس، ودفع الصائل من البشر أو العجماء إن خاف على نفسه الهلاك، لكن مع ذلك يؤمر بالتدرج في الدفاع، فما يدفع بالقول لا يجوز دفعه بالضرب، عملاً بالقاعدة الفقهية: « الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف ».

حالة تنفيذ أوامر الرئيس: فتنتفي مسؤولية الموظف الذي قام بتنفيذ الأمر الذي ألحق الضرر؛ ولا يُكَيَّف فعله هذا على أنه خطأ، مما يجعل هذا الفعل

(المتعدي) في هذه الحالة مشروعا إذا توفرت الشروط القانونية المتضمنة في نص المادة 129 ق.م.ج ((لا يكون الموظفون والأعوان العموميون مسؤولين شخصيا عن أفعالهم التي أضرت بالغير إذا قاموا بها تنفيذا لأوامر صدرت إليهم من رئيس، متى كانت إطاعة هذه الأوامر واجبة عليهم)) .

وأوسع من هذا نص الفقهاء على أن من كان مأذونا له من صاحب الأمر كـ " مؤدب الأطفال يأذن له الولي في التأديب، والحاكم (القاضي) يقيم الحد على مستوجبه فيموت فلا ضمان على واحد من هؤلاء.."⁶¹؛ لأن « الجواز الشرعي ينافي الضمان ». ويشمل ذلك أيضا حالة الطبيب والجراح والحجّام والختان والبيطار... إذ أن عملهم يتطلب بذل عناية لا تحقيق غاية، وهم يقومون بعملهم كالاعتاد مع ظنهم السلامة، فإن سرى عملهم إلى تلف فلا ضمان عليهم لأن ليس في وسعهم الاحتراز عن ذلك⁶².

حالة الضرورة: وقد نصت عليها المادة 130 من ق.م.ج ((من سبب ضررا للغير ليتفادى ضررا أكبر، محدقا به أو بغيره، لا يكون ملزما إلا بالتعويض الذي يراه القاضي مناسبا)) .

والضرورة " أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال وتوابعها، ويتعين أو يباح عندئذ ارتكاب الحرام أو ترك الواجب، أو تأخيرته عن وقته دفعا للضرر عنه في غالب ظنه، ضمن قيود الشرع"⁶³. والاضطرار : هو دفع الإنسان إلى ما يضره أو حمّله عليه، أو إلجاؤه إليه⁶⁴.

وحكم الضرورة هو إباحة المحظور وفقا للقاعدة الفقهية: «الضرورات تبيح المحظورات»، وعلى هذا فالاضطرار يعفي من تبعة الاعتداء على حق الغير، وبالتالي ينفي المسؤولية التي هي أساس التعويض.

كذلك لا يترتب ضمان على ما ينشأ عن فعل في حدود ممارسة ما يجوز له، وذلك في مسألة حضر البئر في أرض يملكها فوق وقع فيها أحد لم يضمن⁶⁵؛ «لأن الناس مسلطون على أموالهم»⁶⁶. كذلك ممارسة حقه دون تعسف، ومن ذلك إيقاده النار في حقله فأصابته بلهبها حقا للغير فلا ضمان عليه ما لم يعتمد أو يهمل النار، إذ تسويغ الشارع للفعل يقتضي رفع المسؤولية عنه، وإلا لما كان جائزا.

2 - انتفاء الضرر

والضرر هو إلحاق مفسدة بالآخرين. أو هو كل إيذاء يلحق الشخص في جسمه أو ماله أو عرضه أو أي شأن محترم، وذلك كالضرب والإحراق والترويع والتهديد والتشهير وإتلاف الممتلكات الخاصة... سواء بشكل كامل كإتلاف ثوب بالكلية، أو بشكل جزئي كخرقه أو تشويهه.

والفقهاء المسلمون استعملوا أكثر من لفظ للتعبير عن الضرر، فيعبرون عنه أيضا بالإفساد والاستهلاك والإتلاف والتفويت.

وبما أنه لا يكفي لإثبات المسؤولية مجرد وقوع الخطأ بل يجب أن يسبب هذا الخطأ ضرراً، فلا تقوم المسؤولية إن لم يحدث الضرر؛ وانتفاء الضرر يُسقط المطالبة بالتعويض (الضمان) وترفض الدعوى عندئذ لانعدام المصلحة من رفعها، لأن " من شروط سماع الدعوى أن تكون مما يتعلق بها حكم أو غرض صحيح"⁶⁷.

3 - انتفاء علاقة السببية

سبقت الإشارة إلى أن المقصود بالعلاقة السببية: أن يكون الضرر متولداً عن الخطأ أو الاعتداء، وقد حدد الفقهاء هذه الصلة أو الرابطة إما على سبيل المباشرة أو التسبب، فلا ضمان في غير المباشرة والتسبب.

ف"المباشرة : إيجاد علة الهلاك"⁶⁸، كالقتل والأكل والإحراق... بمعنى: أن يتصل فعل الإنسان بغيره ويحدث منه التلف، كما لو جرح إنسان غيره أو ضربه فمات." أما التسبب : إيجاد علة المباشرة "⁶⁹، أي إيجاد ما يتولد الضرر عنه لكن بصلة أخرى، كما في مسألة حفر البئر والمتري فيها.

وإذا وجدت المباشرة وحدها لزم الضمان مثل السرقة والإحراق وغيرها عملاً بالقاعدة الفقهية «المباشر ضامن وإن لم يتعمد»⁷⁰. أما التسبب فيوجب الضمان إذا أحدث تعدد من فاعل السبب ويتعمد منه، وكذلك حصول النتيجة من أثر السبب الحاصل دون تدخل سبب آخر، بناء على القاعدة الفقهية « المتسبب لا يضمن إلا بالتعمد »⁷¹. و«إذا اجتمع المباشر والمتسبب يضاف الحكم إلى المتسبب».

وعلاقة السببية تنتفي بالسبب الأجنبي، أي طروء سبب آخر في إحداث الضرر، كما في نص المادة 127 ق.م.ج حيث تنص: ((إذا أثبت الشخص أن الضرر

قد نشأ عن سبب لا يد له فيه كحادث مفاجئ، أو قوة قاهرة أو خطأ صدر من المضرور، أو خطأ من الغير، كان غير ملزم بتعويض هذا الضرر)).

فقد أوضحت المادة أن العلاقة السببية تنتفي بالسبب الأجنبي الذي يتجلى في ثلاثة أسباب، يؤدي كل واحد منها إلى نفي المسؤولية عن المدعى عليه ويؤدي بالتالي إلى انتفاء الضمان؛ حيث أن الضمان شرع للتخلص من العهدة والمسؤولية التي خلفها الخطأ. والتفصيل:

أ- الحوادث المفاجئ أو القوة القاهرة

القوة القاهرة كل أمر لا يستطيع الإنسان أن يتوقعه ولا مقاومته، وبالنسبة للفقهاء الإسلاميين، فإن الفقهاء المسلمون استعملوا الآفات السماوية للدلالة على النازلة أو الأمر غير المتوقع حصوله والذي لا يمكن تلافيه (القوة القاهرة).

والآفات السماوية تسمى فقها "الجائحة" وهي كل ما لا يمكن دفعه من سماوي ولا يستطيع الإنسان الاحتراز منه والدفع له، ويدخل في هذا القحط والثلج والغيث والبرد والعفن والريح والجراد والفأر والدود والطير والغضب والسرقعة والغرق والجيش والنار... جاء في الموطأ: « أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَضَى بِوَضْعِ الْجَائِحَةِ. قَالَ مَالِكٌ : وَعَلَى ذَلِكَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا »⁷².

وقد قررت القاعدة الفقهية : « كل ما لا يمكن الاحتراز منه لا ضمان فيه »، أن العلاقة السببية تنتفي بما لا يمكن تفاديه أو مقاومته، وجاء في تحفة الحكام لابن عاصم:

وَكُلُّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ الدَّفْعُ لَهُ جَائِحَةٌ مِثْلُ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ
وَالجَيْشُ مَعْدُودٌ مِنَ الْجَوَائِحِ كَفَيْتُهُ وَكَالْعَدُوِّ الْكَاشِحِ

و تنقطع العلاقة السببية في المسؤولية المدنية بالحوادث المفاجئ أيضا، ومعناه: حصول الضرر بفعل استثنائي عام يستطيع الإنسان دفعه ولكن عامل المفاجأة لا يمكن مقاومته ويستحيل توقعه، مثل الراعي يفاجئه الذئب أو السبع في مكان مأمون عادة. فلا يعتبر الحادث ناشئا عن سلوك المدعى عليه وإنما من الحادث الضجائي.

ب - خطأ المضرور

قد يكون المضرور (المدعي) سببا في إحداث الضرر وبالتالي قيام الحجة عليه يؤدي إلى رفض الدعوى وسقوط حقه في المطالبة بالتعويض، إذ لا يُتصور أن تكون هناك مسؤولية إذ كان الضرر متولد عن فعل المضرور نفسه.

ف"لو نخس رجل أجنبي دابة معها راكب، أو قائد، وسائق، فما نشأ عنها فعلى الناحس دون الثلاثة"⁷³، وتطبيقا لذلك إذا رفست الناحس ولحقه ضرر نتيجة لذلك، فأصابته هدر، لتسببه في هيجان الدابة، فالسبب متولد منه، ولا ضمان على الراكب أو القائد أو السائق.

ج - خطأ الغير

وهو ينشأ بتدخل شخص بين السبب والنتيجة، أي وجود طرف ثالث هو السبب في إحداث الضرر. "فلو وقع الذباب على الدابة فنضحت إنسانا، لم يكن على راكبها شيء"⁷⁴.

وقد نص الفقهاء على أن من أردى غيره في بئر فالضمان على المردى وحده دون الذي حفر، لأن الأول مباشر والثاني متسبب والمباشر مقدم في الضمان، طبقا للقاعدة الفقهية: «إذا اجتمع المباشر والمتسبب يضاف الحكم إلى المتسبب». وكذلك من ألقى حجرا في الطريق فحوله آخر إلى موضع آخر فأصاب إنسانا فالضمان على الناقل.

الخاتمة

بعد معالجة المسائل وردت في هذا البحث يجدر التذكير بما يلي:

1. يقابل لفظ "التعويض" في الفقه الإسلامي مصطلح "الضمان"؛ وهو الالتزام بتعويض الغير عما لحقه من تلف المال أو ضياع المنافع؛ فالتعويض هو المال أو المقابل الذي يُحكم به على من أوقع ضررا على غيره ماديا أو معنويا.
2. التعويض (الضمان) في الفقه الإسلامي نوعان: مثلي، وقيمي. ويقابله في القانون المدني التعويض العيني، والنقدي. والتعويض العيني (المثلي) هو الأصل، ولا يصار إلى التعويض بمقابل، أو النقدي (القيمي) إلا عند تعذر الأصل.
3. يُراعى في تقدير الضرر مسألتين: وقت الضرر، وحجم الضرر. فلتقدير الضرر وقتان: وقت حدوث الضرر؛ ووقت الحكم على المسؤول عن الضرر. كما أن

تقدير حجم الضرر يركز على قاعدتين: أن يكون التعويض مساوياً للضرر؛ وأن لا يتجاوز مقدار التعويض حجم الضرر الحاصل.

4. يتفق القانون المدني الجزائري مع الفقه الإسلامي في أسس وجوب التعويض، وأن أركان المسؤولية: الخطأ (التعدي)، والضرر، وعلاقة السببية بين الخطأ والضرر، مع الاختلاف بينهما في بعض التفاصيل.

5. تثبت أركان المسؤولية بطرق مختلفة ومتنوعة؛ فتشمل الأدلة الكتابية من وثائق رسمية (عقود محاضر -تقارير...) أو محررات عرفية. كما أن للشهود ومختلف أنواع البيّنات دور في الإثبات، ثم تأتي اليمين الحاسمة، والخبرة بعد أمر المحكمة أهل الاختصاص بإجراء هذه الخبرة.

6. تنتفي أركان المسؤولية عن المدعى عليه إذا أثبت انتفاء الخطأ؛ كفعله ما يباح له، وعدم تعسفه في استعمال حقه، أو دفاعه عن نفسه وماله وعرضه. أو إثبات انتفاء الضرر؛ فكل تصرف لم ينشأ عنه ضرر لا يكون مسؤولاً للمطالبة بالتعويض.. أو إثبات انتفاء علاقة السببية؛ بإثبات أن الضرر كان بخطأ المضرور أو خطأ الغير، أو بسبب حادث فجائي أو قوة قاهرة.

هوامش البحث

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، لا: ط؛ بيروت: دار صادر، 1388هـ/ 1968م مادة عوض، ج7 ص192.
- ² الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة. لا: ط؛ لا.م: بيت الأفكار الدولية، د.ت. ج5 ص992.
- ³ الحموي، غمز عيون البصائر، ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م، ج2 ص121.
- ⁴ السنهوري، عبد الرزاق، الوسيط في شرح القانون المدني: نظرية الالتزام بوجه عام، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ج1 ص802.
- ⁵ حيدر علي. درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام. تعريب: فهمي الحسيني. ط1؛ بيروت: دار الجيل، 1411هـ/ 1991م، ص551.

⁶ نفسه.

⁷ محمود شلتوت. المسؤولية المدنية والجناحية في الشريعة الإسلامية. جامعة الأزهر 1960.

ص53.

- ⁸ القانون رقم 84 - 11 المؤرخ في 9 رمضان عام 1404هـ الموافق 9 يونيو سنة 1984م يتضمن قانون الأسرة. ج. ر. ج. ج. ع 24، مؤرخ في 12 رمضان عام 1404هـ الموافق 12 يونيو سنة 1984م. المعدل والمتمم بالأمر رقم 05 - 02 المؤرخ في 18 محرم 1426هـ الموافق 27 فيفري 2005م. ج. ر. ج. ج. ع 15. مؤرخ في 18 محرم 1426هـ الموافق 27 فيفري 2005م.

- ⁹ الدردير، أحمد بن محمد بن أحمد العدوي أبو البركات، الشرح الكبير على مختصر خليل. لا ط؛ لا م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت. 3 ص ص 552 - 596.
- ¹⁰ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب: ما جاء فيمن يكسر له الشيء يحكم له من مال الكاسر (ح/1359). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- ¹¹ البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ص 372. وأصل القاعدة نص حديث نبوي رواه أحمد في مسنده، وأصحاب السنن الأربعة، والحاكم، في مستدركه كلهم عن سمرة بن جندب رضي الله وحسنه الترمذي.
- ¹² ابن جزي، محمد بن أحمد أبو القاسم، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، ص 216.
- ¹³ وهبة الزحيلي، نظرية الضمان، ص 92.
- ¹⁴ المرجع نفسه
- ¹⁵ القاعدة ذكرها.
- ¹⁶ ابن جزي، القوانين الفقهية، مرجع سابق، ص 217.
- ¹⁷ وهبة الزحيلي، نظرية الضمان، مرجع سابق، ص 94.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 230. وأصل هذه القاعدة قوله ﷺ «المسلمون عند شروطهم»
- ¹⁹ جمع إرش. والإرش هو: اسم للمال الواجب على ما دون النفس؛ يعني دية الجراحات. البركتي، محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية (ص 22).
- ²⁰ الحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ج 8 ص ص 234 - 235.
- ²¹ ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ص 237. والموضحة: الشجة (الجرح) التي ظهر منها وضحُ العظم وهو بياضه..
- ²² ينظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج 3 ص 461.
- ²³ المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، ج 3 ص 487.
- ²⁴ الدردير، الشرح الكبير على مختصر خليل، ج 3 ص 461.
- ²⁵ المرجع نفسه، ج 3 ص 454.
- ²⁶ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مرجع سابق، ج 3 ص 460.
- ²⁷ القرافي، الفروق، ج 4 ص 60.
- ²⁸ نفسه ج 4 ص 28.
- ²⁹ المدونة الكبرى، مرجع سابق، ج 3 ص 373.
- ³⁰ الباجي، المنتقى شرح الموطأ، ج 7 ص 75.
- ³¹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 30 ص 330.
- ³² ابن جزي، القوانين الفقهية، مرجع سابق، 506.
- ³³ انظر: ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مج 1 ص 25.

- ³⁴ ابن نجيم، **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان** ص 292.
- ³⁵ المادة (1606) من مجلة الأحكام العدلية.
- ³⁶ ابن القيم، **الطرق الحكمية**، مرجع سابق، مج 1 ص 550.
- ³⁷ ينظر: البركتي، **التعريفات الفقهية**، مرجع سابق، ص 124.
- ³⁸ المرجع نفسه، ص 125.
- ³⁹ البورنو. موسوعة القواعد الفقهية
- ⁴⁰ ابن جزى، **القوانين الفقهية**، مرجع سابق، ص 470.
- ⁴¹ ينظر: ابن فرحون، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ج 1 ص 295.
- ⁴² البركتي، **التعريفات الفقهية**، مرجع سابق، ص 33.
- ⁴³ ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، مرجع سابق، ج 2 ص 56.
- ⁴⁴ المادة (79) مجلة الأحكام العدلية. وجاءت بصيغة أخرى « يؤاخذ المكلف بلا حجر بإقراره».
- التسولي، **البهجة في شرح التحفة**، ج 2 ص 524.
- ⁴⁵ محمد عزيز جعيط، **الطريقة المرضية في الإجراءات الشرعية على مذهب المالكية المادة (180).**
- ⁴⁶ ابن غازي المكناسي، **الكليات الفقهية على مذهب الإمام مالك - كليات ابن غازي -**، الكلية 214، ص 58.
- ⁴⁷ المادة (77) مجلة الأحكام العدلية.
- ⁴⁸ البركتي، **التعريفات الفقهية**، مرجع سابق، ص 244.
- ⁴⁹ البورنو 460/2
- ⁵⁰ التسولي، **البهجة في شرح التحفة**، مرجع سابق، ج 1 ص 86.
- ⁵¹ مصطفى أحمد الزرقا، **شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقا** ص 389.
- ⁵² ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، مرجع سابق، ج 2 ص 101.
- ⁵³ ابن القيم، **الطرق الحكمية**، مرجع سابق، مج 1 ص 6.
- ⁵⁴ ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، المرجع السابق، ج 1 ص 141.
- ⁵⁵ المادة 68 من مجلة الأحكام العدلية.
- ⁵⁶ الزركشي، **المنثور في القواعد**، ج 2 ص 184.
- ⁵⁷ **شرح النيل** 277/10.
- ⁵⁸ ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، مرجع سابق، ج 1 ص 30.
- ⁵⁹ ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، مج 30 ص 36.
- ⁶⁰ أنور سلطان، **الموجز في مصادر الالتزام** ص 323.
- ⁶¹ أنفراوي، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني** ج 2 ص 288.
- ⁶² ينظر: ابن جزى، **القوانين الفقهية**، مرجع سابق، ص 505.

- ⁶³ وهبة الزحيلي، **نظرية الضرورة الشرعية مقارنة بالقانون الوضعي** ص ص 67 - 68.
- ⁶⁴ محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج 1 ص 167.
- ⁶⁵ ابن رشد، **بداية المجتهد**، ج 2 ص 417.
- ⁶⁶ ابن القيم، **الطرق الحكمية**، مرجع سابق، مج 2 ص 665.
- ⁶⁷ ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، مرجع سابق، ج 1 ص 109.
- ⁶⁸ العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، ص 265.
- ⁶⁹ المرجع نفسه، ص 266.
- ⁷⁰ المادة 92 من مجلة الأحكام العدلية. وقد عيّب الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي على صياغة هذه القاعدة قائلاً: "الأصح أن يقال في هذه القاعدة (وإن لم يتعد) إذ لا عبرة للقصد الجنائي في ضمان الأموال". **نظرية الضمان**، مرجع سابق، ص 171.
- ⁷¹ المرجع نفسه، ص 172 - 173.
- ⁷² مالك بن أنس، **موطأ الإمام مالك**، مج 4 ص 897.
- ⁷³ ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، مرجع سابق، ج 2 ص 256.
- ⁷⁴ نفسه، ج 2 ص 255.

مصادر البحث ومراجعته

1. ابن القيم، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد. لا: ط؛ لا.م: دار عالم الفوائد، د.ت.
2. ابن تيمية، أحمد (شيخ الإسلام)، **مجموع الفتاوى**. لا: ط؛ السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1425هـ/2004م.
3. ابن جزي: محمد بن أحمد أبو القاسم. **تقريب الوصول إلى علم الأصول**. تحقيق: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي ط: 2؛ لا.م: لا.ن، 1423هـ/2002م.
4. ابن رشد، **بداية المجتهد**. ط: 6؛ بيروت: دار المعرفة، 1402هـ/1982م.
5. ابن غازي المكناسي، محمد بن علي، أبو عبد الله، **الكليات الفقهية على مذهب الإمام مالك - كليات ابن غازي** - تحقيق: جلال علي الجهاني. لا: ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت.
6. ابن فرحون، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**. ط: خاصة؛ السعودية: دار عالم الكتب، 1423هـ/2003م.
7. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**. لا: ط؛ بيروت: دار صادر، 1388هـ/1968م.
8. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ م 1999م.
9. أطفيش، محمد بن يوسف، **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ط: 2؛ ليبيا: دار التراث

- العربي - جدة: مكتبة الإرشاد، 1392هـ / 1972م
10. أنور سلطان، **الموجز في مصادر الإلتزام**. لا: ط؛ الأسكندرية (مصر) : منشأة المعارف، 1996م.
 11. الباجي، سليمان بن خلف أبو الوليد. **المنتقى**. ط: 1؛ مصر: مطبعة دار السعادة، 1332هـ .
 12. البركتي، محمد عميم الإحسان، **التعريفات الفقهية**. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2003م.
 13. البورنو، د. محمد صدقي بن أحمد أبو الحارث. **موسوعة القواعد الفقهية**. ط: 1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1424هـ / 2003م.
 14. الترمذي، أبو عيسى. **سنن الترمذي (الجامع الكبير)**. تحقيق: بشار عواد معروف، لا: ط؛ لا: م: دار الغرب الإسلامي، د.ت.
 15. التسولي، علي بن عبد السلام ، أبو الحسن، **البهجة في شرح التحفة**، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ / 1998م .
 16. التنوشي، سحنون بن سعيد، **المدونة الكبرى**، رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ / 1995م .
 17. الحطاب، محمد بن عبد الرحمن، أبو عبد الله، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ / 1995م .
 18. الحموي، شهاب الدين. **غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر**. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.
 19. حيدر علي. **درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام**. تعريب: فهمي الحسيني. ط: 1؛ بيروت: دار الجيل، 1411هـ / 1991م.
 20. الدردير ، أحمد بن محمد بن أحمد العدوي أبو البركات ، **الشرح الكبير على مختصر خليل**. لا: ط؛ لا: م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
 21. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**. لا: ط؛ لا: م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
 22. الزرقا، مصطفى أحمد، **شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقا**. ط: 2؛ دمشق: دار القلم، 1409هـ / 1989م.
 23. الزركشي، بدر الدين، **المنثور في القواعد**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ / 2000م.
 24. السنهوري، عبد الرزاق، **الوسيط في شرح القانون المدني: نظرية الإلتزام بوجه عام**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج 1 ص 802.
 25. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. **نيل الأوطار**. تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة. لا: ط؛ لا: م: بيت الأفكار الدولية، د.ت.

26. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: نزيه كمال حماد، وعثمان جمعة ضميرية. ط: 1؛ دمشق: دار القلم، 1421هـ/2000م.
27. القراي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، أبو العباس، الفروق، تحقيق: عمر حسن القيام، ط: 1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 1424هـ / 2003م.
28. القيرواني، عبد الله بن أبر زيد، أبو محمد، الرسالة الفقهية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد حمو. ط: 1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1406 هـ / 1986 م.
29. مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. ط: 1؛ أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ/2004م.
30. محمد رشيد رضا، تفسير المنار. ط: 1؛ لا.م: مطبعة المنار، 1346هـ .
31. محمد عزيز جعيط، الطريقة المرضية في الإجراءات الشرعية على مذهب المالكية. ط: 2؛ تونس: مكتبة الاستقامة، د.ت.
32. محمود شلتوت. المسؤولية المدنية والجناحية في الشريعة الإسلامية . جامعة الأزهر 1960.
33. النفراوي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي. ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1317هـ / 1997 م.
34. وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة بالقانون الوضعي. ط: 4؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.
35. وهبة الزحيلي، نظرية الضمان. ط. 9؛ دار الفكر، دمشق 1433 هـ / 2012 م.

قوانين

36. القانون رقم 05 - 10 المؤرخ في 13 جمادى الأولى عام 1426هـ الموافق 20 جوان سنة 2005م. ج. ر. ج. ج. ع : 44. مؤرخ في 19 جمادى الأولى عام 1426هـ الموافق 26 جوان سنة 2005م. المعدل والمتمم للأمر رقم 75 - 58 المؤرخ في 20 رمضان عام 1395هـ الموافق 26 سبتمبر سنة 1975م. يتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم. ج. ر. ج. ج. ع : 78. مؤرخ في 24 رمضان عام 1395هـ الموافق 30 سبتمبر سنة 1975م.
37. القانون 08 - 09 المؤرخ في 18 صفر عام 1429هـ الموافق 25 فبراير سنة 2008م، يتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية. ج. ر. ج. ج. ع : 21. مؤرخ في 17 ربيع الثاني عام 1429هـ الموافق 23 أبريل سنة 2008م.



أهمية التعليم المقاولاتي في تعزيز الثقافة المقاولتية للطلبة **The Importance Of Entrepreneurial Education In** **Promoting The Spirit Of Entrepreneurial University** **Students**

كمال عويسي

جامعة غرداية

kamel.aouissi@univ-ghardaia.dz

تاريخ القبول: 2019-08-23

تاريخ الاستلام: 2019-05-10

ملخص -

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على أهمية تدريس مادة المقاولتية في التعليم العالي ودورها في ترسيخ ثقافة المقاولتية للطلاب الجامعي والتي تؤهله بأن يكون عنصر ناجحاً ومبدعاً في حياته العملية، بحيث تناولت الدراسة مفاهيم حول التعليم المقاولاتي وأهميته و أهدافه إلى جانب التذكير بنشأته وتطوره، ثم أشرنا إلى واقع التعليم المقاولاتي في الوطن العربي والجزائر بصفة خاصة، كما أدرجنا أهم التجارب العالمية في التعليم المقاولاتي.

كلمات دالة -

المقاولتية، التعليم المقاولاتي، الثقافة المقاولتية، الجامعة.

Abstract-

This Research Aims To Shed Light On The Importance Of Entrepreneurship Education In Higher Education And Its Role In The Consolidation Of A Entrepreneurial Culture For University Student, Which Qualify Him To Be A Successful Element In Practical Life, Imaginative Contributions To The Study Of Concepts Of Entrepreneurship Education And The Importance Its And Objectives To The Recall And Evolution, Then We Add The Reality Of Entrepreneurship Education In The Arab World, And Algeria Exactly, And We Have Incorporated The Most Important Global Experiences In Entrepreneurship Education.

Keywords-

Entrepreneurship, Entrepreneurship Education-Entrepreneurial Culture-University.

مقدمة-

مع استفحال ظاهرة البطالة بين الشباب من خريجي مؤسسات التعليم بشكل عام والجامعات بشكل خاص، ومع ضعف قدرة مؤسسات الدولة بمختلف قطاعاتها العامة والخاصة في امتصاص ظاهرة البطالة من الشباب خريجي المؤسسات التعليمية المختلفة، فقد سعت العديد من الدول على غرار الدول الأوروبية والمتقدمة إلى صياغة جديدة في أنظمتها التعليمية والتكوينية والتي من شأنها أن تقدم أساليب مستحدثة مهمتها إثارة اهتمام الطلبة من الشباب وتنمية اتجاهاتهم وتوجيههم نحو خيار العمل لحسابهم الخاص وذلك عن طريق ابتكار مشروعات خاصة كبديل عن العمل بأجر في المؤسسات العمومية والخاصة على حد سواء، إضافة إلى هذا فإن الأعداد الهائلة من الطلبة خريجي الجامعات الجزائرية من كل سنة في كافة التخصصات العلمية والمهنية قد يشكل عبئا كبيرا على سوق العمل الذي أضحي غير قادر على استيعاب هذه الطاقات الشبانية وأمام هذه الوضعية السوسيو اقتصادية الخائفة كان لزاما على الدولة الجزائرية إيجاد مخرج وذلك عن طريق تشجيع مبادرات الأفراد المكونين والمؤهلين من أجل خلق مشروعات صغيرة من شأنها أن تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

من هذا المنطلق بات على عاتق الجامعة دور كبير في الاهتمام بالطلبة وتأهيلهم التأهيل الكامل بهدف مشاركتهم الايجابية في تنمية مجتمعاتهم وتخفيف نسبة البطالة والحد من ظاهرة الفقر واستغلال طاقات هؤلاء الطلبة وتعزيز انتمائهم نحو مجتمعهم ولعل إدراج الجامعة الجزائرية في مناهجها التعليمية مواد تشجع على إبراز الطلبة لطاقتهم في ابتكار مشاريع من شأنها أن تضيق الفجوة الاقتصادية الذي يعيشها المجتمع الجزائري، لذلك ظهرت بعض المواد التدريسية والتي في محتواها تدعو إلى ما يطلق عليه بالتعليم المقاولاتي أو كما يسمى في بعض جامعات الوطن العربي بالتعليم الريادي أو تعليم ريادة الأعمال لطلاب التعليم العالي والذي يتضمن على مقررات خاصة بالتعليم المقاولاتي تختلف محتواها حسب المستوى والتخصص، كما يمكن الطالب كيفية إعداد المشروعات الخاصة وتسويق منتجاته، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات وندوات ورشات عمل تهدف إلى نشر معلومات حول التعليم المقاولاتي وذلك بالاستعانة بخبراء ومقاولين ناجحين من أجل نقل خبراتهم في تطوير التعليم المقاولاتي[□] ومن الجدير بالذكر أن المقولة كمشروع اقتصادي بأبعاده التنموية كان قد انبثق من إصلاحات متعددة اتخذتها الحكومات الجزائرية منذ أكثر من 20 سنة وذلك مع نهاية الثمانينيات 1988^{٢٠}، حيث أدت العوامل الداخلية من احتجاجات على جميع الأصعدة بالإضافة إلى عوامل خارجية كالعولة والتطور التكنولوجي الحاصل في الدول المتقدمة إلى سعي الدول الجزائرية نحو التوجه إلى سياسات تنظيمية جديدة تركز على تشجيع وتنمية روح المقولة حيث كانت الدولة هي المنوطة بهذا الدور المقاولاتي طيلة ثلاث عقود، ثم بدأت تنسحب تدريجيا من هذه المهمة عن طريق تحرير الاقتصاد الذي بدأ العمل به منذ بداية التسعينيات ضمن ما يسمى ببرامج إعادة الهيكلة والتي كانت الدولة الجزائرية فيه المساهمة والمرافق الرئيسي لمختلف المشاريع.^{٢١}

ضمن هذا السياق فقد أصبح للجامعة دورا كبيرا في تأهيل الطلبة وتنمية الثقافة المقاولتية لديهم وإكسابهم لخصائص المقاول المبدع الذي من شأنه أن يدفعهم إلى العمل المقاولاتي وابتكار مشاريع خاصة يمكن أن تعود بالمنفعة لهم ولمجتمعهم وتضمن التنمية المستدامة لبلدهم ولعل هذا ما تفضلت له الجامعات العالمية، أين قامت بتعديل برامجها التدريسية وطورتها وأدرجت مقاييس خاصة

ترتكز على شرح المقاولاتية وتشجيعها وبذلك انتقلت من دور الجامعي المحصور بالمعريف فقط واتجهت إلى دور مهم وهو كيفية تكوين طالب مقاول قادر على تحقيق مشاريع ميدانية ومساهما في بناء وتشبيد بلده، وهذا ما عجزت عنه الدول النامية في تحقيقه والتي ما زالت تعاني منه الجامعات العربية ومنها الجزائرية إلى اليوم.

ضمن هذا السياق فحالة الجامعات الجزائرية لا تخرج عن هذا الإطار، فلا تزال هناك فجوة بين الجامعة بعناصرها ومؤسساتها البحثية من طلبة وأساتذة ومخابر بحث مع المحيط الاقتصادي عموما وبوجه خاص مع المقاولاتية، بالإضافة إلى ذلك فإن الجامعة الجزائرية تشهد ضعف في التكوين الخاص بالثقافة المقاولاتية ضمن المستويات التعليمية والتكوينية في طور التعليم العالي باستثناء بعض التجارب الرائدة في مجال الثقافة المقاولاتية والتي من بينها تجربة جامعة منتوري قسنطينة التي كانت من بين الرواد الأوائل على المستوى الوطني وذلك بإنشاء دار المقاولاتية سنة 2006 حيث كانت تقوم بأدوار عديدة من بينها تنشيط الملتقيات والندوات لفائدة الراغبين في إنشاء المؤسسات مع الإشراف على تدريس مادة المقاولاتية في كل أقسام الجامعة. ^{٢٢}

وتأتي هذه الدراسة لتكشف دور التعليم المقاولاتي في تكوين الثقافة المقاولاتية للطلبة الجامعيين وخلق روح الثقافة المقاولاتية، ومن أجل الإجابة على هذا السؤال سنقوم باستعراض مفاهيم حول التعليم المقاولاتي مع إبراز أهدافه وأهميته وقبل ذلك سندرج كرونولوجية تاريخية سريعة حول نشأة التعليم المقاولاتي، كما أننا عرجنا على واقع التعليم المقاولاتي في الوطن العربي والجزائر بصفة خاصة، كما أننا سنستعرض أهم التجارب في التعليم المقاولاتي على المستوى العالمي والعربي وفي الأخير سوف ننوه لأهم التوصيات والاقتراحات التي من شأنها أن تطور التعليم المقاولاتي وترسيخه للطلبة الجامعيين من أجل إكسابهم القدرة على تولي مشروعات عند تخرجهم من الجامعة.

1 - التعليم المقاولاتي: المفهوم والأهداف:

المقاولاتية "Entrepreneurship" لغة هي كلمة إنجليزية الأصل اشتقت من الكلمة الفرنسية "Entrepreneur" وقم تم ترجمتها من طرف الكنديين

إلى "Entrepreneuriat" والمقاولاتية "Entrepreneurship" تعني حاول، خاض، و تتضمن فكرة التجديد والمغامرة والمجازفة والإبداع.^{٣٥}

وقد أشارت وثيقة مشتركة لليونسكو مع منظمة العمل الدولية لسنة 2006 تحت شعار "نحو ثقافة الريادية في القرن الواحد والعشرين" كما يلي: "ينظر للتعليم الريادي بشكل عام كمقاربة تربوية تهدف إلى تعزيز احترام الذات والثقة بالنفس عن طريق تعزيز المواهب والإبداعات الفردية في الوقت نفسه بناء القيم والمهارات ذات العلاقة والتي ستساعد الطلبة في توسيع نظرتهم إلى التعليم الدراسي وما يليها من فرص، مع تبني الأساليب اللازمة لذلك على استخدام النشاطات الشخصية والسلوكية والاتجاهات المتعلقة بالتخطيط للمسار الوظيفي"^{٣٦}، كما عرف التعليم المقاولاتي أيضا على أنه: خلق عقلية وثقافة المقاولاتية والابتكار وحل المشاكل والمواطنة النشطة وترسيخ الثقة بالنفس لدى الأفراد وفي قدرتهم على النجاح في جميع خياراتهم، والهدف من التعليم للمقاولاتية هو مساعدة الشباب ليصبحوا مبتكرين ومشاركين في سوق العمل.

إن تعليم المقاولاتية يضم جميع أنواع التجارب التي تعطي للطلبة القدرة والرؤية للوصول إلى الفرص المختلفة واستغلالها. فهو يعني تنمية قدرة الأفراد على التوقع والاستجابة للتغيرات في المجتمع وتشجيعهم على وضع واتخاذ المبادرة والمسؤولية والمخاطرة.^{٣٧} كما نوه مجموعة من الخبراء في المجال المقاولاتي على ضرورة توفر عنصرين هامين في التعليم المقاولاتي وهما:

- مفهوم أوسع للتعليم يشمل الاستعدادات والمهارات المقاولاتية التي تشمل تطوير بعض الصفات الشخصية ولا تركز على إنشاء مؤسسات جديدة.

- مفهوم أكثر خصوصية يتعلق بالتعليم لإنشاء مؤسسات جديدة من ابتكار الفاعلين والمؤهلين من طلبة التعليم.^{٣٨}

ضمن هذه المفاهيم يتضح لنا أن للتعليم المقاولاتي يتسم بعدة أهداف يسعى المتخصصون إلى تحقيقها والتي تتمثل فيما يلي:

- تمكين الطلبة في القدرة على إنجاز و تهيئة خطط عمل مشاريعهم المستقبلية.

- إكساب الطلبة من تطوير سمات وخصائص السلوك المقاولاتي لديهم مثل الاستقلالية وأخذ المخاطر والمبادرات وقبول المسؤوليات وتحملها قصد التركيز على

مهارات العمل المقاولاتي والمعرفة اللازمة والمتعلقة بكيفية انطلاق المشروع والتحكم فيه بكل أريحية وتحقيق النجاح المرجو منه.

- تدريب الطلبة ليصبحوا قادرين على خلق مشاريع تقنية متطورة أو مؤسسات قائمة على التكنولوجيا بشكل أكبر مع العمل على تأسيس المشاريع والمبادرات المقاولاتية لديهم. □

كما أن من أهداف التعليم المقاولاتي في التعليم العالي هو سعيه في إكساب الطلبة مهارات من بينها:

- مهارات إدارية: قادرة على حل المشاكل التنظيمية والتخطيطية وتحمل المسؤولية.

- مهارات اجتماعية: مثل التعاون، العمل الجماعي، القدرة على تعلم أدوار جديدة من ذاتية الطالب.

- مهارات شخصية: الثقة بالنفس، التحفيز المستمر، التفكير النقدي، القدرة على التأمل الذاتي، القدرة على تحمل المسؤولية والجرأة والمخاطرة.

- المهارة المقاولاتية: ويقصد بها القدرة على التعلم بشكل ذاتي والقدرة على تجسيد أفكاره على أرض الميدان، القدرة التفسير وتسويق مشاريعه وأفكاره. □□

2 - تاريخ تدريس المقاولاتية في التعليم العالي: النشأة والتطور:

يعود تاريخ تدريس المقاولاتية على مستوى الجامعات إلى سنة 1947 عندما قدم Myles Mace أول مقرر دراسي في المقاولاتية ولذلك بجامعة هارفارد الأمريكية بكلية إدارة الأعمال (HBS) حيث أثار هذا المقرر انتباه وإعجاب 188 من طلاب الفرقة الثانية درجة الماجستير والبالغ عددهم 600 طالب، حيث حقق هذا المقرر شعبية كبيرة بالرغم من أن عضو التدريس المكلف بإلقائه لم يكن يعتقد أنه سوف يحقق النجاح الأكاديمي الباهر □□ ومع بداية مرحلة السبعينيات شهدت مدارس إدارة الأعمال التي تقدم مقررات دراسية في المقاولاتية تغيراً جذرياً فقد بدأت 16 جامعة في تقديم هذا المقرر حيث صاحب هذا المقرر الجديد ظهور مجالات تعنى بالمقاولاتية: In-Business In- Entrepreneur -

و على إثرها بدأت معاني كلمة "رائد الأعمال" تنتقل من تعبيرات: الجشع، الاستغلال، الأنانية وعدم الولاء إلى: الإبداع، الابتكار، الريحية. □ بر

لقد ازدهر التعليم المقاولاتي والبرامج التعليمية الأكاديمية منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، حيث زاد عدد الجامعات التي تدرس مادة المقاولاتية إلى أكثر من 250 جامعة تعرض محتوى مادة المقاولاتية إلى غاية نهاية الثمانينيات أين أصبح لمادة المقاولاتية مجالا أكاديميا حقيقيا وفعالا داخل أسوار الجامعة¹³ ومع مرور السنين ازداد عدد الجامعات إلى 400 جامعة وكلية مع حلول سنة 1995، ولقد تزامن هذا التزايد تنوع وتطور المواد التدريسية الخاصة بالمقاولاتية، في حين عرفت السنوات الأخيرة من القرن الواحد والعشرين فهناك أزيد من 1600 جامعة أمريكية بها مستويات دراسية يدرس فيها أكثر من 2200 مادة دراسية في المقاولاتية وما يزيد عن 100 مركز متخصص في المقاولاتية بالولايات المتحدة الأمريكية¹⁴.

3) واقع التعليم المقاولاتي في الوطن العربي؛

سنحاول في عجالة التطرق لأهم خصائص تدريس المقاولاتية بالوطن العربي وسنقتصر على عض البلدان العربية والتي من بينها:

3-1) التعليم المقاولاتية في السعودية؛

أطلقت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (KACST) وذلك من خلال برنامج "بادر" وهو برنامج متخصص لدعم المقاولاتية في التقنية في المملكة العربية السعودية، حيث تم دخول هذا النوع من التعليم في الجامعات السعودية بداية من عام 2005 م عن طريق جامعة الملك سعود، ولكن بالرغم من ظهور عدد من الجمعيات المهتمة بتدريس التعليم المقاولاتية في المملكة العربية السعودية غير أنها لا يزال مفهومها في بدايته الأولية، بمعنى أنها لم تدخل بعد ضمن المناهج التعليمية في المراحل التعليمية المتوسطة والثانوية وكذلك الجامعية باستثناء بعض كليات إدارة الجامعة في المملكة العربية السعودية[□]، كما يجب الإشارة على أنه لا يوجد محتوى متخصص في المقاولاتية على مستوى الجامعات الحكومية في المملكة سواء في مرحلة البكالوريوس أو الماجستير أو الدكتوراه، وكذلك عدم وجود أي مسار متخصص في المقاولاتية، سواء على مستوى الدراسات الجامعية أو الدراسات العليا في أي جامعة حكومية، فتعليم المقاولاتية في الجامعات الحكومية لا يزال ضئيلا جدا، حيث أن عدد الجامعات التي تتبنى ومقررات تدريس مادة المقاولاتية تمثل سبع جامعات وهي تمثل تقريبا ثلث الجامعات، كما أن نسبة المتخصصين في مجال

المقاولاتية للهيئة التدريسية يكاد يكون منعزلاً، فضلاً على أن محتوى مادة المقاولاتية لا يزال قديماً ولم يواكب بعد التطورات الحديثة الحاصلة في هذا المجال □

3-2) التعليم المقاولاتي في الأردن:

نشأت جمعية أطلق على اسمها بجمعية رواد الشباب سنة 1998 كمؤسسة غير ربحية هدفها إيجاد شباب مقاولين من خلال تبادل الآراء والبعثات الدراسية والتعليم والتدريب ولذلك بغية تعزيز مستوى مهارات المقاولين ما يسمح لهم بالتنافس في الاقتصاد العالمي، كما تم إنشاء مركز الملكة رانيا للمقاولاتية وهي منظمة غير ربحية سنة 2014 ويتمثل دورها في دعم النمو الاقتصادي من خلال توفير مجموعة من الخدمات في تنمية المقاولاتية وتسويق التكنولوجيا، وقد كان هذا المركز يستقطب طلبة الجامعات والباحثين والمخترعين وأصحاب الابتكارات والمبادرات الخاصة من أجل ترسيخ وتنمية القدرات الشخصية لهؤلاء المخترعين، فقد كان يخصص لهؤلاء المبدعين التكفل التام بتزويدهم باستشارات والنصح والإرشاد من خلال برامج المركز والتي تتضمن: جائزة الملكة رانيا الوطنية للمقاولاتية وبرنامج استثمار التكنولوجيا وبرنامج توصل الأردن ونادي الريادة الطلابي. □

4) التعليم المقاولاتي في الجزائر:

لا يزال تدريس مادة المقاولاتية مقتصرًا على قطاع التعليم العالي، لكن في الوقت نفسه نسجل بعض المبادرات من طرف وزارة التربية في المرحلة الابتدائية في كيفية تهيئة التلاميذ للمقاولاتية وذلك عن طريق بعض المشاريع داخل المؤسسات التربوية، غير أن الجامعة ومن خلال إصلاحات الأخيرة لنظام التعليم الجامعي LMD فقد تم إدراج مادة المقاولاتية كمادة أفقية حيث يلاحظ أنها لم تحظى بأهمية كبيرة، كون الطلبة لا يتحمسون لها ولعل هذا الأمر راجع لكون الأرصدة التي تحتويها ضعيف جداً والذي لا يتجاوز في بعض التخصصات رصيда واحدا فقط، إضافة لعدم تحمس هيئة التدريس في تدريسها وبالتالي في كثير من الأحيان شاهدنا عدم قبول تدريسها من طرف الأساتذة لانعدام الخبرة من جهة والمادة العلمية ولذلك في كثير من الأحيان يتم إلغائها واستبدالها بمقياس آخر، كون مادة المقاولاتية وضعت كمادة اختيارية مرافقة لمواد أخرى معها فيتم إلغائها □

لأسباب التي ذكرتها، ولقد تم إحصاء هذه المادة التدريسية في عدد من الكليات وهي:

كلية علوم الطبيعة والحياة : المقاييس التي تدخل ضمن التكوين في المقالة كانت محصورة بالنسبة لفرع بيولوجيا في التخصص المهني تربية الأسماك في الوسط الصحراوي (متمثلة في المقاييس : تخطيط المؤسسة وقانون العمل ومقياس محاسبة ، تنظيم وتسيير المؤسسة بالنسبة لمستوى الليسانس، أما بالنسبة لفرع العلوم الزراعية فكانت تدرس في التخصصات : علوم زراعية و إنتاج نباتي ، ضمن مقياس الإقتصاد المحتوي على دروس في التسيير والإدارة .

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير : على مستوى هذه الكلية تمثلت المقاييس التي تدخل ضمن التكوين حول المقالة في المقاييس التالية : مدخل إدارة الأعمال ، اقتصاد وتسيير مؤسسة بالنسبة للجنوع المشتركة ، وتزداد عمقا في التخصصات التالية : تسيير المشاريع ، إدارة أعمال بالنسبة للمستوى ليسانس أما على مستوى الماستر في تخصصات تسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة و إدارة الأعمال . □□

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية: لقد تم استحداث مادة المقاولاتية في تخصص علم الاجتماع في المستوى الثالثة وتسمى المادة بالشباب والمقاولاتية

(5) واقع التعليم المقاولاتي في الدول المتقدمة:

سنقتصر على الدول الرائدة وسنسلط الضوء على أهم خصائص التدريس المقاولاتي في كل من:

5 -1- بريطانيا:

لقد كان تدريس المقاولاتية في جميع المستويات من الابتدائي إلى غاية الجامعي في بريطانيا، أما التعليم العالي فقد شمل العديد من التخصصات مثل العلوم الرياضية، علم الزراعة، السياحة، علم التغذية، الهندسة بكافة أنواعها، العلوم الإدارية والحاسبة، الدراسات الثقافية، والعديد من التخصصات، لكن يرجع أولى محاولات إدخال تعليم المقاولاتية في المنهاج التعليمي في بريطانيا العظمى باسكتلندا من أجل زيادة عدد الشركات التجارية فيها، حيث عمد المجلس الوطني للشركات بدعم خمس جامعات في بداية التسعينيات بتأسيس مراكز التعليم المقاولاتي في مرحلة الليسانس، حيث عمل على تشجيع وتطوير التعليم المقاولاتي، ودعم ثقافة الأعمال

المقاولاتية التي تستند إلى دعم وتطوير التكنولوجيا في المقام الأول، كما يحسب للحكومة البريطانية بالقيام بحملات توعية وطنية لتعزيز مقايضة الشاب البريطانيين بخلق جيل جديد متشبع بالمقاولاتية والإبداع، وإشراك العديد من المستشارين المقاولين للعمل في المدارس لتعزيز التوجه المقاولاتي لدى الطلبة والاستفادة من خبرتهم. □□

5- (2) الولايات المتحدة الأمريكية:

تعمل الجامعات الأمريكية على تقديم برامج تعليمية متكاملة في تخصص المقاولاتية، كما تقوم بإعطاء مقاييس علمية عديدة في هذا المجال، حيث يرجع الفضل إلى الجامعات الأمريكية العديد من الجامعات الأخرى في العالم نحو تدريس المقاولاتية، خاصة جامعة جنوب كاليفورنيا كأول جامعة تطرح أول مساق علمي حديث وتطور في المقاولاتية سنة 1971، كما تقوم الجامعات الأمريكية بتنظيم مسابقات تهدف إلى تشجيع روح المقايضة بين الطلاب، حيث يقدم معهد ماساتشوستش للتكنولوجيا جائزة قيمتها 50 ألف دولار أمريكي، ويستهدف بها الباحثين والطلاب على حد سواء، ويشترط المعهد أن يكون على الأقل أحد أعضاء الفريق الخاص بالمشروع ملتحقا بالمعهد بصفة دوام كامل. □ بر

5- (3) إسبانيا:

مع بداية 2006 عمدت الحكومة الإسبانية على تسويق فكرة التعليم المقاولاتي في نظامها التعليمي، حيث بدأت بوضع خطة إستراتيجية طويلة المدى وشاملة في التدريس المقاولاتي التي عرفت بـ "خطة ترويج المقاولاتية"، وقد شملت هذه الخطة على مجموعة من الأعمال والنشاطات التي تغطي كامل المستويات التعليمية بإسبانيا، وقد تم تخصيص ميزانية سنوية لهذه الخطة من طرف النظام الإسباني وهي من العوامل الهامة في نجاح هذه الخطة، إضافة إلى هذا فقد عمل مركز المشروع الأوربي الصغير بتجسيد أول برنامج شركة صغير ليتم توظيفه في الإطار المنهجي للتعليم الثانوي بإسبانيا، وتوطيدا لهذه التجربة فقد قامت الحكومة الإسبانية بتشجيع هذه التجربة الريادية، وقد أجريت العديد من الاتصالات التي أثمرت وأدت إلى تنفيذ وإبرام اتفاقات مع السلطات العامة في المناطق الأخرى في إسبانيا مثل إقليم الباسك، وأندلس وجزر الكناري. □ بر

6 - أهمية تدريس المقاولاتية في الجامعة:

لقد أصبح اليوم تدريس مادة المقاولاتية أمراً ضروريا وملحاً، وهذا لأهميته ودوره في تكوين الطالب الجامعي من جميع النواحي والتي من بينها نذكر مايلي:

- تدريس مادة المقاولاتية خطوة أساسية نحو إكساب روح المبادرة وزيادة فرص نجاح المشاريع وخلق إطرارات تعمل على تنمية اقتصادية وطنية بمواكبة الدول المتقدمة.

- تدريس مادة المقاولاتية ينمي من القدرات المتميزة لإنتاج الثروة من خلال الاستقرار على الفرص ذات العلاقة بالتوجه بالمعرفة على المستوى العالمي، بما يحقق مساهمة متميزة في بناء مجتمع المعرفة.

- تعلم المقاولاتية يخلق مقاولين في الإبداع والابتكار بما يمكن من التحول إلى اقتصاد المعرفة.

- يكسب تدريس المقاولاتية العاملين في المؤسسات مهارات نادرة ومبتكرة تمكنهم من رفع معدل نمو المبيعات بنسبة تفوق زملائهم العدم متمدرسين بفرق كبير.

- إن تعليم المقاولاتية يؤدي إلى زيادة احتمال امتلاك الخريجين لأفكار مشروعات أعمال تجارية ذات التكنولوجيا العالية والتي تخدم التوجه نحو بناء مجتمع المعرفة والمساهمة في التغلب على مشكل البطالة.

- تعليم المقاولاتية يزيد من احتمال تطوير منتجات جديدة نظراً لأن المقاولين يصبحون أكثر إبداعاً.

- إن تعليم المقاولاتية يؤدي إلى تغيير رؤوس الأموال بما يحقق الاستقرار الاقتصادي وانحصارها في عدد قليل نحو توزيعها على أفراد آخرين مكونين ومؤهلين بما يحقق الاستقرار وتحقيق التنوع في مجالات العمل المتنوعة وهذا كله يرجع للمجتمع بأكمله إلى الرفاهية والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.^{٢٢}

- إن تشجيع الجامعة الطلبة على دراسة المقاولاتية تؤدي إلى زيادة احتمال امتلاك الخريجين لأفكار مشروعات أعمال تجارية ذات التكنولوجيا العالية والتي تخدم التوجه نحو بناء مجتمع المعرفة والمساهمة في التغلب على مشكل البطالة.

تر بر

7) دور الجامعة في ترسيخ ثقافة المقاولاتية للطالب الجامعي:

إن للجامعة اليوم مسؤولية اجتماعية كبيرة على مجتمعها، فقد أصبح لزاما عليها أن تسعى إلى ترسيخ قيم المقاولاتية للطلبة المقبلين عليها، فهي تملك العديد من الآليات التي تجعلها تحقق نسبة كبيرة من الطلبة المؤهلين والمبدعين القادرين على تولي مشاريع كبيرة من أجل تنمية مجتمعهم، فتدريس المقاولاتية وإكسابها للطلبة من شأنه أن يحقق الرفاهية للمجتمع والاستقرار ولعل من بين خصائص هذه الأهمية نذكر مايلي:

- يرسخ التعليم المقاولاتي للطالب الثقة بالنفس ويدعم رغبتهم وقدرتهم على إقامة مشاريعهم الخاصة .

- هذا النوع من التعليم يدرّب الطالب على كيفية عمل خطة مشروعه والتخطيط السليم للموارد البشرية والإدارية بصفة عامة.

- زيادة وعي الطلبة بتوظيفهم لقدراتهم المكنونة واستثمار الحقيقي لها في مشاريعهم المستقبلية.

- القيام بالبحوث العلمية التطبيقية وتقديم الاستشارات وخدمات الإرشاد والتوجيه . ^{بر}

- التعليم المقاولاتي يكسب العاملين بالمؤسسات القائمة مهارات نادرة ومبتكرة تمكنهم من زيادة معدل نمو المبيعات بنسبة تفوق قرائنهم بنسبة كبيرة.

- التعليم المقاولاتي يؤدي إلى زيادة احتمال امتلاك الخريجين لأفكار مشروعات أعمال تجارية ذات التكنولوجيا العالية والتي تخدم التوجه إلى بناء مجتمع المعرفة والمساهمة في القضاء على ظاهرة البطالة.

- التعليم المقاولاتي ينتج الكثير من الفرص المرتبطة بإحداث تقدم تكنولوجي يستند إلى المعرفة، حيث أكدت جامعة ولاية أريزونا على أن التعليم المقاولاتي بالجامعة قد طوّر من القيمة المضافة للمجتمع، حيث زادت أعداد المشروعات الخاصة التي أنجزها الطلاب لخدمة مجتمعاتهم وساهمت في التغلب على مشكلة البطالة وكان غالب هذه المشروعات يندرج ضمن المشروعات المعرفية بما ساهم في بناء وتنمية المجتمع المعرفي. ^{سم بر}

7) خاتمة:

تسعى الدول ضمن برامجها التنموية إلى تحقيق طموح شعوبها في امتلاك عناصر التنمية المستدامة القائمة على الاستقرار والأمن الاقتصادي والنمو والازدهار وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية المقاتلية في كافة المجالات والنشاطات التنموية، وعليه فإن الجامعة بصفقتها أعلى هرم تعليمي مجبرة على الاهتمام بتدريس المقاتلية لطلبتها في كافة التخصصات والمستويات ومن أجل أيضا رعاية وتبني الطلبة المتميزين الذين يمثلون نواة المقاتلين في المستقبل والقادرين على إنشاء المشروعات المبتكرة وتوفير متطلبات ومقومات التفكير الإبداعي والسلوك التطويري لدى طلبة الجامعة وهذا قد يساهم بشكل كبير في معالجة الفجوة بين المعرفة والتطبيق وتحويل الفكرة السائدة على أن الجامعة مهتمها نظرية فقط إلى كون الجامعة تصبح أكثر فعالية وميدانية، ولعل من أهم الاقتراحات لتطوير دور التعليم المقاتلي في ترسيخ ثقافة المقاتلية للطلبة الجامعي نقدم بعض نقاط من الاقتراحات وعي:

- على الجامعة الجزائرية إن تغير نمط إستراتيجيتها حتى تصبح جامعة مقاتلية هدفها نشر وتنمية ثقافة المقاتلية للطلبة الجامعيين حتى يصبحوا مبدعين وذلك عن طريق تعديل وتطوير البرامج الدراسية والمقررات داخل الجامعات في مختلف التخصصات.

- ضرورة دعم المقاييس النظرية بالجامعة بدراسات وخرجات تطبيقية للمؤسسات من أجل احتكاك الطلبة بالمؤسسات والمشاريع وتكوين أفكار من أجل تطوير خبراتهم.

- القيام ببرامج تدريبية وأيام دراسية داخل الجامعات للطلبة وإشراكهم في تنظيمها و اقتراح المحاور وذلك من أجل تشجيعهم وخلق روح الابتكار في شخصيتهم.

- على القائمين على بيداغوجية التدريس ضرورة الاهتمام أكثر بمقاييس المقاتلية في كافة التخصصات وإعطائه رصيد ومعامل مهما من أجل تحفيز الطلبة لدراسته والعمل الجاد فيه.

- ضرورة الاستعانة بتجارب الدول الأخرى المتقدمة في مجال التعليم المقاتلي والمجالات المرتبطة به مثل أمريكا ودول الاتحاد الأوروبي.

- ضرورة توفير أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في هذه المجالات مع توفير التمويل اللازم لهذه التخصص بأساليب غير تقليدية.
- إقامة معارض للمقاولين في الجامعة لعرض تجاربهم على الطلبة وذلك من أجل تحفيزهم وتزويدهم بخبرات المقاولين الميدانية وأخذ العديد من الاستشارات لتكون لهم رصيда هاما في المستقبل.
- تنوع طرق وأساليب التدريس المقاولاتي باستخدام طرق معمول بها في الجامعات العالمية وعدم الاكتفاء بالطرق الكلاسيكية "امتحانات،بحوث،....".
- تكوين الأساتذة الذين يشرفون على تدريس تخصصات المقاولاتية في أساليب التدريس الحديثة والتي تتناسب مع مقررات المقاولاتية.

قائمة المراجع:

- ¹) بسام الرميدي: تقييم دور الجامعات المصرية في تنمية ثقافة ريادة الأعمال لدي الطلاب إستراتيجية مقترحة للتحسين،مجلة اقتصاديات المال والأعمال،مج 2،عدد6،المركز الجامعي ميله، 2016،ص373
- ²) Mohamed, B. : La privatisation de l'entreprise publique Algérienne et le rôle de l'état. Revue des sciences Economique et de Gestion (3), 2004.p20.
- ³) عبد الناصر جابي: الجزائر من الحركات العمالية إلى الحركات الشعبية،المعهد الوطني للعمل، الجزائر،2001،ص26.
- ⁴) صياحي صندرة: سيروية إنشاء المؤسسة، أساليب المرافقة دار المقاولاتية، قسنطينة،2008،ص17.
- ⁵) حمزة لفقيه: دور التكوين في دعم الروح المقاولتية لدى الأفراد،مجلة الاقتصاد الجديد،العدد12،مجلد1،برج بوعرييج،الجزائر،2015،ص119.
- ⁶) المصري منذر: دراسات حالة عن الدول العربية دراسة حالة عن الأردن، مركز اليونسكو -يونيفوك الدولي للتعليم والتدريب التقني والمهني -بون،ألمانيا،2010،ص08.
- ⁷) الجميني محمد: دراسات حالة عن الدول العربية دراسة حالة عن تونس، مركز اليونسكو -يونيفوك الدولي للتعليم والتدريب التقني والمهني -بون،ألمانيا،2010،ص26.
- ⁸) Hadj Slimane Hind, B. A. : L'enseignement de l'entrepreneuriat. Premières journées scientifiques internationales sur l'entrepreneuriat : Formation et Opportunités d'affaires , université de Biskra. Biskra-algerie ,2010,p05.

- ⁽⁹⁾ الجودي محمد علي: نحو تطوير المقاولاتية من خلال التعليم المقاولاتي دراسة على عينة من طلبة جامعة الجلفة. بكرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر بكرة الجزائر، 2015، ص148.
- ⁽¹⁰⁾ Hadj Slimane Hind, B. A. : op.cit,p7.
- ⁽¹¹⁾ BOUSLIKHANE, A: Enseignement de l'entrepreneuriat : pour un regard paradigmatique autour du processus. thèse de doctorat en sciences de gestion . Université de Nancy2, france.2011,p129.
- ⁽¹²⁾ عمرو زيدان: البعد الغائب في مقررات إدارة الأعمال في آليات التجارة والإدارة العربية. الملتقى العربي لتطوير أداء آليات الإدارة والتجارة في الجامعات العربية يومي 11 - 13 مارس 2003، المنظمة العربية للتنمية الإدارية. حلب، سوريا ص06.
- ⁽¹³⁾ BOUSLIKHANE, A: op.cit,p130.
- ⁽¹⁴⁾ عمرو زيدان: المرجع السابق ص07.
- ⁽¹⁵⁾ ارشد الحمالي هشام العربي: واقع ثقافة ريادة الأعمال بجامعة حائل وآليات تفعيلها من وجهة نظر الهيئة التدريسية دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 2016، ص76، ص409.
- ⁽¹⁶⁾ عبد الملك بن طاهر المخلافي: واقع التعليم لريادة الأعمال في الجامعات الحكومية السعودية: دراسة تحليلية. المؤتمر الأول لكليات إدارة الأعمال بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي يومي 16 - 17 فيفري 2014. السعودية، ص22.
- ⁽¹⁷⁾ مجدي عوض مبارك: الريادة في الأعمال، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص129.
- ⁽¹⁸⁾ خميس نفيسة: دور التكوين الجامعي في تفعيل التوجه المقاولاتي لدى الطلبة دراسة لعينة من طلبة علوم التسيير، العلوم التطبيقية والعلوم الزراعية بجامعة ورقلة، مذكرة ماستر، جامعة ورقلة 2016، ص13 - 14.
- ⁽¹⁹⁾ مهند حامد: نحو سياسات لتعزيز الريادة بين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس) فلسطين، 2007، ص16.
- ⁽²⁰⁾ الجودي محمد علي: المرجع السابق ص07.
- ⁽²¹⁾ مجدي عوض مبارك: المرجع السابق، ص120.
- ⁽²²⁾ الجودي محمد علي: المرجع السابق، ص146.
- ⁽²³⁾ أيوب صكري، سمير جلاب، عمي شطة: واقع التعليم المقاولاتي في الجزائر - الإنجازات والطموحات، مجلة اقتصاديات المال والأعمال عدد 5، المركز الجامعي، ميلة، 2017، ص16.
- ⁽²⁴⁾ المرجع نفسه، ص125.
- ⁽²⁵⁾ أيمن عادل عيد: التعليم الريادي مدخل لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والأمن الاجتماعي، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال يومي 09 - 11 سبتمبر 2014، جمعية ريادة الأعمال، السعودية، ص156.



ألفاظ اللهجة العامية الجزائرية في مدونات تفسير القرآن.

" منطقة الجلفة أنموذجا "

The words of the Algerian dialect in the blogs of

interpretation of the Koran.

"The Djelfa area is a model"

طيباوي ابراهيم¹، عبد الوهاب المسعود²

جامعة الجلفة، مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر. جامعة الجلفة

khalilwarch@hmail.com

تاريخ القبول: 2019-10-12

تاريخ الاستلام: 2019-08-17

ملخص -

الكلام زينة المرء ووسيلته، بل هو طريقه إلى القلوب والعقول، لذلك كانت العرب تقدم الأفصح في وفودها، ومن يعرف مفاصل الكلام ومعانيه، وهذه دلالة على قيمة الكلام وأهميته، ولقد كتبت في العصر الحاضر نظريات وفلسفات، تؤصل للخطاب وتحليله، مراعية في ذلك المرسل والمرسل إليه. وما من شك أن هذا الكلام العربي مؤلف من ألفاظ فصيحة، وأخرى غير ذلك من اللهجات المختلفة إلا أن لها ما يسندها من المصادر والمدونات التراثية العربية.

ومنه يمكن أن نطرح سؤالاً :

هل يوجد في لهجتنا المحلية ما ينطبق على ما ذكر سابقا أي ما يدعمها أو يقويها في كتب الغريب والتفسير القرآني ؟.

الكلمات الدالة -

العامية الجزائرية²، تفسير القرآن³، اللهجة⁴، منطقة الجلفة⁵، مواضع

التوافق

Abstract-

This Is An Indication Of The Value And Importance Of Speech. In The Present Era, I Have Written Theories And Philosophies That Establish And Analyze The Discourse, Taking Into Consideration The Sender And The Sender. Mechanism . There Is No Doubt That This Arab Speech Is Composed Of Clear Words, And Other Than The Different Dialects, But It Has The Support Of Arab Heritage Sources And Codes. From Which We Can Ask A Question: Is There In Our Local Dialect What Applies To What Has Been Mentioned Previously, What Supports Or Strengthens In The Books Of The Stranger And The Koranic Interpretation?

Key Words-

1 Algerian Vernacular 2, Qur'anic Interpretation 3, Dialect 4, Djelfa Region, 5 Compatibility Positions

1. - مقدمة

الكلام زينة المرء ووسيلته بل هو طريقه إلى القلوب والعقول ، لذلك كانت العرب تقدم الأفصح في وفودها ، ومن يعرف مفاصل الكلام ومعانيه ، وهذه دلالة على قيمة الكلام وأهميته ، ولقد كتبت في العصر الحاضر نظريات وفلسفات ، تؤصل للخطاب وتحليله ، مراعية في ذلك المرسل والمرسل إليه .

وما من شك أن هذا الكلام العربي مؤلف من ألفاظ فصيحة ، وأخرى غير ذلك من اللهجات المختلفة إلا أن لها ما يسندها من المصادر والمدونات التراثية العربية .

ومنه يمكن أن نطرح سؤالاً :

هل يوجد في لهجتنا المحلية ما ينطبق على ما ذكر سابقاً أي ما يدعمها أو يقويها في كتب الغريب والتفسير القرآني ؟

وقد رسمنا للإجابة عن هذا السؤال خطة هي كالتالي :

مقدمة.

المبحث الأول : اللهجات العربية في كتب التفسير والغريب.

المبحث الثاني : مواضع موافقات الفصيح لألفاظ اللهجة المحلية

خاتمة .

2. - المبحث الأول: اللهجات العربية في كتب التفسير والغريب

إن اختلاف اللهجات العربية قد أضفى طابع التنوع في التراث العربي، ودل بمنطوقه ومفهومه أن المخزون اللهجوي عند العرب أمر لا يمكن حصره ولا الإحاطة بجميعه، إلا أن مدونات التفسير القرآني قد نبّهت على التنوع، فنجد بداية أن القرآن الكريم قد ميز اللسان العربي عن غيره قال تعالى في وصفه: { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء: 192 - 195]، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف: 2].

وخير شاهد في بسط هذه اللهجات هو القرآن الكريم، وقد أشار مصطفى صادق الرافعي إلى الحكمة البالغة من عظمة القرآن في قضايا اللهجات قائلا: وقد قال العلماء: "لولا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم، كيف كانت تنطق العرب بأسنتها، وكيف تقيم أحرفها، وتحقق مخارجها" ¹.

وقد حفظ القرآن بحفظ الحكيم الخبير فصارت هذه اللهجات محفوظة بحفظه قال الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: 9].

وفي تعريف للألفاظ القرآنية ما يقرب الصورة في اللهجة العربية.

قد ورد في تعريف الألفاظ القرآنية أنها: " لب كلام العرب، وزيدته وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء، وما عداها كالقشور بالإضافة إلى أطياب الثمر" ².

ولهذا تكون القراءات القرآنية مجملة مع تفسيره مصدرا رئيسيا للهجات العربية، إذا فالقرآن الكريم هو المعجزة الباقية على تتابع الزمان، نزل بلغة جمعت اللهجات في تفسيره مراعي ظروف الناس في استعمال ألفاظ مشتركة أحيانا ومختصة بزمكانها تارة أخرى.

ومن الخصائص التي ميزت الأمة العربية حفظ قرآنها قراءة وتلاوة وتدبرا وتفسيرا وتأويلا. ونقل إلينا بالتواتر الذي هو نقل فئام عن فئام وجماعات عن جماعات؛ بدقة وحرص شديد على عدم الزيادة أو النقصان، فقيض الله له فطاحل من القراء والعلماء تجشّموا وحملوا على عواقبهم عملية الكتابة والإتقان والجمع دون تغيير أو تحريف، متلقين إياه من المصدر الأول من النبي

- صلى الله عليه وسلم - عن جبريل عن رب العزة ، ولنا شواهد كثيرة من ابرازه - صلى الله عليه وسلم - لبعض القراءات .

كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب استماعه من غيره كما ورد في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - الذي رواه الإمام أحمد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اقرأ علي)، فقلت أقرأه عليك وعليك أنزل؟ قال اقرأ فإني أحب أن أسمع من غيري قال: فقرأت سورة النساء فلما بلغت : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء: 41]، قال - صلى الله عليه وسلم - : (حسبك الآن)، قال: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (متفق عليه).

وفي بداية نزول الوحي كان قد نهاهم عن كتابة السنة لئلا يختلط القرآن بالحديث النبوي ، فعن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه) (رواه أحمد).

فدلالة النهي إذاً هو الحرص الشديد على النص القرآني وكذا ألفاظه ، ولقد أحيطت عناية بالغة الأهمية ومنقطعة النظير في تدوينه ، فهو الكتاب الوحيد الذي طوق بهذه العناية وهذا الحفظ والتعاهد .

ثم إن هذا الكتاب العزيز الذي هو كلام رب العالمين قد جمع اللهجات المختلفة المنصوية في الأحرف التي نزل بها ، وذلك ظاهر في القراءات القرآنية المتنوعة .

أما قضية ورود القرآن باللهجات العربية المختلفة؛ فقد تباينت آراء العلماء حول اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم، وتعددت الأقوال في ذلك وتضاربت ، أهي بلهجة واحدة من لهجات العرب أو بعدد منها أو بهما جميعاً .

وقد أجمل هذا الخلاف الدكتور البشري السيد محمد هاشم في عدة أوجه قائلا :

أولاً: نزول القرآن بلهجة قريش فحسب، ولم ينزل بغيرها من لهجات العرب، وهو ما ذهب إليه وأيده فريق كبير من العلماء، مستدلين على ذلك بما يلي:

ما روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة الذين كلفهم بنسخ القرآن في المصاحف مع زيد بن ثابت - رضي الله

عنه - : "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من عربية القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم"³.

وبما أخرجه أبو داود عن طريق كعب الأنصاري أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كتب إلى ابن مسعود "أن القرآن نزل بلسان قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش لا هذيل"⁴.

وبما اتفقت عليه كلمة العلماء الأقدمين ؛ أن قريشا هي أفصح القبائل على الإطلاق، وأعظمها أثرا في تهذيب اللغة، فبحكم نفوذها السياسي، ومركزها الديني والتجاري؛ التقت بجميع قبائل العرب، واقتبس منها أفصح ألفاظها، وأعذبها في الكلام، وأخفها جريانا على اللسان، ثم أضافته إلى لغتها، حتى غدت على مر الزمان أجمع وأصفى لهجات العرب، فكان من الطبيعي أن ينزل القرآن بها.

قال ابن فارس: "أجمع علماؤنا أن قريشا أفصح السنة العرب، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - فجعل قريشا قطان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها، يفدون إلى مكة للحج، ويتحاضرون إلى قريش في أمورهم، كانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم.. و كانت على فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"⁵، وعن قتادة قال: "كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم، فنزل القرآن بها، وتحدى العرب وفصحاءهم أن يأتوا بمثله تحديا يدل على عظيم منزلة البلاغة عندهم"⁶.

وقد استنكر ابن قتيبة قول من قال: "إن القرآن نزل بغير لغة قريش محتجا بقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ } [إبراهيم: 4]، وقد جزم أبو علي الأهوازي أن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لم تتعد قريشا مع بطونها"⁷. هذه هي أدلة الفريق الأول التي استندوا عليها؛ إلا أن كثيرا من العلماء قد ناقشها ومنع صحة الاستدلال بها⁸.

ثم إن هناك رأيا ثانيا في قضية نزول القرآن بلهجة غير قريش كلهجة مضر ،وقيل هي لغة تميم لأنهم من أفصح العرب والاستناد إليهم في الشواهد العربية . وقد كان الإمام ابن عباس رضي الله عنهما يوفق بين الأقوال ويستند إلى الرأي الموسع قائلا "الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا حرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه"⁹.

ولا اختلاف في هذا التنوع إذ أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم - قد صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف ، وقول ابن عباس السابق يشرح معنى هذا التوسّع والتنوع بين لهجات العرب ، وأنّه من الممكن البحث عن المختلف فيه، وإمكانية الجمع بين الأقوال السابقة ؛ إذ الفهم في معنى لهجة مختلفة عن الأخرى أمر مستساغ عند العرب، ولو أنّه اختص بفئة معينة على خصوصها لما كان هناك عناء بحث في الشواهد الشعرية أو النثرية من خطب أهل الجاهلية.

وقد كان هناك بحث تنوع اللهجات بين أسئلة نافع بن الأزرق وابن عباس - رضي الله عنهما - فيسأل ابن عباس عن أشياء من كتاب الله عزّ وجل، فيفسرها له، ويأتيه بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عزّ وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، ومثال ذلك :

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجل: (جَدُّ رَبِّنَا) [الجن: 3].

قال: ارتفعت عظمة ربنا.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول:

لك الحمد والنعماء والمملك ربنا فلا شيء أعلى منك جدّا وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

عليه حجاب النور والنور حوله وأنهار نور حوله تتوقّد.¹⁰

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجل: (لِلدِّينِ حَيْفًا) [يونس: 105].

قال: ديننا مخلصا.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت حمزة بن عبد المطلب وهو يقول:

حمدت الله حين هدى فؤادي إلى الإسلام والدين الحنيف

وقال أيضا رجل يذكر بني عبد المطلب وفضلهم:

أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم لنا غاية قد يهتدي بالذوائب¹¹

فهذه النصوص وغيرها من أقوى الأدلة على نزول القرآن بلهجات مختلفة . ويتضح الأمر أيضاً في سؤالات الصحابة في كثير من الأحيان للتنازع في لفظة أو في تأويل كلمة ؛ أو فهم معنى استعصى واستشكل عليهم ، فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال : « كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه ، فدعاهم ذات يوم ، فأدخله معهم ، قال ابن عباس : فما رأيت أنه دعاني فيهم يوماً إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [التنصير: 01] ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعلمه الله له ، قال : إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك ، واستغفره ، إنه كان تواباً فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول »¹² . (رواه البخاري)

فهذا دليل على اختلاف التنوع لدى الصحابة الذين هم من قريش لهجة ونسباً وأصلاً ، ولو كان معنى واحداً لما وقع التناظر .

ومن الكتب المعاصرة التي تطرقت لهذه المسألة وأجادت في ذلك ما كتبه الدكتور حسين نصار في كتابه : كتب غريب القرآن الكريم ، الذي جمع فيه : مشكل غريب القرآن ، العمدة في غريب القرآن للقيسي... وغير ذلك .

أما ما تعلق بجمعهم لهذه الألفاظ ؛ فقد كان سبيلهم الخروج إلى الفلاة طلباً لمعنى لفظة قد شرد تأويلها عن بلغاء العرب ، فضلاً عن عوامهم ، فقد ذكر الأصمعي - الذي هو راوية من راويات العرب - قصة بحثه عن لفظة فاطر { قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الأنعام: 14] والفاطر: الخالق، المنشئ للخلق، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَعْنَى الْفَاطِرِ، حَتَّى اخْتَصِمَ إِلَيَّ أُعْرَبِيَانِ فِي بَثْرٍ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا فَطَرْتُهُ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ [إِنْشَاءُ] الْخَلْقِ.¹³

وقد وردت ألفاظ كثيرة بغير لهجة قريش ، وتكون محل تفاخر بين العرب وإن كان هذا الطابع طابعاً سائداً لا ينفك عن حياتهم ، بل إن القرآن الكريم قد قصد هذا المقصد في سببية نزوله فقال تعالى { بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ

عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرَضُونَ} [المؤمنون: 71] أي: بشرفهم، وهو معنى قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: 44] أي: شرف لك ولقومك.

كما نجد الجاحظ يستشهد بمناظرة بين أهل مكة وأهل البصرة في تفاخر بين هذه اللهجات "قال أهل مكة للشاعر محمد بن المناذر : ليست لكم معاصر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد حيث شئتم، ثم قال: أنتم تسمون القدر: "برمة"، وتجمعونها على "برام"، ونحن نسميها: "قدر"، ونجمعها على "قدور"، وقال عز وجل: { وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ } [سبأ: 13]، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت: "علية" وتجمعونها على "علالي"، ونحن نسميه: "غرفة" ونجمعه على "غرفات" و"غرف"، والله تعالى يقول: { غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ } [الزمر: 30]، وقال تعالى: { وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمِنُونَ } [سبأ: 37]، وأنتم تسمون الطلع: "الكافور" و"الإغريض"، ونحن نسميه: "الطلع"، والله تعالى يقول: { وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ } [الشعراء: 148]، ثم يقول الجاحظ: "إن ابن روح عدّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا".¹⁴

وقد ورد في كتب التفسير ما يدل دلالة بيّنة على مجيء الألفاظ بغير لهجة قريش كقوله سبحانه وتعالى: { يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ } [سبأ: 10]، ف: أَوِّبِي سبحي بلسان الحبشة.

قال تعالى: { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ } [محمد: 36]، عن الحسن قال: اللهو بلسان اليمن: المرأة..¹⁵

المبحث الثاني: مواضع موافقات الفصح لألفاظ اللهجة المحلية.

إنّ موافقات اللغة العربية لألفاظ اللهجة المحلية لا يقصد منه أن يكون التطابق تاماً ، فلغة الضاد لها من المكانة والموقع الشيء الكبير ، ويكفيها شرفاً أنها لغة الضاد ، إلا أنّ المقصود من هذا الموضوع هو إظهار ذلك التقاطع والتلاقي بينها وبين اللهجة المحلية .

لقد وقع اختياري على منطقة الجلظة و على هذا المنتجع النائي الذي ضرب بسهم من جانب الفصح وهذا ما أبانت عنه بعض الألفاظ المتداولة في هذا السهل الهضابي .

وإذا أردنا أن نتمحص كلاما في الاشتراك اللفظي داخل اللهجات وورودها في القرآن الكريم فإننا لا بد أن نعرف أصل هذه اللهجة وأصل أهلها .
إن مجتمع الهضاب السهبي - منطقة الجلفة - بمختلف روابطه النسبية يرجع في أصله إلى الأصل اليميني كما ذكر النسابون ، وهم من القبائل العربية في استعمال الفصحى فضلا عن الأفصح ، وقد كان لأهل التفسير استشهادات بلهجة أهل اليمن في شتى المواضع من القرآن الكريم كما أسلفنا في المبحث الأول ، وفي هذا المثال أيضا : قوله تعالى : {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} [النحل:67]، قال الضحاك: هو الخل بلسان اليمن¹⁶ .

أما باقي المتعلقات فهي كالتالي :

أولا: الفتح والإمالة

الاشتراك في لهجة الفتح أكثر من الإمالة هو الاستعمال الغالب في منطقتنا ، ويظهر ذلك في مسألة الهمزات ، حيث نجد في بعض اللهجات أن الهمز من صفاتها ومن خصوصياتها في النطق ، بخلاف لهجة قريش فإنها لا تهمز ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتعد عن الهمز .

وقد يعلل أهل القراءات بأن الهمز هو مدعاة إلى التجشؤ وأنه مستقبح عند العرب ، ومن أمثلة ذلك أيضا : قوله الله عز وجل : { وَيَبْرُءُ مُعْطَلَةً } [الحج: 45] .

فعن ابن السكيت قال: البئر أنثى، تصغيرها بؤيرة، وتجمع ثلاث أبؤر، وتجمع أبئارا، ويقلب فيقال آبار، وتجمع أيضا بيار ، وروي عن ورش عن نافع، وابن جمان، ويعقوب، وخارجة { وَيَبْرُءُ مُعْطَلَةً } بلا همزة.

قال الأصمعي: سألت نافعا عن (البير) و (الذيب) أتهمز ، فقال: إن كان العرب تهمزها فأهمزها، والباقون يهمزون¹⁷ .

وهذه الكلمة بدون همز هي الراجح في بيئتنا المحلية وهي المستعمل .

ثانيا : تطابق المعاني

المسألة الأولى :

قال الله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَذَارًا لِّلْمُتَّقِينَ (73) } . [الواقعة:73] .
وقد اخترنا من هذه الآية لفظ: المقوين .

ف نجد أهل التفسير يعطون معاني لهذه اللفظة على حسب ما تناقلوه من علمهم ولا يخرجون على معنى عام وهو المسافر، فتعني لفظة المقوين المسافرين الذين ينزلون القواء، أي: المفازة، فإنّ انتفاعهم بالزند أكثر من انتفاع الحضريين أو الجائعين، ذلك أنّ أصل القواء الخلو¹⁸.

غير أنّ ارتباط النار مع المسافر ارتباط بعيد، بينما نجد أنّ ارتباط النار بمفتقدها أقرب، فاللهجة المحلية الجلفاوية تقول في وصف الإنسان الذي يرتعش من البرد هو "قاوي"، وهذا النطق نجد له ما يؤيده ويدعمه من المفسرين كالإمام الطبري، فقد عني بالمقوين: المستمتعين بها.¹⁹ ولهذا في لهجتنا معنى قاوي أي الذي اعتراه البرد ويحتاج إلى الاصطلاء بالنار.

وأيضاً قول مجاهد: المقوين: المستمتعين بها من الناس أجمعين؛ في الطبخ والخبز، والاصطلاء والاستضاء²⁰.

المسألة الثانية :

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة: 79].

ونأخذ من هذه الآية لفظ اللمز، فمعنى كلمة يلمزون: يعيبون بالكلام الواضح أو بالإشارة بالعين أو الرأس، مع كلام خفي²¹. وهي صفة من صفات المنافقين في تغير حالهم وتقلب في صفحات وجوههم، ففي كل موطن لا يشبتون.

أما في لهجتنا فيكاد هذا الوصف يكون بذاته، فيقال للإنسان الذي له حركات تنم عن تقلب أفعاله: يتلومز.

وقد جاء ذكر هذا المعنى في القرآن بصفات عديدة؛ قال تعالى: {وَيَلْ لَّكُم هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ} [الهمزة: 01].

المسألة الثالثة :

في قوله تعالى: { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } [يونس: 53].

ونختار من هذه الآية لفظ إي.

قال الإمام مقاتل ويستخبرونك أحق هو قُلْ إِي وَرَبِّي، ويعني بلى وربى إنّه لحق²².

حيث نجد هذا اللفظ المشار إليه يتداول في أوساطنا المحلية وفي تعاملنا اليومي، حيث يأتي إجابة عن سؤال ، فإذا سألت أحدهم هل درست اليوم ، فيجيبك : إيه ، بمعنى نعم ، وهو الجواب الذي يكون بعد الاستفهام .
ويحسن أن لا يقال بلى ؛ لأنها تكون لسؤال يستفتح بـ: أليسَ .

المسألة الرابعة :

قال تعالى : { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } [سبأ: 16].

إن اللفظ المختار في هذه الآية هو الأثل ، والأثل هو شجرة تسمى الطرفاء .
والشاهد فيها هو استعمال الرعاة في الصحراء للفظة الأثل ، فيقولون باللسان المحلي الدارج: خليت الغنم ترعى في لثل، أي أن الدلالة الصوتية فيها تطابق تام .

المسألة الخامسة :

البرمة وهي القدر من الحجر والجمع بُرم²³ .
وقد وردت هذه اللفظة في كلام المفسرين ، فعن عائشة قالت، وذكرت هذه الآية: { أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا } [الأنعام: 145] قالت: «وإن البرمة ليرى في مائها الصفرة»²⁴.

أما في الحديث النبوي فقد ورد هذا المصطلح في كثير من الأقوال النبوية الشريفة، فعن خولة بنت قيس -رضي الله عنها - قالت : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقلت يا رسول الله بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضا ما بين كذا إلى كذا ، قال أجل وأحب الناس إلى أن يروى منه قومك ، قالت : فقدمت إليه برمة فيها خبزة أو حريرة فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في البرمة ليأكل ؛ فاحترقت أصابعه فقال : حس، ثم قال : ابن آدم إن أصابه البرد قال حس ، وإن أصابه الحر قال حس²⁵ .

وما من شك أن هذا اللفظ متداول في بيئتنا ، ولا غرابة في استعماله .

خاتمة :

مما سبق يتبين لنا أن أفصح لهجات العرب هي اللهجات المنطوقة في القرآن الكريم ، وأن هناك تراثا ضخما من الألفاظ القرآنية تستعمل في بيئتنا المحلية، وهذا يساعد في فهم الغريب من الألفاظ.

إنّ هذه الألفاظ جديرة بالتسجيل والتدوين ، بل ينبغي أن يكون لها نصيب في أبحاثنا ورسائلنا ، ذلك أنّ هذا يدخل في حفظ اللسان والتراث معا .
كما يجدر التنبيه أنّ كثيرا من المصطلحات في بيتنا وربوعنا هي من مصافّ الفصح لا عامية كما هو المتبادر في الأذهان، إلّا أنّه يعوزها الدليل والاحتجاج من القرآن أو من كتب الغريب أو من الشعر العربي ، وهي من المسائل البحثية لمن أراد تحصيل ذلك .

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد .

الهوامش :

- القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم .
- 1 - الرافعي، تاريخ آداب العرب . دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان، ط2 ، 1394هـ - 1974م ، 71/2.
- 2 - أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، 17- 19.
- 3 - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379، 9/9.
- 4 - ابن كثير ، فضائل القرآن ، مكتبة ابن تيمية ط1/ 1416 هـ، ص 31.
- 5 - ابن فارس: الصحابي، مكتبة المعارف، بيروت، 1993م، ص 55 . وأحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1388هـ، 1958م، 52/1 .
- 6 - السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م، 1/11، وأحمد رضا: معجم متن اللغة، 10/43
- 7 - ابن حجر، مصدر سابق ، 9/27، السيوطي: الإتقان، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973 م، 47/1 .
- 8 - البشري السيد مُحَمَّد هاشم ، القرآن الكريم واللهجات العربيّة (دراسة لغويّة) ص 6 ، المكتبة الشاملة إصدار المكتب التعاوني بالروضة.
- 9 - السيوطي، الإتقان ،مصدر سابق ، 119/1.
- 10 - غريب القرآن في شعر العرب ، مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس ، المكتبة الشاملة ، ص 91.
- 11 - نفس المصدر .
- 12 - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2/ 1420هـ - 1999 م . 8 / 510.
- 13 - السمعاني ، تفسير القرآن ،تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض - السعودية ، ط1/ 1418هـ - 1997م، 91/2 .

- 14 - الجاحظ، البيان والتبيين، دار صعب - بيروت ، ط1/1968 تحقيق : المحامي فوزي عطوي. 18/1 .
- 15 - السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر - بيروت ، 1993 ، 620/5 .
- 16 - ابن الجوزي ، نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1/1405 ، ص 187.
- 17 - الأزهرى ، معاني القراءات مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ط1/1412 هـ - 1991 م ، 183/2 .
- 18 - الإيجي ، جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي) ، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1/ - 2004 م ، 252/4 .
- 19 - الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1/2001 م ، 357/22 .
- 20 - الشوكاني ، فتح القدير ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط1/1414 هـ ، 191/5 .
- 21 - مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط1/1973 م ، 1738/3 .
- 22 - مقاتل بن سليمان تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث - بيروت ، ط1/1423 هـ ، 85/1 .
- 23 - الفيومي ، المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، موقع مكتبة المدينة الرقمية ، 29/1 .
- 24 - تفسير الطبري ، مصدر سابق ، 635/9 .
- 25 - الإمام أحمد ، المسند الإمام ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1/2001 م ، 296/45 .

المصادر المراجع

قائمة المصادر

- 1 - القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم .
- 2 / الازهري - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور الأزهري، معاني القراءات مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ط 01 / 1412 هـ - 1991 م ، 2/183
- 3 / الايجي . محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي) ، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 01 / - 2004 م ، 4/252 .
- 4 / ابن الجوزي . نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 01 / 1405
- 5 / ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379، 9/9
- 6 / ابن حنبل . الإمام أحمد ، المسند الإمام ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط 01 / 2001 م ، 45/296 .
- 7 / ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 02 / 1420 هـ - 1999 م . 8 / 510 .
- 8 / ابن كثير، فضائل القرآن ، مكتبة ابن تيمية ط 01 / 1416 هـ
- 9 / ابن عباس ، غريب القرآن في شعر العرب ، مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس ، المكتبة الشاملة
- 10 / ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، 1993م .
- 11 / الجاحظ البيان والتبيين، دار صعب - بيروت ، ط 01 / 1968 تحقيق : المحامي فوزي عطوي. 1/18 .
- 12 / السمعاني تفسير القرآن ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض - السعودية ، ط 01 / 1418 هـ - 1997 م ، 2/91 .
- 13 / السيوطي الدر المنثور، دار الفكر - بيروت ، 1993 ، 5/620
- 14 / السيوطي الإتقان ، مصدر سابق ، 1/119 .
- 15 / السيوطي المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، 1418 هـ 1998 م ، 1/11
- 16 / الشوكاني فتح القدير ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط 01 / 1414 هـ ، 5/191 .
- 17 / الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد

- السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1/ 2001 م ، 357/22 .
- 18 / الفيومي المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، موقع مكتبة المدينة الرقمية ، 29/1 .
- 19 / مقاتل بن سليمان تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث – بيروت ، ط1/ 1423 هـ ، 85/1 .
- ب/ قائمة المراجع:
- 1 / - البشري السيد مُحَمّد هاشم ، القرآن الكريم واللهجات العربيّة (دراسة لغويّة) ص 6 ، المكتبة الشاملة إصدار المكتب التعاوني بالروضة د. ط / د.س
- 2 / مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب. ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان، ط2 ، 1394 هـ - 1974 م، 71/2 .
- 3 / أحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1388 هـ، 1958 م، 52/1
- 4 / مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط1/ 1973 م ، 3/ 1738
- 5 / أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 1988 م، 17 - 19 .



أثر تمكين العاملين على الابداع الاداري دراسة لآراء عينة من

موظفي جامعة غرداية

The impact of works' empowerment on the administrative creativity-study a staff sample's views in the university of ghardaia-

بهاز جيلالي¹، هوارى معراج²

1 -مخبر البحث: التطبيقات الكمية والنوعية للارتقاء الاقتصادي والاجتماعي والبيئي

بالمؤسسات الجزائرية-جامعة غرداية

2 -جامعة غرداية

bahaz.djillali@vniv-ghardaia، Bahaz_dj@yahoo.fr¹
Houari.maaradj@vniv-ghardaia، m_houari@yahoo.fr²

تاريخ القبول: 2019-11-10

تاريخ الاستلام: 2019-10-06

ملخص -

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر تمكين العاملين في الإبداع الإداري من وجهة نظر آراء موظفي جامعة غرداية، ولتحقيق أهداف الدراسة وزعت استبانة مكونة من 27 عبارة على عينة مكونة من 100 موظف، وقد اعتمدت الدراسة في تحليل بيانات الاستبانة على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، ولاختبار الفرضيات تم استخدام بعض الأساليب الإحصائية منها تحليل الانحدار البسيط والمتدرج، وقد توصلت الدراسة إلى وجود أثر لأبعاد التمكين الخاصة بالمشاركة في اتخاذ القرارات والثقة في الابداع الاداري، كما تم التوصل إلى عدم وجود أثر لأبعاد التمكين الخاصة بالاستقلالية وحرية التصرف، والتحفيز في الابداع الاداري، أما أهم ما أوصت به الدراسة فهو ضرورة منح الموظفين استقلالية وحيزا أكبر لحرية التصرف والقيام بالأعمال مع تحفيزهم ماديا ومعنويا قصد تشجيعهم لتقديم أفكار جديدة وخلق روح الابداع لديهم.

الكلمات المفتاحية -

تمكين العاملين، استقلالية وحرية تصرف، تحفيز، ابداع اداري.

Summary -

The Aim Of This Study Is To See The Importance Of The Effect When Enabling The Staff Of The Administrative Creativity From The Points Of View Of The University Of Ghardaia Employees . And To Achieve The Goals Of The Study, A Questionnaire Comprising Of 27 Expressions Over A Sample Containing 100 Employees. The Study Adopted, When Analyzing The Questionnaire Data, The Statistical Package Of Social Sciences (SPSS) And To Test The Hypotheses, Some Statistical Methods Were Applied Some Of Which Were The Simple And The Gradual Gradient.

The Study Came Up With The Existence Of The Dimension Empowerment Concerning The Participation In The Decisions And The Administrative Creativity Dependability. And No Trace Of Existence Of The Dimension Empowerment Concerning The Independence And The Discretion Or Any Stimulus For The Administrative Creativity .

The Most Important Point The Study Came Up With Was The Necessity Of Granting The Employees The Independence And A Wider Space Of Discretion When Performing Business And The Importance Of Stimulation Materially And Morally To Encourage The Employees Devising New Ideas And Original Creativity.

Key Words-

Enabling The Employees, Independence, Discretion, Stimulus, Administrative Creativity.

مقدمة

لعل تسارع التقدم العلمي والتطور التقني الذي تم تحقيقه في مختلف المجالات يتطلب النظر للأمور بطريقة متجددة، ومن ضمنها توليد الأفكار المستحدثة وتشجيع الإبداع الإداري، خاصة في الدول الأقل حظا التي تسعى جاهدة إلى اللحاق بركب التقدم العلمي والتطور التقني، لذلك فهي بحاجة للتغيير المستمر، لكن أي جهود للتغيير لا تأخذ بعين الاعتبار العنصر البشري فإنها قد تسقط، وبالتالي تحركت الاتجاهات لمشاركة العاملين في عملية التغيير، ويعتبر العنصر البشري أحد مقومات المنظمة، لذلك يجب منحه الحرية في أداء مهامه وإشراكه في اتخاذ القرارات ومنحه سلطات أكبر وأوسع، وهذا ما يعبر عنه مفهوم التمكين الذي يهدف إلى توفير الظروف الكاملة للسماح لكافة العاملين بأن يساهموا بأقصى طاقاتهم وقدراتهم ومواهبهم، وبما أن التمكين هو عبارة عن إعطاء حريات وسلطات أكبر فهو بذلك يعطي فرصة كبيرة لأعمال العقل والتفكير الإبداعي.

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في أن مفهوم تمكين العاملين من المفاهيم الحديثة نسبيا خاصة في الدول النامية والتي لا تزال منظماتها تتجاهل هذا الأسلوب الإداري وتطبيقه، ولهذا ارتأينا أن تكون اشكاليتنا على النحو التالي:
ما مدى تأثير تمكين العاملين على الإبداع الإداري في جامعة غرداية من وجهة نظر الموظفين؟

فرضيات الدراسة:

- هناك ممارسات لأبعاد تمكين العاملين في جامعة غرداية من وجهة الموظفين بجامعة غرداية.
- هناك ممارسات الإبداع الإداري من وجهة نظر الموظفين بجامعة غرداية.
- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لممارسات أبعاد تمكين العاملين على الإبداع الإداري في جامعة غرداية.

أهمية الدراسة:

يعتبر مدخل تمكين العاملين والابداع الاداري من المداخل الحديثة في الادارة، وبالتالي فإن ذلك يساعد تمكين العاملين على زيادة خبرة العاملين وإكسابهم مهارات جديدة في العمل الميداني، كما يحفز العاملين وينمي لديهم مواطن القوة ومعالجة مواطن الضعف في أداء أعمالهم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى معرفة مدى وجود ممارسات أبعاد تمكين العاملين والابداع الاداري بالنسبة لموظفي جامعة غرداية، كما تهدف أيضا إلى معرفة مدى وجود أثر لأبعاد تمكين العاملين في الابداع الاداري وهذا من وجهة نظر الموظفين في جامعة غرداية، وذلك كله قصد تقديم اقتراحات وتوصيات تفيد المؤسسة الوقوف عند النقص الموجودة والتركيز عليها مستقبلا.

المحور الأول: مفاهيم حول التمكين

أولا: تعريف التمكين

ولقد وردت العديد من التعاريف للتمكين نذكر منها:

عرّفه (العديلي، 2008) بأنه: "عملية إتاحة الفرصة للآخرين في زيادة قدراتهم الفردية والجماعية وتقديم أفضل ما لديهم في مجال المشاركة بالمعلومات والقرارات والمهام الإدارية وإشعارهم بالملكية للتوظيف للنمو والتطور والإبداع".¹

أما (Doft, 1992) فقد وصف التمكين بأنه: "محاولة نشر ومشاركة القوة في كلّ مكان من المؤسسة، وعبر عنه كذلك بأنه منح الأفراد العاملين القوة والحرية والمعلومات لصنع القرارات والمشاركة في اتخاذها".²

وبناء على ما سبق نستخلص التعريف التالي :

" تمكين العاملين هو إعطاء القوة اللازمة للمرؤوسين من خلال القدرة على التأثير في الآخرين وزيادة تحملهم للمسؤولية ،ومنحهم الصلاحيات التي تتمثل في المشاركة في اتخاذ القرارات وحرية التصرف في العمل مع مزيد من

¹ عماد علي مهيّرات، أثر التمكين على فاعلية المنظمة، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2010، ص22.

² عادل البغدادي، رافد الحدراوي، الإشراف الإستراتيجي ومستوى التمكين التنظيمي، دار الصفاء للطباعة والنشر، ط 1، عمان، 2013، ص131.

الثقة ليساعدهم ذلك في القدرة على التغيير وتحقيق نوع من التطور والنمو والإبداع".

ثانياً: أهمية تمكين العاملين

تتمثل أهمية التمكين فيما يلي □ :

-التمكين يعطي مزيداً من المسؤولية المناسبة للقيام بما هو مسؤول عنه (أي إعطاء الإنسان الأقرب للمشكلة مسؤولية كاملة وحرية للتصرف في المشكلة لأنه أو لأنها أقرب الناس للمشكلة وأكثرهم احتكاكاً وتأثيراً بمشكلته أو مشكلتها).

-للمتمكين أهمية خاصة وذلك لارتباطه بمجموعة قضايا مهمة على رأسها اللامركزية الإدارية، والجودة الشاملة، وإعادة الهندسة، وإعادة الهيكلة، وعمل الفريق، والمؤسسة المتعلمة، والمؤسسة الأفقية، وغيرها من القضايا التي تتعلق بنجاح المؤسسة وتفوقها وقدرتها التنافسية فهذه المفاهيم لها علاقة وثيقة بموضوع التمكين وهذه العلاقة تكاد تكون في بعض الأحيان إما سبباً أو نتيجة.

-تنتج أهمية تمكين العاملين من كونهم أهم الضمانات الحيوية لاستمرار المنظمة إذ يسهم التمكين في رفع معنويات ورضا العاملين ويشعرهم باتاحة الفرصة لإظهار قدراتهم، هذا الرضا الذي يسهم مع حرية التصرف في إثراء التفكير الإبداعي والسعي لتحسين الأداء.

ثالثاً: أبعاد التمكين

يمكن تصنيف أبعاد التمكين إلى مايلي:

البعد الأول : الاستقلالية وحرية التصرف

يشير هذا البعد الاستقلالية إلى إلغاء دور المشرفين في خطوط العمليات، ومنح العاملين صلاحيات واسعة باتخاذ إجراءات ذات مساحات أوسع كإعادة الهيكلة ، أما حرية التصرف فتعد العامل الأكثر أهمية في تمكين العاملين لأنها تتضمن منح الأشخاص العاملين سعة التصرف في النشاطات الخاصة بالمهام التي يمارسونها، وقد تكون حرية التصرف روتينية عندما يؤدي العاملين مهامهم ضمن مجموعة خيارات متاحة، كما قد تكون حرية إبداعية

¹ مريم شرع، أثر التمكين في سلوكيات الدور الرسمي والإضائي، رسالة ماجستير، كلية

الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة اليرموك، الأردن، 2009، ص30.

غير روتينية، وهذه الأخيرة تعتمد على قدرة العامل في إيجاد بديل بما يعبر عن قدرته على الإبداع، ويتضمن هذا البعد الأبعاد الفرعية الآتية¹ :

- **وضوح الرؤية:** معرفة العاملين كافة لرسالة المؤسسة وأهدافها وإستراتيجيتها.

- **تحديد الأطر الإرشادية:** ويعني ذلك ضمان التصرف على وفق ما مخطط له في إطار رؤية المؤسسة وإستراتيجيتها وأهدافها.

- **نظم الرقابة:** أي تشخيص النظام الرقابي الملائم لإشاعة عامل الرقابة الذاتية لدى العاملين وما يستلزم من نظم رقابية أخرى كالرقابة الحديثة والرقابة المتفاعلة ونظم رقابة المعتقدات.

-البعد الثاني: المشاركة في اتخاذ القرارات

تعد عملية اتخاذ القرار من المسؤوليات الرئيسية التي تقع على عاتق المدير ويتحملها بوصف اتخاذ القرار نشاطا إداريا وتنظيميا وأهم عامل فيها هم الأشخاص الذين يتخذون القرارات، وجوهر التمكين قوته تكمن في مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات والخروج من الروتين ومحاولة الإتيان بشيء جديد يضمن لهم حق صنع القرار والمشاركة في اتخاذه دون الرجوع إلى دائرة الإشراف الضيقة، وهذا مما يدفع بالعاملين نحو مواكبة التغيير، ويمثل أمرا حاسما في حل المشكلات في بيئة العمل².

البعد الثالث: تحفيز العاملين

تسهم الحوافز المادية والمعنوية في تمكين العاملين من خلال زيادة دافعيتهم ورضاهم وانتماؤهم الوظيفي، وبصفه خاصة عندما تشبع احتياجاتهم، وبشرط تقديمها في الوقت المناسب وربطها بنظام تقويم الأداء، لكي لا تمنح الحوافز إلا لمستحقيها، وتكون بمثابة دافع حقيقي لتطوير أداء

¹ بن مرزوق العتيبي، **جوهر تمكين العاملين: إطار مفاهيمي**، الملتقى السنوي العاشر لإدارة الجودة الشاملة 17 - 18 أبريل، 2005، الرياض، السعودية، ص 16 - 17.

² دعاء عبد العزيز الجعبري، **واقع تمكين العاملين في الجامعات العامة الفلسطينية العاملة في**

الضفة الغربية من وجهة نظر عامليها الإداريين، رسالة ماجستير، فرع إدارة

الأعمال، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، 2010، ص 45

العاملين كنتاج نهائي للتمكين¹.

البعد الرابع: الثقة

هي استعداد الفرد للتعامل مع الآخرين معتقدا بكفاءتهم وأمانتهم أو صدقهم واهتمامهم بمصلحته وعدم توقع إساءتهم، والثقة شعور متبادل بين القادة والمرؤوسين وثقة الناس في القائد دليل على نجاحه وهي من أهم المقومات التي تؤدي إلى تكوين التمكين الذي يجعل المرؤوسين يتصرفون وكأنهم أصحاب المنظمة أو على الأقل منهم شركاء فيها².

المحور الثاني: مفاهيم حول الابداع الاداري

أولاً: مفهوم الابداع الاداري

لقد تعددت تعريف الابداع الاداري وذلك لاختلاف وجهات نظر الباحثين، نذكر منها:

عرف الدكتور (عاطف عوض، 2013) الإبداع الإداري بأنه: " مجموعة الإجراءات والعمليات والسلوكيات التي تؤدي إلى تحسين المناخ العام في المنظمة وتفعيل الأداء الإبداعي من خلال تحفيز العاملين على حل المشكلات واتخاذ القرارات بأسلوب أكثر إبداعاً"³.

كما يعرفه (القحطاني، 2011) بأنه: " استخدام الموظف لمهاراته الشخصية الإبداعية في استنباط أساليب إدارية جديدة أو توصله إلى حلول ابتكاريه لمشكلة

¹ حسن مروان عفانه، التمكين الإداري وعلاقته بفاعلية فرق العمل، رسالة ماجستير، قسم إدارة أعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، 2013، ص 15.

² شرع مريم، الإدارة التمكينية كمدخل حديث في تحقيق جودة الخدمات التعليمية الجامعية، دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2015، ص 74.

³ عاطف عوض، أثر تطبيق عناصر الإبداع الإداري في التطوير التنظيمي، دراسة ميدانية على العاملين في مؤسسات الاتصالات الخلوية في لبنان، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد 03، 2013، ص 208.

إدارية تواجه مصلحة التنظيم أو تصورات جديدة لمعالجة تلك المشكلة بالاعتماد على التحليل المنطقي والاختبار والتجريب والتقويم"¹.

ثانياً: أهمية الابداع الاداري

تتمثل أهمية الابداع الاداري فيما يلي:

- القدرة على الإستجابة لمتغيرات البيئة المحيطة، مما يجعل التنظيم في وضع مستقر إذ يكون لديه الإستعداد لمواجهة هذه التغيرات بشكل لا يؤثر على سير العمليات التنظيمية.

- تحسين خدمات التنظيم بما يعود بالنفع على التنظيم والفرد؛

- المساهمة في تنمية القدرات الفكرية والعقلية للعاملين في التنظيم عن طريق إتاحة الفرصة لهم في إختبار تلك القدرات؛

- الإستغلال الأمثل للموارد المالية عن طريق إستخدام أساليب علمية تتواءم مع التطورات الحديثة؛

- حسن إستغلال الموارد البشرية والإستفادة من قدراتهم عن طريق إتاحة الفرصة لها في البحث عن الجديد في مجال العمل والتحديث المستمر لأنظمة العمل بما يتفق مع التغيرات المحيطة.

ثالثاً: مستويات الإبداع الإداري

يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات للإبداع في المنظمات حيث أنها تعزز بعضها البعض وجميعها ضرورية للمنظمات المعاصرة تتمثل في :

1 - **الإبداع على مستوى الفرد** : هو الإبداع الذي يتم التوصل إليه من قبل أحد الأفراد^٢.

ومن بين السمات التي يتميز بها الشخص المبدع:

- **المعرفة** : يبدل الفرد وقتاً كبيراً لإتقان عمله .

¹ محمود حسن جمعة، حيدر شاكر نوري، **تأثير القيادة الإدارية الناجحة في تحقيق الإبداع الإداري**، دراسة تطبيقية لأراء القيادات العليا في جامعة ديالى، مجلة الإدارة والاقتصاد،

السنة الرابعة والثلاثون - العدد 90، بغداد العراق، 2011، ص 309 .

² توفيق العطية توفيق العجلة، **الإبداع الإداري وعلاقته بالأداء الوظيفي في لمدىري القطاع العام**

دراسة تطبقى قىة على وزارات قاع غزة، رسالة ماجستى، الجامعة الإسلامية بغزة،

1430هـ / 2009م، ص 15.

³ جوبتا، براهن، **الابداع الإداري في القرن الحادي والعشرين**، ترجمة احمد مغربي، دار الفجر

للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص 109.

⁴ حريم حسن، **إدارة المنظمات منظور كلي**، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص ص

-**الذكاء** : الإنسان المبدع ليس بالضرورة عالي الذكاء ولكنه يتمتع بالقدرات التفكيرية على تكوين علاقات مرنة بين الأشياء .

-**الشخصية** : يحب الفرد المبدع روح المخاطرة ويكون عالي الدافعية ومنفتح على الآراء الجديدة وقادر على التسامح مع العزلة ولديه إحساس كبير بالفكاهة.

-**العادات الاجتماعية** : الإنسان المبدع ليس متطوعا على نفسه بل يميل إلى التفاعل وتبادل الآراء مع الآخرين .

2 -**الإبداع على مستوى الجماعات** : وهو الإبداع الذي يتم تقديمه أو التوصل إليه من قبل الجماعة، وإبداع الجماعة أكبر من المجموع الفردي لإبداع أفرادها ¹ .

3 - **الإبداع على مستوى المنظمة** : ويتم التوصل فيه عن طريق الجهد التعاوني لجميع أعضاء المنظمة ² .

رابعا: مراحل الابداع الاداري

تزخر أدبيات الإدارة بالعديد من النماذج التي تتحدث عن الإبداع الجماعي في حل المشكلات ومن أشهرها نموذج (ويست1990م، West) والذي يتميز بإمكانية تطبيقه على المستويين الاجتماعي والتنظيمي، ويتكون هذا النموذج من أربع مراحل هي ³:

1 - **مرحلة إدراك الحاجة إلى الإبداع** : تدرك الجماعة الحاجة إلى الإبداع حين يكون هناك فجوة بين الأداء المتوقع والأداء الحالي، وبالتالي فإن التفكير الإبداعي يحدث كاستجابة لهذه الفجوة، أو حينما تدرك المنظمة أو الجماعة أهمية بعض الإبداعات كمطلب أساسي لاستمرار وبقاء المنظمة.

2 - **مرحلة المبادرة بطرح الأفكار الإبداعية** : وتحتضن هذه المرحلة الاقتراحات الإبداعية للآخرين الذين يمثلون جماعة العمل وذلك بغرض حل المشكلة أو تحسين الوضع الراهن، ولاشك أن لهذه المرحلة أهميتها في تفعيل العملية الإبداعية من خلال قبول الأفكار الإبداعية التي تسهم في حل المشكلة أو

¹ محمود سلمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر والتوزيع، ط06، عمان، الأردن، 2013، ص393.

² محمود سلمان العميان، المرجع السابق، ص 394.

³ توفيق العطية توفيق العجلة، مرجع سبق ذكره، ص22.

تقود إلى توليد أفكار إضافية أو رفض تلك الأفكار وبالتالي فقدت العملية الإبداعية جزءاً من وجودها.

3 - مرحلة التطبيق : يتم في هذه المرحلة تبني وتوظيف الأفكار الإبداعية المرغوبة، ومن المتوقع في هذه المرحلة إجراء بعض التعديلات على الأفكار لتمكينها من التطبيق بنجاح.

4 -مرحلة الثبات : وهي المرحلة التي يصبح فيها العمل الإبداعي أو الفكرة الإبداعية جزءاً اعتيادياً من المنظمة حيث يرتبط بثقافة ومعايير إجراءات الرقابة في المنظمة.

المحور الثالث: دراسة تأثير أبعاد تمكين العاملين في الابداع الاداري من وجهة نظر موظفي جامعة غرداية

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في جمع بياناتها حيث تم اجراء المس المكتبي والاطلاع على الأدبيات المتعلقة بل من التمكين والابداع الاداري، أما على صعيد دراسة حالة قد تم جمع البيانات من خلال تصميم استبانة تم توزيعها للحصول على اجابات يتم تحليلها لاختبار صحة الفرضيات استبيانات في شكلها النهائي بغرض جمع بيانات تفيد في الاجابة على.

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكون مجتمع الدراسة من كل الموظفين بجامعة غرداية ، أما عينة الدراسة فقد كانت غير عشوائية اشتملت على 100 مفردة موزعة كالآتي: " رؤساء مصالح، مساعدين إداريين، سكرتاريا، وموظفين موزعين على مختلف المكاتب والمصالح الإدارية".

أداة الدراسة:

من خلال طبيعة الدراسة وطبيعة البيانات والمعلومات المراد الحصول عليها من أفراد عينة الدراسة فقد تم الاعتماد على الاستبيان حيث تم تصميمه بغرض جمع البيانات الأولية من أفراد العينة، وقد تم توزيع 100 استبيان على أفراد عينة الدراسة، إذ تم استرجاع 87 استبيان، حيث تم استبعاد 07 منها نتيجة لعدم صلاحيتها للتحليل، وخلص عدد الاستبيانات الخاضعة للتحليل إلى 80 استبيان، أي ما نسبته 80% من إجمالي مجتمع الدراسة، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (01): يوضح الإحصائيات الخاصة باستمارة

البيان	العدد	النسبة
عدد الاستثمارات الموزعة	100	100%
عدد الاستثمارات المسترجعة	87	87%
عدد الاستثمارات الغير مسترجعة	13	13%
عدد الاستثمارات الملغاة	07	07%
عدد الاستثمارات المقبولة	80	80%

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا عن نتائج استمارات الاستبيان.

يبين الجدول أعلاه أن العدد الإجمالي الذي تم استعادته من الاستبيانات التي وزعت هو (87) استبيان، وهذا العدد يشكل ما نسبته (87%) من العدد الموزع والبالغ (100) استبيان. و عدد الاستبيانات المستبعدة كانت (7) استبيان في حين نجد أن الاستبيانات الخاضعة للتحليل بلغ عددها (80) بنسبة (80%) من أفراد عينة الدراسة، كما أن عدد الاستبيانات الغير مسترجعة بلغ (13)، أي ما نسبته (13%) من أفراد عينة الدراسة.

متغيرات الدراسة:

تم الاعتماد على متغيرين للدراسة وهما المتغير المستقل والمتغير التابع، وذلك موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (02): متغيرات الدراسة

الاسم	المتغيرات
تمكين العاملين	المتغير المستقل
الإبداع الإداري	المتغير التابع

المصدر: من إعداد الباحثين.

صدق وثبات الاستبيان:

ثبات أداة الدراسة: يقصد به أنه عند إعادة توزيع الاستبيان مرة ثانية على نفس أفراد العينة في فترتين مختلفتين وفي الظروف نفسها فنحصل على نفس النتائج السابقة. وفي الظروف نفسها وقد تم التحقق من ثبات الأداة باستخدام معامل ألفا كرونباخ Alpha Cronbach للتأكد من الثبات الكلي للاستبيان ودرجة الاتساق الداخلي بين فقراته.

- اختبار الاتساق الداخلي لأداة الدراسة: باستخدام معامل ألفا كرونباخ، لقياس مدى ثبات محاور الاستبيان، والاتساق الداخلي لفقراته والنتائج ممثلة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (03): معاملات الثبات لمعدل كل محور من محاور الدراسة مع المعدل الكلي لجميع فقرات الاستبيان.

عنوان المحور	عدد الفقرات	قيمة ألفا كرونباخ
جميع الفقرات	27	0.742

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.
من خلال الجدول رقم (03) جاء معامل الثبات العام للاستبيان عال حيث بلغ (0.742)، حيث كان أكبر من الحد الأدنى المقبول لمعامل الثبات (60%)، وهذا يدل أن الاستبيان بجميع محاوره يتمتع بدرجة من الثبات يمكن الاعتماد عليها.

- توزيع البيانات: تم إجراء اختبار كولجروف - سمرنوف لمعرفة هل تتبع البيانات التوزيع الطبيعي أم لا وهو اختبار ضروري في حالة اختبار الفرضيات لأن معظم الاختبارات المعلمية تشترط أن يكون توزيع البيانات طبيعياً، والجدول التالي يوضح النتائج:

الجدول رقم (04): نتائج اختبار كولجروف - سمرنوف في توزيع البيانات.

القسم	عنوان المحور	عدد الفقرات	قيمة Z	قيمة الدلالة	مستوى
الأول	عبارات محاور يمكن العاملين	17	0,805	0,537	
الثاني	عبارات محور الإبداع الإداري	10	0,773	0,589	
	جميع الفقرات	27	0,591	0,876	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.
من خلال الجدول رقم (04) يتضح أن قيمة Z للمحور الأول تساوي (0,805)، وأن مستوى الدلالة يساوي (0,537) أي أنها دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05)، كما يتضح أن قيمة Z للمحور الثاني تساوي (0,773)، وأن مستوى الدلالة يساوي (0,589)، أي أنها دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05)،

ويتضح من الجدول أيضا أن قيمة مستوى الدلالة لجميع الفـقـرات أكبر من (0.05)، أي ($Sig < 0.05$) وهذا يدل على أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي، وبناءً عليه نقبل الفرضية الصفرية H_0 ونرفض الفرضية البديلة H_1 ، حيث يتجه تحليلنا نحو الطرق المعلمية.

اختبار الفرضيات:

الفرضية الرئيسة الأولى:

H_0 : لا يوجد هناك ممارسات لأبعاد تمكين العاملين في المؤسسة محل الدراسة

H_1 : يوجد هناك ممارسات لتمكين العاملين في المؤسسة محل الدراسة

تم اختبار هذه الفرضية بمقارنة المتوسط الحسابي للإجابات على جميع عبارات التمكين مع المتوسط الحسابي للأداة وهو (3) على مقياس سلم ليكارت الخماسي

الجدول رقم (05): يوضح نتائج اختبار T- Test الأحادي العينة لدرجات

الإجابة عن ممارسات أبعاد تمكين العاملين

التمكين	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T المحسوبة	قيمة Sig
0,60	6830,	0,60	13710,	0,000

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن قيمة المتوسط الحسابي لكل تمكين العاملين قدر ب 3,68 و بانحراف معياري قدره 0,60 وهذا ما يقابل درجة تطبيق مرتفعة إلا أن مستوى الدلالة المعنوية $Sig = 0,00$ وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة المعنوية المعتمدة 0,05، وهذا ما يجعلنا نقبل الفرضية البديلة وهي أن هناك ممارسات لتمكين العاملين في المؤسسة محل الدراسة.

الفرضية الرئيسة الثانية:

H_0 : لا يوجد هناك ممارسات للإبداع الإداري في المؤسسة محل الدراسة.

H_1 : يوجد هناك ممارسات للإبداع الإداري في المؤسسة محل الدراسة.

تم اختبار هذه الفرضية بمقارنة المتوسط الحسابي للإجابات على جميع عبارات التمكين مع المتوسط الحسابي للأداة وهو (3) على مقياس سلم ليكارت الخماسي

الجدول رقم (06): يوضح نتائج اختبار T- Test الأحادي العينة لدرجات الإبداع على ممارسات الإبداع الإداري

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T المحسوبة	قيمة Sig	الإبداع الإداري
,74573	0,41070	16,239	0,000	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن قيمة المتوسط الحسابي لكل عبارات الإبداع الإداري قدر ب 74573، وانحراف معياري قدره 0,41070، وهذا ما يقابل درجة تطبيق مرتفعة إلا أن مستوى الدلالة المعنوية $\text{sig} = 0,00$ وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة المعنوية المعتمدة 0,05، وهذا ما يجعلنا نقبل الفرضية البديلة وهي أن هناك ممارسات للإبداع الإداري في المؤسسة محل الدراسة

الفرضية الرئيسية الثالثة:

- الفرضية الرئيسية الثالثة: "يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0,05$ لممارسات تمكين العاملين في الإبداع الإداري من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة".

للتحقق من أثر تمكين العاملين في الإبداع الإداري تم إجراء اختبار تحليل التباين للانحدار لاختبار ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (07): يوضح مدى صلاحية النموذج لاختبار الفرضية

المتغير المستقل	R	R^2	الانحراف	B	Beta	درجة الحرية	F المحسوبة	مستوى الدلالة
	0,421	0,177	0,37495	0,284	0,411	1- 79	,85115	0,000**

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.

نلاحظ من خلال الجدول أن محور تمكين العاملين يؤثر معنويا على الإبداع الإداري حيث أظهر التحليل أن هناك أثر ذو دلالة إحصائية بين المتغيرين، إذ بلغ معامل التفسير (التحديد) $R^2 (0,177)$ وهي ذات دلالة إحصائية عند

مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) أي أن محور تمكين العاملين يفسر ما نسبته 17,7% من التباينات في المتغير التابع، وبالتالي فإن محور التمكين يسر بنسبة مقبولة التأثير في هذه العلاقة، مما يدل على وجود تأثير، كما بلغت قيمة β (0,411)، وهذا يعني أن الزيادة بدرجة واحدة في تمكين العاملين يؤدي إلى زيادة بدرجة (0,411) في الإبداع الإداري، أي أن هناك علاقة طردية. ونظرا لأن قيم F المحسوبة بلغت (85115)، وبمستوى دلالة 0,000، أي أنها دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، وهذا ما يثبت صلاحية النموذج. وبناء على ثبات صلاحية النموذج يمكن اختبار الفرضية الرئيسية الأولى للدراسة من خلال استخدام الانحدار المتدرج.

الجدول رقم (08): يوضح نتائج تحليل الانحدار للمتغيرات المستبعدة

الأبعاد	T	Sig
الاستقلالية وحرية التصرف	0,748	0,457
التحفيز	0,306	0,760

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.

يبين الجدول أعلاه المتغيرات المستبعدة والتي ليس لها تأثير على المتغير التابع حيث أن قيمة T غير دالة معنويا عند ($\alpha \leq 0.05$)

الجدول رقم (09): يوضح نتائج تحليل الانحدار للمتغيرات المتبقية

الأبعاد	B (الثابت)	T	SIG	R	R ²
المشاركة في اتخاذ القرارات	.180	.282	0.025	.4840	.2340
الثقة	.830	.5572	.0130	.4270	.1820

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS.

يبين الجدول رقم (09) أثر تمكين العاملين ببعدي المشاركة في اتخاذ القرارات والثقة في الإبداع الإداري، حيث أظهر التحليل وجود أثر ذو دلالة إحصائية بين المتغيرين فبلغت معاملات الارتباط r (0,427، 0,484) على التوالي عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، أما معامل التحديد (التفسير) R^2 فقد بلغ (0,182، 0,234) على التوالي أي أن بعد المشاركة في اتخاذ القرارات يفسر ما نسبته (23,4%) من التباينات في المتغير التابع، وبعد الثقة يفسر ما نسبته (18,2%)، وبالتالي فإن بعد المشاركة في اتخاذ القرارات له الأهمية الأعلى في التأثير في هذه العلاقة، مما يدل على أن هذا البعد يؤثر

أكثر من بعد الثقة في الإبداع الإداري، كما ، كما أن قيم T المحسوبة هي (2,28)، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$). وبالتالي فإن تمكين العاملين ببعدي المشاركة في اتخاذ القرارات والثقة يؤثر في الإبداع الإداري. وعليه يتم قبول الفرضية الفرعية الثانية للفرضية الرئيسية الثالثة والتي تنص على أنه "توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$ بين بعد المشاركة في اتخاذ القرارات و الإبداع الإداري". وكذا قبول الفرضية الفرعية الرابعة للفرضية الرئيسية الثالثة والتي تنص على أنه "توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha \leq 0.05$ بين بعد الثقة و الإبداع الإداري" في حين نجد أن معلمة انحدار بعد المشاركة في اتخاذ القرارات جاءت معنوية من خلال نتائج الجدول رقم (09) الذي يوضح تحليل الانحدار بين متغيرات الدراسة مما يعني أن بعد المشاركة في اتخاذ القرارات يؤثر في الإبداع الإداري، وبالتالي نقبل الفرضية، كما نجد كذلك أن معلمة انحدار بعد الثقة جاءت معنوية من خلال نتائج الجدول رقم (09) الذي يوضح تحليل الانحدار بين متغيرات الدراسة مما يعني أن بعد الثقة يؤثر في الإبداع الإداري، وبالتالي نقبل الفرضية

خاتمة -

يعتبر مفهومي تمكين العاملين والإبداع الإداري من المفاهيم الحديثة في الإدارة وبالتالي يجدر بنا دراستهما ومعرفة مدى توافرها في المؤسسات وهذا ما كان في دراستنا هاته، وذلك بالتطبيق على جامعة غرداية كدراسة حالة بالنسبة لموظفيها حيث خالصنا في الأخير على مجموعة من النتائج هي كالتالي:

- أفصح التحليل عن تبني أفراد عينة الدراسة لممارسات تمكين العاملين وبمستوى مرتفع إذ كان يعد بعد "الثقة" الأكثر إسهاما في تشكيل هذا المتغير ثم تليه الأبعاد الأخرى.

- أشارت نتائج الدراسة أن اتجاهات المبحوثين في المؤسسة محل الدراسة نحو مستوى الإبداع الإداري بشكل عام جاءت بدرجة مرتفعة إذ كان يعد رغبة الأفراد في الحصول على موقع ذو مكانة وامتياز أعلى الأكثر إسهاما في تشكيل هذا المتغير.

- توصلت الدراسة إلى وجود أثر معنوي لممارسات تمكين العاملين الخاصة بكل من بعد المشاركة في اتخاذ القرارات والثقة على الإبداع الإداري وهو ما يثبت صحة الفرضية الفرعية الثانية والرابعة الخاصة بالفرضية الرئيسية الثالثة.

- توصلت الدراسة إلى عدم وجود أثر معنوي لممارسات تمكين العاملين الخاصة بكل من بعد الاستقلالية وحرية التصرف والتحفيز على الإبداع الإداري وهو ما ينفي صحة الفرضية الفرعية الأولى والثالثة الخاصة بالفرضية الرئيسية الثالثة.

ومن خلال نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ضرورة الاهتمام بتنمية الوعي لدى الموظفين بمعرفة وإدراك أبعاد تمكين العاملين.
- تحفيز الموظفين معنويا وماديا وذلك بوضع نظام حوافز يقابل ما يقومون به من جهد وهذا ما من شأنه أن يزيد من أدائهم ويدفع بهم لتقديم أفكار جديدة والإبداع كل في وظيفته.

- العمل على عدم الحد من حرية واستقلالية الموظف وعدم الضغط عليه وتركه مقيدا بكل ما يجب أن يمليه عليه مسؤوله لأن ذلك يحد من قدراته وما يمكن أن يقدمه.

- تشجيع الموظفين على تقديم أفكار جديدة تسمح بتطوير كيفية القيام بالأعمال وتساعد على الحصول نتائج جيدة وحتى غير متوقعة من قبل الموظفين.

- العمل على إزالة كل العوائق التي من شأنها أن تحد من قدرة الموظف على الإبداع.

قائمة المراجع:

- عاطف عوض، أثر تطبيق عناصر الإبداع الإداري في التطوير التنظيمي، دراسة ميدانية على العاملين في مؤسسات الاتصالات الخلوية في لبنان، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد 03، 2013، ص 208.
- مريم شرع، أثر التمكين في سلوكيات الدور الرسمي والإضافي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة اليرموك، الأردن، 2009.
- بن مرزوق العتيبي، جوهر تمكين العاملين: إطار مفاهيمي، الملتقى السنوي العاشر لإدارة الجودة الشاملة 17 - 18 أبريل، 2005، الرياض، السعودية.
- توفيق العطية توفيق العجلة، الإبداع الإداري وعلاقته بالأداء الوظيفي في لمدىري القطاع العام دراسة تطبيقية على وزارات قاع غزة، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، 1430هـ / 2009م.
- جوبتا، برفان، الإبداع الإداري في القرن الحادي والعشرين، ترجمة احمد مغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2008.
- حريم حسن، إدارة المنظمات منظور كلي، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- حسن مروان عفانه، التمكين الإداري وعلاقته بفاعلية فرق العمل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم إدارة أعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، 2013.
- دعاء عبد العزيز الجعبري، واقع تمكين العاملين في الجامعات العامة الفلسطينية العاملة في الضفة الغربية من وجهة نظر عاملها الإداريين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، فرع إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا و البحث العلمي، جامعة الخليل، 2010.
- عادل البغدادي، رافد الحدراوي، الإشراف الإستراتيجي و مستوى التمكين التنظيمي، دار الصفاء للطباعة والنشر، ط1، عمان، 2013.
- عماد علي مهيبرات، أثر التمكين على فاعلية المنظمة، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2010.
- محمود حسن جمعة، حيدر شاكر نوري، تأثير القيادة الإدارية الناجحة في تحقيق الإبداع الإداري، دراسة تطبيقية لآراء القيادات العليا في جامعة ديالى، مجلة الإدارة والاقتصاد، السنة الرابعة والثلاثون، العدد 90، بغداد، العراق، 2011.
- محمود سلمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر والتوزيع، ط6، عمان، الأردن، 2013.
- مريم شرع، الإدارة التمكنية كمدخل حديث في تحقيق جودة الخدمات التعليمية الجامعية، دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2015.



Translating Cultural References In Children's Literature

ترجمة المدلولات الثقافية في أدب الأطفال

Ezzoubeyr Mehassouel¹ and Meriem Benlakder²

1.- Institute of Translation, University of Algiers²

Department of Foreign Languages, Faculty of Letters and Languages,
University of Ghardaia, mehassouel.ezzoubeyr@univ-ghardaia.dz

2.- Institute of Translation, University of Algiers²,
meriem.benlakder@univ-alger2.dz

Received: 18-09-2019

Accepted: 03-12-2019

Abstract-

Translating Children's literature plays an important role in helping children develop their knowledge and discover other people's societies and culture, since literature is the mirror of the society to which it belongs. Yet, transferring cultural references in children's literature from a language to another is a challenging task for translators particularly with the existence of a cultural gap between the source culture and the target one. This study attempts to shed some light on the issue of translating cultural references by analyzing some examples taken from two Arabic translations of Mark Twain's novel "The Adventures of Tom Sawyer".

Key words-

Translation, children's literature, cultural references, adaptation, literality.

المخلص -

تؤدي ترجمة أدب الأطفال دوراً مهماً في مساعدة الأطفال على تطوير معارفهم واكتشاف مجتمعات وثقافات الآخرين ، ذلك أن الأدب هو مرآة المجتمع الذي ينتمي إليه. غير أن نقل المدلولات الثقافية في أدب الأطفال من لغة إلى أخرى مهمة صعبة للمترجمين خاصة مع وجود فجوة ثقافية بين الثقافة المترجم منها والثقافة المترجم إليها. وتحاول هذه الدراسة تسليط بعض الضوء على مسألة نقل المدلولات الثقافية من خلال تحليل بعض الأمثلة المأخوذة من ترجمتين لرواية مارك توين "مغامرات توم سوير" إلى اللغة العربية.

الكلمات الدالة -

الترجمة ، أدب الأطفال، المدلولات الثقافية ، التكيف، الحرفية

1. Introduction

The interest in children's literature has witnessed a huge progress due to the important role it plays in children's lives. This interest comes after years of marginalization since children's literature was considered as a token of the writer's incompetence to seduce and attract adult readers. The need for discovering other people's literature has prompted the translation of foreign children's literature which has led to the emergence of universal books called "Classics" which were translated in many languages such as Allis in Wonderland, The Adventures of Tom Sawyer, and Heidi...etc .

Children literature is a literary genre which is rife with cultural references, since literature reflects the socio-cultural reality of the society to which it belongs; culture is closely tied to language in general and literature in particular. Translators face big challenges in conveying these cultural references from a language to another and thus from a culture to another. Hence, this study endeavours to answer the following questions: How are cultural references translated in children's literature? Should the translator preserve the original cultural references or adapt them to the target culture?

This study aims at answering these questions by analyzing some examples taken from two Arabic translations of Mark Twain's novel "The Adventures of Tom Sawyer" in order to find out how these cultural references have been translated and what translation techniques have the translators adopted to transfer them into Arabic.

2.- Language, culture and translation

Culture is intimately related to language and cannot be separated from it; language is not merely a set of words and sentences but it is impregnated with the values, norms and cultural peculiarities of the socio-cultural environment to which it belongs, hence language reflects the reality of its speakers, as Edward Sapir states (Kramsch, 1998, p. 85). On the other hand, Susan Bassnett (2002) has compared the relationship between language and culture to the relationship between the body and the soul for one cannot exist without the other, she says "Language, then, is the heart within the body of culture, and it is the interaction between the two that results in the continuation of life-energy." (Bassnett, 2002, p. 23)

Consequently, language and culture are inextricably tied to each other and cannot be set apart, for language reflects culture and is considered as a means of expressing it and transmitting it to the other cultures and societies. On the other hand, culture plays an important role in enriching the language with different cultural words and terms.

Since culture is linked to language, it is also linked to translation; this latter is not the simple act of conveying a message from a language to another but it is also an act of transmitting culture and achieving intercultural communication.

Despite the importance of culture in translation, it was not taken into consideration during the beginning of translation studies; most of the pioneering translation studies scholars have considered translation as a process which involves two languages (source language and target

language) notwithstanding the cultural aspects of each language. This can be clear through the following definitions :

“Translation may be defined as follows: the replacement of textual material in one language (SL) by equivalent textual material in another language (TL)” (Catford, 1965, p. 20)

“Translation is a craft consisting in the attempt to replace a written message and/or statement in one language by the same message and/or statement in another language” (Newmark, 1981, p. 7)

By the end of the 1980's and the beginning of 1990's, translation studies have witnessed a shift in their field of interest. This shift is called “the Cultural Turn”; translation was no longer considered as merely a linguistic process but as a means of intercultural communication and interaction. Since the translator is considered as a bilingual and bicultural mediator, knowing the cultures of the source and target languages is a must for each translator .

Snell-Hornby (1988) described the new trends in translation studies by “the orientation towards cultural rather than linguistic transfer, they view translation not as a process of transcoding but as an act of communication; thirdly, they are all oriented towards the function of the target text (prospective translation) rather than prescriptions of the source text (retrospective translation), fourthly, they view translation as an integral part of the world and not as an isolated specimen of language” (Snell-Hornby, 1988, p. 43)

Translation cannot occur out of its historical, contextual and cultural framework. Hence, the translator must take into consideration the peculiarities of each culture (source and target) and the differences that exist between them, as Oltra Ripoll (2005) states “every text [...] makes no sense and has no *raison d'être* if it is not included in a specific context, attached to the heart of a particular society and a particular culture.” (Ripoll, 2005, p. 75)

3.- Definitions and taxonomies of cultural references

One of the challenges which face translators is translating cultural references. There are many controversies among theorists and scholars regarding the definition of these cultural references to which they have referred in different ways. Aixela (1996) refers to them as culture-specific items and defines them as “those textually actualized items whose function and connotations in a source text involve a translation problem in their transference to a target text, whenever this problem is a product of the non-existence of the referred item or of its different intertextual status in the cultural system of the readers of the target text” (Aixela, 1996, p. 58). Mona Baker (1992) refers to them as “culture specific concepts” and defines them as “The source-language word may express a concept which is totally unknown in the target culture. The concept in question may be abstract or concrete; it may relate to a religious belief, a social custom, or even a type of food. Such concepts are often referred to as “culture specific” (Mona, 1992, p. 21)

Aixela (1996) states that the difficulty of translating these cultural references “lies, of course, in the fact that in a language everything is culturally produced beginning with language itself” (Aixela, 1996, p. 57) which means that every aspect of the language reflects the culture to which it belongs.

Consequently, cultural references are the peculiarities which distinguish a culture from another and cannot be understood out of their cultural and historical contexts.

Translation theorists have suggested various taxonomies and classifications for these cultural references. For instance, Peter Newmark (1988) has classified cultural references into five categories; 1-Ecology, 2-material culture, 3-social culture, 4- organization, customs, ideas, and 5- gestures and habits. (Newmark, 1988, p. 95). On the other hand, Aixela (1996) suggests two main categories of cultural references, he states “We may distinguish two main categories

from the point of view of the translator; proper nouns and common expressions (for want of a better term to cover the world of objects, institutions, habits and opinions restricted to each culture and that cannot be included in the field of proper nouns)” (Aixela, 1996, p. 59)

Göte Klingberg is one of the pioneering scholars who studied the issues related to translating children’s literature. He suggested ten categories of cultural references in children’s literature; 1- Literary references, 2- Foreign language in the source text, 3- References to mythology and popular belief, 4- Historical, religious and political background, 5- Buildings and home furnishings, food, 6- Customs and practices; play and games, 7- Flora and fauna, 8- Personal names, titles, names of domestic animals, and names of objects, 9- Geographical names and 10- Weights and measures. (Klingberg, 1986, pp. 17-18)

4.- Children’s literature in translation theories

Children’s literature lacked interest in the field of translation studies, just like it was neglected in its beginnings. Eithen O’connell (2006) states in this context that “Children’s literature has long been the site of tremendous translation activity and so it has come as something of a surprise to me to discover recently the extent to which this area remains largely ignored by theorists, publishers and academic institutions involved in translation and training.” (O’Connell, 2006, p. 15)

Yet, due to the importance children’s books have in the children’s lives as well as the need to discover other peoples’ cultures and literatures, translators and translation scholars have started focusing on the translation of local and foreign children’s books in order to enable them to discover others people’s cultures and ways of life .

Translation scholars have different opinions and visions regarding the translation of children’s literature in general and translating culture in

children's literature in particular. There are many controversies on whether to respect the source text and be faithful to it (source-oriented) or adapt it to the target culture (target-oriented).

4.1.- Source-oriented Theories

Göte Klingberg has contributed tremendously in the field of children's literature translation. He is one of the founders of the "International Research Society for Children's Literature" in 1976 in Geneva. Klingberg (1986) thinks that translators should respect the source text and not adapt it according to the foreign culture values because the main aim of translating children's literature is to help children discover other peoples' culture and literatures but some translators adapt it to the target culture, which hinders the fulfillment of this aim.

Klingberg thinks that the aims of translating children's literature cannot be achieved except but respecting the source text and preserving its strangeness, he states "Removal of peculiarities of the foreign culture or change of cultural elements for such elements which belong to the culture of the target language will not further the readers' knowledge of and interest in the foreign culture" (Klingberg, 1986, p. 10)

Klingberg thinks that the target text should be as difficult as the source text because the author has already taken into consideration the intended reader and adjusted the text according to his linguistic and cognitive competences. (Klingberg, 1986)

Klingberg opinions have been criticized by many translation scholars such Riitta Oittinen (2000) who states that "...Göte Klingberg's scope, on the other hand, is much narrower: in his work on translating and adapting children's books, mainly in *Children's Fiction in the Hands of the Translators* (1986), he concentrates on words and text fragments in isolation, with the goal of formulating strict rules for translators." (Oittinen, 2000, p. 85)

Birgit stolt (2006), on the other hand, agrees with the ideas of Klingberg and thinks that the source text should be respected by preserving its linguistic and cultural specificities. She states that “The original must be accorded just as much respect as in the case of adult literature, therefore the endeavour should be a translation as faithful, as equivalent as possible” cited in (Oittinen, 2000, p. 81). She even states that “People often underrate what can be expected of children, of their imagination, of their intuitive grasp of matters, of their willingness to concern themselves with what is new, strange, difficult, if only it is described excitingly” (Stolt, 2006, p. 73)

Astrid Lindgren (2005), is against the idea that children, because of their limited experience in life, cannot understand the specificities of other cultures. She thinks that children have “... an extraordinary ability to adapt, that they are able to experience the most unusual things and situations given a good translator to help them” cited in (O'Sullivan, 2005, p. 81)

4.2.- Target-oriented Theories

Target-oriented theories are based on the assumption that children do not have the sufficient information and experiences which enable them to understand the specificities of other cultures; consequently, translation should be altered and adapted according to the values and norms prevailing in the target culture in order to protect them from anything that might be unfamiliar and shocking.

Riitta Oittinen (2000), for instance, prefers using “translating for children” instead of “translating children’s literature” because according to her the translator translated for a specific reader and puts in mind the reader and his wills and abilities during the translational act. She states “I prefer to speak of translating for children instead of translating children’s literature; translators are always translating for somebody and for some reason. Translators are not replacing old

things with new ones. Translating for children rather refers to translating for a certain audience and respecting this audience through taking the audience's will and abilities into consideration. Here the translator's child image is a crucial factor" (Oittinen, 2000, p. 69)

Oittinen stipulates that in translating for children, the translator develops a dialogic relationship with the writer, the reader and the publisher but "Dialogics does not mean submission to the authority of the original, but adding to it, enriching it, out of respect for-or loyalty to- the original" (Oittinen, 2000, p. 164). The successful translator according to her is the one who adapts his text according to the presumptive readers. (Oittinen, 2000)

Zohar Shavit (1986), on the other hand, has developed the polysystem theory and applied it to the translation of children's literature; she stipulates that due to the peripheral position children's occupy in the literary polysystem, the translator can allow himself to alter the source text and adapt it. She states "Unlike contemporary translators of adult books, the translator of children's literature can permit himself great liberties regarding the text, as a result of the peripheral position of children's literature. That is the translator is permitted to manipulate the text in various ways by changing, enlarging or abridging it or by deleting or adding to it" (Shavit, 1986, p. 112)

The liberties allowed to children's literature translation are submitted, according to Shavit (1986), to two main conditions "...an adjustment of the text to make it appropriate and useful to the child, in according with what society regards (at a certain point in time) as educationally "good for the child", and an adjustment of plot, characterization and language to the prevailing society's perceptions of the child's ability to read and comprehend". (Shavit, 1986, p. 113)

Tiina Puurtinen (1994) has contributed in enriching the field of children's literature translation, particularly with her works on readability and acceptability. She asserts that the translator should take into consideration the child reader and his linguistic and understanding competences. She states that "The special

characteristics of the child readers, their comprehension and reading abilities, and experience of life and knowledge of the world must be borne in mind so as not to present them with overtly difficult, uninteresting books that may alienate them from reading, but rather to produce books that induce children to read more” (Puurтинен, 1994, p. 83)

Puurтинен (1994) thinks that the translator should also take into consideration the acceptability of the translation in the target culture by avoiding anything that might be unfamiliar and strange, “Unlike adult translators of adult literature, translators of children’s books are usually allowed and even expected (by publishers and adult readers) to manipulate the source text in various ways to make it compatible with the requirements set by the recipient in the literary system” (Puurтинен, 1994, p. 84). Yet, she prefers acceptability over readability “the preference for acceptability is connected with the properties of the target group; children, with their imperfect reading abilities and experience of life, are not expected to tolerate so many strange and foreign elements as adult readers are” (Puurтинен, 1998, p. 84)

Nikolajeva Maria (2015) goes further and thinks that children’s literature cannot be translated only by substituting words by words because “children’s semiotic experience does not allow them to interpret the signs of an alien semiosphere” (Nikolajeva, 2015, p. 34)

Isabel Pascua-Febles (2014), on the other hand, asserts that the translator of children’s literature should adapt the linguistic and cultural specificities of the source text in order to fulfill its function in the target text, she states that “All cultural, linguistic and semantic markers in the source text require a series of adaptations and the specific textual strategies implicit in the source text need to be renegotiated by the translator. One way of doing this is through interventionism on the part of the translator in adapting cultural markers, even at the cost of manipulating the text” (Pascua-Febles, 2014, p. 114).

5.-Analyzing some examples of two translations of “The Adventures of Tom Sawyer” into Arabic

In this element we are going to analyze some examples of two translations of Mark Twain’s novel “The Adventures of Tom Sawyer” translated into Arabic by “Mohamed Kadri Imara” (2007) and “Mahir Nassim” (1963). We will examine how the two translators have rendered some of the cultural references contained in this novel into Arabic. The examples were selected according to Klingberg’s classification of cultural references (1986).

5.1. -Example n°1

“Jim came skipping out of the gate with a tin pail, singing Buffalo Gals.” (Twain, 2013, p. 20)

Translation of Mohamed Kadri Imara:

"جاء جيم عبر البوابة حاملا جردلا وهو يصفر ويغني" (Twain, 1876/2007, p. 22)

Translation of Mahir Nassim:

"وفي تلك اللحظة أقبل "جيم" خارجا من باب الحديقة وهو يحمل دلوا من الصفيح ويردد أغنية كانت ذائعة وقتذاك" (Twain, 1876/1963, p. 20)

This example is about Tom feeling heart-broken for having to whitewash the garden’s fence as a punishment for disobeying his aunt orders. His friend Jim passed by him singing “Buffalo Gals.”

“Buffalo Gals” is the name of a popular song written by John Hodges in 1844. (Ballad of America American Heritage Music, 2019) Songs are considered as cultural references since they differ from a country to another and from a generation to another.

In the Arabic translation, both of the translators have omitted the name of this song. Kadri Imara has expressed it using “wa howa yosafir wa yoghani وهو يصفر ويغني” which literally means “whistling and singing”,

while Mahir Nassim expressed it using “wa yoradid oghniya kanat daia waktadak” ويردد أغنية كانت ذائعة وقتذاك which literally means “singing a famous song at that time”. The translators have successfully conveyed the meaning in this example without borrowing the name of the song, which would be strange and difficult for the target reader to comprehend, if it was translated literally .

5.2.-Example n°2

“Cardif Hill beyond the village and above it was green with vegetation and it lay just far enough to seem like a Delectable Land...” (Twain, 2013, p. 20)

Translation of Mohamed Kadri Imara :

"كان تل كارديف المتاخم للقريّة والمشرّف عليها مخضرا بالنباتات وعلى مسافة كافية تجعل الناظر إليه عن بعد يبدو أنيقا ورائعا..." (Twain, 1876/2007, p. 21)

Translation of Mahir Nassim:

"...كان ينهض مرتفع كارديف هيل، وقد غطته طبقة من السندس الأخضر الجميل الذي يسر مرآه الناظرين ويذكرهم بالراحة البدنية والهدوء النفسي" (Twain, 1876/1963, p. 20)

This example is taken from a description of Tom's village and the place which surrounds that looks like “a Delectable Land”. This latter is “a comparison with the Delectable Mountains described in John Bunyan's The Pilgrim's Progress” (Twain, 2010, p. 261)

“Delectable Land” is a literary reference which is according to Klingberg (1986) considered as a cultural reference. The two translators have omitted this comparison and have expressed the meaning in a more general way; Kadri Imara expressed it by saying “yabdo anikan wa raian” يبدو أنيقا ورائعا which literally means “which looks beautiful and wonderful” while Mahir Nassim expressed it by saying “yassoro marah ennadirin” يسر مرآه الناظرين which literally means “a very beautiful thing to see”. Both of the translators have succeeded in expressing the meaning in this example because it would

be difficult for the Arab reader to understand the comparison made by the author. Besides, the original reader is required to have good knowledge about literature in order to understand these literary references.

5.3.-Example n°3

“Leastways all but the nigger, I don’t know him but I never see a nigger that wouldn’t lie” (Twain, 2013, p. 65)

Translation of Mohamed Kadri Imara :

"..ومع ذلك؟ لقد كانوا جميعا يكذبون خاصة الصبي الزنجي، أنا لا أعرفه ولكني لم أر زنجيا لا يكذب.." (Twain, 1876/2007, p. 66)

Translation of Mahir Nassim:

"...حسنا، إنهم جميعا كاذبون. لكن قال لي..." (Twain, 1876/1963, p. 61)

This example is part of a conversation between Tom and Huck about an efficient way to treat warts. It depicts a socio-cultural reality of Tom’s society and the United States of America in general in 1800’s; in which slavery and racism against black people were very widespread. It is stated in this example that black people are liars. This popular belief which is a cultural reference was rendered in different ways by the two translators; Kadri Imara have translated it literally by saying “lam ara zinji la yakdib” which literally means “I have never seen a nigger who doesn’t lie” while Mahir Nassim have adapted this expression and omitted that offence towards black people, he translated it by using “inahom jamian kadibon” which literally means “they are all liars” without referring to black people. Mahir Nassim has succeeded in expressing the meaning and avoided to convey that racist expression towards black people, thus, the literal translation in this context is not appropriate .

5.4.- Example n°4

“Thirty yards of board fence nine feet high...” (Twain, 2013, p. 20)

Translation of Mohamed Kadri Imara:

"... فالسياج يمتد ثلاثين مترا ويرتفع لثلاثة امتار.." (Twain, 1876/2007, p. 21)

Translation of Mahir Nassim:

"...فقد كان طول السياج ثلاثين ياردة وارتفاعه تسعا..." (Twain, 1876/1963, p. 20)

This example is about the author's description of the garden's fence which Tom had to whitewash. The author used the measurement units "Yard" and "foot" to describe its height and length. According to Klingberg, units and measurements are considered as cultural references. Mahir Nassim has borrowed these measurements in the Arabic translation by using "ياردة" and "قدم" which are equivalents of "yard" and "foot" respectively, while Kadri Imara has adapted his translation and used the unit "Meter" by saying "elsiyaj yamtad tlatin mitran wa tartafia litalatat amtar" فالسياج يمتد ثلاثين مترا ويرتفع لثلاثة امتار which literally means "the fence is thirty meters long and three meters high". The adaptation technique in this context is appropriate because it would be easier for the Arab child to picture this fence since the measurement units "yard" and "foot" are not common, in the Arab World, like the "meter". Hence, Mahir Nassim has succeeded in bringing the image closer to the target reader.

5.5.- Example n°5

"He saw her and they had an exhausting good time Playing hipsy and gully-keeper with a crowd of their school-mates..." (Twain, 2013, p. 239)

Translation of Mohamed Kadri Imara:

"التقى بها وأمضيا وقتا لطيفا يلعبان مع مجموعة من رفاق الدراسة.." (Twain, 1876/2007, p. 261)

Translation of Mahir Nassim :

" وقضيا وقتا طويلا في لعب "عسكر وحرامية" واستغماية مع جمع كبير من زملائهم وزميلاتهم في المدرسة." (Twain, 1876/1963, p. 230)

This example is about Tom's friend "Becky" coming back to the village and having a good time playing "hipsy and gully-keeper". According to Klingberg (1986), plays and games are considered as cultural references. Mohamed Kadri Imara as well as Mahir Nassim have omitted the names of these games in the Arabic translation; Kadri Imara has expressed the meaning in a general way by saying "wa amdaya waktan latifan yalaban يلعبان لطيفا وقتا طويلا" which literally means "had a great time playing". Mahir Nassim, on the other hand, has domesticated these games and used names of Arabic Games "Askar wa Haramiya عسكر وحرامية" and "Istighmaya استغماية" which is the equivalent of "hide and seek", this adaptation enables the reader to understand the meaning and avoid confusion and strangeness regarding the names of these unfamiliar games.

6.-Discussion and analysis of results

The analysis of some of the examples taken from two translations of "The Adventures of Tom Sawyer" novel into Arabic has reached the following results:

- The Novel is abundant with cultural references which reflect the socio-cultural reality of the author's society at that time.

- the two translators have omitted literary references while rendering them into Arabic, because the target reader would find it difficult to understand the meaning since one should have good knowledge in literature in order to understand them. Besides, literary references differ from a language to another and thus from a society to another.

- Mahir Nassim have adopted literal translation in conveying measurement units such as "yard" and "foot" despite they are not commonly used in the Arab world and should have been adapted and

replaced by ones that are close to the Arab reader such as “Meter” like they were translated by Mohamed Kadri Imara .

- the translators have adopted the omission technique in translating some popular beliefs which are not acceptable in the target culture such as the racist expressions towards black people, as well as the names of games and plays which might be strange and unfamiliar to Arab children, if they were translated literally.

5.- Conclusion

Translating children’s literature, just like writing for them, is not an easy task but rather a challenging one since various aspects should be taken into consideration such as the linguistic, cognitive and comprehension capabilities of the child reader, as well as the cultural references which differ from a culture to another. Hence, children’s literature translator should not only translate words by words, for literal translation is not always useful, but he should take into account whether the content is appropriate with and not contradictory to the target culture, for children’s literature is an esthetic and pedagogic literary genre at the same time.

6.- References

- Aixela, J. F. (1996). Culture Specific Items in Translation. In R. Alvaraz, & A. V. Carmen, Translation, Power, Subversion (pp. 52-78). Philadelphia: Multilingual Matters Ltd.
- Ballad of America American Heritage Music. (2019, July 7). Retrieved from <http://www.balladofamerica.com/music/indexes/songs/buffalogal/>
- Bassnett, S. (2002). Translation Studies. New York: Routledge.
- Catford, J. (1965). A Linguistic Theory of Translation. Oxford: Oxford University Press.
- Klingberg, G. (1986). Children's Fiction in the Hands of the Translators. CWK Gleerup.
- Kramsch, C. (1998). Language and Culture. New York: Oxford University Press.

- Mona, B. (1992). *In Other Words: A Coursebook on Translation*. London: Routledge.
- Newmark, P. (1981). *Approaches to Translation*. Oxford: Pergamon Press.
- Newmark, P. (1988). *A Textbook of Translation*. Prentice Hall International.
- Nikolajeva, M. (2015). *Children's Literature Comes of Age: Toward a New Aesthetic*. Routledge.
- O'Connell, E. (2006). Translating for children. In G. Lathey, *The Translation of Children's Literature: A Reader* (pp. 15-24). Multilingual Matters.
- Oittinen, R. (2000). *Translating for Children*. New York: Taylor & Francis.
- O'Sullivan, E. (2005). *Comparative Children's Literature*. Taylor & Francis.
- Pascua-Febles, S. (2014). Translating cultural references; the language of young people in literary texts. In W. P. Jan Van Coillie, *Children's Literature in Translation: Challenges and Strategies* (pp. 111-121). Routledge.
- Puurtinen, T. (1994). Dynamic style as a parameter of acceptability in translated children's books. In F. P. Mary Snell-Hornby, *Translation Studies: An Interdiscipline* (pp. 83-90). John Benjamins Publishing.
- Puurtinen, T. (1998). Syntax, Readability and Ideology in Children's Literature. *Meta, Journal des traducteurs*, 524-533.
- Ripoll, O. (2005). The translation of cultural references in the cinema. In L. M. Albert Branchadell, *Less Translated Languages* (pp. 71-95). Amsterdam: John Benjamins Publishing.
- Shavit, Z. (1986). *Poetics of children's literature*. London: the University of Georgia Press.
- Snell-Hornby, M. (1988). *Translation Studies: An Integrated Approach*. John Benjamins Publishing.
- Stolt, B. (2006). How Emil becomes Michel: On the Children's Books. In G. Lathey, *The Translation of Children's Literature: A Reader* (pp. 67-83). Multilingual Matters.
- Twain, M. (1876/1963). *Tom Sawyer Kissat Hayat Tifl* (M.Nassim, Trans). Cairo: Maktabat Injilo Elmisriya (Original book published 1876).
- Twain, M. (1876/2007). *Moghamarat Tom Sawyer* (M.Kadri. Imara, Trans). Cairo: Elmarkaz Elkawmi Litarjama (Original work published 1876).
- Twain, M. (2010). *The Adventures of Tom Sawyer*. University of California Press.
- Twain, M. (2013). *The Adventures of Tom sawyer*. Algeria: Flites Editions.



Les Facteurs De Motivation De L'entrepreneur Algerien **The Motivation Factors Of The Algerian Entrepreneur**

BEDOUI Samiya¹, MANSOURI Houari², BEN AYAD Mohamed Samir³

1- Ecole supérieur de commerce, Kolèa, samiabedoui5@gmail.com,

2- Université d'Adrar, sayah.2013@yahoo.fr

3- Université Sidi BELABBAS, benayadamir@yahoo.fr

Reçu le: **2019-02-04**

Accepté le: **2019-08-09**

Résumé -

L'entrepreneuriat est le pilier de d'innovation et de la compétitivité des nations. Il se caractérise principalement par l'acte de création d'entreprise initié par une volonté individuelle d'un futur entrepreneur. De ce fait, la capacité de création d'entreprise est pour chaque pays, la résultante de nombreux facteurs liés aux opportunités et aux potentialités individuelles.

Le but de notre réflexion consiste à étudier un certain nombre de questions, pour la compréhension de l'initiative entrepreneuriale en Algérie, et ceci, en portant une attention particulière sur la motivation de l'entrepreneur.

Il ressort de notre étude que la plupart des entrepreneurs ont un fort sentiment d'indépendance et d'autonomie et la volonté d'être le chef de l'entreprise. Cette caractéristique est la principale motivation pour se lancer en affaire. La création de petite et moyen entreprise (PME) privée dans en Algérie est la résultante d'un ensemble de facteurs qui sont : l'âge de l'entrepreneur, le niveau d'instruction, les expériences professionnelles antérieures ainsi que le savoir-faire, le milieu familial et social dans lequel l'individu évolue et en fin la disponibilité des ressources financières provenant des aides de l'état.

Mots clés:

Entrepreneuriat, innovation, création d'entreprise, Motivation, Entourage Familial.

Abstract:

Entrepreneurship is the pillar of innovation and competitiveness of nations. It is mainly characterized by the act of company creation initiated by an individual will of a future entrepreneur. As a result, entrepreneurship capacity is for each country, the result of many factors related to individual opportunities and potentialities.

The purpose of our reflection is to study a certain number of questions, for the understanding of the entrepreneurial initiative in Algeria, and this, paying particular attention to the motivation of the entrepreneur.

Our study shows that most entrepreneurs have a strong sense of independence and autonomy and a willingness to be the head of the business. This characteristic is the main motivation to start a business. The creation of private small and medium company in Algeria is the result of a set of factors which are: the age of the entrepreneur, the level of education, the previous professional experiences as well as the know-how, the family and social environment in which the individual evolves and in the end the availability of financial resources from state aids.

KEYWORDS: Entrepreneurship, innovation, Business creation, Motivation, Family circle

1. Introduction

On ne saurait imaginer une société moderne sans la création d'entreprise. L'entrepreneur crée l'entreprise et l'entreprise crée la richesse et l'emploi (Fortin, 2002). Ensemble, ils déterminent, pour une large part, le rôle et la place des régions, ethnies, nations, pays et continents dans la sphère internationale.

Aujourd'hui, l'entrepreneuriat constitue un phénomène qui attire de plus en plus de chercheurs dans les domaines de l'économie et de la gestion.

En Algérie, l'intérêt pour la Petite et Moyenne Entreprise a été tardif, ce n'est qu'à partir des années 80, et suite aux conséquences du choc pétrolier de 1986 que l'initiative privée a été enfin libérée ce qui nous a poussé à réaliser une recherche qui nous aidera à mieux comprendre les motivations qui poussent les individus à entreprendre et tirer profit de ce nouveau climat des affaires.

L'objectif de notre recherche consiste à décrire et expliquer la dynamique entrepreneuriale en Algérie.

L'idée centrale de notre recherche est de comprendre les principaux facteurs qui contribuent activement à la création des petites et moyennes entreprises privées. On portant une attention particulière sur les différentes motivations liées à ce phénomène poussant l'entrepreneur algérien à entreprendre.

Pour mieux cerner la dynamique entrepreneuriale en Algérie, nous allons procéder à l'observation des acteurs eux-mêmes ; pour ce faire, notre étude portera sur la question centrale suivante : *«Quelles sont les motivations de l'entrepreneur algérien à l'égard de la création de son entreprise? »*

Méthodologie et organisation de la recherche:

Notre étude empirique est réalisée à l'aide d'une enquête par un questionnaire élaboré par le CREAD, administré auprès d'un échantillon de 100 entrepreneurs.

Les questions portent essentiellement sur trois phases :

-Phase I : Présentation et identification de l'entrepreneur

-Phase II : caractéristiques de l'entreprise créée

-Phase III : les motivations de l'entrepreneur à l'égard de la création de son entreprise

Le traitement des données a été réalisé par un logiciel Microsoft Excel. Les questionnaires ont été vérifiés et codifiés pour constituer une base de données à partir de laquelle des statistiques ont pu être opérées à l'aide du logiciel Microsoft Excel.

En recensant les statistiques qui nous permettent d'analyser notre base de données à travers les tableaux de fréquence, et enfin à faire sortir les résultats et réponses à propos des questions qu'on avait posées au départ.

2-Revue de la littérature autour de l'entrepreneuriat

2.1. Définition de l'entrepreneuriat

La littérature relative au concept d'entrepreneuriat propose une grande variété de définitions. Selon Verstraete (2000) «L'entrepreneuriat est un phénomène trop complexe pour être réduit à une simple définition, son

intelligibilité nécessitant une modélisation. Cette complexité exclut la possibilité d'une délimitation stricte et univoque de ses frontières sémantiques»^[1]

L'entrepreneuriat ^[2]une dynamique de changement pour l'individu, ce dernier, en s'investissant dans la création de son entreprise, est susceptible de changer de savoir-faire, d'attitude, de valeurs, de statut social, etc. En ce sens, l'entrepreneuriat est le rapport entre (individu/création de valeur).

Pour comprendre le phénomène d'entrepreneuriat, nous retenons la synthèse présentée par Danjou (2002)^[3], qui selon elle l'entrepreneuriat est un champ de recherche caractérisé par trois grands aspects : l'acteur, l'action et le contexte entrepreneurial.

A. Le contexte entrepreneurial : L'étude du contexte entrepreneurial fait apparaître la relation qui existe entre l'activité entrepreneuriale et son environnement socio-économique : Quel contexte économique, culturel et social favorise l'entrepreneuriat ?

B. L'entrepreneur (l'acteur) : L'entrepreneur est l'acteur du processus entrepreneurial, plusieurs auteurs ont étudié les caractéristiques de ce dernier en premier lieu car c'est lui l'initiateur de l'évènement (l'acte entrepreneurial).

Selon les chercheurs, la compréhension du champ de l'entrepreneuriat nécessite la connaissance de son acteur qui est l'entrepreneur, en étudiant ses caractéristiques psychologiques, personnelles et démographiques ; « une personne qui prend l'initiative de rassembler certains moyens dans une certaines formes et pour un certain but. Cette entité dispose d'une relative autonomie et la personne qui en a eu l'idée la dirige et en prend le risque »^[4].

C. L'action (l'activité entrepreneuriale) : Selon Gartner (1988) « la recherche sur l'entrepreneuriat devrait se focaliser sur ce que fait l'entrepreneur et non sur ce qu'il est »^[5].

Considéré comme acteur, l'entrepreneur réalise un certain nombre d'actions tels que : la création d'une activité nouvelle, la détection des opportunités, l'élaboration d'une stratégie lui permettant un meilleur fonctionnement pour la réalisation de ses objectifs.

2.2. - Les conceptions dominantes de l'entrepreneuriat

Alain Fayolle et Vestraete (2005)^[6] identifient quatre paradigmes, qui permettent de cerner le domaine de la recherche en entrepreneuriat : la détection-construction-exploitation d'une occasion d'affaire (opportunité), la création d'une organisation, la création de valeur et l'innovation.

2.2.1. Paradigme de l'opportunité d'affaires:

Il repose sur l'idée que l'entrepreneuriat est un processus de découverte, d'évaluation et d'exploitation des opportunités. La construction de ce paradigme s'inspire largement des travaux de Schumpeter (1935) et de Kirzner (1973).

Schumpeter souligne l'importance de l'innovation qui constitue l'entrepreneuriat, tandis que Kirzner met en évidence l'importance de la découverte d'opportunité dans les marchés. L'ensemble de ces travaux ont en commun la mise en évidence de l'entrepreneur comme étant un acteur à la recherche d'opportunité et de profit.

Par contre pour Alain Fayolle, l'opportunité entrepreneuriale se construit au cours du processus de création de l'activité et non pas qu'elle soit le point de départ à découvrir de ce processus.

2.2.2. Paradigme de la création d'une organisation

La conception de Gartner (1995) repose sur l'idée que l'entrepreneuriat est un phénomène consistant à créer une nouvelle organisation. Il porte principalement sa réflexion sur le concept d'émergence organisationnelle. Il a distingué le phénomène de création d'une organisation des autres phénomènes organisationnels. Il a illustré l'acte de création par une citation de Collins et Moore (1964), où ces derniers reconnaissent aux entrepreneurs la capacité de transformer leurs rêves en action par la création d'une affaire.

Dans cette vision, l'analyse de l'entrepreneuriat revient à étudier la naissance de nouvelles organisations, c'est-à-dire les activités par lesquelles le créateur mobilise et combine des ressources pour transformer l'opportunité en un projet.

2.2.3. Paradigme de la création de valeur

La création de valeur a été identifiée comme un thème situé au cœur de l'entrepreneuriat. Pour Bruyat inspiré des travaux de Gartner (1993), L'objet étudié dans le champ de l'entrepreneuriat est celui du rapport individu-crédation de valeur. L'entrepreneur est une condition nécessaire pour l'apparition du résultat, et de même, le résultat est une condition nécessaire pour que l'entrepreneur existe.

2.2.4. Paradigme de l'innovation

La théorie économique s'est intéressée tardivement à l'innovation. Parmi les premiers qui ont travaillé sur le concept, Joseph Schumpeter, qui considère que la firme innovatrice crée une rupture dans les conditions de la concurrence car elle dispose d'un avantage compétitif.

« L'entrepreneuriat et l'innovation sont associés depuis que l'économiste autrichien Joseph Schumpeter a évoqué la force du processus de destruction créatrice qui caractérise l'innovation »^[7].

P. André Julien et Michel Marchesnay ont affirmé que le moteur de l'entrepreneuriat est l'innovation. Elle constitue le fondement de l'entrepreneuriat, puisque celle-ci suppose des idées nouvelles pour offrir ou produire de nouveaux biens ou services, ou, encore, pour réorganiser l'entreprise. L'innovation, c'est créer une entreprise différente de ce que nous connaissions auparavant, c'est découvrir ou transformer un produit, c'est proposer une nouvelle façon de faire, de distribuer ou de vendre.

3.- Evolution de la dynamique entrepreneuriale en Algérie

En Algérie, la nouvelle forme de développement se tourne vers la création d'entreprises privées particulièrement les PME qui sont considérées comme un vecteur de croissance, un générateur d'emplois, et un moteur de progrès socio-économique.

3.1. La définition de la PME

La définition de la PME, adoptée par l'Algérie, est basée sur les trois critères suivant : les effectifs, le chiffre d'affaires et le bilan annuel. La PME^[8], quel que soit son statut juridique, est définie comme étant une entreprise de production des biens et des services employant de 1 à 250 personnes, dont le chiffre d'affaires annuel n'excède pas 2 milliards de Dinars. Cette loi sur les PME distingue trois types d'entreprises :

-La moyenne entreprise est une entreprise employant de 50 à 250 personnes et dont le chiffre d'affaires est compris entre 200 millions et 2 milliards de Dinars ou dont le total du bilan est compris entre 100 et 500 millions de Dinars.

-La petite entreprise est définie comme une entreprise employant de 10 à 49 personnes et le chiffre d'affaires annuel n'excède pas 200 millions de Dinars ou dont le total du bilan n'excède pas 100 millions de Dinars.

-La très petite entreprise (TPE) ou micro-entreprise, y est définie comme une entreprise employant de 1 à 9 employés et réalisant un chiffre d'affaires annuel inférieur à 20 millions ou dont le total du bilan n'excède pas 10 millions de Dinars.

3.2. Evolution des PME privées

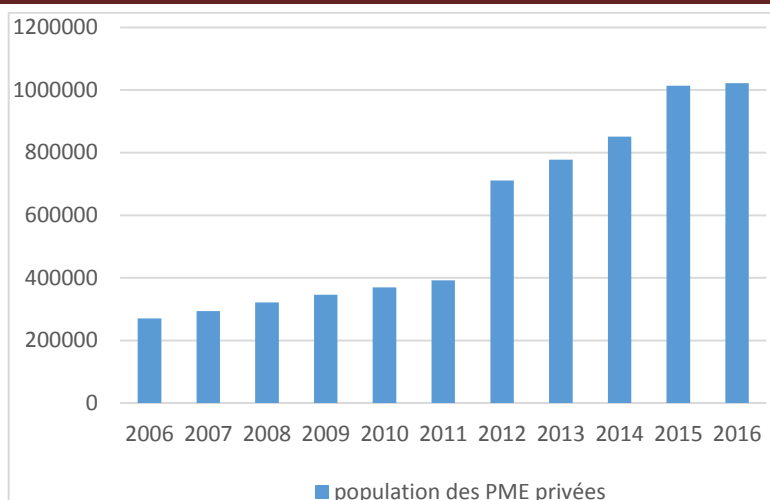
Depuis l'adoption du nouveau code des investissements en 1993, l'Algérie est rentrée dans une nouvelle politique de promotion de l'investissement. Le nombre connaît une croissance continue.

Des statistiques ont démontrées que 75% des PME recensées en 2005 ont été créées après ce nouveau code et que plus de 35% ont été créées durant les cinq années (2000- 2005)^[9].

Les dispositions relatives au développement des investissements se sont renforcées en 2001 et une nouvelle loi d'orientation des PME a été promulguée afin de promouvoir l'entrepreneuriat.

La croissance des entreprises privées connaît une évolution positive d'une année à une autre. Le nombre de création des PME privées était largement inférieur à 1000 avant 1990 et atteint 100 000 entreprises en 2000 et a continué son augmentation pour dépasser les 300 000 entreprises en 2008^[10].

Figure n°1.- Evolution de la population des PME privées de 2006 à 2016



Source : réalisée par nous à partir des données du ministère de l'industrie et des mines.

Durant l'année 2016, le nombre de PME a augmenté de 88 052 nouvelle PME par rapport à l'année 2015, soit une augmentation de 9,42%.

4.- Analyse des résultats de l'enquête:

4.1. Présentation et identification de l'entrepreneur

L'entrepreneur est l'acteur principal dans l'activité de la création d'entreprise. Il est la source de l'idée. C'est à lui que revient la décision de se lancer dans la création. Il évolue dans un milieu qui l'influence, et sur lequel il a des effets par son action créatrice.

Selon les résultats de notre enquête, les hommes représentent une part très importante, au sein de la catégorie entrepreneur. En effet, sur 100 entrepreneurs enquêtés, 85 sont des entrepreneurs-hommes, soit 85% de la population enquêtée. La part des femmes entrepreneuses est beaucoup moins importante que celle des hommes, elle ne représente que 15 % de la population enquêtée. Ceci montre que la fonction de l'entrepreneur reste une activité propice aux hommes.

La tranche d'âge des entrepreneurs au moment de la création effective de leur entreprise est comprise entre 30 et 35 ans avec une part de 30%, suivie par la catégorie de 25-30 ans ; A partir de ces données, nous déduisons que l'entrepreneur se lance dans la création, à un âge mature, après avoir acquis une certaine expérience professionnelle et rassembler les

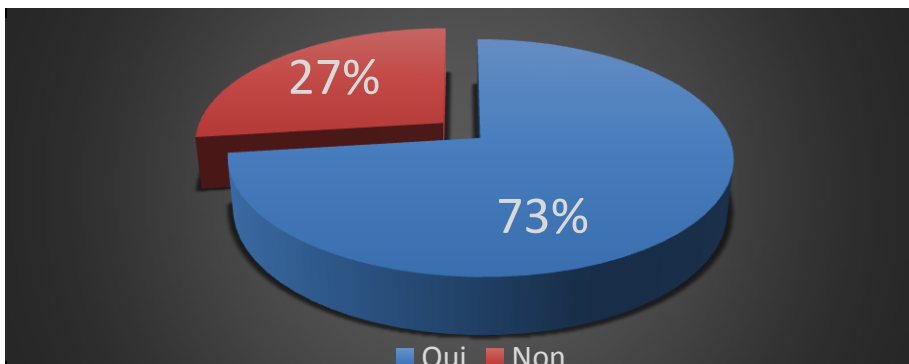
capitaux nécessaires à l'investissement.

La catégorie des moins de 20ans à 25ans représente les entrepreneurs précoces qui font partie généralement du secteur commercial, artisanal, ou ceux qui ont bénéficié des différents dispositifs mis en place par le gouvernement pour stimuler la création des entreprises principalement par l'apport de l'ANSEJ, ou bien ils sont issus d'une famille entrepreneuriale.

Selon B. ZARCA : « *l'héritage d'un capital économique et social accumulé par les générations antérieures dispense d'une accumulation préalable à l'installation, en d'autres termes, il fait gagner du temps* »^[11].

En ce qui concerne le parcours professionnel, les études et formations suivies ont également une influence sur le choix du secteur d'activité, et par la suite sur le mode de gestion de l'entreprise une fois mise en route. En effet, « *la formation et le niveau d'instruction de l'entrepreneur influent toujours sur les choix qu'il effectue en ce qui concerne l'activité. La dimension, le financement et le mode de gestion de l'entreprise sont des conditions nécessaires qui permettent de déboucher sur l'innovation en tous genres* »^[12].

Figure n°2.- présentations de la situation professionnelle avant la création

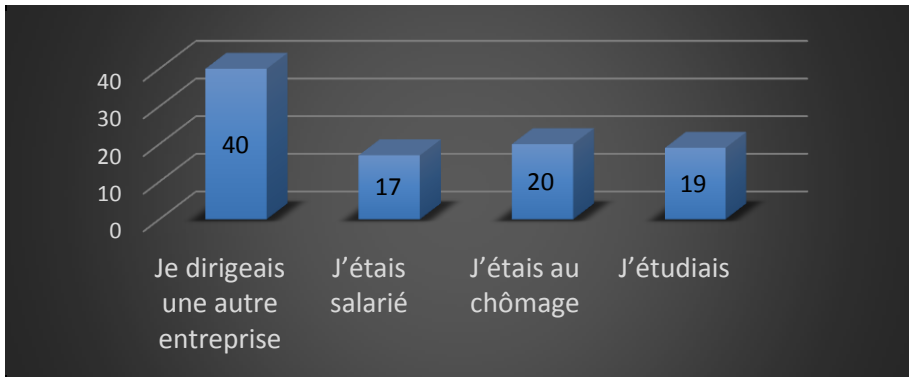


Source: réalisé par nos soins

L'ensemble des entrepreneurs enquêtés ont au moins un niveau d'étude primaire, sur les **100** entrepreneurs enquêtés, 34% ont atteint un

niveau secondaire et 44% ont un niveau universitaire. Notons aussi que, sur les 100 entrepreneurs enquêtés, 18 d'entre eux, ont effectué une formation professionnelle (soit 18%) du total en plus de leur niveau d'étude et 73% des entrepreneurs enquêtés ont déclaré avoir eu une expérience professionnelle avant la création de leur propre entreprise.

Figure n°3.- le contrat de travail des entrepreneurs dans leurs professions antérieures



Source: réalisé par nos soins

Suivant leurs déclarations 87 entrepreneurs travaillaient avant la création de leur entreprise, 70% d'entre eux étaient des cadres dirigeants ou des propriétaires et gérants en même temps (présenté par la réponse Autres). Tandis que 30% étaient des salariés, dont 17% étaient des cadres simples et 13% de cadres supérieurs.

Même si les entrepreneurs enquêtés avaient un travail et un salaire fixe et même des hauts statuts, mais ils avaient toujours le sentiment de vouloir être libre et indépendants. Chose qui confirme beaucoup plus ce qui était acquis dans la partie théorique concernant les in

citations à la création « Besoin d'indépendance » (Collins et Moore).

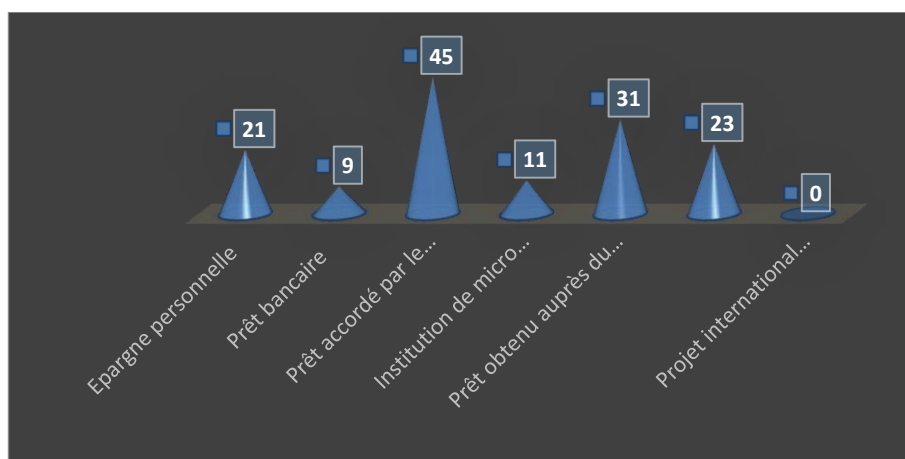
4.2. Caractéristiques de l'entreprise créée:

Notre échantillon est constitué en grande partie d'entreprises classées dans la catégorie de micro entreprises comprenant entre [1-9] employés. Elles représentent 69% du total (soit 69 unités). Suivi de la catégorie de petite taille comprenant [10-49] employés avec un taux de 21% du total (soit 21 unités).

Aussi, il y a lieu d'observer d'une manière générale, les entrepreneurs enquêtés n'utilisent pas une seule source de financement pour réaliser leurs projets. Le problème de financement et la disponibilité des capitaux est le premier obstacle auquel l'entrepreneur est confronté.

Du fait des difficultés d'accès à des prêts bancaires, l'entrepreneur recourt à des méthodes informelles afin de rassembler les capitaux nécessaires.

Figure n° 4.- La structure de financement initial des entreprises enquêtées



Source : réalisé par nos soins à partir des résultats de l'enquête

Selon les résultats de notre enquête, les capitaux initiaux investis, proviennent essentiellement des prêts gouvernementaux soit 45%, généralement c'est le cas de ceux qui ont bénéficié du dispositif ANSEJ.

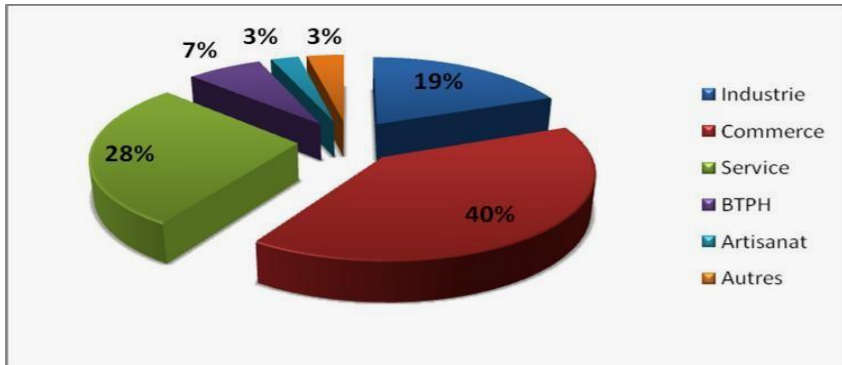
Il est à noter que la famille constitue une source importante de financement après l'aide de l'état, avec laquelle l'entrepreneur puisse lancer son projet, surtout lorsque les contraintes d'accès aux prêts bancaires subsistent.

L'analyse des entreprises de notre échantillon selon leur statut juridique fait ressortir quatre modalités à savoir, des entreprises individuelles, des sociétés à responsabilité limitée (SARL), des entreprises unipersonnelles à responsabilité limitée (EURL) et des sociétés par action (SPA) ; il ressort de nos résultats que la plupart des entreprises enquêtées sont des entreprises individuelles (soit 56%) c'est la forme la plus simple pour débiter dans les affaires en créant des micros entreprises.

La forme juridique SARL concerne 30% des entreprises enquêtées, les entrepreneurs optent pour cette forme en raison du capital nécessaire relativement faible. Les associés peuvent prendre part dans plusieurs entreprises en même temps. Ainsi en cas de faillite, les risques sont limités aux apports de chaque associé en capital social de la société créée. Suivi par la forme EURL avec un taux de 12%, la SPA représente un taux de 2%, tandis qu'aucune société en nom collectif (SNC) n'est présente dans l'échantillon.

Notre échantillon est constitué de 100 entreprises appartenant aux différentes branches d'activités comme l'industrie, le bâtiment et les services :

Figure n°5.- La répartition des entreprises enquêtées selon le secteur d'activité



Source: réalisé par nos soins

Selon la figure, nous avons constaté que notre échantillon abrite six (06) secteurs d'activités. La plus grande fréquence revient au secteur du commerce avec 40 unités, soit 40% des entreprises enquêtées, suivi du secteur des services avec 28 unités soit 28% du total, la troisième position est celle du secteur industriel avec 22 unités dont 4 unités sont réservées par le secteur agroalimentaire et le reste (18 unité) comporte différents secteurs : industrie du cuir, chimie, plastique et autres.

Le secteur du bâtiment et travaux publics est représenté par sept (07) unités soit 7% du total tandis que 3% représenté par la réponse « Autres » sont caractérisés par l'activité artisanale.

4.3. Les motivations à l'égard de la création d'entreprise

La famille constitue dans la plupart des cas, le pivot du projet entrepreneurial, puisque celle-ci exerce souvent une influence sur ce dernier, lui fournit les capitaux nécessaires et s'implique davantage dans la gestion de l'entreprise. Le lien familial dans ce cas est le support de base de l'acte entrepreneurial.

Dans le milieu familial, l'entrepreneur peut trouver une aide inestimable pour le lancement de son entreprise. Elle peut être une assistance matérielle, une contribution financière, foncière, ou morale par des encouragements et les différentes aides.

D'autre part, le résultat montre que plus de la moitié de

l'échantillon, ont répondu par «oui» sur la question « y-a-t-il des entrepreneurs dans votre entourage ? », soit 67% des entrepreneurs enquêtés, contre 33% de réponses négatives.

Le fait d'avoir dans la famille des modèles d'entrepreneurs est généralement considéré comme un facteur influençant positivement les intentions de l'entrepreneuriat. Ainsi, des individus dont les parents ou les proches possèdent ou ont déjà possédé une entreprise seraient plus prédisposés à créer des entreprises.

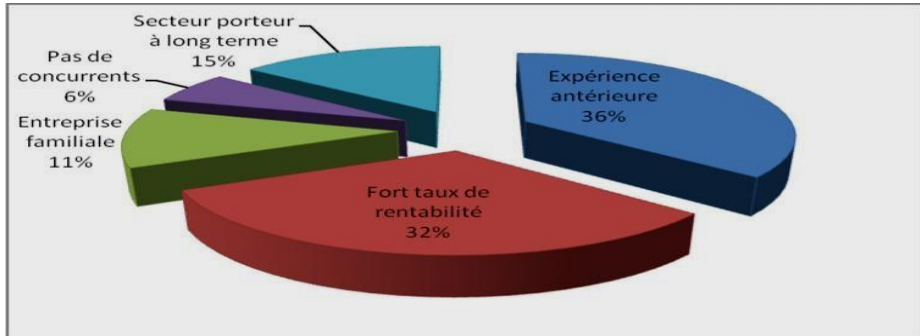
Les résultats de notre enquête montrent que 28% des entrepreneurs enquêtés ont des parents dans le domaine entrepreneurial. 25% ont des amis chefs d'entreprise, 14% représentent des frères et sœurs et 19% sont présentés par la réponse « Autres » incluant les cousins, conjoints, entourage.....etc.

L'entrepreneur est généralement doté d'un fort sentiment d'indépendance et d'autonomie et un besoin d'être son propre chef, pour réaliser ses rêves et ambitions. Chose qui se confirme d'après les résultats de notre enquête, 19% des entrepreneurs ont affirmé avoir créé leur entreprise dans le but d'assurer leur propre emploi, ne subir aucune autorité et ne pas recevoir d'ordres d'un supérieur hiérarchique ;

« Améliorer la situation familiale » est citée en second lieu par 17% des entrepreneurs, en troisième position on trouve les entrepreneurs qui se sont lancés dans les affaires pour se valoriser « La réalisation de soi » avec 14% et 11% pour les entrepreneurs qui veulent avoir un travail sur mesure.

Nous constatons que le facteur principal qui guide les entrepreneurs dans le choix du secteur d'activité, est l'existence du savoir-faire et d'expériences antérieures avec un taux de 36%. En effet, la majorité des entrepreneurs ont signalé avoir acquis suffisamment d'expérience et de savoir-faire dans le même secteur d'activité que celui où ils ont créé leurs entreprises ; Certains entrepreneurs avec un taux de 32% des enquêtés ont déclaré avoir choisi un secteur qui est caractérisé par un fort taux de rentabilité. De plus, 15% des entrepreneurs pensent que leur choix est déterminé par le fait, que le secteur d'activités soit porteur à long terme.

Figure n°6.- Les déterminants du choix de secteur d'activité



Source : réalisé par nos soins à partir des résultats de l'enquête

5.- Conclusion

La dynamique entrepreneuriale est considérée comme un processus qui marque une évolution en termes de création et de développement d'entreprises. L'analyse de cette dynamique consiste à évaluer le mouvement de création d'entreprises dans une économie donnée. Les données statistiques montrent que le secteur de la PME privée en Algérie a fait, ces dernières années, une avancée considérable par rapport aux années précédentes. Mais comparativement aux pays développés, cette dynamique reste relativement faible.

Il ressort de notre enquête que les entrepreneurs sont pour la majorité des hommes, ayant un âge compris entre 30 et 50 ans. Dans la majorité des cas, ils sont à la fois propriétaires et gérants de leur entreprise.

D'une manière générale, La forme juridique dominante est l'entreprise individuelle suivie par la SARL. Leur financement initial provient majoritairement des prêts accordés par le gouvernement dans le cadre des différents dispositifs d'aide à la création d'entreprises. Elles sont majoritairement des micros entreprises. De plus nous avons constaté que la plupart des entrepreneurs investissent essentiellement dans les secteurs où ils possèdent un savoir-faire, et qui offrent des taux de rentabilité élevés.

Il est à noter que le cadre familial dans lequel l'entrepreneur a été élevé forme un milieu qui semble constituer un élément important, voire décisif, dans l'émergence de l'idée d'entreprendre. En effet, la majorité des entrepreneurs ont affirmé que les relations familiales et personnelles

sont à l'origine de l'idée de la création du projet.

De plus, disposer d'un entourage entrepreneurial constitue des opportunités non négligeables, que ce soit en matière de conseils ou d'imprégnation du métier de dirigeant.

A travers notre enquête, la plupart des entrepreneurs ont été influencés par leurs parents et sont issus d'un entourage entrepreneurial, ce qui confirme notre troisième hypothèse

Il ressort également de notre analyse que notre première hypothèse est confirmée car le niveau d'étude des entrepreneurs est élevé pour la majorité. Ils ont effectué des études universitaires ou une formation professionnelle. Ils ont déclaré avoir acquis suffisamment d'expériences et de savoir-faire avant de se lancer dans le secteur d'activité de l'entreprise créée (hypothèse vérifiée) ce qui leur permet d'acquérir et de perfectionner des techniques de production, une maîtrise du métier, ainsi que la possibilité de tisser différents réseaux.

Cette dynamique du secteur privé, est due, principalement, à la disponibilité des moyens de financement (aide de l'état, apport personnel et capitaux familiaux) qui permet aux entrepreneurs de se lancer en affaires ce qui confirme notre deuxième hypothèse.

Notre étude montre que les enquêtés sont motivés, principalement, dans leur acte entrepreneurial par la recherche d'autonomie, du profit et la volonté de créer de l'emploi. Il est à noter que les caractéristiques les plus importantes pour réussir en affaires sont celles du leadership et de la détention d'un réseau relationnel.

Enfin, La création d'entreprise en Algérie est la synthèse d'un engagement individuel et d'un environnement propice à l'entrepreneuriat. Elle est la résultante d'un ensemble de facteurs liés à l'environnement immédiat de l'entrepreneur (relations familiales, amicales et professionnelles).

Compte tenu du rôle des PME dans la restructuration de l'économie, il faut avant tout que les gouvernements favorisent l'entrepreneuriat, facilitent la création et le développement des entreprises et motivent les individus désirant entreprendre notamment en améliorant l'accès au capital-risque et autres formes de financement. C'est dans cette perspective que le gouvernement doit favoriser le développement de marchés secondaires des valeurs, afin de faciliter l'entrée et la sortie des investisseurs de capital risque ; d'alléger la fiscalité des plus-values en capital et autres dividendes ; de faciliter le développement des stock-options dans les petites entreprises. Ils doivent encourager aussi les réseaux qui rapprochent petites entreprises et investisseurs potentiels.

Les pouvoirs publics locaux, régionaux et nationaux peuvent favoriser les liens entre petites entreprises en mettant en place des cadres de partenariat public/privé et interentreprises. Leur rôle est en général indirect et consiste à aider au développement des compétences et à dégager des moyens, tout en éliminant les contraintes qui s'opposent à une plus forte interaction entre les entreprises.

6.- Références

-
- [1] Verstraete T, « Histoire d'entreprendre : les réalités de l'entrepreneuriat », Editions EMS, 2000, p11.
 - [2] Bruyat C. (2001), créer ou ne pas créer : une modélisation du processus d'engagement dans un projet de création d'entreprise , Revue de l'entrepreneuriat, vol 1.
 - [3] Danjou I. (2002), L'entrepreneuriat :un champ fertile à la recherche de son unité , Revue Française de gestion, N°138, pp108- 123.
 - [4] Hernandez . (2001), l'entrepreneuriat, approche théorique, l'Harmattan, France, p74.
 - [5] Danjou I ,Op.cit, p115
 - [6] Verstraete T, Fayolle A. (2005), Paradigmes et entrepreneuriat, Revue de l'entrepreneuriat, vol 4, N°1.
 - [7] Fayolle A. (2004), Entrepreneuriat : Apprendre à entreprendre, Dunod, Paris, p10.
 - [8] Journal officiel de la république Algérienne., (2001), Chapitre II, article 4, n°77, 2001, p 5.
 - [9] ASSALA Khalil, « PME en Algérie, de la création à la mondialisation », 8e CIFEPME, communication dans le colloque international « l'internationalisation des PME et ses conséquences sur les stratégies entrepreneuriales », 25,26 et 27 Octobre 2006, p2.
 - [10] Mme Benyahia-TAIBI, Mme Djemane- SEGUINI. (2008), l'évolution du rôle des PME privées dans le développement économique en Algérie : synthèse macroéconomique , p12.
 - [11] Cité par Aknine.R, Souidi.R., le profil des créateurs d'entreprises en Kabylie : Le poids de la famille et l'incidence du chômage dans la création d'entreprises , p5.
 - [12] Souidi.R, Ferfera M.Y, Akrouf T. (2004), Les entrepreneurs, le territoire et la création d'entreprises : Enquête à Boghni, Cahiers du CREAD, n°51, p54.



Educational Wastage Quantitative bat vocational training institutions in Ouargla Province

الهدر التربوي الكمي بمؤسسات التكوين المهني في ولاية ورقلة

Dr.Tichabet yasmina¹ Dr Mezaour Nassima²

1.- University of Ghardaia, tichabet7yasmine@gmail.com

2.- University of Ghardaia, mezaour.nassima@gmail.com

Received:09-30-2019

Accepted:05-11-2019

Abstract-

Vocational training sector is one of the most important tools of the country for the preparation of human capital and the development of individual skills, especially that the latter is among the significant mechanisms of activating economic growth of each society. Despite its importance, vocational training encounters various obstacles that prevent achieving its aims on the individual and the community levels so that it would result in prosperity and progress of the society. One of these obstacles is the phenomenon of educational wastage. Thus, the present study tried to investigate educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province (south-east of Algeria) during the period (2014-2016). Results are displayed in tables for easy to read, followed by analyze qualitative analysis for these results.

Keywords-

educational wastage-Vocational training- Trainees.

الملخص -

إن قطاع التكوين المهني هو من بين أهم وسائل الدولة لإعداد الرأس المال البشري وتنمية مهارات الفرد، خاصة وأن هذا الأخير يعد من أهم ميكانيزمات تفعيل التنمية الاقتصادية لكل مجتمع، ورغم أهميته نجد أن هناك بعض المعوقات التي تحول دون تحقيقه لأهدافه على الفرد وعلى الجماعة بما يعود على المجتمع والمؤسسات والدولة من ازدهار وتقدم، ومن أهم هاته المعوقات ظاهرة الهدر التربوي، فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الهدر التربوي في مؤسسات التكوين المهني بإحدى ولايات الجنوب الشرقي الجزائري ألا وهي ولاية ورقلة وذلك بمعرفة حجم الهدر فيها في ثلاث سنوات الاخيرة "2014 - 2015 - 2016"، وسنقوم بعرض نتائجها في جداول لتسهيل قراءتها، وفي الأخير سنقوم بتحليل النتائج تحليلًا كميًا.

الكلمات المفتاحية -

الهدر التربوي - مؤسسات التكوين المهني - المتربصين

1. Statement of the problem

vocational training sector receives a considerable interest across the world sector as a modern education method. vocational training aims at providing elementary, middle and high school students who have not completed their studies or who have dropped out by the vocational or craftsmanship skills conducive to better preparation of them to become skilled workers. This is evident in light of the fact that "development, in its comprehensive context, depends on the experience gained, knowledge industry and technical skills possessed human capital." ⁱThus, the greatest attention has become focused on the investment in vocational training, in particular that real resource of any organization is human capital who would lead the rest of the factors, or other resources. This investment is accomplished through education and the formation of individuals for the acquisition of the necessary competencies. ⁱⁱ

Despite its importance as well as the huge funds the state of Algeria provide for this sector to empower it, vocational training encounters various obstacles that prevent achieving its aims on the individual and the community levels so that it would result in prosperity and progress of the society. One of these obstacles is the phenomenon of educational wastage that refers to a defect in the functional balance of vocational training process, which makes the inputs of the institution greater than its outputs. Adding to that the deviations and

inappropriate behaviors resulting from the problem of educational wastage at vocational training institutions.

Adolescents who drop out of vocational training in the age of (14-18) years old without a certificate qualifying them to work and earn a living are more vulnerable to problem behaviors or mental disorders such as anxiety or depression. Moreover, this phenomenon causes increased unemployment and huge shortage in finding professionals, weakens economic and productive structure of society and individual, and increases the dependency and reliance on third parties to provide needs. This, in turn, reduces the society endeavors, and leads to transferring its attention from the construction, reconstruction, development, and prosperity towards the attention of reform, treatment and counseling centers, and increased number and expenditures of prisons and hospitals.

Questions of the study

In light of the above, the present study tries to investigate the extent of educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province. The study attempted to answer the following main research question: What is the extent of educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province for the period (2014-2016)?

In order to answer this question, the study tried to answer the following research questions:

- What is the extent of educational wastage at vocational training institutions according to the variable of type of training for the period (2014-2016)?
- What is the extent of educational wastage at vocational training institutions according to the variable of level of training for the period (2014-2016)?
- What is the extent of educational wastage at vocational training institutions according to the variable of gender for the period (2014-2016)?

2. Operational definitions:

- **Training institutions:** refer to vocational training and apprenticeship institutions existing in Ouargla Province (the south-east of Algeria).
- **Training level:** it means the level that involves a certain category of trainees; depending on the level of education required for admission and the certificate they will obtain at the end of training. there are five levels of qualification.

- **Educational wastage:** it refer to the failure or drop out of a number of trainees enrolled in vocational training institutions after admission, thus leaving the training before completion, either automatically or mandatory or, at least, fail completing training as scheduled and spend longer time.
- **Training kinds:** vocational training in Algeria takes place through several patterns: residential training, training via apprenticeship, and distance training. These are as follows:
 - ✓ **Residential training:** This is the traditional form of vocational training. It takes place, theoretically and practically, at vocational training centers, where the majority of enrolled individuals are students who have dropped out from the education sector.ⁱⁱⁱ
 - ✓ Training via apprenticeship: in this type, the practical aspect takes place at **production units of public or private institutions, and is supported by a theoretical** aspect taking place at **the institution of vocational training in accordance with Article 10 of Law No. 81-07, dated 07 June 1981.**^{iv}

3. Review of literature

Attention has been increased in the recent years to vocational training, especially in the industrialized countries as a result of technological change and the evolution of the skills required in the production techniques. In the developing countries, however, the importance of training is more pressing as a result of the desire for rapid industrialization and what this implies of the need to qualified workforce capable of accommodating advanced technologies. This is due to the fact that vocational training is the vital vehicle to gain knowledge and experience in many occupational and professional fields. The following section discusses the main aspects of vocational training.

3.1 The concept of vocational training

Vocational training can be viewed as a set of activities that qualify **individuals and groups to perform their current and future work efficiently for the good functioning of the organization**.^v

Pierre Casse (1994) defines vocational training as “the process aiming at the development of individual vocational, technological, or behavioral abilities and skills in order to increase their efficiency and effectiveness in the implementation of tasks and roles related to their current or future jobs. It is a way for individual upgrade and the development of human resources, and a necessity to adapt to new technologies and economic constraints, as well as an effective

instrument for the management of human resources allowing the growth and development of the institution. Vocational training is, thus, an investment for workers, and should include all members of the organization, including those held responsible^{vi}.

In similar vein, Boufalja Gyath (2006) looks at vocational training as a set activities designed to ensure access to knowledge, skills, and attitudes to efficiently perform a task or set of functions in an assigned economic activity^{vii}.

while Vocational Training Guide (2000) and Algerian law in the Ministerial Circular No. 01 dated 10 May 2004 define it as theoretical and practical training in various professional disciplines, designed for all who wish to gain professional efficiency so that they would access to the world of work, as well as the workers who want to improve their knowledge and raise the level of rehabilitation in line with the development witnessed in the labor market.^{viii ix}

In light of these definitions, vocational training may be defined as a set of activities aiming at the acquisition of knowledge, skills, and behaviors that the trainee would acquire at the vocational training institutions by means of theoretical lessons and practical duties that make the trainee able to practice a certain job. This training process involves psychological, technical, and social aspects.

3.2 Aims of vocational training

Vocational training aims at achieving a set of various purposes including the following:

- contributing to greater respect of young people for manual work and craftsmanship,
- developing a sense of responsibility towards the nation and providing those young people with more self-confidence,
- allowing the opportunity to explore the capabilities of the trainees,
- directing the attention of young people who drop out of school toward gainful employment,
- resulting in the recognition of young people that working in the industry and crafts requires skills and technical system, and allows greater opportunities to work than provided by general education alone,
- providing illiterates with the minimum required level of general education in a vocational form, the preparation of the individuals vocationally and training them on an assigned profession

by increasing their production efficiency and helping them acquire new knowledge and skills to invest them as best as possible,

- in addition to helping the individual recognize the relationship between his or her work and others'
- work from one side, and the aim of the employer on the other side, and allowing the opportunity for the trainee to make progress in terms of higher wage and better position^x.

- In brief, it is argued that vocational training aims at the advancement of the individual through the acquisition of theoretical knowledge, scientific capabilities, and practical skills needed for the practice of a craft or a profession.

3.3 Levels of training

- Level 1 ends with a certificate of specialization in vocational training and the worker is entitled specialized worker.
- Level 2 ends with a certificate of professional competence and results in a qualified worker.
- Level 3 gives certificate entitled « Diplômé de maintenance professionnel », and the worker is a highly qualified worker.
- Level 4 gives certificate of technical diploma, where the worker takes the position of technician or super vising assistant.

Level 5 gives a certificate of higher technician diploma where the worker takes the position of superior technician.^{xi}

3.4 The concept of educational wastage

Educational wastage refers to the loss in the expenditure and efforts of the educational processes as a result of students' failure or dropout^{xii}. Educational wastage is a result of the poor cost-effective of the educational system that takes the form the system inability to the retention of all enrolled to complete their studies due to school dropout^{xiii}. In parallel, UNESCO defines educational wastage as "what happens to the educational system in a certain country, affecting its efficiency as a result of two factors: school dropout or failure in passing to the next grade^{xiv}". Thus, educational wastage can be viewed as a phenomenon manifested in the loss of money, effort, and time devoted to the functioning and development of education and training track. This phenomenon arises for a number of factors including dropout, academic failure, and low level of achievement.

4. The present study

4.1 Methodology

The present study employs the descriptive analytic approach depending on available data regarding field

statistics and formal documents of educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province for the period (2014-2016).

Results

The following section presents the results of the present study divided according to the three years covered.

4.2 Educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province for the year 2014

A. Wastage at Residential training

Results presented in table (1) reveal that the wastage for males at the second level of residential training reached (93) with a percentage of (18.42%), compared to (76) with a percentage of (15.05%) for females. At the third level, the wastage for males reached (48) with a percentage of (15.34%), compared to (33) with a percentage of (10.54%) for females. At the fourth level, the wastage for males reached (5) with a percentage of (20%), compared to (8) with a percentage of (32%) for females. At the fifth level, the wastage for males reached (31) with a percentage of (11.70%), compared to (44) with a percentage of (16.66%) for females. Finally, there was no wastage at the first level. The total percentage of the residential training amounted (30.45%).

B. Wastage at Training via apprenticeship

Results presented in table (2) reveal that there was no wastage for both males and females at the first and forth levels of training via apprenticeship. At the second level, however, the wastage for males reached (08) with a percentage of (1.25%), compared to (106) with a percentage of (16.56%) for females. At the third level, the wastage for males reached (165) with a percentage of (13.33%), compared to (43) with a percentage of (35.83%) for females. At the fifth level, the wastage for males reached (15) with a percentage of (8.72%), compared to (32) with a percentage of (18.60%) for females. The total percentage of the training via apprenticeship amounted (23.77%).

4.3 Educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province for the year 2015

A. Wastage at Residential training

Results presented in table (3) point out that the wastage for females at the second level of residential training reached (152) with a percentage of (14.53%), compared to (224) with a percentage of (20.97%) for males. At the third level, the wastage for males reached

(75) with a percentage of (21.80%), compared to (53) with a percentage of (15.41%) for females. At the fourth level, the wastage for females reached (30) with a percentage of (13.82%), compared to (89) with a percentage of (41.01%) for males. At the fifth level, the wastage for males reached (66) with a percentage of (21.02%), compared to (31) with a percentage of (9.87%) for females. Finally, there was no wastage at the first level. The total percentage of the residential training amounted (37.05%).

B. Wastage at Training via apprenticeship

Results presented in table (4) indicate that there was no wastage for males at the first and level of training via apprenticeship, while for females the number was (12) with a percentage of (36.36%). At the second level, the wastage for males reached (27) with a percentage of (1.79%), compared to (233) with a percentage of (15.46%) for females. At the third level, the wastage for males reached (54) with a percentage of (18%), compared to (157) with a percentage of (52.33%) for females. At the fifth level, the wastage for males reached (08) with a percentage of (6.95%), compared to (37) with a percentage of (32.17%) for females. There was no wastage at the fourth level neither for males nor females. The total percentage of the residential training amounted (27%).

In 2015, the total percentage of wastage for residential and apprenticeship training in Ouargla Province amounted (27.45%); with total number of trainees (3898), and those who failed or dropped out were 1070 trainees (543 males, and 705 females).

4.4 Educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province for the year 2016

A. Wastage at Residential training

Results presented in table (5) reveal that the wastage for males at the second level of residential training reached (95) with a percentage of (22.57%), compared to (58) with a percentage of (13.78%) for females. At the third level, the wastage for males reached (27) with a percentage of (10.51%), compared to (23) with a percentage of (8.95%) for females. At the fourth level, the wastage for males reached (24) with a percentage of (14.12%), compared to (43) with a percentage of (25.29%) for males. At the fifth level, the wastage for males reached (110) with a percentage of (26.83%), compared to (21) with a percentage of (5.12%) for females. There

was no wastage at the first level. The total percentage of the residential training amounted (31.88%).

B. Wastage at Training via apprenticeship

Results presented in table (6) indicate that the wastage for females reached (01) with a percentage of (0.34%), compared to (53) with a percentage of (18.40%) for males. At the second level, the wastage for males reached (764) with a percentage of (31.14%), compared to (39) with a percentage of (1.59%) for females. At the third level, the wastage for males reached (115) with a percentage of (28.96%), compared to (38) with a percentage of (9.57%) for females. On the other hand, there was no wastage for females at the fourth and fifth levels, while for males the wastage valued (02, 22) with percentages of (40%, 22%) for the fourth and fifth levels respectively. The total percentage of the residential training amounted (31.88%). In 2016, the total percentage of wastage for residential and apprenticeship training in Ouargla Province amounted (31.88%); with total number of trainees (4501), and those who failed or dropped out were 1435 trainees (1212 males, and 223 females).

5. Discussion

Results indicated point out that the ration of educational wastage at vocational training institutions in Ouargla Province, Algeria is significantly high; ranging between (20-26 %) for the period (2014-2016). The researcher attributes this high wastage to the following reasons.

First of all, training conditions, such as the jump in the number of trainees, makes it impossible to provide a position of training within the workshops for all the trainees. In addition, the unavailability of suitable places to carry out successful training places that allow trainees to apply what they have learned in the centers and institutes, makes training conditions the most important factors leading to educational wastage at vocational training institutions.

Lack of educational efficiency of skilled workers who train the trainees, as well as the exploitation of some trainees in actions irrelevant to the topic of training, such as guarding and cleaning.

Despite the efforts and innovation made in the sector of vocational training and apprenticeship in recent years, vocational training through apprenticeship is still suffering a lack of supervision and regulation. Institutions and craftsmen generally consider the trainees low labor cost or free. Thus, this training form has deflected from its original purpose.

vocational training institutions encounter severe difficulties in providing qualified trainers, and thus use instead of them university graduates who cannot perform this type of training in light of the fact that the nature of university education is not consistent to the vocational training of these institutions. This finding is supported by the study of Salhy and Shotary (2009) entitled “vocational training between the supply specificity and the logic of demand”^{xv}. vocational training in these institutions is generally characterized by a schooling nature; i.e. it includes a prolonged period of theoretical training, which contrasts perfectly with the educational objectives of vocational training that are essentially of practical and pragmatic character.

Poor supervision is another important factor of educational wastage at vocational training institutions. This is consistent with Lang’s (1996) view who argues that incorrect guidance and supervision would result in a set of academic difficulties in the case of directing the learner or trainee to a specialization that is not in line with his or her capabilities, preferences, and interests.^{xvi}

Mental health may also be an important factor affecting the level of tainee’s achievement. According to Weiner and Potepan in their study about personal characteristics and emotional reactions to the examinations for outstanding and failed students at the university, the more worried students are less achieving and motivation and more fear of the final exam than the less worried students^{xvii}. Thus, Poor motivation and unwillingness to training at many of the trainees in various vocational disciplines because of inappropriate guidance and not to select the specialization according to the trainees interests and abilities. This would result in a sense of frustration because of poor appreciation for education and vocational training professionals leading the trainee to leave training at all. Physical health also affects the training process whether positively or negatively. Many studies reveal that chronic diseases and disabilities may make the trainee feel inferiority, and thus tries to outperform in the study up to offset the shortfall. However, this may be a disincentive; since illness or disability may prevent the individual from completing training.

Another important factor affecting educational wastage is the role of the family. The trainee is often the victim of his or her family environment. Family is also responsible for the physical and psychological status of the individual in terms of promoting or hindering his mental growth and development of knowledge. Moreover, dysfunctioning families because of divorce or death as well

as poor family environment full of conflicts and problems and severe controversies difficult to resolve may result in psychological problems and mental disorders or even forcing the child to leave school. In addition, the low the standard of living for the family largely contributes to trainees' dropout. This is supported by the results of many studies, such as Al-Jeryany and Dahan's (2008) study on educational wastage factors in the public secondary schools, which concluded that major economic factors impacting on educational wastage is low family income.^{xviii}

Furthermore, reluctance of young people for vocational training, and if they do, they are compelled to; believing that this is a bad choice with no social or psychological value. This resulted in a feeling of rejection and contempt towards vocational training, making it the last choice for the majority of individuals. This is confirmed by Salehi and Shotary (2009), who emphasized the inferior view of the society for vocational training and its impact on the psyche of the trainee.^{xix}

Finally, the documented increase in terms of educational wastage institutions of vocational training for females than males in most years can be explained in light of the social reality for females; since the female is not subject to the pressures faced by the males in that they are required to accomplishment, to take responsibility, and to spend on family. Females, however, if failed in education or training have a choice to stay home and wait for a suitable husband, which is a supported choice from the part of the family, especially in the southern desert regions.

6. Conclusion

The results of the present study revealed that the percentage of educational wastage at vocational training institutions for the last three years (2014-2016) is approximately (30%), which is a very high ratio deserving attention and conducting further studies to determine the real reasons for this phenomenon. Finally, in light of the results reached, the study recommends a set of recommendations for improving the reality of vocational training institutions and at the same time for reducing their educational wastage. These include the following recommendations and suggestions:

- Conducting further studies and research to investigate the real reasons for educational wastage at vocational training institutions.

- Improving the conditions and environment of workshops where the trainees receive their training.
- Reconsideration of the preparation of the qualified trainers and instructors who can deal with and understand the trainees.
- Development of plans and educational programs suitable for this category to re-raise their mental health levels by increasing their self-esteem.
- regulating television and radio programs to publicize the importance of vocational training, and the value of certificate obtained from this sector.

Appendices

Table (1) ratio of wastage at residential type according to gender for the year 2104

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	2	0	0	00	00	0	00
Level 2	505	93	76	18.42%	15.05%	169	33.47%
Level 3	313	48	33	15.34%	10.54%	81	25.89%
Level 4	25	5	8	20.00%	32.00%	13	52.00%
Level 5	265	31	44	11.70%	16.60%	75	28.30%
Total	1110	177	161	15.95%	15.95%	338	30.45%

Table (2) ratio of wastage at Training via apprenticeship according to gender for the year 2104

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	06	00	03	00	50.00%	03	50.00%
Level 2	640	08	106	1.25%	16.56%	114	17.81%
Level 3	120	16	43	13.33%	35.83%	58	49.16%
Level 4	00	00	00	00	00	00	00
Level 5	172	15	32	8.72%	18.60%	47	27.32%
Total	938	39	184	4.15%	16.61%	223	23.77%

Table (3) ratio of wastage at residential type according to gender for the year 2015

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	0	0	0	0	0	0	0
Level 2	1068	152	224	14.23	20.97	376	35.21
Level 3	344	53	75	15.41	21.80	128	37.21
Level 4	217	30	89	13.82	41.01	119	54.84
Level 5	314	31	66	9.87	21.02	97	30.89
Total	1943	266	454	13.69	23.37	720	37.05

Table (4) ratio of wastage at Training via apprenticeship according to gender for the year 2015

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	33	12	00	36.36%	00	12	36.36%
Level 2	1507	233	27	15.46%	1.79%	260	17.25%
Level 3	300	157	54	52.33%	18.00%	211	70.00%
Level 4	00	00	00	00	00	00	00
Level 5	115	37	8	32.17%	6.95%	45	39.13%
Total	1955	439	89	22.45%	4.55%	350	27.00%

Table (5) ratio of wastage at residential type according to gender for the year 2016

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	0	0	0	0	0	0	0
Level 2	421	58	95	13.78%	22.57%	153	36.34%
Level 3	257	23	27	8.95%	10.51%	50	%19.56
Level 4	170	43	24	25.29%	14.12%	67	39.41%
Level 5	410	21	110	5.12%	26.83%	131	31.95%
Total	1258	145	256	11.53%	20.35%	401	31.88%

Table (6) ratio of wastage at Training via apprenticeship according to gender for the year 2016

Training level	Total number	males	Females	Males %	Females %	Total wastage	Total wastage %
Level 1	288	1	53	0.34%	18.40%	54	18.75%
Level 2	2453	39	764	1.59%	31.14%	803	32.73%
Level 3	397	38	115	9.57%	28.96%	153	38.53%
Level 4	5	00	2	00	40.00%	2	40.00%
Level 5	100	00	22	00	22.00%	22	22.00%
Total	3243	78	956	2.40%	29.47%	1034	31.88%

ⁱ Ahmad Mostafa (2001). Vocational training and labor market outcomes in the Arab countries, the Arab Center for vocational training and the Trainer preparation, Tripoli, Libya, p. 21.

ⁱⁱ Abdul Karim Gharib (2003) competencies strategies and methods of evaluating the quality of their composition. World of Education Publications, Rabat, 3rd ed.

ⁱⁱⁱ Bovljha Ghyath (2006), Vocational Training and Employment in Algeria, Oran, Algeria, Dar Al-Gharb, p. 91.

^{iv} Official Gazette of the People's Democratic Republic of Algeria (1981). International Agreements, laws, decrees, decisions and opinions, decisions, leaflets, advertising and communications, No. 81-07, dated 07 June.

^v Sekiou.Blondin.Fabi (2001) ,Gestion des ressources humaines.2ém édition de book , Montréal , université Montréal, p335.

^{vi} Pierre casse (1994), la formation performante, alger, office des publications universitaires centrale BenAknoun, p48.

^{vii} Bovljha Ghyath (2006), op, cit. p. 3.

^{viii} People's Democratic Republic of Algeria (2007). National Code of specialties of vocational training and apprenticeship, Algeria, Ministry of Vocational Training and Education.

^{ix} Official Gazette of the People's Democratic Republic of Algeria (2004). International Agreements, laws, decrees, decisions and opinions, decisions, leaflets, advertising and communications, No. 1, dated 10 May.

^x Khalid Abdul Rahim Al-Hiti & Akram Ahmed Al-Tawel (2000). Industrial organization: principles, processes, Approaches and experiences, Oman, Jordan, Dar Al-Hamed of the publication and distribution, 2nd ed., p. 404.

^{xi} National Code, op, cit. p. 3.

^{xii} Al-Rashdan Abdullah (2001), in the economics of education, Oman, Jordan, Dar Wael for Publishing and Distribution, p. 248.

^{xiii} Educational presentation (2008), the school wastage, National University of Education staff. Commission of continuous training, the National Federation of Labor in Morocco, p. 1.

^{xiv} Al-Nouri Abdul Ghani (1988), new trends in educational planning in the Arab countries Doha, Qatar, the House of Culture, p. 27.

^{xv} Saleh Salehi & Amal Shutry (2009). Vocational training between the specificity of supply and the logic of demand. International forum of decision-making in economic institution. University of Mohamed Boudiaf, Algeri.

^{xvi} J.L. Lang, (1976), l enfance inadaptée, PUF,Paris,p85.

^{xvii} Medhat Abdel Hamid Abdel Latif (1990). Mental health and academic excellence, Beirut, Arab Renaissance Publishing House for printing and Publishing, 1st ed., p. 144.

^{xviii} Al-Jeriana, Rajeh Dahane Ali (2008). Factors of educational Wastage in public secondary schools in Sana'a, Unpublished MA Thesis, Faculty of Psychology and Education Sciences, University of Sana'a.

^{xix} Saleh Salehi & Amal Shutry (2009). Op, cit



Competency-Based Evaluation of the Algerian English Language BAC Test

Mr. BOUKHENTACHE Slimane

Magister (Didactique et linguistique)/ Doctorant en 6^{ème} année

Maître- assistant classe A

Faculté des lettres et des langues étrangères

Département d'anglais, université Mohammed Seddik Ben Yahia, Jijel

s_boukhentache@uin-jijel.dz /bkt.slimane@gmail.com

Received:19-03-2018

Accepted:28-10-2019

Abstract

The current study investigates the competency-based extent of the Algerian English language Baccalaureate test. The BAC test was evaluated against a set of criteria derived from the review of the expert literature. Results indicate that only 30 % of the test questions can be considered competency-driven, but faulty in terms of competency-focused assessment principles such as complexity of the task, meaningfulness of the task, multiplicity of task instructions, and diversity of scoring standards. The other 70 % of the test questions are focused on the measurement of resources, with 10 % devoted to knowledge and 60 % to skills/abilities measurement. Nevertheless, of this large sum of percentage devoted to the assessment of resources, only 10 % percent is justified from a competency-based theory.

Keywords: Assessment of complex situations, Assessment of resources, BAC testing, competency-based approach, Competency-Assessment, pedagogy of integration, Skills-assessment.

ملخص -

تقييم امتحان البكالوريا للغة الإنجليزية من وجهة نظر المقاربة بالكفاءات يتناول البحث مدى استجابة امتحان البكالوريا للغة الإنجليزية المعتمدة لمعايير التقويم و التقييم التي أثارها المنظرين للمقاربة بالكفاءات بالاعتماد على مجموعة من المبادئ الخاصة لهذا الأخير، وتطبيقها على محتوى أسئلة امتحان البكالوريا للغة الإنجليزية. وقد أكدت النتائج أن 30% فقط من محتوى الامتحان تقيس الكفاءات لكن هذا العنصر الأساسي في الامتحان ناقص من حيث تطابقه مع معايير التقويم و التقييم المستعملة في قياس الكفاءات، مثل تعقيد التمارين، توضيح مغزى المهمة، تعدد التعليمات في التمارين، وتنوع معايير التصحيح. أما البقية من النسبة المئوية لمحتوى الامتحان فهي تتناول قياس المصادر (10% مخصصة للمعارف و 60% مخصصة للقدرة). لكن هذه النسبة الكبيرة المخصصة لقياس المصادر فهي غير مبررة من وجهة نظر مبادئ هذا المنهج البيداغوجي المعتمد، بحيث 10% فقط من محتواها يمكن اعتبارها ملائمة و مقبولة و في تطابق مع معايير التقويم و التقييم في ظل المنهج التعليمي للمقاربة بالكفاءات. ،

الكفاءات، تقييم المصادر، القدرات، تقييم المقاربة بالكفاءات، تقييم امتحان البكالوريا، المشكلة الوضعية، تقييم

I- Introduction

Following the 2002 School Reform, Algeria has adopted a competency-based approach (CBA) as a major breakthrough for the planning, implementing, and assessing learning targets in Algerian schools (primary, middle, and secondary schools). The newly selected model for defining curriculum components represents a radical alteration in the pedagogical paradigm (Seghouani, 2006, p. 74). In this new framework, assessment, one of the sub-sets of the curriculum, requires adherence to entirely new assessment practices. Instead of focusing on the assessment of specific discrete objectives, attention is shifted towards the measurement of successful attainment of competencies (knowledge, skills, and attitudes) in complex situations. The current study will attempt to evaluate the extent to which the Algerian English language Baccalaureate test reflects the principles of CBA by examining the most recent Baccalaureate National exam.

II- Background of the Study

As a teacher of secondary school for 12 years, I have noticed that the current supposedly competency-based national tests are not much different from those preceding the School Reform. The general impression those certification tests give is that of conventionality. It seems that accreditation assessment has not been affected by the implementation of a competency-based pedagogy. The only noticeable change in the design of the test is probably in the labeling (at least implicitly) of the *written expression* phase that has come to be referred to as integration situation. One wonders whether these exams reflect the principles of CBA, and whether espousing a pedagogy of integration (i.e., the competency-based version adopted by the Algerian education system) to assessment does not involve profound alteration in the format, procedures, and content of national exams.

The review of the available related work shows that the current BAC practices do not fully adhere to competency-based perspectives. For instance, Aouine's (2011) study pointed out that the BAC test does not tap at the higher order skills (e.g., analysis, synthesis, and problem solving) in Bloom's taxonomy of cognitive educational objectives (p. 172), one of the major underpinnings of the Algerian competency-based model of teaching. Also, Miliani's (nd) review of the teaching methods used in the new syllabuses indicated a mismatch between the teaching practices promoted in the English language textbooks in use and the BAC test (p.4). These studies looked at the Baccalaureate test from specific competency-based perspectives; hence, they only partially evaluate the BAC test from a competency-based standpoint. It follows, then, that a comprehensive examination of this test is recommended to see whether a test of competency would look any different from traditional and conventional tests, which were widely in use in our secondary school.

III- Research Question

Based on the above background, the current study will attempt to determine and discuss the compatibility of the final secondary school exam with a genuine pedagogy of integration as presented in the review of the expert literature. The following research question will be used to investigate the research concerns reported above:

To what extent does the Algerian English language Bacallaureate test comply with the principles of the pedagogy of integration?

IV- Research Method

In order to evaluate the competency-based extent of the English language BAC test, a sample test will be used because the various tests corresponding to different streams obey to a single format, with slight variations in the type of content. However, the most recent BAC exam will be sampled, because it is assumed that the more a test is distanced from the onset of curriculum renewal, the more feasible it is for the educational authorities to apply the principles of the School Reform. Indeed, the implementation of the new teaching model requires years, if not generations. A competency-based component needs to be gradually implemented to do away with the old objective-based pedagogy (Miled, 2006, p. 135). The 2015 BAC test, which is the seventh competency-driven exam since the introduction of the pedagogy of integration into Algerian secondary schools in 2005, should at least assess the accomplishment of minimum communicative competencies.

As the present study is concerned with competency conceptualization of the BAC test, it includes only theory that is realized in discourse data. According to Denzin and Lincoln's (1994) definition of qualitative research, this interpretivist philosophical approach includes, among other methods, the analysis of reports and documents (p.4). Accordingly, a qualitative philosophy will be applied to the analysis of BAC test and syllabus documents. Nevertheless, some discourse data will be rendered in numerical terms.

The sample exam will be evaluated against the following set of competency-based evaluation criteria derived from the review of the literature.

- Measurement of both resources and competencies
- Application of the rule of two thirds for the testing tasks
- Use of the role of three out of four
- Multifaceted format of the assessment tasks
- Meaningfulness of assessment tasks
- Integration (complexity)

V- Analyses and Discussions

As already mentioned, the current enquiry evaluates the competency-based extent of English language BAC test against a set of assessment principles derived from the works of well-established writers of the pedagogy of integration. The discussion and analysis of the BAC test are framed around this set of competency-oriented assessment precepts.

V.1. Measurement of Resources and Competencies

A quick glance at the representative BAC test (see Appendix A) will show that it is mostly focused on the assessment of resources (i.e., knowledge and skills proper to English language). As illustrated in the *figure 1* below, 70 % of the test items are text-based or linguistically-motivated (refer to Part One in the Appendix A). The other 30 % is devoted to a written production in a form of a complex task (see Part Two in the Appendix A). These findings indicate a discrepancy between the BAC testing practices and the competency-focused procedures outlined in the pedagogy of integration. According to Roegiers (2005a), one of the precepts of the pedagogy of integration is the accreditation of the learner through solving everyday tasks, rather than the measurement of knowledge (p.121). The measurement of these fragments of knowledge and skills should not exceed 25 % (Gerard, 2006, p. 103) or 50% (Roegiers, 2005b, p.149) of the total content of the certification assignment.

Activities 1-5 in the *Part One/1.Reading* of the test (see Appendix A) measure reading skills. According to De Ketele (2010),

these types of activities are procedures for measurement of school applications. Tasks 1 and 2 in *Part 1/2. Text Exploration*, on the other hand, test target knowledge restitution. Activities 3-5 in the same section again and to continue using De Ketele's distinction, are means for measurement of school application. In simpler terms, all these activities either measure knowledge restitution or skills/ abilities. Scallon (2004) defined knowledge restitution tasks as questions requiring students to repeat answers already acquired at class, while skills activities stimulate the learner to use his/her knowledge (p.36). The levels of complexity of these two types of activities in Bloom's taxonomy of the cognitive domain lie in a continuum between remembering and application. Thus, it seems that this test is still virtually functioning within the logic of specific objective testing, in which assessment activities are decontextualized and do not require skills integration.

The figure below, borrowed from Roegiers (2005b, 149), illustrates clearly the discrepancies in the distribution of assessment categories that exist between the BAC test and the norms established in the pedagogy of integration.

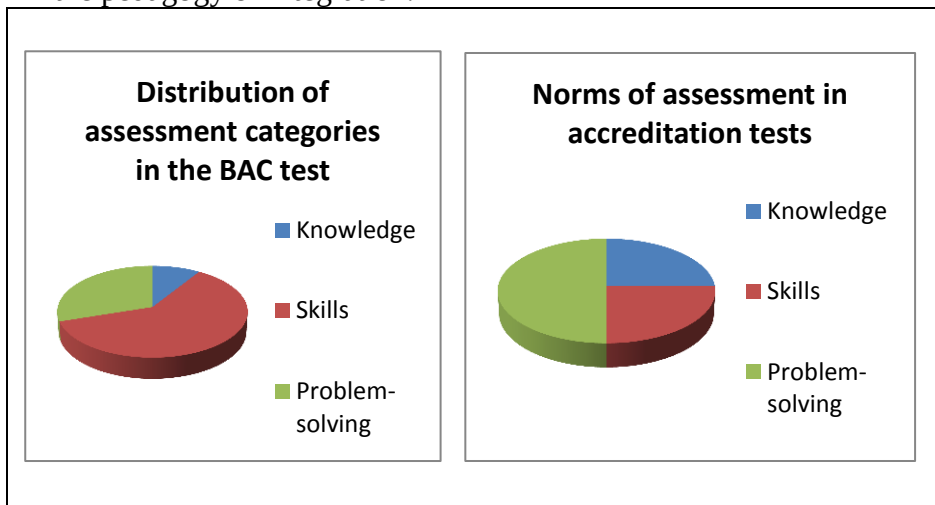


Figure 1: Comparison of distribution of test items in the BAC test and in the expert literature

Moreover, as shown in the figure below, less than half of the percentage of the test items is justified from a competency-based

viewpoint, and the 30% of the test framework devoted to competency testing shows serious defects in the design of testing tasks.

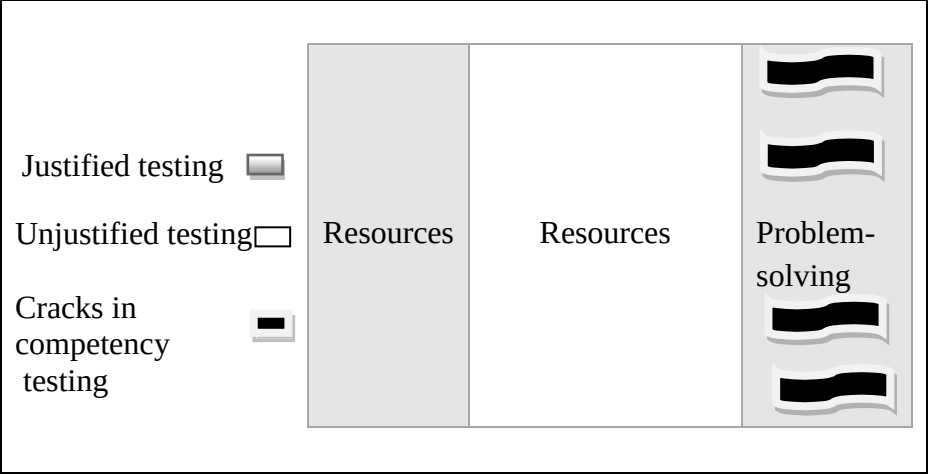


Figure 2: competency-based appropriateness of the BAC test items

As illustrated in the above figure, of the 70 % of testing items employed in the BAC test, only 17 % is justified. Likewise, competency-testing that occupies a small percentage of the test framework is not fully accommodating for the requirement of problem-solving tasks that constitute the key lever in determining attainment of competencies.

As the only seemingly competency-driven task in the BAC test is the *Written Expression* section (see part II in Appendix A) and the other assignments in the test construction are not tasks in the strict sense, the analysis and evaluation of the BAC test will henceforward be entirely concerned with the *Written Expression* section of the test.

V.2. Rule of Two Thirds

The *Written Expression* section of the test does not apply the rule of two thirds suggested by De Ketele in 1996. The rule of 2/3 states that the testee should be given three independent questions to ensure achievement of assessment criteria; then, if he completes successfully at least two questions out of three, he/she declared competent (De Ketele, 2010, p 34; Roegiers, 2005, pp. 112-113) . Discordantly, the *Written Expression* segment of the test employs two

separate questions for choice. In so doing, the learner answers a single question; consequently, we cannot draw a valid judgment on the degree of mastery of a competence (Roegiers, 2005a, p. 110). It can be said then that the test breaches a fundamental rule of the pedagogy of integration, namely, checking assessment criteria three times.

V.3. Multifaceted Format of the Test

The two questions for choice in the *Written Expression* phase of the test under investigation are two simple questions, with the first questions incorporating some notes (clues) to assist the learner to answer the question. From a competency perspective the first question has some characteristics of the pedagogy of integration while the second one does not adhere to the format of instruction peculiar to competency testing. The first question that is about corruption and bribery prompts the learner to react to the text by writing an article showing that corruption is not limited to bribery. After reading and comprehending the text (a communication situation), the learner is requested to react to the text by producing an essay on bribery and corruption.

However, this first question lacks provision for an appropriate and explicit context. The examinee is just asked to write an article, with no further indications on the incentive. In the pedagogy of integration the task should not only be functional, but also triggered by realistic conditions. Moreover, this question lacks authentic or semi authentic materials that can be invested and manipulated to solve the problem at hand. Still, the task is void of any instructions apart from the assignment. In short, although the format of this task has some characteristics of competency testing situations, it is much more like traditional problem solving activities.

The second question of the assignment, on the other hand, is a clear conventional “problem-task” as outlined by Roegiers (2006, pp. 70-71). It is a straight invitation to write in an open way on a pre-specified topic (i.e., aspects in which civilizations enrich one another).

The question involves restitution of knowledge (i.e., ways in which civilizations build on one another) and skills (e.g., combining sentences) dealt with in the classroom. Besides the direct regurgitation of knowledge and skills, this assignment is deficient in terms of context, the use of authentic support materials, multiplicity of instructions and authenticity or functionality of the task. Still more, the evaluative question is deemed inappropriate because it deals with a topic that has nothing to do with the communication situation. The reading passage is on the different significations of corruption and this assignment is about interdependence of civilization. This question is, then, invalid because it does not test what is contended to be tested in the syllabus.

V.4. Meaningfulness of the Task

Unlike traditional problem-tasks, which invite learners to write freely in a way to display their knowledge to the examiner, problem-situation tasks typically used in integration pedagogy are socially useful (Gerard, 2005, p. 89). With reference to the *Written Expression* phase of the BAC test, both assignments lack functionality in that they lack an external audience; consequently, they are far removed from the realities of everyday tasks because the expected audience is the teacher. In reality, this BAC task tests the examinees knowledge and savoir-faire, without going as far as to involve them in actions that mirror every day activities that they will be called upon to perform when they leave school. Consequently, students do not see a pragmatic sense in solving such knowledge display activities.

V.5. Complexity of the Task (integration)

In contrast to objective-based tasks, integration situations require from the learner the mobilization of different types of resources to solve a problem-situation (Roegiers, 2006, p.71; Gerard, 2006, 89). The variety of resources in competency testing stems from the multiplicity of objectives we seek to evaluate. Disciplinary

objectives, interdisciplinary objectives, cognitive objectives, and life skills are usually represented in competency testing tasks. The appliance of this criterion to the competency phase of the BAC test indicates that the two assignments are defective in terms of integration. The examinee is virtually invited to exhibit his knowledge of the language in a sequenced way. For instance, jotting down instances of corruption types, then writing them in a form of a composition is another form of knowledge restitution. Roegiers (2006) warned against this practice and termed it “disguised restitution of knowledge” (p.72).

It is noteworthy to point out here that providing testees with the kind of elements to be invested in the task, as it is the case in the first activity of the *Written Expression* phase, strips the testing activity from its substance. One of the objectives of complex situations is to measure the student’s ability to mobilize appropriate resources, either in terms of skills or content. This result concurs with Aouine’s (2011) findings in which he pointed out that providing students with clues in the first question of Written Expression makes the test less demanding and valid (p.169). On this issue, Roegiers (2006) pointed out that in a competency assessment test, students should not be supplied with the elements of the solution and then simply invite them to apply the rules they acquired in class; rather, they ought to start first by identifying resources necessary for the completion of the task (p. 71).

V.6. Use of the Rule of Three out of Four

The rule of $\frac{3}{4}$ states that $\frac{3}{4}$ of the global mark should be focused on basic learning targets (De Ketele, 2010, p.34). That is, if the mark is on 20 points, 15 points should aim at assessing fundamental (minimal) learning targets, while 5 points should be assigned for advanced criteria. With regards the marking of competency in the BAC test (See Appendix B), the *Written Expression* phase identifies only two criteria (i.e., form and content). Form refers to the overall presentation of the composition, including paragraphing, indentation, and discourse competence in general;

content, on the other hand, refers to the quality of information (pertinence) and the linguistic competence in a broad sense. These two exclusive criteria employed for assessing the complex task are almost marked equally.

Employing only two standards for assessing complex tasks might lead to a subjective view of the written production. Form and content are two independent factors to consider in any complex production, but teachers find it extremely difficult to adhere to these criteria; most of time they are influenced by the “Halo effect” (De Ketele (2010, p.33), that is, they are influenced, for instance, by the content and they ignore the form. In De Ketele’s view, the fact that the scoring of the criteria converges to a single mark makes compliance to the independent standards even more difficult. For this reason, De Ketele suggested using a grid to signal the complexity of the task. This assessment grid typically includes a number of assessment criteria along with their possible performance values.

Levels of mastery	Minimal criteria			Advanced criteria	
	<u>Criterion 1</u> <i>Pertinence</i>	<u>Criterion 2</u> <i>Reasoning</i>	<u>Criterion 3</u> <i>Language</i>	<u>Criterion 4</u> <i>Originality</i>	<u>Criterion 5</u> <i>Balance</i>
Total absence	0	0	0	0	0
Partial mastery	2	2	2	1	1
Minimal mastery	4	4	4	2	2
Maximal mastery	5	5	5	3	3
Total	15/20			5/20	

Figure 3: Assessment of a language complex task (competency)

This framework adapted from De Ketele (2010, p.34) highlights the complexity of the task and assist the scorer to respect measurement standards, and consequently, get rid of subjective assessment of complex tasks. Furthermore, as De Ketele (2010, p.34) and Roegiers (2010, p.199) assert, it can contribute to overcoming abusive failures that occur because of subjectivity or simply the use of one single criterion for correcting a complex and multifaceted task. Indeed, how many teachers naively penalize students and assign very low marks because of a poor linguistic performance despite a rich content or even originality of the work? This tendency towards a global view of a complex task usually unfairly throws away invaluable efforts of learners!

VI. Conclusion

We have seen in the current enquiry that the English language BAC test, as it stands, seems narrow and conventional; it is primarily directed towards the measurement of resources, while the assessment of competency is relegated to a secondary position. The first section of the test is restricted to the assessment of the student's capacity to reconstitute the sums of knowledge ingurgitated during class time and to apply pre-specified rules to solve the assigned tasks.

Also, we have shown that the *Written Expression* section of the test that is purposefully designed for assessing students' performance is defective in many ways. First, it does not apply the rule of two thirds that allows checking the assessment criteria three times. Second, the format of the supposedly competency assessment task is lacking multiplicity of instruction, context, and support documents. The instructions are presented in a straightforward way, requiring only the mere exhibition of knowledge and know-how (*savoir faire*). Third, these complex tasks lack meaningfulness and authenticity. Fourthly, these competency evaluative tasks lack the complexity of a terminal or real world tasks, which involve the integration of a variety of resources such as problem-solving, synthesizing, comprehending communication situations, and reacting appropriately. Finally, the rule of $\frac{3}{4}$ is not respected, hence leading to a subjective overall appraisal of a complex situation through usually one single criterion.

VII. Pedagogical Recommendations

Basing on the findings that stemmed from this study, it seems that the BAC test needs significant enhancements to attain the competency standards that the syllabus contends to measure. Firstly, the assessment of resources should be reduced to a maximum of 25 % of the total sum of test assignments. Secondly, the competency measurement task, which should constitute the remaining percentage, needs to exhibit the following features.

- Providing the learner with three independent opportunities to demonstrate his/her mastery of each assessment criterion
- Supplying the competency-based task with various instructions, context, communication situation, and authentic/semi-authentic support materials
- Making the competency assessment task meaningful and authentic
- Making the competency task complex to allow the student to use different materials and resources to arrive to a successful solution.
- Utilizing a diversity of criteria for the assessment of a competency, including both minimal and advanced criteria.

References

Aouine, A. 2011. *English language assessment in the Algerian middle and secondary schools: Context and evaluation*. Magister thesis, University of Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, p. 169-171.

De Ketele, J. M. 2010. Ne pas se tromper d'évaluation. *Revue Française de Linguistique Appliquée*, vol. 15(1), 25-37.

Denzin, N. K, & Lincoln, Y. S. 1994. Introduction: Entering the field of qualitative research. In Denzin, N. K, & Lincoln, Y. S (Eds.), *Handbook of Qualitative Research*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications, pp. 1-17.

Gerard, F. M. 2006. L'évaluation des acquis des élèves dans le cadre de la réforme éducative en Algérie. In *Réforme de l'Education et Innovation Pédagogique en Algérie*. Alger, Ministère de l'Education Nationale,

Programme d'Appui de l'UNESCO à la Réforme du Système Educatif, UNESCO-ONPS, 85-124.

Miled, M. 2005. Un cadre conceptuel pour l'élaboration d'un curriculum selon l'approche par les compétences. In Toulabi-Thaalibi, K. & Tawil, S. (Eds.), *La Refonte de la Pédagogie en Algérie - Défis et Enjeux d'une Société en Mutation*. Alger, Ministère de L'éducation National, PARE/ UNESCO, pp. 125-136.

Miliani, M. (nd). Enseignement à travers les méthodes dans les programmes de la réforme : Cas de la langue anglaise, p. 4. Retrieved from www.inre.dz.org/documents/article_miliani.pdf

Roegiers, X. 2005a. L'évaluation selon la Pédagogie de L'intégration : Est-il possible d'évaluer les compétences des élèves ? In Toulabi-Thaalibi, K. & Tawil, S. (Eds.), *La Refonte de la Pédagogie en Algérie - Défis et Enjeux d'une Société en Mutation*. Alger, Ministère de L'éducation National, PARE/ UNESCO, pp.107-124.

Roegiers, X. 2005b. Vers une pédagogie de l'intégration : Réflexions critiques sur l'évaluation. In Toulabi-Thaalibi, K. & Tawil, S. (Eds.), *La Refonte de la Pédagogie en Algérie - Défis et enjeux d'une société en mutation*. Alger, Ministère de L'éducation National, PARE/ UNESCO, pp.137-170.

Roegiers, X. 2006. L'APC dans le système éducatif algérien. In *Réforme de l'Education et Innovation Pédagogique en Algérie*. Alger, Ministère de l'Education Nationale Programme d'Appui de l'UNESCO à la Réforme du Système Educatif, UNESCO-ONPS, 51-84.

Roegiers, X. (2010). *Pedagogy of integration: Education and training systems at the heart of our societies*. Brussels, De Boeck University, p. 199.

Scallon, G. (2004). *L'évaluation des apprentissages dans une approche par compétences*. Bruxelles, De Boeck Supérieur, 36.

Seghouani, A. (2005). Suivi et évaluation de la mise en œuvre de la réforme du système éducatif: Vers un dispositif de pilotage. In *Réforme de l'Education et Innovation Pédagogique en Algérie*, Ministère de l'Education Nationale, Programme d'Appui de l'UNESCO à la Réforme du Système Educatif, UNESCO-ONPS, 67-78.

Appendices

Appendix A

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التربية الوطنية
متمتع بكالوريا التعليم الثانوي
الشعبة: لغات أجنبية
اختبار في مادة: اللغة الإنجليزية

الدورة: 2016
المدة: 03 س و 30 د

على المترشح أن يختار أحد الموضوعين التاليين:

الموضوع الأول

(14 pts)
(07 pts)

Part One: Reading.
A/ Comprehension and Interpretation.
Read the text carefully and do the activities.

Corruption has been defined in many different ways, each lacking in some aspect. A few years ago, the question of definition absorbed a large proportion of the time spent on discussions of corruption at conferences and meetings. However, like an elephant, even though it might be difficult to describe, it is generally not difficult to recognise when observed. In most cases, though not all, different observers would agree on whether a particular behaviour connotes corruption. Unfortunately, the behaviour is often difficult to observe directly because, typically, acts of corruption do not take place in broad daylight.

The most popular and simplest definition of corruption is that it is the abuse of public power for private benefit. From this definition, it should not be concluded that corruption cannot exist within private sector activities. Especially in large private enterprises, this phenomenon clearly exists, as for example in procurement or even in recruitment. In several cases of corruption, the abuse of public power is not necessarily for one's private benefit or one's party, class, tribe, friends, family, and so on. In fact, in many countries some of the proceeds of corruption go to finance the political parties.

Not all acts of corruption result in the payment of bribes. For example, a public employee who claims to be sick but goes on vacation is abusing his public position for personal use. Thus, he is engaging in an act of corruption even though no bribe is paid.

It is important to distinguish bribes from gifts. In many instances, bribes can be disguised as gifts. A bribe implies reciprocity, while a gift should not. However, even though the distinction is fundamental, the identification of a bribe may not always be simple.

Adapted from "Corruption Around the World" by Vito Tanzi, May 1998

- Choose the general idea of the text.
 - The effects of corruption.
 - The different significations of corruption.
 - The causes of corruption.
- Are these statements true or false? Write T or F next to the letter corresponding to the statement.
 - The notion of corruption is still unclear.
 - Observers would agree on whether a particular behaviour connotes corruption.
 - Corruption benefits private interest only.
 - Acts of corruption always lead to bribe payment.
- In which paragraph is it mentioned that corruption is not limited to bribe taking?

4. Answer the following questions according to the text.

- What is corruption compared to? Why?
- Can a person be corrupted without getting something in return? Justify.
- What does reciprocity in corruption imply?

5. Who or what do the underlined words refer to in the text?

- all (§1)
- this phenomenon (§2)
- his (§3)

(07 pts)

B/ Text Exploration.

- Find in the text words that are closest in meaning to the following:
 - attitude (§1) =
 - pretends (§3) =
 - differentiate (§4) =
- Complete the chart below as shown in the example.

	noun	verb	adjective
Example:	corruption	corrupt	corrupt
		engage	different

- Connect each pair of sentences with only three link words from the list below. Make changes where necessary.

provided that - unlike - so ... that - in order that

 - Corruption is widespread. Many associations launched an international campaign to eradicate the phenomenon.
 - Businessmen will pay their taxes honestly. The economy will prosper.
 - A bribe is an act of corruption. A gift is not an act of corruption.
- Classify the following words according to the pronunciation of their final 's'.

instances - parties - proceeds - exists

/s/	/z/	/ɪz/

5. Fill in the gaps with only four words from the list below:

unfair - teaching - determines - corrupt - relationships - ethical

Ethics is a set of moral values. It(1).... what is right and what is wrong. It touches all professions;(2).... journalism, business, medicine etc... It establishes(3).... codes of behaviour for each one of them. These values are essential for better(4).... within society.

(06 pts)

Part two: Written Expression.

Choose One of the following topics:

Topic One:

Some people generally relate corruption only to bribery, but this is a mistaken belief. Write a composition of about 120 to 150 words showing other forms of corruption in which ordinary citizens may be involved.

The following notes may help you:

- being late for work
- bureaucratic abuse
- copyright thefts
- buying goods of suspected origins
- nepotism
- embezzlement

Topic two:

Civilizations are inter-related. They enrich one another in different aspects of life. Write a composition of about 120 to 150 words developing this idea and illustrating it with examples.

انتهى الموضوع الأول

Appendix B

الإجابة النموذجية لموضوع امتحان البكالوريا دورة: 2016
اختيار مادة: اللغة الإنجليزية الشعبة: لغات أجنبية المدة: 03 س و 30 د

المعلومة		Sujet 1 : Corruption has been defined ...	عناصر الإجابة									
مجموع	مجزأة											
14 pts		Part One: Reading.										
7 pts		A. Comprehension:										
0.5 pt	0.5	1. b.										
2 pts	(0.5x4)	2. a-T b-T c-F d-F										
0.5 pt	0.5	3. § 3										
2.5 pts	1	4. a- It is compared to an elephant because it is difficult to describe but easy to recognise when observed. b- Yes he/she can: "A public employee who claims to be sick but goes on vacation is abusing his public position for personal use." c- It implies a bribe. / It results in the payment of bribes / exchange of inter arrangement/ favours ...										
1.5 pt	0.5x3	5. a- cases b- corruption c- a public employee										
7 pts		B. Text Exploration:										
0.75pt	0.25x3	1. a. behaviour b. claims c. distinguish										
1pt	(0.25x4)	2.										
		<table border="1"> <thead> <tr> <th>noun</th> <th>verb</th> <th>adjective</th> </tr> </thead> <tbody> <tr> <td>engagement</td> <td>/</td> <td>engaging / engaged</td> </tr> <tr> <td>difference / differentiation</td> <td>differ / differentiate</td> <td>/</td> </tr> </tbody> </table>	noun	verb	adjective	engagement	/	engaging / engaged	difference / differentiation	differ / differentiate	/	
noun	verb	adjective										
engagement	/	engaging / engaged										
difference / differentiation	differ / differentiate	/										
2.25 pts	0.75x3	3. a. Corruption is so widespread that it should be everybody's concern. b. The economy will prosper provided that businessmen pay their taxes. c. -Unlike a bribe which / that is an act of corruption, a gift is not. or- Unlike a bribe, a gift is not an act of corruption . or- Unlike a gift which / that is not an act of corruption , a bribe is. or- Unlike a gift, a bribe is an act of corruption .										
1 pts	(0.25x4)	4.										
		<table border="1"> <thead> <tr> <th>/s/</th> <th>/z/</th> <th>/tʃ/</th> </tr> </thead> <tbody> <tr> <td>exists</td> <td>parties - proceeds</td> <td>instances</td> </tr> </tbody> </table>	/s/	/z/	/tʃ/	exists	parties - proceeds	instances				
/s/	/z/	/tʃ/										
exists	parties - proceeds	instances										
2 pts	(0.5x4)	5. 1. determines 2. teaching 3. ethical 4. relationships										
6 pts		Part Two: Written Expression.										
		Topic 1:										
		Form: 3.5 pts										
		Content : 2.5 pts										
		Topic 2:										
		Form : 03pts										
		Content : 03pts										

109

صفحة 1 من 2